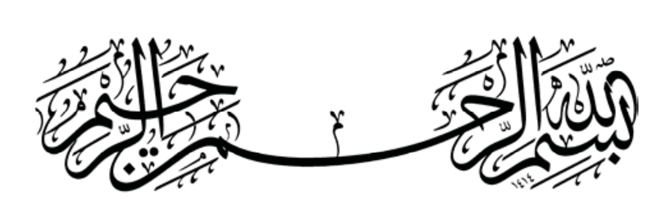

محمد باقر الصدر
السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق



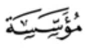
محمد باقر الصدر

السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق

تأليف

أحمد عبد الله أبو زيد العاملي

الجزء الأول



العارف للمطبوعات

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م ـ ١٤٢٧ هـ

مؤسسة العارف للمطبوعات

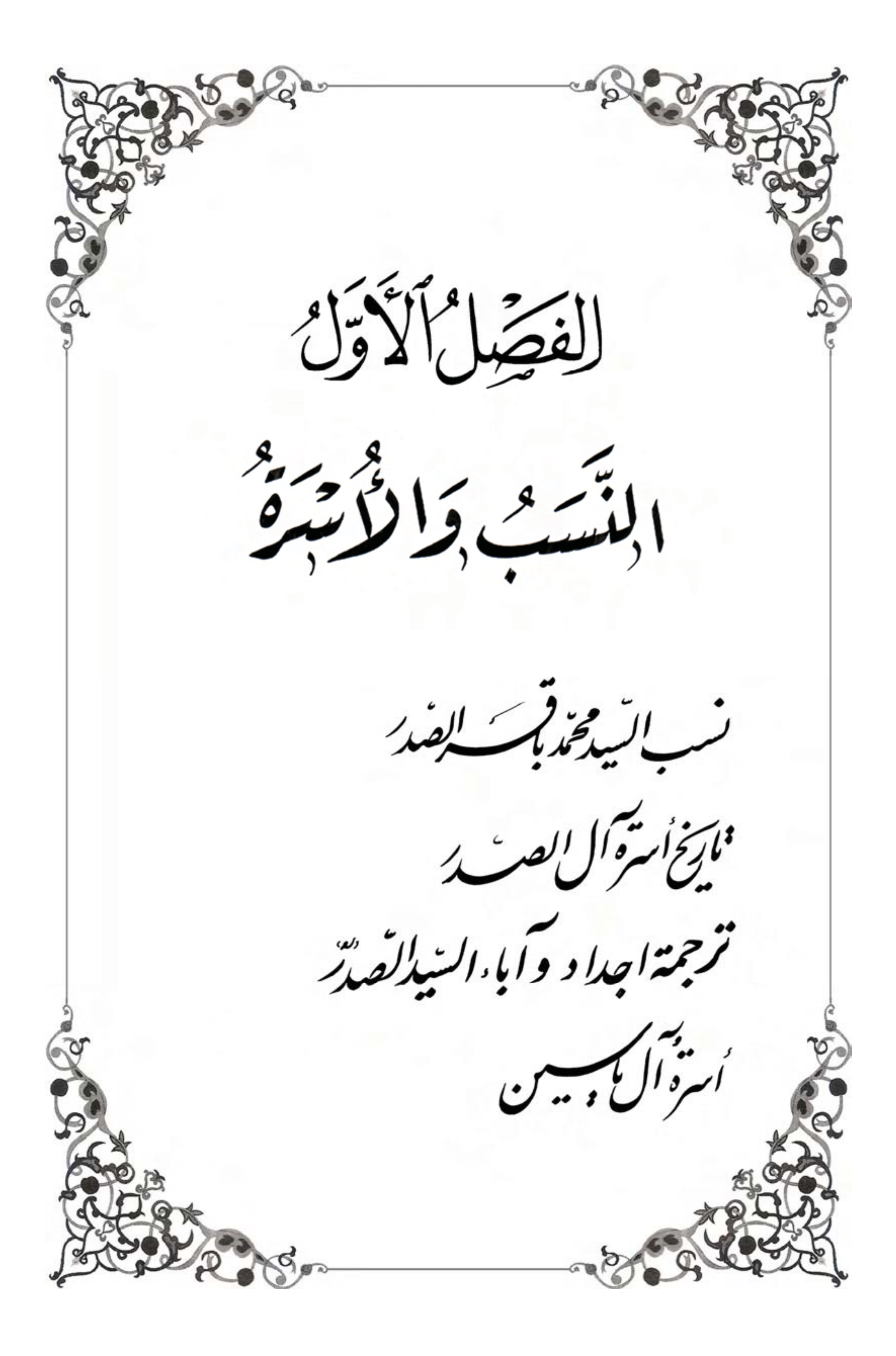
بيروت ـ لبنان



لبنان: ص.ب: ١٠٦ / ٢٤ برج البراجنة.
Tlf: 00961 1 543359
+ 0 3 548403

العراق ـ النجف الأشرف / الميدان
Tl: 00964 33 370636
+ 07801327828

Url: www.alaref.net
Email: alaref@alaref.net



الفصل الأول

النسب والأسرة

نسب السيد محمد باقر الصدر

تاريخ أسرة آل الصدر

ترجمة اجداد وآباء السيد الصدر

أسرة آل ياسين

نسب السيّد محمّد باقر الصدر

هو [١] (**محمّد باقر**) أبو (محمّد جعفر)، بن [٢] (**حيدر**) بن [٣] (**إسماعيل**) بن [٤] (**محمّد**) صدر الدين بن [٥] (**صالح**) بن [٦] (**محمّد**) بن [٧] (**إبراهيم**) شرف الدين بن [٨] (**زين العابدين**) إبراهيم(١) بن [٩] (**نور الدين**) علي بن [١٠] (**علي**) نور الدين(٢) بن [١١] (**الحسين**) عزّ الدين بن [١٢] (**محمّد**) بن [١٣] (**الحسين**) بن [١٤] (**علي**) بن [١٥] (**محمّد**) بن [١٦] (**عبّاس**) تاج الدين أبي الحسن(٣) بن [١٧] (**محمّد**) شمس الدين بن [١٨] (**عبد الله**) جلال الدين بن [١٩] (**أحمد**) بن [٢٠] (**حمزة**) أبي الفوارس بن [٢١] (**سعد الله**) أبي محمّد بن [٢٢] (**حمزة**) «القصير» أبي أحمد(٤) بن [٢٣] (**محمّد**) أبي السعادات(٥) بن [٢٤] (**عبد الله**) أبي محمّد(٦) بن [٢٥] (**محمّد**) الحارث أبي الحرث(٧) بن [٢٦] (**علي**) «ابن الديلميّة» أبي الحسن بن [٢٧] (**عبد الله**) أبي طاهر بن [٢٨] (**محمّد**) «المحدّث» أبي الحسن بن [٢٩] (**طاهر**) أبي الطيّب بن [٣٠] (**الحسين**) «القطعي» بن [٣١] (**موسى**) «أبي سبحة»(٨) بن [٣٢] (**إبراهيم**) المرتضى الأصغر ابن [٣٣] (**الإمام موسى الكاظم**عليه السلام) ابن [٣٤]

---

(١) صرّح باسمه في: تكملة أمل الآمل: ٢٢٤، فيكون اسم ابنه كاسمه.

(٢) اسم الأب والابن «علي»، وبعضهم يميّز الابن عن أبيه بتقديم اللقب على الاسم (كما في المتن استفادةً من بعض ما كتبه الابن بنفسه)، والبعض يفعل العكس. وقد تُوُهّم في بعض الكتب اتّحادهما، كما في (المشجّر الوافي ٣: ٢٠٦، ٢٠٩) حيث ورد أنّ زين العابدين والد إبراهيم شرف الدين هو نجل علي نور الدين بن الحسين لا حفيده، وكذلك فعل المحدّث النوري رحمه الله في مورد من (خاتمة المستدرك) وإن عدّهما شخصين في موارد أخرى (انظر ترجمتهما في ما يأتي). بينما أثبتته معظم المصادر. ولم يذكره الشيخ محمّد رضا النعماني في كتابيه (الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيّام الحصار: ٤٢)، و(شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٤٧)، وانظر ترجمته في ما يأتي.

(٣) جاء في متن (بغية الراغبين): (أبي الحسين) بدل (أبي الحسن)، ولعلّه خطأ مطبعي خاصّةً وأنّه قد ورد في هامش الصفحة ذاتها (أبو الحسن). وهو الذي نسبت إليه الأسرة لفترةٍ من الزمن، فعرفت بآل أبي الحسن من باب النسبة إلى أعرف الأجداد كما يأتيك إن شاء الله تعالى.

(٤) سقط ممّا ذكره الشيخ محمّد رضا النعماني في شجرة النسب. ووصفُه بالقصير جاء في المشجّر الوافي ٣: ٢٠٤.

(٥) سقط كذلك. وفي ترجمة السيّد (حسين بن محمّد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي) أورد الشيخ الحر رحمه الله نسبه كما رآه بخطّ يده، وقد جاء فيه: «... بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمّد **بن محمّد** بن عبد الله..»، وفي نسخة: «بن عبد الله بن محمّد بن طاهر» (أمل الآمل ١: ٧٩)، ولكن يبدو أنّ الصحيح ما في المتن، ولعلّ في (الأمل) تكراراً.

(٦) سقط كذلك. وقد جاء في: طبقات أعلام الشيعة ٢: ٦٦٨ ـ ٦٦٩ (أبو عبد الله نقيب النقباء الطالبيّين في بغداد) بدل (أبي محمّد عبد الله).

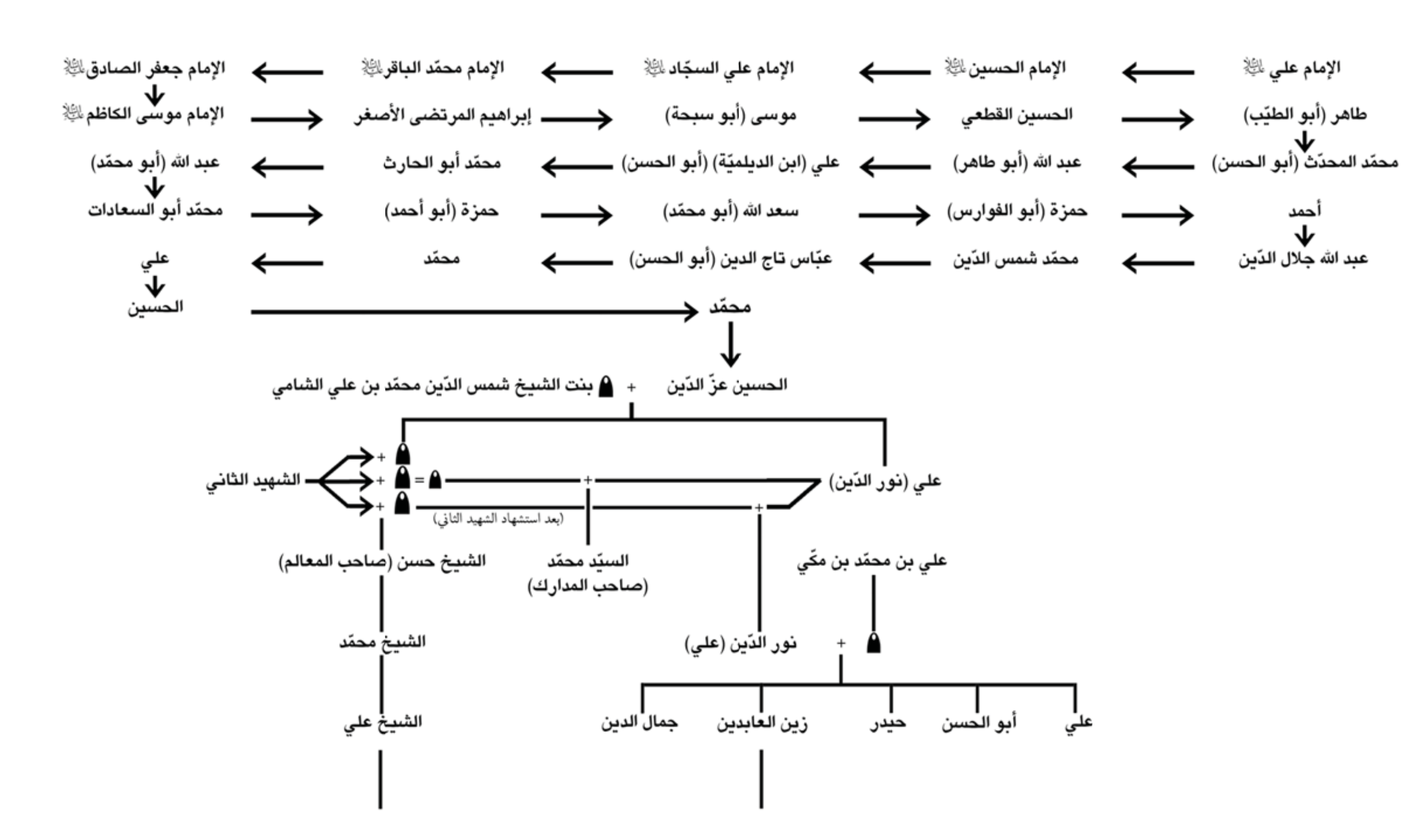
(٧) في بغية الراغبين ١: ١٣: (أبو الحارث)، وفي طبقات أعلام الشيعة ٢: ٦٦٩: (أبو الحرث) بدل (أبو الحارث)، وفي المشجّر الوافي ٣: ١٩٦: أبو الحرث محمّد الحارث.

(٨) وقيل: أبو شجة (تنقيح المقال ٤: ٤١٤).

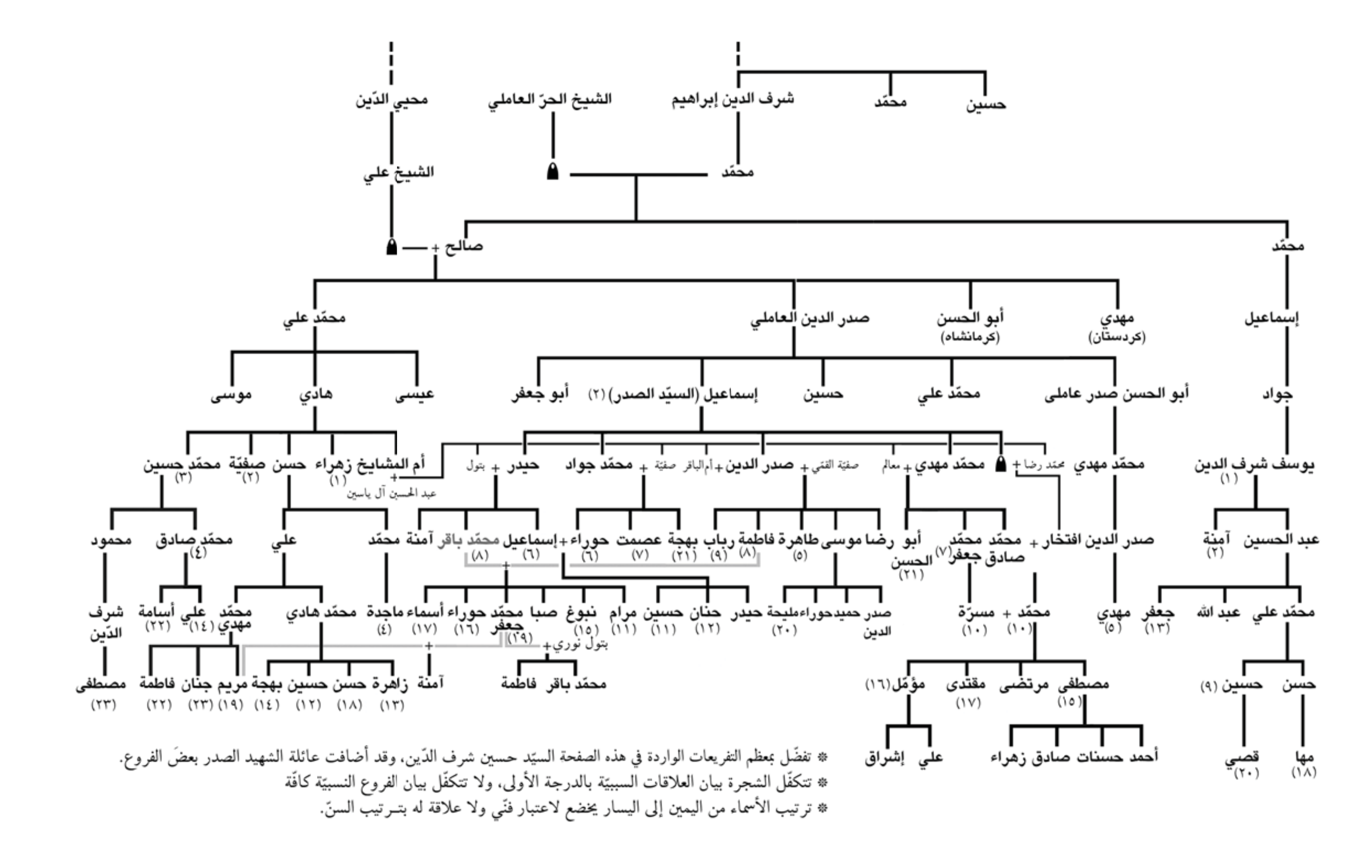
(**الإمام جعفر الصادق**عليه السلام) ابن [٣٥] (**الإمام محمّد الباقر**عليه السلام) ابن [٣٦] (**الإمام علي زين العابدين**عليه السلام) ابن [٣٧] (**الإمام الحسين الشهيد**عليه السلام) ابن [٣٨] (**الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**عليه السلام)[1].

* * *

(١) انظر نسبه عموماً في: بغية الراغبين ١: ١٢ ـ ١٣ ؛ خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢: ١١١ ؛ تكملة أمل الآمل: ١٠٤، ١٠٦ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٦٨٣ ؛ أعيان الشيعة ١٠: ١٧ ؛ مكارم الآثار در احوال رجال دوره قاجار (فارسي) ١: ٧ ؛ الروض المعطار في تشجير تحف الأزهار: ٢٧٧ وما بعد ؛ المشجّر الوافي ٣: ١٥١، ١٦٤، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١.



الإمام علي عليه السلام
الإمام الحسين عليه السلام
الإمام علي السجّاد عليه السلام
الإمام محمّد الباقر عليه السلام
الإمام جعفر الصادق عليه السلام
الإمام موسى الكاظم عليه السلام
إبراهيم المرتضى الأصغر
موسى (أبو سبحة)
الحسين القطعي
طاهر (أبو الطيّب)
محمّد المحدّث (أبو الحسن)
عبد الله (أبو طاهر)
علي (ابن الديلميّة) (أبو الحسن)
محمّد أبو الحارث
عبد الله (أبو محمّد)
محمّد أبو السعادات
حمزة (أبو أحمد)
سعد الله (أبو محمّد)
حمزة (أبو الفوارس)
أحمد
عبد الله جلال الدّين
محمّد شمس الدّين
عبّاس تاج الدين (أبو الحسن)
محمّد
علي
الحسين
محمّد
الحسين عزّ الدّين
بنت الشيخ شمس الدّين محمّد بن علي الشامي
علي (نور الدّين)
الشهيد الثاني
(بعد استشهاد الشهيد الثاني)
علي بن محمّد بن مكّي
السيّد محمّد
(صاحب المدارك)
الشيخ حسن (صاحب المعالم)
الشيخ محمّد
الشيخ علي
نور الدّين (علي)
علي
أبو الحسن
حيدر
زين العابدين
جمال الدين



* تفضّل بمعظم التفريعات الواردة في هذه الصفحة السيّد حسين شرف الدّين، وقد أضافت عائلة الشهيد الصدر بعضَ الفروع.
* تتكفّل الشجرة بيان العلاقات السببيّة بالدرجة الأولى، ولا تتكفّل بيان الفروع النسبيّة كافّة
* ترتيب الأسماء من اليمين إلى اليسار يخضع لاعتبار فنّي ولا علاقة له بترتيب السنّ.

تاريخ أسرة آل الصدر

كان السيّد محمّد باقر الصدر‌ رحمه الله ثمرة اللقاء والاقتران بين السيّد حيدر الصدر وبين ابنة خالته بتول كريمة الشيخ عبد الحسين آل ياسين‌ رحمهم الله، ووالدتُها أم المشايخ حفيدةُ السيّد محمّد علي أخي السيّد صدر الدين جدّ السيّد حيدر الصدر[1].

أمّا حول تاريخ أسرة آل الصدر: ففي عهد عثمان بن عفّان وولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام، نفي الصحابي الجليل أبو ذو الغفاري إلى جبل عامل، فحمل إليها التشيّع وبذر فيها ولاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله. ولعلّ أهل هذه البلاد أقدم من شايع عليّاً عليه السلام، فجرت عليهم الويلات والمحن وذاقوا مرارة العيش[2].

وبعد منتصف القرن السابع الهجري ظهرت بوادر حركة علميّة على يد رائدها الفقيه محمّد بن مكّي الملقّب بالشهيد الأوّل‌ رحمه الله، فشرع بتأسيس مدرسته الفقهيّة في جزّين. ثمّ خطا خطوات جليلة لإنجاح مشاريعه، فبزغ نجمه في الميدان العلمي والاجتماعي والسياسي والمرجعي، فكان أوّل من أحدث تغييرات جوهريّة في الكيان المرجعي وطريقة الاتّصال بالقواعد الشعبيّة[3]. ولعلّ همّته العالية هذه هي التي أودت بحياته بعد أن اتّضح للظالمين مدى قدراته الفكريّة والسياسيّة.

---

(١) نقلنا ما أوردناه تحت عنوان (تاريخ أسرة آل الصدر) نقلاً شبه حرفيٍّ من كتاب (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه) تأليف السيّد محمّد الحسيني (انظر الصفحات التالية من الكتاب: ٢٠ ـ ٢١ و٣٧ ـ ٤٣). إلاّ أنّنا لم نثبت هوامش المصنّف، وما أضفناه لنا.

(٢) ربّما كانت هذه المسألة محلّ خلاف تأريخي. ويذكر الشيخ الحرّ العاملي أنّ أبا ذر الغفاري لمّا أخرجه عثمان إلى الشام تشيّع جماعة كثيرة من أهلها، فأخرجه معاوية إلى القرى فوقع في جبل عامل فتشيّعوا من ذلك اليوم (أمل الآمل ١: ١٣). ويشير الدكتور عمر تدمري إلى تواتر خبر مرابطة أبي ذر الغفاري‌ رضي الله عنه عند ساحل الصرفند (بيروت ودورها الجهادي: ٨٤). ويذكر السيّد محسن الأمين‌ رحمه الله أنّ خبر نفي أبي ذر إلى قرى الشام وجبلِ عامل وإن لم يرد به خبر مسند، إلاّ أنّه قريبٌ غير مستبعد، ويؤيّده وجود مسجدين في جبل عامل باسمه في كلٍّ من ميس والصرفند، وهذه الأمور ـ عند السيّد الأمين ـ يُستأنس بها لتشيّع أهل جبل عامل على يد أبي ذر وتورث الظن بذلك، وإن كان لا يستطيع الجزم به (خطط جبل عامل: ٨٤ ؛ وانظر: أعيان الشيعة ٦: ٣٣١ ؛ جبل عامل في التاريخ: ٣٣ ـ ٣٩ ؛ تاريخ الشيعة: ١٤٩)، بينما يخلص بعض الباحثين إلى أنّ الروايات الواردة حول الموضوع لا تعني أنّ إخراج أبي ذر الأوّل إلى الشام كان نفياً، كما لا يصادق على كون معاوية قد استقدمه إلى الشام ثمّ خرج إلى قراها (أبو ذر الغفاري.. رمز اليقظة في الضمير الإنساني: ٧٣، ٧٩ ـ ٨٠)، وقد أيّده في هذا باحثٌ آخر حيث اعتبر أنّه قدم إلى الشام في المرّة الأولى بملءِ إرادته، وأكّد على أنّ من المقبول القول إنّه كان في جبل عامل بعد أن تمّ رصده في طرابلس وبيت المقدس وفقاً لمصادر تاريخيّة، ولكنّه في الوقت نفسه يميل إلى اعتبار ارتباط التشيّع في جبل عامل بأبي ذر أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة التاريخيّة (التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية: ١٩ ـ ٣٣)، كما لم يصادق على ارتباط تشيّع أهل جيب عامل بأبي ذر الدكتور جودت القزويني (تاريخ المؤسّسة الدينيّة الشيعيّة: ١٥٩). وعلى أيّة حال، فقد أشار السيّد الأمين‌ رحمه الله إلى أنّ الرحالة الفارسي المعروف ناصر خسرو مرّ سنة ٤٣٧ هـ في أطراف جبل عامل وقال إنّ أكثر أهل صور من الشيعة (الشيعة في مسارهم التاريخي: ٦٩٥) ؛ وانظر عموماً: صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي: ١٦ ـ ١٨.

(٣) هذا ما يحتمله بشدّة السيّد الصدر‌ رحمه الله نفسه في محاضرة (المحنة) وفي بعض أجوبته.

ولم تخلُ جبال عاملة بعد استشهاد الشهيد الأولﷺ، بل انتشرت الحركة العلميّة التي أسّسهاﷺ وتمّ تصعيدها والحيلولة دون انقراضها على يد العشرات بل المئات من العلماء الأبرار، فظهرت المدارس العلميّة في ميس وجبع وعيناتا والنبطيّة والكوثريّة وحنويه والخيام وعيتا وبنت جبيل وشقراء وشحور، وامتلأت جبال عاملة بالفقهاء والفضلاء حتّى قيل: إنّه حضر سبعون مجتهداً في تشييع جنازة في قرية من قرى جبل عامل، وذلك في عصر الشهيد الثانيﷺ وما قاربه[١].

وانصرف جلُّ أبناء الجبل إلى طلب العلم، ولا تعثر في معظم الأسر يومذاك إلاّ على فقيه أو فاضل، [و.. عدد علمائهم يقارب خمس عدد علماء المتأخّرين، وكذا مؤلّفاتهم بالنسبة إلى مؤلّفات الباقين، مع أنّ بلادهم بالنسبة إلى باقي البلدان أقلّ من عشر العشر..][٢].

ومن هذه الأسر العلميّة الجليلة آل شرف الدين التي ساهم أبناؤها في إحياء الحركة الفقهيّة في أكثر من موقع، ولعلّ أبرز مظاهر هذه المساهمة كان في جبع وشحور. ويقف في مقدّمة رجال هذه الأسرة الشهيد السيّد عزّ الدين الحسين بن أبي الحسن الموسويﷺ المستشهد سنة (٩٦٣ هـ)، أي قبيل استشهاد الشهيد الثانيﷺ بسنة أو سنتين، على اختلاف الرواة في شهادة الأخير.

وآل الصدر من أشهر الأسر العلويّة وأعرقها في العلم والفضل والأدب والورع والتقى والصلاح. وهذه الأسرة العريقة قد اتّخذت ألقاباً مختلفة باختلاف العصور طيلة ما يزيد على قرنين، فكانوا يلقّبون تارةً بـ(آل أبي سبحة)، وأخرى بـ(آل حسين القطعي)، وثالثة بـ(آل عبد الله)، ورابعة بـ(آل أبي الحسن)، وخامسة بـ(آل شرف الدين) وأخيراً بـ(آل الصدر).

والحديثُ عن المقام العلمي لهذه الأسرة حديثٌ عن الآباء والأجداد ولا يختصّ باللقب الأخير، فإنّ لقب (آل الصدر) ليس بعيداً، بل لا يزيد عمره الزمني على المائتي سنة سوى بضع سنين.

ولأجل التعرّف على مقام هذه الأسرة الجليلة، لا بدّ من معرفة مدى مساهمة علمائهما وعميق تأثيرهم العلمي على مرّ العصور وفي أكثر من موقع. والحقيقة هي أنّ آثار فضل علمائهم ما زالت شاخصةً للعيان منذ أمدٍ بعيد وفي أكثر المعاهد العلميّة والمراكز الفقهيّة التي ظهرت في البلاد الإسلاميّة:

١ ـ في مكّة المعظّمة

في مكّة المكرّمة كان لهم شأنٌ عظيم، إذ كانت في سالف الزمان والأيّام الغابرة موطناً لكثيرٍ من علماء الإماميّة، وفي مقدّمة هؤلاء علماء هذه الأسرة.

ولعلّ أوّل من رحل إلى مكّة هو السيّد نور الدين جدّهم الأعلى الذي كان في أوّل أمره في بلاد الشام، ثمّ رغب في الهجرة إلى بيت الله الحرام، وصار له في تلك الديار مقامٌ علميٌّ جليل، وأخذ

---

(١) انظر: أمل الآمل ١: ١٥ ؛ أعيان الشيعة ١: ٣٨ نقلاً عنه. والذي عثرتُ عليه هو أنّ ابنة الشهيد الأوّلﷺ، وهي أم الحسن فاطمة المدعوّة بـ(ستّ المشايخ) لمّا توفّيت في جزّين ـ وكانت عالمة فاضلة فقيهة صالحة عابدة (أمل الآمل ١: ١٩٣) ـ حضر تشييعها سبعون مجتهداً من جبل عامل (تقديم الشيخ محمّد مهدي الآصفي على الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: ٩٥) ؛ وانظر حول مدارس عاملة: تاريخ جبل عامل: ٢٣١ وما بعد.

(٢) ما بين [] أضفناه من أمل الآمل ١: ١٥.

عنه عشرات العلماء والفضلاء من شتّى الأصقاع، وكان وقتئذ من أكابر الفقهاء، وقضى عمره الذي ناف على التسعين في التدريس والتصنيف. ومن أشهر ما كتبه وصنّفه شرح (المختصر النافع) للمحقّق الحلي، و(الأنوار البهيّة على الرسالة الاثني عشريّة في الصلاة) للشيخ البهائي، و(الشواهد المكيّة في مداحض حجج الخيالات المدنيّة)[1] ردّاً على الملاّ محمّد أمين الإسترآبادي زعيم الحركة الأخباريّة الذي كان مقيماً في الحجاز.

وممّن أقام منهم في مكّة: ولدُه السيّد زين العابدين الذي كانت ولادته في قرية جبع من جبل عامل سنة (٩٩٦ هـ). والظاهر أنّ والده انتقل به إلى مكّة وهو بعدُ صغير، فنشأ هناك وجاور البيت الحرام إلى حين وفاته عام (١٠٧٢ هـ). **ومنهم:** السيّد علي نجل السيّد نور الدين، وهو من العلماء الأفاضل. ولد في مكّة سنة (١٠٦١ هـ)، وقد توفّي والده وهو في السابعة من عمره، فكفله أخوه السيّد زين العابدين ونشأ تحت رعايته وأخذ دراساته عن علماء الإماميّة وجمهور المسلمين من أهل السنّة، وصار من أبرز علماء مدرسة مكّة المعظّمة، وكانت وفاته سنة (١١١٩هـ). **ومنهم:** السيّد رضي الدين ابن السيّد محمّد بن نور الدين. فالسيّد رضي الدين حفيدُ السيّد حيدر أخي السيّد زين العابدين المذكور أعلاه، وهو من العلماء الأجلاّء في مكّة، وكان يقصده العلماء لطلب الإجازة منه لمكانته العلميّة. **ومنهم:** السيّد عبّاس ابن السيّد علي، من أحفاد السيّد نور الدين صاحب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس)، وهو كتابٌ يتضمّن الأدب والتراجم والتواريخ. وكانت ولادته بمكّة سنة (١١١٠ هـ)، ونشأ بها وأخذ عن علمائها واتّصل بالشهيد السيّد نصر الله الحائري وزار معه العراق وإيران. ويظهر أنّه رجع من مكّة إلى موطنه جبل عامل حيث توفّي سنة (١١٧٩ هـ). **ومنهم:** السيّد شرف الدين إبراهيم بن زين العابدين جدّ آل شرف الدين. كانت ولادته في جبع سنة (١٠٣٠ هـ)، ثمّ انتقل إلى مكّة المعظّمة ـ وربّما كان ذلك مع أهله ـ وأقام فيها، غير أنّه استحسن العودة إلى الجبل، فأقام في جبع ثمّ ارتحل إلى شحور، وكان أوّل من انتقل إليها من آل شرف الدين. **ومنهم:** السيّد علي بن حيدر بن نور الدين والد السيّد عبّاس الذي تقدّمت ترجمته، وهو من العلماء الذي عرفوا بالورع والزهد والنسك. جاور البيت الحرام حتّى توفّي سنة (١٠٨٩ هـ).

٢ ـ في إصفهان

كانت إصفهان في الدولة الصفويّة مركز العلم في إيران ومعهد الفقه الرئيس، وقد أولى السلاطين الصفويّون عنايةً خاصّة بها، فقدم إليها العلماء من كلّ صوب وحدب. وفي مقدّمة هؤلاء علماء جبل عامل، فكان في طليعتهم المحقّق الثاني الشيخ علي الكركي والشيخ عبد الصمد تلميذ الشهيد الثاني ونجله الشيخ البهائي والشيخ لطف الله الميسي وعشرات العلماء الآخرين، وكانت هجرتهم إلى إيران في فترات زمنيّة مختلفة.

وكان لأسرة السيّد الصدر نصيبٌ منها، ويبدو أنّ أوّل من رحل إلى إصفهان للإقامة فيها هو السيّد محمّد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين الذي ولد في جبع سنة (١٠٤٩ هـ)، فقد

(١) في (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٨): «الفوائد المكيّة في نقض الفوائد المدنيّة»، على تفصيلٍ يأتيك في ترجمة مؤلّفها، فانتظر.

تتلمذ على بعض علماء جبل عامل ثمّ هاجر إلى العراق ومكث زمناً لطلب العلم، ثمّ توجّه منها إلى إصفهان ـ وكانت في أوج ازدهارها ـ فتتلمذ فيها على السبزواري﵀، فرغب فيه أستاذه وقرّبه منه وزوّجه إحدى بناته. ولمّا توفي اختلف إلى الشيخ علي حفيد الشيخ حسن صاحب (المعالم) يوم كان بإصفهان، وكان السيّد محمّد مكرّماً ومعظّماً لدى الشاه عبّاس الصفوي، إلاّ أنّه لم يبقَ في إصفهان، فاختار الهجرة إلى مشهد ليعود مرّة أخرى إلى جبل عامل، فأحيى العلم في قرية شحور وتتلمذ عليه فيها من مشاهير علماء الجبل، من قبيل ولده السيّد صالح والشيخ سليمان المعتوق.

وممّن هاجر إلى إصفهان السيّد صدر الدين الصدر، بل إنّ مدارس إصفهان ومجامعها العلميّة مدينة لفضله، فإنّه انفرد بالمرجعيّة فيها. وقام مقامه ولده السيّد محمد علي (آقا مجتهد)، فكان من أعاظم علماء إصفهان وأكابر مراجعها، وقد اختار الإقامة فيها وكذلك أولاده، بينما عزم أخوه السيّد إسماعيل ـ جدّ السيّد الصدر﵀ ـ على العودة إلى العراق واستقرّ به الحال هناك.

أمّا ولدا السيّد محمّد علي، فإنّهما اختارا الإقامة في إصفهان، وهما السيّد ميرزا بهاء الدين الذي يعدّ من فضلاء إصفهان ممّن يغلب عليهم العرفان، والسيّد جواد وهو الآخر من مشاهير علماء هذه الأسرة، وكان في بادئ أمره في النجف الأشرف ثمّ رحل إلى إصفهان.

ومن علماء هذه الأسرة ممّن هاجروا إلى إصفهان السيّد قاسم بن محمّد بن عبد السلام بن زين العابدين ابن السيّد عبّاس صاحب (النزهة). هاجر أوّل مرّة إلى العراق ثمّ ارتحل منه إلى إصفهان حيث السيّد صدر الدين، وهو من الفقهاء الذين عرفوا بالورع والزهد وكثرة التهجّد.

٣ ـ في مشهد (خراسان)

في ظلّ الدولة الصفويّة ازدهرت مدارس الفقه في مختلف أنحاء إيران، وفي طليعة هذه المدن خراسان التي تضمّنت قبر الإمام الرضا﵇ وأصبحت من المراكز العلميّة الشهيرة. ولمّا بدأت الهجرة العامليّة إلى إيران، أصابت خراسان حظّاً منها، فانتشر علماء جبل عامل في هذه المدينة، ولعلّ أشهرهم الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي﵀ صاحب (وسائل الشيعة).

أمّا أسرة السيّد الصدر﵀، فيبدو أنّ أوّل من هاجر منها إلى خراسان هو جدّهم الأعلى السيّد علي بن الحسين تلميذ الشهيد الثاني﵀. ويظهر من بعض الإجازات أنّه قد اجتمع إليه العديد من أكابر علماء إيران وفضلائها. **ومنهم:** السيّد محمّد ابن السيّد إبراهيم شرف الدين، فإنّه لمّا ارتحل من إصفهان التحق بخراسان واختصّ بالشيخ الحرّ العاملي﵀ ولازمه فترةً من الزمن إلى حين عودته إلى جبل عامل. **ومنهم:** السيّد صدر الدين نجل السيّد إسماعيل الصدر﵀ الذي أصبح من أشهر علماء خراسان، ولولا إلحاح الشيخ عبد الكريم الحائري﵀ في قدومه إلى قمّ لطال به العهد فيها.

٤ ـ في كربلاء

كان لآل الصدر مقامٌ جليلٌ حينما انتقل السيّد إسماعيل الصدر﵀ من سامرّاء إلى كربلاء بعد وفاة أستاذه المجدّد الشيرازي﵀، فأصبح من أبرز وأشهر مراجع هذه المدينة المقدّسة، بل لم يكن ثمّة من يضاهيه علماً وورعاً ومكانة. ولم تكن هجرة السيّد إسماعيل الصدر﵀ هذه أوّل عهدهم بهذه المدينة، فإنّ جدّهم السيّد صالح﵀ سبق له أن حلّ في هذه الأرض قبل فراره من قبضة الطاغية

أحمد الجزّار طلباً للعلم فيها، وكذلك نجله السيّد صدر الدين الذي تتلمذ على الفحول من علمائها أمثال السيّد علي الطباطبائي رحمه الله صاحب (الرياض)، والسيّد مهدي بحر العلوم رحمه الله.

وكذلك أحفاد السيّد صالح رحمه الله (أبناء السيّد إسماعيل رحمه الله)، فإنّ جلّ دراستهم كانت في كربلاء أيّام إقامة والدهم فيها، ونخصّ منهم السيّد حيدر الصدر رحمه الله.

٥ ـ في الكاظميّة

ولآل الصدر في مدينة الكاظميّة وجودٌ متميّز، فكان علماؤها من أبرز الوجودات العلميّة والمرجعيّة، كالسيّد صالح ونجله السيّد محمّد علي الذي كان يعتبر من أكابر العلماء ومن تلامذة السيّد محمّد مهدي بحر العلوم رحمه الله، وقد طلبه أهالي بغداد في عهد الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) رحمه الله. ومن ذلك الوقت توفّر لهم المقام السامي في هذه المدينة، فسكنها السيّد الهادي ابن السيّد محمّد علي وابنه السيّد حسن الصدر والسيّد يوسف شرف الدين والسيّد محمّد مهدي الصدر وأخوه السيّد حيدر رحمهم الله. وكان آخر شخصيّاتهم في الكاظميّة السيّد إسماعيل الصدر شقيق السيّد محمّد باقر الصدر رحمهما الله، والذي خلفه ولده السيّد حسين الصدر.

هذا الوجود المتميّز كان يقلق أعداء الإسلام، فالجاسوسة البريطانيّة في العراق (مس بِل) (Miss Bill) تحدّثت في إحدى رسائلها عن الصعوبات التي واجهت الإنجليز في محاولاتهم الاتّصال بالشيعة، وترى أنّ في مقدّمة هذه العوائق الفقهاء الذين تمركزوا في المدن المقدّسة، وتصفهم بأنّهم متطرّفون في عدائهم للإنجليز وأنّ حياتهم مطبوعة بآثار القدم(١).

٦ ـ في مناطق أخرى

والحقيقة أنّ أبناء هذه الأسرة قد انتشروا ليس في مكّة وإصفهان وخراسان وكربلاء والكاظميّة فحسب، بل امتدّت هجرتهم إلى معظم البلاد الإسلاميّة حيثما وجدت معاهد العلم ومدارسه. فرحل إلى مصر غير واحد من علمائهم، يتصدّرهم السيّد صالح رحمه الله الذي قضى فترة ليست بالقصيرة يحضر أبحاث علماء الأزهر. والسيّد أمين ابن السيّد عبّاس من فضلاء هذه الأسرة وأجلّة علمائها، أقام في مصر زمناً طويلاً للبحث والمناظرة مع علماء الأزهر.

ولعلّ أبرز شخصيّة عرفتها مصر وأكبرها علماء الأزهر هو السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله.

وفي الهند كان منهم السيّد جمال الدين بن علي نور الدين بن علي بن الحسين المشتهر بأبي الحسن الذي أصبح المرجع العام في حيدر آباد ونال منزلة جليلة في نفوس القواعد الشعبيّة والقيادة السياسيّة فيها. وكان أوّل أمره قبل رحلته إلى الهند مقيماً في اليمن على عهد أميرها أحمد بن الحسن. وفي طهران كان لبعضهم شأنٌ كالسيّد ميرزا جعفر ابن السيّد أبي الحسن الذي انتقل منها إلى كرمانشاه وصار من أبرز العلماء فيها. وفي يزد استقرّ الحال بزعيم آل الصدر السيّد صدر الدين الصدر الذي التمسه أهالي يزد للإقامة بينهم فأجابهم إلى ذلك زمناً ثم رحل إلى إصفهان.

---

(١) انظر كلامها في: موسوعة العتبات المقدّسة ٩: ٢٧٥ ؛ بغية الراغبين ١: ٣٣٣ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٣.

ترجمة أجداد وآباء السيّد الصدر

في ما يلي ترجمةٌ لأبرز شخصيّات هذه الأسرة ممّن ينتسب إليهم السيّد الصدر رحمه الله دون أئمّة أهل البيت عليهم السلام وباقي أفراد الأسرة ممّن لا ينتسب إليهم، إضافةً إلى ترجمة أخيه السيّد إسماعيل الصدر وأخته الشهيدة آمنة (بنت الهدى) رحمهما الله.

والأرقام التي صدّرنا بها أسماء من ترجمنا لهم عبارة عن الأرقام الواردة أمام أسمائهم في بداية الفصل لدى الحديث عن (نسب السيّد الصدر رحمه الله)[1].

ـ ٣٢ ـ

إبراهيم المرتضى

وهو ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أمّه أم ولد نوبيّة اسمها نجيّة[2] أو تحيّة[3] أو نحيّة، وهو أصغر ولد أبيه[4].

وقد جاء في تاريخ الطبري ضمن أحداث سنة (٢٠٠ هـ) أنّ إبراهيم بن موسى ـ فيما ذكر ـ كان وجماعة من أهل بيته بمكّة حين خرج أبو السرايا. وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم، فخرج من مكّة مع من كان معه من أهل بيته يريد اليمن، ووالي اليمن يومئذ المقيمُ بها من قبل المأمون إسحاقُ بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمّد بن علي بن عبد الله بنٍ عبّاس.

فلمّا سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلوي وقربه من صنعاء خرج منصرفاً عن اليمن في الطريق النجديّة بجميع من في عسكره من الخيل والرجل، وخلّى لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله، وبلغه ما كان من فعل عمّه داوود بن عيسى بمكّة والمدينة[5]، ففعل مثل فعله وأقبل يريد مكّة حتّى نزل المُشاش، فعسكر هناك وأراد دخول مكّة، فمنعه من كان بها من العلويّين، وكانت أم إسحاق بن موسى بن عيسى متواريةً بمكّة من العلويّين، وكانوا يطلبونها فتوارت منهم، ولم يزل إسحاق بن موسى معسكراً بالمُشاش وجعل من كان بمكّة مستخفياً يتسلّلون من رؤوس الجبال،

---

(١) عندما شرعنا في هذا الفصل، لم يكن يخطر بالبال أنّنا سنقع على شيء لم يذكره الشيخ الحر العاملي والسيّد حسن الصدر والسيّد عبد الحسين شرف الدين والسيّد محسن الأمين رحمهم الله، فقرّرنا التلفيق بين ما جاء فيها وإدراج هامش واحد في آخر كلّ ترجمة نذكر فيه مصادر التوثيق. ولكنّ الكثير من المعلومات تكشّف أثناء البحث ولم يرد له ذكرٌ في مصادرنا الأم، وحيث لم يكن الوقت ليسمح بإعادة توثيق كلّ معلومة استخرجناها من المصادر الأم، فقد آلينا توثيق كلّ معلومة ـ غير مثبتة فيها ـ في محلّها، ويبقى ما ندرجه في آخر كلّ ترجمة مصدراً لما جاء بدون هامش. وهذا يجري ابتداءً من ترجمة عز الدين الحسين.

(٢) المجدي في الأنساب: ٣١٦؛ مناهل الضرب: ٤٢٣.

(٣) كما في نسخة من (المجدي في الأنساب). انظر: المجدي في الأنساب: ٣١٦.

(٤) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٢٤.

(٥) فإنّ داوود بن عيسى كان والياً على مكّة والمدينة، ولمّا بلغه توجيه أبي السرايا حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مكّة لإقامة الحجّ للناس، لم يستحلّ القتال في الأشهر الحرم وقال: «لئن دخلوا من هذا الفجّ لأخرجنّ من هذا الفجّ الآخر»، وانحاز من مكّة إلى ناحية المُشاش (تاريخ الطبري ٧: ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

فأتوا بها ابنها في عسكره. وكان يقال لإبراهيم بن موسى: «**الجزّار**» لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الأموال[١].

وفي هذه السنة وجّه إبراهيم من اليمن رجلاً من ولد عقيل بن أبي طالب عليه السلام وأمره أن يحجّ بالناس[٢].

وسنة (٢٠٢هـ) حجّ إبراهيم بالناس ودعا لأخيه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بعد المأمون بولاية العهد[٣]، ثمّ انصرف بعد الحجّ إلى اليمن وقد كان تغلّب عليها حمدويه بن علي بن موسى بن ماهان[٤]، بل إنّ حمدويه توجّه إلى اليمن وإبراهيم بن موسى متغلّبٌ بها، فحاربه إبراهيم بمن معه من اليمن، وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين، فخرج إبراهيم من اليمن يريد مكّة وعليها يزيد بن محمّد بن حنظلة المخزومي من قبل حمدويه، فخندق يزيد على إبراهيم، فبعث الأخير بعض أصحابه فدخل من الجبل، فانهزم يزيد ولحقه بعض أصحابه فقتله، ودخل إبراهيم بن موسى إلى مكّة فغلب عليها. وبعد أن خرج إبراهيم إلى مكّة استمال حمدويه بن علي بن عيسى جماعة من أهل اليمن، فكتب المأمون إلى إبراهيم بن موسى بولاية اليمن وأمر الجلودي بالخروج معه ومعونته على محاربة حمدويه، فخرج إبراهيم حتّى صار إلى اليمن، ولم يخرج معه الجلودي، وخرج إلى إبراهيم ابنٌ لحمدويه، ولكنّه انهزم. ولمّا وصل صنعاء خرج إليه حمدويه وانهزم إبراهيم، فلم يردَّ وجهه شيءٌ دون مكّة[٥].

لقد وصفه الشيخ المفيد رحمه الله بالسخاء والشجاعة والكرم، وقال: إنّه تقلّد الإمرة على اليمن في أيّام المأمون من قبل محمّد [بن محمّد] بن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام الذي بايعه أبو السرايا بالكوفة، ومضى إليها ففتحها وأقام بها مدّةً إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان، فأخذ له الأمان من المأمون[٦].

عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله ضمن أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٧]، ووصفه الشيخ المجلسي رحمه الله بأنّه ممدوح[٨]، ونقل الشيخ القطيفي البحراني شعراً في مدحه عن (التحفة):

ثـمّ ابـن موسـى الكـاظم الـشريف شـيخٌ كـريمٌ كامـلٌ معـروف[٩]

كما ذكر ابن الفوطي أنّ إبراهيم المرتضى يكنّى (أبا أحمد)، كان من العبّاد الزهّاد العلماء الأفراد،

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٤٣.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٤٤٧.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٤٦٩.
(٤) البداية والنهاية ١٠: ٢٦٤.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٠١ ـ ٤٠٣ ؛ وانظر عموماً: مقاتل الطالبيّين ٤٤١ ـ ٤٥٣.
(٦) الإرشاد ٢: ٢٤٦، وفي بعض النسخ: «شيخاً» بدل «سخيّاً». وما بين [] تصحيحٌ من: قاموس الرجال ١: ٣٠٥، اعتماداً على: (مقاتل الطالبيّين)، أو أنّه نسب إلى الجد على ما جاء في: تنقيح المقال ١: ٤٠٤.
(٧) رجال الطوسي: ٣٥٢، رقم (٥٢١٨).
(٨) رجال المجلسي: ١٤٥، رقم (٤٦)، حيث رمز إليه بـ(ح)، وهي للراوي الممدوح أو الإسناد الحسن (مقدّمة الكتاب:د).
(٩) زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدّثين ٢: ١١٦، نقلاً عن (التحفة). ولم نستطع تعيين كتاب (التحفة).

وكان يترنّم دائماً بهذه الأبيات:

لا تغبطنّ أخا الدنيا بزخرفها ... ولا للذّة وقت عجّلتْ فرحا
فالدهر أسرعُ شيءٍ في تقلّبه ... وفعله بَيّنٌ للخلق قد وضحا
كشارب عسلاً فيه منيّته ... فكم تقلّد سيفاً من به ذبحا[1]

ورد إبراهيم بن الكاظم عليه السلام في بعض الروايات، وإبراهيم الذي يُعرف كونه ابن موسى برواية محمّد بن حمّاد عنه[2] هو إبراهيم بن موسى الأنصاري وليس ابن الكاظم عليه السلام[3]:

١ ـ حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن بكر بن صالح قال: قلت لإبراهيم بن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «**ما قولك في أبيك؟!**»، قال: «**هو حي**»، قلت: «**فما قولك في أخيك أبي الحسن عليه السلام؟!**»، قال: «**ثقة صدوق**»، قلت: «**فإنّه يقول: إنّ أباك قد مضى**»، قال: «**هو أعلم بما يقول**»، فأعدت عليه فأعاد عليّ، قلت: «**فأوصى أبوك؟!**»، قال: «**نعم**»، قلت: «**إلى من أوصى؟!**»، قال: «**إلى خمسة منّا، وجعل عليّاً المقدّم علينا**»[4].

وعقّب الشيخ الكاظمي رحمه الله على هذا الكلام بأنّه كلامٌ مخلّط يمزج الحقّ بالباطل، فهو ظاهرٌ في أنّه يريد الباطل ولا يتمكّن منه، إلاّ أنّ بكر بن صالح ضعيفٌ جدّاً[5].

أمّا الشيخ القطيفي البحراني رحمه الله فقد ذكر أنّ صدر الخبر وإن أشعر بذمّه لاعتقاده حياةَ أبيه كما هو قول الواقفة، إلاّ أنّ آخره التصديق بوفاته، وإن كان تعبيره في الجواب بقوله «**هو أعلم**» ممّا يتعارف منه عدم التصديق الحقيقي. كما أنّ وصفه لأخيه الرضا عليه السلام بأنّه ثقة صدوق في الجواب عن السؤال عنه ممّا لا يليق.

كما ذكر الشيخ البحراني رحمه الله أنّه بالنسبة إلى ما تضمّنه الخبر من أنّ الإمام الكاظم عليه السلام أوصى إلى إبراهيم والعبّاس وإسماعيل وأحمد وأم أحمد، فقد روى الصدوق رحمه الله أيضاً أنّه بعد أن أوصى عليه السلام إلى إبراهيم والعبّاس وإسماعيل وأحمد وأم أحمد قال في آخر الوصيّة: «..[**وقد أوصيتهم بمثل ما ذكرت في صدر كتابي هذا، وأشهد الله عليهم وليس لأحد أن يكشف وصيّتي ولا ينشرها وهي على ما ذكرت وسميت، فمن أساء فعليه، ومن أحسن فلنفسه، وما ربّك بظلاّم للعبيد**]، **وليس لأحدٍ من سلطان ولا غيره إن نقض كتابي هذا الذي ختمت عليه أسفل،** [**فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه والملائكة بعد ذلك ظهير وجماعة المسلمين والمؤمنين، وختم موسى بن جعفر** عليه السلام **والشهود.**

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة/ السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم، الدكتور مصطفى جواد ١٠: ١٩ ـ ٢٠، نقلاً عن: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج٥، الترجمة (١٠١٧) من الميم، طبعة الهند. وفي المصدر: «لا تغبطنّ إذا الدنيا تزخرفها..» وعلّق الدكتور جواد: «كذا ورد هذا الشطر». **أقول:** ما أثبتناه من: الوافي بالوفيّات ١: ٥٢٧٨ ؛ معجم الأدباء ١: ٧٥٤. والشعر لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي المعروف بالخطيب، والخطيب من أعلام القرن الخامس، فلا يستوي ما ذُكر إلاّ بأن يكون الشعر لغيره.

(٢) جامع المقال: ٥٣.

(٣) معجم رجال الحديث ١٧: ٤٢.

(٤) عيون أخبار الرضا ١: ٣٩ ـ ٤٠.

(٥) تكملة الرجال ١: ١٨٤.

قال عبد الله بن محمّد الجعفري: قال العبّاس بن موسى عليه السلام لابن عمران القاضي الطلحي: (إنّ أسفل هذا الكتاب كنزٌ لنا وجوهرٌ يريد أن يحتجزه دوننا ولم يدع أبونا شيئاً إلاّ جعله له وتركنا عياله)، فوثب إليه إبراهيم بن محمّد الجعفري فأسمعه، فوثب عليه إسحاق بن جعفر عمّه ففعل به مثل ذلك، فقال العباس للقاضي: (أصلحك الله، فضّ الخاتم واقرأ ما تحته)، فقال: (لا أفضّه ولا يلعنني أبوك)، فقال العبّاس: (أنا أفضّه)، قال: (ذلك إليك)].

ففضّ العبّاس الخاتم، فإذا فيه إخراجهم من الوصيّة و إقرار علي عليه السلام وحده و إدخاله إيّاهم في ولاية علي إن أحبّوا أو كرهوا و صاروا كالأيتام في حجره، وأخرجهم من حدّ الصدقة وذكرها، ثمّ التفت علي بن موسى عليه السلام إلى العبّاس فقال: (يا أخي! إنّي لأعلم أنّه إنّما حملكم على هذه الغرام والديون التي عليكم، فانطلق يا سعد فتعيّن لي ما عليهم واقضه عنهم واقبض ذكر حقوقهم وخذ لهم البراءة، فلا والله لا أدع مواساتكم وبرّكم ما أصبحت وأمشي على ظهر الأرض، فقولوا ما شئتم)، فقال العبّاس: (ما تعطينا إلاّ من فضول أموالنا وما لنا عندك أكثر)، فقال: (قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم، اللهمّ أصلحهم وأصلح بهم واخسأ عنّا وعنهم الشيطان وأعنهم على طاعتك، والله على ما نقول وكيل)، قال العبّاس: (ما أعرفني بلسانك وليس لمسحاتك عندي طين)، ثمّ إنّ القوم افترقوا»[١].

ويعلّق على ذلك قائلاً: «**وفيه إشعارٌ بعدم أهليّة المذكورين أو بعضهم للوصيّة، وأنّ تظاهره بالوصيّة لهم وتنويبهم للتقيّة، أو لعلّة باطنيّة، والله العالم**»[٢].

٢ ـ الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن عليّ بن أسباط قال: قلت للرّضا عليه السلام: «**إنّ رجلاً عنى أخاك إبراهيم فذكر له أنّ أباك في الحياة وأنّك تعلم من ذلك ما يعلم**»، فقال: «**سبحان اللّه، يموت رسول اللّه صلى الله عليه وآله ولا يموت موسى عليه السلام، قد واللّه مضى كما مضى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ولكنّ اللّه تبارك وتعالى لم يزل منذ قبض نبيّه صلى الله عليه وآله هلمّ جرّاً يمنّ بهذا الدين على أولاد الأعاجم ويصرفه عن قرابة نبيّه صلى الله عليه وآله هلمّ جرّاً، فيعطي هؤلاء ويمنع هؤلاء. لقد قضيت عنه في هلال ذي الحجّة ألف دينار بعد أن أشفى على طلاق نسائه وعتق مماليكه ولكن قد سمعت ما لقي يوسف من إخوته**»[٣].

وعقّب الشيخ القطيفي البحراني رحمه الله بأنّ في الخبر دلالة على ذمّه، إلاّ أنّ في قضاء الرضا عليه السلام عنه ألف دينار ما يفيد الرضا عنه، وأنّ احتمال كون المقضى عنه الرجل الغار بناءً على أنه أخوهما العبّاس خلاف الظاهر، كما أنّ القدح في سند الخبر غير ضائر[٤].

٣ ـ «...وجعل صدقته هذه إلى عليّ وإبراهيم، فإن انقرض أحدهما دخل القاسم مع الباقي منهما، فإن انقرض أحدهما دخل إسماعيل مع الباقي منهما، فإن انقرض أحدهما دخل العبّاس مع الباقي منهما، فإن انقرض أحدهما فالأكبر من ولدي، فإن لم يبق من ولدي إلاّ واحدٌ فهو الّذي يليه»[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٣٥ ـ ٣٧. وما بين [] أضفناه من المصدر.

(٢) زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدّثين ٢: ١١٥.

(٣) الكافي ١: ٣٨٠ ؛ بحار الأنوار ٤٨: ٣٠٠٣، ٤٩: ٢٣٢.

(٤) زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدّثين ٢: ١١٤.

(٥) الكافي ٧: ٥٤ ؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١ ؛ عيون أخبار الرضا ١: ٣٨ ؛ تهذيب الأحكام ٩: ١٥٠ ؛ وسائل

وعلّق السيّد الخوئي رحمه الله على هذه الرواية بأنّه لا يثبت بها حسن الرجل، فضلاً عن وثاقته. وغاية ما يُمكن إيباته بها أنّه كان مأموناً من الخيانة والتعدّي على الوقف.

ولذلك سبق منه رحمه الله التعليق على وصف المحدّث المجلسي رحمه الله إيّاه بأنّه ممدوح بأنّه ربّما كان ممدوحاً من جهة شجاعته وكرمه، أو لكونه متولّياً على الوقف من قبل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام[1].

٤ ـ وبهذا الإسناد قال: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس قال: حدّثني أبي عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن عمر بن علي بن عمر بن زيد عن عمّه محمّد بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين بن علي الرازي في (درب مسلخگاه) بالري في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وخمسمائة إملاءً من لفظه قال: حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن نصر الحلواني في داره غرّة ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثمانين وأربعمائة بكرخ بغداد إملاءً من لفظه قال: حدّثني الشريف الأجلّ المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه في داره ببغداد في بركة زلزل في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة قال: حدّثني أبي الحسين بن موسى قال: حدّثني أبي موسى بن محمّد قال: حدّثني أبي محمّد بن موسى قال: حدّثني أبي موسى بن إبراهيم قال: حدّثني أبي **إبراهيم بن موسى** قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد قال: حدّثني أبي محمّد بن علي بن الحسين قال: حدّثني أبي الحسين بن علي قال: حدّثنا جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**زيّنوا مجالسكم بذكر علي بن أبي طالب** عليه السلام»[2].

صريحُ بعضهم أنّ للإمام الكاظم عليه السلام ابناً واحداً يسمّى إبراهيم[3]، وهو ظاهر آخرين[4]، ولكنّ فريقاً من النسّابة ـ وممّا تلخّص للسيّد الأمين رحمه الله ـ على خلاف ذلك، وأنّ له ابنين[5]:

الشيعة ١٩: ٢٠٣.

(١) معجم رجال الحدبث ١: ٢٧٤ ـ ٢٧٤.

(٢) بشارة المصطفى: ٦٠ ـ ٦١ ؛ مستدرك الوسائل ١٢: ٣٩٣ ؛ بحار الأنوار ٣٨: ١٩٩. وفي الأصل: مسلخكاه.

(٣) قاموس الرجال ١: ٣٠٧.

(٤) الإرشاد ٢: ٢٤٥ ؛ إعلام الورى ٢: ٣٦ ؛ كشف الغمّة: ٣٠ ؛ وقد نقل كلام الشيخ المفيد رحمه الله حول إبراهيم هذا في عديد من المصادر، منها على سبيل المثال: جامع الرواة ١: ٣٤ ؛ مجمع الرجال ١: ٧٣ ؛ نقد الرجال ١: ٨٩ ؛ منتهى المقال ١: ٢٠٥ ؛ وانظر حول هذا الظهور: تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب: ١٤٧ ؛ الرسائل الثلاث المستطابة في نسب سادات طابة: ٦٣، ١٥٧ ؛ غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار: ٨٧ ؛ الأصيلي في أنساب الطالبيّين: ١٥٢، ١٦٢ ؛ المجدي في أنساب الطالبيّين: ٢٩٩، وإن سمّاه في: ٣١٦ بالأصغر ؛ تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ٢٣ ـ ٢٤ ؛ غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار: ٨٧. وفي بعض المصادر الاكتفاء بأنّ ممّن عقّب من ولد الكاظم عليه السلام إبراهيم، كما في (كتاب المعقّبين من ولد أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٤)، وفي بعضها الآخر إبراهيم المرتضى كما في (الشجرة الطيّبة في الأرض المخصبة: ٢٢). وقد يظهر هذا أيضاً من النسّابة ابن طباطبا، حيث عدّ من ناقلة الكوفة بمنطقة (آبه) أبا الحسين محمّد بن الحسين خرقة بن إبراهيم الثاني بن موسى الثاني بن إبراهيم الأوّل بن موسى الكاظم... وكذلك أبا عبد الله إسحاق بن إبراهيم بن موسى الثاني بن إبراهيم الأوّل المرتضى بن موسى الكاظم (منتقلة الطالبيّة: ٣٣). ووجهُ ذلك ـ إن صحّ ـ أنّه أطلق على إبراهيم بن موسى عليه السلام (إبراهيم المرتضى الأوّل)، وعلى حفيده إبراهيم (إبراهيم الثاني)، ولو كان له أخٌ اسمه إبراهيم لكان أولى بأن يكون الثاني.

(٥) منار الهدى في الأنساب: ٢٣ ؛ الفخري في أنساب الطالبيّين: ٩ ؛ النفحة العنبريّة في أنساب خير البريّة: ٦٢ ـ ٦٣ ؛

أوّلهما: إبراهيم الأكبر، وفي أعقابه خلاف، بل المشهور أنّه لم يعقّب، وهو الذي خرج مع أبي السرايا، وكان له في اليمن ما كان.

ثانيهما: إبراهيم الأصغر الملقّب بالمرتضى، وهو ممّن أعقب من أولاد الإمام الكاظمعليه‌السلام بلا خلاف.

وقيل: إنّ إبراهيم الأصغر هو إمام الزيديّة[١]، وقيل: هو الأكبر[٢]، وأنّه هو الذي عرضت له شبهة الوقف وزالت[٣].

وعلى أيّة حال، فقد أعقب إبراهيم الأصغر من رجلين: موسى (أبي سبحة) وجعفر، وقيل: إنّه أعقب من ثالث وهو إسماعيل[٤].

كان إبراهيم المرتضى [الأصغر] عالماً فاضلاً عظيم الشأن رفيع المنزلة عند الإمام الكاظمعليه‌السلام حتّى جعله أحد أوصيائه. حجّ بالناس سنة (٢٠٧ هـ) ودعي بـ(أمير الحاج) وذلك في خلافة المعتصم بالله العبّاسي، وبعد وفاة الإمام الرضاعليه‌السلام بأربع سنين على وجه التقريب.

رافق إبراهيم المرتضى أخاه السيّد (مير أحمد شاه چراغ) في طريقه إلى (مرو ـ خراسان) للمثول بين يدي الإمام الرضاعليه‌السلام بعد أن تمّت له ولاية العهد للمأمون. وبعد جملة حوادث حضر هو وإبراهيمُ المجاب ـ وهو ابنُ أخيه محمّد العابد ـ إلى كربلاء لزيارة قبر الإمام الحسينعليه‌السلام، ومن ثمّ عاد إلى بغداد للاستيطان بها، وبقي ابنُ أخيه إبراهيمُ قرب قبر الحسينعليه‌السلام إلى أن توفّي ودفن حيث مرقده في كربلاء المقدّسة، وقد عرفت ذريّته بآل الحائري نسبةً إلى حائر الحسينعليه‌السلام، وكان إبراهيم بن موسى يُعرف أيضاً بالمجاب في بعض الأحيان، فيلتبس الأمر بينه وبين ابن أخيه المجاب الضرير الكوفي[٥].

ذكر الشيخ البحراني القطيفيرحمه‌الله أنّ قبره في صحن أبيه الكاظمعليه‌السلام، وأنّ المشهور بين الناس في هذه الأزمنة ـ زمان الشيخ البحراني ت: ١٣١٥هـ ـ أنّه في مشهد الإمام الحسينعليه‌السلام عند جامع النساء. وعلّق على ذلك بأنّه ربّما كان من المشهور الذي لا أصل له، وأنّ المعتمد عند الخواص أنّه إبراهيم المجاب، أو ربّما كان أحدهما الأصغر والآخر الأكبر[٦]، ولعلّ الأخير هو الصحيح:

فقد جاء أنّ إبراهيم الأكبر صاحب أبي السرايا حارب المأمون وكسر وفرّ إلى مكّة، ولمّا جاء المأمون إلى بغداد بعد وفاة الإمام الرضاعليه‌السلام جاء إبراهيم إلى بغداد فأمّنه المأمون، ومات ببغداد[٧]،

الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة: ٩٠ ـ ٩١ ؛ التذكرة في الأنساب المطهّرة: ١٢٥ ؛ مناهل الضرب في أنساب العرب: ٣٩٣ ؛ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٩٧ ؛ أعيان الشيعة ٣: ٢١٦ ؛ سراج الأنساب: ٧٧.

(١) مناهل الضرب: ٣٩٣، ٤٢٤.

(٢) النفحة العنبريّة: ٦٤ ؛ تنقيح المقال ٤: ٤١٥ نقلاً عن: سرّ سلسلة العلويّين: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) تنقيح المقال ٤: ٤١٣.

(٤) الفخري: ٩ ـ ١٠ ؛ عمدة الطالب: ٢٠١ ؛ مناهل الضرب: ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ؛ تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهارعليهم‌السلام ٢: ١٢٥ ؛ منتهى الآمال ٢: ٢٩٣.

(٥) المشجّر الوافي ٣: ٤٣٩ ـ ٤٤٢، نقلاً عن مخطوطة (الأمير إبراهيم المرتضى وأحفاده، طه الهنداوي).

(٦) زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدّثين ٢: ١١٥ ـ ١١٦.

(٧) رجال السيّد بحر العلوم ١: ٤٢٨ ـ ٤٢٩، هامش المحقّق.

وحمل إلى مقابر قريش ـ التي صارت تعرف بالمشهد الكاظمي بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام[١] ـ ودفن في القطيعة[٢]، قطيعة أم جعفر[٣]، وذلك عند قبر أبيه[٤] في باب التِّبْن، وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من اَلنّاس قديماً[٥]. وقد بقي قبرُه ظاهراً للعيان منذ الساعة الأولى التي دفن فيها بمقابر قريش حتّى الساعة الأخيرة التي هدّم القبر فيها بأمرٍ من الشيخ محمّد الخالصي يوم جاء من إيران إلى الكاظميّة[٦].

بينما توفّي إبراهيم الأصغر ببغداد في الجانب الشرقي، ودفن في مقبرة باب أبرز يقيناً[٧]، وقيل في مقبرة باب راز، ولعلّ المكانين متّحدان.

وبعد أن توفّي إبراهيم المرتضى نقل جثمانه إلى كربلاء ليدفن خلف قبر جدّه الحسين عليه السلام [بستّة أذرع]، وذلك في خلافة المنتصر بالله (محمّد العبّاس) الذي نادى بالعفو العام عن زوّار الحسين عليه السلام. وقد بقي القبر ظاهراً حتّى خراب العمارة السابقة التي تمّ بناؤها سنة (٨١٤ هـ) إلى سنة (١٢١٦ هـ) وهي السنة التي شنّ فيها الوهّابيّون الغارة علي كربلاء. وقد جدّدت العمارة ومحي القبر المذكور بأمر المسؤول العثماني يومذاك. ولم يبقَ ظاهراً إلاّ قبر إبراهيم المجاب بن محمّد العابد في الزاوية الشماليّة الغربيّة من رواق مرقد سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام[٨].

ـ ٣١ ـ
موسى بن إبراهيم (أبو سبحة)

ويقال له: موسى الثاني[٩]، يكنّى أبا الحسن[١٠]، وقيل: أبا عبد الله[١١].

كان من الزهّاد والعبّاد وكان كثير الذكر، وقد اتّخذ سبحةً للذكر فقيل له: «**أبو سبحة**»[١٢] لكثرة

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة/ السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم، الدكتور مصطفى جواد ١٠: ١٠.

(٢) مناهل الضرب: ٤٢٧.

(٣) معجم البلدان ١: ٢٤٥.

(٤) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٢٥ ؛ المشجّر الوافي ٣: ٤٤٠.

(٥) الإرشاد ٢: ٢٤٣ ؛ بحار الأنوار ٤٨: ٢٢٧، وفيه: (باب التّين) بدل (باب التّبن)، والصحيح ما في المتن موافقاً لما في معجم البلدان.

(٦) المشجّر الوافي ٣: ٤٣٩ ـ ٤٤١، نقلاً عن مخطوطة (الأمير إبراهيم المرتضى وأحفاده، طه الهنداوي). وقد ذكر الأستاذ رضا استادي أنّ قبره معروفٌ في مقابر قريش ببغداد قرب قبر أبيه الكاظم عليه السلام (شجره طيبه خاندان شهيد صدر [فارسي]: ٧). وقد ظهر لك أنّه قبر أخيه إبراهيم الأكبر (انظر: مناهل الضرب: ٤٢٧).

(٧) مناهل الضرب: ٤٢٧.

(٨) المشجّر الوافي ٣: ٤٤٠ ـ ٤٤١ ؛ وما بين [] من: رجال السيّد بحر العلوم ١: ٤٢٩، هامش المحقّق. وقد نصّ في المشجّر الوافي ٣: ٤٤١، وفي تنقيح المقال ٤: ٤١٦ على أنّ القبر الذي في الزاوية الشماليّة الغربيّة هو لإبراهيم المجاب ابن أخي إبراهيم المرتضى الأصغر.

(٩) الأصيلي: ١٦٢ ؛ الشجرة المباركة: ٩٦ ؛ النفحة العنبريّة: ٧٥.

(١٠) النفحة العنبريّة: ٧٥.

(١١) تهذيب الأنساب: ١٥٠، ١٥٤.

(١٢) مناهل الضرب: ٤٢٩.

تسبيحه[١] بسبحة (لَوْن) في يده[٢]، وقيل: إنّ لقبه «**أبو شجة**» بدل «**أبو سبحة**»[٣]، ولعلّه من خطأ النسّاخ[٤]، كما ورد «**أبو سجة**»[٥].

كان صالحاً متعبّداً ورعاً فاضلاً، يروي الحديث. رأى له ابن الطقطقي الحسني كتاباً فيه سلسلة الذهب يروي عنه المؤالف والمخالف.

كان يقول: أخبرني أبي إبراهيم، قال: حدّثني أبي موسى الكاظم، قال: حدّثني الإمام الصادق جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي محمّد بن علي الباقر، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين، قال: حدّثني أبي الإمام شهيد كربلاء، قال: حدّثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدّثني جبرئيل عن الله تعالى أنّه قال: «**لا إله إلاّ الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي**»[٦].

عدّة الشيخ النمازي رحمه الله ضمن من لم يذكروه، وأرشد إلى ما رواه في كتاب (الجعفريّات)[٧]، وهو الحديث التالي:

أخبرنا عبد الله بن محمّد قال: أخبرنا محمّد بن محمّد: حدّثني موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد ويلقّب أبو سجة[٨]: حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين قال: «**لمّا توفّي النبي** صلى الله عليه وآله **اجتمع جماعةٌ من بني هاشم فقالوا: أين ندفنه يا أبا الحسن؟! فقال أمير المؤمنين** عليه السلام: **ندفنه كما أمر في شهداء أحد قال: إنّ قبورهم في مضاجعهم، فقالوا: صدقت، فخطّوا حول مضجعه فحفروا له فيه** صلى الله عليه وآله». قال أبو سجة موسى بن إبراهيم: كانوا بنو هاشم قد عزموا أن يخرجوه من مضجعه صلى الله عليه وآله[٩].

قدم بغداد مع أبيه فاستوطنها حتّى توفّي سنة (٢١٠ هـ) أو (٢٢٠ هـ)، ودفن في مقابر قريش قرب قبر جدّه الإمام الكاظم عليه السلام، وقبره اليوم غير ظاهر. وجد ابن الطقطقي قبره في دهليز حجيرة ملك منازل الجوهر الهندي. خلّف أربعة أولاد[١٠]، وقيل: تسعة[١١].

---

(١) رجال السيّد بحر العلوم ١: ٤٣٢، نقلاً عن نسخة مخطوطة لـ(عمدة الطالب)، و(تحفة الأزهار).

(٢) انظر هامش المحقّق في عمدة الطالب: ٢٠١ ـ ٢٠٢ ؛ رجال السيّد بحر العلوم ١: ٤٣٢، نقلاً عن نسخة مخطوطة لـ(عمدة الطالب)، و(تحفة الأزهار). و(اللون) جنسٌ من التمر، وهو (الدقلُ) من التمر خاصّة (المصباح المنير ؛ المحيط في اللغة ؛ لسان العرب/مادة: لون).

(٣) نسخة (عمدة الطالب) التي اعتمدها السيّد بحر العلوم في رجاله ١: ٤٣١ ؛ تنقيح المقال ٤: ٤١٤.

(٤) المشجّر الوافي ٣: ٤٦٠.

(٥) الجعفريّات: ٢١٣.

(٦) غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار: ٨٧ ؛ الأصيلي: ١٦٢ ـ ١٦٣ ؛ وانظر الحديث مع يسير اختلاف في: أمالي الصدوق: ٢٣٥.

(٧) مستدركات علم الرجال ٧: ٥١٨.

(٨) كذا في المصدر، والأقرب أنّ الصحيح (أبو سبحة).

(٩) الجعفريّات: ٢١٣.

(١٠) الأصيلي: ١٦٣ ؛ غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار: ٨٧ ؛ المشجّر الوافي ٣: ٤٦١.

(١١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٢٥.

ـ ٣٠ ـ

الحسين القطعي

يكنّى أبا أحمد[١]، له نسلٌ كثيرٌ وعقبه ينتهي إلى أبي الحسن علي المعروف بـ(ابن الديلميّة) بن أبي طاهر عبد الله بن أبي الحسن محمّد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطعي[٢]. وكان الحسين القطعي يحفظ القرآن، وقد رشّح للخلافة ببغداد سنة (٣٣٤ هـ)[٣]. أعقب من ثلاثة رجال: طاهر وإبراهيم وأحمد[٤]. به عرفت ذريّته بـ(آل القطعي).

ـ ٢٩ ـ

طاهر (أبو الطيّب)

يبدو أنّه يُعرف بأبي الحسن وبأبي الطيّب[٥]. كان نقيباً في بغداد[٦]، وهو جدّ بني أبي الطيّب ببغداد. وقيل: إنّه دارج[٧].

يبدو أنّ خلافاً وقع بينه وبين أبي الطيّب المتنبّي، فهجا الأخير نسلَه المنتسب إليه بشعرٍ لاذعٍ قائلاً:

[أمـاتكُمُ مـن قبـل مـوتكُمُ الجهـلُ ... وجَـرَّكُـمُ مــن خــفَّة بكُـمُ النمـلُ]

وُلَيْدَ أُبَـيِّ الطَيِّـب الكلـبِ مـا لـكـم ... فطنـتم إلـى الـدعوَى ومًـا لكُـمُ عقـلُ

[ولــو ضــرَبَتْكُم منجنيقـَـي وأصــلُكم ... قــويٌّ لــهدّتكم فكيــف ولا أصــلُ]

ولــو كـنـتـم مـمّــن يـدبّــر أمـره ... لـمـا كـنتم نسل الذي مـا لـه نــسلُ[٨]

ـ ٢٧ ـ

عبد الله بن محمّد بن طاهر

يكنّى أبا طاهر[٩]، كان شيخ الطالبيّين، نسب إليه بنو عبد الله، كان مقدّماً ببغداد، وكان أزرق العين يقال لولده «**بنو أزرق العين**». له بقيّة ببغداد يقال لهم «**بيت أبي الطيّب**»، وكان نقيب النقباء[١٠].

---

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٣.

(٢) عمدة الطالب: ٢١٥ ؛ مناهل الضرب: ٤٧١.

(٣) المشجّر الوافي ٣: ٤٧٤. وربّما لا يستقيم هذا الكلام إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ أباه توفّي سنة ٢١٠ أو ٢٢٠هـ.

(٤) الأصيلي: ١٦٣.

(٥) الأصيلي: ١٦٣.

(٦) المشجّر الوافي ٣: ٤٧٥.

(٧) لم أقف على المراد، وربّما وصف به الطفل عادةً، فيقال طفلٌ دارج.

(٨) الشجرة المباركة: ١٠٠. وما بين [] أضفناه من شرح ديوان المتنبّي ٣: ٣٧٨ ـ ٣٧٩، وورد في (الشرح): «وقال يهجو قوماً توعّدوه»، ولم يرد التصريح بهؤلاء القوم.

(٩) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٥.

(١٠) المشجر الوافي ٣: ٤٧٥.

ـ ٢٦ ـ

علي (ابن الديلميّة)

أمّه من سلاطين البويهيّين، يلقّب «**علاء الدين**»[(١)].

أعقب من ثلاثة رجال وهم: أبو الحرث محمّد والحسين الأشقر والحسن المدعو (بركة)[(٢)]، يقال لولده: «**بنو الديلميّة**»[(٣)].

ـ ٢٥ ـ

محمّد (أبو الحرث)

قيل: «**أبو الحارث**»، وقيل: «**أبو الحرث**».

أعقب من رجلين هما: أبو طاهر عبيدالله وأبو محمّد عبد الله[(٤)]. عنه تفرّع السادة من آل نور الدين في جويّا من جبل عامل[(٥)].

ـ ٢٤ ـ

عبد الله (أبو محمّد)

كان نقيب نقباء الطالبيّين ببغداد[(٦)]، انتقل أبو محمّد عبد الله إلى الحائر واستوطن فيه، وله عقب هناك يقال لهم: «**بنو عبد الله**»[(٧)].

أعقب أبو محمّد من أربعة رجال: **١** ـ علي الحائري جدّ آل دخينة، وهو جعفر بن حمزة بن جعفر دخينة بن أحمد بن جعفر بن علي الحائري المذكور. **٢** ـ النفيس، يقال لولده: «**بنو النفيس**» بالحائر. **٣** ـ أبو السعادات محمّد، يقال لولده: «**آل أبي السعادات**» بالحائر. **٤** ـ أبو الحرث [الحارث] محمّد، من ولده آل زحيك، وهو يحيى بن منصور بن محمّد بن أبي الحارث محمّد المذكور، بالحائر أيضاً وانفصل منهم إلى الكوفة بنو طويل الباع، وهو محمّد بن يحيى بن أبي الحارث محمّد المذكور[(٨)].

ـ ٢٣ ـ

محمّد (أبو السعادات)

له عقب بالحائر الشريف يقال لهم: «**آل أبي السعادات**»، وهم بطنٌ من بني عبد الله[(٩)]. خلّف

---

(١) المشجر الوافي ٣: ٤٧٥.

(٢) عمدة الطالب: ٢١٥.

(٣) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٦.

(٤) عمدة الطالب: ٢١٥ ؛ مناهل الضرب: ٤٧١.

(٥) بغية الراغبين ١: ١٣ ـ ١٤.

(٦) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٦.

(٧) مناهل الضرب: ٤٧٢.

(٨) عمدة الطالب: ٢١٥.

(٩) مناهل الضرب: ٤٧٢.

أربعة بنين[١].

ـ ٢٢ ـ

حمزة الأكبر

هو أبو أحمد حمزة القصير[٢]، يميّز عن حفيده بـ(حمزة الأكبر).

ـ ٢٠ ـ

حمزة الأصغر

يكنّى أبا الفوارس، ويقال لولده: «**بنو أبي الفوارس**»[٣]، ويميّز عن جدّه بـ(حمزة الأصغر).

ويُحتمل أنّ حمزة هذا كان المحطّة الأولى في لبنان هو وابنه أحمد، حيث يُقدَّر أنّهما انتقلا إلى منطقة كسروان بين أواخر القرن الخامس الهجري وبين أوائل القرن السادس[٤].

ـ ١٨ ـ

عبد الله

يقال له «**جلال الدين**»، وقيل: إنّ جلال الدين اسم أخيه[٥]، وله أخٌ اسمه محمّد ولقبه (الصايغ)، وذريّته في النبطيّة الفوقا اشتهروا بآل نور الدين[٦].

ـ ١٦ ـ

عبّاس (تاج الدين)، جدّ آل أبي الحسن

يكنّى أبا الحسن. يظهر من مراجعة تراجم أولاده أنّ العائلة نسبت إليه إلى فترة لا بأس بها، فكان يقال للحفيد ولو البعيد فلان بن أبي الحسن، وقد عرّف الشيخ الحر رحمه الله الشهيد عز الدين الحسين بـ«**السيّد حسين بن أبي الحسن**»[٧] مع أنّه «**الحسين بن محمّد بن الحسين بن علي بن محمّد بن عبّاس أبي الحسن**».

والذي يبدو أنّهم كانوا ينسبون إلى (الموسوي)[٨] و(الحسيني)[٩] و(الحسيني الموسوي)[١٠]، وقد جاء في إجازة الشهيد الثاني رحمه الله إلى السيّد جمال الدين حسن بن أبي الحسن الحسيني الموسوي ما يلي:

---

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٦ ؛ المشجّر الوافي ٣: ٤٧٧.

(٢) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٦.

(٣) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٧.

(٤) من مخطوطة كتاب يعدّه السيّد حسين شرف الدين.

(٥) المشجّر الوافي ٣: ٤٧٨.

(٦) من مخطوطة كتاب يعدّه السيّد حسين شرف الدين.

(٧) أمل الآمل ١: ٦٨.

(٨) كما يظهر من: أمل الآمل ١: ١١٨.

(٩) كما يظهر من توقيع صاحب المدارك في: مدارك الأحكام ٤: ١٢٣.

(١٠) كما يظهر من توقيع صاحب المدارك في: مدارك الأحكام ٨: ٤٧٦.

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى.

وبعد، فقد قرأ عليّ أكثر هذا الكتاب وسمع سائره المولى الأجلّ الفاضل الكامل، السيّد السند، شرف العترة، جمال الأسرة، غرّة آل الرسول، وقرّة عين البتول، جمال الدين الحسن ابن السيّد الجليل الصالح نور الدين علي الشهير نسبه بابن أبي الحسن الحسيني الموسوي (أدام الله تعالى شرفه، وخصّ بالرحمة والعاطفة والرضوان رهطه وسلفه) قراءةً مؤاتيةً مرعيّةً مضبوطة.

وقد أجزتُ له رواية الكتاب والعمل بما يشتمل عليه من الفتاوى، وكذلك جميع ما صنّفته وألّفته...»[(١)].

هذا ويُحتمل أنّه انتقل إلى جبع سنة ١٣٠٥م (٧٠٤ ـ ٧٠٥هـ)[(٢)]، وكان رأس الطائفة في المائة السادسة[(٣)].

ـ ١٢ ـ
محمّد

ولد في جبع[(٤)].

جاء في بعض التراجم أنّه يروي بلا واسطة عن القطب الراوندي، ويروي عنه السيّد محيي الدين، وأنّ الشهيد الأوّل رحمه الله قد ذكره في سند الحديث السابع والثلاثين من (أربعينه)[(٥)]، وهو اشتباه[(٦)].

ـ ١١ ـ
عزّ الدين الحسين

هو السيّد حسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً جليلاً مقدّماً معاصراً للشهيد الثاني رحمه الله الذي صاهره على ابنته، وكان ولده السيّد علي من تلامذته.

---

(١) رسائل الشهيد الثاني ٢: ١١٥٤. والإجازة ناقصة، ويقصد بالكتاب (الروضة البهيّة).

(٢) من مخطوطة كتاب يعدّه السيّد حسين شرف الدين.

(٣) المشجّر الوافي ٣: ٤٧٨.

(٤) مستفاد من (بغية الراغبين)، ولم أتمكّن لاحقاً من تحديد رقم الصفحة.

(٥) المشجّر الوافي ٣: ٤٧٨، هامش (٤٢٠)، نقلاً عن: شجرة الموسويّين المخطوطة في جبل عامل: ٣٧. وفي المصدر (أربعينيّته).

(٦) **أقول:** يشهد لذلك أمران:

١ ـ أنّ المدّعى هو روايته بلا واسطة عن القطب الراوندي المتوفّى في ١٤/شوّال/٥٧٣هـ (فقه القرآن ١: ٢٤)، بينما ولد عز الدين الحسين نجل المترجم له سنة ٩٠٦هـ.

٢ ـ أنّ الوارد في سند الحديث السابع والثلاثين من (أربعين) الشهيد الأوّل رحمه الله: «وقال السيّد محيي الدين: أخبرنا الشريف الفقيه عز الدين أبو الحارث محمّد بن الحسن الحسيني عن الشيخ الفقيه قطب الدين الراوندي..» (الأربعون حديثاً [ضمن رسائل الشهيد الأوّل]: ٦٨، ح٣٧). وقد ورد في بعض نسخ (الأربعين) (أبي الحسن) بدل (أبي الحسين)، إلى جانب تصريح الشهيد الأوّل في مقدّمة الكتاب بأنّ اسمه (محمّد بن الحسن الحسيني) (الأربعون: ٣).

والنتيجة أنّ الوارد في سند الحديث غير المترجم له.

ولد في جبع في جبل عامل سنة (٩٠٦ هـ). قرأ على والد الشهيد الثاني، وهو الشيخ نور الدين علي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن الحجّة، وكان شريكاً للشهيد في درسه لدى كثيرٍ من مشايخه. صاهره الشهيد فتزوّج ابنته التي كانت أحظى زوجاته به.

انتقل سنة (٩٢٥ هـ) إلى ميس بعد وفاة والد الشهيد الثاني، فقرأ على الشيخ علي بن عبد العالي المحقّق الميسي، ثمّ قرأ في كرك نوح على السيّد حسن ابن السيّد جعفر الموسوي، وقرأ على الشيخ شمس الدين محمّد بن علي الشامي (ابن مكّي) أحد شيوخ الشهيد الثاني، وكان السيّد قد تزوّج إحدى بناته فولد له منها السيّد علي نور الدين.

استشهد مسموماً مظلوماً في صيدا في (٩/رجب/٩٦٣هـ) (١٥٥٦/٥/١٩م) ودفن في جبع وصلّى عليه الشهيد الثاني في جمٍّ غفير من المؤمنين، وكان يوماً مشهوداً[(١)].

وقد جاء في ترجمة الشهيدً الثاني أنّه ألّف (رسالة في عدم جواز تقليد الأموات من المجتهدين)، صنّفها برسم الصالح الفاضل السيّد حسين ابن أبي الحسن جدّ صاحب المدارك في ١٨ صفحة، ذكر أنّه كتبها في جزء يسير من يومٍ واحد قصير في ٥/شوّال/٩٤٩هـ[(٢)]، والمقصود هو مترجَمُنا. ويبدو أنّ له من الشهيد الثاني إجازةً[(٣)].

ـ ١٠ ـ

علي (نور الدين)

اسمه علي، ولقبه (نور الدين)، وقد غلب لقبه على اسمه فصار يُعرف به. كما يُعرف بـ(علي بن أبي الحسن العاملي)، وربّما عرف بـ(علي بن الحسين بن أبي الحسن)، وهو من باب نسبته إلى الجدّ عبّاس (تاج الدين)[(٤)]، وللشهيد الثاني تلميذٌ باسم السيّد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي غير المترجم له[(٥)].

ولد في جبع في جبل عامل سنة (٩٣١ هـ). أمّه كريمة الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي الشامي أحد شيوخ الشهيد الثاني. قرأ على أبيه ولازم الشهيد الثاني الذي علّمه واصطفاه، [وربّاه كالوالد لولده ورقّاه إلى المعالي بمفرده وزوّجه ابنته رغبةً فيه وجعله من خواص ملازميه، قرأ عليه جملةً من العلوم الفقهيّة والعقليّة والأدبيّة وغيرها، وأجازه إجازة عامّة][(٦)].

زوّج الشهيدُ الثاني السيدَ نور الدين كريمته من زوجته الأولى فوُلد للسيّد منها صاحب

---

(١) انظر ترجمته في: أمل الآمل ١: ٦٨ ؛ بغية الراغبين ١: ١٢٣ ـ ١٢٤ ؛ تكملة أمل الآمل: ١٧٣ ـ ١٧٤ ؛ شهداء الفضيلة: ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٠: ٩٠.

(٢) أعيان الشيعة ١١: ٨٧ ؛ الذريعة ٤: ٣٩٢.

(٣) الذريعة ١: ٢٤٧، حيث ورد (عز الدين الحسين).

(٤) منّا.

(٥) انظر: أعيان الشيعة (ط.ق) ٧: ١٥٤.

(٦) الدر المنثور: ٢: ١٩٢.؛ مسالك الأفهام ١: ٣٣، نقلاً عنه. وفي المصدر (رفاه) بدل (رقّاه).

(المدارك). وتزوج الشهيد الثاني أخت السيّد نور الدين[١]. ثمّ بعد شهادة الشهيد الثاني رحمه الله تزوّج السيّد نور الدين زوجة الشهيد الثالثة وهي أمّ صاحب (المعالم)، فولد له منها (نور الدين علي).

ومن هنا يكون السيّد نور الدين علي بن علي نور الدين أخا السيّد محمّد صاحب (المدارك) لأبيه، وأخا الشيخ حسن صاحب (المعالم) لأمّه. ويكون صاحب (المعالم) خالاً لصاحب (المدارك).

اهتمّ السيّد علي نور الدين بصاحب (المعالم) ابن زوجته إلى جانب اهتمامه بابنه صاحب (المدارك)، [وأجاز صاحب (المعالم) سنة ٩٨٤هـ][٢].

تشرّف سنة (٩٥٢ هـ) بحجّ بيت الله الحرام، كما وتشرّف بالمدينة الطيّبة على مشرّفها أفضل الصلاة وأتمّ التحيّة. وأثناء إقامته بمكّة أصاب زاويتي المسجد الشريف شهابان، فكانت له مع مفتي الحجاز شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر الهيثمي الشافعي نادرة.

وفي سنة (٩٨٨ هـ) تشرّف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام حيث أجاز جملة من العلماء منهم المحقق الداماد رحمه الله حيث أجازه سنة ٩٩٨هـ، [وقد ذكر المحدّث المجلسي رحمه الله في (البحار):

«**حرزٌ آخر قريب من الأوّل رواه السيّد المذكور أيضاً**[٣] **ومن طريق آخر رويته عن السيّد الثقة الثبت المركون إليه في فقهه، المأمون في حديثه علي بن أبي الحسن العاملي رحمه الله تعالى قراءةً وسماعاً وإجازةً سنة ٩٨٨ من الهجرة المباركة النبويّة، في مشهد سيّدنا ومولانا أبي الحسن الرضا صلوات الله وتسليماته عليه بسنآباد طوس عن زين أصحابنا المتأخّرين زين الدين أحمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن علي بن جمال الدين بن تقي الدين صالح بن شرف العاملي رفع الله تعالى درجته في أعلى مقامات الشهداء والصالحين والصدّيقين: (أودعت نفسي وأهلي ومالي وولدي في أرض، الله سقفها ومحمّد حيطانها وعلي بابها والحسن والحسين والأئمّة المعصومون والملائكة حرّاسها والله محيطٌ بها** ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٤])»][٥].

وأجاز الشيخ محمّد بن فخر الدين الأردكاني، حيث أجازه سنة ٩٩٩ هـ بخطّ يده على نسخة من (مصباح المتهجّد). وروى عنه فيض الله التفريشي. كما روى عنه الشيخ حسن رحمه الله في أوائل (المعالم) أحاديث في فضيلة العلم[٦]، وروى عنه ولده السيّد محمّد صاحب (المدارك)، [كما وقع في مشيخة الشيخ الحر العاملي رحمه الله في (وسائله)][٧]، [وفي طرق رواية السيّد حسين ابن السيّد حيدر

---

(١) صرّح في: تكملة أمل الآمل: ١٣٨ أنّ أخت السيّد نور الدين هي زوجة الشهيد الثاني رحمه الله الثانية لا الأولى، وذلك خلافاً لما قد يُفهم من بعض المصادر.

(٢) ما بين [] من: الذريعة ١: ٢١٢.

(٣) يقصد السيّد الميرداماد.

(٤) البروج: ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) ما بين [] من: بحار الأنوار ٩٤: ٣٦٩ ؛ وقد ذكره في مشايخ الداماد المحدّث النوري رحمه الله في: خاتمة المستدرك ٢: ٢٥١ ؛ وانظر كذلك: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٣١٦ ؛ وانظر تفصيله في: الذريعة ٥: ٢٨٢.

(٦) انظر: معالم الدين وملاذ المجتهدين: ١٠، (فصلٌ: وأمّا السنّة..) ؛ معالم الدين (قسم الفقه) ١: ٦٧.

(٧) انظر ما بين [] في: وسائل الشيعة ٣٠: ١٧٢، حيث وقع في الطريق الخامس بعنوان (السيّد علي بن أبي الحسن

الحسيني][(١)].

لم يعلم تاريخ وفاته، ولكن من المعلوم أنّه بقي حيّاً إلى سنة (٩٩٩ هـ) كما رأيت[(٢)].

جاء أنّ السيّد يوسف بن محمّد بن محمّد بن زين الدين الحسيني العاملي مؤلّف (جامع الأقوال) قابل (الخلاصة) للعلاّمة الحلّي وصحّحها مع السيّد علي بن الحسين بن أبي الحسن مترجمنا[(٣)].

رفَع أوهام

١ ـ يبدو من المحدّث النوري رحمه الله في مورد من (خاتمة المستدرك) اتّحاد المترجم له مع ولده السيّد علي[(٤)]، وربّما كان منشأ ذلك اشتراكهما في الاسم، أو كان من سهو القلم، وإلاّ فإنّه نفسه يذكر في موضع آخر أنّ السيّد نور الدين هو «**نور الدين علي ابن السيّد علي بن الحسين بن أبي الحسن**»[(٥)]، ثمّ يذكر الوالد في مواضع أخرى مستقلاً عن ابنه[(٦)].

ويكفي ـ إضافةً إلى ذلك ـ ما ورد في إجازة السيّد نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن ـ أخي صاحبي المدارك والمعالم ـ إلى الشيخ محمّد الحرفوشي حيث قال: «... **السيّد علي الشهير بابن أبي الحسن، وهو والدي**»[(٧)].

٢ ـ يظهر من كلام صاحب (رياض العلماء) أنّ علي نور الدين هذا كنيته أبو الحسن، وهو اشتباه ناجم عن اشتراك بعض العناوين[(٨)].

العاملي)، وإن كان هناك سيّدٌ آخر بهذا الاسم، ولكنّ المترجم له هو المعروف به..

(١) انظر ما بين [] في: بحار الأنوار (الوفاء) ١٠٩: ١٧١، ١٧٥ تحت عنوان (علي بن أبي الحسن).

(٢) انظر ترجمته في: أمل الآمل: ١١٧ ـ ١١٨، وانظر كذلك: ١: ٥٨، ؛ رياض العلماء ٣: ٣٣٠، ٤١٦ ؛ تعليقة أمل الآمل: ٤٣ ؛ تكملة أمل الآمل: ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ؛ أعيان الشيعة ١٢: ٢٣٣ ؛ بغية الراغبين ١: ١١٣ ـ ١١٦ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ القرن العاشر: ١٤٧ ـ ١٤٨ ؛ فوائد الرضويّه.. زندگانى علماى شيعه (فارسي): ٢٧٦ ؛ مقدّمة مدارك الأحكام ١: ٢٨ ؛ مقدّمة مسالك الأفهام ١: ٣٣ ؛ معجم رجال الحديث ١٢: ٣٨٨ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) الذريعة ٤: ٦٧.

(٤) انظر على سبيل المثال: خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢: ١١١.

(٥) خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢: ٧٠.

(٦) خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢: ٨٥، ٢٥١ ؛ ٣: ٣١٨، ٣٤١.

(٧) بغية الراغبين ١: ١٠٦.

(٨) أورد الشيخ الحرّ رحمه الله في ترجمة (السيّد أبي الحسن الموسوي): «كان فاضلاً عالماً، يروي عن الشهيد الثاني، يروي عنه الأمير محمّد باقر الداماد» (أمل الآمل ١: ١٩٢)، ولم ترد هذه الترجمة في نسخة (م) من (أمل الآمل). وقد علّق الميرزا عبد الله الأفندي على ذلك بقوله: «لعلّه بعينه والد صاحب المدارك، وقد ذكره السيّد الداماد بعنوان الكنية، فلاحظ» (تعليقة أمل الآمل: ٨٣)، وذكر في رياضه أنّ المير داماد يروي عن السيّد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي لا عن والده أبي الحسن (رياض العلماء ٥: ٤٥١ ـ ٤٥٢)، ونقله عنه السيّد الأمين رحمه الله (أعيان الشيعة ٣: ٣٧٠).

والاشتباه الحاصل في كلام الميرزا الأفندي رحمه الله أنّه بعد أن وجد أنّ السيّد علي نور الدين قد عبّر عنه بعلي بن أبي الحسن، اعتبر أنّ كنية والده أبو الحسن، فقال إنّ المير داماد روى عنه لا عن والده أبي الحسن.

وأنت خبيرٌ بأنّ الأسرة قد نسبت مدّةً من الزمن لجدّها الأعلى أبي الحسن، وهو عبّاس تاج الدين المتقدّم، والذي

٣ ـ جاء في (رياض العلماء) في مورد الملاحظة على كلام الشيخ الحر العاملي‏رحمه الله أنّ السيّد نور الدين علي (الابن الآتي) هو أخو صاحب (المدارك) لأبيه وأمّه لا لأبيه وحسب، مستشهداً على ذلك بأنّ الشيخ الحر نفسه صرّح في ترجمة صاحب (المدارك) بأنّ جدّه الشهيد الثاني‏رحمه الله، فاحتمل سقوط لفظ (وأمّه) من قلم الناسخ وأنّ الأصل كان: «**أخوه لأبيه وأمّه**»[(١)].

لكن تقدّم أنّ السيّد علي نور الدين تزوّج ابنة الشهيد الثاني‏رحمه الله وأولدها صاحب (المدارك)، ثمّ تزوّج زوجة الشهيد الثاني‏رحمه الله الثالثة بعد استشهاده فأولدها السيّد نور الدين علي.

وبذلك يكون الشيخ الحرّ العاملي‏رحمه الله محقّاً في أنّ السيّد نور الدين أخو صاحب (المدارك) لأبيه فحسب، حتّى لو كان الشهيد الثاني جدّ صاحب (المدارك).

ـ ٩ ـ

نور الدين (علي)

اسمه (علي) كاسم أبيه، وسمّى ابنه عليّاً كذلك[(٢)]، ولكنّ البعض يميّز بينهما بتقديم اللقب على الاسم بالنسبة إلى الأب، ولعلّ الأولى تقديم اللقب على الاسم بالنسبة إلى الابن بعد ملاحظة ما كتبه هو بقلمه كما يأتيك إن شاء الله تعالى.

ولد في جبع في جبل عامل سنة (٩٧٠ هـ). قرأ على أبيه السيّد علي نور الدين وأخيه لأبيه السيّد محمّد صاحب (المدارك)، وأخيه لأمّه الشيخ حسن صاحب (المعالم). وحضر الشيخ الحرّ العاملي‏رحمه الله درسه في الشام لأيّام قليلة وكان الشيخ لا زال صغير السنّ.

انتقل إلى دمشق لنشر مذهب التشيّع، [وربّما في الشام أجازه فقيه الشافعيّة عمر بن عبد الوهّاب بن إبراهيم بن محمود العرضي الحلبي][(٣)]، وكذلك الشيخ حسن البوريني[(٤)].

ارتحل سنة (١٠٤٠ هـ)[(٥)] إلى مكّة المعظّمة وبقي فيها داعياً إلى الله تعالى حتّى وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجّة سنة (١٠٦٨هـ)[(٦)] (١٦٥٨/٩/١٦م)، وصلّى عليه ولده زين العابدين ودفنه

انتقل إلى جبع حوالي سنة ٧٠٤هـ. فـ(أبو الحسن) الوارد في عنوان السيّد (علي بن أبي الحسن) هو الجدّ الأعلى للأسرة، ولا علاقة له بالسيّد أبي الحسن الموسوي العاملي الذي عدّه الشيخ الحرّ العاملي ممّن رووا عن الشهيد الثاني وممّن روى عنهم المير داماد.

إضافةً إلى ذلك ما قدّمناه لتوّنا في إجازة السيّد نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن إلى الشيخ محمّد الحرفوشي، والتي يُفهم منها أنّ والده اشتهر بـ(ابن أبي الحسن) لا بـ(أبي الحسن).

(١) رياض العلماء ٤: ١٥٥ ـ ١٥٨.

(٢) انظر ترجمة علي بن علي بن أبي الحسن في: أمل الآمل ١: ١٢٨.

(٣) ما بين [] مستفاد من: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٢١٤.

(٤) تظهر إجازته منه من إجازته إلى الشيخ الحرفوشي الآتية.

(٥) هذا هو المتداول، ولكن جاء في: تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار‏عليهم السلام ٢: ١٥٩ أنّ ذلك كان سنة ١٠٥٠هـ.

(٦) هذا هو المتداول، ولكن جاء في: تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار‏عليهم السلام ٢: ١٥٩ أنّ ذلك كان سنة ١٠٦٩هـ.

بالمعلّى، [قرب قبر جدّته خديجة الكبرى عليها السلام][(١)]، [وكان السيّد علي صدر الدين المدني صاحب (سلافة العصر) قد التقي به في مكّة وقد أناف على التسعين][(٢)].

وقع في مشيخة الشيخ الحر العاملي رحمه الله في (وسائله)[(٣)]، وكذلك في طرق المحدّث النوري رحمه الله في (الخاتمة)[(٤)].

خلّف نور الدين علي إضافةً إلى زين العابدين أربعة أولاد هم: جمال الدين، حيدر، أبو الحسن وعلي.

من تلامذته والراوين عنه

تخرّج على يده جماعة منهم:

١ ـ الشيخ شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري العاملي الكركي[(٥)]، قرأ عليه بمكّة[(٦)]، وله منه إجازة مفصّلة جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين حمداً لمن تنزّه بجلاله عن مشابهة الأنام، وتفضّل على عباده بسوابغ الإنعام، وصلاة وسلاماً على سيّد الأنبياء والكرام، وعترته الهداة الأعلام.

وبعد، فإنّ ما توجّهت إلى اكتساب فوائده نواظر الأفكار، واجتهد في اقتناص فرائده أيدي الأقدار، لهو العلم الذي به يتميّز الانسان، ويسمو إلى مراتب الرضوان، ويطهر من أدناس الجهالة، ويخلص من مهالك الضلالة.

وكان من انتدب لإدراك مطالبه، وغاص في لجج بحاره لتحصيل مآربه، الفاضل الجليل والماجد الأثيل، الفائق في مراتب البراعة، والسابق في مضماره البراعة، الشيخ شمس الدين محمّد [ابن] الشيخ الصالح الشهير بالحرفوشي، فإنّه قد كرع من حياضه زلال السلسبيل، وأجهد نفسه في الطلب والتحصيل، فرجع منه على أوفى نصيب، وأوفر حظ نجيب.

ولمّا آنس حضوره، وأجاد منظومه ومنثوره وسمع منّا بعض الدروس، وقرأ علينا من علم المعقول والمنقول جانباً متفرّقاً يشتمل على عدّة من كتب النحو والأصول، وفي أوقات (...)[(٧)]، ومن علم الفقه قدراً وافراً من الكتب المتداولة المشهورة، وممّا ألّفناه من شرح المزج الموسوم بـ(غرر المجامع على المختصر النافع)، والشرح على (الرسالة الاثني عشرية) التي ألّفها المولى العلاّمة الأوحد الشيخ بهاء الدين محمّد متّع الله المؤمنين بطول بقائه، وما أفدناه من الحواشي المتفرّقة من مواضعها. وبعد ذلك طلب منّا إجازة بما قرأه وسمعه وكلّ ما صحّ لنا روايته عن مشائخنا السالفين رضوان الله عليهم أجمعين بالسلسلة الواصلة إلى

---

(١) ما بين [] من: تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٩.

(٢) ما بين [] من: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر: ٣٠٢ ؛ بحار الأنوار (الوفاء) ١٠٩: ١١٤، نقلاً عنه.

(٣) هذا من: وسائل الشيعة ٣٠: ١٧١، حيث وقع في الطريق الخامس بعنوان (السيّد الجليل نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن الموسوي).

(٤) هذا من: خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٧٠.

(٥) أمل الآمل ١: ١٦٢.

(٦) هذا من: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٢٨٤.

(٧) كذا في المطبوع.

المؤلّفين في العلوم العقليّة والنقليّة، وكلّ ما ألّفته وما أفدته بالشروط المقرّرة في صحّة الإجازة.

ولا بدّ من الإشارة إلى ما اعتمدت عليه من الطرق فيما يحتاج إليه، وبيان ذلك على سبيل الإجمال [أنّي] أروي جانباً من مؤلّفات العامّة في المعقول والفقه والحديث والتفسير عن البارع العالم الكبير عماد المدرّسين والمحدّثين بمدينة حلب الشيخ عمر العريضي وعن الشيخ الأوحد علاّمة زمانه وأوانه أخطب الخطباء وأبلغ الأدباء وعين مشايخ العلم بمدينة دمشق الشام حسن البوريني، وذلك بطرقهم الواصلة إلى الكتب المفصّلة في إجازتيهما إليّ.

وأمّا الكتب الخاصّة المشهورة وبعض كتب العامّة على التفصيل المقرّر في محلّه، فأرويهما عن إمامي الفضل والتحقيق، وعمادي العلم والتدقيق، من لهما المشيخة عليّ، والهمّة الكبرى لديّ، أخويّ وهما: السيّد العالم البارع الجليل الأوحد شمس الدين محمّد بن المرحوم المبرور الجليل الفاضل السيّد علي الشهير بابن أبي الحسن وهو والدي أيضاً، والشيخ الفاضل العامل العلاّمة جمال الدين حسن ابن الفهّامة المحقّق زين الدين المعروف بالشهيد الثاني تغمّدهم الله جميعاً بالرحمة والغفران، وأسكنهم بحبوحة الجنان، فإنّهما قدّس الله روحيهما قد أجازا لي رواية كلّ ما صلح [لهما] روايته، وجميع ما ألّفاه وأفاداه بالشروط المعتبرة، وتفصيل طرقهم موكولة إلى مراجعة ما هو مسطور في محلّه.

ولنذكر منها طريقاً إلى الكتب الأربعة المشهورة في الحديث وهي (الكافي) و(من لا يحضره الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار) على سبيل الاختصار، بقصد التيمّن، فإنّ تواتر هذه الكتب قد أغنى عن اعتبار الطريق إليها في العمل، للعلم بثبوت مضامينها عن مؤلّفيها، وطريقتهما إلى ذلك جماعة منهم شيخنا الجليل السيّد علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي وهو السيّد شمس الدين محمّد أحد الراوين عنه ووالدي، ومنهم الشيخ الفاضل الحسين بن عبد الصمد الحارثي، والسيّد العابد نور الدين علي بن السيّد فخر الدين الهاشمي قدّس الله أرواحهم بحقّ روايتهم، إجازة عن العلاّمة الشهيد الثاني والد الشيخ جمال الدين حسن الراوي عنه بالواسطة، عن شيخه الفاضل علي بن عبد العالي العاملي الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن المؤذن الجزّيني عن الشيخ ضياء الدين علي ابن الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي، عن والده قدّس الله نفسه، عن الشيخ فخر الدين أبي طالب محمّد بن الشيخ الإمام العلاّمة جمال الملّة والدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر، عن والده رضي الله عنه، عن شيخه المحقّق نجم الملّة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد قدّس الله روحه عن السيّد السعيد شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي، عن الشيخ الإمام أبي الفضل شاذان بن جبريل القمي، نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، عن الشيخ الفقيه عماد الدين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي مؤلّف (التهذيب) و(الاستبصار) عن والده، عن الشيخ أبي عبد الله المفيد، عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمي، عن محمّد بن يعقوب الكليني مؤلّف (الكافي)، والشيخ المفيد، يروي عن محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه مؤلّف (من لا يحضره الفقيه) وهو الواسطة بينه وبين الشيخ الطوسي في الرواية عنه، وقد يكون الواسطة أيضاً أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري، وقد يكون غيرهما كما هو مقرّر في محلّه ومستوفي في بابه.

والحمد لله أوّلاً وآخراً وعلى كلّ حال، وصلّى الله على محمّد وآله.

وكتب فقير عفو الله تعالى نور الدين بن علي بن أبي الحسن الموسوي»[١].

---

(١) بغية الراغبين ١: ١٠٥ ـ ١٠٨.

٢ ـ المحقّق الميرداماد رحمه الله[(١)].

٣ ـ كما أجاز تلميذه السيّد محمّد مؤمن ابن السيّد دوست محمّد الحسيني الإسترآبادي.

٤ ـ وأجاز أيضاً السيّد محمّد بن معصوم الحسيني ـ والد السيّد علي صدر الدين المدني الحسيني صاحب (سلافة العصر) ـ إجازةً مفصّلة كتبها بخطّه بتاريخ ٢/ربيع الثاني/١٠٥١هـ (١٦٤١/٧/١١م).

٥ ـ كما أجاز الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني نهار السبت بتاريخ ١٢/ذي القعدة/١٠٥٥هـ (١٦٤٥/١٢/٣٠م)، وقد جاء في إجازته:

«إنّي قد أجزتُ له أن يروي عنّي كلَّ ما صحّ لي روايته... وكذا كلَّ ما ألّفته وأفدته، فمنه الشرح المسمّى بغرر الجامع على المختصر النافع، ألّفتُ منه [جزءاً] على أوائل الفقه، وأسأل الله التوفيق للإتمام. وكذلك الشرح الموسوم بالأنوار البهيّة على الاثني عشريّة الصلاتيّة للمرحوم المبرور الشيخ بهاء الدين محمّد العاملي، والرسالة الأنيقة في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[(٢)]، والمجموع المعروف بغية المسافر عن النادم والمسامر، اشتمل على فوائد وأخبار ونوادر وأشعار، وكذلك الفوائد والشواهد المكيّة في مداحض حجج الخيالات المدنيّة للمرحوم الملاّ محمّد أمين سامحه الله بغفرانه، وبعض الحواشي على كتب الفقه والأصول والحديث وأجوبة سؤالات»[(٣)].

وقد روى عنه الشيخ البحراني أحاديث في فضل العقل في مقدّمة كتابه (مطلع السعادات في تحريم الخمر والمسكرات)[(٤)].

٦ ـ ويبدو أنّه أجاز كذلك محمّد طاهر القمّي الذي روى الكتب [الأربعة على ما يبدو] عن السيّد نور الدين كما ذكر في كتاب (حجّة الإسلام في شرح تهذيب الأحكام).

٧ ـ المحقّق محمّد باقر السبزواري رحمه الله صاحب (كفاية الفقه)[(٥)].

٨ ـ جعفر بن كمال الدين البحراني الأوالي الشيرازي الحيدر آبادي[(٦)].

٩ ـ ابن الحسام الحسين بن الحسن الظهيري العاملي العيناثي[(٧)].

١٠ ـ علي بن محمود بن شمس الدين محمّد بن زين الدين المشغري خال والد الحر العاملي[(٨)].

١١ ـ علي بن محمّد بن الحسن بن زين الدين (الشهيد الثاني) العاملي[(٩)].

١٢ ـ القاسم بن محمّد بن جواد الكاظمي النجفي[(١٠)].

---

(١) هذا من: الرواشح السماويّة: ١١.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) انظر كذلك حول وقوعه في مشيخة البحراني: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ١٢٢ ؛ وانظر: لؤلؤة البحرين: ٦٩.

(٤) انظر: الذريعة ٢١: ١٥٣.

(٥) هذا من: رسالة في تحريم الغناء، السبزواري (ضمن كتاب: الغناء والموسيقى): ١ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٣١٨.

(٦) هذا من: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٦١.

(٧) هذا من: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٨٣.

(٨) هذا من: موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٢٠٧.

(٩) هذا من: موسوعة طبقات الفقهاء ١٢: ٢٢٧.

(١٠) هذا من: الذريعة ١: ٢٢٧ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٢: ٢٤٣.

١٣ ـ وقرأ عليه نسخة (الكافي) الأمير نظام الدين أحمد بن محمّد معصوم الحسيني الدشتكي[١].

من مصنّفاته

١ ـ **غرر المجامع على المختصر النافع:** وهو شرحٌ مزجيٌّ لم يتمّ، [ألّفه لالتماس السيّد علي زين الدين المدني جدّ السيّد ضامن بن شدقم][٢]، وكان يوجد منه نسخةٌ في مكتبة السيّد حسن الصدر رحمه الله في الكاظميّة، وهي تشتمل على مباحث الطهارة من أوّلها إلى آخر الأغسال من الدماء الثلاثة، وشرع بعدها في مباحث غسل الأموات، ولم يتمّها[٣].

٢ ـ **الأنوار البهيّة في شرح الاثني عشريّة الصلاتيّة:** للشيخ البهائي رحمه الله، كان الفراغ منها في ٨/جمادى الأولى/١٠٢٤هـ (٥/٦/١٦١٥م)[٤].

٣ ـ **الأنيقة:** وهي رسالة فارسيّة في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٥].

٤ ـ **غنية المسافر عن المنادم والمسامر:** المشتمل على فوائد وأخبار ونوادر وأشعار[٦].

٥ ـ **الفوائد والشواهد المكيّة في مداحض حجج الخيالات المدنيّة:** ردّاً على الملاّ محمّد أمين الإستراَبادي رحمه الله صاحب (الفوائد المدنيّة)[٧] و(الفوائد المكيّة)[٨]. هكذا ورد عنوانه في إجازة المصنّف المتقدّمة إلى الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني[٩]، وفي بعض كتب التراجم (**الشواهد المكيّة في مداحض حجج الخيالات المدنيّة**)[١٠]، أو (**الفوائد المكيّة**)[١١]، أو (**الفوائد المكيّة في نقض الفوائد المدنيّة الأسترآباديّة**)[١٢]، أو (**الفوائد المكيّة في مداحض الخيالات المدنيّة**)[١٣]، أو (**الفوائد المكيّة في الرد على الفوائد المدنيّة**)[١٤].

---

(١) الذريعة ١: ٢٦٠ ؛ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٢) ما بين [] من: تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٩.

(٣) وقد ذكرت أيضاً في: الذريعة ١٦: ٣٧.

(٤) وقد ذكرت أيضاً في: الذريعة ٢: ٤٢١، ١٣: ٦٢.

(٥) الشورى: ٢٣. وقد ذكرها أيضاً في: الذريعة ٤: ٣٣٣.

(٦) هكذا ذكرها في: الذريعة ١٦: ٦٨. وفي بعض ما هو متداول (غنية المسافر عن النديم والمسامر)، وفي بعضها الآخر: (غنية المسافر عن المنادم والمسافر) (تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٩)، وهو خطأ مطبعي كما يبدو.

(٧) الذريعة ١٦: ٣٥٨.

(٨) الذريعة ٦: ١٦٨ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٣١٤.

(٩) وقد نشرتها مؤخّراً مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين في طبعةٍ أنيقة في هامش (الفوائد المدنيّة).

(١٠) موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ٣١٤.

(١١) أمل الآمل ١: ١٢٤ ؛ الذريعة ١٦: ٣٥٨.

(١٢) تكملة أمل الآمل: ٣٠٥.

(١٣) أعيان الشيعة (ط.ق) ٨: ٢٨٩.

(١٤) تعليقة أمل الآمل: ٦١ ؛ لؤلؤة البحرين: ٤٢. ويمكن أن تكون عبارة «في الرد..» من صاحبي التعليقة واللؤلؤة.

وهناك منه نسخة كتبت في حياة المصنّف، وتاريخ كتابتها سنة ١٠٦٢هـ[١]، وكانت لدى السيّد إسماعيل بن صدر الدين الصدر نسخة منه، كتب على ظهرها سنة ١٣٢٤هـ أنّ وفاة جدّه ـ مؤلّفها ـ كانت سنة ١٠٦٨هـ، وقد حصلت النسخة عند السيّد عبد الحسين الطباطبائي آل صاحب الرياض[٢].

كان الكتاب عند الشيخ يوسف البحراني رحمه الله، [أي نسخة منه]، ثمّ ذهب في بعض الوقائع التي وقعته عليه وأذهبت أكثر كتبه، وهو بنظره غير واف ولا شاف، لا في مقام الحق منه ولا الباطل[٣]، بينما نقل الميرزا التنكابني رحمه الله عن بعض الفضلاء أنّه في غاية الدِّقة والمتانة[٤].

٦ ـ حاشية على (المعالم): لأخيه لأمّه الشيخ حسن رحمه الله.

٧ ـ حواش على أصول الكافي وفروعه: لم يرد ذكرها في التراجم[٥].

٨ ـ حاشيةً على (مسالك الأفهام): لم يرد ذكرها كذلك[٦].

٩ ـ الديوان: ربّما اشتمل على أشعاره المتفرّقة[٧].

شعره

أورد السيّد محسن الأمين رحمه الله في ترجمة الشيخ الشيخ جمال الدين الحسن بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمود العاملي الكونيني أنّ الشيخ سليمان ظاهر العاملي النباطي عثر على مساجلة شعريّة بين رهط من الأدباء العامليّين و غيرهم، فنشرها في مجلّة العرفان (٥:، م١٤: ٤٨٩)، وقال إنّه نقلها عن مجموعة كتبت سنة ١١٠١ بخط السيّد نور الدين علي بن أبي الحسن الحسيني العاملي.

قال جامع المساجلة: «**يقول راجي عفو ذي المنن، نور الدين علي بن أبي الحسن، إنّه ممّا اتّفق من فلتات الزمان، وفريدات هذا الأوان، بعد أن ساعدت المقادير، وارتفعت على خلاف العادة المحاذير، أن جمعتنا جوامع الالتزام وألفتنا أسلاك الانسجام في رواب قد رقّ بليلها وراق أصيلها، و طابت بها النفوس، و تولّعت بكلّ مأنوس، فتجارينا بذكر الشعر والأدب، وما اتّفق في مطاويه من الظرائف والنخب، حتّى عدّ بعضه من الإعجاز، أو السحر المجاز، فانبعثت عليه الخواطر والفكر، ودعت إليه دواعي الفكاهة والسمر، حتّى أنّ كلاًّ من الحاضرين، وأجلاّء الأدباء والمنادمين صار ينظم ارتجالاً، ويجيد مقالاً.**

وكان رئيسهم الذي هو فريد الفنون، وفي هذا الشأن غاية ما يكون، مولى الشعر والآداب، و جليل الفضلاء والأنجاب، ذو الجمال والمجد الربّاني مولانا الشيخ حسن الحانيني، متّعنا الله بطول أيّامه، ولطائف

---

(١) آيات الأحكام (الإسترآبادي): ٩ (المقدّمة).

(٢) الذريعة ١٤: ٢٤٥.

(٣) لؤلؤة البحرين: ٤٢.

(٤) قصص العلماء: ٤٧٤.

(٥) ذكرها في: الذريعة ٦: ١٨٢.

(٦) ذكرها في: الذريعة ٦: ٢٠٨.

(٧) ذكره في: الذريعة ٩، ق٢: ١٢٣٠.

ألفاظه وأقلامه، فابتدأهم بنظم أوّل هذه القصيدة، ولهذا جاءت بالبراعة فريدة، وسلك الجماعة على منواله واقتفوا أثر سجاله، و ذلك ببلدة بعلبك العليّة، التي لها بخصائص الفضل أهليّة، فقال أيّده الله وحماه وحرسه ورعاه الشيخ حسن الحانيني:»

حبيب قلبي له في الجسم نيران ومدمعي دونه في الخد جيحان

الشيخ محمد الحريري الدمشقي (و هو محمّد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري الكركي):

وحرّ شوقي إلى لقياه متّصل مع أنّه في صميم القلب قطّان

الشيخ بهاء الدين العفيفي:

وفكرتي في هواه لا يسكنها إلاّ الوصال و سرّي فيه إعلان

الشيخ محمد الحريري:

وكيف لا وهو فرد في الجمال وما حكاه في حسنه إنس ولا جان

الشيخ حسن الظهيري (هو الحسن بن علي بن الحسن بن يونس بن يوسف بن محمّد بن ظهير الدين):

وقدّه أهيف كالرمح معتدل والطرف منه لأهل العشق فتّان

السيد محمّد العبّاسي:

والوجه منه يفوق البدر منزلة ووجنتاه لنا خمرٌ وريحان

الشيخ عبد الرضي:

يميس في برده كالغصن في ميد كما تثني بحسو الراح سكران

السيد أحمد الحسيني الحسني (لعلّه أخو الميرزا حبيب الله):

والخمر من ريقه تصفو مشاربه لكن من رشفه لم يبرَ إنسان

الشيخ محمّد الحريري:

وخصره مثل جسمي في نحافته والردف من تحته يحكيه كثبان
قد ضاع في خدّه حبّ القلوب لذا غدا وكلّ فؤاد منه حيران
فلي تجمّع في روضات وجنته وردٌ وآسٌ و عناب ورمان
لمّا رنا وانثنى كالصبح غرّته فقلت لا شكّ هذا الظبي رضوان

الشيخ حسن:

نظرته لأرى نحسي و طالعه وفي حشاي من التبريح ألوان
ففرّ إنسان عيني نحو وجنته وقد منها من الخدين نعمان

الشيخ بهاء الدين العفيفي:

لم أنسه و رضاب الثغر ينشدنا (سمّ الخياط مع الأحباب ميدان)

الشيخ محمد الحريري:

لله أيّامنـــا فـــي جلّـــق وبـــه تمايلـت فـي رياض الوصـل أغـصان

أيّـام قـد جـاد دهـري و الزمـان بهـا سـارت كمـا سـار بالأحبـاب أظعـان

ونحـن فـي دعـة و الـشمل مجتمـع وطـــرف عاذلنـــا بالـــسكر وســـنان

فجـاء مـن بعـد ذا التفريـق أبعـدنا وصل وفـي القلـب أوصـاب وأشـجان

الشيخ علي الحلبي:

ودّعتـه وضـرام الـشوق فـي كبـدي وقـــد بـــدا منـــه للتفريـــق أحـــزان

الشيخ محمّد الحريري:

فقلـت و الـدمع فـي الخـدّين منحـدر (زيـادة المـرء فـي دنيـاه نقـصان)

السيد نور الدين الحسيني (لعلّه المرتجم له):

قد جـاد لـي بوصـال بعـد طـول جفـا علمـــت أنّ زمـــاني فيـــه خـــوّان

قـد كنـت أحـذر مـا لاقيـت وا أسـفا لو كان لي مـن صـروف الـدهر أعـوان

محمد بن حمّاد:

أطمعت نفسي و قلت للـدهر يجمعنـا ودون ذلـــك أهـــوال وأهـــوان

تجـرّع الـصبر تـدرك بعـده فرجـا فللمحبّـــين أســـرار وكتمـــان[1]

وله في أيّام شبابه شعرٌ نظمه في أحد الأمراء، واحتمل السيّد عبد الله شرف الدين كونه الأمير فخر الدين المعني، وقد جاء فيه:

لك المجـد بالعليـا لـك الـسعد راتـب لـك العـزّ والإقبـال والنـصر غالـب

[لك المجد والإجـلال والجـود والعطـا لك الفضل والنعما لك الـشكر واجـب]

ســموتَ علــى هــام المجــرّة رفعــة دارت علـى قطبـي عـلاك الكواكـب

[فيـا رتبـةً لـو شـئت أن تبلـغِ الـسهىٍ بهـا أقبلـت طوعـاً إليـك المطالـب

بلغـت العـلا والمجـد طفـلاً ويافعـاً ولا عجب فالـشبل فـي المهـد كاسـب

سـموت علـى قـبّ الـسراحين صـائلاً فكلـت بكفّيـك القنـا والقواضـب]

وحزْتَ رهان السبق فـي حلبـة العُلـى فأنـــت لـــه دون البريـــة صـــاحب

وجَلْتَ بحومـات الـوغى جـول باسـل فـــردّت علـــى أعقـــابهن الكتائـــب

فــلا الــذارعات المعتمــات تكنّهــا ملابـــسها لمّـــا تحـــنّ المـــضارب

ولا كثـرة الأعـداء تغنـي جموعهـا إذا لمعـت منـك النجـوم الثواقـب

خُضِ الحتف لا تخشَ الردى واقهر العدى فليس سوى الإقدام في الـرأي صـائب

---

(١) انظر حول ما تقدّم من المساجلة الشعريّة: أعيان الشيعة ٨: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

وشمّر ذيول الحزم عن ساق عزمها ... فما ازدحمت إلاّ عليك المراتب
إذا صدقت للناظرين دلائل ... فدع عنك ما تبدي الظنون الكواذب
ببيض المواضي يدرك المرء شأوه ... وبالحزم إن ضاقت تهون المصاعب
لأسلافك الغرّ الكرام قواعد ... على مثلها تبني العلى والمناصب
[زكوت وحزت المجد فرعاً ومحتداً ... فآباؤك الصيد الكرام الأطايب]
ومن يَزْكُ أصلاً فالمعالي سمت به ... ذرى المجد وانقادت إليه الرّغائب
بنو عمّكم لمّا أضاءت مشارق ... بكم أشرقت منهم علينا مغارب
وفيكم لنا بدرٌ من الغرب طالعٌ ... فلا غرو أن كانت لديه العجائب
هو الفخر مدّ الله في الأرض ظلّه ... ولا زال تجلّى من سناه الغياهب
إلى حلب الشهباء منّي بشارة ... تُعطّرها حتّى تفوح الجوانب
إذا ما مضى من بعد عشر ثلاثة ... من الدور فيها تستتمُّ المآرب[1]
لقد حدّثت عنها أولو العلم مثلما ... جرى وانقضت تلك السنون الجوادب
بدا سعدها لمّا عليٌّ بدا بها ... ويا طالما قد أنحست وهو غائب
وفوز عليٍّ بالعلى فوزها به ... فكلٌّ إلى كلّ مضاف مناسب
كأنّي بسيف الدولة الآن وارداً ... إليها يلاقي ما جنته الثعالب
لقد جاءها صوب الحيا بعد محلها ... وشرّفها من أحكمته التجارب
كريم إذا ما أمحل الغيب أمطرت ... أياديه جوداً منه تصفو المشارب
[أديبٌ أريبٌ لو تجسّم لفظه ... أضابته عقداً محور للكواعب
فيا أيّها المنصور بشراك رتبة ... بها السعد حقّاً والسرور مواظب
مدحتكم والمدح فيكم تجارةٌ ... بها تثمر النعما وتغلو المكاسب
إلى باب علياكم شددت رواحلي ... ويا طالما شدّت إليها الركائب
بها الفضل منشورٌ بها الجود وافرٌ ... بها فتح من سدّت عليه المذاهب
وماذا عسى أن يبلغ الوصف فيكم ... إلى غاية هل ينقص البحرَ شارب
فلا زلتم في أكمل السعد والهنا ... مدى الدهر ما مالت وماست ذوائب][2]

وله:

يا من مضوا بفؤادي عندما رحلوا ... من بعد ما بسويدا القلب قد نزلوا
[جاروا على مهجتي ظلماً بلا سببٍ ... فليت شعري إلى من بالهوى عدلوا

---

(١) في: تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٦٣ أنّ في هامش المخطوط أنّ هذا البيت لابن أبي الحديد المعتزلي في العلويّات السبع.

(٢) القصيدة موجودة في (البغية) و(الأعيان)، وفيهما بعض الأخطاء، وما بين [] مع التصحيحات من: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر: ٣٠٣.

وأطلقوا عبرتي من بعد بعدهم والعين أجفانها بالسهد قد كحلوا]
يا من تعذّب من تسويفهم كبدي ما آن يوماً لقطع الحبل أن تصلوا
جادوا على غيرنا بالوصل متّصلاً وفي الزمان علينا مرّة بخلوا
كيف السبيل إلى من في هواه مضى عمري وما صدّني عن ذكره شغلُ
[واحيرتى ضاع ما أوليت من زمن إذ خابٍ في وصل من أهواهم الأمل]
في أيّ شرعٍ دماء العاشقين غدت هدراً وليس لهم ثارٌ إذا قتلوا
يا للرجالٍ من البيض الرشاق أما كفاهم ما الذي بالناس قد فعلوا
[من منصفي من غزال ما له شغل عنّي ولا عاقني عن حبّه عملُ
نصبتُ أشراك صيدي في مراتعه الصيد فني ولي في طرفه حيلُ
فصاح بي صائحٌ خفّض عليك فقد صادوا الغزال الذي تبغيه يا رجلُ
فصرت كالواله الساهي وفارقني عقلي وضاقت عليّ الأرض والسبلُ
وقلتُ بالله قل لي أين ساربه من صاده علّهم في السير ما عجلوا
فقال لي كيف تلقاهم وقد رحلوا من وقتهم واستجدّت سيرها الإبل][1]

ووجد على جامعٍ في جبع ما صورته:

قد وفّق الله لهذا إلينا ولم يكن في الوسع تيسيره
فهو بحمد الله قد تمّ في أحسن ما قد كان تصويره
من بدوه أحكم بنيانه بالخير والتقوى وتفسيره
فجاء تاريخ به معبدٌ كان لوجه الله تعميره

عمّر هذا المسجد بعد اندراسه وجدّده بعد انطماسه راجي عفو ربّه وغفرانه نور الدين بن علي بن الحسين الشهير بابن أبي الحسن الموسوي، تجاوز الله عن سيّئاتهم. [بدأ] في ختامه سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة». له من الشعر أيضاً:

ترك الفؤاد معذّباً بعنائه ظبيٌ كسي البدر ثوب بهائه
سلب العقول بحسنه وبقدّه فالقلب ليس (...)[2] من نوحائه
كلّت لواحظه الحشا فلذلك لا تلقاه غير مضرّجٍ بدمائه
حاز الجمال بأسره فغدا به الفـ ـرد الوحيد يجلّ عن نظرائه
كم قد سمعت بوصله من لينة ويئست عند قساوة بحشائه
يا حبّذا لو كان يسمح باللقا يوماً بذلت له جليل منائه
وجدي به يبقى وثوب تصبّري يفنى ويتلفني بفرط جفائه
وهواي ما يهوى وكلّ مريرةٍ في حبّه أرضى بها لرضائه

---

(١) القصيدة موجودة في (البغية) و(الأعيان)، وفيهما بعض الأخطاء، وما بين [] مع التصحيحات من: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر: ٣٠٣.

يا من محاسنه البديعة أثمرت ... غرس المحبّة في رياض حمائه
أضرمت في قلبي المعنّى جمرة ... من نار وجدك بردها من مائه
قاسوك بالبدر المنير وأخطأوا ... فنّ القياس وإن حكى بسنائه
فجمال وجهك كاملٌ لا يختفي ... والبدر ينقص في زمان خفائه
وكذاك من للشمس تشبه في الضحى ... نوراً لوجهك ساطعاً بضيائه
فالشمس تسترها الغيوم وربّما ... كسفت فيخجل وجهها لجماله
ما البان إن خطرت معاطف قدمن[١] ... أهوى وهل غصنٌ بغصن نقائه
والورد والنسرين من وجناته ... يروي نضارته وطيب شذائه
خمرٌ بفيه وريقه من ثغره ... فيها شفاء غليله من دائه
لعب السقام بجسمي المضنى وما ... يبري سقام الوجد غير دوائه
يا متلفي ومعذّبي ومعنّفي ... بجفائه وبهجره وقلائه
هلاّ رحمت أسير وجد ماله ... في الدهر إلاّ أنت كلّ رجائه
هاج الغرام به فأصبح مًدنفاً ... يبكي الحمام لنوحه وبكائه
ألف السهاد جفونه ولذاك لا ... يدري بوقت صباحه ومسائه
وكفاه ما ألقاه من ألم النوى ... يوم الفراق ولات حين بقائه
ساروا فسار القلب مع أضغانهم ... وأقام جمر الشوق في مثوائه
وجرت مدامع مقلة قد طالما ... حبست سحاب الدمع عن أنوائه
وغدا الزمان معاندي وكفى به ... حكماً يجور بحكمه وقضائه
يا مانعي طيب الرقاد ومانحي ... أثر السهاد ومطّلي بلقائه
أترى لأيّام مضت من رجعة ... يصحو بها المشتاق من أغمائه
أسفي على عيشٍ مضى لي بالحمىً ... لا ينقضي أو يشتفي بسوائه
وتذكّري تلكً الديار ومن بها ... أودى بقلبٍي حرقة بجوائه
ولكم وقفت على الكثيب فلا أرى ... صحباً عهدت وجيرة بفنائه
أمّا الخيام فإنّها كخيامهم ... لكن نساء الحًي غير نسائه
قل للعذول أطلت عذل متيّم ... يلبّي ولا ينحلُّ عقد ولائه
فدع الملام وخلّ عن عذل امرئ ... دارت كؤوسٍ الحبّ في أودائه
يا صاحب القلم السليم كمن غداً ... لغرامه مثلاً حديث هوائه[٣]

وقد رثاه الشيخ الحر العاملي رحمه الله بقصيدةٍ من ستّةٍ وسبعين بيتاً نظمها في يومٍ واحد، منها:

---

(١) كذا.
(٢) سقطٌ.
(٣) هذه القصيدة من: تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢: ١٥٩ ـ ١٦٠.

علـى مـثـلـهـا شـقت حـشاً وقـلـوب | إذا شـقّقت عنـد الـمـصاب جيـوبُ
لـحـا الله قـلـبـاً لا يـذوب لـفـادحٍ | تـكـاد لـه صـمُّ الـصخـور تـذوبُ
جـرى كـلّ دمـعٍ يـوم ذاك مرخّمـاً | وضـاق فـضاء الأرض وهـو رحيـبُ
على السيّد المـولى الجليـل المعـظّم | الـنـبـيـل بـعـيدٌ قـد بـكى وقريـبُ
خـبـا نـور ديـن الله فارتـدّ ظلمـة | إذا اغـتـالـه بـعـد الطلـوع مـغيبُ
فـكـلّ جليـلٍ بـعـد ذاك مـحـقّـر | وكـلّ جـمـيـلٍ بـعد ذاك معيـبُ
فـمن ذا يمير السائلين وقـد قـضـى | ومـن لـسؤال الـسّائلـيـن يـجـيـبُ
ومـن ذا يـحـلُّ المـشكلات بفكـره | تـبـيـن خـفـي العلـم وهـو غيـوبُ
ومـن ذا يـقـوم الليـل لله داعـيـاً | إذا عـزّ داعٍ فـي الظـلام مـنـيـبُ
ومن ذا الذي يـستغفر الله فـي الـدجى | ويـبـكـي دمـاً أن قارفتـه ذنـوبُ
ومن يجمع الـدنيا مع الـدين والتقـى | مـع الجـاه إن المكرمـات ضـروبُ
لـتبـك عـلـيـه للهـدايـة أعـيـنٌ | ومـدمـعـهـا مـنـهـا علـيـه صـبيبُ
وتـبـكَ عـلـيـه التـصـانيف مقلـة | تـقـاطـر مـنـهـا مـهـجـة وقلـوبُ
وتـبـكَ عـلـيـه قـدّس الله روحـه | مـعـالـم ديـن فـي حـشاه لـهـيبُ
فـضـائلَ تـزري بالـفـضائل رفـعةً | فأعـلـى المعـالي مـن سواه عيوبُ

إلى آخر القصيدة[1].

ـ ٨ ـ

إبراهيم (زين العابدين)

اسمه (إبراهيم) على ما ذكره السيّد صدر الدين بن صالح بن محمّد إبراهيم بن زين العابدين في حاشية على نسخة من (أمل الآمل)، وقد اشتهر لقبه وهجر اسمه[2]، فيكون اسم ابنه إبراهيم على اسمه. وأمّه بنت نجيب الدين علي بن محمّد بن مكّي العاملي الجبيلي الجبعي تلميذ صاحب (المعالم).

ولد في جبع في جبل عامل مستهلّ شهر محرّم الحرام سنة (١٠٠٦ هـ)[3]. أخذ عن عدّة من شيوخ الإسلام. حجّ بيت الله الحرام سنة (١٠٦٤ هـ)، وكان أبوه قد استوطن مكّة المعظّمة فجدّد به

---

(١) انظر ترجمته مشتّتةً في: أمل الآمل: ١٢٤ ـ ١٢٦، ١٩٢ ؛ لؤلؤة البحرين: ٤٠ ـ ٤٢ ؛ رياض العلماء ٤: ١٥٥ ـ ١٥٨، ٥: ٢٥٨ ؛ تعليقة على أمل الآمل: ٦١ ؛ تكملة أمل الآمل: ٣٠٤ ـ ٣٠٦، ٤١٩ ؛ منتهى المقال ٤: ٣٢٦ ؛ أعيان الشيعة ١٢: ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ؛ بغية الراغبين ١: ٣٥، ١٠١ ـ ١١١ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ القرن الحادي عشر: ٣٨٦ ؛ الذريعة ٢: ٤٢١، ٢: ٤٦٩ ؛ قصص العلماء: ٤٧٣ ـ ٤٧٥ ؛ سفينة البحار ٨: ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ؛ فوائد الرضويّه.. زندگانى علماى شيعه (فارسي): ٣١٣ ـ ٣١٤ ؛ مقدّمة مدارك الأحكام ١: ٢٨ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١١: ١٩٦ ؛ فهرس التراث ١: ٨٦٣ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣ ؛ روائع الشعر العاملي ٢: ٧٧٤ ـ ٧٧٥.

(٢) تكملة أمل الآمل: ٢٢٤.

(٣) ورد في بغية الراغبين (٩٠٦) بدل (١٠٠٦)، وهو خطأٌ مطبعي بقرينة ما يأتي من تواريخ.

عهداً. وبعد أدائه مناسك الحجّ والعمرة والتشرّف بزيارة النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام في المدينة الطيّبة، قفل مع الحجّ العراقي فزار مشاهد الأئمة عليهم السلام في العراق، ثمّ قصد خراسان لزيارة الإمام الرضا عليه السلام. ثمّ زار أخاه السيّد جمال الدين في حيدر آباد، وقد رغب إليه الملك أبو الحسن ـ ملك حيدر آباد ـ أن يقيم عنده، وضمن له فراغ الوقت للعلم والعمل كما فعل مع أخيه السيّد جمال الدين، ولكنّ السيّد زين العابدين آثر الرجوع إلى خدمة أبيه في مكّة المعظّمة، فرجع إلى والده مع حجّاج حيدر آباد سنة (١٠٦٨ هـ)، فأدركه أيّاماً معدودةً ثمّ توفّي في تلك السنة، فصلّى عليه ودفنه في المعلّى، وكان ذلك من حسن توفيقه.

عاش بعد أبيه خمس حجج حتّى قضى نحبه في منى في ١١/ذي الحجّة/١٠٧٣هـ (١٦٦٣/٧/١٧م)[١] عن سبعٍ وسبعين سنة إلاّ عشرين يوماً. وكان ولده الحسين يومئذ معه، فحمل نعشه الشريف إلى المعلّى فصلّى عليه ودفنه ثمّة خلف ضريح أبيه شمالي مقام جدّتهما أم المؤمنين السيّدة خديجة عليها السلام. وقد رثاه الشيخ زين العابدين الحر أخو الشيخ الحر رحمه الله بقصيدة طويلة منها:

يــا عــينُ جــودي بالبكــا والــسهاد	لمـا عـرى [ذا] المجـد زَيـن الَعبـاد
مـضى بعـرض فـي الـورى أبـيض	فـألبس المجـد لبـاسِ الـسواد
قـد خلــت الدنيــا فمـا مثلــه	مــن حـافـظ عــهداً وراعٍ وداد
قـــد راعنـــي النــاعي فـأنــشدته	إنــشاد محـزون جـريح الفــؤاد
المــوتُ نقّــاد علــى كفّــه	جـواهــر يختــار منهــا الجيــاد
وقـــد أتـــى تاريخـــه سيّـــداً	قـد لـبس الـدهر ثيـاب الحـداد

خلّف زين العابدين إضافةً إلى إبراهيم السيّدين حسين ومحمّد[٢].

ـ ٧ ـ

إبراهيم (شرف الدين)

يكنّى أبا محمّد. ولد سنة (١٠٣٠ هـ) في قرية جبع في جبل عامل. قرأ على أبيه وبعض أعمامه وجماعة من أعلام عصره حتّى صار وهو في ريعان شبابه من الأعيان وبرع في شتّى العلوم.

انتقل سنة (١٠٧٨ هـ) إلى بلدة شحور وحجّ في تلك السنة ببيت الله الحرام، وتشرّف بأعتاب النبي صلى الله عليه وآله في المدينة الطيّبة وأعتاب الأئمة عليهم السلام وقفل منها مريضاً، ولم يزل كذلك حتّى لبّى نداء ربّه في شحور مستهلّ صفر (١٠٨٠ هـ)[٣].

---

(١) في تكملة أمل الآمل: ٢٢٤، ١٠٧٢هـ، ولعلّ الصحيح ما في المتن بعد الأخذ بعين الاعتبار تأريخ وفاته شعراً.

(٢) انظر ترجمته في: أمل الآمل: ١٠٠ ؛ رياض العلماء ٢: ٣٩٨ ؛ تكملة أمل الآمل: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ؛ بغية الراغبين ١: ١٧ ـ ١٩، ٣٥ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ القرن الحادي عشر: ٢٣٧ ؛ رياض الجنّة ٣: ١٠٤.

(٣) انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ٧٢ ـ ٧٣ ؛ بغية الراغبين ١: ١٤ ـ ١٥ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة (القرن الثاني عشر): ٦.

ـ ٦ ـ
محمّد

يكنّى أبا صالح. ولد في جبع في جبل عامل في رجب من سنة (١٠٤٩ هـ). وقف في عاملة على الشيخ أحمد بن الحسين بن محمّد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي. هاجر إلى العراق سنة (١٠٨٠ هـ) بعد وفاة أبيه بأيّام قلائل، فأخذ عن الشيخ حسام الدين ابن الشيخ جمال الدين الطريحي النجفي، ووقف على غير واحد من أعلام الفقهاء والأصوليّين.

انتقل إلى إصفهان للأخذ عن أعلامها، فوردها في ٦/محرّم الحرام/١٠٨٣هـ (١٦٧٥/٤/٢م) ولزم الشيخ محمّد باقر السبزواري رحمه الله صاحب (الذخيرة) الذي قرّبه وزوّجه كريمته رغبةً فيه، وولد له منها ولدان قضى الوباء عليهما وعلى أمّهما سنة ١٠٨٩هـ.

سنة ١٠٩٠هـ توفّي الشيخ السبزواري صاحب (الذخيرة)، فاختلف بعده إلى الشيخ علي ابنِ الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني رحمه الله، وكان قد توطّن إصفهان، وأجاز السيّد إجازة عامّة.

تشرّف سنة ١٠٩٩ هـ بزيارة الإمام الرضا عليه السلام، فأنزله الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله في داره وأكرمه وأجازه إجازةً مفصّلة وعقد له على كريمته في الرواق الرضوي، وكانت صغيرةً فلم يبنِ بها حتّى أتيا عاملة، ورزق منها بعدّة أولاد لم يبقَ له منهم سوى صالح ومحمّد.

بعد العقد على زوجته بأيّام حجّ بها بيت الله الحرام في ثلّة من أعيان خراسان، ورجع من هناك مع الحجّ الشامي نحو عاملة، فدخل شحور في ربيع الثاني سنةً ١١٠١ هـ (كانون الثاني/١٦٩٠م) وله يومئذ اثنان وخمسون عاماً، وقد أقام في شحور ثمانياً وثلاثين سنةً حتّى توفّي فيها سنة (١١٣٩هـ).

لهً مؤلّفات في الفقه والحديث والنوادر المستطرفة حملت مع سائر كتبه إلى عكّا في قارعة الجزّار. وبقي له تعليقة على (أصول الكافي) بخطه موجودة في مكتبة السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله، وله بعضُ التعليقات بخطّه أيضاً على (نفليّة) الشهيد رحمه الله، وله مجموعة كالكشكول بقلمه تشتمل على أحاديث ونوادر وأشعار يبدو أنّها كانت موجودة عند السيّد شرف الدين رحمه الله. وله أيضاً تعليقة مطوّلة على (القواعد)[1].

ـ ٥ ـ
صالح

ولد السيّد صالح في شحور في جبل عامل سنة (١١٢٢هـ) وكان لأبيه يومئذ (٧٣) سنة، وأمّه ابنة الشيخ محمّد بن الحسن الحر رحمه الله صاحب (وسائل الشيعة). تتلمذ السيّد صالحً على والده، ثمّ بعد وفاته أخذ العلوم عن عدّة من علماء عاملة، وأخذ علم الطبّ عن الشيخ علي خاتون.

سافر أيّام شبابه إلى الأزهر بمصر حيث لبث عشرة أشهر يأخذ عن شيوخه، ثمّ توجّه إلى الحجاز فاستجار بالبيت الحرام آخذاً عن فقهاء الحرمين لمدّة سنتين فصار يلقّب بالمكّي. وقد أجاز

---

(١) انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ٣٣٥ ـ ٣٣٧ ؛ بغية الراغبين ١: ١٢٥ ـ ١٢٧ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة (القرن الثاني عشر): ٣٥١ ـ ٦٥٢ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٢: ٢٤٩.

له بعض أعلامهم أن يروي عنه كلّ ما صحّت له روايته عن مشايخه كافّة بالسلسلة المتّصلة بالمؤلّفين منهم.

هاجر إلى العراق سنة (١١٥٥هـ) فأقام في كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف متفرّغاً لطلب العلم إلى سنة (١١٦٣هـ)، حين رجع إلى مسقط رأسه شحور ليفيض على أهله من روحه وعلمه ورعايته، فصار من أعاظم المراجع يومذاك إلى أن كانت فتنة أحمد باشا الجزّار التي ابتدأت سنة ١١٩١هـ.

وقد وقعت وقعتان مهمّتان أيّام فتنة الجزّار:

إحداهما: وقعة (يارون) في ٥/شوّال/١١٩٥هـ (١٧٨١/٩/٢٤م) حيث كانت النصرة للجزّار بعد مقتل أمير العامليّين الشيخ ناصيف النصّار من آل علي الصغير.

الثانية: وقعة (شحور) في ١٣/رجب/١١٩٨هـ (١٧٨٤/٦/٢م)، حيث اجتمع الشيخ حمزة بن محمّد النصّار من آل علي الصغير مع الشيخ علي الزين صاحب شحور على قتل حاكم الجزّار في تبنين في ١٢/رجب/١١٩٨هـ، فزحف إليه جيش الجزّار وهم معسكرون في شحور فقتل الشيخ حمزة ومثّل به وقتل معه نحو مئتي رجل، وكانت مصارعهم قرب شحور عند عينها (عين الدير) في أرض سمّيت فيما بعد (بلاطة القتلى).

وقد نتج عن ذلك أن شرّد أهالي شحور ونكبت قريتهم ونهبت مكتبة السيّد صالح المشتملة على تراث آبائه، ثمّ حملت إلى عكّا شأنها شأن غيرها من مكتبات العلماء وحرقت هناك.

وكان السيّد صالح قد اعتزل الناس من قبل الواقعة فآوى بأهله وذويه إلى كهف في واد عميق شمالي بلدة شحور حيث يجري نهر الليطاني، وكان في الوادي حرجٌ عظيمٌ ملتفٌّ الأشجارَ فسلمَ السيّد يومئذ. ولكن ما لبث أن وقع في أيدي عيون الجزّار مع ولده السيّد هبة الله أبي البركات، فقتلوا نجلهً أمام عينيه وساقوه هو إلى عكّا حيث سجنوه مع ثلّة من العلماء منهم الشيخ سليمان بن معتوق العاملي. وبعد توسّلهما بدعاء الطير الرومي تسنّى لهما الفرار من السجن والهرب إلى الكاظمين في العراق سنة ١١٩٩هـ حيث لحقه بولديه وأمّهما أخوه السيّد محمّد، الذي رجع إلى عاملة وبقي على تواصل مع أخيه بالمراسلة شعراً ونثراً. وممّا أرسله السيّد صالح إلى أخيه:

بـرقٌ أضـاء لنـًا مـن نحـو حـيِّهم	ففـاض جفنـي بمنهـلٍ ومنـسجم
وقلـت والـدمع مـن عينـي منـسكب	يـا بـرق حـيِّهمِ وأنـزِل بحـيِّهم
يزداد شـوقي لهـم يـا صـاحبي أبـداً	إذا تـذكّرت عـصراً قـد مـضى بهـم
أقـضي نهـاري وليلـي فـي تـذكّرهم	والناس تعجب منّي كيف لـم أنـم
كتمتُ وجـدي ودمـع العـين يظهـره	وكيـف أكـتم سـرّاً غيـر منكـتم
جـسمي مقـيم بـدار لا أنـيس بهـا	والقلـب منّـي مقـيم فـي طلـولهم
قلبـي يحـنُّ إلـيهم كلّمـا سـجعت	ورق الحمـام وسـحت أوجـه الـديم
ولست أبغي سواهم في الورى أحـداً	هـمٍ مُـرادي ومقـصوديٍ مـن الأمـم
أشـتاقهم وبـودّي لـو أزورهـم	مشياً على الرأس لا سعياً علـى القـدم

مـن مبلـغ سـادة فـي عامـل نزلـوا | أنّـي مزجـت دمـوعي بعـدهم بـدمي
وأنّ ذاك لعمـري مـن تـذكّرهم | لا (مـن تـذكّر جيـران بـذي سـلم)
يا حادي العيس إن جئت الديار فقل | سـقيت يـا دار صـوب الوابـل الـرذم
فـثمّ لـي خلّـة فيهـا وعيـتهم | الله زيّنــه فــي العلــم والكــرم
سـميّ طـه الـذي مـا مثلـه أحـد | خيـر البريـة مـن عـرب ومـن عجـم
نجـل النبـي الـذي والله طلعتـه | تغني عن الشمس والمصباح فـي الظلم
أخـي الـشقيق لـنفس والمقـيم وإن | شـطّ المـزار بقلبـي غيـر متّهم
يـا سـيّداً طهـرت أعراقـه وزكـت | يا طـاهر الأصـل والأخـلاق والـشيم
لمّـا أتـاني كتـاب منـك ذو فقـر | كالـدّر مـا بـين منثـور ومنـتظم
جلّـى همـومي وأحزانـي وذكّرنـي | إيّـامكم فغـدا للقلـب كـالكلم
فـصرت ألثمـه والـدمع منهمـل | لـذكركم لا لـذكر البـان والعلـم
وكان كالغيـث وافـى الأرض مجدبـة | فزال ما كان مـن جـدب ومـن عـدم
وكنـت مـن قبلـه حيـران مكتئبـاً | أمـشي ببحـر بمـوج الحـزن ملـتطم
سـررتني بكتـاب منـك متّـضح | شـكراً لكـم، ثـمّ للقرطـاس والقلـم
يـا لوعـة فـي فـؤادي لا تـزال ولا | تـزول إلاّ بلقيـا كـلّ ذي رحـم
يا نفـس صـبراً، فـإنّ الـصبر مكرمـة | وعـادة الـدهر لـم يبـرح ولـم يـدم
والحمـد لله حمـداً دائمـاً فلنـا | من جانب الـصبر ركـن غيـر منهـدم

توفّي السيّد صالح في النجف الأشرف لتسع بقين من ذي الحجة سنة ١٢١٧هـ (١٣/٤/١٨٠٣م) قبل هلاك الجزّار بسنتين ودفن في بعض حجرات الصحن الحيدري. وخلّف أربعةً من الذكور هم: السيّد صدر الدين، السيّد محمّد علي، السيّد أبو الحسن والسيّد مهدي.

من حكاياه

١ ـ أنّه كان يعطي خواصّه رطب التمر ولا وجود للرطب في البلاد، فيسأل عن ذلك فيقول: «**أهدي إليَّ من الناحية المقدّسة**».

٢ ـ وأوصى أهل داره أن لا يغسلوا الأواني ويضعوها في بيت عيّنَه، فسئل عن سبب ذلك فقال: «**إنّ جماعةً من إخواننا المؤمنين من الجنّ قد استجاروا بنا لوقعة وقعتً فيهم خرج فيها جماعةٌ منهم**». وكان إذا فرغ من تعقيب صلاة الصبح جاء إلى ذلك البيت ووقفً وتكلّم بكلام لا يفهمه أهل الدار، ثمّ يخرج فيسألونه فيقول: «**[أتكلّم] معهم بلسانهم**»، وبعد أيّام قال: «**قد أصلحنا بينهم فلا تضعوا الأواني في الحجرة**».

٣ ـ وجاءه رجلٌ قال: إنّه كان معه ابنه، ولمّا وصلوا الوادي الفلاني فقد الولد، وكلّما فحص لم يجده وكأنّه قد ابتلعته الأرض. فكتب له ورقةً وقال له: «**اذهب إلى الوادي ونادِ بما هو مكتوبٌ في هذه الورقة فإنّك تجد ابنك**»، وقد وجد فيه: «**فلان، إنّ السيّد صالح المكّي يأمرك أن تفحص عن ولدي**

وتحضره». قال: فنادى وإذا بولده قد أقبل من بطن الوادي[١].

ـ ٤ ـ

محمّد (صدر الدين الصدر)

ولد السيّد محمّد ليلة ٢١/ذي القعدة/١١٩٣هـ (١٧٧٩/١١/٣٠م) في مزرعة شدغيث التي اندرست وضمّت إلى بلدة معركة من أعمال صور في جبل عامل، وأمّه هي ابنة الشيخ علي ابن الشيخ محيي الدين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني[٢].

ولمّا اشتدّت المحنة في عهد تسلّط أحمد الجزّار وعبثه في تلك الديار قتل أخوه الشهيد السيّد هبة الله وسجن والده السيّد صالح، فعاشت جبل عامل حياة الإرهاب والاضطهاد. وعندما تمكّن والده من الفرار لحقه أهله ومعهم السيّد صدر الدين وعمره حينئذ ستّ سنوات[٣]. ومع أنّه لم يرجع إلى بلاد عاملة، إلاّ أنّه ظلّ يتقن لهجة أهلها، فيتكلّم معهم بها إذًا لقيهم.

وقف في تحصيل العلوم على أبيه السيّد صالح والشيخ سليمان بن معتوق العاملي. وكان في أيّام إقامة والده في بغداد يحضر درس السيّد صبغة الله إمام أهل السنّة في عصره ويناظره في المسائل الكلاميّة ويفحمه وهو لمّا يبلغ.

ثمّ أخذ عن السيّد محسن الأعرجي صاحب (المحصول) و(الوافي)، وعن الشيخ أسد الله ابن الشيخ إسماعيل الكاظمي صاحب (المقابيس)، وعن السيّد علي صاحب (رياض المسائل)، وعن السيّد محمّد مهدي الشهرستاني الحائري، وعن السيّد مهدي بحر العلوم، والسيّد جواد العاملي، والشيخ سليمان العاملي رحمهم الله.

وقد عرف السيّد صدر الدين بالذكاء المفرط والنبوغ المبكر، حيث كتب في السابعة من عمره حاشية على كتاب (قطر الندى) لابن هشام الأنصاري الذي يعدّ من أعاظم علماء النحو، وقد صار كتابه هذا موضع عنايةٍ في المجامع العلميّة، [وكان أئمّة العربيّة يرجعون إليه من أطراف البلاد

---

(١) انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ٢٣٣ ـ ٢٣٤؛ أعيان الشيعة ١١: ٤٠٢ ـ ٤٠٣؛ بغية الراغبين ١: ١٢٩ ـ ١٤٦؛ طبقات أعلام الشيعة/ الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ٢: ٦٦١ ـ ٦٦٢؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٣: ٣٠٩؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣ ـ ٢٤؛ موسوعة المقاومة اللبنانيّة ١: ٣٣ ـ ٣٤. وما نقلناه من حكايا عبارة عن مرويّات ذكرها السيّد حسن الصدر رحمه الله في تكملة أمل الآمل: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) في: بغية الراغبين ١: ١٤٧ أنّها بنت علي بن محيي الدين بن علي بن حسن بن الشهيد الثاني، فيكون (محمّد) ساقطاً. وفي: تكملة أمل الآمل: ٢٣٦؛ روضات الجنّات ٤: ١٢٢؛ خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢: ١١١ أنّها بنت علي بن محيي الدين بن علي بن **(محمّد)** بن حسن بن الشهيد الثاني. وفي: تكملة أمل الآمل: ١٣٨ أنّها بنت علي بن يحيى بن علي بن محمّد بن حسن بن الشهيد الثاني. ولعلّ اسم محيي الدين هو يحيى، والشيخ علي والده هو صاحب (الدر المنثور)، فهو علي بن محمّد بن الحسن ابن الشهيد الثاني رحمه الله.

(٣) في غير مصدر: أربع سنوات بدل ستّ (تكملة أمل الآمل: ٢٣٦)، والصحيح ما أثبتناه في المتن من (البغية)، فقد ولد سنة ١١٩٣هـ ولحق بأبيه سنة ١١٩٩هـ. والخلاف في ذلك مبنائي على ما يبدو، فإنّ السيّد حسن الصدر يبني على أنّ فتنة الجزّار كانت سنة ١١٩٧هـ وأنّ السيّد صدر الدين لحق بوالده في السنة نفسها. بينما يؤكّد السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله أنّها كانت في ١٣/رجب/١١٩٨هـ معتمداً على ما ذكره السيّد عبّاس ابن السيّد عيسى ابن السيّد عبد السلام والشيخ أحمد رضا والشيخ حسن ابن الشيخ حيدر رضا العاملي الركوني، حيث أرّخ الأخير للواقعة بشكل دقيق. كما يبني السيّد شرف الدين رحمه الله على أنّ خروج السيّد صالح إلى العراق كان سنة ١١٩٩هـ.

الروميّة والحجازيّة والشاميّة والمصريّة والعراقيّة في قبول قصائدهم العربيّة وردّها][١].

نزل كربلاء يوم ازدهار مدرستها على عهد الوحيد البهبهاني رحمه الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكانت المعركة على أشدّها بين الأصوليّين والأخباريّين، وقد قفز الوحيد البهبهاني رحمه الله بعلم الأصول إلى الذروة وانتصر للأصوليين، وكان حديث الساعة يومذاك في كربلاء مسائل علم الأصول ومشكلاته.

ويبدو أنّ السيّد صدر الدين قد وعى مسائل هذا العلم رغم تعقيدها وهو ابن اثنتي عشرة سنة إذ كتب في أوّل رسالته في حجية الظنّ: «**وردت كربلاء سنة خمس ومائتين بعد الألف وأنا ابن [اثنتي] عشرة سنة، فوجدتُ الأستاذ الأكبر محمّد باقر بن محمّد أكمل مصرّاً على حجيّة الظنّ المطلق..**»[٢]، وقال: «**..وبالجملة لا نعرفُ مصرّحاً بأصالة الظنّ وقائلاً بها على القطع قبل الأستاذ رضي الله عنه... وقد رأيته في كربلاء على مشرّفها السلام سنة خمس ومائتين وألف قبل وفاته بسنة وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، وهو شيخٌ قد ناهز التسعين، ولم يكن فيما حدّثني به شيخ الطائفة جعفر بن خضر وجماعة من [ثقات] العلماء قبل سنة الطاعون ـ وهي ستّ وثمانين ومائة وألف ـ أحدٌ يذهب إلى أنّ الأصل الثانوي حجيّة الظنّ وغيره**»[٣].

وفي تلك السنة حضر درس السيّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم رحمه الله الذي كان يومذاك مشغولاً بنظم منظومته في الفقه، ولشدّة إعجابه بالسيّد صدر الدين وبمهارته في الأدب وفنونه اختاره يومئذ ضمن من اختارهم من شيوخ العلماء ليعرض عليهم درّته (المنظومة الفقهيّة). ولشدّة موهبته الشعريّة قال الشيخ جابر الكاظمي مخمّس الهائيّة (الأزريّة): إنّ السيّد صدر الدين كان أشعر من الشريف الرضي الذي هو أشعر قريش[٤].

ولم تمضِ إلاّ سنة حتّى اعترف له أكابر العلماء بملكة الاجتهاد، وكان قبل بلوغه الحلم يرتّب على نفسه أثرَ الاجتهاد، وأجازه أستاذه صاحب (الرياض) سنة (١٢١٠هـ) وكان له من العمر سبع عشرة سنة، وصرّح صاحب (الريّاض) في الإجازة أنّه قد بلغ مرتبة الاجتهاد قبل تاريخ الإجازة.

عكف السيّد على مربّيه الشيخ الأكبر (كاشف الغطاء) الذي زوّجه كريمته، وقد تزوّج الشيخ محمّد تقي الإصفهاني صاحب (هداية المسترشدين) كريمته الثانية. وقد أنجب السيّد صدر الدين من كريمة الشيخ كاشف الغطاء السيّد محمّد عليٍ (آقا مجتهد) وبنتاً زوّجها الشيخ محمّد باقر نجل الشيخ محمّد تقي وأمّه كريمة كاشف الغطاء أيضاً. وأنجب الشيخ محمّد باقر محمّد حسين ومحمّد تقي. وقد تزوّج محمّد حسين من كريمة آقا مجتهد وأنجب منها آقا رضا. وبهذا يكون السيّد صدر الدين الصدر جدّ والد آقا رضا لأمّه وجدّ والدته لأبيه.

وعندما برز اسم المحقّق القمي رحمه الله صاحب (قوانين الأصول)، شدّ السيّد صدر الدين إليه الرحال بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام سنة (١٢٢٦هـ) وقرّظ له كتاب (القوانين) ببيتين من الشعر:

---

(١) ما بين [] من: أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ٢٠٩.

(٢) انظر: تكملة أمل الآمل: ٢٣٦؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٥ (نقلاً عنه بحسب الظاهر)؛ وانظر طبقات أعلام الشيعة/ الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ٢: ٦٦٩ الذي نقله عن (التكملة) كما صرّح، وغيّر بعض الألفاظ.

(٣) بغية الراغبين ١: ١٥١ نقلاً عن الأصل بالنصّ. ويقصد بالشيخ جعفر بن خضر الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله.

(٤) علّق صاحب (أعيان الشيعة) على ذلك بأنّ فيه من المبالغة ما لا يخفى (أعيان الشيعة ١٤: ١٨٤).

ليت ابن سينا درى إذ جاء مفتخراً ... باسم الرئيس بتصنيف لـ(قانون)
أنّ (الإشارات) و(القانون) قد جمعا ... مع (الشفا) في مضامينَ (القوانين)

سافر سنة ١٢٢٦هـ إلى مشهد الإمام الرضاعليه السلام، ومن ثمّ قصد قم مجتمعاً بالميرزا القمّي بعد أن كان قد اجتمع به سابقاً في كربلاء والنجف الأشرف. وكان قد رجع من طريق يزد، فاجتمع عليه أهلها وكانت يومذاك ديار علم، فأقام فيها مدّة قليلة وتزوّج فيها.

ثمّ انتقل سنة (١٢٢٧هـ) إلى إصفهان التي كانت يومئذ دار العلم والعلماء لزيارة الشيخ محمّد تقي صاحب (هداية المسترشدين في شرح أصول معالمِ الدين) والسيّد محمّد باقر الموسوي الرشتي، فاجتمعِ إليه فضلاء إيران من كلّ صوب وفجٍّ عميق، وانفرد في المرجعيّة والتدريس والقضاء غير منازعٍ، وتخرّج عليه أكابر العلماء من أَمثال الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري رحمه الله وغيره. وقد أرسل السيّد صدر الدين خلف عياله وأولاده فرحلوا إلى إصفهان، [حيث توطّن، وأعانه كمال الإعانة بأداء ديونه وإنفاق أهله لسنين متعدّدة السيّد محمّد باقر الرشتي رحمه الله][1].

ولجلالة قدر السيّد صدر الدين ورفيع منزلته أنّه إذا قدم من إصفهان إلى النجف كان زعيما مدرسة النجف الشيخ محمّد حسن صاحب (الجواهر) والشيخ حسن كاشف الغطاء رحمهما الله يعاملانه معاملة الأستاذ ويجلسان بين يديه جلسته التلامذة. ولعلّ شخصيّته الفريدة في هذه الأسرة الجليلة هي التي صرفت عن ذريّته لقب (شرف الدين) ونسبت إليه فلقّبوا بـ(آل الصدر).

له شعرٌ كثير، منه واصفاً فيه رحلته إلى المشهد الرضوي على مشرّفه السلام:

أتتك استباقاً تقدّ القفارا ... سوابح تقدح في السير نارا
تثير مثار الحصى بالحصى ... وتتبع باقي الغبار الغبارا
أرادتك أبعد غاياتها ... وقبل الطواف رمين الجمارا
من الصافنات تباري الصبا ... إذ الأفعوان على الجيد مارا
تصد القوانس منها التراق ... وتضغط في اللب صدراً طمارا
يقيم على الريب فيها الفتى ... أعقبان صيد رأى أم مهارى؟
تقلب في سبسب أغبر ... قريب اليباب بعيد القصارى
يباب من الآل إيرادها ... تقل خماراً وتلقي خمارا
وتلقي السنابك في الراسيات ... ورى لا تداني مداها الحبارى
إذا ظلّلت نوقهن انثنت ... مدى عقبة النسر تهوي انحدارا
رواس تسامت تريد السماء ... كأنّ لهن على النجم ثارا
يروع الوعول بهنّ الخيال ... وتنبو ألمها أن ترائي نفارا
تركنا سجستان ذات اليمين ... وذات الشمال جعلنا بخارى
توالي التلفت فيها بنا ... وقبل العميد الحذار الحذارا

---

(١) ما بين [] من: أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ٢٠٩.

هما خطّتان جلا عنهما حديث الوفود وأعطى الخيارا
فإمّا تلاقي الصدور الطعان وإمّا تقاسي الضلوع الأسارى
وقوم إذا ارتفعت غبرة على البت قالوا خيول تجاري
تظل القلوب تدقّ الصدورٍ كأجنحة الطير واللبّ طارا
ويغدو وقورهم لاعباً من الخوف والخوف ينفي الوقارا
وفي القوم نشوان من شوقه يخال غبار الأعادي المزارا
يرى خير وصليه ورد الحتوف حذار ترائي الوداع ادّكارا
ودامت على العود غلماننا تبيت نشاوى وتصحو سكارى
أطلّت على النوم أجفانها فما تطعم النوم إلاّ غرارا
غدونا بها تحت ظلّ القنا تهادى على القب غرثى سهارى
سعت وأوام الهوى رادها فبلّت بقرب الجواد الأوارا
تراءى لهم من تجاه الرضا بريق كسا الجو منه نضارا
ومشكاة إن لاح مصباحها أعاد الدجى آية والنهارا
يدور إذا دار شمس الضحى ترى فلك الشمس منها استعارا
وسل هل تجافي لتقبيله ثرى الأرض بين يديها صغارا
ولمّا بدا طاق إيوانها أرانا الإله هلالاً أنارا
ومنه وردنا إلى جنّة لو أنّ الخلود يرى أن يعارا
هناك يطأطئ قرنُ المليك ويصبح سيان دار ودارا
تؤمّ بطون الأكف السماء وتنحو الجباه الصعيد افتخارا
تبثّ الشكايا وترجو المنى وتفدى الأسارى وتنجو الحيارى
فصافح ذويك بذاك الغبارٍ وشرّف به إن مررت الديارا
ومن زار قبر الرضا عارفاً كمن جدّه أحمد الطهر زارا
انخها، بَلَغت، وألق العصا فغالط فؤاد يسوم انفطارا
فمن كم إليك نشدُّ الرحال وبين ثراكم نسوق المهارا
علي بن موسى وحسب الصريخ غياث إذا دائر السوء دارا
إليك إليك ومن قد رجا رجاءً سواكم عن القصد جارا
غلاصم استطالت إلىً أياد كست أنعم الدهر عارا
وجئت علىٍ عاتقي موبقاً منَ السيّئات عظاماً غزارا
وحسبي غداً أن يقول الذي أعاديه فيك اصطبر لنٍ تجارى
إذا ذاق في النار طعم النعيم وألقى بحبّك عاراً ونارا
واخش الصراط وعمي الصراط وفي جَدَد قد أمنت العثارا
أتَقْفو غباري جيوش الهموم ومنها إليك خرجنا فرارا؟

يقــول بنونــا: البــدار البــدار ونــومي إليــك: الجــوار الجــوارا!
ســجون ســكنّ ســويد الفــؤاد وكــنّ الــشعار لــه والــدثارا
غــزت داره اللــبّ فاســتوطنت حماهــا وكانــت تلــمّ ازديــارا
أســامر ســود ليــال طــوال وعهــدي بهــا قبــل بيــضاً قــصارا
عزمــت المــديح ولكــن أرى قــصارى المــديح إليــك اعتــذارا

(إلى أن يقول، حيث سقط مقدار ورقة منها):

علــى الأرض طوفــان نــوح طغــى فأقــصى جــواراً وأدنــى جــوارا
ومــارج بحــرين عــذب فــرات وملــح أجــاج كمــا شــاء خــارا
ومــن قبلــه جــاور المــصطفى وهيهــات لا يــشكران انتــصارا
وكــان علــى البيــت أصــنامهم وفــي البيــت ثــمّ اقتنــوه شــعارا
أبــا الــصلت، طوبــاك، ســرٌّ طــوي لعينيــك دون الأنــام اســتنارا
وفــود الجــواد لتَجهيــزه أبــاه وأن يحــضر الاحتــضارا
طــوى الأرض لا الــسرج متنــاً رقــي ولا الأبــرق النهــد نقعــاً أثــارا
كــنجم ســرى أو شــعاع ســما فنــال الــسهى أو صــباح أنــارا
فــوافى ســناباد مــن يثــرب كليــل البــراق ومــن فيــه ســارا
ســناباد طبــت ثــرىً إنّمــا ســماك لنــور الرضــا قــد أشــارا
علــي بــن موســى أتتــك العــروس فــصُرّ الــصداق وبــثّ النثــارا
أيحظــى بهــا دعبــل جبّــة إليهــا الجنــان تحــنّ انتظــارا
وأحرمهــا والفتــى دعبــل علــيم بــأنّي أعلــى ابتكــارا
وَقُــدّ لــي مــن جبّــة خملــة لــو أنّ العطــا النــزر يرضــي نــزارا

وله:

خليلــي هــل مــن وقفــة بالمعاهــد لروعــة محــزون ولوعــة ماجــد
وذكــرى فقيــد كــان للقلــب واحــداً وربّ فــؤاد فاقــد غيــر واحــد
وصــلت، فلمّــا جــاءك الــصبّ طائعــاً هجــرت، فهــل يــوم الوصــال بعائــد
بعيــشك هــل شــاهدت بعــد افتراقنــا من البــين مــا شــاهدت أم لــم تــشاهد
فعــودي ســليماً أســلموه إلــى الرقــى وعــودي علــى شــاك قليــل العوائــد
أعيــدي لجفنــي الغمــض ثــاني مــرّة لعــلّ بــه طيــف الخيــال معــاودي

وله:

إلــى علــيٍّ وزعيــم اللــوى يــوم الــوغى والعلــم الــشامخ
أبــي الــسراة الأنجبــين الأولــى خــصّوا فنــون الــشرف البــاذخ

أولـي المزايـا الغـر أعباؤهـا ... ينـوء فيهـا قلـم النـاسخ
جـاءت تجـوب البيـد سيّارة ... تهـوي هـويَّ المرقـد الشامخ
قـد أيقنـوا منـه بجـزل الحـصا ... أنّ عليـّاً لـيس بالـواضـخ

وله أيضاً:

قـومٌ إذا همّـوا بغسـل ثيـابهم ... جعلـوا الـدروع ملابسـاً وثيابـا
وإذا أتـاه سـائلٌ لدروعهـم ... لبـسوا البيـوت وزوّروا الأبوابـا

ومن شعره غير المعروف في تقريظ كتاب (مطالع الأنوار) للسيّد محمّد باقر الشفتي رحمه الله:

اليـوم قـد طلعـت شـموس نهـاري ... لمطـالع لمطـالع الأنـوار[1]
وبـدت لناظرهـا حـدائق نظـرة ... عـزّت نظائرهـا علـى الأنظـار
[...]ـكار وضـبط قواعـد ... جلـت فـضيلتها عـن الأفكـار
ورحيـق تحقيـق حقيقـة أمرهـا ... إظهـار حـقّ واجـب الإظهـار
ومـسائل أعلامهـا تهـدي إلـى ... آثـار علـم العتـرة الأطهـار[2]

ومنه كذلك، وفي كلّ كلماته حرف (الظاء):

ظلـمٌ عظـيمٌ غلـيظٌ مظلـمٌ ظهـرت ... منـه شـواظ لظـى فـي العظـم والظفـر
أيقظـت كـاظم غـيظ غيـر منتظـر ... ألفـاظ وعـظ ولا ظـام إلـى ظفـر
فظلـت حـافظ حظّـي مـا ظننـتُ ولا ... حظرت بالظعنَ ظلّ الظهر عن نظري[3]

كما تنسب إليه الأبيات التالية التي شطرها شارح الكفاية المسمّى ـ أي الشرح ـ بالهداية.

علـيٌّ بـشطر صـفات الإلـه ... حبيـت وفيـك يـدور الفلـك
فلـولا الغلـوُ لكنـتُ أقـول ... جميـع صـفات المهيـمن لـك
ولمّـا أراد الإلـه المثـال ... لنفـى المثيـل لـه مثلـك
فمـن عـالمِ الـذر قبـل الوجـود ... لقـول بـل الله قـد أهلـك
وقـد كنـتَ علّـة خلـق الـورى ... مـن الجـن والإنـس حتّـى الملـك
وعلّمـتَ جبريـل ردّ الجـواب ... ولـولاك فـي بحـر قهـرٍ هلـك[4]

مشايخه في الرواية

١ ـ روى عن والده وأستاذه السيّد صالح عن جدّه السيّد محمّد عن أستاذه الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي بجميع طرقه المذكورة في آخر كتاب (وسائل الشيعة).

---

(١) كذا في المصدر، و[..] من المصدر أيضاً.
(٢) هذه الأبيات بالخصوص من: تراجم الرجال ٢: ٤٠٧.
(٣) هذه الأبيات بالخصوص من: تراجم الرجال ٢: ٤٠٧.
(٤) هذه الأبيات بالخصوص من: أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ٢١٠ ـ ٢١١.

وأيضاً روى عن والده عن الشيخ يوسف البحراني رحمه الله صاحب كتاب (الحدائق) عن المولى محمّد رفيع عن العلاّمة المجلسي رحمه الله.

٢ ـ وعن السيّد محمّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم رحمه الله وكان يعبّر عنه بالأستاذ الشريف.

٣ ـ وعن السيّد علي رحمه الله صاحب (رياض المسائل). وكان السيّد معجباً بصاحب (الرياض) وكان يعتقد أنّه يفوق المحقّق القمّي رحمه الله صاحب (القوانين) في الفقه وقوّة النظر.

٤ ـ وعن السيّد محسن الأعرجي رحمه الله صاحب (المحصول) وكان معجباً بزهده وتحقيقاته.

٥ ـ وعن الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله.

٦ ـ وعن السيّد مهدي الشهرستاني الموسوي الحائري.

٧ ـ وعن الشيخ سليمان معتوق العاملي.

تلامذته

١ ـ السيّد ميرزا محمّد هاشم رحمه الله صاحب كتاب (أصول آل الرسول)، [الذي وقع في طرق الرواية عنه][1].

٢ ـ السيّد محمد باقر الموسوي رحمه الله صاحب كتاب (روضات الجنّات).

٣ ـ الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله صاحب كتابي (المكاسب) و(فرائد الأصول)[2].

٤ ـ محمّد علي التبريزي المعروف بالمدرّس، صاحب (ريحانة الأدب)[3].

٥ ـ السيّد محمّد حسن المجدّد الشيرازي رحمه الله.

٦ ـ الشيخ شريف العلماء رحمه الله المازندراني، وكان السيّد صدر الدين يمنعه من التعمّق في أصول الفقه ويأمره بالتعمّق في الفقه.

٧ ـ السيّد محمّد شفيع جاپلقي صاحب (الروضة البهيّة).

٨ ـ الميرزا محمّد باقر چهار سوقي.

٩ ـ السيّد جعفر بن محمّد أشرف الطباطبائي اليزدي النجفي.

١٠ ـ الشيخ محمّد حسن بن محمّد باقر الإصفهاني النجفي.

١١ ـ الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

١٢ ـ الميرزا زيد العبدين الموسوي چهار سوقي.

١٣ ـ السيّد عيسى بن محمّد علي العاملي.

١٣ ـ السيّد أبو الحسن هادي بن محمّد علي الصدر.

ومن وثائقه التي لا زالت محفوظة ما كتبه سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١ ـ ١٨٣٢م) للسيّد محمّد حسن المجتهد الإصفهاني تقريظاً لكتابٍ له اطّلع عليه السيّد صدر الدين:

«بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) ما بين [] مستفاد من: ميراث حوزه اصفهان، دفتر اول (نجعة المرتاد): ٣٢٩، مقدّمة السيّد حسن الصدر رحمه الله ؛ وانظر أيضاً: مرآة الشرق ١: ٥٩٥.

(٢) انظر بهذا الخصوص: خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ١١١.

(٣) هذا بالخصوص من: موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٧٧٨.

قد وقفت على مجلّدات من تصنيف السيّد السند الموفّق العالم العامل والفاضل الكامل الذكي الزكي الوفي الحفي اللوذعي الألمعي السيّد الحسن [ابن] السيّد التقي ....

وكان والدي شرّف الله خاتمته مرجع الناس في جبل عاملة، حتّى وفّقه الله لشرف الحضور في العتبات المقدّسة على مشرّفيها التحيّة والسلام، ولقي أستاذ المجتهدين تاج الفقهاء فخر الدين محمّد باقر بن محمّد أكمل، وجمال الحكماء والفقهاء والمتكلّمين قدوة العارفين والسالكين والناسكين السيّد المهدي طاب ثراه، فتاب عن الفتوى وترك الدخول في أمور الناس بالمرّة، وكان يقول ما كنّا نعلم أنّ في الدنيا [..]، مع أنّه كان قد بلغ في علم الكلام والفقه والحديث غاية قصوى.

[وكتب الخاتمة] صدر الدين الموسوي العاملي ١٢٤٧»[1].

من مؤلّفاته

١ ـ منظومة في الرضاع: يلخّص فيها فروع هذا الباب. كانت موجودة في مكتبة السيّد حسن الصدر، ثمّ شرحها ناظمُها شرحاً ممزوجاً متوسّطاً في غاية المتانة، وقد طبعت مؤخّراً، وهي مؤرّخة بسنة ١٢٢٣هـ[2]، وللميرزا الشيرازي شرحٌ عليها[3].

وهذه هي أبياتها دون شرحها وبدون تصرّف:

إن أحرز الرضاع شرطه نشر ... تحريم تزويج وتحليل نظر
وفي انعتاق من يملك ينعتق ... خلفٌ وعندي أنّه ليس برق
وليس في المحظور من محذور ... أن يشتبه فيما عدا المحصور
ومورد التشبيه في المظاهرة ... بمحرم الرضاع ذو مشاجرة
والشكّ في كلّ من الشروط ... محقّق للشك في المشروط
وكلّما ينشر حظراً سابقاً ... ينشره بلا خلاف لا حقا
نشر الرضاع إن إلى الوطي استند ... وطيا به يمكن إلحاق الولد
ووحدة الفحل بلا نزاع ... للأصل والأخبار والإجماع
وكونه قبل فصال المرتضع ... وفي فصال الضئر خلف متّسع
وابن الجنيد في السّفاح قد ذهب ... فرداً إلى أنّ الرضاع كالنسب
للمطلق اللبان ما اتّصل ... إلاّ إذا الحمل من الثاني انفصل
وإن يطل جفافه فالثاني ... لزوجها الثاني مع الإمكان
ولا يعيد الاعتراف بالولد ... بعد اللعان النشر في رأي أسد
وليس يكفي رضعة بل إمّا ... ما أنبتت اللّحم وشدّ العظما
أو خمس عشرة على المختار ... لينتفي تعارض الأخبار
أو ليلة واليوم، إن تمّ العدد ... أو لم يتمّ، لعموم ما ورد

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١)، وما بين [...] غير واضح، ولعلّه (علماً) أو (عالماً).

(٢) انظر: منظومة في الرضاع.. الأرجوزة الرضاعيّة وشرحها: ٢٧ ـ ١٢٩.

(٣) انظر: الذريعة ١٣: ٧١؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٦٣٦.

والأصل من ثلثهنّ ما سبق … أصلاً بفقده انتفاء النشر صدق

وباتّفاق عنه ثانيها انفرد … لا يفقد النشر وإن نشوا فقد

وليس في الأوّل قطّ من ولاء … ولا الأخير مطلقاً أن يفصلا

والفضل في الثاني برضعة خطر … لكنّه بالأكل والشرب اغتفر

ويفقد النشر نصاب اتّسق … من مرضعات وإن الفحل اتّفق

وكلّ رضعة تراد كاملة … في كلّ ما قد مرّ حتّى الفاصلة

ولحمة الرضاع لحمة النسب … فالظئر والفحل إذن أمّ وأب

وما لكلّ من أب ومن ولد … هذا بجنسه أخ وذاك جدّ

وإخوة الاثنين بالمعنى الأعمّ … خال وخالة وعمّه وعم

ومطلقاً يحرم ولد المرتضع … عليهما وغيرهم لا يمتنع

والفرع يعطي حكم من شبّه به … والأمر في التفريع ليس يشتبه

إن تمّ من لبان فحلين العدد … لم ينشر التحريم ما بين أحد

فإن أتمّ اثنان كلّ عدداً … أو عدّة فالنشر حيث اتّحدا

فليرع أن تكون كلّ طبقة … بنفسها في فحلها متّفقة

وليس شرط النشر كون السابقة … في الفحل متّحدة باللاّحقة

فلا يحلّ للرضيع أمّها … وأختها وخالها وعمّها

إلاّ إذا كانوا لأمّ لا لأب … مع كونهم من الرضاع لا النسب

وليس ما بين الرضاع والنسب … في نشره اتّحاد فحل يطّلب

وراع ما بين الرضاع والنسب … عند القياس إن تطابق النسب

فحيثما العموم مطلقا صدق … ما بين نسبتين فالحلّ أحق

ولترضعن فالنصّ ليس شاملة … أولاد أخت الزوّج أو نوافله

وولد من لها من الأرحام … إخوة أو أخوال أو أعمام

وإخوة وخالة وعمّة … لفحلها وخالة وعمّة

ومثلهم من قومها بدون … أن تحرم أمّ الطفل أو ذات اللبن

وخطر ولد الظئر والفحل على … أب الرضيع عن نصوص انجلى

فمطلقاً في ولده تحقّقا … ونسبا في ولدها لا مطلقا

ومنع إخوة الرضيع من مضى … بردّ إلاّ لرضاع اقتضى

وابذل الفحل أمّ أمّ المرتضع … ولأبيه أمّ من منها رضع

وليس قطّ في تناكح صدر … ما بين إخوة الرضيعين نظر

ونقلوا عن جملة الأصحاب … تسوية الأسباب بالأنساب

في علقة حفّت بها المصاهرة … لا شبهة عن الرضاع صادرة

فالفحل والرضيع في الحكم تعدّ … أزواجهم لوالد ومن ولد

وأمّ زوجة رضاعا كالنسب — والأخت أخت منه إن جمعا طلب
وبنت أخت وأخ بمقتضى — أصليهما يطلب فيهما الرّضى
الزوج والزوجة أيّ ارتضع — من جدّة الآخر فالحلّ امتنع
أو أمّ كلّ منهما أو أخته — أو بنت أخت أو أخ أو بنته
أو زوجة ابن أو أب بشرط أن — يكون في الرضاع منهما اللبن
وضابط التحريم إن زوج رضع — درّ من الأخر ولده منع
إرضاع إحدى الزوجتين الأخرى — محرّم قبل الدخول الكبرى
وبعده كليهما والصغرى — تأخذ نصف مهرها أو مهرا
وفرضه بين ثلاث ذو صور — في أربع منها مجال للنظر
من أنّ أقسام التعاقب انحلت — عن أمّ أو بنت لزوجة خلت
إن زوجتي زيد بشير نكحا — أو زوجة الآخر كلّ أنكحا
فأرضعت صغيرهما كبيرهما — يحرم عليهم مطلقاً كبيريهما
وتحرم الصغرى على من رخلا — على تردّد بنحو ما خلا
ومرضع لزوجها تمنع من — قد أرضعت ومن له كان اللّبن
لو أرضع الثلاث من ربائبه — ثلثا انفسخن أو حرمن به
يحرمن عيناً إن دخول اتّفق — وقبله جمعاً إن الفحل اتّفق
بعد انفساخ عقدهنّ جمعا — مرتّبات ارتضعن أو معاً
وفي انتفاء الأمرين والمعاقبة — ما في سوى الأولى لفسخ شائبة
يبين زوجتا امرء إحداهما — قد أرضعت من أبوي أخراهما
ومثله الرضاع من أولادها — لا من أخ أو أخت أو أجدادها

٢ ـ **رسالة في حجيّة الظن:** كانت موجودة في مكتبة السيّد حسن الصدر رحمه الله.

٣ ـ **أثرة العترة:** وهو كتاب فقهي استدلالي.

٤ ـ **عترة العترة:** وهو ملخّص (أسرة العترة).

٥ ـ **المستطرفات:** كتاب مشتمل على مسائل فقهيّة لم يتعرّض لها الفقهاء من قبله.

٦ ـ **القسطاس المستقيم:** في أصول الفقه.

٧ ـ **نكت الرجال:** وهو عبارة عن تعليقة على رجال أبي علي (منتهى المقال)، يقول صاحب (المستدرك): يظهر منها طول باعه وسعة اطّلاعه ودقّة نظره، وقد دوّنها ابن ابن أخيه السيّد حسن الصدر رحمه الله. وقد رأى السيّد محسن الأمين رحمه الله حواشيه على رجال أبي علي في مكتبة الشيخ ضياء الدين النوري في طهران، وفي آخر النسخة: «**لمحرّره صدر الدين الموسوي عفي عنه**».

خليلي هل من وقفة بالمعاهد — لروعة محزون ولوعة واجد
وذكرى فقيد كان للقلب واحداً — وربّ فؤادٍ فاقدٍ غير واحد

وصلت فلمّا جاءك الصبُّ طائعاً　　هجرت فهل يوم الوصال بعائد
بعيشك هل شاهدت بعد افتراقنا　　من البين ما شاهدت أم لم تشاهدي
فعودي سليماً أسلموه إلى القرى　　وعودي على (شاك قليل العوائد)
أعيدي لجفني الغمض ثاني مرّةً　　لعلّ به طيف الخيال معاودي

٨ ـ **المجال في علم الرجال:** وقد أحال إليه في رسالته (حجيّة الظن)(١).

٩ ـ **تعليقة على (نقد الرجال) للتفرشي:** وهي موجودة على نسخته المخطوطة في مكتبة السيّد حسين الخادمي رحمه الله.

١٠ ـ **قرّة العين:** وهي رسالة في النحو وضعها لولده محمّد تقي، لم يأتِ فيها بشواهد العربيّة إلاّ من الآيات القرآنيّة، وهي مطبوعة. [قال تلميذه الميرزا محمّد هاشم الإصفهاني الخونساري واصفاً إيّاها في الكرّاسة التي كتب فيها ترجمة نفسه، كما في جاء في (أحسن الوديعة) لابن أخيه: «**إنّها مع صغر حجمها تفوق على المغني مع طوله وبسطه، وكما أنّ الصمديّة تناسب فهم المبتدئ، فهذه الرسالة توافق إدراك المنتهي**»](٢).

١١ ـ رسالة في شرح مقبولة عمر بن حنظلة.

١٢ ـ **قوت لا يموت:** وهي رسالة بالفارسيّة لمقلّديه.

١٣ ـ رسالة في مسائل ذي الرئاستين.

١٤ ـ التعليقة على كتاب (التسهيل) في النحو، لأبي عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه المعروف بابن مالك النحوي، المتوفّى سنة ٦٧٢هـ.

١٥ ـ التعليقات على كتاب (منتهى أمل الأريب من كلام مغني اللبيب)، تأليف: الشيخ أحمد بن محمّد بن على، المشهور بابن ملاّ الحلبي المتوفّى سنة ٩٧٩. وقد رأى صاحب الروضات المجلد الأوّل من شرح المغني لابن ملاّ بخطّ المصنّف وعليه حواشٍ كثيرة من «**شيخنا العلاّمة السيّد صدر الدين**».

١٦ ـ حاشيته على شرح القطر (قطر الندى) كتبها وهو ابن سبع سنين.

١٧ ـ ديوان الأشعار.

١٨ ـ **رسالة في أحوال ابن أبي عمير:** ذكر الميرزا التنكابني رحمه الله أنّ لديه نسخة منه(٣).

١٩ ـ **رسالة في الوقف:** لم تذكر هذه الرسالة في شيء من كتب التراجم، وهي موجودة في المكتبة الرضويّة برقم (١٣٢٥١)(٤).

---

(١) وقد ذكرت أيضاً في: الذريعة ١٩: ٣٥٢.
(٢) ما بين [] من: أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ٢٠٩، وتجده في (بغية الراغبين)..
(٣) انظر بهذا الخصوص: قصص العلماء: ٣٣١.
(٤) انظر حول مصنّفاته: الذريعة ١: ١١٢، ٦: ٣٩، ٦: ٢٢٣، ٩: ٦٠٣ (ج٢)، ١٧: ٨٠ ؛ منظومة في الرضاع.. الأرجوزة الرضاعيّة وشرحها: ٢١ ـ ٢٤.

٢٠ ـ شرح (شرح ابن الناظم)[1].

من حكاياه

١ ـ سمع السيّد حسن الصدر من الشيخ الشيخ صادق ابن الشيخ محسن الأعسم النجفي: أنّ الشيخ محمّد حسن صاحب (الجواهر) والشيخ حسن ابن شيخ الطائفة الشيخ جعفر كاشف الغطاء كانا لمّا جاء السيّد صدر الدين من إصفهان إلى النجف الأشرف [يعاملانه] معاملة الأستاذ و[يجلسان] بين يديه جلسة التلامذة، وهما يومئذٍ شيخا الإسلام في النجف، ولعلّهما ممّن تلمّذ عليه.

٢ ـ وقال الشيخ صادق: وكنتُ يوماً عند الشيخ صاحب (الجواهر) فجاء السيّد صدر الدين، فلمّا أشرف علينا ركض الشيخ واستقبله وأخذ بإبطه حتّى جاء به وأجلسه في مكانه وجلس بين يديه. وفي الأثناء جرى ذكر اختلاف الفقهاء، فأخذ السيّد يبيّن اختلاف مسالك الفقهاء في الفقه وشرع في بيان طبقاتهم من الصدر الأوّل إلى عصره وبيّن اختلاف مسالكهم واختلاف مبانيهم بما يبهر العقول، حتّى قال الشيخ صاحب (الجواهر) بعدما خرج السيّد: «**يا سبحان الله السيّد جالَسَ جميع طبقاتهم وبحث معهم ووقف على خصوصيّات أمذقتهم ومسالكهم، هذا والله العجب العجاب، ونحن نعدّ أنفسنا من الفقهاء، هذا الفقيه المتبحّر**».

٣ ـ وقال أيضاً: ودخلتُ يوماً [إلى] الصحن الشريف فرأيت السيّد صدر الدين مقبلاً والشيخ صاحب (الجواهر) آخذاً بإبطه والشيخ حسن صاحب (أنوار الفقاهة) آخذاً بإبطه الآخر لأنّ في السيّد أثر الفالج، وهذا يدلُّ على جلالة السيّد في نظر الشيخين في مرتبة الأساتذة العظام.

٤ ـ ونقل السيّد حسن الصدر رحمه الله كذلك عن الشيخ عبد العالي الإصفهاني النجفي أنّه شاهد السيّد صدر الدين في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك جالساً خلف الضريح بعد الزيارة يقرأ دعاء السحر حتّى وصل إلى قوله: «**إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك**»[2]، وكرّرها مراراً وهو يبكي حتّى أغمي عليه فحملوه من الحرم وهو على تلك الحال.

٥ ـ وكان رحمه الله كثير المناجاة، ومن مناجاته أبياتٌ يقول فيها:

رضاك رضاك لا جنّات عدنٍ وهل عدنٌ تطيب بلا رضاكا

٦ ـ ومن حكاياه ما قيل من أنّه اتّفق أن حضر مجلس عزاء عن الإمام الحسين عليه السلام، فدخل أحد أولاد الملوك وجلس، وكان قد حلق لحيته، فقال السيّد: «**إنّ حلق اللحية من شعار المجوس، وصار من عمل أهل الخلاف، والرجل قد حلق لحيته وجاء في هذا المجلس الذي عقد لعزاء سيّد الشهداء، وأنا أخاف أنْ إذا صعد الذاكر الراثي على المنبر وهذا الرجل جالسٌ أن يسقط علينا السقف فنهلك**». فوقعت ولولةٌ بين أهل المجلس والرجل (شاه زاده) ـ أي ابن الملك ـ لا يجسر أحدٌ على التكلّم معه في القيام من المجلس، وقد غضب السيّد صدر الدين حتّى وقف شعر حاجبيه كما هي عادته، فأراد صاحب

(١) الذريعة ١٣: ٣٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٩٥: ٣٩.

الدار قطع الكلام، فأشار إلى الراثي أنْ قم واصعد المنبر وخذ بالقراءة حتّى ينقطع الكلام، فصعد الذاكر المنبر، وبمجرّد أن قال: «**السلام عليك يا أبا عبد الله**» قام السيّد صدر الدين وقال: «**أخاف من سقوط السقف عليّ**».

فلمّا قام ووضع رجله خارج السقف نزل السقف وصار العجاج، وأكبَّ الناس على أقدامه وكسرت أكتاف بعض الناس. حتّى أنّ خادمه السيّد محمّد (العلاقه بند) إذا أُخبر بانعقاد مجلس فيه الملاهي، يذهب للنهي عن المنكر، فإذا قالوا لهم: «**إنّ خادم السيّد صدر الدين فلان قد جاء**» يقولون: «**تفرّقوا فإنّ السقف ينزل علينا لا محالة**».

وفاته

مرض في أواخر حياته، فآثر الوفاة قرب المشاهد المشرّفة، ورحل إلى النجف منفرداً شادّاً الرحال إليها من إصفهان في أواخر شوّال من سنة (١٢٦٣هـ)[١]. حطّ رحاله بالكاظميّة في أوائل ذي الحجّة من تلك السنة. وبعد زيارة الكاظمين الجوادين عليهما السلام في الكاظميّة والعسكريّين عليهما السلام في سامرّاء، انتقل إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ إلى النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام. وما إن حطّ رحاله في النجف الأشرف حتّى قضى نحبه ليلة الجمعة (١٤/محرّم الحرام/١٢٦٤هـ) (١٨٤٧/١٢/٢٣م)، وقيل في أوّل ليلة جمعة من شهر صفر/١٢٦٣هـ (١٨٤٧/١/٢١م) بعد أن كان قد أخبر أخاه السيّد أبو الحسن بوفاته في أوّل صفر[٢]. وقد نقل السيّد حسن الصدر عن السيّد محمّد علي ابن السيّد أبو الحسن (أخي السيّد صدر الدين) أنّ عمّه السيّد صدر الدين كان يحدّثهم بأحاديث الفراق حتّى ذاكره السيّد أبو الحسن في ذلك، فقال:

ستفقدني قومي إذا جدّ جدّها ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ[٣]

ثمّ قال: «**قوموا إلى فراشكم وناموا**»، فقام أخوه السيّد أبو الحسن وبقي نجله السيّد محمّد علي، فقال له السيّد صدر الدين: «**ما تقرأ؟**»، فقلت: «**شرح ابن الناظم على الألفيّة**»، فقال: «**إلى أيّ موضع وصلت منها؟**»، فقال: «**بحث ال**»، فقال: «**ابن مالك يقول:**

ال حرف تعريف أو اللام فقط ... فنمطٌ عرّفتَ قل فيه النمط[٤]

وأنا أقول في ألفيّتي:

---

(١) في تكملة أمل الآمل: ٢٤٠ أنّ ذلك كان سنة ١٢٦٢هـ.

(٢) تكملة أمل الآمل: ٢٤٠، ولكنّ السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله يخطّئ هذا القول ويقول: إنّ الصحيح ١٢٦٤ لا ١٢٦٣هـ.

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني في قصيدته (ديوان أبي فراس الحمداني: ١٢٩، ١٣٣) مع بعض اختلاف:

أراك عصيَّ الدمع شيمتك الصبرُ ... أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

......

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

(٤) شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك ١: ١٦٧ (بيت: ١٠٦). وفي تكملة أمل الآمل: ٢٤١: «كالطرس ذي الخط المليح والنقط» مكرّراً، وهو اشتباه بينه وبين بيت السيّد صدر الدين.

ال هـي للتعريـف لا الـلام فقـط | كـالطرس ذي الخـطّ المليح والـنقط

بيّن الفرق بين البيتين»، فأخذ السيّد محمّد علي ببيان الفرق، فقال له: «**لا، قم واكتب الفروق**»، فعرف أنّه يريد منه أن يقوم من عنده، فقام وخرج وأخذ في كتابة الفرق، فسمع عمّه يقول: «**الله، الله**» ثمّ قال: «**لا إله إلاّ الله**»، فأسرع فأيقظ والده وأخبره بذلك، فلمّا جاءوه وجدوه قد توجّه إلى القبلة وقد قضى نحبه.

ولمّا كان آخر الليل طرق الباب طارقٌ، ففتحوا له، فإذا هو سيّد من الأجلاّء يعرفونه فقال: «**السيّد صدر الدين توفّي**» فقالوا: «**نعم**»، فقال: «**إنّ قبره مهيّاٌ في حجرة الصحن الشريف عند باب الفرج**»، فتعجّبوا من ذلك. وقد صلّى عليه الشيخ محمّد بن علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله، ودفن في بعض حجرات الصحن الحيدري، [ويعتبر السيّد صدر الدين رحمه الله بوّاب باب السلطاني في الحرم الحيدري، بينما يعدّ الشيخ حسين نجف والشيخ الأنصاري رحمهما الله بوّابَي باب القبلة، والشيخ الآخوند الخراساني والميرزا حبيب الله الرشتي رحمهما الله بوّابَي باب الساعة، والشيخ الطوسي والميرزا الشيرازي والسيّد الطباطبائي والسيّد محمّد كاظم اليزدي رحمهم الله بوّابي باب الطوسي][1]، ثمّ دفن إلى جانبه الميرزا مسيح المتوطّن بطهران بعد أن توفّي في السنة نفسها. وقد أرّخ وفاة السيّد الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق ابن الشيخ إبراهيم يحيى العاملي فقال:

لله أيّ جليـل خطـب ثـل مـن | جنبـات ركـن الـدين كـلّ حـصين
وملمّـة عمّـت وخـصّت كـلّ ذي | فـضل وعلـم فـي الأنـام طبـين
لمـضيّ عـلاّم الـورى مـن لـم يـزل | فـي الـشرع خير مجاهـد وأمـين
نجـل النبـي وربّ فـضل يكتفـي | بوضـوحه عـن كلفـة التبيـين
ألـوى عـن الـدنيا الدنيـة فـائزاً | ومـسارعاً لعنـاق حـور العـين
مـذ غـاب فـردّ الـدهر قلت مؤرخـاً | بكـت البرايـا رزء صـدر الـدين

وله أيضاً في رثائه:

آهـاً ولـم يـشف داءً في الجوى آهـا | واهاً ولم يطف ناراً في الحشى واهـا
أقوى فؤادي وصرف الـدهر جار ومـا | أبقـى علـى مهجـة مـا كـان أقواهـا
وسـامني خطّـة البلـوى وجرّعنـي | مـن صـاب هائلـة الأوصـاب أرواهـا
غـداة زمـت ركـاب الظـاعنين علـى | رغمـي وأقفـر بعـد البـين مغناهـا
بـانوا وقـد نزلـوا أقصى الـضمير فمـا | أقـصى منـازلهم منّـي وأدناهـا
لا الصبر من بعـدهم بـاق وقـد رحلـوا | ولا المـدامع راق فـيض مجراهـا
وربّ قائلـة مـا أنـتَ أوّل مـن | مـسّته مـن نـوب الأيّـام أدهاهـا
خفض عليك الأسى واحفظ لنفسك مـا | عليـك مـن حـرج لـو كنت ترعاهـا
فقلت هيهات غاض الصبر إذ غـدرت | يـد الليـالي بمولانـا ومولاهـا

(١) ما بين [] من: مرآة الشرق ١: ٦٨٧.

صدر الأئمّة (صدر الدين) خاتمة الأعـ ـلام أعلى الورى جاهاً وأقواها
وسيّد الملّة الغرّاء قطب مدا ر الشرع أزكى بني الدنيا وأتقاها
زاك تفرّع من زاك وشمس هدىً لكنّها لم توار الحجب مسراها
بقيّةُ العزّ من أبناء فاطمة والمرتضى حيدَر والمصطفى طه
عجبت من جدث واراه كيف حوى ذاتاً يحك مناط النجم علياها
ليس الفضائل والتّقوى سوى جُمَل مذ ركّبت كان صدر الدين معناها
إن يقصر الخلف عن إدراك واضحها فنور ثاقبها الوضّاح أخفاها
كالشمس راد الضحى ردّت أشعتها أبصار من رام في الأفاق مرآها
أو يجهل الدهر قدراً لابن فاطمة فتلك شنشنة منه عرفناها
مضى إلى الله برّاً زاكياً علماً مطهّر الذات أوّاباً وأوّاها
واختار آخرة تبقي فخار له إلهه من جنان الخلد أعلاها
وحسبنا عنه سلواناً بذي همم علياء ليس ينال الدهر أدناها
صنو العُلى صنوه الزاكي أبو حسن أوفى البريّة إنعاماً وأنداها
بدر العلوم وأهل العلم مرجعها طرّاً وسيّدها الأعلى مفدّاها
وبابنه العلم المفضال ((مجتهد)) من حلّ من رتب العلياء أسناها
ولم تزل صلوات الله دائمة يهدى لمرقد صدر الدين أزكاها

زوجاته

كان للسيّد صدر الدين ثلاث زوجات: **١ ـ** كريمة الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وهي والدة ابنه محمّد علي (آقا مجتهد)، [وقد صاهره على ابنتها الميرزا محمّد هاشم الموسوي الخونساري رحمه الله][(١)]. **٢ ـ** كريمة السيّد أبو الحسن خوشمزه الإصفهاني النجفي. **٣ ـ** تزوّج ثالثة في يزد. **٤ ـ** سيّدة إصفهانيّة من آل النمازي، وهي والدة السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله[(٢)].

أولاده

ذكر أنّه خلّف سبعةً من الأولاد وبنتاً، والأولاد هم: **١ ـ** محمّد تقي (و: ٨/شوّال/١٢٣٨هـ). **٢ ـ** علي (و: ١٢٤٠هـ). **٣ ـ** محمّد علي (آقا مجتهد) (١٢٥٠ ـ ١٢٨٠هـ)[(٣)]. **٤ ـ** أبو الحسن (١٢٤٣ ـ ١٣١٤ هـ). **٥ ـ** حسين (١٢٥٠ ـ ١٣٢٧هـ). **٦ ـ** السيّد أبو جعفر. **٧ ـ** إسماعيل (١٢٥٥ ـ ١٣٣٨هـ)، وأضيف إلى أبنائه السيّد إسماعيل الذي توفّي صغيراً قبل ولادة السيّد إسماعيل المعروف.

---

(١) ما بين [] من: أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ١٤٦، ٢٠٩.

(٢) ذكر لي ذلك هاتفيّاً السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠٠٤م ؛ وانظر: منظومة في الرضاع.. الأرجوزة الرضاعيّة وشرحها: ١٩.

(٣) عُرف هذا السيّد بـ(آقا مجتهد)، وسبب هذه التسمية أنّه عندما كان في السابعة من عمره تكلّم معه الميرزا حسن إمام جمعة إصفهان في تفسير بعض الآيات في محضر والده السيّد صدر الدين، فالتفت الميرزا حسن إلى السيّد صدر الدين سائلاً: «آقا مجتهد است؟!»، أي: «هل السيّد مجتهد؟!»، فعرف بـ(آقا مجتهد) (تكملة أمل الآمل: ٣٨٥ ـ ٣٨٦).

كما عدّ له ستّ بنات لا واحدة، الأربع الأوائل منهنّ بنات كريمة الشيخ كاشف الغطاء، وهنّ: ١ ـ حبيبة: زوجة الميرزا محمّد هاشم چهار سوقي. ٢ ـ زمزم: زوجة الشيخ محمّد باقر مسجد شاهي ابن الشيخ محمّد تقي صاحب (هداية المسترشدين). ٣ ـ زهراء: ولها تعليقة على شرح اللمعة، زوجة المولى صالح الجويباري. ٤ ـ فاطمة: زوجة الميرزا محمّد تقي خاتون آبادي. ٥ ـ فاطمة (الثانية) من زوجته الثانية، وهي زوجة الشيخ عبد الهادي القاضي بيد آبادي الإصفهاني. ٦ ـ مريم: زوجة الشيخ محسن الدزفولي[1].

ـ ٣ ـ

إسماعيل (السيّد الصدر)

المعروف بالسيّد الصدر. ولد في إصفهان سنة (١٢٥٥هـ)[2]، وأمّه كريمة السيّد خوش مزّه على ما يبدو، وليست كريمة الشيخ كاشف الغطاء بالتأكيد.

نشأ بإصفهان في ظلّ والده السيّد صدر الدين ورعايته، وعندما بلغ التاسعة من عمره أصيب بأبيه، فاحتضنه أخوه الأكبر لأبيه السيّد محمّد علي (آقا مجتهد) ـ وهو ابن كريمة الشيخ كاشف الغطاء ـ حتّى بلغ التاسعة عشر من عمره حين أصيب بأخيه المذكور.

بعد رحيل أخيه وقف على الشيخ محمّد باقر نجل الشيخ محمّد تقي الإصفهاني ـ وهو ابن خالة آقا مجتهد وزوج أخته ـ فعني بأمره واهتمَّ بشؤونه حتّى صرّح الشيخ بأنّه أحرز ملكة الاجتهاد.

هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٨١هـ) ليدرك بحث الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، ولكنّه فوجئ لدى وصوله إلى كربلاء بوفاته، فواصل طريقه نحو النجف وحضر مآتم الشيخ

---

(١) انظر ترجمته مشتّتةً في: روضات الجنّات ٤: ١٢٢ ـ ١٢٥ ؛ تكملة أمل الآمل: ٢٣٥ ـ ٢٤٤ ؛ أعيان الشيعة ١٤: ١٨٢ ـ ١٨٥ ؛ بغية الراغبين ١: ١٤٧ ـ ١٦٨ ؛ رجال السيّد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجاليّة ١: ٦٨ ؛ الكنى والألقاب ٢: ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ؛ سفينة البحار ٥: ٦٢ ـ ٦٣ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ٢: ٦٦٨ ـ ٦٧٠ ؛ مصفّى المقال في مصنّفي علم الرجال: ٢٠٣ ؛ الذريعة ١: ٥٧ و٦: ٢٢، ٢٧٨ و١٠: ٢٢٥ و١٣: ٧١ و١٧: ٧١ و٢٤: ٣٠٤ ؛ تذكرة القبور.. يا دانشمندان وبزرگان اصفهان (فارسي): ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ تاريخ علمى واجتماعى اصفهان (فارسي) ١: ٢١٥ ـ ٣٠٩ ؛ ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب.. يا كنى والقاب (فارسي) ٣: ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ؛ فوائد الرضويّه.. زندگانى علماى شيعه (فارسي): ٢١٤ ـ ٢١٥ ؛ مكارم الآثار در احوال رجال دوره قاجار (فارسي) ١: ٧ ـ ١٠ ؛ نجوم السماء في تراجم العلماء: ٤١٩ ؛ ؛ نجوم السماء (التتمّة، فارسي) ١: ٤٦٣ ؛ نجوم السماء في تراجم العلماء (ط.ج): ٤٤٦ ؛ أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ٢٠٨ ـ ٢١١ ؛ منظومة في الرضاع.. الأرجوزة الرضاعيّة وشرحها: ٣ ـ ٢٦ ؛ المشيخة أو الإسناد المصفّى إلى آل المصطفى: ٢٣ ـ ٢٤ ؛ هديّة العارفين.. أسماء المؤلّفين والمصنّفين ٢: ٣٧١ ؛ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١: ٧٧ ؛ هديّة الأحباب: ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ؛ معجم المؤلّفين.. تراجم مؤلّفي الكتب العربيّة ١٠: ٨٦ ؛ أسرة آل الصدر: ١٧٦ ـ ١٨٣ ؛ مقدّمة قرّة العين في النحو: ١٤ ـ ٢٣ ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ١٦ ـ ٢٠ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٧٥٤ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤ ـ ٢٦ ؛ أبناء وأحفاد الأئمّة: ٣٠٥ ـ ٣١٠ ؛ موسوعة المقاومة اللبنانيّة ١: ٣٤. وقد ورد ذكر والدته في: تراجم أعلام النساء ١: ٢٧٩ ؛ وهو ممّن أهملت ترجمتهم بصورة مستقلّة في: مرآة الشرق ١: ٤٧، وورد ذكره في المصدر نفسه: مرآة الشرق ١: ٥٢١، ٥٣٨، ٢: ١٣٧٥.

(٢) قيل: ١٢٥٨ هـ.

واتّصل بأكابر العلماء من تلامذة الأنصاري، فعكف على دروس الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي في الفقه والأصول، كما وقف في الفقه على الشيخ راضي بن محمّد آل خضر النجفي والشيخ مهدي حفيد الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء.

حجّ في تلك السنة بيت الله الحرام بعزيمة من أخته ابنة السيّد صدر الدين وزوجة أستاذه الشيخ محمّد باقر الإصفهاني. وقد فتك الوباء بالحجيج في ذلك العام فقضى على شقيقته، وأشفى هو على الخطر إلى أن شفي، فأتى النجف ناقهاً سنة ١٢٨٢هـ ولزم أساتذته الثلاثة.

يوم الجمعة غرّة صفر/١٢٨٣هـ (١٨٦٦/٦م) أجازه صاحب (جامع الشتات).

تأهّل في منتصف شعبان من سنة (١٢٨٧هـ) في الكاظميّة بالسيّدة [صفيّة] كريمة ابن عمّه أبي الحسن الهادي ابن السيّد محمّد علي ابن السيّد صالح، وكانت لا تزال طفلة فتولّت أمّه تعليمها حتّى أتقنت ما يلزم للحياة.

وكان السيّد إسماعيل عديلاً للسيّد يوسف شرف الدين والد السيّد عبد الحسين الذي تزوّج أختها زهراء، وكان زفافهما في ليلة واحدة. كما كان عديلاً للشيخ عبد الحسين آل ياسين الذي تزوّج أم المشايخ.

مرض سنة (١٢٩١هـ) من شدّة انصرافه إلى تحصيل العلم فألزمه الأطبّاء بتغيير الهواء، فانتقل إلى إصفهان حيث لاقى ترحيباً مهيباً. وقد تأذّى من شدّة الحفاوة التي حظي بها عند أهل إصفهان، فتركها دون أن يشعر به أحد حتّى أتى العراق، ونزل في النجف الأشرف.

وفي أواخر شعبان/١٢٩١هـ كان المجدّد الشيرازي قد انتقل إلى سامرّاء[1]، وعندما علم بوصول السيّد إسماعيل إلى النجف دعاه إليه فلبّى نداءه مهاجراً.

توفّيت والدته سنة ١٢٩٩هـ. وسنة ١٣٠١هـ[2] سافر إلى مشهد الإمام الرضا للزيارة، وقد لقيه في بعض المنازل ــ وهو قافلٌ من خراسان ــ حيوانٌ يقال له (غريب گزيا)، فاعتلّ مزاجه حتّى أشفى على الخطر، ولكنّه شفي فأتى سامرّاء ناقهاً.

بقي السيّد إسماعيل في سامرّاء إلى سنة ١٣٠٨هـ حين توفّي الشيخ محمّد حسين الإصفهاني ابن أخته وزوج ابنة أخيه (آقا مجتهد)، وكان قد خلّف ابنه الرضا طفلاً، فأتى النجف لإنجاز مهمّات العائلة فهرع إليه روّاد العلم يبتغون بقاءه، لكنّ أستاذه المجدّد الشيرازي أبى عليه وعليهم لأنّه كان يريده إلى جانبه ليقوم بأعباء التدريس بدلاً عنه إلى جانب السيّد محمّد الإصفهاني الفشاركي والميرزا محمّد تقي الشيرازي، فكتب إليه يستحثّه على الرجوع إلى سامرّاء، وقد وافاه كتاب أستاذه في ١٥/شعبان/١٣٠٩هـ (١٨٩٢/٣/١٥م).

وفي عام (١٣١٢هـ) انتقل السيّد المجدّد الشيرازي إلى جوار ربّه، فرجع إليه الناس. وكان السيّد محمّد رضا آل فضل الله الحسني العاملي العيناثي قد قال في رثاء المجدّد الشيرازي:

---

(١) انظر: تقريرات الميرزا الشيرازي ١: ٢٨.

(٢) في: أعيان الشيعة: ١٣٠٠هـ.

لو لم يكن صدر هذا الدين يخلفه ظلاًّ على حين لا فرع ولا شجرُ
لاستفحل الغيُّ والإضلالُ أضرمها ناراً ينم على ضوضائها الشررُ
طودٌ ثقيلُ الضواحي في أظلّته والمستنون إذ الرمضاء تستعرُ
كنز المؤمّل زاد السفر بهجتهم ذخر الوفود الذي تشقى به الجزر
يرى أنّه إن جاء يوماً بغفلة هي الكفر أو قد كان من دونها الكفر
ما أطلق الطرف يوماً في مناظرهً إلاّ وقد نال كنز العبرة النظرُ

ولم يمضِ إلاّ سنتان حتّى خرج سنة (١٣١٤هـ) من سامرّاء إلى كربلاء فلحقه تلامذته ومنهم الميرزا النائيني رحمه الله ومعه جمعٌ غفيرٌ من العلماء من تلامذته ومريديه، فانفرد في المرجعيّة هناك، [وكان عمدة أصحاب أستاذه الشيرازي رحمه الله متّفقين يومئذ على أورعيّة السيّد إسماعيل رحمه الله وتقدّمه، وكانوا متّفقين في الدعوة إليه، ومنهم المحدّث حسين النوري رحمه الله ويره من الأعلام. وقد كتب الميرزا النوري رحمه الله بعد جملة كلام له إلى أهالي مراغة جواباً عن كتابهم إليه في تعيين المرجع بعد الشيرازي ـ والموجود عندهم إلى اليوم عينُ كتابه ـ : «**هر كه را درد دين است متعيّن همين است**»][1]. وقد ترك في كربلاء درسه العام وصار يدرّس في دار بعض الخواص من تلامذته طمعاً في تعميق البحوث العلميّة التي يطرقها. وكانت المرجعيّة تتوزّع بين الميرزا الشيرازي رحمه الله في سامراء والسيّد إسماعيل الصدر رحمه الله في كربلاء وشيخ الشريعة رحمه الله في النجف. وهذا ما يفسّر الرسالة التي كتبها الميرزا الشيرازي رحمه الله إلى رئيس الوزراء في إيران حينذاك مطالباً إيّاه بإلغاء المعاهدة مع الإنجليز ورسالته التي كتبها إلى رئيس الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فإنّ الميرزا الشيرازي رحمه الله لم يشأ الانفراد فشاركه التوقيع في الأولى السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله وفي الثانية شيخ الشريعة الإصفهاني رحمه الله.

كان السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله عَلَماً من أعلام المسلمين، نقل أنّه ـ بالإضافة إلى كونه من أساطين الفقه ومحقّقي الأصول وحملة الحديث وعلومه ـ كان على اطّلاع واسعٍ على العلوم العقليّة من قبيل علم الكلام والفلسفة والرياضيّات وكذلك على علم الهندسة والهيئة والنجوم على النسق القديم، ولم يُعرف من أين أخذ هذه العلوم وعلى من تتلمذ فيها، ولم يكن يعرف أنّه مطّلع على هذه العلوم إلاّ عندما كان يتعرّض لها بالمناسبة ضمن أبحاثه الأصوليّة والفقهيّة.

تلامذته والراوون عنه

وقد تخرّج من مجلس بحثه عشرات العلماء منهم:

١ ـ السيّد أبو القاسم الدهكردي[2] الإصفهاني الذي صار فيما بعد من أكابر المراجع في إصفهان.

٢ ـ السيّد حسين ابن السيّد إبراهيم الفشاركي الإصفهاني الحائري.

٣ ـ الشيخ عبد الحسين آل ياسين رحمه الله عديله، [وقد أجازه بالاجتهاد إلى جانب الآخوند

---

(١) ما بين [] من: مرآة الشرق ١: ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) في بعض المصادر: «الدهكوري».

الخراساني][(١)].

٤ ـ الميرزا علي آقا الشيرازي ابن المجدّد الشيرازيرحمه‌الله.

٥ ـ السيّد علي السيستاني[(٢)] الذي صار من أكابر المراجع في مدينة مشهد في إيران.

٦ ـ الشيخ محمد حسين النائيني الذي يعدّ من أبرز المحقّقين الأصوليّين[(٣)].

٧ ـ آقا محمّد حسين الطبسي.

٨ ـ السيّد محمّد رضا البوشت مشهدي الكاشاني.

٩ ـ الشيخ عبّاس الهروي الخراساني المعروف بالحاج الفاضل.

١٠ ـ الشيخ محمّد هادي البيرجندي[(٤)].

١١ ـ الشيخ محمّد رضا آل ياسين.

١٢ ـ السيّد عبد الحسين شرف الدين.

١٣ ـ السيّد مهدي الطباطبائي الحكيم.

١٤ ـ السيّد أبو طالب الشيرازي.

١٥ ـ الشيخ أحمد الشاهرودي.

١٦ ـ الشيخ غلامحسين المرندي الإصفهاني[(٥)].

١٧ ـ الشيخ محمّد حسين بن محمّد خليل الشيرازي.

١٨ ـ السيّد محمود خليفة سلطاني التبريزي.

١٩ ـ الشيخ موسى الكرمانشاهي.

٢٠ ـ السيّد أسد الله الإصفهاني.

٢١ ـ الشيخ إبراهيم النوري.

٢٢ ـ السيّد حسن بن محمّد بن إبراهيم اللواساني[(٦)].

٢٣ ـ السيّد أبو القاسم الحسيني الجزائري التستري[(٧)].

٢٤ ـ الشيخ أبو المجد محمّد رضا النجفي الإصفهاني[(٨)].

٢٥ ـ الشيخ مجتبى القزويني[(٩)].

---

(١) ما بين [] من: موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق١: ٣٠٧.

(٢) في بغية الراغبين: «البستاني»، والصحيح ما أثبتناه. وهو جدّ السيّد علي السيستاني المرجع المعاصر، وهم منسوبون إلى منطقة سيستان في مدينةٍ مشهد لا إلى محافظة سيستان على ما قيل لي.

(٣) ورد تتلمذه عليه ـ إضافةً إلى مصادر الترجمة ـ في : فهرس التراث ٢: ٣٣٥.

(٤) في مكارم الآثار در احوال رجال دوره قاجار (فارسي) ٥: ١٥٦٧: محمّد باقر البيرجندي، وكذا في: (المسلسلات في الإجازات، المجموعة الثانية: ٩)، وفي آخر أنّ الشيخ هادي بن حسين بن محسن البرجندي سافر مع السيّد إسماعيل الصدررحمه‌الله إلى كربلاء بعد وفاة المجدّد الشيرازي (الذريعة ١٤: ١٥٢ ؛ شروح نهج البلاغة: ٩٠).

(٥) في هديّة الرازي إلى الإمام المجدّد الشيرازي: ٥٤: أبو الحسن المرندي النجفي الشاه عبد العظيمي المسكن.

(٦) هذا بالخصوص من: موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق١: ١٨٦.

(٧) موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٩١٢.

(٨) وقاية الأذهان: ٢٧ ؛ مستدركات أعيان الشيعة ٦: ١٦٥.

(٩) مستدركات أعيان الشيعة ٣: ١٨٦.

٢٦ ـ الشيخ محمّد تقي التنكابني[١].
٢٧ ـ الشيخ عيسى اللواساني[٢].
٢٨ ـ السيّد جواد السيّد محمّد علي الصدر ابن أخ المترجم له[٣].
٢٩ ـ السيّد محمّد مهدي الصدر، نجله[٤].
٣٠ ـ الشيخ محمّد علي بن حسن الهمداني السنقري الحائري[٥].
٣١ ـ كما أجاز الشيخ عبّاس بن حاجي الطهراني[٦].
٣٢ ـ وروى عنه بالإجازة السيّد محمود المرعشي والد السيّد شهاب الدين[٧].
٣٣ ـ وكذلك نجم العلماء السيّد نجم الحسن الأمروهوي اللكهنوي[٨]، ولعلّه السيّد نجم الحسين اللكنهوي[٩]، ولعلّه السيّد محمّد حسين ابن السيّد حسين الزيدي البارهوي اللكهنوي الذي عدّ من تلامذته[١٠].
٣٤ ـ الشيخ حبيب بن محمّد حسين بن إبراهيم المهاجر الشهير بآل إبراهيم العاملي[١١].
٣٥ ـ الشيخ حبيب الله الكاشمري الترشيزي الشهير بآية اللهي[١٢].
٣٦ ـ الميرزا حيدر قلي خان بن نور محمّد خان السردار الكابلي[١٣].
٣٧ ـ والسيّد راحت حسين بن السيّد طاهر حسين الرضوي الكوپالپوري الهندي[١٤].
٣٨ ـ السيّد عبّاس اللاري[١٥].
٣٩ ـ الشيخ عبد الحسين الحائري[١٦].
٤٠ ـ الشيخ محمّد ابن الحاج داوود ابن الحاج خليل خطيب الشمري الجشعمي[١٧].
٤١ ـ السيّد محمّد ابن السيّد محمّد حسين الحسيني الموسوي النجف آبادي الإصفهاني[١٨].

---

(١) مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢١٩.
(٢) مستدركات أعيان الشيعة ٧: ١٩٨.
(٣) موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق١: ١٦٧.
(٤) مستفاد من حادثة الثمرة الفقهيّة المدرجة في الكتاب ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ.
(٥) فهرس التراث ٢: ٤٣٢.
(٦) موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق١: ٢٩٠.
(٧) موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق١: ٢٩٠.
(٨) أعيان الشيعة ١٥: ١٠٣.
(٩) المسلسلات في الإجازات، المجموعة الثانية: ٤٤٠.
(١٠) مستدركات أعيان الشيعة ٧: ٢٥٢.
(١١) الإجازة الكبيرة: ٣٧.
(١٢) الإجازة الكبيرة: ٣٩.
(١٣) الإجازة الكبيرة: ٥٧.
(١٤) الإجازة الكبيرة: ٥٩ ؛ كتاب الزهد: ٤٥ (المقدّمة، طرق رواية السيّد المرعشي النجفي رحمه الله).
(١٥) الإجازة الكبيرة: ٦٧.
(١٦) الإجازة الكبيرة: ٧٢.
(١٧) الإجازة الكبيرة: ٩٩.
(١٨) الإجازة الكبيرة: ١٤٩.

٤٢ ـ الشيخ مهدي ابن الشيخ محمّد علي ثقة الإسلام ابن الشيخ محمّد باقر ابن الشيخ محمّد تقي الإصفهاني المسجد شاهي[١]، وإن كان أبوه هو الذي عدّ من تلامذة السيّد إسماعيل رحمه الله في مصادر أخرى[٢].

٤٣ ـ الميرزا حسن الحائري[٣].

٤٤ ـ السيّد هبة الدين الشهرستاني[٤].

٤٥ ـ السيّد محمّد مولانا التبريزي[٥].

وللسيّد إسماعيل الصدر رحمه الله إجازة من الشيخ الميرزا محمّد بن عبد الوهاب بن داوود الهمداني الكاظمي، تاريخها ١٢٨٣هـ، مثبتة في آخر كتاب (جمع الشتات في ذكر صور الإجازات) للميرزا المذكور[٦].

يُشار استطراداً إلى أنّ السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله قد لقّب الشيخ راضي بن حسين الخالصي أخا الشيخ مهدي الخالصي المعروف بـ(فقيه الكاظميّة)، وكان السيّد رحمه الله من تلامذته[٧]، كما أنّه أقام في أذن السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي عند ولادته سنة ١٣١٥هـ[٨].

مؤلّفاته

١ ـ له تقريرات في المسائل الأصوليّة والفقهيّة كتبها السيّد مهدي الطباطبائي الحكيم رحمه الله بصفة الشرح على منظومة الشيخ موسى شرارة العاملي في الأصول. ومنها تقريرات في الفقه والأصول كتبها بعض الأفاضل من كربلاء في الأرض الخراجيّة ومنجّزات المريض ومسألة اللباس المشكوك وكثير من مسائل البراءة والاستصحاب وغير ذلك.

٢ ـ **الشبهة العبائيّة أو استصحاب الفرد المردّد:** لم تُذكر ضمن مؤلّفاته لأنّها ليست مؤلَّفاً، بل هي شبهة طرحها السيّد إسماعيل رحمه الله في مبحث العلم الإجمالي من علم الأصول وتداولها العلماء.

ذكر هذه الشبهة المحقّق آقا ضياء الدين العراقي[٩]، المحقّق النائيني[١٠]، السيّد الخوئي (حيث ذهب إلى انبغاء تبديل اسمها إلى (التحقيق العبائي) بدل الشبهة العبائيّة)[١١].

كما تعرّض لها كلٌّ من: الشيخ محمّد رضا المظفّر[١٢]، السيّد حسن الموسوي[١٣]، الميرزا هاشم

---

(١) الإجازة الكبيرة: ٢٢٨.

(٢) مستدركات أعيان الشيعة ٧: ٢٦٠.

(٣) المسلسلات في الإجازات، المجموعة الثانية: ٢٦٣.

(٤) المسلسلات في الإجازات، المجموعة الثانية: ٣٣٣.

(٥) المسلسلات في الإجازات، المجموعة الثانية: ٣٩٠.

(٦) الذريعة ٥: ١٣٨، ١١: ٢٥.

(٧) انظر: أعيان الشيعة ١٠: ٢٧٨ (ترجمة الشيخ راضي)؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٨١٦.

(٨) الإجازة الكبيرة: ٥١٩.

(٩) نهاية الأفكار ٤: ١٣٠.

(١٠) أجود التقريرات ٤: ٩٤؛ فوائد الأصول ٤: ٤٢٢.

(١١) الهداية في الأصول ٤: ١٠٣؛ دراسات في علم الأصول ٤: ١٠٧؛ مصباح الأصول ٣: ١٠٩.

(١٢) أصول الفقه ٤: ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(١٣) منتهى الأصول ٢: ٤٤٦.

الآملي[١]، السيّد الخميني[٢] ونجله السيّد مصطفى[٣]، السيّد محمّد الروحاني[٤] وأخوه السيّد محمّد صادق[٥]، السيّد محمّد جعفر المروّج[٦]، السيّد الصدر حيث قال: «..**الشبهة المعروفة بالشبهة العبائيّة، وهي شبهة أثاره جدّنا السيّد إسماعيل الصدر قدّس سرّه كنقض على استصحاب الكلّي من القسم الثاني**»[٧]، والسيّد محمّد سعيد الحكيم[٨].

فقد نقل أنّه زار النجف الأشرف أيّام الشيخ الآخوند الخراساني رحمه الله فأثار في أوساطها العلميّة مسألة تناقلوها وصارت عندهم موضعاً للرد و البدل واشتهرت بالشبهة العبائيّة.

و حاصلها أنّه لو وقعت نجاسة على أحد طرفي عباءة ولم يعلم أنّه الطرف الأعلى أو الأسفل، ثمّ طهّر أحد الطرفين وليكن الأسفل مثلاً، فإنّ تلك النجاسة المعلومة الحدوث تصبح نفسها مشكوكة الارتفاع فينبغي أن يجري استصحابها، بينما أنّ مقتضى جريان استصحاب النجاسة في هذه العباءة أن يحكم بنجاسة البدن مثلاً الملاقي لطرفي العباءة معاً، مع أنّ هذا اللازم باطل قطعاً بالضرورة، لأنّ ملاقي أحد طرفي الشبهة المحصورة محكوم عليه بالطهارة بالإجماع، وهنا لم يلاق البدن إلاّ أحد طرفي الشبهة وهو الطرف الأعلى، وأمّا الطرف الأسفل ـ وإن لاقاه ـ فإنّه قد خرج عن طرف الشبهة حسب الفرض بتطهيره يقيناً، فلا معنى للحكم بنجاسة ملاقيه.

والنكتة في الشبهة ّأن هذا الاستصحاب يبدو من باب استصحاب الكلّي من القسم الثاني، ولا شكّ في أنّ مستصحب النجاسة لا بدّ أن يحكم بنجاسة ملاقيه، بينما أنّه هنا لا يحكم بنجاسة الملاقي، فيكشف ذلك عن عدم صحّة استصحاب الكلّي القسم الثاني[٩].

٣ ـ مفتاح الهداية: فارسي في أصول الدين والفروع، إلى كتاب النذر والعهد واليمين لتلميذه السيّد محمود المرعشي التستري. طبع بالهند ترجمته بلسان الأردو[١٠].

٤ ـ (راه راست): وهو مختصر (مفتاح الهداية) وترجمة (الصراط المستقيم)، وهو رسالة بالفارسيّة في المسائل الأصوليّة والفرعيّة، طبعت بالهند سنة ١٣٢٠هـ[١١].

٥ ـ الربائيّة: رسالة فارسيّة في أحكام الربا، دوّنها المولى هاشم بن محمّد علي الخراساني طبق فتاوى الآخوند الخراساني والسيّد إسماعيل الصدر، وقد طبعها مع الرضاعيّة الفارسيّة أيضاً له سنة ١٣١٨هـ في مجلّد واحد[١٢].

---

(١) مجمع الأفكار ٤: ٩٨.
(٢) الرسائل ١: ١٢٩ ؛ الاستصحاب: ٨٧ ؛ كتاب الطهارة: ٢٥٩.
(٣) تحريرات في الأصول ٨: ٣٦٢.
(٤) منتقى الأصول ٦: ١٧٤.
(٥) زبدة الأصول ٥: ٤٣٦.
(٦) منتهى الدراية ٧: ٣٧٠.
(٧) بحوث في علم الأصول ٦: ٢٥١ ؛ وانظر: بحوث في شرح العروة الوثقى (ط. المؤتمر) ٢: ٢٩٥.
(٨) المحكم في أصول الفقه ٥: ٢٢٥ وأشير إليها في ٤: ٢٦٨ ؛ مصباح المنهاج ٣: ٣٣٣.
(٩) انظر: أصول الفقه (المظفّر) ٤: ٣٣٥ ـ ٣٣٦.
(١٠) الذريعة ٢١: ٣٥٧.
(١١) الذريعة ١٠: ٦٣، ٢٠: ٢١٠.
(١٢) الذريعة ١٠: ٦٧.

٦ ـ رسالة في الطهارة والصلاة: وهي رسالة عمليّة فارسيّة من فتاوى السيّد إسماعيل الصدر، جمعها السيّد محمود بن المير سلطان علي خان المرعشي التستري النجفي[١].

٧ ـ اللقطات: وعنوانه (لقطة، لقطة)، وهو للشيخ موسى بن جعفر بن باقر الكرمانشاهي الحائري تقريراً لدروس أستاذه السيّد إسماعيل الصدر، وهو موجودٌ ضمن مجموعة من رسائل المقرّر بخطّه عند السيّد المير عبّاس بن علي أكبر القمصري بكربلاء[٢].

٨ ـ مجمع الرسائل: فارسي، وهو عبارة عن فتاوى مجموعة من العلماء منهم السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله جمعها الحاج محمّد حسن الإصفهاني وطبعها بطهران سنة ١٣٣١هـ[٣].

٩ ـ منتخب المسائل: جمعه السيّد التستري المرعشي سنة ١٣٢٠هـ، مع بسط في أصول الدين، والنسخة عند السيّد حسين الساروي في النجف[٤].

١٠ ـ مختصر نجاة العباد: للسيّد محمّد مهدي الصدر طبقاً لفتاوى والده السيّد إسماعيل الصدر، طبع سنة ١٣١٨هـ[٥]، لدينا منه نسخة في ١٢٨ صفحة بخط الشيخ علي مصطفى مغنيّة سنة ١٣٣٣هـ.

١١ ـ حاشية على (مناسك الحجّ) للشيخ الأنصاري رحمه الله[٦].

١٢ ـ حاشية على الجامع العبّاسي[٧]، للشيخ بهاء الدين العاملي، وهو مطبوع، وقد كتب في مقدّمته:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

عمل به كتاب شريف جامع عباسى با حواشى كه اين احقر ملحق نموده جايز است إنشاء الله تعالى.

ومخفى نماند كه در حواشى مسطوره رعايت احتياط به جهاتى زياده از رسائل ديگر شده، ومرجوع در ترك آنها اگر خواسته باشند رساله هاى ديگر است.

وفّقنا الله تعالى وجميع إخواننا المؤمنين لتحصيل العلم والعمل به إنشاء الله تعالى.

حرّره الأحقر ابن صدر الدين العاملى سيد اسمعيل الموسوى»[٨].

١٣ ـ حاشية على رسالة (صراط النجاة)[٩].

١٤ ـ حاشية على (الدرر المنثورة في الأحكام المأثورة)[١٠].

---

(١) الذريعة ١٥: ١٨٩، وهو والد السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمه الله.
(٢) الذريعة ١٨: ٣٣٨.
(٣) الذريعة ٢٠: ٣٠.
(٤) الذريعة ٢٢: ٤٣٤.
(٥) الذريعة ٢٠: ٢١٤.
(٦) الذريعة ٢٢: ٢٧٣ ؛ كتاب الطهارة (الشيخ الأنصاري، المقدّمة) ١: ١٥.
(٧) نجوم السماء (التتمّة) ٢: ٢٧٥ ؛ الغدير ١١: ٢٦.
(٨) الجامع العبّاسي: ٢.
(٩) كتاب الطهارة (الشيخ الأنصاري، المقدّمة) ١: ٢٢.
(١٠) الذريعة ٨: ١٣٦.

١٥ ـ حاشية على (مفتاح اللباب في شرح خلاصة الحساب) التي طبعت مع تلك الحواشي سنة ١٣٢٥هـ[١].

١٦ ـ وله تقريظ على رسالة (ذخيرة الفرائض)، وهي رسالة في المواريث للشيخ محمّد زكي البهبهاني النجفي[٢].

١٧ ـ وآخر على (نخبة الواعظين)، وهو فارسي في الأخلاق لإسماعيل بن إبراهيم الموسوي[٣].

كما أشار على الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ علي ابن المولى محمّد جعفر الإسترآبادي الشريعتمدار حين زاره الأخير في صفر ١٣٢٤هـ بكتابة رسالة حول لزوم اجتناب أهل الكتاب، فكتب (مخزن طهارت) أو (رسالة في نجاسة أهل الكتاب أو طهارتهم) وطبعت بلكهنو في تلك السنة[٤].

من حكاياه

١ ـ كان السيّد إسماعيل يتتلمذ عند المجدّد الشيرازي، وكان أستاذه معجباً به يستمع لآرائه. وبالرغم من ذلك، فإنّ السيّد إسماعيل لم يُعرّف نفسه لأستاذه مع أنّه يعلم أنّ المجدّد الشيرازي كان من تلامذة أبيه السيّد صدر الدين وأخيه السيّد محمّد علي المعروف بـ(آقا مجتهد)، وكانت له معهم صداقة ومودّة قديمة، إلى أن ذهب السيّد إسماعيل إلى الحج وعاد إلى النجف، فأخبر بعضُ تلاميذ المجدّد الشيرازي أستاذهم بأنّ السيّد إسماعيل ابن السيّد صدر الدين الإصفهاني قد عاد من الحج، فذهب السيّد لزيارته من دون أن يعلم أن السيّد إسماعيل هو تلميذه المقرّب، وحينما وصل إلى بيت السيّد إسماعيل توقّف لشدّة دهشته، وقال له: «**هل أنت السيّد إسماعيل ابن السيّد صدر الدين الإصفهاني؟**»، فقال: «**نعم**»، فبلغت الدهشة بالمجدّد الشيرازي ذروتها وازدادت عنده مكانة السيّد إسماعيل ومنزلته.

٢ ـ حينما هاجر السيّد إسماعيل من إصفهان إلى النجف الأشرف مع والدته العجوز كان عازماً على أن لا يُعرّف نفسه إلى أحد حتّى لأبناء عمومته وآل الصدر الذين كانوا في بغداد والكاظميّة، وذلك لكي يتسنّى له التفرّغ أكثر لتحصيل العلم.

وما يشهد لهذا هو الحكاية التي مضت والحكاية الآتية.

٣ ـ كان السيّد إسماعيل عازماً على أن لا يقترض من أحد طول عمره. وخلال إقامته في النجف الأشرف أيّام دارسته ضاقت به الأمور المعيشيّة جدّاً، وأصبح يعاني الفقر والفاقة إلى حدٍّ كان عاجزاً معه حتّى عن قضاء الضروريّات الحياتيّة، وأحسّ بضعف في بدنه، وأخذ يخشى على أمّه العجوز التي لم تكن تقوى على تحمّل تلك الظروف، فخرجً من البيت لعلّه يحصل على قرضٍ بمقدار ما يدفع به الضرورة على الرغم من أنّه كان مصمّماً على عدم الاقتراض مدى

---

(١) الذريعة ٢١: ٣٤٦.

(٢) الذريعة ١٠: ١٧.

(٣) الذريعة ٢٤: ١٠٠.

(٤) الذريعة ٢٠: ٢٢٦، ٢٤: ٦٥.

الحياة. فدخل الصحن الحيدري الشريف وكان حائراً بين التكليف الشرعي الذي يدعوه إلى الاقتراض من جهة وبين البقاء على عزمه والتوكّل على الله الذي ينهاه عن ذلك من جهة أخرى، وجلس على هذه الحال أمام إحدى غرف الشمال الغربي من الصحن الطاهر، وأخذ يفكّر في أمره، وفي هذه الأثناء جاء شخصٌ مجهولٌ ووقف أمامه وسأله: «**هل أنت السيّد موسوي؟**»، فقال له السيّد إسماعيل: «**نعم**»، فأعطاه خمسة توامين، وقال له: «**هذا نذرٌ للسيّد الموسوي**». وبهذا بقي السيّد على عزمه إلى آخر عمره.

وكان السيّد الصدر في بعض الأحيان يحدّث أولاده بمثل هذه الحكايات والنوادر التأريخيّة بهدف تهذيب نفوسهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق، وأنّ العلم والفضيلة وشرف الأسرة لا يجب أن يكون سبباً لتكبّر المرء وغروره، بل يجب على صاحب العلم والفضيلة أن يتواضع للناس أكثر، وكلّما كانت مكانته بينهم أكبر كان تواضعه أكثر، وهذه أفضل وسيلة للتعريف برجل العلم والتقوى. كما يجب أن يكون الرجل صادقاً في توكّله وراسخاً في عزمه.

٤ ـ كان السيّد إسماعيل يقيم صلاة الجماعة في الصحن الحسيني الشريف أيّام إقامته في كربلاء. وفي إحدى الزيارات الخاصّة كان الصحن غاصّاً بالمصلّين في جهاته الأربع وقت صلاة المغرب والعشاء، إلاّ أنّ السيّد لم يأت إلى الصلاة بالرغم من طول انتظار الناس، فقام الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله ـ الذي كان موجوداً في الصحن أيضاً ـ وذهب إلى بيت السيّد فرآه يتمشّى على سطح الدار، فقال له: «**سيّدنا لمَ لم تأتِ إلى الصلاة؟**»، فأجابه السيّد: «**وهل أنا أجيرٌ عندكم؟**».

يقول الشيخ آل ياسين رحمه الله: «**إنّ هدف السيّد من هذه الأعمال كان تهذيب النفس وتربيتها، ولم يفكّر يوماً في الزعامة والرئاسة، ولذا لم يكن لديه اهتمام بمسألة المرجعيّة وصلاة الجماعة**».

٥ ـ وهناك حادثة ذكرها السيّد محسن الحكيم رحمه الله ورد فيها السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله، فقد ذكر أنّ بعض الأعاظم حدّث أنّه حضر يوماً منزل الآخوند ملاّ فتح علي مع جماعة من الأعيان، منهم السيّد إسماعيل الصدر والحاج النوري صاحب المستدرك والسيّد حسن الصدر، فتلا الآخوند قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ...﴾[(١)]، ثمّ شرع في تفسير قوله تعالى فيها ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾، وبعد بيان طويل فسّرها بمعنى لمّا سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسّرها بمعنى آخر غير الأوّل فاستوضحوه أيضاً وتعجّبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثمّ حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأوّلين.. و لم يزالوا على هذه الحال كلّما حضروا عنده يوماً ذكر لها معنى إلى ما يقرب من ثلاثين يوماً، فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى، وكلّما سمعوا منه معنى استوضحوه[(٢)].

٦ ـ ومن وثائقه رسالته إلى الميرزا محمّد رحيم الباكوئي، التاجر الآذربايجاني الذي أسّس عدّة

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) هذه الحادثة بالخصوص من: حقائق الأصول ١: ٩٥ ـ ٩٦، والباقي من تكملة أمل الآمل على ما تجده في آخر الترجمة.

مشاريع في النجف الأشرف وسامرّاء، وقد أتت الرسالة جواباً عن سؤال وجّهه التاجر المذكور إلى مجموعة من العلماء ـ منهم الآخوند الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني رحمهما الله ـ يشجّع فيه على استعمال الأمتعة الوطنيّة بدل الأجنبيّة، ويطلب رأيهم في ذلك. ونحن نورد النصَّ المترجم للسيّد إسماعيل رحمه الله كما ورد في الأصل على ما فيه من ضعف وتشويش وأخطاء نحويّة وإملائيّة، وقد حرّر سنة ١٣٢٦هـ على ما يبدو من سائر الأجوبة:

«نسلّم على جناب شامخ الألقاب، نخبة العلماء الأعلام وقدوة الفضلاء الكرام، الآغا الميرزا محمّد رحيم الباكوئي أيّده الله تعالى، ونصدّعهم ونزاحمهم، وأن يكونوا دائماً إنشاء الله في حفظ حضرت ملك العلاّم موفّقين ومؤيّدين.

وصلنا في اليوم الماضي رقعة جناب السامي من النجف الأشرف بتوسّط جناب الفاضل نخبة العلماء الأعلام الشيخ طاهر المازندراني سلّمه الله تعالى، الحاكي من سلامتكم ومن شمول تمام التوفيق الذي هو خير رفيق من طرف حضرت الباري جلّ وعلا لحالكم، وحصلني نهاية السرور والشغف، حمدتُ حضرت المنّان جلّت نعمائه، سيما كان مصحوب الخلعة ذوي المنقبة والخام الذي هو محسود الورق الأس. وإنّ حجج إسلام المشهد الشريف والموقف الكريم قد اختاروا اقتداء الأطائب والبعد عن الأجانب، وقرّروا الخام الوطني لباساً لأنفسهم وأقمشتها، وفي كلّ زمان كلّما كان لباس الإسلامي ميسوراً إليّ لبسته[1]، وما سامحتُ في لبست، والحال أنا رافعُ يد الابتهال والتضرّع إلى حضرت ذو الجلال جلّ جلاله، ودائماً نتمنّى ونطلب منه تعالى أن يعطي لأهالي الإيران كمال الاستعداد والاهتمام التام، وأن يجعلهم من المتيقّظين من نوم الغفلة، لعلّهم يدركوا لذّة شوكة الاستقلال، وأن يخلصوا من التقيّد بسلاسل تبعيّة الأجانب إنشاء الله.

والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته»[2].

٧ ـ ومن وثائقه الباقية رسالته سنة ١٣٢٦هـ إلى أهل صور حول حلول السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلام التام على كافّة المؤمنين من إخواننا الكرام، ولا سيما أهل السداد والإيمان من أهل صور، وفّقهم الله تعالى لنصرة الحق وإعزازه وإنقاض الباطل وإلاله، واستعمال الخير وهجران الشر، وإحياء السنن، وإماتة البدع، والاقتاء بأبرار العلماء الذين فضّل الله مدادهم على دماء الشهداء، إنّه أرحم الراحمين.

أمّا بعد؛ فقد سرّنا قيامكم بواجب الوظائف في خدمة السيّد السند والثقة الفقيه المعتمد، قدوة العلماء الفاضلين، وأسوة الفقهاء المبرّزين، الأوثق لدينا، والأعزّ علينا، السيّد عبد الحسين شرف الدين ـ رفع الله مناره ـ فذكرناكم وشكرناكم، وحمدنا الله تعالى على ما أولاكم من الأخذ بحظّكم من خدمته، والفوز بنصيبكم من رشده وهدايته، هداكم الله به إلى سواء السبيل، ودحض بشريف وجوده عنكم الأباطيل، ومنحكم به الهنا والسرور، والسعادة والغبطة والحبور.

فاهتدوا بهديه، واعتمدوا على رأيه، واعرفوا عظيم قدره، وكونوا نصب أمره ونهيه، فإنّه لا يأمركم إلاّ بمعروف، ولا ينهاكم إلاّ عن منكر، وارجعوا إليه في أحكام الدين، واتّخذوه واسطةً بينكم وبين ربّ العالمين؛ فإنّه الحجّة عليكم، والنعمة لديكم، واجعلوا قوله فصلاً؛ فإنّكم لا ترون منه إلاّ عدلاً، امضوا حيث يمضي، واذعنوا حيث يقضي، وتعبّدوا بأقواله، واقتدوا بأفعاله، واستضيئوا بنور علمه؛ فإنّه من

---

(١) كذا في المصدر، والمراد: لبسته.
(٢) مجلّة (الموسم)، العددان (٢٣ ـ ٢٤): ٢٧٢.

زيتونة نبويّة لا شرقيّة ولا غربيّة، مرجعٌ عام، ومفزعٌ في فتاوى الأحكام، وقد سرّنا مكانه في صور؛ لأنّا نعلم من يصلح أن يكون لدى الأجانب عنواناً لعلماء الإماميّة مثله في علمه وفضله وعقله وعدله ووفور اطّلاعه، وجودة ذهنه، وحسن استحضاره، وشدّة حذقه، وبراهينه القاطعة، وحججه الساطعة، وأجوبته المسكتة، وخطابته البليغة، وتقواه وسداده، وهداه ورشاده، وعفّته وإبائه، وكرم أخلاقه وسياسته، وتوكّله على الله عزّ وجلّ، وخبرته بنهج الأئمّة عليهم السلام.

وإنّا لنغبطكم عليه، ونتمنّى دوام القرب إليه، فاسمعوا له وأطيعوا، وارجعوا إليه في أحكام الله عزّ وجلّ، والرادُّ عليه كالرادّ عليه عزّ سلطانه، فاعرفوا قدره، واستعظموا أمره.

وأوصيه ونفسي بتقوى الله تعالى، وسلوك جادّة الاحتياط؛ فإنّها طريق النجاة، ولا تنسونا من دعائكم وفّقكم الله ورعاكم، والسلام على جنابه ـ أيّده الله تعالى ـ وعليكم ، وفّقكم الله تعالى، ورحمة الله وبركاته.

١٦ ذي الحجّة سنة ١٣٢٦»[١].

٨ ـ وفي غرّة ذي الحجّة/١٣٢٨هـ وجّه جمعٌ من العلماء ـ ومن بينهم السيّد إسماعيل رحمه الله ـ بياناً إلى زعماء المذاهب الإسلاميّة حول الاتحاد ونبذ الخلافات من أجل حفظ بيضة الدين، وقد جاء فيه:

«لمّا ثبت لدينا أنّ خلاف المذاهب الخمسة (الشيعة والحنفيّة والحنبليّة والمالكيّة والشافعيّة) من المسلمين في غير ما يتعلّق بالأصول الدينيّة، والشقاق بين المذاهب الإسلاميّة كان هو السبب الوحيد لانحطاط الأمّة الإسلاميّة، والعلّة التامّة لاستيلاء الأجانب على بلاد المسلمين، فلذلك، ولأجل حفظ كلمة الوحدة الدينيّة والذب عن الشريعة المحمديّة، اجتمعت الآراء واتفقت الفتاوى بين المجتهدين العظام لرؤساء الجعفريّة وعلماء أهل السنّة الكرام في بغداد على وجوب الاعتصام بحبل الله تعالى، كما أمر به، فقال عزّ من قائل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٢]، وعلى وجوب اتحاد كافة المسلمين في حفظ بيضة الإسلام وحراسة جميع الممالك الإسلاميّة، عثمانيّة وإيرانيّة، وصونها من تشبّثات الأجانب وهجوم الأعداء. ولقد اتحدت آراؤنا واتفقت كلمتنا على بذل جميع قوانا وإعمال كل نفوذنا في حفظ الحوزة الإسلاميّة، وأن لا ندع أيٍ مجهود يقتضيه المقام. نرجو من الدولتين العليّتين المسلمتين أن تجتهدا في حفظ استقلال وحقوق كلٍّ منهما، وتبذلا نهاية العناية والجهد. وقد أعلمنا الشعب الإيراني بوجوب التعاون في الحفاظ على استقلال الدولة وحماية الثغور الإسلاميّة من التدخّل الأجنبي كما قال الله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣]. ونذكّر جميع المسلمين بالعقد الأخوي الذي عقده الله بين المؤمنين، [و]نعلمهم بوجوب الاحتراز من كلّ ما يوجب الشقاق والنفاق، ووجوب بذل نهاية الجهد في التعاون والتعاضد والمواظبة على اتفاق الكلمة؛ حتى تبقى الراية المحمّديّة مرفوعةً، ومقام الدولتين العليّتين العثمانيّة والإيرانيّة أدام الله شوكتهما محفوظة، بمحمّد وآله وصحبه خير البريّة.

وذلك في غرّة ذي الحجّة ١٣٢٨.

علماء النجف: محمّد كاظم الخراساني؛ عبد الله المازندراني، شريعة إصفهاني.

علماء كربلاء: السيّد صدر الإصفهاني، حسين المازندراني»[٤].

---

(١) موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ٤٤٦١ ـ ٤٤٦٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الفتح: ٢٩..

(٤) النجف في ربع قرن.. منذ سنة ١٩٠٨:: ٢٧٩ ؛ شيخ الشريعة: ١٠٩.

٩ ـ وفي أواخر آذار ١٩١٢ وصل إلى العراق خبر مفاده أنّ الجيوش الروسيّة قصفت بالمدافع مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان فانهدم جزء من القبّة والسقف، وأدّى ذلك إلى قتل وجرح عدد من الزوّار الذين كانوا يتهجّدون فيه. وعند هذا ساد الهياج في مختلف أنحاء إيران والعراق، ووجد المجتهدون في العراق أنّ من الضروري استئناف حركة الجهاد من جديد.

اجتمع في الكاظمية لفيفٌ من المجتهدين كان فيهم: السيّد مهدي الحيدري، والشيخ مهدي الخالصي، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد الله المازندراني، والشيخ فتح الله الإصفهاني، والشيخ محمد حسين القمشه‌إي، و السيّد علي الداماد، والسيّد مصطفى الكاشاني، وقرّروا إعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الخراساني الراحل.

امتنع مجتهدان كبيران عن الحضور إلى مؤتمر الكاظميّة وعن الانضمام إلى حركة الجهاد وهما: الميرزا محمّد تقي الشيرازي في سامرّاء والسيّد كاظم اليزدي في النجف. فقرّر الشيخ مهدي الخالصي أن يسافر بنفسه إليهما بغية إقناعهما بالانضمام إلى الحركة، ولم يجد الخالصي صعوبة في إقناع الشيرازي عندما ذهب إليه في سامراء، غير أنّه عند ذهابه إلى النجف لم يتمكّن من الاجتماع بالسيّد يزدي لمحادثته في الموضوع، إذ كان هذا يتهرّب من لقياه المرّة بعد المرّة.

وفي أحد الأيّام بينما كان الخالصي في النجف يواصل مساعيه للاجتماع بالسيّد اليزدي وقع عليه اعتداء من قبل بعض العامّة، فأسرع إلى مغادرة النجف و العودة إلى الكاظميّة درءاً للفتنة. وحين سمع أهل الكاظميّة بالحادث تحفّزوا لأخذ الثار، إذ لم يهن عليهم أن يعتدي أهل النجف على عالمهم دون أن ينتقموا له. و قد بذل الخالصي جهده لتهدئتهم.

كان والي بغداد يومذاك جمال بك، وكان على صلة وثيقة بالخالصي، فلمّا سمع بحادث الاعتداء عليه أمر بإلقاء القبض على المعتدين وبسوقهم مكبّلين إلى بغداد. وانبرى الخالصي يتشفّع لهم عند الوالي حتّى جعله يأمر بإطلاق سراحهم. وفي زحمة هذه الأحداث نسي الناس جهاد الروس وانشغلوا بجهاد بعضهم بعضاً[1].

وكان العلماء قد وجّهوا قبل الاجتماع بياناً إلى الكثير من الشخصيّات والهيئات الإسلاميّة في صفر/١٣٣٠هـ، وقد جاء فيه:

«نلفت أنظار جميع أهل التوحيد وكافّة المسلمين بأنّ الإسلام والمسلمين لم يصلوا في أيّة فترة من الفترات مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من الزمن. إنّ المصائب التي يمرّ بها الإسلام اليوم تعتبر من أشدّ المصائب.. وإنّ الضربات التي يتلقّاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشدّ الضربات.. وإنّ أساس الدين المبين في خطر، وآثار شريعة الرسول(ص) مهدّدة بالزوال، ولم تبقَ في هذه الفترة سوى دولتين إسلاميّتين مستقلّتين، هما [الدولتان العليّتان] العثمانيّة والإيرانيّة [اللتان] تحملان اللواء المحمّدي وتحميان حوزة الإسلام والحرمين الشريفين والمشاهد المقدّسة.

إنّ بقاء حرمة القرآن الكريم وإعلاء كلمتي الشهادة وإقامة دعائم الدين المبين يتوقّف على بقاء هاتين الدولتين الإسلاميّتين.. وإذا ما اضمحلّت هاتان الدولتان ـ لا سمح الله ـ فلن يبقَ هناك للإسلام جامعة أو

---

(١) مستدركات أعيان الشيعة ٤: ١٥٤.

حوزة، وستلحق بالإسلام والمسلمين وصمة عارٍ أبديّة وخذلان دائم، لا أرانا الله ذلك اليوم أبداً.

واليوم يقوم بعض الأجانب بحملات مسعورةٍ ضدّ هاتين الدولتين اللتين باتتا تعانيان كافّة أشكال المضايقات والابتلاءات: فمن جهة، امتدّت يد الظلم الإيطاليّة نحو مسلمي الغرب، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرّض النساء والأطفال إلى القتل. ومن جهة أخرى تقوم القوّات الروسيّة بتصويب نيران مدفعيّتها ضدّ الضعفاء والعجزة في تبريز، وتقوم بإعدام كبار الشخصيّات هناك، وفي قزوين ورشت تدخّلٌ أجنبيٌّ ظالم..

واستناداً إلى ذلك، وبالنظر إلى هجوم الكفّار، فقد قرّرنا نحن ـ خدمة الشرع المنير ـ مع جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامرّاء، وحسب مسؤوليّتنا الشرعيّة، التجمّع في الكاظميّة، عسى أن نجد حلاًّ لإنقاذ المسلمين من ظلم الأجانب وعدوانهم، وإذا لم يتمكّن المسلمون في أقطار العالم الذين يعيشون في ظلّ حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوتهم، فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق إبداء التضامن معهم..

الميرزا محمّد تقي الشيرازي؛ شيخ الشريعة الإصفهاني؛ السيّد إسماعيل الصدر؛ الشيخ عبد الله المازندراني؛ الشيخ محمّد حسين المازندراني»[١].

وربّما في هذا الاجتماع خلص الشيخ محمّد كاظم الخراساني، الشيخ عبد الله المازندراني، شيخ الشريعة الإصفهاني والسيّد إسماعيل الصدر رحمهم الله إلى إصدار البيان التالي:

«إلى الإيرانيّين ومسلمي الهند عامّةً.

إنّ هجوم روسيا على إيران وإيطاليا على طرابلس الغرب موجبٌ لذهاب الإسلام واضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن، فيجب على كافّة المسلمين أن يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديات غير القانونيّة من روسيا وإيطاليا، وليحرّموا السكون والراحة على أنفسهم ما لم تكشف هذه الغمّة والغائلة العظمى، وليعدّوا هذه النهضة منهم تجاه المعتدين على البلاد الإسلاميّة جهاداً في سبيل الله كالجهاد في بدر وحنين.

[محمّد كاظم الخراساني؛ عبد الله المازندراني؛ شيخ الشريعة الإصفهاني؛ إسماعيل بن صدر الدين العاملي]»[٢].

١٠ ـ ومن الوثائق الواصلة حول الموضوع البرقيّة التي بعث علماء النجف ـ ومنهم السيّد إسماعيل رحمه الله ـ إلى السلطان العثماني محمّد رشاد الخامس بتاريخ ١٧/ذي الحجّة/١٣٢٩هـ بعد دخول الروس إيران وانتهاكهم حرمة المشهد الرضوي وتهديدهم استقلال إيران، وقد جاء فيها:

«إلى أعتاب السدّة السلطانيّة وحامي الخلافة الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسبب الهجوم على الإسلام من كلّ جانب، أصبح العالم الإسلامي في هيجان. نحن بصفتنا رؤساء المذهب على ثمانين مليون من المسلمين الجعفريّين القاطنين في غيران والهند وسائر النقاط الإسلاميّة، متّفقاً حكمنا بوجوب الجهاد والدفاع عن الدين والنفوس، وعلى جميع المسلمين فرض عين أن يضربوا

---

(١) النجف في ربع قرن.. منذ سنة ١٩٠٨: ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ؛ شيخ الشريعة: ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨: ٢٨٤ ؛ شيخ الشريعة: ١١٤ ؛ مجلّة الموسم، العدد (١١): ١٠٠٢ ؛ دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار: ٦٤، نقلاً عن مجلّة لغة العرب، العدد (٧)، ك١٩١٢/٢م. وما بين [] من المصدرين الأوّلين.

على أيدي المسبّبين لإراقة دماء المسلمين، صيانةً لدين محمّد(ص).

لذلك فإنّا نعرض أعتاب حامل الأمانة المقدّسة وخادم الحرمين الشريفين، إلى المسلمين مجتمعين من أقطار العالم للدفاع والجهاد، زمان السياسة اللادينيّة قد زال ومضى.

فالرجاء الأمر بذلك بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة الإسلاميّة.

محمّد كاظم الخراساني؛ محمّد حسين الحائري المازندراني؛ سيّد إسماعيل صدر الدين العاملي؛ عبد الله المازندراني، شيخ الشريعة الإصفهاني»[١].

١١ ـ وكذلك البرقيّة التي بعثت إلى بعض الجمعيّات والهيئات الإسلاميّة والصحف التركيّة في اسطنبول لحث المسلمين على التفاعل مع الدولة في مواجهة النشاط الاستعماري:

«ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء إيطاليا وروسيا على طرابلس وإيران، واستعباد المسلمين من أهلها وإذلالهم، وعملت الدولتان على فتح تلك الأراضي الإسلاميّة المقدّسة.

نقول: إنّه بعد أن أصبحت نوايا الدولتين معلومةً للجميع في الوقت الحاضر، إذ اضمحلّت كرامة إيران وقوميّتها وقضي على استقلالها، وأذلّ شعبها لا سمح الله، فإنّ ذلك سيكون ضربةً مهلكةً للعالم الإسلامي، ومهما أمعنت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الإسلاميّة إرباً إرباً، فإنّ تمسّك المسلمين بدينهم الحنيف كفيلٌ بإرجاعهما خائبتين خاسرتين.

ونحن بصفتنا علماء المسلمين، نؤكّد ضرورة تخليص إيران، ونطلب منكم إعلان حكمنا المتضمّن وجوب الدفاع بصُحُفكم إلى جميع المسلمين في شتّى أنحاء العالم، ونعلمكم بأنّنا ملزمون ومستعدّون لإراقة آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الإسلام والوطن الإسلامي.

الشيخ محمّد كاظم الخراساني؛ السيّد إسماعيل الصدر؛ الشيخ عبد الله المازندراني؛ الشيخ محمّد حسين المازندراني؛ شيخ الشريعة الإصفهاني»[٢].

١٢ ـ ومن هذه الوثائق أيضاً الرسالة التي أصدرها جماعة من العلماء في ٢٠/آذار/١٩٢٠م (١/ربيع الثاني/١٣٣٠هـ) موجّهةً إلى عموم المسلمين، والتي جاء فيها:

«إنّ وضع المسلمين عامّة وفي إيران خاصّة، وهجوم الدول المجاورة وتشبّثها بأنواع الحيل والمكائد من أجل القضاء على استقلال المسلمين واستعبادهم ومحو شعائرهم، أمرٌ بديهيٌّ لا يحتاج إلى توضيح، وإنّ أهمَّ وسيلة تجعلهم يتوصّلون إلى هدفهم تكمن في زرعهم الخلاف والنفاق وقطع أواصر الاتحاد بين المسلمين. وبعد أن تمكّنوا من زرع الخلاف والنفاق بين رؤساء العشائر وغيرهم، تمكّنوا وبكلّ قوّة وبدون أيّ رادعٍ من إدخال قوّاتهم إلى إيران، وفعلوا ما فعلوا، ولم يكن أحدٌ يتمكّن من منعهم وطردهم؛ لانعدام الوحدة.

وبما أنّ أوّل فريضة للمسلمين عامّة، والعلماء الأعلام خاصّة، هي حفظ بيضة الإسلام، لذلك، فقد أوعزنا... إلى السيّد صدر الإسلام.. والحاج محمّد باقر.. بالتهيّؤ للسفر وانتخاب نقطة خارج مدينة بوشهر لتجمع كافّة الخانات والزعماء، وأخذ المواثيق والعهود المؤكّدة منهم للاتحاد فيما بينهم، ونبذ العداوات الشخصيّة والمنازعات القديمة، وأخذهم بعين الاعتبار رضا الله والرسول(ص) والأئمّة الأطهار(ع)، وأن لا يقبلوا أن تمحى الشعائر الإسلاميّة، ويتسلّط الأجانب على التراب الإسلامي المقدّس.. وأن لا يسكتوا وهم الذين تربّوا في مهد الإسلام تجاه هذه الهدمات المدمّرة للدين والدولة..

---

(١) النجف في ربع قرن.. منذ سنة ١٩٠٨: ٢٨٠ ؛ شيخ الشريعة: ١١٠.

(٢) النجف في ربع قرن.. منذ سنة ١٩٠٨: ٢٨٣ ؛ شيخ الشريعة: ١١٣.

شيخ الشريعة؛ السيّد إسماعيل الصدر، الشيخ عبد الله المازندراني؛ الشيخ محمّد حسين الحائري»[١].

١٢ ـ ومن فتاواه سنة ١٣٣٢هـ تعقيباً على جواب السيّد محمّد كاظم اليزدي رحمه الله عن سؤال موجّه إليه أفتى فيه بالجهاد والنفير: «**بسم الله الرحمن الرحيم. لا شبهة في لزوم دفع وقلع وقمع الكفّار في مفروض السؤال كما يأمر المرقوم مدّ ظلّه العالي. حرّره الراجي إسماعيل صدر الدين؛ محمّد حسين الحايري المازندراني؛ الأقل علي ابن الشيخ** قدس سره**؛ الجاني مهدي آل السيّد حيدر الحسني الحسيني**»[٢].

وفاته

اعتلّ مزاجه سنة (١٣٣٤هـ) فأتى الكاظميّة لتغيير الهواء، ولم يزل فيها حتّى توفّي رحمه الله ظهيرة يوم الثلاثاء ١٢/جمادى الآخرة/١٣٣٨هـ[٣]، فتزاحمت الناس على تشييعه. وقد صلّى عليه نجله السيّد محمّد مهدي بعد أن قدّمه خاله السيّد حسن الصدر رحمه الله، ثمّ أدخل جثمانه لزيارة الكاظمين عليهما السلام ودفن بجوارهما فيما يلي رجليهما في الغرفة الواقعة في الإيوان، الثالثة عن يمين الداخل إلى الرواق الشرقي من بابه المعروف بباب المراد. وقد أرّخ وفاته الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله بأبيات كتبت على الشبّاك الذي نصب في مقبرته في الطارمة الشرقيّة في المشهد الكاظمي:

جـدثٌ بـه أُنزلـتَ يـا ابـن المـصطفى ... جـدثٌ تـضمّن محكـم التنزيـل

أُنزلـتَ فـرداً فـي ثـراه فلـم يكـن ... لـك فيـه مـن خـلٍّ سـوى جبريـل

ولـديك أمـلاك الـسماء عواكـفٌ ... ترعـاك بالتـسبيح والتهليـل

أعظـم بـه جـدثاً غـدت أملاكهـا ... تـنـتـابـه بـاللثم والتقبيـل

فـإذا مـررت بـه وجئـت مؤرّخـاً ... سـلّم فهـذا حجـر إسماعيـل

وقال الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله أيضاً مؤرّخاً[٤]:

لئن يك أخفى القبر شخصك في الثرى ... فـهيهات مـا أخفـى فـضائلك القبـر

لـقـد كـنـت سـرّ الله بـيـن عـبـاده ... ومـن سـنن العـادات أن يكـتم الـسرّ

فـطوبـى لـقـبـر أنت فـيـه مـغيّب ... فـقد غـاب فـي أطبـاق تربتـه البـدر

ولـسـت بـمستسق لـه القطر بعدما ... غـدا بـثراه اليوم ينتجـع القطـرُ

تـخـيّـرت صدر الخلد مـأوى فـأرّخوا ... (من الخلد إسماعيل طاب لـه الـصدر)

---

(١) النجف في ربع قرن.. منذ سنة ١٩٠٨: ٢٨٧ ؛ شيخ الشريعة: ١١٧.

(٢) النجف الأشرف وحركة الجهاد: ٦٢.

(٣) = ١٩٢٠/٣/٣م. وفي أعيان الشيعة ٥: ٢١٩ تأريخ الشعر الآتي سنة ١٣٣٩هـ، وهو من نجله السيّد صدر الدين الصدر رحمه الله والد السيّد موسى الصدر، وعليه فقد تكون وفاته سنة ١٣٣٩هـ. ولكنّ المعروف هو ما أثبتناه في المتن، وهو ما جاء في: (مفاخر اسلام ١٢: ١٣٩، نقلاً عن: شرح حال رجال ايران ٣: ٢٠٢ ؛ وفي: مرآة الشرق ١: ٨١). كما جاء في مصدر آخر أنّ وفاته كانت في ١٢/جمادى الأولى/١٣٣٨هـ لا جمادى الثانية (أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ١: ٢٠٨).

(٤) نسب الشعر في (مستدركات أعيان الشيعة ١: ٥٠) إلى السيّد صدر الدين الصدر رحمه الله نجل السيّد إسماعيل رحمه الله. ولكنّه نسب في (أعيان الشيعة ٥: ٢١٩) إلى الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله، ولم ينسب إلى السيّد السيّد صدر الدين رحمه الله سوى التأريخ الوارد فيه، ولعلّه ما ورد بين قوسين.

كما رثاه الشيخ آل ياسين رحمه الله بقوله:

ويح الصروف فكم تجور بحكمها ... أو ما درت من ذا أصيب بسهمها
أمست وما برحت أفاعي غدرها ... تسقي حشا الإسلام ناقع سمّها
أبداً تهمُّ بمحق دين محمّد ... فكأنّ محق الدين أكبر همّها
حتّى م تقترف الجرائم جمّة ... وتروح تهتف في الأنام بجرمها
وإلى م حرب النائبات مثارة ... أبداً تضنُّ على الزمان بسلمها
عجباً لها كيف ارتقت أطوادها ... فرمت على وجه الصعيد بشمّها
أم كيف أمسكت السماء بكفّها ... فاستنزلت للأرض زاهر نجمها
عمدت لآل نزار حتّى استهدفت ... بسنانها المسنون سيّد قومها
فلتنع بعد اليوم هاشم شهمها ... فاليوم أفجعها الزمان بشهمها
ولتبك سيّدها وجامع شملها ... ومزيح كربتها وكاشف غمّها
مصباحَ ليلتها وشمسُ نهارها ... وملاذ حيرتها وفارج همّها
ولتندب العلماء عيلمها الذي ... قد كان قبل اليوم مصدر علمها
ضرغامها وهمامها وإمامها ... وسنامها الأعلى وهضبة حلمها
أعظم بداهية دهت في رزئه ... كادت تسيخ الراسيات لعظمها
طرقت ففاجأت الأنام بفادحٍ ... ما كان يخطر سامحاً في وهمها
من موقظ عزم الشريعة في الورى ... من بعد (إسماعيل) موقظ عزمها
ومن المجدّد رسمها من بعده ... هيهات قد أودى مجدّد رسمها
ومن الذي يرعى لها أحكامها ... من بعد راعيها وحافظ حكمها
هذي شريعة أحمد قد أيتمت ... فمن الكفيل بحفظها في يتمها
هيهات قد أودي أبوها بالردى ... فلتحيى بعدُ بخالها أو عمّها
ولسوف لا يبقى لها من بعده ... إلاّ الحديث برسمها أو اسمها
لولا الرجاء بفتية من ولده ... ورثوا المكارم عن بكارة أمّها
جدّوا إلى العلياء حتّى أصبحوا ... ولهم من العلياء أكبر سهمها
أكرم بهم من فتية ما أصبحت ... إلاّ وكان الفضل غاية همّها
سبقوا فما لحقوا وحسب عداهم ... من بعد ذلك أن تموت برغمها
وكحسبنا المهدي منهم أنّه ... علم الورى لا بل خزانة علمها
الواضح الحسبين خيرة هاشم ... والباسط الكفّين صفوة قومها
انظر به فلسوف يجلو همّة ... تجلو عن الدنيا غياهب ظلمها
إن ينع جسمٌ للشريعة روحها ... فلسوف ينفث روحه في جسمها
هذي لعمرك نفثةٌ من والهٍ ... قد جاد لكن ما أجاد بنظمها

فاسمح له كرماً وخذها نفثةً | وفدت عليك صغيرة في حجمها
واسلم من الأيّام بعد فلا خطّت | أبياتكم إلاّ بأرجل سلمها

ورثاه السيّد محمّد حسن فضل الله بقوله:

دع غرب دمعك يجري من حشاك دما | فالعلم غاض وعرنين الهدى جذما
وخلّ عنك التسلّي بعدما علقت | يد المنون بركن الدين فانهدما
كنّا وكنت إذا ما أزمة طرقت | والغيث أقلع نستسقي بك الديما
وكنت غيثاً وغوثاً في السنين إذا | ما حادث الدهر غدراً بالردى هجما
ماتت لموتك أحكام بك انتظمت | إذ فيك قد كان شرع المصطفى نظما

كما رثاه الشيخ محمّد حسن بن حمّاد بن محسن الجناجي الكربلائي[١].

أولاده

وقد خلّف السيّد الصدر أربعة أولاد وهم:

١ ـ السيّد محمد مهدي (١٧/محرّم/١٢٩٦هـ ـ ٣/رجب/١٣٥٨هـ).

٢ ـ السيّد محمّد علي المعروف بصدر الدين (١٧/ذي القعدة/١٢٩٨هـ ـ ١٩/ربيع الثاني/١٣٧٣هـ)، وهو والد السيّد رضا رحمه الله والسيّد موسى الصدر.

٣ ـ السيّد محمد جواد (جمادى الآخرة/١٣٠١هـ ـ ٢٦/شوّال/١٣٦١هـ).

٤ ـ السيّد حيدر (جمادى الأولى/١٣٠٩هـ ـ ٢٧/جمادى الأولى/١٣٥٦هـ).

وكانت هناك علاقة طيّبة ووطيدة تربط السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله ـ جدّ السيّد الصدر رحمه الله لأبيه ـ بالشيخ عبد الحسين آل ياسين رحمه الله ـ جدّه لأمّه ـ ، وكان الأخير قد تتلمذ على يد السيّد إسماعيل رحمه الله. وكان الأولاد الأربعة للسيّد إسماعيل قد تزوّجوا جميعاً من بنات الشيخ عبد الحسين آل ياسين رحمه الله، وفي المقابل تزوّج الشيخ محمّد رضا آل ياسين نجل الشيخ عبد الحسين من كريمة السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله: فقد تزوّج السيّد حيدر من بتول والسيّد محمّد جواد من صفيّة والسيّد صدر الدين من أم الباقر والسيّد محمّد مهدي من معالم، وتزوّج الشيخ محمّد رضا آل ياسين من أخت السادة الأربعة من آل الصدر. وبعد وفاة أم الباقر زوجة السيّد صدر الدين بعد صراع مرير مع المرض دام ١٨ عاماً، انتقل إلى مشهد بهدف الزيارة، ثمّ قرّر البقاء لستّ سنوات تزوّج أثناءها من السيّدة صفيّة كريمة السيّد حسين القمّي رحمه الله، وأولدها ثلاثة من البنين الذكور هم: السيّد رضا الصدر، السيّد موسى الصدر والسيّد علي، وستّة من البنات إحداهنّ فاطمة زوجة السيّد الصدر رحمه الله لاحقاً[٢].

---

(١) الذريعة ٩: ٤٩.

(٢) نقل السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ـ في المصدر الآتي ـ عن السيّد الصدر رحمه الله أنّ السيّد صدر الدين رحمه الله لم ينسجم مع زوجته فسافر إلى إيران بعد أن لم يكن ممكناً له ـ بفعل الوضع العائلي الذي يربط إخوته بأخوات زوجته السابقة ـ أن يتزوّج في العراق. وما في المتن ذكره لي السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٣م. وربّما أيّده ما جاء في ترجمة السيّد صدر الدين الصدر من أنّه من مواليد ١٢٩٨هـ وسافر إلى مشهد سنة ١٣٣٩هـ حيث تزوّج من السيّدة

وقد ذكر السيّد الصدر للسيّد محمّد باقر الحكيم أنّ عمّه الأكبر السيّد محمّد مهدي الصدر قد ورث والده السيّد إسماعيل في الشؤون الاجتماعيّة باعتباره الابن الأكبر، فكانت بيده إدارة الأوقاف والمكتبة العلميّة والديوان (البرّاني) والشؤون الأخرى ذات العلاقة بوالده، وكان الإخوة يرون أنفسهم شخصاً واحداً، فتركوا له التصرّف في الأمور كلّها حفظاً لشؤون الأسرة المعنويّة وشأنه العلمي والاجتماعي[1].

ـ ٢ ـ

حيدر

ولد السيّد حيدر إسماعيل الصدر في سامرّاء في جمادى الآخرة سنة (١٣٠٩هـ) أيّام إقامة والده فيها، وقد قال بعض العامليّين مؤرّخاً ولادته:

فحيـدر واليـمنُ قـد جـاءا معـاً ... فنـادِ بالتـاريخ يُمْـنٌ قـد ظهـر[2]

وفي سنة (١٣١٤هـ) هاجر السيّد إسماعيل إلى كربلاء ومعه أهله وذووه، وكان السيّد حيدر في السنة الخامسة من عمره، فنشأ في كربلاء ودرس المقدّمات عند بعض الفضلاء في هذه المدينة، ثمّ حضر على والده ـ وكان المرجع الأعلى فيها ـ وعلى السيّد حسين الفشاركي والشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري ـ مؤسّس الحوزة العلميّة بقم ـ أثناء إقامته في كربلاء.

وبعد مضيّ تسعة عشر عاماً عزم على العودة إلى الكاظميّة، فكان له فيها شأنٌ عظيم.

صفيّة القمّي، أي أنّه كان في الأربعين من عمره (انظر بعض الكلام حول التأريخ لسفر السيّد صدر الدين: مفاخر اسلام [فارسي] ١/١١: ٣٠٩).

(١) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ مقابلة (١) مع السيّد محمّد باقر الحكيم (); الصدر في ذاكرة الحكيم: ٣٧. ولكنّ السيّد حسين شرف الدين أوضح لي أنّ السيّد صدر الدين بقي مع زوجته المريضة مدّة طويلة، ثمّ بعد ذلك سافر إلى إيران.

انظر ترجمة السيّد إسماعيل الصدر مشتّتةً في: مجلّة الهدى، السنة الثانية، الجزء الثاني، ربيع الثاني/١٣١٨هـ أيلول/١٩٢٩: ٨٧؛ الجزء الرابع، جمادى الثانية/١٣١٨هـ تشرين الثاني/١٩٢٩م: ١٨٧؛ الجزء الخامس، رجب/١٣١٨هـ كانون الأوّل/١٩٢٩م: ٣٠١؛ الجزء الثامن، شوّال/١٣١٨هـ آذار/١٩٣٠م: ٤٠١؛ تكملة أمل الآمل: ١٠٤ ـ ١٠٦؛ أعيان الشيعة ٥: ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ بغية الراغبين ١: ١٩٠ ـ ٢٢٧؛ طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ١: ١٥٩ ـ ١٦٠ تذكرة القبور.. يا دانشمندان وبزرگان اصفهان (فارسي): ١٤٣ ـ ١٤٥؛ ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب.. يا كنى والقاب (فارسي) ٣: ٤٢١ ـ ٤٢٣؛ مكارم الآثار در احوال رجال دوره قاجار (فارسي) ٥: ١٥٦٥ ـ ١٥٦٧؛ هديّة الرازي إلى الإمام المجدّد الشيرازي: ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٦٢، ٦٨؛ مرآة الشرق ١: ٧٨ ـ ٨١، ٤٩٩، ٧٣٢؛ تاريخ العراق بين احتلالين ٨: ٢٠٠؛ نجوم السماء (التتمّة، فارسي) ٢: ٢٧٥؛ معارف الرجال ١: ١١٥ ـ ١١٨؛ شعراء الغري ٧: ٥٤٤، ١١: ٢٥٦ ـ ٢٥٧؛ معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٨٠٤؛ معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ٢٦؛ أسرة آل الصدر: ١٨٤ ـ ١٩٢؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٢٠ ـ ٢٦؛ موسوعة طبقات الفقهاء (١٣: ٦١٠)، (١٣: ٦٧٣)، (١٤، ق١: ٣٠٧)، (١٤، ق١: ٤٤٦)، (١٤، ق٢: ٦١٧)، (١٤، ق٢: ٦٧٢)، (١٤، ق٢: ٦٨١)، (١٤، ق٢: ٧٠٧)، (١٤، ق٢: ٨٥٨)، (١٤، ق٢: ٩٧٧)؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٧ ـ ٣٠؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٤٠ ـ ٤١؛ فرهنگ فارسى دكتر محمد معين (فارسي) ٥: ٩٨٥؛ موسوعة المقاومة اللبنانيّة ١: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) جاء هذا البيت في بعض التراجم معكوس الصدر والعجز.

مؤلّفاته

له من المصنّفات: ١ ـ حاشية على الكفاية.

٢ ـ رسالة في المعاني الحرفيّة.

٣ ـ رسالة (تبعّض الأحكام لتبعّض الأسباب).

٤ ـ رسالة في الوضع وأقسامه.

٥ ـ رسائل فقهيّة، لم تتم.

٦ ـ تعليقة على العروة الوثقى.

٧ ـ الشبهة الحيدريّة، وهي ما تبقّى من آثاره، وهي عبارة عن شبهة أثارها في علم الأصول، وقد وردت في تقريرات المحقّق العراقي، فكتبت بقلم بعض طلاّبه في تقرير بحثه، وهو الشيخ محمّد تقي البروجردي النجفي، وقد جاء فيها: «**تذييل لبعض الأجلّة من المعاصرين قدّه: إشكالٌ على من خصّص وجوب الاجتناب بالملاقى بالفتح والطرف دون الملاقي بالكسر، بتقريب أنّ التكليف بالملاقى وإن كان جائياً من قبل التكليف بالملاقى، وبذلك تكون رتبة الأصل الجاري في السبب ـ وهو الملاقى بالفتح ـ متقدّمة على الأصل الجاري في الملاقي، ولا تصل النوبة إليه مع جريان الأصل السببي، إلاّ أنّه بعد سقوط أصالة الطهارة في الملاقى بمعارضتها مع أصالة الطهارة الجارية في الطرف ينتهي الأمر إلى أصل مسبّبي آخر، وهي أصالة الحليّة من جهة سببيّة الشكّ في حليّة كلٍّ من الملاقى والطرف عن الشك في طهارته. وحيث إنّ هذا الأصل في عرض أصالة الطهارة الجارية في الملاقي بالكسر فلا محالة في هذه المرتبة تسقط الأصول الثلاثة، وبعد سقوطها تصل النوبة إلى أصالة الحليّة في الملاقي بالكسر لسقوط معارضها، وهي أصالة الحليّة في الطرف في المرتبة السابقة، فيلزم الحكم حينئذ بجواز شربه مع عدم صحّة الوضوء به، ونحوه ممّا هو مشروط بطهارته، مع أنّ هذا التفكيك ممّا لا قائلاً به، فإنّ كلّ من قال بجواز شربه قال بصحّة الوضوء به لأصالة طهارته**»[1].

أقوال وحكايا

١ ـ قال السيّد حسن الصدر في حقّه: «**السيّد الوحيد السيّد حيدر، أحد فضلاء عصره وحسنات الزمان العالي الاستعداد، قويُّ النظر في الفقه والأصول، عداده في الفضلاء والمحقّقين**»[2].

٢ ـ وكتب إليه السيّد عبد الحسين شرف الدين في ربيع الثاني/١٣٤٢هـ يقول:

«قرآن العلم المحكمة آياته، وفرقان الفضل الساطعة بيّناته، عيبة علم الأئمّة، ومطمح أنظار الأمّة، قوّم الله بك أودها، وأقام بك عمدها، ورفع بك منارها، وعظّم بك شعارها، وأرشد بك ضالّها، وأصلح بك فاسدها، ورتق بها فتقها، ولمّ بك شعثها، وأوضح بك أحكامها، وحفظ بك أيتامها، فأنت المدّخر لمرقاتها العليا، والمعَدّ لأحكام الدين والدنيا، والسلام عليك يا ابن رسول الله (ص) وممثّل هديه، ومستودع أمره ونهيه، ما أشدّ شغفي بخدمتك، وأعظم كلفي بطلعتك، أعزّها الله من طلعة ميمونة وغرّة مباركة، ترينا طلعة آبائك الغر الميامين، صلوات الله وسلامه عليك وعليهم أجمعين.

---

(١) نهاية الأفكار ج٣: ق٢: ٣٦٢.

(٢) تكملة أمل الآمل: ١٠٦.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ربيع الثاني سنة ١٣٤٢»[١].

وللسيّد شرف الدين كلامٌ بليغٌ في مدحه[٢].

٣ ـ وقد رُوي عن السيّد علي الخلخالي رحمه الله أنّه قال: «**إنّ السيّد حيدر الصدر كان يُدرّس أثناء إقامته في الكاظميّة الكفاية، فاتّفق أنّ أحد أكابر الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ورد الكاظميّة وطلب منه السيّد الصدر أن يتباحث معه في الكفاية خلال فترة بقائه في الكاظميّة فلم يقبل، وهنا حاول السيّد حيدر الصدر أن يستثمر الفرصة بأسلوب آخر فطلب منه أن يتتلمذ عنده بتدريسه الكفاية خلال بقائه، فوافق على ذلك. فكان السيّد حيدر الصدر يدرّس جمعاً كبيراً من الطلاّب كتاب الكفاية، ثمّ كان يحضر لدى هذا العالم على أنّه طالبٌ يدرس كتاب الكفاية عنده**».

ويضيف: «**إنّي سألت السيّد حيدر الصدر: ماذا صنعت بفلان الذي لم يقبل المباحثة معك في الكفاية؟ فأجاب: إنّي وصلت لما كنت أروم، ذلك أنّي أحضر لديه بعنوان التلميذ فيقرأ عليَّ مقطعاً من الكفاية، فينفتح باب المناقشة والبحث وكان هذا هو المطلوب لنا**»[٣].

٤ ـ يقول السيّد حسين هادي الصدر: «**وأذكر أنّي زرتُ المرحوم السيّد الخوئي مرّةً وكان السيّد محمّد صادق الصدر حاضراً، فبدأ السيّد الخوئي بنقل قصّةٍ عجيبة ترتبط بمسألة الوراثة والبيئة التي نتحدّثُ عنها الآن، قال: حدّثني المرحوم السيّد حيدر الصدر، ـ والسيّد حيدر الصدر هو واحدٌ من كبار علمائنا المحقّقين وهو والد آية الله السيّد إسماعيل الصدر ووالد الإمام الشهيد آية الله العظمى السيّد محمّد باقر الصدر ـ، يقول السيّد الخوئي: قال لي السيّد حيدر الصدر رحمة الله عليهم جميعاً: (أنا لا أطرد بعوضةً إن جاءت تريد أن تمتصّ دمي مخافة أن تنتقل وتذهب لتمتصَّ دم ولد من أولادي)، فالتفت إليه المرحوم السيّد محمّد صادق الصدر رضوان الله تعالى عليه وقال: (وأنا كذلك)..**»[٤].

٥ ـ كتب السيّد حيدر الصدر رحمه الله إلى تلميذه السيّد محمّد صادق الصدر[٥] ـ بعد أن أرسل الأخير صورته من لبنان إلى العراق ـ الأبيات التالية:

بينا أناجي النفس في قربكم	إذ جاء ما أرجوه «بالعكسِ»
من مبلغٌ «عاملة» أنّها	فاقت بك اليوم على أمسِ
أدعوك عَن نفسي وعن معشري	وعن نوادي العلم والدرس[٦]

أولاده

لم يخلّف السيّد حيدر رحمه الله سوى إسماعيل ومحمّد باقر وآمنة المعروفة بـ(بنت الهدى).

---

(١) موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ٤٢١٣ ؛ انظر الوثيقة رقم (٢).

(٢) انظر: بغية الرغبين ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٢٧ ـ ٢٨ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٣٨ ـ ٣٩.

(٤) وريث الأمجاد وجامع الأضداد، السيّد حسين الصدر، شبكة الإنترنت.

(٥) هو السيّد محمّد صادق ابن السيّد محمّد حسين الصدر أخي السيّد حسن الصدر صاحب (تكملة أمل الآمل)، لا والد الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمه الله.

(٦) الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٧: ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

قال آقا بزرگ الطهراني في (طبقاته): «..**وخلّف**ﷺ **ولدين: السيّد إسماعيل والسيّد محمّد باقر وهما من الفضلاء المشتغلين بطلب العلم في النجف الأشرف ولا سيما الثاني، فقد طبع من آثاره غاية الفكر في مبحث الاشتغال وفدك في التاريخ، حفظهما الله وزاد توفيقهما**»[(١)].

وفاته

توفّي السيّد حيدرﷺ في الكاظميّة ليلة الخميس (٢٧/جمادى الآخرة/١٣٥٦هـ) (١٩٣٧/٩/٤م)[(٢)]، ودفن إلى جانب والده السيّد إسماعيل في الرواق الكاظمي. وأرّخ وفاته جماعة منهم الشيخ محمّد السماويﷺ، فقد قال في أرجوزته (صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد) عند تعداد العلماء ما لفظه:

وكأخيه حيدر الفقيه	والنير المغنى عن التنويه
قد صرف العمر بعلم وعمل	حتّى على الخيرات في الأخرى حصل
واقتطع (الاثنين) منه القدر	فأرّخوا قضى الفقيه حيدر

وقولُه: «**اقتطع** ..» إشارةٌ إلى إسقاط اثنين من مجموع أعداد التأريخ[(٣)].

- * -

إسماعيل

ولد في الكاظميّة في (١٠/شهر رمضان المبارك/١٣٤٠هـ) (١٩٢٢/٥/٨م)، وعكف منذ صباه على دراسة العلوم الشرعيّة والمكمّلة لها، فدرس المقدّمات والسطوح العالية على والده السيّد حيدر وعلى عمّه السيّد محمّد جواد، وعلى الميرزا علي الزنجاني.

هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٣٦٥ هـ) ومعه أهله وأخوه السيّد محمّد باقر، وتتلمذ فيها على أكابر العلماء من أمثال خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين وخاله الشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ محمّد كاظم الشيرازي والسيّد محسن الحكيم والسيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد أبو القاسم الخوئيﷺ والسيّد محمّد صادق الروحاني[(٤)]، وقد أجازه بالاجتهاد كلٌّ من السيّد عبد الهادي الشيرازي والشيخ مرتضى آل ياسينﷺ. شرع في تدريس الخارج، فدرّس نصف دورة من الأصول إلى حين رجوعه إلى الكاظميّة عام (١٣٨٠ هـ) حيث أصبح معتمد المرجعيّة فيها.

كانت للسيّد إسماعيلﷺ مساهمةٌ جليلةٌ في تصعيد الحركة العلميّة، فكتب وصنّف في الفقه والأصول والتفسير والرجال، وممّا يؤسف له أنّ جلّ مصنّفاته لم تطبع، وممّا طبع لهﷺ تعليقة على

---

(١) طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٦٨٤.

(٢) قيل ٢١/جمادى الأولى. (بغية الراغبين ١: ٢٧٠).

(٣) انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ١٠٦ ؛ أعيان الشيعة ١٠: ١٧ ؛ بغية الراغبين ١: ٢٦٤ ـ ٢٧١ ؛ طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٦٨٣ ـ ٦٨٤ ؛ الذريعة ١١: ١٣٥، ٢١: ٢٧٤ ؛ معجم المؤلّفين.. تراجم مؤلّفي الكتب العربيّة ٤: ٩٠ ؛ أسرة آل الصدر: ١٩٨ ـ ٢٠١ ؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق١: ٢٤٤ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٢ ـ ٣٤ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) أخبرني السيّد محمّد صادق الروحاني بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٥م أنّ السيّد إسماعيل الصدرﷺ درس لديه كتاب (الرسائل)، وهو كتاب (فرائد الأصول) للشيخ مرتضى الأنصاريﷺ.

كتاب (التشريع الجنائي الإسلامي) لعبد القادر عودة[١] وهي الأخرى ناقصة ولم يطبع منها سوى القسم الأول، ومحاضرات في التفسير[٢].

عرف بوعيه السياسي وذوقه الاجتماعي، فمثّل مرجعيّة السيّد محسن الحكيم في مدينة الكاظميّة خير تمثيل، وكان عضواً في (جماعة العلماء في النجف الأشرف) وعضواً في (جماعة علماء بغداد والكاظميّة)، فاستفاد منه الرساليّون وأصغى لهم وكان يعلن تأييده لهم، وأصبح مسجده ـ الذي اعتاد إقامة الصلاة فيه ـ مقرّاً للرساليّين والشباب الواعي المثقّف.

ومن معالم شخصيّته البارزة صراحته وجرأته، فقد نقل عنه أنّه واجه الشيخ علي كاشف الغطاء[٣] بكلام عنيف أيّام المدّ الأحمر، وممّا قال له: «**الله الله في دينك.. الله الله في بيتك العريق**»[٤].

ومن مصاديق جرأته كلامه مع الرئيس عبد السلام عارف حينما اجتمع به وفدٌ من (جماعة علماء بغداد والكاظميّة) وكان فيهم السيّد إسماعيل، فأراد عبد السلام التظاهر بحرصه على الإسلام فقال: «**إنّ ابني أحمد يلتزم بالصلاة اليوميّة التزاماً تامّاً**»، فردّ عليه السيّد إسماعيل بقوله: «**نحن لا نريد ابنك فقط مصلّياً أو عابداً بل عليك أن تجعل جميع أبناء الشعب العراقي الذي ترأسه أنت من المصلّين..**»[٥].

توفّي في (٦/ذي الحجّة/١٣٨٨هـ) (١٩٦٩/٢/٢٣م) ودفن في مقبرة السيّد عبد الحسين شرف الدين[٦]. وقد نقل الشيخ النعماني عن السيّد محمّد جعفر الصدر نجل السيّد الصدر أنّه عندما توفّيت والدة السيّد الصدر [سنة ١٩٨٦م]، نقلوا جثمانها إلى النجف الأشرف لتدفن في مقبرة السيّد عبد الحسين شرف الدين التي تقع على الجانب الأيسر للخارج من الصحن الشريف باتّجاه شارع الطوسي، فهيّأوا لها مكاناً داخل المقبرة إلى جانب ولدها السيّد إسماعيل الصدر، وفي أثناء الدفن سقط الجدار الفاصل بين قبرها وقبر ولدها فوجدوا جسده على حاله لم يتغيّر ولم يتبدّل[٧].

---

(١) شرع السيّد إسماعيل الصدر بنشرها على حلقات في مجلّة (الأضواء) قبل أن تطبع.

(٢) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، تحقيق الشيخ سامي الخفاجي، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، قم.

(٣) جاء في ترجمته أنّه أيّد عبد الكريم قاسم والشيوعيّة يوم أفتى العلماء بأجمعهم بكفرهم، ثمّ وقف إلى جانب الحكم العفلقي ـ الصدّامي (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٥، الهامش)، وقد حاولت السلطة فرضه مرجعاً بعد رحيل السيّد الحكيم (الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١٣، الهامش (٤٦)).

(٤) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٥، نقلاً عن جريدة الجهاد، العدد ٢٨٣، ٧/شعبان ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧/٤/٦ : ١١.

(٥) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٥، نقلاً عن جريدة الجهاد، العدد ٢٨٣، ٧/شعبان ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧/٤/٦ : ١١.

(٦) أمّا تاريخ الوفاة فيظهر من وثيقة السيّد الصدر المتقدّمة (إضافةً إلى: ذكرياتي ٦: ١٣). وأمّا مكان الدفن فيظهر من الحادثة الآتية.

(٧) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٤٤ ؛ وقد أكّدت لي ذلك أسرة السيّد الصدر، وما بين [] منها.

انظر ترجمته في: بغية الراغبين ١: ٢٦٦ ـ ٢٧٥ ؛ المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٣ ـ ٥٤ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٤ ـ ٣٥ ؛ أسرة آل الصدر: ٢٠١ ـ ٢٠٢ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة

ـ * ـ

آمنة (بنت الهدى)

ولدت السيّدة آمنة (بنت الهدى) في (١٩/محرّم الحرام/١٣٥٦هـ) (١/٤/١٩٣٧م). وقد سمّيت آمنة تيمّناً باسم أم الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله. درست مقدّمات العلوم على يد أخويها السيّد إسماعيل والسيّد محمّد باقر رحمهما الله. وشاركت في الكتابة في مجلّة (الأضواء) التي تصدرها جماعة العلماء، وكانت تدير مدارس الزهراء عليها السلام، وقد انصرفت إلى كتابة القصص الإسلاميّة، فصدر لها العديد من القصص. وكان انصرافها إلى الأسلوب الأدبي بإشارة من أخيها السيّد الصدر رحمه الله الذي رافقته في كافّة مراحل حياته حتّى استشهدت معه رضي الله عنها[(١)].

رفيقة الدرب

كانت لبنت الهدى رحمها الله مواقف جهاديّة مع أخيها السيّد محمّد باقر رحمه الله الذي لازمته ملازمةً شديدة حتّى قالت: «**إنّ حياتي من حياة أخي، وسوف تنتهي مع حياته إن شاء الله**»[(٢)].

حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٤٤ ـ ٤٥ ؛ وانظر: الأعلام للزركلي ١: ٣١٥ ؛ معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٣٠٥ ؛ معجم المؤلّفين العراقيّين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١: ١١٥ ؛ أعلام العراق الحديث ١: ١٢٣ ؛ المطبوع من مؤلّفات الكاظميّين بين ١٨٧٠ ـ ١٩٧٠: ٨ ؛ موسوعة مؤلّفي الإماميّة ٦: ٤٦٥ ـ ٤٦٨ ؛ دانشنامه قرآن (فارسي) ١: ٧٥١.

(١) انظر: أسرة آل الصدر: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ؛ أعلام النساء المؤمنات: ٧٤ ـ ٨٩ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٢٩ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٤٥ ـ ٤٦. ومن أراد التوسّع حول سيرة الشهيدة بنت الهدى رضي الله عنها، فليراجع مثلاً: عذراء العقيدة والمبدأ ـ جعفر نزار ؛ الشهيدة بنت الهدى سيرتها ومسيرتها ـ الشيخ محمّد رضا النعماني ؛ بطلة النجف ـ أم فرقان ؛ بغية الراغبين ٢: ٧٧٧ وما بعد ؛ مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٤ ؛ معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٨٠٨ ؛ فهرس التراث ٢: ٥٨٧ ؛ المطبوع من مؤلّفات الكاظميّين بين ١٨٧٠ ـ ١٩٧٠: ٥ ؛ التحفة الزبيديّة في مقاتل علماء الإماميّة: ٢٩١ ـ ٣٠٠. وتظهر الكثير من مواقفها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(٢) الشاهد الشهيد: ٤٧ ؛ الحسين يولد من جديد: ١٠٢.

آل ياسين أسرة علميّة أدبيّة سبقت إلى الفضيلة وتقدّمت نحو المجد، نزحت من مقرّها الأصلي (تلعكبر) إلى الكاظمين. وفي القرن الثاني عشر هاجر جدّها الأعلى الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ محسن الكاظمي إلى النجف الأشرف واشترى بها داراً سنة (١١٦٢هـ) وحطّ رحله بها، وهي دار الملاّ أحمد الأردبيلي رحمه الله كما هو المعروف. ولهذه الأسرة شبهة انتساب قويّة إلى الشجرة العلويّة، إلا أنّها لم تدّع الانتساب إليها.

ولعلّ أبرز شخصيّة علميّة في هذه الأسرة الشيخ محمّد حسن جدّ هذه الأسرة الذي يعدّ من أعاظم الفقهاء في عصره. ثمّ برز غير واحد من رجالها إلى عهد قريب[1]:

١ ـ الشيخ عبد الحسين آل ياسين

هو الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ باقر ابن الشيخ محمّد حسن ابن الشيخ ياسين (الذي تنسب إليه الأسرة) ابن الشيخ محمّد علي ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ محسن العكبري الكاظمي النجفي.

كان جدّه الشيخ محمّد حسن (ت: ١٣٠٨هـ) كبير فقهاء هذه الأسرة الجليلة. وأبوه هو الآخر كان من أجلّة العلماء، إلاّ أنّه نشأ في أحضان جدّه فأحسن تربيته وتعليمه واعتنى به وصرفه إلى طلب العلوم الشرعيّة، فتلمذ على تلامذة جدّه في الكاظميّة في أوّل أمره، ثمّ هاجر في حياة جدّه إلى مركز العلم النجف الأشرف، فبقي فيها مدّة من الزمن ما لبث أن هاجر بعدها إلى سامرّاء ليدرك بحث السيّد المجدّد الشيرازي رحمه الله. ولمّا وصله خبر وفاة جدّه رحل إلى الكاظميّة ليقوم مقامه، إلاّ أنّه سرعان ما سافر منها إلى كربلاء لحضور بحث السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله، فاختصّ به سنتين فحاز على درجة الاجتهاد واطمأنّ إلى نفسه، فعاد إلى الكاظميّة ليكون في طليعة علمائها الأعلام.

صاهر السيّد هادي الصدر على كريمته التي عرفت لاحقاً بـ(أم المشايخ)، وصاهره السيّد حيدر الصدر رحمه الله على كريمته بتول، فأنجبت له السيّد إسماعيل والسيّد محمّد باقر والسيّدة آمنة رحمهم الله.

له آثار وكتابات في الفقه والأصول طبع بعضها، وإجازات باجتهاده من الميرزا حسين الخليلي والسيّد إسماعيل الصدر والسيّد محمّد بحر العلوم والشيخ محمّد كاظم الخراساني وغيرهم رحمهم الله.

توفّي في الكاظميّة في ١٨/صفر/١٣٥١هـ (١٩٣٢/٦/٢٣م)، ونقل إلى النجف فدفن مع جدّه في مقبرته المعروفة، وخلّف أنجاله الثلاثة: الشيخ محمّد رضا والشيخ مرتضى والشيخ راضي رحمهم الله[2].

---

(١) انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٢٦ ـ ٥٢٧ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٥. وقد ادّعي انتسابهم إلى السادة السيّد جعفر الأعرجي، ولكنّ الأسرة لا تعرف هذه النسبة، على ما جاء في المصدر الأوّل.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٣: ١٠٣٣ ـ ١٠٣٤ ؛ معارف الرجال ٢: ٣٩ ـ ٤١ ؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٥ ـ ٤٦.

٢ ـ الشيخ محمّد رضا آل ياسين (١٢٩٧ ـ ١٣٧٠هـ)

صاهر الشيخ عبد الحسين السيّد هادي الصدر على كريمته [أم المشايخ] شقيقة السيّد حسن الصدر فأنجبت له ثلاثة من فحول الفقه والأدب والعلم، كان كبيرهم الشيخ محمّد رِضا الذي ولد في (ربيع الأول/١٢٩٧هـ) الذي لمس فيه والده النبوغ والذكاء فاهتمّ بتعليمه، فقرأ عليه وعلى غيره من الفضلاء المقدّمات والسطوح. وكان من أساتذته السيّد حسن الصدر والشيخ حسن الكربلائي والسيّد علي السيستاني وأخيراً السيّد إسماعيل الصدر، وجلّهم من مشاهير شيوخ الحوزات العلميّة وأكابر أساتذتها. وقد تزوّج الشيخ محمّد رضا من كريمة السيّد إسماعيل الصدر وخلّف منها كريمته افتخار التي تزوّجها السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله وأولدها الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمه الله.

عرف الشيخ محمّد رضا بنبوغه في الفقه وتبحّره العميق ووفرة عقله، فبرز في مقدّمة المراجع الأعلام ورُجع إليه في التقليد، وكان محطّ أنظار العلماء، فتخرّج من مجلس درسه عشرات الفقهاء والعلماء. له إجازة في الرواية من خاله السيّد حسن الصدر رحمه الله، وله تعليقة على (العروة الوثقى) طبعت سنة ١٣٥٦هـ، ورسالته العمليّة (بلغة الراغبين في فقه آل ياسين) طبعت ستّ مرّات ظاهراً.

وبعد أن ناهز على السبعين من عمره الشريف لبّى نداء ربه في ٢٨/رجب/١٣٧٠ هـ، وكان مبتلى بضيق النفس والضعف العام عدّة سنين، وقد صلّى عليه أخوه الشيخ مرتضى آل ياسين ودفن في مقبرتهم الخاصّة في النجف. ويروى أنّ ٣٥،٠٠٠ روبيّة وصلت إلى الشيخ آل ياسين رحمه الله من البحرين يطلبون توزيعها على المشتغلين، فطلب الشيخ آل ياسين رحمه الله من السيّد الخوئي رحمه الله أن يتولّى توزيعها فاعتذر، فتولّى توزيعها الشيخ صادق الإيرواني رحمه الله. ويروى أنّه في ليلة عيد ثبت الهلال عند الشيخ آل ياسين رحمه الله ولكنّه لم يحكم، وأرسل إلى السيّد محسن الحكيم رحمه الله يطلب ً منه أن يحكم هو، كما أنّ السيّد الحكيم ثبت عنده ولكنّه طلب من الشيخ أن يتولّى هو الحكم.

له: **١ ـ** سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد للشيخ صاحب (الجواهر). **٢ ـ** شرح منظومة السيّد بحر العلوم نظماً. **٣ ـ** شرح تبصرة العلاّمة الحلّي (استدلالي). **٤ ـ** شرح مشكلات العروة الوثقى. **٥ـ** حواش على وسيلة النجاة. **٦ ـ** بلغة الراغبين في فقه آل ياسين، طبعت سبع مرّات[1].

٣ ـ الشيخ مرتضى آل ياسين (١٣١١ ـ ١٣٩٨هـ)

هو أبو علي المرتضى، من مشاهير العلماء ومراجع الدين، أديبٌ كبير وشاعرٌ رقيق. ولد في مدينة الكاظميّة عام (١٣١١هـ) ونشأ بها على جدّه السيّد هادي الصدر وأبيه الشيخ عبد الحسين، وفيها انصرف إلى طلب العلم فقرأ المقدّمات والسطوح على بعض علمائها، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف للحضور في مجلس المحقّق النائيني رحمه الله والسيّد أبو الحسن الإصفهاني رحمه الله، وحضر أبحاث أخيه الشيخ محمّد رضا فنال درجة الاجتهاد وهو في عقده الثالث.

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٧٥٧ ـ ٧٥٨ ؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٣٢ ـ ٥٣٤ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٦ ؛ والحادثتان الأخيرتان من: نجفيّات: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

هاجر إلى مدينة الكاظميّة ليستقي من ينبوع علمه فريقٌ من علماء الكاظميّة وبغداد، ثمّ سكن مدينة كربلاء بطلب من أفاضل علمائها لإحياء الحركة الفقهيّة فيها، فاستجاب لطلبهم فكان محطّ أنظار عشّاق العلم، فتخرّج من حلقة درسه عشرات العلماء. ولمّا انتابت العلل والأمراض جسم أخيه الشيخ محمّد رضا عاد إلى النجف الأشرف ليكون ساعده، فقام بأعباء إدارته العلميّة وزعامته الدينيّة وأداء الصلاة جماعة، وكان أخوه قد أرجع مقلّديه إليه في احتياطاته.

وكان الشيخ المرتضى في مقدّمة العلماء والمراجع الواعين، وتشهد له (جماعة العلماء في النجف) بالوعي والمثابرة من أجل رفع لواء الإسلام[(١)].

٤ ـ الشيخ راضي آل ياسين (١٣١٤ ـ ١٣٧١هـ)

كان الشيخ راضي ثالث أبناء الشيخ عبد الحسين، وقد ولد في مدينة الكاظميّة في شهر محرّم الحرام سنة (١٣١٤هـ)، ونشأ في ظلّ رعاية والده.

جدّ في طلب العلم منذ نعومة أظفاره كما هو دأب إخوته وأعاظم رجال أسرته، فدرس في الكاظميّة المقدّمات والسطوح.

هاجر إلى النجف الأشرف لحضور أبحاث الخارج، فحضر لدى عدّة من الفقهاء في مقدّمتهم شقيقه الشيخ محمّد رضا والشيخ محمّد كاظم الشيرازي رحمهما الله. ولمّا توفي والده عزم على الرجوع إلى الكاظميّة ليقوم مقامه، فكان محلّ اعتماد أهالي الكاظميّة وما حولها.

عرف الشيخ راضي بالأدب إلى جانب كونه عالماً، وكان ممّن ينظم الشعر، ومن مشاريعه الفريدة أنّه جمع كلمات الإمام الحسن والحسين عليهما السلام وخطبهما على غرار ما جمعه الشريف الرضي من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وأسماه (أوج البلاغة).

كما عرف الشيخ راضي في طليعة المؤرّخين، ومن أشهر ما كتبه في هذا الميدان كتابه (صلح الحسن عليه السلام) الذي أماط فيه عن حقيقة الأمر، فأكمل نقصاً كان واضحاً في المكتبة الإسلاميّة.

وممّا كتبه في التاريخ (تاريخ الكاظميّة) وقيل إنّه لم يصنّف مثله. وقد انتقل إلى جوار ربّه في لبنان يوم الخميس ١٦/ذي القعدة/١٣٧١هـ (١٩٥٢/٨/٧م)، ونقل جثمانه إلى النجف ودفن فيها[(٢)].

* * *

---

(١) انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٣٤ ـ ٥٣٥؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) انظر: طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٧١٨ ـ ٧١٩؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٢٨ ـ ٥٢٩؛ موسوعة العتبات المقدّسة ١٠: ١١٨؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٧ ـ ٤٨.
وفي المصادر أنّ وفاته كانت في ١٥/ذي القعدة/١٣٧٢هـ، ولكنّ رسالة السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله مؤرّخة بـ٢٢/ذي القعدة/١٣٧١هـ، وقد جاء في سجلّ رسائله أنّ وفاته كانت يوم الخميس ١٦/ذي القعدة/١٣٧١هـ كما أنّ السيّد عبد الله شرف الدين يؤكّد على أنّ وفاته رحمه الله كانت سنة ١٣٧١هـ لا ١٣٧٢هـ (كما أتذكّره جيّداً) بحسب تعبيره (مع موسوعات رجال الشيعة ١: ٦٧٤).


المدخل

كانت بريطانيا تخطّط للسيطرة على العراق منذ القرن السابع عشر لما تزخر به أرضه من خيرات، فضلاً عن أنّ الخليج العربي كان يمثّل مركزاً استراتيجيّاً واقتصاديّاً وسياسيّاً عظيماً. وليس من الصدف أن أسّست شركة الهند الشرقيّة سنة ١٦٤٣م أوّل معمل لها في البصرة وأقامت فيها أحد فروعها. وفي سنة ١٧٦٣م أصبحت تلك المدينة سوقاً تجاريّة بريطانيّة نشيطة. وبعد مدّة خطت بريطانيا خطوة جديدة ضمن مخطّطها، فعيّنت سنة ١٧٩٨م مندوباً دائماً لها في البصرة، وهي السنة نفسها التي وجّهت فيها فرنسا حملة بقيادة نابليون بونابرت ضدّ مصر. وزاد اهتمامها بذلك القطر بعد تدشين قناة السويس سنة ١٨٦٩م، وخاصّة بعد أن أصبحت سنة ١٨٧٥م أكبر مساهم في شركة القناة، إذ بدأت تفكّر في إقامة خط حديدي يربط حيفا على البحر الأبيض المتوسّط بالبصرة على الخليج العربي لمنافسة ألمانيا التي حصلت على امتياز خط الحديد برلين ـ بغداد.

وفي سنة ١٩١١م كانت وراء إنشاء شركة النفط التركيّة (Turkish Petroleum Company) فقامت بإرسال البعثات الظاهرة والخفيّة للقيام بالدراسات التفصيليّة ورفع التقارير، مثل تقارير ضابط الاستخبارات الإنجليزيّة الشهير لورانس الذي أرسل للعراق قبل ١٩١١م، وتقارير غرترودبل التي لعبت دوراً هامّاً منذ بداية القرن العشرين إلى ما بعد تأسيس الحكومة العراقيّة في تدعيم الاستعمار البريطاني.

قبل تغلغل بريطانيا في كامل أنحاء العراق كانت قد بسطت هيمنتها على الخليج العربي بعد أن طردت الغزاة البرتغاليّين والهولنديّين والفرنسيّين، ودافعها في ذلك حماية طرق المواصلات إلى مستعمراتها في الهند والتطلّع إلى الوصول إلى العراق وسوريا وموانئ البحر الأبيض المتوسّط. وقد بدأت مرحلة التنفيذ الفعلي للسيطرة على العراق بعد إعلان الحرب العالميّة الأولى بأيّام قلائل، إذ استولت على البصرة في ١٩١٤م، وبذلك قضت على مخطّط الألمان في إيصال خطّ الحديد برلين ـ بغداد إلى الخليج العربي. ومن البصرة أخذت القوات البريطانيّة تتّجه شمالاً وتحتلّ المدن العراقيّة الواحدة تلو الأخرى، إلى أن احتلّت بغداد سنة ١٩١٧م والموصل سنة ١٩١٨م، وبذلك أصبح العراق خاضعاً مباشرة للاستعمار البريطاني الذي اتّبع سياسة الترهيب والترغيب لإحكام قبضته على ذلك القطر العربي. إلاّ أنّ الشعب العربي تصدّى لذلك الاحتلال بكلّ ما يملك من قوّة حين أيقن أنّ بريطانيا لم تُخلّ فقط بوعودها التي أعطتها للشريف حسين بمساعدته على إقامة الدولة العربيّة الكبرى، بل ذهبت إلى حدّ احتلال وطنهم بالقوّة مستغلّة نقمتهم على الدولة العثمانيّة التي أرادت ـ خاصّة منذ وصول الاتّحاديين إلى الحكم ـ أن (تُتَرِّك) الأقطار العربيّة كافّة. وقد تظافرت عدّة عوامل على تأجيج نار النقمة على الاستعمار بشكل عام وعلى الإنجليز بشكل خاص. فبالإضافة إلى العامل السابق كان الوعي القومي العربي قد بدأ يأخذ طريقه إلى المثقّفين والضبّاط العرب العاملين في الجيش العثماني، فتكوّنت الجمعيّات السريّة حتّى في الآستانة نفسها، ومنها جمعيّة العهد قبل الحرب العالميّة التي لعبت دوراً فعّالاً في نشر ذلك الوعي والتصدّي لحركة (التتريك). وجاء نشر اتّفاقية سايكس ـ بيكو من طرف حكومة الثورة السوفييتيّة من ناحية وإعلان وعد بلفور من ناحية

ثانية ليثبت مدى خيانة الإنجليز. ذلك كلّه بالإضافة إلى الممارسات الداخليّة ـ خاصّة في ميدان الضرائب ـ أدّى إلى انتفاضة شعبيّة في العراق بلغت أوجها في الثورة العراقيّة الكبرى التي أصبحت تعرف بثورة العشرين.

الثورة العراقية الكبرى أو ثورة ١٩٢٠م

اشتدّ نضال الحركة الوطنيّة ضدّ الإنجليز بعد أن وضعت الحرب العالميّة أوزارها لكلّ الأسباب التي ذكرناها سابقاً، خاصّةً بعدما جاء في ميثاق عصبة الأمم ـ التي وضع مؤتمر الصلح ميثاقها سنة ١٩١٩م ـ من تقسيم البلاد العربيّة التي كانت تحت السيطرة العثمانيّة بين بريطانيا وبين فرنسا، ثمّ ما أقرّه الحلفاء في مؤتمر (سان ريمو) سنة ١٩٢٠م من وضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. فعلى إثر ذلك ضاعفت الحركة الوطنيّة من نشاطها وتكاتفت جميع القوى المخلصة القوميّة والدينيّة لطرد الإنجليز وتحقيق الاستقلال، فاجتمع أقطاب الحركة الوطنيّة ووضعوا اللمسات الأخيرة لإشعال نار الثورة التي هيّأوا لها منذ دخول القوّات البريطانيّة وبالاتّفاق مع عشائر الفرات الأوسط، فاتّصلوا بالمرجع الديني الكبير الشيخ محمّد تقي الشيرازي رحمه الله الذي أصدر فتواه الشهيرة «**المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيّين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسّل بالقوّة الدفاعيّة إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطاليبهم**».

وهكذا انطلقت الرصاصة الأولى للثورة العراقيّة في ١٩٢٠/٦/٣٠م في الرميثة والنارنجيّة، ثمّ تبعتها بقيّة المدن والقرى العراقيّة وعلى رأسها مدينة النجف التي كانت القاعدة الأساسيّة لثورة العشرين التي أبدى فيها العراقيّون من البسالة ما جعل الاستعمار البريطاني يحسب لهم فيما بعد ألف حساب، إذ غيّر ذلك الاستعمار فعلاً من سياسته الرامية إلى ضمّ العراق إلى إدارته الاستعماريّة في الهند وإلى تقديم بعض التنازلات، منها إقامة حكومة مؤقّتة من عناصر تنفّذ المصالح الإنجليزيّة وتحظى في الوقت نفسه بثقة الجماهير.

وفعلاً تشكّلت حكومة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني غايتها الأساسيّة العمل على تهيئة الأجواء لتشكيل مجلس نيابي منتخب لسنّ الدستور، وأخذ السير برسي كوكس المندوب السامي يتجوّل بين مختلف المدن لزيارة وجهائها لتهدئة خواطرهم إلى أن بدأت الطمأنينة تستتبُّ في النفوس شيئاً فشيئاً حتّى انتهت الثورة الكبرى التي استمرّت من حزيران ـ إلى تشرين الأول/١٩٢٠م، وكان عدد الشهداء والضحايا حوالى عشرة آلاف. كما تكبّدت فيها بريطانيا خسائر فادحة، بالإضافة إلى الدرس المليء بالعبر الذي جعلها تتيقّن من أنّها لن تستطيع بأيّة حال من الأحوال حكم العراق بشكل مباشر. لذلك أخذت تبحث عن وسيلة جديدة تضمن بها مصالحها بأقلّ ثمن، فاتّجهت من جديد إلى الهاشميّين وإلى عائلة الشريف حسين بالذات الذي كانت قد خانته فيما مضى.

تنصيب الملك فيصل ملكاً على العراق

ارتأت بريطانيا هذه المرّة اللعب بورقة ابني أمير مكّة عبد الله وفيصل الذي كان قد اكتسب شهرة واسعة أثناء الحرب العالميّة، حيث كان قائداً للقوّات العربيّة التي قاتلت إلى جانب الحلفاء في الشرق الأوسط، ولذلك حضر بصفته ممثّلاً للحجاز في مؤتمر السلام في فرساي، وكان يطمح إلى

أن يكون ملكاً على سوريا بمساعدة بريطانيا. ولكنّ سوريا كانت ـ حسب اتّفاق سايكس ـ بيكو ـ من حصّة فرنسا. لذلك لم يستطع فيصل نيل عرش سوريا رغم قرار المؤتمر السوري العام في ١٩١٩م بانتخابه ملكاً على سوريا وبرفض الانتداب الفرنسي، حيث انهزمت الجيوش العربيّة أمام القوّات الفرنسيّة الغازية، واضطرّ فيصل لمغادرة البلاد في ١٩٢٠/٧/٢٧م، أي بعد حوالى شهر واحد من اندلاع ثورة العشرين.

وفي آذار/١٩٢١م قرّر مؤتمر القاهرة الذي عقده تشرشل لحلّ مشاكل الشرق الأوسط تعيين فيصل ملكاً على العراق، وعبد الله أميراً على شرقي الأردن. وقد لاقى ذلك التعيين تأييداً شعبياً في العراق باستثناء جزء من المواطنين الذين كانوا ينادون بإقامة الجمهوريّة. وحيث كانت الحركة الوطنيّة في معظمها تنادي بإقامة «**حكومة مستقلّة استقلالاً تامّاً وناجزاً برئاسة ملك عربي مسلم متقيّد بدستور ومجلس تشريعي منتخب**» وكانت أنظارها متّجهة آنذاك إلى الأمير عبد الله رغم ورود عدّة أسماء أخرى مثل الأمير خزعل أمير المحمّرة الذي كان شديد التأييد لبريطانيا، إلاّ أنّ بريطانيا استبعدته لأنّها كانت تخطّط للقضاء عليه بالاتّفاق مع رضا خان الذي بدأ حركته ضد الشاه القاجاري أحمد واحتلّ إقليم الأهواز العربي واقتحم جيشه بقيادة فضل الله زاهدي مدينة المحمّرة، وأجبر أميرها خزعل على الالتجاء إلى البصرة بعد أن تخلّت عنه بريطانيا سنة ١٩٢٣م. ومن بين الأسماء أيضاً برهان الدين ابن آخر سلطان عثماني، وغيرهم.

ورغم أنّ بريطانيا قرّرت على أيّة حال تنصيب فيصل على العرش، فقد أرادت أن تعطي لقرارها طابعاً شرعيّاً وتظهر أنّ اختيار ذلك الملك كان برضا الشعب الذي كان فعلاً يريد ملكاً من أبناء الحسين. وجرى استفتاءٌ شعبيٌّ كانت نتيجته حسب المصادر الحكوميّة ٩٦٪ لصالح فيصل الذي توّج ملكاً على العراق في ١٩٢١/٨/١٣م وبعد حوالى سنة فرضت بريطانيا عليه التوقيع على معاهدة ١٩٢٢/١٠/١٠م رغم معارضة الشعب العنيفة لها، حيث كانت بريطانيا ترمي من وراء المعاهدة إلى ترسيخ الانتداب بأقلّ النفقات والخسائر الممكنة.

ورغم أنّ كلّ مواد تلك المعاهدة تشير إلى ذلك المخطّط ـ فالمادّتان الخامسة والسادسة كانتا من الوضوح بمكان ـ فقد جاء في المادة الخامسة «**أن تمثّل بريطانيا العراق في الخارج**» وفي المادة السادسة «**أن تحتفظ بريطانيا في العراق بجيش للدفاع عن التجاوز الخارجي، وتأييد الأمن في الداخل، وتستخدم الطرق والسكك الحديديّة والموانئ لحركات هذه القوّات ونقل الوقود والذخيرة**». وبعد عدّة تعديلات غير جوهريّة قدّمها الملك فيصل تمّ التوقيع على تلك المعاهدة.

ثمّ أخذت بريطانيا بواسطة الملك تعمل على إجراء انتخابات للمجلس التأسيسي ليوافق بدوره عليها، ولكن بعد انتخاب المجلس التأسيسي الذي عيّن لجنة برئاسة ياسين الهاشمي للتدقيق في تلك المعاهدة ثار الشعب مرّة أخرى ضدّها، وكان ذلك في نيسان/١٩٢٤م عندما أعلنت اللجنة عن انتقادها لها، ولكن بعد تهديدات متعدّدة بحلّ المجلس تمّت الموافقة في نهاية الأمر.

وتلت تلك المعاهدة الشهيرة معاهدات أخرى ترمي إلى نفس الهدنة وذلك في ١٩٢٦/١/١٣م و١٩٢٧/٩/١٤م و ١٩٢٧/١٢/١٤م ثمّ في ١٩٣٠/٦/٣٠م. وهذه المعاهدة الأخيرة تنصّ على «**استقلال**

العراق» وتؤكّد في الوقت نفسه على التحالف السياسي والعسكري بين بريطانيا وبين العراق، بعد أن تركت على رأس الحكم أشخاصاً يدينون لها بالولاء التام، مثل نوري السعيد (١٨٨٨ ـ ١٩٥٨م)، بالإضافة إلى أنّها خلقت أثناء الانتداب طبقة أرستقراطيّة وزّعت عليها الأراضي الشاسعة، بينما كانت الأغلبيّة الساحقة من الشعب تتضوّر جوعاً، وأوجدت العديد من شركاتها وعلى رأسها شركة نفط العراق (Iraq Petroleum Company) التي بدأت تستثمر النفط ابتداء من سنة ١٩٢٧م.

وهكذا لم تأت معاهدة (الاستقلال) إلاّ لتثبيت المصالح البريطانيّة والمحافظة على الأمر الواقع، ولم تخدع تلك المعاهدات البرّاقة الحركات الوطنيّة بمجموعها، فحاربتها وطالبت بالاستقلال الحقيقي، واستطاع الملك أن يلعب على التناقضات داخل الحركة الوطنيّة من ناحية ويراوغ الحكومة البريطانيّة من ناحية أخرى، ويأخذ بعين الاعتبار الموازنات السياسيّة إلى أن مات سنة ١٩٣٣م. ولم يستطع ابنه الشاب غازي مواصلة تلك السياسة، وبالتالي السيطرة على الأحداث. فتصاعدت النقمة ضدّ البريطانيين وأصبح الحكم في مهبّ الرياح، إلى أن وقع أوّل انقلاب وطني قاده بكر صدقي سنة ١٩٣٦م لم يلغ النظام الملكي، وإنّما فرض حكومة وطنيّة ترأّسها حكمت سليمان، ولكن بعد حوالى عشرة أشهر قتل بكر صدقي.

وسنة ١٩٣٩م قتل الملك غازي في حادث سيّارة غامض، وباعتبار أنّ ابنه فيصل الثاني كان دون سن الرشد، فقد عيّن خاله الأمير عبد الإله وصيّاً على العرش إلى سنة ١٩٥٣م حين بلغ الملك سنّ الرشد. وقد أدّى تعلّق عبد الإله ببريطانيا وخضوعه التام لها إلى زيادة النقمة الشعبيّة على البريطانيّين وعلى الفرع الملكي الذي يمثّله الوصي على العرش، إلى أن اندلعت الثورة الوطنية الثانيّة بقيادة رشيد عالي كيلاني[(١)].

---

(١) موسوعة السياسة ٤: ٥٤ ـ ٥٧.

وانظر حول ثورة العشرين وما أعقبها: **١ ـ** تاريخ الحركة الإسلاميّة في العراق.. الجذور الفكريّة والواقع التاريخي، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٤م، عبد الحليم الرهيمي، الدار العالميّة ـ بيروت، ١٩٨٥م ؛ **٢ ـ** تاريخ الحركة الديموقراطيّة في العراق، عبد الغني الملاّح، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٠م ؛ **٣ ـ** ثورة الخامس عشر من شعبان.. ثورة العشرين، عبّاس محمّد كاظم، ط١، ١٩٨٤م ؛ **٤ ـ** الثورة العراقيّة الكبرى، السيّد عبد الرزّاق الحسني، ط٢، حدود ١٣٨٤هـ ؛ **٥ ـ** الثورة العراقيّة الكبرى سنة ١٩٢٠م، الدكتور عبد الله فيّاض، ط٢، ١٩٧٥م، مطبعة دار السلام ؛ **٦ ـ** الثورة العراقيّة الكبرى لسنة ١٩٢٠م، السيّد محمّد علي كمال الدين، قدّم له علي الخاقاني، مطبعة التضامن، ١٩٧١م ؛ **٧ ـ** ثورة العشرين الوطنيّة في العراق، ل. ن. كوتلوف، بغداد، ١٩٧١م ؛ **٨ ـ** ثورة النجف، حسن الأسدي، وزارة الأعلام في الجمهوريّة العراقيّة، ١٩٧٥م. **٩ ـ** الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، فريق المزهر آل فرعون، ط١، ١٩٥٢م = ١٣٧١هـ، مطبعة النجاح ـ بغداد ؛ **١٠ ـ** شيخ الشريعة.. قيادته في الثورة العراقيّة الكبرى ١٩٢٠م ووثائقه السياسيّة، الشيخ عبد الحسين الحلّي، تتميم وتحقيق وتوثيق كامل سلمان الجبّوري، دار القارئ ـ بيروت، ٢٠٠٥م ؛ **١١ ـ** الشيعة والدولة العراقيّة الحديثة، الدكتور عدنان عليان، العارف للمطبوعات ـ بيروت، ٢٠٠٥م ؛ **١٢ ـ** صفحات من تاريخ العراق المعاصر.. دراسات تحليليّة، الدكتور كمال مظهر أحمد، منشورات مكتبة البدليسي، ١٩٨٧م ؛ **١٣ ـ** لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، الدكتور علي الوردي، إصدار مكتبة الصدر، ٢٠٠٤م ؛ **١٤ ـ** النجف الأشرف وحركة الجهاد عام ١٣٣٢ ـ ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م، حقائق ووثائق ومذكّرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل، كامل سلمان الجبوري، دار العارف ـ بيروت، ٢٠٠٢م ؛ **١٥ ـ** النجف الأشرف ومقتل الكابتن

وضع المرجعيّة الدينيّة

في هذه المرحلة كانت المرجعيّة الدينيّة بمنأى عن حاجات الشعب العراقي، وكانت الحوزة العلميّة منكفئةً على نفسها حتّى في زمانها المزدهر أيّام السيّد أبو الحسن الإصفهاني رحمه الله[(١)].

وحتّى الذين تصدّوا للشأن السياسي العام وقدّموا الخدمات[(٢)]، لم تطل اهتماماتهم إنسان العراق في يوميّاته ومعايشاته، وظلّت الحواجز بين المرجعيّة وبين الأمّة قائمة.

لقد كانت الحوزة العربيّة في النجف الأشرف ضعيفةً إلى أقصى الحدود، وكان أكثر روّادها من قرّاء العزاء، وكانوا يمكثون فيها لفترة، ثمّ يرجعون إلى ديارهم لقراءة العزاء[(٣)]، وكان عدد طلاّب هذه الحوزة من العراقيّين لا يتجاوز الثلاثين[(٤)]، وكانت الحوزة ـ في العراق ـ في هذا العهد حوزة إيرانيّة، ولم يكن هناك وجود لحوزة عراقيّة[(٥)].

في هذه الأجواء قامت محاولات كثيرة لإصلاح الوضع القائم، ساهم الكثير من رجالات المرحلة في تأسيسها وتثبيتها ثمّ تشييدها..

وفي هذه الأجواء التي بدأ بتغييرها بشكل رئيس السيّد محسن الحكيم رحمه الله، ولد السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله، الذي قدّر للعراق أن يشهد على يديه بداية مرحلة جديدة، أسّس فيها لمعادلة مختلفة مفادها أنّه: «**ليست حياة أيّ إنسان إلاّ بقدر ما يعطي لأمّته من وجوده وحياته وفكره**»[(٦)].

* * *

مارشال، كامل سلمان الجبّوري، دار القارئ ـ بيروت، ٢٠٠٥م ؛ **١٦ ـ** النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، محمّد علي كمال الدين، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبّوري، دار القارئ ـ المواهب، ٢٠٠٥م.

(١) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٨١)، ١٧/رجب/١٤٠٥هـ في حديثٍ مع السيّد حسن شبّر.

(٢) انظر مثلاً: المرجعيّة الدينيّة، الحلقة الثانية: ٥٩ ـ ١١٩.

(٣) نجف.. آشيانه علم واخلاق (فارسي)، سيّد احمد مددى: ٥٠ ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (دام ظله). وهذا الجانب بحاجة إلى دراسة مستقلّة، ولسنا بصدد الحديث عن التحرّك السياسي للمرجعيّة وثورة العشرين وغيرها من الحركات، وإنّما بصدد الحديث عن العُلقة بين الأمّة ومرجعيّتها، خاصّةً ضمن دائرة الحوزة العربيّة، وقد فصلنا بين المسارين العراقي والإيراني لأنّ الوضع في الساحة الإيرانيّة كان أفضل نسبيّاً، وكان تسيير الوكلاء أكثر رواجاً.

(٤) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٩٩ ـ ١٠٠، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٥) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (دام ظله).

(٦) من جواب السيّد الصدر رحمه الله عن برقيّة السيّد الخميني رحمه الله في حديث هاتفي بتاريخ ١٩٧٩/٦/٣٠م (٥/شعبان/١٣٩٩هـ).



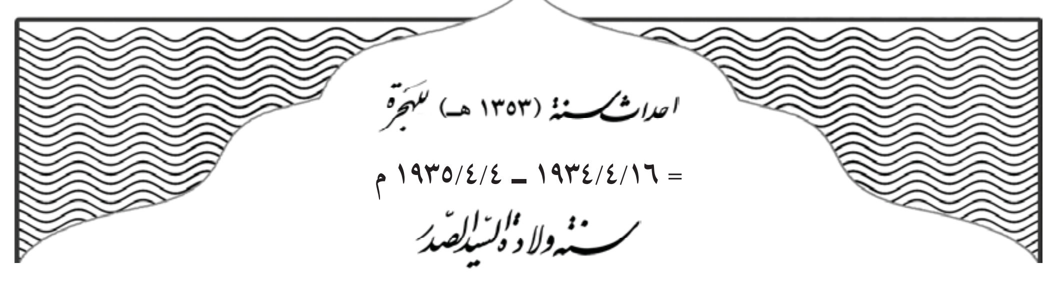
الفصل الثاني

النشأة العلمية

(١٣٥٣ - ١٣٧٥) هجرية

في الكاظمية

في النجف الأشرف



❋ ❋ ❋

ولادة السيّد محمّد باقر الصدر

ولد السيّد محمّد باقر الصدر في مدينة الكاظميّة إحدى ضواحي العاصمة العراقيّة بغداد، وذلك في ٢٥/ذي القعدة/١٣٥٣هـ الموافق (١٩٣٥/٣/١م)[(١)].

وقد اشتهر بين العائلة أنّ أمّه رأت في المنام أنّها سترزق ولداً يومَ الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة وسوف يكون له شأنٌ كبير[(٢)].

وقد نقل عن شهيد المحراب الشهيد صدوقي قوله: «**رأى جدّ الشهيد الصدر ـ يعني السيّد**

---

(١) ورد هذا التاريخ بخطّ السيّد الصدر في جوابه عن بعض الأسئلة الموجّهة إليه، [انظر الوثيقة رقم (٣)] ؛ وانظر متن الوثيقة في: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٥ ؛ وصورتها في المصدر نفسه ١: ٣٠٦ (غير أنّ محلّ الشاهد قد سقط من صورة الوثيقة في المصدر المذكور) ؛ وانظر كذلك: أسرة آل الصدر، السيّد عبد الغني الأردبيلي: ٢٠٣ ؛ ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٣٣ ـ ٣٤. وقد اعتمد الجميع على رسالة السيّد الأردبيلي أو على الوثيقة المتقدّمة، فلا نكرّر. ويشار إلى أنّ يوم ٢٥ من ذي القعدة هو يوم دحو الأرض.

وقد ذكر السيّد محمّد الحسيني (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٨) أنّ هناك روايتين حول ولادة السيّد الصدر تقول الأولى إنّها كانت عام ١٣٥٠هـ والثانية ١٣٥٣هـ وقد استبعد بحقّ الرواية الأولى.

كما ونقل الدكتور شبلي الملاّط عن السيّد مهدي الحكيم بأنّ السيّد الصدر قتل في عامة التاسع والأربعين (تجديد الفقه الإسلامي: ٢٥٧، هامش ٣٥)، وعليه فإنّ ولادته تكون سنة ١٣٥١ هـ.

وقد نقل الشيخ علي أكبر برهان عن السيّد الصدر أنّ ولادته كانت سنة (١٣٥١هـ).

كما جاء في بعض المنشورات أنّه ولد في (٢٥/ذي القعدة/١٣٥٠) (لمحات من حياة الإمام المرجع الإسلامي الكبير آية الله العظمى السيّد محمّد باقر الصدر: ١)، وورد أيضاً في (الشهيد الصدر نبوغٌ في الشرع الإسلامي: ٣).

وعلى أيّة حال، فما ذكره السيّد الصدر بخط يده مقدّمٌ على هذه الروايات.

وقد ذكر السيّد الحسيني في دراسته الأولى (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٨) أنّ الخامس والعشرين من ذي القعدة يصادف ١٩٣٥/٣/٢م، ثمّ عدل عن ذلك قائلاً: إنّه يصادف ١٩٣٥/٢/٢٨م، وإنّ يوم ولادته صادف يوم الأحد. وهو ما ذكره الحاج حسين الشاكري (ذكرياتي، ق٦: ١٦) نقلاً عمّن كتب عن السيّد الصدر.

ولعلّ الترديد في ما يقابله من التاريخ الميلادي راجعٌ إلى اختلاف وسائل تحصيل التاريخ الميلادي، وقد وجدت أنّ برامج الحاسب الآلي نفسها قد اختلفت في ذلك. وأمّا كونه يوم الأحد، فلم أقف على مستنده في ذلك، إذ لم أجد من المصادر المعتمدة وغيرها من ذكر أكثر من التاريخ. وقد جاء في برنامج (نجوم اسلامى) الذي اعتمدنا عليه أنّه يصادف يوم الجمعة.

(٢) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

إسماعيل الصدر ـ في ما يرى النائم في منامه نفسَه وقد حلّ ضيفاً على الإمام الرضا عليه السلام في مرقده الشريف في مشهد المقدّسة.

وما إن دنا من الضريح المطهّر حتّى انفلق عن طلعة الإمام البهيّة، فبرز الإمام إليه مرحّباً ومحيّياً ومستقبلاً إيّاه بالبشاشة والبِشْر، ثمّ طلب إليه أن يصحبه إلى قمّ المقدّسة حيث أخته معصومة في قم. وفي المرقد المقدّس حدث نفس الذي حدث في مرقد الإمام الرضا عليه السلام، حيث انشقّ القبر كأنّه الباب المفتوح وأطلّت معصومة مبتسمة فرحة لتحيّي ضيفها الإمام الرضا عليه السلام وجدّ الشهيد الصدر.

وفي أثناء عمليّة التعريف والترحيب سأل الإمام الرضا عليه السلام أخته قائلاً: هؤلاء بني الصدر بذلوا فينا مهجهم وكرّسوا لخدمتنا أنفسهم. إنّ الله عزّ شأنه سيمنّ عليهم بولد صالح يكون على يديه خيرٌ للإسلام عميم..».

«وهكذا كان، فلقد منّ الله تبارك وتعالى على الأمّة الإسلاميّة بالعبد الصالح السيّد محمّد باقر الصدر الذي عمّ خيره وفضله الآفاق الإسلاميّة»[1].

لقد كان مولده مبعث فرحة عارمة اهتزّت لها جوانب البيت الذي ضمّ السيّد حيدر الصدر وكريمة آل ياسين رحمهما الله، وقد مضى على أوّل وليد لهما ـ السيّد إسماعيل ـ ثلاثة عشر عاماً[2].

وكانت والدة السيّد الصدر رحمه الله في غاية السعادة وهي تحتضن وليدها الجديد، فقد كانت ظروف الحياة الصحيّة قاسية، فالأمراض والآفات تأخذ الكثير ولا تدع إلاّ القليل، فكانت ترقب وليدها وتدفع عنه النوائب التي حرمتها من أشقّاء له في سالف الأيّام، والخوف والقلق يشوب الأمل في نفسها، وكانت تقول: «**ما كان يعيش لي من الأولاد إلاّ القليل**»، فقد كانت تجربتها قاسية جدّاً لكثرة من فقدت من أولاد[3]، فقد أنجبت سبعة من بنين وسبع بنات، فقدت منهم خمسة أبناء وستّ بنات[4]، وكان السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله هو الحادي عشر من أولادها، ثمّ أنجبت بعده ولداً اختاره الله تعالى إليه، ثمّ ولد السيّد الصدر رحمه الله وبعده السيّدة آمنة[5].

ويصف السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله وضع العائلة آنذاك قائلاً: «**أمّا الوضع الداخلي الصعب، فقد تمثّل باليتم والفقر والفاقة الشديدة بالرغم من التراث العلمي والأسرة الكريمة والموقع الاجتماعي الخاص بالعمّ الأكبر**[6]».

مضافاً إلى ذلك والدته الممتحنة في حياتها، حيث إنّها ابتليت بفقد الأولاد بعد الولادة، فقد فقدت مجموعةً منهم في حياتها قبل ولادته وأخته العلويّة الفاضلة بنت الهدى، حتّى أنّها كانت تعبـّر عن ذلك أحياناً بإنّي

---

(١) شهيدٌ يتحدّث عن شهيد، صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٩، نقلاً عن المصدر.

(٢) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٤٦.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٤٨، نقلاً عن والدة السيّد الصدر رحمه الله مباشرةً.

(٤) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢٧؛ وانظر: من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط)؛ مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢٧.

(٦) يقصد عمّه الأكبر السيّد محمّد مهدي الصدر.

ملأت منهم القبور، وقد نذرت جميع ما تملك من ذهب صدقةً لله تعالى إذا حفظ الله ولدها الشهيد الصدر، وأوفت بعهدها ونذرها هذا في تسليم الأموال تحت ميزاب الذهب في مرقد الإمام علي عليه السلام حيث كانوا يتقرّبون عنده بالدعاء والوفاء بالنذور.

كما كانت رضوان الله عليها تلبس إلى آخر أيامها سواراً من حديد دفعاً للشرّ والأذى عن أولادها، ولكن شاء الله تعالى أن تفقدهم جميعاً مرّة أخرى في حياتها بعد أن كبروا واكتملوا وأصبحوا محطّ الآمال العريضة في الأمّة وجميع أطرافها الواسعة، ولا مردّ لمشيئة الله تعالى، وهي عبرةٌ في التاريخ والسيَر وحكمةٌ إلهيّةٌ وبلاءٌ دنيويٌّ بشّر الله الصابرين به ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1] وقضاءٌ ربّانيٌّ لا يغني عنه شيء، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم مشيراً إلى ذلك نقلاً عن يعقوب في وصيّته لأولاده عندما ذهبوا ليتحسّسوا من يوسف ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ؟﴾[2][3].

وكان السيّد حيدر الصدر رحمه الله كثير الحرص على أولاده حتّى قال: «**أنا لا أطرد بعوضةً إن جاءت تريد أن تمتصّ دمي مخافة أن تنتقل وتذهب لتمتصَّ دم ولد من أولادي**»[4].

وينقل الشيخ النعماني عن الحاج علي اعتماد أنّه كان يرى السيّد حيدر رحمه الله حاملاً السيّد محمّد باقر آتياً به إلى الحضرة (ضريح الإمام عليه السلام)[5].

وتنقل السيّدة أم جعفر الصدر عن والدة السيّد الصدر رحمه الله أنّه عندما كان صغيراً مرض مرضاً شديداً فخافت عليه، وفي إحدى ليالي مرضه وعندما فرغت من الصلاة اتّكأت على الحائط فرأت بين النوم واليقظة الإمام الحجّة عليه السلام وقد مدّ رأسه الشريف من الشبّاك ـ وكانت البيوت في السابق شرقيّة ـ وسمعته يقرأ ويوجّه قراءته نحو السيّد رحمه الله. وفي اليوم التالي أصبح وهو معافىً من كلّ مرض وفي خير وعافية[6].

وممّا روته الحاجّة رحمها الله عن تلك الأيام الصعبة: «**إنّ الفتى الصغير سيّد محمّد باقر الذي كان قد تخطّى بالكاد [سنينه] الثلاث، جاءني يوماً يشكو الجوع، وهو يلحّ في طلب أكلة يحبّها وهي شهيرة في العراق، وهي خبز اللحم. كان ذلك بعد صلاة الظهر، فصار يزيد إلحاحاً ويصرخ طالباً ما يشتهيه، تحت ضغط الجوع الذي كان يعصر أمعاءه. قلت: (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، من أين آتي لك الآن يا بني بخبز اللحم، وما من لحم في البيت؟!هاك اكتفِ بكسرات الخبز هذه). فلم يقتنع الطفل وصار يبكي، محتجّاً على اعتذاري وعجزي عن**

---

(١) البقرة : ١٥٥.

(٢) يوسف : ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٠.

(٤) وريث الأمجاد وجامع الأضداد، السيّد حسين هادي الصدر، شبكة الإنترنت.

(٥) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٦) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنف، (مخطوط).

توفير هذه الطلِبة لـه. وتحايلت عليه بقطعة من الكعك، ثمّ غسلت لـه وجهه، وأقنعته بقولي بأنّنا سنخرج إلى بيت والدي، وقد تجد بغيتك هناك إن شاء الله.

وكان من عادتي يومياً تقريباً أن أذهب إلى بيت والدي، أقضي فترة العصر هناك، وأعود عند الغروب. وبعد عودتي ذلك اليوم إلى البيت قبيل الغروب، نزلت إلى قبو البيت (السرداب)، واتّجهت إلى صوب البئر، لكي استعدّ لتحضير طعام العشاء. وكنّا في السابق إذا أردنا أن نحتفظ ببعض ما يتبقّى من الأطعمة المطبوخة أو البيض أو الجبن بعيداً عن التلف، نعمد إلى جعله في إناء خاص من سعف النخيل، ونعلّقه في داخل فوهة البئر في أسفل الدار؛ لأنّه أبرد مكان في البيت على الإطلاق، ونجعله بطريقة يحفظ معها الطعام عن الحشرات والتلف معاً.

عندما دخلت القبو واقتربت قليلاً من موقع البئر، أثار استغرابي شيءٌ لم أعهده من قبل، لقد شممت رائحة تشبه الشواء أو اللحم المحمّر (المكبّب). تلفتُّ من حولي يمنة ويسرةً، فلم أجد على أرض القبو غير ما كنت أعهده هناك، ولكنّي لاحظت أنّي كلّما اقتربت من البئر كلّما تأكّدت الرائحة وتكثّفت، وما أطللت برأسي داخل فتحة البئر، حتّى فوجئت بمقدار من خبز اللحم الطازج والساخن كأنّه للتو أخرج من تنّوره ووضع في هذا المكان. فاستغربت وثارت دهشتي، لأنّ أحداً غيري لا يصل إلى هنا في العادة، ولمّا سألت ابني السيّد إسماعيل والشيخ البلداوي الذي كان قد حضر بعد عودنا لبعض شؤونه، أبديا دهشتهما، ونفيا أيّ علاقة أو علم بالموضوع!.. قلت لنفسي: (على كل حال، من يرفض رزقاً من السماء؟)... أخذته متلهّفة ووضعته أمام الأطفال، وأقبلنا عليه نأكل منه، كما لم نأكل مثله قطّ: لذّة وهناء و(رِيّاً) أيضاً، حيث لم نشعر بأيٍّ عطش أو رغبة في شراب بعده.. ولله المنة».

كما روت لها أنّها كانت يوماً معه خارج المنزل، وهو في عمر الخامسة، قالت: «وعند عودنا، وقبيل دخولنا إلى الدار، رأيته قد انكبّ إلى الأرض يبحث عن شيء ما. فقلت: سيِّد محمّد باقر، هيّا لندخل، إنّ الجو بارد، وليس الوقت يسمح بالتأخّر واللعب، فأجاب: لا يا أمّاه لست ألعب، وإنّما أنا أبحث عن قلمي الذي سقط منّي هنا. فقلت: لا تهتمّ يا حبيبي، تعال وسأشتري لك غيره. ولكنّه أصرّ على البحث، فسبقته ودخلت، وإذا به يدخل بعد هنيهة، وبيده قلم رصاص صغير بحجم إصبعه، أي كان القلم تقريباً يلفظ أنفاس آخر أيّامه، لكثرة بريه واستخدامه،! فتعجّبت من تعلّقه بهذا القلم وحرصه عليه وشدّة اعتزازه به، رغم بذلي الجديد لـه عوضا عنه».

وممّا حكته رحمها الله أنّها نادته يوماً وهو في عمر السادسة؛ تقول رحمها الله: «وكرّرت النداء: سيّد محمّد باقر! سيّد محمّد باقر! فلم أسمع لـه جواباً، وفزعت، لأنّني كنت شفوقة بدرجة مفرطة على هذين الطفلين.. كونهما بقيّة الله لي من نثار أحشائي، خاصّة مع يتمهما والحرمان الذي يلفّهما، ثمّ ناديت على أخيه سيّد إسماعيل ليبحث عنه، وهو بدوره بعد اليأس من العثور على الفتى، استدعى الشيخ البلداوي ليشترك معنا في البحث. وبعد مزيد من البحث والتعب، وقع عليه الشيخ عبد الحسن في مكان لم يدُر في خُلْد أحد أن قد يوجد فيه ذلك الطفل اليتيم. لقد وجده منشغلاً مستغرقاً في عالمٍ وحده، وذلك في زاوية من زوايا الدار المهملة، كان قد استغرق في تهيئة مكان يسع جسده الصغير في داخل فجوة قديمة، قد أحدثها الزمن في جدار [مهترئ] من تلك الناحية المهملة من الدار. ومثل هذه الفجوة أو الشرخ، كان العراقيون يسمّونها (كتّة)، ولقد وُجد محمّد

باقر في داخل الكتّة، يعدّ مكاناً يحوي جسمه الصغير آنذاك كصومعة للعزلة! صار الفتى يلجأ إليها كثيراً ليديم الخلوة والتأمّل.

وقد كنّا نسمع منه في تلك الأحايين عبارات كبيرة لا تصدر في العادة عمّن هو في سنِّه، وكانت تصدر منه مواقف ومشاعر عجيبة هي في مغزاها وخلفيّاتها أكبر من تجربة ستّ سنين.

وعندما كبر الصبي ضاقت عليه تلك (الكتة)، فتوجّه إلى مخزن صغير كان يعلو سقف إحدى حجر البيت، ذي مساحة صغيرة، وكان ذلك المخزن قليل الإنارة، ضعيف التهوية [كنا نسمِّيه (الكنجينة)] وقد صار يلجأ إليه محمّد باقر ويجلس فيه ساعات متوالية يتأمّل ويفكّر ويكتب.

كان الناظر إلى ذلك الصبي يكتشف فيه ـ بسهولة ـ رجولة قبل أوانها، ونضجاً مبكراً، لكنّه في مقابل ذلك كان إلى جانب التّوقد في ذهنه والنضج في مشاعره، كان كثير العلّة في جسده، لا تبارحه الأسقام إلاّ قليلاً..إلاّ أنّ ذلك لم يكن يهدّ من إرادته، ولا ليغيّر من عزائمه وخصائصه شيئاً»[1].

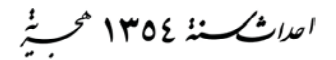
❊ ❊ ❊

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٣١ ـ ١٣٤ ؛ وانظر: من مذكّرات أسرة السيّد الصدر‏رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٢) يوسف : ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).



= ١٩٣٥/٤/٥ ـ ١٩٣٦/٣/٢٤ م

عمر السيّد الصدر

شهر و٥ أيّام هـ = شهر و٤ أيّام م

❊ ❊ ❊

تأسيس مدرسة (منتدى النشر) في النجف الأشرف

في ٤/شوّال/١٣٥٣هـ (١٩٣٥/١/١٠م) كان سبعة علماء قد قدّموا بياناً إلى وزراة الداخليّة يطلبون فيه تأسيس جمعيّة دينيّة في النجف الأشرف باسم (منتدى النشر) مصحوباً بالنظام الأساسي، وهم: الشيخ عبد الهادي حموزي، الشيخ محمّد جواد قسّام، الشيخ محمّد رضا المظفّر، السيّد محمّد علي الحكيم، السيّد موسى بحر العلوم، السيّد هادي فيّاض والسيّد يوسف الحكيم رحمهم الله.

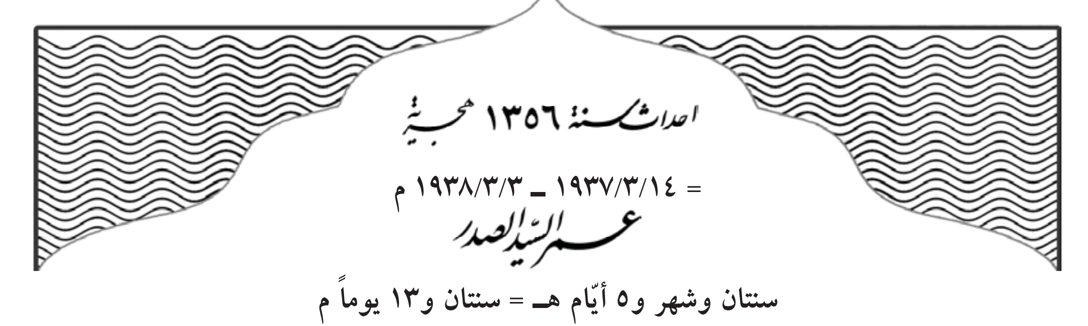
وبعد التي واللتيّا أجازت الوزارة فتح المنتدى في كتابها المرقّم (٩٠٧٧) بتاريخ ٥/صفر/١٣٥٤هـ (١٩٣٥/٣/٨م)[١]، وقد عيّن لهذه الجمعيّة مجلس أعلى للرقابة، تشكّل من: الشيخ محمّد رضا آل ياسين، السيّد محسن الحكيم والشيخ محمّد حسن المظفّر رحمهم الله[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) نظام منتدى النشر: أ ـ ب.

(٢) هكذا رأيتهم: ٤٤ ـ ٤٥.



سنتان وشهر و٥ أيّام هـ = سنتان و١٣ يوماً م

***

ولادة آمنة (بنت الهدى)

ولدت السيّدة آمنة (بنت الهدى) ابنة السيّد حيدر الصدر رحمه الله في ١٩/محرّم الحرام/١٣٥٦هـ (١٩٣٧/٤/١م) في مدينة الكاظميّة. ونشأت في ظلّ أخوالها من آل ياسين وأخيها الأكبر السيّد إسماعيل الصدر رحمهم الله، ولازمت أخاها السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله مدّة حياتها دون أن تتزوّج[١]. وكان السيّد الصدر رحمه الله يرعاها منذ صغرها ويدرّسها دروس الفقه والعقائد، وقد نمت تحت رعايته.

يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**وكان مع أخته الشهيدة بنت الهدى رحمها الله في غاية الرقّة واللطافة، وهو يدرك أنّ هذه البطلة المضحّية التي ضحّت بمستقبلها كامرأة من أجل أُمّها وأخيها تستحقّ كلّ إجلال وإكبار، ولذلك أعطاها الكثير من وقته وجهده في سبيل تعليمها وتثقيفها، ونضجت رضوان الله عليها نضوجاً كبيراً مصحوباً بوعيٍ شاملٍ للواقع السياسي والاجتماعي والإسلامي في العراق، فكانت نموذجاً مصغّراً لأخيها فيما تحمل من هموم إسلاميّة وصفاء روحي وهدفيّة واعية لأعمالها وجهودها**»[٢].

وفاة السيّد حيدر الصدر رحمه الله

في ٢٧/جمادى الثانية/١٣٥٦هـ (١٩٣٧/٩/٤م) توفّي السيّد حيدر الصدر رحمه الله في الكاظميّة [بعد أن كان مصاباً بالروماتيزم][٣]، ودفن إلى جنب والده السيّد إسماعيل رحمه الله في حجرة من الرواق الكاظمي، وأقيمت له الفواتح وانعقدت له المآتم في المشاهد المشرّفة وإيران وعاملة، فكانت حافلة تتلى فيها مناقبه وخصائصه نظماً ونثراً[٤].

وقد أرّخ وفاته ـ كما تقدّم في الفصل الأوّل ـ جماعةٌ، منهم: الشيخ محمّد السماوي رحمه الله، فقد قال في أرجوزته (صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد) عند تعداد العلماء ما لفظه:

وكأخيه حيدر الفقيه	والنير المغنى عن التنويه
قد صرف العمر بعلم وعمل	حتّى على الخيرات في الأخرى حصل
واقتطع (الاثنين) منه القدر	فأرّخوا قضى الفقيه حيدر

(١) انظر ترجمة (بنت الهدى) في الفصل الأوّل من الكتاب.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٠٦.

(٣) ما بين [] من: ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (دام عزه).

(٤) بغية الراغبين ١: ٢٦٥ ؛ أسرة آل الصدر: ٢٠٠.

وقولُه: «اقتطع ..» إشارةٌ إلى إسقاط اثنين من مجموع أعداد التأريخ[1].

وبعد وفاته كتب أخوه السيّد محمّد جواد الصدر رحمه الله إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

مولاي العلاّمة حصن الشريعة المنيع وصرحها الرفيع الواقف نفسه للذبّ عنها ببيانه البليغ الموجز وبرهانه القويّ المعجز، المرابط في أهمّ ثغر لصدّ هجمات المبدعين ودرء غوائل الضالّين المضلّين، والموقد بجليل مؤلّفاته أعلى منارٍ لهداية المسترشدين وتلبية المستضعفين العاملين وإلجام الطغام المعاندين.

مولاي العلاّمة آل شرفِ الدين أدام الله جلّ جلاله أيّام بركاته عزّاً للشيعة وكهفاً للشريعة.

أخذت بيد الاحترام كريم كتابك وقرأت جليل خطابك، وكان بودّي أن أكون أنا البادئ بالتعزية على النازلة، والمقدِم بالتسلية على المصيبة لما أعلمه من إعطائك للفقيد حقّه وتقديرك إيّاه حقّ قدره وعظم خطره في نفسك. وهي لعمري منزلةٌ يعرفها له كلّ من عرفه من أهل العلم والصلاح. ولكن [][2].. وليست الثكلى كالمستأجرة.

وا لهفاه! سقط تاج الفخر وخمد نبراس العلم وانهدّ صرح التقوى، ولكن لم تطب نفسي أن أكون أوّل مخبر بهذا النبأ المؤلم والحادث الممضي. نعم؛ وما بعد الدنيا إلاّ الموت، وكان يقول أهل المدينة: لا بنا ابتدا ولا علينا اعتدى، ولنا بفضل الله وكرمه /// برسول الله وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين أسوة حسنة. إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أسأله أن يوفّقنا للصبر ولا يحرمنا جزيل الأجر وجعل لنا في شخصك العظيم وأعلام الأسرة خير عزاء وسلوة، إنّه أرحم الراحمين.

وكان لهذه المصيبة تأثيرٌ بليغ في عامّة نفوس المؤمنين على ما يظهر سيما بين صلحائهم، وعلى الأخصّ بين أهل العلم، بل وفي غير العراق من البلاد و[التي] لا يظنّ فيها ذلك، فقد أخذت كتاب تعزية من أحد علماء طهران، وهو يصطاف الآن مع رفاق له في بعلبك من سوريا، وهو سيّد من المحترمين معروف بالخير والصلاح متحزّبٌ لأهل العلم وأهل الدين. يقول في كتابه: (در بعلبك بسيار اشخاصى را ملاقات نمودم كه از روى حقيقت همدردى واظهار تاثر وتاسف مينمودند)[3]. وأقيمت له في الكاظميّة عدّة فواتح أقام آخرها في مدرسة الخالصي حضرة آية الله السيّد حاج آقا حسين القمّي دام ظلّه، كما أقيمت له في كربلاء المشرّفة، وقد أقام الشيخ آل ياسين دام ظلّه العالي له الفاتحة في النجف الأشرف في المسجد الهندي، تغمّده الله بالرحمة والرضوان وحشره مع محمّد وآله الطاهرين، وتحمل كلّ [..][4]، إنّه أرحم الراحمين.

ولحدّ الآن لم يخبر آية الله الأخ الأعظم دام ظلّه[5] بهذه المصيبة حذراً عليه من الصدمة، وقد حدث من ذلك صعوبة لأنّه يسأل كلّ من يدخل من الأهل بل ومن غيرهم أحياناً عن حال المرحوم وعن [][6] وصحّته، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله. أمّا أحواله منّ عليه بالعافية فهي متقاربة ممّا تعهدون، أسأل الله أن لا يحرمه وإيّانا أدعيتكم البارّة.

---

(١) طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٦٨٤.

(٢) الأصل غير واضح لي.

(٣) ترجمتها: (لقد التقيت في بعلبك الكثير من الأشخاص الذين أبرزوا بصدق مشاعر التأثّر والأسف).

(٤) الأصل غير واضح لنا.

(٥) يقصد السيّد محمّد مهدي الصدر رحمه الله.

(٦) الأصل غير واضح لنا.

الثلاثاء [][١] ١٣٥٦

كتبه الراجي محمّد جواد الصدر الموسوي

[الختم]»[٢].

وضع العائلة بعد وفاة السيّد حيدر رحمه الله

لقد ذكر السيّد الصدر رحمه الله أنّ العائلة لم يكن لديها قوت العشاء ليلة توفّي والده السيّد حيدر رحمه الله[٣]. ولم يكن رحمه الله يتذكّر الكثير عن والده، بل إنّه قال: «**ليس في ذاكرتي شيءٌ عنه إلاّ صورة غير واضحة، وأنا بحكم من لم يرَ أباه**»[٤]، وقد أدّى فقده حنان الأب إلى تبلور هذا الشعور لديه، فقوي لديه إعطاء الحنان[٥].

وبعد وفاة السيّد حيدر الصدر رحمه الله، تكفّلت بتربيته والدته الحاجّة بتول وأخوه السيّد إسماعيل الصدر . وكان إلى جانب العائلة شخصٌ يقوم بمساعدتها في حياة السيّد حيدر الصدر رحمه الله، واسمه عبد الحسن [البلداوي][٦]، وقد بقي هذا الحاج وفيّاً للعائلة، وكان يهتمّ بالسيّد الصدر رحمه الله ويرعى أموره ويساعد العائلة دون مقابل، [وقد ترك الحاج عبد الحسن عمله التجاري وتفرّغ لرعاية السيّد معتمداً على الاستئجار في قضاء العبادات][٧].

وكان السيّد الصدر يذكر الحاج عبد الحسن بالخير ويقوم ببعض الأعمال نيابةً عنه، وكان كلّما دخل حرم الإمام علي عليه السلام سلّم على الإمام عليه السلام نيابةً عنه[٨].

وحول هذا الوضع تحدّثت الحاجّة بتول للسيّدة أم جعفر الصدر، حيث قالت: «**إنّ السيّد الشهيد عاش يتيماً، قد رحل عنه والده (السيّد حيدر) وللشهيد ثلاث سنوات. وكان رجلاً حنوناً، وزوجاً محبّاً، وأباً رؤوفاً، كان من العلماء الأفذاذ، ومن المجتهدين البارعين. إنّه كان لي خير معين على محنتي التي لازمتني بفقد الولد والأحباب، صابراً ومشجّعاً، ذاكراً ومذكّراً، ثمّ تتأوّه بتفجّع لتقول: (آه.. كم أفتقده، وأشعر بالغربة من بعده.. إنّي لأنعُم وأسعَد بشذى تلك الذكريات.**

إنّ السيّد حيدر زوجي عالم معروف في أوساط العلماء والفقهاء، وقد كان من مراجع التقليد وأئمّة الفتيا، ولـه ذكرٌ جميلٌ في بعض الكتب والمجلاّت... إنّ ليلة وفاته [أحدثت] شرخاً في قلبي وزلزالاً في وجودي، لم أجد بعده قراراً، فقد اجتمعت عليّ بعده عساكر الهمّ وتكاثرت. لقد كنت في السابعة والثلاثين من عمري،

---

(١) الأصل غير واضح لي.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٤).

(٣) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٤٩. ويذكر الشيخ النعماني (في المقابلة المتقدّمة) أنّه كان راغباً في توجيه بعض الأسئلة إلى والدة السيّد الصدر رحمه الله حول هذه المرحلة من حياتهم، إلاّ أنّ أحداث الحجز وبرقيّة السيّد الخميني رحمه الله قد حالت دون ذلك.

(٥) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٦) ما بين [] من: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠٠.

(٧) ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٨) مقابلة (١) مع السيّد محمّد باقر الحكيم (حفظه الله).

وترك لي طفلة رضيعةً ـ هي بنت الهدى ـ مع فتىً في الثالثة، مع أخٍ لهما في بدايات شبابه ـ هو السيّد إسماعيل ـ ولكن قبل ذلك، ترك فلذات لكبدي وكبده توزّعت رموسهم بين قبور الموتى.

توفّي في مدينة الكاظميّة، في ليلة مدلهمّة من ليالي البؤس والفقر الذي كنّا نصالِيه في تستّر مطبق.. مع أنّه كان مرجعاً للتقليد من كبار المراجع، غير أنّ العفّة والنزاهة لم تسمحا لـه بالاستفادة من موقعه لأخذ أكثر ممّا كان يراه فوق حقّه، حتّى لقد بتنا في الليلة التي أعقبت وفاته بدون طعام عشاء للأطفال، إذ أنّه كان يتصرّف في أيّ مبلغ حقّ شرعي يصله في نفس يومه، بعد أن يأخذ منه لنفسه ما يتبلّغ به وعائلته.. ويبقى اليوم الآخر رهناً بما قد يصله. وهكذا قضينا ليلتنا تلك، يقضّ الحزن مضجعنا، وينهش الجوع مطاوينا، لخلوّ الدار ممّا قد نقتات به. وبقي الحال على هذا العسر والضيق شهراً كاملاً بعد وفاته، إلى أن تطوّع المرحوم الشيخ عبد الحسن البلداوي، الذي كان من أعوان وأيادي المرحوم السيّد حيدر، فبذل وقته وجهده لرعاية العائلة؛ فاحتوى فتاها الكبير السيّد إسماعيل، وتعهّد الطفلين: محمّد باقر وأخته الرضيعة آمنة. ولذلك تعلّقا به، وكانا يعتبرانه عمّاً للأسرة، ولم يعرفا ظلاًّ لرجلٍ حانٍ بعد أبيهما غيره. هذا بالطبع مع متابعة الأخوال والأهل والإخوان، إلاّ أنّ الشيخ عبدالحسن كرّس نفسه لتلك المهمّة الخيِّرة»[١].

علاقة السيّد الصدر رحمه الله بأمّه بعد فقده أباه

نتيجة فقد السيّد الصدر رحمه الله والده وتحمّل أخيه السيّد إسماعيل الصدر ووالدته الحاجّة بتول مسؤوليّة رعايته، فقد كان طبيعيّاً أن تشتدّ علاقته بهما، ولذا فقد كان يخصّص لوالدته جزءاً من وقته في كلّ يوم يجلس إلى جانبها ويلاطفها[٢]، وكانت تحدّثه عن والده وتحاول أن تغرس في نفسه أن يكون مثله، وكانت في ذلك الوقت تقرأ كتب التاريخ وتعدّ من المثقّفات[٣]، وكانت رحمها الله ـ حتّى بعدما كبر ـ تنتظر رجوعه إلى الدار، فإذا تأخّر انتظرته عند الباب وفتحت له فور وصوله[٤].

لمحات حول بنت الهدى

جاء في بعض المذكّرات حول السيّدة بنت الهدى[٥]: «أرسلتها والدتها في الكاظميّة في سن السادسة إلى الملاّ (امرأة تعلّم القرآن للفتيات في سنّها). وفي أوّل يوم دخلت آمنة بيت تلك الملاّ، وقع نظرها على التنّور مسجوراً، وقد ارتفع لهيب ناره وحسيسها بشكل أفزعها. ففرّت عائدة أدراجها إلى أمّها، نافرةً من بيت هذه الملاّ، ومن كلّ ملاّ من ورائها. وقد بقيت في البيت تتلقّى تعليمها على يد أخويها: السيّد إسماعيل، ثمّ من بعده السيّد الصدر. ولم تتلقَ تعليماً ولا تثقيفاً من أحد غيرهما إلى أن كبرت ونضجت، وصارت هي تفتح حلقات التعليم والتربية لبنات المؤمنين.

وعندما كانت في الحادية عشرة من عمرها، أبدعت مجلّة ثقافيّة صغيرة الحجم، متنوّعة في مواضيعها،

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢٩ ـ ١٣١.

(٢) ما بعد الفارزة الأخيرة مستفادٌ من: مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٣) مقابلة (٣) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٤) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله)؛ انظر بعض الكلام حول الموضوع ضمن الفصل الرابع حول (جوانب من شخصيّة السيّد الصدر رحمه الله).

(٥) هي مذكّرات ملفّقة بين السيّدة أم جعفر الصدر والسيّدة أم أحمد الشاهرودي زوجة السيّد عبد الهادي الشاهرودي.

ثرّة في محتوياتها، وصارت تنسخها بيدها ما استطاعت، ثمّ توزّعها على الأقارب والمحيطين.

وكان من عادتها أن تفتح مجلسها فيما بعد الظهر، من عصر كلّ يوم غالباً، وهو مجلس نسائي نوعي نادر مثله آنذاك، وكانت تؤمُّه النساء المؤمنات من أجيال مختلفة.

وفي يومٍ من أيّامها تلك ألقت كلمة تأبينيّة في حقّ الإمام السبط المجتبى الحسن بن علي عليهما السلام في ذكرى شهادته، وضمّنتها مقاصد توجيهيّة وتربويّة بنّاءة، فكانت محاضرة مؤثّرة في نفوس الحاضرات، ونالت استحسانهنّ، حتّى أنّ بعضهن أبدين إعجابهنّ وأسفهنّ على أنّها لم تضبط ولم تسجّل على شريط صوتي (كاسيت)، فردّت بنت الهدى بتلقائيّة وبساطة: (لا يهمّ، إن كان الله قد سجّلها). ولكنّها كانت قد سجّلت رؤوس نقاط لمحاور كلمتها تلك، وبعض الملاحظات والأفكار الجزئيّة التي تكلّمت عنها ذلك اليوم، وذلك في مجموعة من قصاصات الأوراق كانت أمامها أثناء الحديث. وما أن انتهت من إلقائها حتّى تبعثرت تلك القصاصات، فشرعت تبحث عنها بحرص واهتمام، وتجمعها وهي تكرّر: (هذه رأس مالي، إنّي لا أستطيع التهاون فيها)!

في ذلك الوقت، عُرفت واشتُهرت بأنّها مفكّرة وكاتبة ناجحة، وكان لكتبها نجاح ورواج في كلّ الساحات العربيّة. ولذلك كانت تصلها عوائد ماليّة جيّدة عن كتبها تلك، غير أنّها ما كانت تدّخر منها شيئاً لنفسها، بل كانت تصرفه جميعه في سبيل الخير والعمل الرسالي.

لم نرها يوماً إلاّ في هندام حسنٍ جميل، ولكن في تواضع وبساطة. يوماً مّا لاحظت واحدةٌ من المريدات الدائمات أنّها [أي الشهيدة] تديم اللبس بالأخضر. فسألتها هذه: (علوية، أراك مذواقة وتحبّين اللون الأخضر؛ فكلّ ما ترتدينه أخضر)، فتبسّمت الشهيدة وقالت: (نعم إن هما إلاّ ثوبان ليس إلاّ !).

لقد رأيناها تهتمّ بشكل خاص بزيارة العوائل الفقيرة والمهملة والمهمّشة، أو الذين لم يكن لهم سند من أهل أو أقارب أو امتداد اجتماعي معيّن. نتذكّر هنا (خانم أخلاقي)، المرأة الإيرانيّة التي كانت زوجاً لأحد طلاّب العلم الإيرانيّين في النجف الأشرف، وكانت حاملاً في شهرها الأخير، ولقد عاشت في النجف بيئة غريبة عنها، حيث لا أهل ولا أقارب ولا معارف ولا مال، إلاّ أنّها كانت على علاقة بالشهيدة بنت الهدى. وعندما حان أوان وضعها، تعهّدتها الشهيدة، وصارت تباشر خدمتها بنفسها...

بقدر ما عهدت الشهيدة أمّا بارّة للأسرة، وموجّهة حانية لهذا القطاع العريض من المجتمع، بقدر ذلك كنت أراها ربّة بيت ناجحة، ماهرة في إدارة شؤون المنزل، فلم يمنعها تفرّغها للنشاط الاجتماعي والتربوي من بذل جهودها في خدمة أهل بيتها وخاصّتها. وبقدر ما كان القلم سيّالاً بين يديها، حبيباً إلى قلبها، كانت سكّينة المطبخ أيضاً في كثير من الأحيان تتراقص بين أناملها.

كم وكم رأيتها تقشر الباذنجان ـ الأكلة المفضلة لدى الشهيد وعائلته ـ وعندما كانت رؤوس أصابعها تتلوّن بسواد قشرة الباذنجان، كانت تبادر إلى غسلها، وتعود مسرعة إلى أنيسها الدائم: (القلم ومايسطرون)....

لم تكن الشهيدة ذات أفق محدود بحدود ما يدور في حيّها أو حتّى في مدينتها، بل كانت ذات شخصيّة واعية عالمة متفتحة، تتلقّى بوعي، وتقرأ بنَفَس الناقد، تعشق المطالعة، وتتابع ما يدور حولها من أحداث، تلاحق المستجدّات وتتفاعل معها، سواء مستجدّات الساحة الفكريّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة. كان

يعجبها أن تقرأ الشهيد المطهري من خلال كتبه، ونتاجه الفكري المتميّز، بل شرعت في ترجمة كتاب لـه، رأته ذا نفع جم، وضرورة ملحّة للساحة في العراق، وهو كتاب (مسألة أو فلسفة الحجاب).

ومن الإبداعات المتميّزة التي أنجزتها الشهيدة وسبقت بها زمانها، مسألة التوجيه والإرشاد في حملات الحج في السنين التي وفّقت للحج فيها، خاصّة على صعيد توجيه النساء من حجاج بيت الله الحرام:

فلقد كانت تحرص أن تلتحق ببعض حملات الحجيج سنوياً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، لتقوم بأداء هذا الواجب المقدّس، إرشاداً وتوجيهاً وتربية. وهو أمر لم يكن متعارفاً بين نفس العلماء الرجال آنذاك. فلقد كان الكثير منهم يستنكف عن أن يقوم بمثل هذه الخدمة، مخافة أن يقلّل ذلك من شأنه، أو يلحقه من التعب ما لا يطيقه. وإن استدعي أحدهم من قبل صاحب حملة للحج، فقد كان يقتصر دوره على إقامة صلاة الجماعة، والجواب على بعض الأسئلة التي قد توجّه إليه.

على كل حال، كان مستغرباً ـ إن لم يكن مستهجناً ـ ذلك الأمر عند البعض، فكيف إذا قامت امرأة من بيوتات العلم تخرق هذا العرف وتأتي بشيء جديد، قد يبزّهم ويحرّك الجوّ من حولهم.

ومن هنا فقد رأينا بعض التذمّر من نشاط الشهيدة الذي امتد إلى خارج العراق، وبالخصوص إلى عرصات الحج، وصارت تواجه بعض التهم والشائعات المختلفة:

من قبيل ما أشيع عنها من أنّها سافرت إلى الحج بدون غطاء تسدله على [محيّى] وجهها، ولعلّ السلطات البعثيّة كان لها اليد الطولى في ذلك. والقصّة هي أنّ التلفزيون العراقي في نهاية كلّ موسم حج كان يبثّ رسالة مصوّرة يغطّي فيها حدث وصول الحجّاج إلى أرض الوطن. وفي سنة من تلك السنوات التي حجّت فيها الشهيدة، بثَّ التلفزيون تلك الرسالة المعتادة، وأظهر مشهداً يبدو فيه الحجّاج ينزلون من الطائرة على أرض مطار بغداد. ولمّا كان الناس ينتظرون ذلك الحدث ويراقبون الشاشة لرؤية ذويهم من الحجّاج، فقد عرف قسم من الناس شخصية بنت الهدى النازلة معهم من خلال هيأتها وسيماء الحشمة والحجاب الكامل الذي تلفعت به، فقد كانت الوحيدة من الحاجات العراقيّات التي غطّت وجهها مع كامل الحجاب، في ذلك المشهد المعروض. ومع ذلك سرت شائعة بغيضة تقول: لقد رأيناها كاشفة الوجه في المطار. وصار كلّ من كان يبحث عن فرصة للتشفّي أو لتوجيه أي نقد لبيت السيّد الشهيد يتعلّق بذلك الغثاء، وينعق مع الناعقين.

أمثال هذه الشائعة كانت تتكرّر بين حين وآخر عن الشهيد الصدر، أو عن واحد من خاصّته وأهله. وليس ذلك مستغرباً؛ فهو جزء من الحرب النفسيّة، وصورة من صور الحصار الذي كان النظام يحاول فرضه على السيّد الشهيد وآله.

لذلك كانت الشهيدة بنت الهدى، تكثر من الدعاء على الطاغية صدّام وأعوانه ونظامه. ولقد سمعتها ـ أي السيّدة أم أحمد الشاهرودي ـ مرّات وهي تقول: (أنا ممّن سيجثو للخصومة بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة، ولأشكونّ صدّاماً وكلّ من عاونه وأمدّه، وأحاكمه على صعيد محكمة الحساب الإلهي، على رؤوس الأشهاد).

كانت الشهيدة في وقارها وثباتها وقوّة قلبها أمثولة فريدة، أستطيع القول: إنّها شابهت عمّتنا الكبرى زينب عقيلة بني هاشم عليها السلام؛ فرغم حيائها الدائم وأدبها الجم ولباقتها في الحديث، إلاّ أنّها لم تدع للخوف

والجزع طريقاً إلى قلبها الكبير.

جُرأتها في طرح ما تعتقده حقّاً واضحة وجليّة؛ فلقد عرفتها المحافل الخاصّة والعامّة تتكلّم وتنتقد وتوجّه وتلوم، وتحرّض ضدّ الظلم والظالمين بكلّ شجاعة وحكمة، رغم القلاقل والاضطرابات والأوضاع الحرجة التي كانت تمرّ علينا في العراق، ويفرضها علينا النظام البائد.

ورغم وسائل الإرهاب والتخويف التي كانت توجّهها السُلطة الغاشمة إلى بيت السيّد الشهيد سرّاً وعلانية، إلاّ أنّني لم أجدها جازعة قط، إلاّ في يوم يتيم، حيث كانت أجواء النجف متوتّرة قلقة. وفي ذلك اليوم دخلت بيت السيّد الشهيد كالمعتاد، فرأيت وجوماً يعلو الوجوه. ورأيت الشهيدة في وضع المضطرب القلق، بل شُدِهتُ واندهشتُ عندما رأيتها للمرّة الأولى تبكي، فخفت واضطربت، فهل حصل مكروه لا قدّر الله؟

ثمّ عرفت أنّ السبب أنّهم كانوا ينتظرون عودة السيّد الشهيد إلى البيت، وقد تأخّر في الرجوع على غير عادته، ولم يعرفوا لـه مكاناً. وكان هذا هو سبب اضطراب الشهيدة أخته. ولكنّ المفارقة أنّني دخلت عليها مرّة أخرى وكان الجو العام متكهرباً، والترقّب والتوتّر كانا يصبغان الساحات ويضطرمان في القلوب، فالسيّد الشهيد كان معتقلاً في واحدة من جرائم الاعتقال المتكرّرة التي تعرّض لها، إلاّ أنّها في هذه المرّة كانت ـ كعادتها دائماً ـ في كامل وقارها وثبات جنانها، تلهج بالدعاء والذكر، بينما أنا التي كنت خائفة على مصير هذا الرجل العظيم، وعلى مصير الأمة من ورائه.

استقبلتني ورحّبت بي كالمعتاد في حنوّ ووُدّ، فسألتها ذلك اليوم: (ما الحلّ وما العمل تجاه هذه التطوّرات السيّئة من اجتراء واجتراح النظام على حريم العلماء والدين، وسلبيّة الأمّة في موقفها؟)، فأجابت في ثبات وثقة: (إنّه دور العلماء ومسؤوليّاتهم، ولن يستطيع غيرهم أن يحرّك ساكناً إن بقيت الحوزة والعلماء في سكون مطبق وصمت كصمت المقابر، وما النصر إلاّ من عند الله)...

ولربّ سائل يسأل: لِمَ لَمْ تتزوج السيّدة بنت الهدى إذن مادامت تملك هذه المقوّمات والملاكات لربّة بيت ناجحة؟ ورغم أنّ الكثيرين من الأكفّاء من أبناء كبار بيوتات النجف العلميّة، سادةً هاشميّين كانوا أو من غيرهم، قد تقدّموا لخطبتها؟

والجواب يكمن في أنّ الشهيدة كانت ترى أنّ ساحة العمل الإسلامي في العراق بحاجة إلى انضمام المرأة بكلّ كفاءة بجانب أخيها الرجل. وكانت صفوف الحركة الإسلاميّة تفتقد بالفعل هذا العنصر الإنساني الحيوي الفعّال، فعزمت على أن تفرّغ نفسها كاملاً لخدمة هذا الجانب المقدّس من العمل الرسالي، وهو التعهّد بصناعة جيل من النساء الزينبيّات، ليرفدن عجلة التحرّك نحو الأهداف السماويّة. لقد كانت تؤمن أنّ من أهم وأشرف أدوار المرأة أن تكون زوجة صالحة وأمّاً بارّة ونواة لأسرة ناجحة. غير أنّها كانت ترى أيضاً أنّ مسؤوليّة إعداد جيل صالح من النساء لأجل تكامل المجتمع المسلم في العراق، تفتقر إلى من يتفرغ ويتعهّد بتربية مثل هذا الجيل الزينبي. كانت تقول رحمها الله إذا وُجِّه إليها مثل ذلك السؤال: (إنّي لو تزوّجت فقد أسعَد بتربية طفلين أو ثلاثة، ولكنّي الآن أكثر سعادة وأشدّ فرحاً وهياماً، وأنا أرى أمامي هذه الأفواج من الفتيات الطاهرات والنساء الصالحات؛ إذ وفّقني الله لخدمتهنّ وتنشأتهنّ بما يرضي الله). وهي بذلك تشير إلى تعهدها الإشراف والإدارة والتوجيه لعدد من مدارس الفتيات الخاصّة

والموجهة..»[١].

وقد طلب من السيّد الصدر﵀ التدخّل في زواجها، إلاّ أنّه كان يقول إنّ هذه المسألة ترجع إليها، وإنّ الزواج سيأخذ ٧٠٪ من وقتها، وهي لديها القناعة بما هي عليه[٢].

عملت الشهيدة بنت الهدى على بثّ المفاهيم الإسلاميّة من خلال كتاباتها القصصيّة، إضافةً إلى ما كانت تكتبه في مجلّة (الأضواء)، وقد صدر لها:

١ ـ الفضيلة تنتصر.

٢ ـ امرأتان ورجل.

٣ ـ الخالة الضائعة (١٩٧٤).

٤ ـ ليتني كنت أعلم (١٩٧٧م).

٥ ـ الباحثة عن الحقيقة (١٩٧٩م).

٦ ـ صراع من واقع الحياة.

٧ ـ ذكريات على تلال مكّة.

٨ ـ كلمة ودعوة.

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١١٦ ـ ١٢١، مع تقديم وتأخير، وانظر أحداث سنة ١٣٨٧هـ.

(٢) مقابلة (٣) مع الشيخ علي كوراني (﷿).

ربّما اختلف في سبب عدم زواج الشهيدة بنت الهدى:

(أ) تقول (أم أبرار): سألتها إحدى النساء: «علويّة يقال إنّك لم تتزوّجي لأنّك متفرّغة للعمل!»، فكان الانفعال واضحاً جداً على الشهيدة بنت الهدى وقالت: «أنا لا أرضى بهذا الكلام الذي يقال عنّي، أنا لم أرفض الزواج، لكنّه لحدّ الآن لم يتقدّم لي الشخص الكفوء». ثمّ في كلام خاص قالت﵄ إلى أم أبرار: «هذا كلام خطير»، فقالت أم أبرار: «لكن لماذا الانفعال؟ لأنّ الكثير من الأقاويل تقال على هكذا شخصيّات؟»، فأجابت بما معناه: «لا، هذا يختلف، وإن لم يكن ردّي منفعلاً ستترتّب بدعة وتصبح سنّة، وستترك النساء الزواج بحجّة التفرّغ للعمل، في حين إنّه لا يوجد تضاد بين الزواج والعمل» (مذكّرات سجينة: ٧٢).

هنا يُشار إلى ما جاء في (الكافي): عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد اللّه عن عبد الصّمد بن بشير قال: دخلت امرأةٌ على أبي عبد اللّه﵇ فقالت: «أصلحك اللّه، إنّي امرأةٌ متبتّلةٌ»، فقال: «وما التّبتّل عندك؟!»، قالت: «لا أتزوّج»، قال: «ولم؟»، قالت: «ألتمس بذلك الفضل»، فقال: «انصرفي، فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة﵍ أحقّ به منك، إنّه ليس أحدٌ يسبقها إلى الفضل» (الكافي ٥: ٥٠٩). وربّما استفيد من سؤال الإمام﵇ بـ: «ولم؟» إمكان تصوّر حالة لا يكون في التبتّل حزازة.

(ب) بينما يرى آخرون أنّها كانت تمتنع عن الزواج لأنّ ذلك سيعيقها عن العمل، خاصّةً وأنّ السيّد موسى الصدر كان قد تقدّم لها في شبابها، فامتنعت لأنّ ذلك سيبعدها عن النجف وأخيها السيّد الصدر (مذكّرات سجينة: ٧٣).

ولكنّ أسرة السيّد الصدر﵀ نفت لي صحّة هذا الخبر.

أقول: إن صحّ ما جاء في (ب)، فهو متقدّمٌ تاريخيّاً على تاريخ وفود السيّد موسى الصدر إلى النجف الأشرف، لأنّ السيّد موسى عقد قرانه على السيّدة پروين خليلي سنة ١٩٥٣م (الإمام السيّد موسى الصدر محطّات تاريخيّة: ١٥٤) قبل سفره إلى العراق سنة ١٣٧٣هـ (من أجوبة السيّدة أم جعفر الصدر عن أسئلة المصنّف)، ثمّ تمّ زفافه بتاريخ ١٣٣٤/٤/٢٢هـ.ش (١٩٥٥/٧/١٤م = ٢٣/ذي القعدة/١٣٧٤هـ) ؛ انظر الوثيقة رقم (٥). وهذا يعني أنّه كان قد تقدّم من بنت عمّه آمنة غيابيّاً عندما كان هو في إيران وكانت هي في العراق، وهذا ما استبعده جماعة بلحاظ طبيعة السيّد موسى الصدر الذي لم يكن ليقدم على أمرٍ من هذا القبيل، فيكون معزّزاً لنفي صحّة الخبر.

٩ ــ بطولة المرأة المسلمة.

١٠ ــ المرأة مع النبي صلى الله عليه وآله.

١١ ــ لقاء في المستشفى (آخر ما كتبته الشهيدة)[١].

ولها مجموعة من الأشعار[٢].

لماذا (بنت الهدى)؟!

ولعلّ القارئ يسأل عن سبب صدور كتابات الشهيدة السيّدة آمنة الصدر رحمها الله وهي تحمل اسم (بنت الهدى). ولندع الشهيدة رضي الله عنها تجيب بنفسها عن ذلك حيث تقول تحت عنوان «**من أنت؟**»:

«كتبت إليّ أختٌ مسلمةٌ وسألتني قائلةً: لماذا بالله عليك لا تصرّحين عن اسمك الصحيح لنعرف من أنت ومن تكونين؟

فإليك يا أختاه جوابي لعلّك تعرفين منه من أكون أنا؟

فأنا أوّلاً وبالذات أختك المخلصة الدائبة على تتبّع آثارك وتعقّب خطواتك بدافع الحبّ والعطف، وأنا أيضاً متطوّعة مختارة لأجل قضيّة الإسلام وحمل مشعله الوهّاج ما وسعني حمله وعلى قدر طاقتي وإمكانيّاتي في الجهاد، وأنا أيضاً من أريد أن أجعل من نفسي مثلاً ونموذجاً أجري عليه تجارب أدب الإسلام التي قد يظنّ البعض الجاهل أو المتجاهل أنّها تجارب فاشلة، فأنا أريد أن أثبت بنفسي ما يحدّثنا به التاريخ الإسلامي عن أمّهات وأخوات لنا في صدر الإسلام ناهضن بثقافتهنّ أعاظم الرجال مع تمسّكهن بالإسلام وتعاليمه.

ولا يخفى عليك يا أخيّة أنّي لم أكن لأقول هذا وشبهه لو أنّك كنت تعرفين اسمي الصغير التافه، وهذا أحد الدواعي لعدم ذكري لذلك الاسم الذي أكاد أنساه أنا نفسي فلماذا لا تنسينه أنت أيضاً يا عزيزتي؟

فأنا في أكثر أوقاتي أصبحت مندمجة معكنّ ومنصرفةً عن نفسي إليكنّ، ولهذا فأنا في أكثر أوقاتي أكون بين (الهدى) تاركة ورائي تلك الحروف التي لا دخل لها بما أنا في سبيله.

نعم حروفٌ لا تتعدّى الأربعة فما خطرها إذن؟ وما شأنها بالنسبة للغاية التي أبتغيها؟ فلك أن تتصوّريني كما تشائين:

تصوّريني سيّدةً عجوزاً قد اكتمل عمرها وتقدّمت بها السنون، فهي تضع النظّارات على عينيها وتدني النور إليها، أو تدنو هي من النور، ثمّ تمسك القلم وتقرّب نحوها الدواة وتباشر الكتابة إليك، وهي بين حين وآخر تعيد ترتيب أوراقها ثمّ تضع القلم جانباً برهةً لتريح يدها ورأسها، ثمّ تعود مرّة أخرى لتكتب وتستأنف ما قطع عليها التعب.

وأخيراً... عندما تنتهي من الكتابة تستلقي على ظهرها لتستريح وهي تشعر بدوار وإعياء.

ولك أيضاً أن تتصوّريني امرأة قد تخطّت الشباب أو كادت، قليلة الكلام كثيرة الفكر، لا تكتب إلاّ بعد طول تروٍّ وتأمّل، إذا كتبت اقتضبت، وإذا تحدّثت اختصرت، ومن رأيها الخاص أنّ الكتابة لا يمكن أن تجتمع مع أيّ شيء آخر، فهي إذا كتبت تركت كلّ شيء، وإذا كان لديها أيّ شيء تركت الكتابة، وإذا أرادت أن تكتب تنفرد بنفسها في غرفتها الخاصّة فتجمع فوق منضدتها شتّى الكتب لتختار من بينها الموضوع الملائم . فهي حريصةٌ جدّاً على أن لا تكتب إلاّ في مكانها الخاص، وفي جوٍّ ملائم هادئ، وهي

---

(١) انظر على سبيل المثال: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٩٧، ١٠٨، ٢٦٤، ٣١٣.

(٢) انظرها في: أعلام النساء المؤمنات: ٧٤ ــ ٨٩.

حريصةٌ أيضاً أن يدلّ مظهرها على شخصيّتها وأن يرسم في خطوط جبينها وحركاتها خطوط أفكارها وميولها.

ولك أيضاً أن تتصوّريني فتاةً شابّة في ريعان الشباب ضاحكة الثغر، طلقة المحيّا، تندمج في كلّ موضوع، ولا يفوتها شيءٌ ممّا حولها، ترضي كلّ جليس، إذا كتبت تكتب بسرعة وبدون أيّ مقدّمة، وإذا تكلّمت تتكلّم بهدوء وتحسب لكلّ كلمة حسابها، ليس عندها أيّ مكان خاص بها تستنزل فيه الإلهام، أينما خطرت لها خاطرة أو عنت لها فكرة سجّلتها على ورقة أو أيّ شيء آخر حتّى ولو كان علبة سيجارة، وهي حريصة على أن لا يتأثّر مظهرها بأفكارها وميولها وأن لا تكتب أفكارها على قسماتها وحركاتها، ولهذا فهي بين ذلك كلّه فتاة كباقي الفتيات لا تتميّز عنهنّ بشيء إلاّ بقوّة الإرادة وسموّ الروح، وهي تستطيع أن تتحمّل كلّ شيء، وأن تجاري كلّ أحد سوى جهل الجاهلات بأحكام الإسلام، ولكنّها مع هذا لا تكاد تعرف أنّها هي تلك الغيورة الصارمة في تعاليم دينها، فإنّ لها طريقتها الخاصّة باتّباع هذه التعاليم لا يتأثّر منها مظهرها، تصوّري هكذا إذا شئت.

وتصوّريني إذ أكتب إليك أفترش الأرض والحصير وأجعل من رجلي منضدة أريح فوقها أوراقي المبعثرة لأملي عليها أفكاري!

نعم تصوّريني هكذا، وإذا شئت فتصوّريني شابّةً تشعر بشعورك وتمرّ بالمرحلة التي تمرّين بها وتنظر إلى كلّ ما تنظرين إليه، ولكن من وراء منظار الواقع والحقيقة، لا تغشّها المظاهر الخلاّبة ولا تغريها كلّ أساليب الإغراء.

تصوّريني هكذا إذا شئت، بل تصوّري أيّة صورة من هذه الصور حيث تجديها أقرب إلى فكرك فاختاري منها إحداها، أو اختاري غيرها، وكوني مثلي، فأنا لا أنظر إلى الإنسان تحت إطار اسمه أو مظهره أو ملبسه، وإنّما أنظر إلى روحه وقلبه وأفكاره، وتذكّري دائماً وقبل كلّ شيء أنّي أخت لك متواضعة وقريبة منك كثيراً وأكثر ممّا تتصوّرين، لأنّ القرب قرب للروح والفكر والرأي:

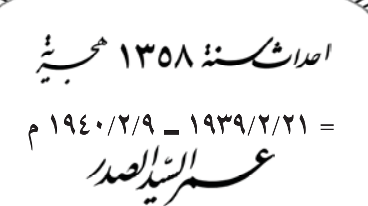
قد يجمع الرأي أشخاصاً وإن بعدوا ❊ ❊ ❊ وقد يفرّق خلف الرأي إخواناً

وأخيراً فرجائي إليك أن تنسي تلك الحروف القليلة، واذكريني أنا بشخصي الروحي لأكون فخورة بذلك، وثقي أن ليس لاسمي أيُّ دخل فيما أكتب وفيما تقرئين، ودومي للمخلصة لك إلى الأبد.

النجف الأشرف، بنت الهدى»[١].

❊ ❊ ❊

(١) المجموعة القصصيّة الكاملة (كلمة ودعوة)، ٣: ١٣١ ـ ١٣٤.



= ١٩٣٩/٢/٢١ ـ ١٩٤٠/٢/٩ م

٤ سنوات وشهر و٥ أيّام هـ = ٣ سنوات و١١ شهراً و٢٠ يوماً م

❋ ❋ ❋

مقتل الملك غازي ووصاية الأمير عبد الإله

عند الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء يوم الاثنين ١٩٣٩/٤/٤م (١٣/صفر/١٣٥٨هـ) قضى الملك غازي نحبه في حادث اصطدام سيّارته بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر بالقرب من قصر الحارثيّة، وكان يقود سيّارته بنفسه.

وعلى إثر ذلك التأم مجلس الأعيان والنوّاب وصوّت لعبد الإله وصيّاً على العرش[١].

وفاة السيّد محمّد مهدي الصدر عمّ السيّد الصدر رحمه الله

ليلة الاثنين ٣/رجب/١٣٥٨هـ (١٩٣٩/٨/١٩م) توفّي السيّد محمّد مهدي الصدر رحمه الله عمّ السيّد الصدر رحمه الله وجدّ الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمه الله، وذلك بعد أن فوجئ بالفالج أوائل ذي الحجّة/١٣٥٥هـ. وقد دفن إلى جانب أبيه السيّد إسماعيل وأخيه السيّد حيدر رحمهما الله في حجرة في الرواق الكاظمي بعد أن صلّى على جثمانه نجله السيّد أبو الحسن. وقد أرّخ وفاته بعض العلماء قائلاً:

ومــن الــسما أرّخــت جــاء نــداً غــاب الإمــام محمّــد المهــدي[٢]

وعلى إثر ذلك كتب السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله إلى مشايخ آل ياسين ـ محمّد رضا ومرتضى وراضي ـ :

«عزاءكم مواليّ آل ياسين، وجمالكم أئمّة المسلمين، أزال الله [] أبوابَ الإيمان، ونفّس كربكم أمناء الرحمن، ولا أضحى الله ظلّكم أعلام الهدى وكهف الورى، وقدّمني قبلكم أيّها المثل العليا. ووا أسفاه ووا جزعاه ووا حرباه يا لهف أرضي وسمائي على ـ مهدينا ـ فقيد الدين والدنيا نسيج وحده وقريع وحده، فهيهات أن يلقى نظيره أو يدرك قرينه أو تفتح العين على مثله أو تكشف النساء ذيولها عن مثله، هيهات هيهات وقد فات بني آدم ما فات.

إنّ خصائصه ومزاياه لحمىً لا يطأه سواه، والله بالفضل ينطق من محاسن خلاله ويتمثّل في منطقه وأفعاله، وبالأريحيّة تمدّ باعه وتملكه هزّتها وبالنفس العظيمة بين جنبيه تتجافى عن مقاعد الكبر وتنأى عن مذاهب العجب، وبالأخلاق تجعله ألين من أعطاف النسيم وأعذب من كوثر جنّات النعيم، وبالحلم في

---

(١) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ١٢٤ ـ ١٢٥، نقلاً عن: الوصي عبد الإله بن علي، سلمان التكريتي: ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) بغية الراغبين ١: ٢٣٠.

طبعه لا تصدع صفاته ولا تستثار قطاته، كالطود لا تقلقله العواصف والبحر لا تكدّره الدلاء.

ويميناً بوجهه الكريم يترقرق فيه ماء البشر، وتطرد فيه نظرة الجمال والبهاء، فيقبل على جلسائه بنطق تبلّجه ونور تأجّجه بكل عطف ولطف، فيمتزج بأرواحهم لرقّته وتشربه قلوبهم لعذوبته.

ولله ألفاظه وأساليبه كانت هي الزلال أو أرقّ، ومعانيه ومغازيه كانت هي السحر أو أدقّ، يتدفّق فيها تدفّق اليعبوب فيملك بها الأسماع والأبصار والقلوب، يستفرغ من أوعيته شتّى، وبحار محيطه سائغة، فمجالسه مدارس آهلة بجميع العلوم والفنون يستفيد منها المبتدئ والمتوسّط والمنتهون، يرفعون له إذا نطق حجاب سمعهم ويوطئون له مهاد طبعهم.

وقسماً بالعلوم قد استبطن دخائلها واستجلى غوامضها ومحّص حقائق الفقه منها والأصول، فاستوى على مرقاة الأئمّة من آل الرسول، فإذا هو فصل الخطاب في أحكامهم ومفصل الصواب بين حلالهم وحرامهم، لا يرد قوله على ذي لب فيصدر إلاّ عن تقدير وإعجاب.

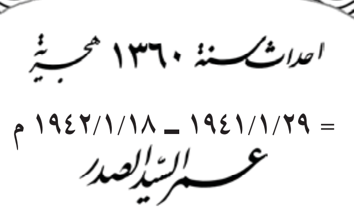
وأمّا وجوامع الكلم قد أوتيها ونوابغ الحكم قد جيئها تتدفّق على لسانه وتتفجّر عن بيانه، لقد هتك الجزع عليه وعلى صنوه من قبله قميص قلبي[١]، ومزّق كتائب صبري، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، كلمة أعدّها لكلّ صدمة وأتلقّى بها كلّ لطمة.

أمّا الحزن فسرمد، وأمّا الليل فمسهّد، أو يختار الله لي دارها، وما أسرع اللحاق بهما، وهذا هو العزاء عنهما، على أنّكم والحمد لله نعم الذخر، وبوجودكم يجمل الصبر، أورف الله ظلالكم على الأمّة، وسدّ بكم هذه الثلمة، فإنّكم والحمد لله حماة الدين ورعاته وسدنته وثقاته، سائلاً من الله سبحانه دوام بقائكم مثال الماضين، وثمال الباقين، والسلام عليكم وعلى من لديكم ورحمة الله وبركاته»[٢].

***

(١) يقصد السيّد حيدر الصدر رحمه الله.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٦) ؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٦٨ ـ ١٧٠.



٦ سنوات وشهر و٥ أيّام هـ = ٥ سنوات و١٠ أشهر و٢٨ يوماً م

❊ ❊ ❊

ثورة رشيد عالي كيلاني

في ٢/أيّار/١٩٤١م (٥/ربيع الثاني/١٣٦٠هـ) قام رشيد عالي كيلاني رئيس الوزراء آنذاك بانقلاب وطني، وكان منفّذوه العسكريّون العقداء: صلاح الدين الصبّاغ، محمود سلمان، كامل شبيب وفهمي سعيد.

فهرب عبد الإله إلى السفّارة الأمريكيّة، ثمّ نقل من الحبانيّة بطائرة خاصّة إلى البصرة حيث لم ينجح في تشكيل حكومة هناك، فاضطرّ إلى الهروب إلى الأردن. عندها عيّنت الثورة أحد الهاشميّين غير الموالين للاستعمار ـ وهو الشريف شرف ـ وصيّاً على العرش.

وفي الوقت نفسه الذي قامت فيه الثورة أعلنت الحكومة الحرب على الإنجليز.

وبعد مرور ما يقرب من شهر من القتال بين قوّات من الجيش العراقي والقوّات البريطانيّة التي أرسلت من الهند وفلسطين، انهارت الحكومة الوطنيّة وهرب أعضاؤها ووقّعت الهدنة بين العراق وبين بريطانيا في ١٩٤١/٥/٣١م، وعاد الوصي عبد الإله إلى بغداد بصبة جماعته، وعلى رأسهم نوري السعيد.

وبعد القضاء على الثورة واستتباب الأمن بدأت السفارة البريطانيّة متّعظة بتلك الثورة بتوجيه الوصي والساسة الموالين لها وجهة جديدة تتمثّل في تصفية عناصر الثورة من ناحية، ومحاولة كسب الشعب بنوع من الانفتاح من ناحية أخرى.

لذلك كانت الخطوة الأولى التي أقدمت عليها هي اختيار رئيس للوزراء يوافق على تحقيق المصالح البريطانيّة ويكون في الوقت نفسه مقبولاً نسبيّاً لدي جماهير الشعب.

وهكذا وقع الاختيار على جميل المدفعي الذي حقّق الكثير من أغراض بريطانيا، لكنّه لم يقسُ على مؤيّدي حركة رشيد عالي كيلاني وتردّد في اللجوء إلى القمع. ولمّا شعر برغبة الإنجليز والوصي بإقالته قدّم استقالته في ١٩٤١/٩/٢١م. ولم تجد بريطانيا أفضل من نوري السعيد لتلبية مطالبها، فشكّل عدّة وزارات استمرّت من ١٩٤١ إلى ١٩٤٤م كانت حصيلتها رهيبة على الحركة الوطنيّة.

ففي ١٩٤٢/١/٧م حكم على رشيد عالي كيلاني بالإعدام، كما نفّذ الإعدام في كثير من الوطنيّين الذين ساهموا في ثورة ١٩٤٢م، من بينهم ثلاثة من أعضاء المربّع الذهبي وهم الشهداء محمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب، بالإضافة إلى إعدام الشهيد يونس السبعاوي. وألقي في السجون

كلّ وزراء رشيد عالي كيلاني الذي تمكّن هو نفسه من الهرب إلى ألمانيا ثمّ إلى السعوديّة ومصر وعاد إلى العراق بعد ثورة ١٩٥٨م ومات فيه سنة ١٩٥٦م(١).

وكان العلماء قد أصدروا بعد الأعمال العدوانيّة التي قامت بها القوّات البريطانيّة(٢) فتاوى وقفوا فيها إلى جانب الثورة، من قبيل فتوى السيّد أبو الحسن الإصفهاني والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائري والسيّد حسين القمّي والسيّد ميرزا هادي الخراساني رحمهم الله، وكان لهذه الفتاوى دورٌ في تحريك قبائل الفرات الأوسط(٣)، ولعلّ أهمّها الثلاث الأولى:

وقد جاء في الأولى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على كافّة إخواننا المسلمين، وأخصّ العراقيّين منهم.

إنّ الواجب الديني يقضي على كلّ مسلم بحفظ بيضة الإسلام وبلاد الإسلام بقدر استطاعته. وهذه البلاد العراقيّة المشتملة على مشاهد الأئمّة ومعاهد الدين يجب علينا جميعاً محافظتها من تسلّط الكافر، والمدافعة عن نواميسها الدينيّة.

فإلى هذا أحثّكم وأدعوكم، وفّقنا الله وإيّاكم لخدمة الإسلام والمسلمين إن شاء الله تعالى.

٦ ربيع الثاني ١٣٦٠

أبو الحسن الموسوي الإصفهاني »(٤).

وفي الثانية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٥).

أيّها المسلمون في عامّة الأقطار والأمصار!

تعلمون أنّ العراق اليوم هو قاعدة الدين وعاصمة العرب والمسلمين، ومعقل البلاد العربيّة ومعقد آمالها ومفزع أبطالها. لمّا أحسّ رجالات العراق وساسته المخلصون بأنّ كرامته أصبحت على خطر، وأنّ صيانته من استيلاء الأجانب على مقدّراته تحتاج إلى وثبة وصلابة في مجابهة النازلة الغير العادلة والقضيّة الجائرة، لذلك نهضوا هذه النهضة التي يحفزّها الجزم ويقودها العزم، وترفّ عليها أجنحة النجاة والنجاح بعناية الحق جلّ شأنه، وروحانيّة الإسلام المقدّسة إنشاء الله.

وبعد هذا: فهل يشكّ أحد من المسلمين ـ فضلاً عن العراقيّين ـ في وجوب المؤازرة والنصرة لهذه الحركة الحافظة لسلامة البلاد وكرامتها؟ كلّ إنسان بقدر استطاعته، وأقصى ما في وسعه، القريب والبعيد فيه سواء، مع التعقّل، والرويّة، والتمسّك بإمراس الحزم على ضوء الحكمة والبصيرة، وتعاضد المسلمين عموماً، والعراقيّين خصوصاً، حكومةً وشعباً. وليكونوا على ثقة من أنّ قضيّتهم عادلة، وأنّ الله جلّ شأنه

---

(١) موسوعة السياسة ٤: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) انظر: الأسرار الخفيّة في حركة السنة ١٩٤١ التحرّريّة: ١٣٧.

(٣) المرجعيّة العاملة: ٨٨.

(٤) انظر: المرجعيّة العاملة: ٨٨ ؛ حياة الإمام السيّد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني قدس سره.. دراسة وتحليل: ١٥١ ـ ١٥٢ ؛ الأسرار الخفيّة في حركة السنة ١٩٤١ التحرّريّة: ١٣٧.

(٥) محمّد: ٧.

منجزٌ لهم وعده بقوله ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١].

وحرامٌ وأفظع من كلّ حرام أن يحارب المسلم أخاه المسلم من أيّ عنصر كان، ومن أيّ بلاد يكون.

والسلام عليكم أيّها المسلمون جميعاً، ورحمة الله وبركاته.

حرّره في مدرسته العلميّة في النجف الأشرف

محمّد حسين آل كاشف الغطاء

٥ ربيع الثاني ١٣٦٠»[٢].

وفي الثالثة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافّة إخواننا المؤمنين المسلمين المتديّنين بشريعة سيّد المرسلين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا يخفاكم ما قام به فخامة رئيس الوزراء و[أبناء] الجيش العراقي الباس في الحال [الحاضر] من النهضة المباركة لحفظ استقلال العراق البلاد الإسلاميّة، وقطع تصرّف الأجانب فيها بما أعهده فيكم يا معاشر العراقيّين من الشمم والحميّة والغيرة الإسلاميّة، ولكم السابقة في تشييد هذه الحكومة الإسلاميّة. أحثّكم وأدعوكم للمساعدة لهذه النهضة الدفاعيّة ما استطعتم، فإنّها نصرة للدين وحماية للمسلمين، والله يرعاكم بتأييده.

عبد الكريم الجزائري

الختم

٦ ربيع الثاني ١٣٦٠»[٣].

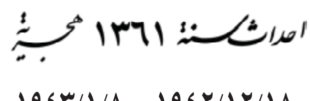
* * *

---

(١) محمّد: ٧.

(٢) انظر: حياة الإمام السيّد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني ﭬ.. دراسة وتحليل: ١٥٢ ـ ١٥٣ ؛ الأسرار الخفيّة في حركة السنة ١٩٤١ التحرّريّة: ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٣) انظر: حياة الإمام السيّد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني ﭬ.. دراسة وتحليل: ١٥٣ ـ ١٥٤ ؛ الأسرار الخفيّة في حركة السنة ١٩٤١ التحرّريّة: ١٣٨.



= ١٩٤٢/١٢/١٨ ـ ١٩٤٣/١/٨ م

عمر السيّد الصدر

٧ سنوات وشهر و٥ أيّام هـ = ٦ سنوات و٩ أشهر و١٧ يوماً م

***

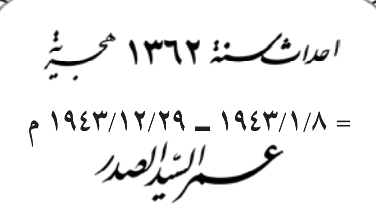
وفاة السيّد محمّد جواد الصدر عمّ السيّد الصدر رحمه الله

فجر يوم الخميس ٢٦/شوّال/١٣٦١هـ (١٩٤٢/١١/٥م) توفّي السيّد محمّد جواد الصدر رحمه الله عمّ السيّد الصدر رحمه الله ووالد زوجة أخيه السيّد إسماعيل رحمه الله. وقد دفن إلى جانب أبيه السيّد إسماعيل وأخويه السيّد حيدر والسيّد محمّد مهدي رحمهم الله. وقد أرّخ وفاته ابن خاله السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله قائلاً:

رزءٌ ألـــــمَّ وفـــــــادحٌ عظـم المـصاب بـه وجـــلاّ
فالـــدين ينعـــى باكيـــاً وشـريعة الإســلام ثكــلى
عـــمّ المـــصاب فأرّخـــوا فقــد الجــواد الــشرع ثــلاّ[1]

***

(١) بغية الراغبين ١: ٢٦٣.



= ١٩٤٣/١/٨ ـ ١٩٤٣/١٢/٢٩ م

٨ سنوات وشهر و٥ أيّام هـ = ٧ سنوات و١٠ أشهر و٧ أيّام م

* * *

تأسيس مدرسة (منتدى النشر) في الكاظميّة

يقول السيّد مرتضى العسكري: إنّ السيّد محسن الأمين والسيّد عبد الحسين شرف الدينرحمهما الله سبقاه إلى فكرة تأسيس مدارس إسلاميّة لحفظ الشباب.

في هذه الفترة كتب السيّد العسكري رسالة تحت عنوان (الأمراض الاجتماعيّة وعلاجها) وقدّمها إلى الأستاذ أحمد أمين صاحب كتاب (التكامل في الإسلام) الذي كان يجيد خمس لغات ويحمل شهادة الدكتوراه. ثمّ بعد ذلك تمّ الاتّفاق بينهما على تأسيس مدارس لتربية الناشئة تتحمّل مهمّة تغيير المجتمع.

وبعد أن امتنعت الحكومة عن منح الترخيص لأجل افتتاح مدرسة باسم الأشخاص، اتّفقا مع الشيخ محمّد رضا المظفّررحمه الله على إلحاق هذه المدرسة بجمعيّة (منتدى النشر) في النجف الأشرف. [وبعد مداولات لبّت الجمعيّة الطلب واستصدرت من وزارة المعارف إجازة فتح المدرسة بكتابها المرقّم (٩٨٣) بتاريخ ١٩٤٣/١/٣م (٢٥/ذي الحجّة/١٣٦١هـ)].

وفعلاً تأسّست المدرسة في الكاظميّة بعد أن تشكّلت جمعيّة مؤسّسة لها برئاسة السيّد أحمد الحسيني والد السيّد علي النقي، واتّفقوا على أن يكون السيّد محمّد الخلاّني مديرَ المدرسة.

[وقد نجح هذا الفرع نجاحاً باهراً بفضل عطف السيّد أبو الحسن الإصفهانيرحمه الله وجهود الأعضاء والشعور الحيّ الموجود في محيط الكاظميّة وبغداد. وكان السيّد الإصفهاني يجيز صرف الحقوق الشرعيّة على مصارف هذا الفرع وبنايته بسخاء، وقد طلبت الجمعيّة له اكتتاباً بثمانية آلاف دينار لأجل بنائه جُمع منها حوالي ستّة آلاف دينار أكثرها من الحقوق الشرعيّة بإجازة السيّد الإصفهاني. والبناية ـ التي كانت سنة ١٣٧٠هـ ـ المرقّمة ٣/٥١ في محلّة الشيوخ بالكاظميّة قد اشتريت أرضها وبني الطابق الأوّل منها من هذا الاكتتاب، وكان ذلك لاحقاً بإذن من وزارة الداخليّة ببيانها المرقّم (١٠٩٩٣) والمؤرّخ ١٩٤٥/٩/٢٧م، وكانت لجنة الاكتتاب مؤلّفة ًمن: الحاج توفيق الروماني، السيّد صادق السيّد أحمد، الحاج عبد الله الحاج عبد الوهّاب، السيّد علي نقي الحيدري والحاج محمّد تقي الحريري].

ونجحت مدرسة (منتدى النشر) في مرحلتها الابتدائيّة، وأصبح لها بناية عظيمة، وانتقلت رئاسة الجمعيّة المؤسّسة لها بعد وفاة السيّد أحمد الحسيني إلى ولده السيّد علي النقي.

وقد استقطبت المدرسة شخصيّات بارزة في الوسط الشيعي بينهم: جعفر أبو التمّن، الشيخ محمّد رضا الشبيبي، جعفر الشبيبي رئيس غرفة تجارة بغداد والسيّد عبد المهدي المنتفجي.

[يُشار إلى أنّ للمدرسة قسمين: نهاري ومسائي، وكلٌّ منهما في ستّة صفوف ابتدائيّة][١].

التحاق السيّد الصدر بمدرسة (منتدى النشر)

في شهر شوّال من هذه السنة على ما يبدو (تشرين الأوّل/١٩٤٣م) التحق السيّد الصدر رحمه الله بمدرسة (منتدى النشر الابتدائيّة) التي أسّسها السيّد مرتضى العسكري والأستاذ أحمد أمين.

وقد التحق بالصفّ الأوّل الابتدائي، وفي منتصف السنة قال مرشد الصف للسيّد العسكري: إنّ محمّد باقر الصدر أنهى المرحلة، فامتحنه السيّد العسكري في غرفة الإدارة فوجد أنّه يستطيع تدريس المنهج الذي درسه، فنقله إلى الصف الثاني الذي أنهاه مع نهاية السنة الأولى. وكذلك الأمر بالنسبة إلى منهجي السنتين الثالثة والرابعة اللذين أنهاهما خلال السنة الثانية[٢]، ثمّ التحق بالسنة الثالثة ودرس لفترة صغيرة قبل أن يتفرّغ للدراسة الحوزيّة بشكل كامل[٣].

وكان السيّد الصدر رحمه الله قد درس قبل هذه الفترة في الكتاتيب عند من يقال لهم (الملاّ)[٤].

---

(١) تلفيقاً بين ما ذكره السيّد مرتضى العسكري في كلمة له بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ في ذكرى رحيل السيّد الصدر رحمه الله ؛ العلاّمة العسكري في مصادر التوثيق: ٨٧ ـ ٨٨ ؛ العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٣٠ ـ ٣٣ ؛ وما بين [] من: نظام منتدى النشر: ي ـ ك ؛ وانظر: الشيخ محمّد رضا المظفّر وتطوّر الحركة الإصلاحيّة في النجف: ٩١. وفي (العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد) أنّ التأسيس كان سنة ١٣٦٣هـ والصحيح ما أثبتناه.

(٢) انظر ما جاء في المقطع الثاني في: مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله) ؛ كلمة السيّد مرتضى العسكري بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ في ذكرى رحيل السيّد الصدر رحمه الله ؛ العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٣١. وقد بنينا على أن يكون دخوله رحمه الله إلى مدرسة (منتدى النشر) عام ١٣٦٢هـ لأنّه لا يمكن أن يكون بعد ذلك، باعتبار أنّ السيّد الصدر رحمه الله عندما بلغ العاشرة أو الحادية عشرة (١٣٦٣ ـ ١٣٦٤ هـ) قرّر التفرّغ للدراسة في الحوزة، والقدر المتيقّن ـ على ما يأتي ـ أنّ السيّد الصدر رحمه الله درس سنتين ونيّفاً في هذا المدرسة، فيكون تاريخ بدء دراسته عام ١٣٦٢هـ.

أمّا وجه كون ذلك في شهر شوّال، فلأنّ المفترض بالمدرسة المذكورة أنّها تتّبع التاريخ الميلادي ـ شأنها في ذلك شأن غيرها من المدارس ـ وتبدأ دروسها في حدود شهر تشرين الأوّل الذي يصادف شهر شوّال من العام ١٣٦٢هـ اللهمّ إلاّ أن يقال إنّه لم يدخل المدرسة في أوّل العام الدراسي.

أمّا وجه دخوله إلى الصفّ الثاني الابتدائي فلأنّ المستفاد من بعض ما ذكره أحد زملائه وأحد أساتذته ـ على ما يأتي ـ أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد حضر في الصفّين الثاني والثالث الابتدائيّين، وقد تقدّم أنّه طوى في سنتين برنامج أربع سنوات، فلا مناص من أن يكون قد دخل أواخر العام ١٣٦٢هـ إلى الصفّ الثاني الابتدائي وأواخر العام ١٣٦٣هـ إلى الصفّ الثالث.

(٣) يفهم ذلك ممّا ذكره أحد زملائه حيث قال إنّ السيّد الصدر رحمه الله كان في الصفّ الثالث الابتدائي وكان هو في الصف الابتدائي الأخير، وبعد ذلك افترقا لأنّه دخل إلى المدرسة المتوسّطة، وبقي السيّد الصدر رحمه الله في مدرسته (قليلاً)، ثمّ انصرف إلى الدرس. ولو قدّرنا أن تكون هذه المدّة (القليلة) عبارة عن شهر أو شهرين، فهذا يعني أنّه ترك الدراسة في مدرسة (منتدى النشر) في حدود شهر ذي الحجّة من العام ١٣٦٤هـ حيث كان له من العمر حدود ١١ سنة.

(٤) ذكر لي ذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٣م نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله نفسه: ففي إحدى المجالس التي كان يعقدها السيّد الصدر رحمه الله لاحظ السيّد محمود الخطيب أنّ السيّد الصدر رحمه الله يسلّم بحفاوة بالغة على أحد الحاضرين، وبعد ذهاب الأخير سأله السيّد الخطيب عنه بعد أن لاحظ اهتمامه رحمه الله الشديد به، فأجابه: «إنّه أحد اثنين من (الملالي) الذين كنتُ أدرس لديهما قبل دخولي إلى المدرسة». وأضاف السيّد الخطيب: في بالي ـ إن لم تخنّي الذاكرة ـ أنّ

وقد بقي لنا حول طفولة السيّد الصدر المدرسيّة بعضُ الذكريات:

١ ـ كان السيّد الصدر يلبس الدشداشة والسترة، ولم يشاهده علي الخليلي أستاذه في النحو والدين إلاّ في المدرسة أو عند أخيه السيّد إسماعيل ـ [أي في بيتهم] ـ ولم يشاهده في زقاق أو شارع[١].

٢ ـ ففي أحد الأيّام كان الشيخ محيي الدين المازندراني عند السيّد الصدر وكان يبحث في مجموعة من الأوراق والكتب المتروكة، فوجد بطاقةًورديّة كتب عليها (ناجح، جيّد جدّاً)، فعرضها على السيّد الصدر فقال له: «**إنّها ورقة امتحان من أيّام طفولتي**»[٢].

٣ ـ ومن جملة ما بقي لنا من أيّام تتلمذه في المدرسة أنّ أحد معلّميه لم يكن مؤمناً ولم يكن سلوكه إسلاميّاً، وكان الطلاّب منزعجين منه ويريدون التخلّص منه ولكن كان ينقصهم المستند اللازم لفصله.

وعلى هذا الأساس حرّك السيّد الصدر زملاءه وتمّ الاتّفاق على أنّه كلّما جاء الأستاذ إلى الصفّ، تقدّم أحدهم وطلب منه أن يقصّ عليهم قصّة النبي.

وبالفعل، فقد طلب منه الطلاّب ذلك في اليوم الأوّل والثاني و... إلى أن انزعج الأستاذ في أحد الأيّام من ذلك كثيراً وبادر إلى سبّ النبي. فما كان من الطلاّب إلاّ أن لجأوا إلى الإدارة من أجل الإدلاء بشهادتهم على سبّ الأستاذ النبيّ، وقد تمّ على إثر ذلك فصله من التدريس[٣].

٤ ـ وعندما كان في الصفّ الرابع [من سنته الثانية] كان أستاذه عبد الغني الخليلي[٤] يشرح لطلاّب الصف بعض الأدلّة حول إثبات الخالق، وقد أخذ يبرهن على وجود الله تعالى مستنداً إلى جملة من الآيات القرآنيّة، ولمّا انتهى من الحديث استأذن باقر الصدر وقال: «**يا أستاذ كيف تبرهن على وجود الله من خلال القرآن وهو كتابه؟! حيث يقتضي البرهنة بأدلّة أخرى غير القرآن**»، ولمّا سمع الأستاذ كلامه خشي أن يُحدث اضطراباً بين الطلاّب فقال له: «**هذا موضوعٌ طويلٌ ينبغي أن نتكلّم فيه في وقتٍ آخر**»[٥].

٥ ـ وكتب له أستاذه الخليلي على أحد دفاتره أنّه يحبُّ أن يقترن اسمه باسم السيّد الصدر[٦].

٦ ـ وكان خلال دراسته في مدرسة منتدى النشر يتلقّى دروسه على يد أخيه، وكان يتقن

أحدهما من آل الخضري والآخر من آل الخليلي.

(١) مقابلة مع الأستاذ علي الخليلي أستاذ السيّد الصدر في منتدى النشر (﴿﴾).

(٢) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (﴿﴾).

(٣) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (﴿﴾).

(٤) بحسب المقابلات الموجودة في (﴿﴾) فإنّ أستاذ العربيّة والدين كان الأستاذ علي الخليلي، ولسنا ندري إن كانا شخصين أو شخصاً واحداً.

(٥) حدّثني بذلك الدكتور جودت القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠م نقلاً عن الأستاذ عبد الغني الخليلي. انظر الوثيقة رقم (٧) حيث ترى الخاطرة مخطوطةً ضمن كتاب (الروض الخميل) للدكتور القزويني.

(٦) حدّثني بذلك الدكتور جودت القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠م نقلاً عن الأستاذ عبد الغني الخليلي. ولم يسمح الوقت باستخراج ذلك مخطوطاً من (الروض الخميل).

النحو منذ صغره، حتّى أنّه صحّح لأستاذ النحو خطأً وقع فيه(١).

وفي فترة تواجد السيّد الصدر في المدرسة، لفت وجودُه انتباه الهيئة التدريسيّة والمشرفين على المدرسة لما يتمتّع به من نبوغ وذكاء استثنائيّين(٢)، وكان السيّد مرتضى العسكري يعقد جلسة خاصّة مع ثلاثة من نابهي تلامذته، أحدهم السيّد الصدر، وكانوا يتحدّثون فيها عن أوضاع المسلمين(٣)، وكان وهو في الصف الرابع يقرأ كتب الشيوعيّة ويناقشها ويكتب عليها ملاحظاته(٤).

ومع أنّ أستاذه في (منتدى النشر) السيّد موسى الموسوي الهندي يقول: إنّه لم يلاحظ على السيّد الصدر ذكاءً خاصّاً عندما كان في الكاظميّة حتّى انتقل إلى النجف وأصدر (فلسفتنا) و(اقتصادنا)(٥)، إلاّ أنّ الحوار الذي جرى بين أبي براء وبين أحد معلّمي السيّد الصدر في تلك المرحلة قد يؤكّد هذه الحقيقة:

«شاءت الصدف أن أتّخذ لي مكاناً إلى جانبه في أحد المجالس التأبينيّة التي أقيمت تخليداً لذكرى الشهيد الصدر. وفي التفاتة منّي إليه غيرِ مقصودة وجدتُ عليه أمارات الألم والحزن الشديدين، أمارات لم أجدها ترتسم على وجوه الآخرين، بل لا أغالي إذا قلت: كانت عليه سيماء الثكل. ولم ينتبه إلى التفاتتي، فقد كان ساهياً منصرفاً عن كلّ ما هو حوله ومثبّتاً عينيه على صورة للشهيد الصدر كانت معلّقةً أمامه وهو يصدر الآهة إثر الآهة، ويجذب الحسرة تلو الحسرة، وبين كلّ لحظة وأخرى تنحدر من عينيه دمعتان كان يكفكفهما بمنديلٍ يحمله بيده، كان يبكي ويتألّم بصمت.

وقد لفت نظري كثيراً رغم أنّ كلّ من كانوا في الحفل أغرقتهم فاجعة الذكرى بآلامها وأشجانها، وربّما علا صوتُ نحيبٍ من هنا أو هناك لبيت شعرٍ من قصيدة شاعرٍ أو لعبارةٍ من كلمة خطيب تثير في النفوس شجاها وتحرّك عواطفها وأحاسيسها، إلاّ هذا، فما سمعت منه إلاّ الآهات والتنهّدات والأنّات الخفيّة.

إنّ كلّ الذين كانوا في الحفل أو جلّهم يعرفون الصدر إمّا عن كثب أو من خلال جهاده في سبيل إعلاء كلمة الحق، إذن لا بدّ أن يكون لهذا شأنٌ آخر.

هكذا قدّرت، وقد أصاب تقديري فسألته وقطعت عليه وجومه وشرود فكره، وقد جاء سؤالي كمتنفّسٍ له وداعٍ إلى بثّ ما في جنبيه من ألمٍ دفينٍ وحزنٍ كمين.

ويبدو أنّه عرفني واطمأنّ إليّ، فراح يحدّثني وبنبرات تقطّعها الآهات والحسرات. قال بعد تنهّدة عميقة:

إنّ علاقتي بالفقيد علاقة الأخ الكبير بأخيه الصغير الوحيد، كان ذلك في السنوات الأخيرة من الأربعينات(٦) يوم كان طالباً في المراحل الأولى من الدراسة الابتدائيّة، وكنتُ معلّماً في المدرسة التي كان يتعلّم

---

(١) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٢) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٥٩، نقلاً عن صحيفة (صوت العراق)، العدد (١٢٨)، ١٩٩٣م، مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري.

(٣) من كلمة للسيّد مرتضى العسكري بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ.

(٤) مقابلة مع السيّد حسن شبّر (حفظه الله).

(٥) ذكر لي ذلك الدكتور جودت القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠م نقلاً عن السيّد موسى الموسوي الهندي نفسه.

(٦) لعلّه من خيانة الذاكرة أو النقل، والصحيح (أوائل أو أواسط الأربعينات)، لأنّ السيّد الصدر هاجر أواخر العام ١٣٦٥هـ إلى النجف الأشرف، وكان قبل ذلك بسنتين قد دخل إلى مدرسة (منتدى النشر). والظاهر من كلام هذا

بها وهي مدرسة منتدى النشر الدينيّة الابتدائيّة في الكاظميّة، وقد رأيت أنّ هذا التلميذ يوليه المدير[١] عنايةً خاصّةً ويرعاه رعايةً يشوبها الاحترام والتقدير، فعجبتُ في بادئ الأمر لذلك، وأخيراً اتّضح لي بأنّ هذه العناية لم يكن مبعثها لأنّه ينتمي لعائلة كريمة الحسب عُرف كثيرٌ من أفرادها واشتهر بالعلم والتقى والورع، أو لأنّه يتيمٌ فقد أباه وهو بعدُ صغيرٌ لم يبلغ الحلم، ولكنّ عنايته كانت موجّهة إليه لأسباب أخرى. فأحببت أن أتعرّف أكثر على هذا الطفل سيما وأنّني حديث عهد بالعمل في المدرسة المذكورة.

وشاءت الصدف أن أنفرد بالسيّد المدير فأستوضح منه عمّا كان يشغل تفكيري بشأن هذا الطفل فأجابني: أرجو أن ترعاه كما يرعاه زملاؤك من الهيئة التدريسيّة، فقد سبق وأوصيتهم به خيراً لأنّني أتوسّم فيه أن يكون له مستقبلٌ كبيرٌ باعثٌ على التفاخر والاعتزاز بما يقوم به والدرجة العلميّة التي أترقب أنّه سيصلها ويبلغها.

فرحتُ أرقب هذا الطفل عن كثب، فأقرّبه إليَّ وأتحدّث معه كلّما سنحت الفرصة، مظهراً إليه حبّي وودّي اللذين نميا مع الأيّام بل الساعات، فصار محبّاً لي متعلّقاً بي لا يفارقني في الصف أثناء الدرس أو بعده أثناء فترة الاستراحة[٢].

وقد كان طفلاً يحمل أحلام الرجال ويتحلّى بوقار الشيوخ، وجدت فيه نبوغاً عجيباً وذكاءً مفرطاً يدفعانك على الاعتزاز به ويرغمانك على احترامه وتقديره، كما شاهدت كلّ المدرّسين أيضاً يكنّون له هذا الاحترام وهذا التقدير.

لقد كان كلُّ ما يدرَّس في هذه المدرسة من كافّة العلوم دون مستواه العقلي والفكري، كان شغوفاً بالقراءة محبّاً لتوسيع دائرة معرفته ساعياً بجهدٍ إلى تنمية مداركه ومواهبه الفذّة. لا تقع عيناه على كتاب إلاّ وقرأه وفقه ما يحتويه، في حين يعزّ فهمه على كثيرٍ ممّن أنهوا المرحلة الثانويّة.

ما طرق سمعه اسم كتاب في أدبٍ أو علمٍ أو اقتصادٍ أو تاريخٍ إلاّ وسعى إلى طلبه، كان يقرأ كلّ شيء.

وقد حدّثني أحد الزملاء ممّن كان لديهم إلمامٌ بالماركسيّة واطّلاعٌ على كثيرٍ من الكتب التي كتبت فيها قائلاً لي: لقد جاءني يوماً مُبدياً رغبته في أن يقرأ بعض الكتب الماركسيّة ونظريّاتها ليطّلع على مكنونات هذه النظريّة، تردّدت في بادئ الأمر [في] إرشاده إلى ذلك لأنّه طفل، وخشيت أن تتشبّع أفكاره بالماركسيّة ونظريّاتها. وبعد إلحاحٍ منه شديدٍ ولمّا كنت لا أحبّ ردّ طلبه أرشدته إلى بعض المجلاّت والكتب المبسّطة في كتابتها عن الماركسيّة وفي عرضها لها. وقد أخذت على عاتقي تهيئة ما تيسّر لي من هذه المجلاّت والكتب وهي نادرة وعزيزة لأنّها كانت آنذاك من الكتب المحرّم بيعها في المكتبات.

وبعد أن تسلّمها منّي تهلّل وجهه فرحاً ثمّ أعادها إليّ بعد أن قرأها، مكرّراً طلبه أن أجد له كتباً أكثر موضوعيّة وأعمق شرحاً وعرضاً لآراء الماركسيّة، فهيّأت له ما طلب، وكنت أظنّ أنّه سوف لا يفقه منها

الأستاذ أنّ معرفته به تعود إلى الفترة التي كان فيها السيّد الصدر﵀ في الصفّ الثاني الابتدائي، وقد ذكرنا أنّ ذلك كان عام ١٣٦٢هـ.

(١) ربّما كان المقصود السيّد مرتضى العسكري.

(٢) يأتي أنّ السيّد الصدر﵀ كان خلال فترة الاستراحة يعقد لزملائه حلقة دراسيّة (حوزة)، وهذه المنقولات غير خاضعة إلى الدقّة الرياضيّة.

شيئاً لأنّني أنا نفسي رغم مطالعتي الكثيرة في هذا الموضوع أجد أحياناً صعوبة في فهمها.

وبعد مدّة أسبوع واحد أعادها إليّ وطلب غيرها، وأضاف المدرّس قائلاً:

أحببتُ أن أعرف ما الذي استفاده هذا الطفل من قراءته لهذه الكتب، وإذا به يدخل في شرحٍ الماركسيّة طولاً وعرضاً، فأخذتُ عن شرحه لها كلَّ ما غمض عليّ معناه عند قراءتي لها[١]، فعجبتُ لهذا الطفل المعجزة وهو لمّا يزل في المرحلة الثالثة من الدراسة الابتدائيّة، وقد زاد في اطمئناني عندما راح يشرح لي أنّه كان يأتي على مناقشة كلّ رأي على حدة مناقشة العالم المتبحّر في العلم، فاطمأننت بأنّه لم يتأثّر بالماركسيّة مطلقاً، وأنّه كان يقرؤها كناقد لا كدارس لها.

وحدّثني عنه مدرّس اللغة[٢] فقال: والله لولا الأنظمة والقوانين ولو كانت هناك حكومةٌ تقدّر النبوغ والكفاءة لمنحته الشهادة الثانويّة بأعلى الدرجات، وفتحت له أبواب الكليّات ليختار منها ما يشاء وكفيته أمر الذهاب إلى المدرسة والعودة منها إلى البيت. إنّ إلمامه بعلوم اللغة العربية يفوق حدّ التصوّر لطفل في سنّه. وكم من مرّة جعلني أقف أمامه محرجاً [..] أحير جواباً، فأضطرّ أن أُؤجل الجواب على سؤاله إلى يوم آخر لئلاّ أكون في موضع العاجز عن الجواب أمام تلاميذي.

وقال هذا الشيء عينه مدرّس الدين، وأضاف: إنّه يصلح أن يكون مدرّساً للدّين وأصوله.

وقال كذلك مدرّسو العلوم الأخرى مبدين دهشتهم وحيرتهم في نبوغ هذا الطفل ومستواه خائفين أن يقتله ذكاؤه.

كان رحمه الله أوّل من يدخل الصف وآخر من يخرج منه، وكان كلّه إصغاء وانتباه إلى ما يقوله المُدرّس، وكأنّ ما يتلى شيءٌ جديدٌ بالنسبة له، وكأنّه لم يحفظ في ذاكرته أضعاف ما يتلى عليه في الصف.

وما وجدته يوماً وقد ارتكبه الغرور أو طغى عليه العجب بنفسه، أو تعالى على زملائه التلاميذ ممّا عنده من علم ومعرفة. وكان مؤدّباً جدّاً يحترم معلّميه وزملاءه، ويفرض احترامه على الجميع.

وكثيراً ما كنّا نفتقده متغيّباً لشهرٍ أو حواليه من المدرسة، ثمّ إذا به يحضر عند الامتحان فينال الدرجة العليا، ولو كانت هناك درجة أعلى لاستحقّها بجدارة. وكنّا عند تغيّبه نستفهم من الإدارة عن السبب فيكون الجواب الذي اعتدناه: إنّه يحضر دروساً خاصّة تشغله عن حضور المدرسة.

كنّا نختاره وخاصّةً مدرّس الدروس الدينيّة في درس الصلاة إماماً يؤمّ زملاءه في الصلاة، فكان والله جديراً بها يؤدّيها بخشوع العابد الزاهد المتوجّه إلى ربّه العليّ الكريم. وكان يُختار من بين طلاّب كلّ المدرسة لإلقاء القصائد والكلمات في الصحن الكاظمي الشريف منذ كان في الصف الثاني الابتدائي، وذلك في موكب العزاء الذي اعتادت المدرسة أن تنظّمه في كلّ عام.

وليس عجيباً على مثل هذا الطفل أن يستظهر قصيدةً تضمّ ثلاثين بيتاً أو أكثر، أو كلمةً عن ظهر قلب خلال ربع ساعة، بعدها يتلوها علينا بكلّ فصاحة متجنّباً اللحن حتّى إذا قُرئت له ملحونة.

كان شعلة ذكاء وقدوة أدب، ومثالاً قويماً ونفساً مستقيمة. ما فاه والله بحياته في المدرسة بكلمة إلاّ وبعثت في نفس سامعها النشوة والحبور، وما التقت عيناه قطّ لفرط خجله مرّة عيني أحد مدرّسيه، فهو لا

---

(١) ذكر هذه المعلومة أيضاً السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١١م (حفظه الله).

(٢) يبدو أنّه الأستاذ علي الخليلي.

يحدّث إلاّ ورأسه منحنٍ وعيناه مسبّلتان.

أحببته طفلاً صغيراً بريئاً وأجللت فيه شيخاً كبيراً لما ألمّ به من علم ومعرفة، حتّى أنّني قلت له ذات يوم: إنّني أتوقّع أن يأتي يوم ننهل فيه من علمك ومعرفتك ونهتدي بأفكارك وآرائك، فكان جوابه بكلّ أدب واحترام وقد علت وجهه حمرة الخجل: عفواً أستاذ، فأنا لا أزال وسأبقى تلميذكم وتلميذَ كلّ من أدّبني وعلّمني في هذه المدرسة، وسأبقى تلميذكم المدين إليكم بتعليمي وتثقيفي..

ثمّ ختم الرجل حديثه بقوله: أتريدني بعد كلّ هذا أن لا أحزن عليه حزن الثاكل!

ولكنّ الذي يبعث لنا السلوى ويمكّننا من الصبر ويسري عن نفوسنا أنّه ترك لنا أسفاراً يحدّثنا فيها. فهو اليوم في كلّ بيت من بيوتنا مقيمٌ بين صفحات كتبه ومؤلّفاته نحدّثه ويحدّثنا عن آرائه وأفكاره العلميّة الخالدة وصوره المطبوعة في قلوبنا. فرحمه اللّه، ويا ليتنا كنّا أو سنكون بركبه سائرين. وأنهى الحديث بآهة ودمعة انحدرت من عينيه»[1].

ونقل كذلك ما يحكيه زميله في مدرسة (منتدى النشر) الأستاذ محمّد علي الخليلي:

«كانت تجمعنا به مدرسةٌ واحدة ويفرّقنا فارق السن والمرحلة الدراسيّة، إذ كان حينها في الصف الثالث الابتدائي، أمّا أنا فكنت في السنة النهائيّة من هذه المرحلة الدراسيّة.

وطبيعي ـ وللأمرين المذكورين ـ أن لا يكون اتّصال مباشر، وعلى الرغم من ذلك فقد كان موضع اهتمامنا ومحطّ أنظارنا نحن تلاميذ المدرسة صغاراً وكباراً، كما كان موضع تقدير واحترام معلّميه، وأكثر ما كان يلفت نظرنا هو اهتمام المعلّمين به دون استثناء، فقد كانت له شخصيّةٌ تفرض وجودها وسلوكٌ يحملك على احترامه والنظر إليه نظرةً تختلف عن نظرتك لبقيّة زملائه.

كنّا نعرف عنه أنّه مفرطٌ في الذكاء ومتقدّمٌ في دروسه تقدّماً يبزّ فيه زملاءه كثيراً أو ندر نظيره، وما طرق أسماعنا أنّ هناك تلميذاً في المدارس الأخرى يبلغ بعض ما يبلغه من فطنة وذكاء، لذا اتّخذه معلّموه نموذجاً للطالب المجدِّ والمؤدّب والمطيع. فما من درس يمرُّ بنا إلاّ وكان حديث المعلّم عنه يطغى على ما يُلقّننا من مادّة، وكان ذلك يزيدنا احتراماً وإعجاباً به، حتّى أخذ بعض الطلبة يجهد نفسه في تقليده في مشيه[2] وفي حديثه وفي جلوسه في الصف لينال ما يناله من احترام وإعجاب. وقد بلغ احترام زملائه له وجميع تلاميذ المدرسة احترامهم لمعلّميهم إن لم يتعدّاه أحياناً، فهم يتهيّبون التحدّث إليه إلاّ إذا شعروا برغبة منه في الحديث وإلاّ أن يكون هو البادئ في الحديث.

وقد تجاوز هذا الإعجاب به والحديث عنه جدران المدرسة إلى الشارع والسوق والمدارس الأخرى وفي كلّ مكان، حتى أنّني فوجئت يوماً أنّ أبي يدعوني إلى أن أقتدي به في سلوكي وفي حديثي مع الناس. وقد كان هذا شأنَ كثيرٍ من الآباء مع أبنائهم لو أرادوا لهم النصح.

وممّا زاد تعرّفَ الناس عليه هو قيامه بإلقاء الخطب والقصائد التي كان يهيّئُها له معلّموه المتمكّنون من اللغة العربيّة في المواكب الحسينيّة التي تنظّمها المدرسة كلّ عام في يوم عاشوراء، أو في وفيّات بعض الأئمّة

---

(١) مجلّة (صوت الأمّة)، س٢، العدد (١٣)، رجب ١٤٠١هـ ؛ مباحث الأصول ق٢، ١: ٣٧ ـ ٤١، نقلاً عن المصدر.

(٢) تنقل والدة السيّد الصدر رحمه الله أنّه صار مضرب مثلٍ لكلّ من يريد أن يَنْصب قدوة لابنه: «هذا زميلك محمّد باقر الصدر في عمرك، فلتكن مثله» (انظر: وجع الصدر.. ومنْ وراء الصدر أم جعفر: ١٣٤).

الأطهار، حيث كان يرتقي المنبر المعدّ له في الصحن الكاظمي ليلقي القصيدة أو الكلمة في المناسبة عن ظهر قلب[١]، ويبدو وكأنّه يرتجل مسترسلاً دون توقّف أو تلكّؤ. وقد تعجب أيّها القارئ أنّ فترة حفظه لها لا تتجاوز مسيرة الموكب من المدرسة إلى الصحن الشريف.

وكثيراً ما كنتُ أسمع أنا وغيري من الطلاّب كلمات الاستحسان والتعجّب والتشجيع من قبل الناس المحتشدين حول موكب مدرستنا (مدرسة منتدى النشر في الكاظميّة) وقد أعطى ـ وهو في هذه السنّ ـ لموكبنا منزلةً قد تفوق منازل المواكب الأخرى، فقد كان الناس يرافقون الموكب منذ لحظة انطلاقه من المدرسة إلى الصحن الشريف، حيث نجد عدداً كبيراً من الناس ينتظرون الموكب بشوق ولهفة، وكان تحشّدهم يزداد إذا كان هو الخطيب في ذلك اليوم، وأمّا اذا كان غيره ينفضّ عن الموكب الكثيرون منهم، فقد كان لإلقائه حلاوةٌ وتأثيرٌ غريبٌ في نفوس الجماهير يزيده روعةً صغرُ سنّه.

وفي تلك السنين القليلة عرفنا باقر الصدر ـ وليتها كانت طويلة ـ وعرفه الناس الذين يقصدون الكاظميّة من بغداد وضواحيها لحضور المواكب والمجالس الحسينيّة.

وإنّنا [زملاءه] في المدرسة عرفناه أكثر في مواقفه هذه، وعرفناه طالباً مثاليّاً في سلوكه وفي جميع تصرّفاته. وما أتذكّر أنّه كان له حُسَّدٌ من الطلاّب، بل كان حبّهم له يطغى على كلّ شيء، يتودّدون ويتقرّبون منه، وذلك بسبب سلوكه العقلاني معهم، وإضفاء حبّه وحنانه على من هو أصغر منه واحترامه لمن هو أكبر منه، وكنّا نشعر ـ وإن كبرناه سنوات ـ [بأنّه] كان والله معجزةً وآية من آيات خلق الله، ولا أجدني مبالغاً مهما قلت عنه وأطنبت في امتداحه والثناء عليه وتعداد حسناته وصفاته التي لم نجد لها نظيراً في سمّوها لدى غيره من كلّ تلامذة المدارس.

كان ينتحي زاويةً من زوايا المدرسة انفرد هو بها ولم يقربها غيره احتراماً له، وذلك في كلّ استراحة بعد كلّ محاضرة في الصف، وكان يلتفُّ حوله في تلك الزاوية عددٌ من أترابه التلاميذ ورفاقِ صفّه أو في الصفوف الأعلى.

كنّا نراقب هذا الاجتماع ونرقبه وهو يتحدّث إلى المحيطين وكلّهم إصغاءٌ له، يتحدّث إليهم بهدوء ويلفّه هدوءٌ ويغطّيه سكون، والكلّ صاغون إلى حديثه ساهون مسحورون، وقد أثارت فضولنا هذه الحالة وهذا الاجتماع، فهممنا عدّة مرّات لأن ننضمّ إليهم، ولكنّ فارق السن ـ كما قلنا ـ كان يحول بين رغبتنا وبين تحقيقها.

وجاء ذلك اليوم الذي لم أنسه ولن أنساه، كان يوماً جديداً لم يمرّ بنا مثله حين طغت علينا غريزة حبّ الاطّلاع، فاندفعنا ـ وكأنّنا مقادون ـ إلى حيث يعقد اجتماعه، وانضممنا إلى الثلّة التي كانت تحيط به، وقد كانت خطوتنا هذه مفاجأةً له، سكت عندها قليلاً عن الحديث، وبعد أن ألقى علينا نظرات فاحصةً كأنّه كان يريد أن يقول لنا هل أستمرُّ في الحديث؟ وبعدها راح يواصل حديثه، حديثاً لم نألفه من قبلٍ، فلا هو توضيح وشرح لما نأخذ من دروس عن أساتذتنا، فقد كان حديثاً تتخلّله عبارات هي بالنسبة لنا غير مفهومة أو صعب فهمها. ولأوّل مرّة سمعنا فيها كلمة (الماركسيّة) و(الإمبرياليّة) و(الديالكتيكيّة) و(الانتهازيّة) وكلمات أخرى أظنّها كانت تعني أسماء الفلاسفة وعلماء وشخصيّات لم يحضرني منها سوى اسم (فيكتور هوغو)

---

(١) أضاف السيّد كاظم الحائري ما سمعه من أستاذه ﷺ من أنّه كان ينشئ الكلمات (مقدّمة مباحث الأصول: ٣٧).

و(غوته) وغابت عنّي أكثرها، إذ مرّ عليها زمنٌ طويلٌ قارب الأربعين عاماً، ولأنّها كلماتٌ كانت في حينها يصعب علينا نطقها وتلفّظها، كانت غريبةً علينا جداً ولم نسمع بها أو بمثلها من الأسماء في كتبنا الدراسيّة، ولم نقرأ فيها إلاّ (إديسون) و(نيوتن) وغيرهما ممّن درسنا عنهم وعن اكتشافاتهم واختراعاتهم.

لقد كان يهيم في حديثه ويسبح في بحرٍ من الخيال والتسامي أو يغوص في بحرٍ لجّيٍّ يلتقط منه العبارات والمعاني والأفكار.

لقد حملنا شوقنا إلى المعرفة أن نكرّر انضمامنا إلى مجموعته التي أطلق عليها اسم (الحوزة) وكلّنا نرغب رغبة ملحّة في أن نفهم ما يتحدّث به، ونحن لا ندري هل أنّ هؤلاء الصبية والأطفال المحيطين به يعون ويدركون ما يتحدّث به إليهم ويتفهّمون ذلك؟ وهو ما كان يثير اهتمامنا بقدر ما كنّا نرغب في التزوّد من معارفه آنذاك، والتي كنّا نراها أشياء جديدة علينا، ولكنّ فيها متعةً ولذّةً وإن لم ندرك أكثرها، وكنّا نستزيده فيزيد، ونطلب منه أن يعيد علينا ما حدّثنا به قبل يوم فيجيب دون أن يلتمس لنفسه عذراً أو يقابلنا برفض، فقد كان همّه كلّ همه أن نفهم وأن نعي ما يحدّثنا وكأنّه نذر ساعات لعبه ولهوه ـ وهو بهذا السنّ ـ ليكون معلّماً ومفقّهاً.

واصلنا حضورنا حوزته هذه حتّى كانت نهاية العام، وبدأت العطلة فافترقنا حيث التحقنا نحن في المدرسة المتوسّطة وبقي هو في مدرسته قليلاً حتّى علمنا أنّه تركها لينصرف إلى الدرس.

كانت أياماً مضيئةً وجميلة، وكانت حُلماً حلواً مؤنساً أخذنا فيها عنه أشياء كثيرة ساعدتنا على أن نفهم ما نقرأ من كتب غير كتبنا المدرسيّة، كتبٍ كان يزوّدنا بها هو أحياناً كلّما التقى واحداً منّا، وقليلاً ما كنّا نلتقيه إلاّ في داره حيث كنّا نجده مكبّاً على قراءة كتبٍ لا نعرف حتّى أسماءها، وكتبٍ كنّا نقتنيها من المكتبات أو نستعيرها من الأصدقاء زملاء المدرسة أو من المكتبات العامّة بإشارةٍ وتوجيه منه. وكنّا نهتمُّ بكلِّ كتاب ينصحنا بقراءته، وإن غمض علينا شيءٌ منه كان يعيننا على فهمه بكلّ سرور ورحابة صدر وهو ممتنٌّ غيرُ مانٍّ.

كانت لنا معه أيّامٌ حلوةٌ سعيدةٌ عادت علينا بعد ذلك بمرارةٍ لا نتجرّعها ولا نتحمّل مرارتها، فقد رحل عنّا شهيدنا، اغتالته فئةٌ ضالّةٌ باغيةٌ وتركنا إلى حيث يرتع في نعيم دائم وسعادة أبديّة، وبقينا بعده غرقى في شقاء ما مثله شقاء، وحياة مليئة بالقسوة والظلم والإرهاب، وصارت سنواتُ تلك الطفولة البريئة المرحة أيّاماً قاسية، إلاّ أنّه ترك فينا وعياً ومعرفة أعانتنا على أن نزيدها ونبلغ بها حدّاً نتفهّم فيه كلّ شيء في الحياة.

تلك كانت أيّام طفولتنا وصبانا مع ذلك المعلّم ـ الصدر ـ المليء بالعلم وهو طفل، وقد تغذّينا في حوزته ونحن أطفال»[1].

والسيّد الصدر رحمه الله وإن التحق بمدرسة (منتدى النشر الابتدائيّة)، إلا أنّه كثيراً ما كان يغيب عن أنظار معلّميه ورفاقه الطلاّب، وهذا ما كان يثير لديهم الدهشة والاستغراب لأنّه عرف مجدّاً دؤوباً على المطالعة مع نجاحه الباهر، فهو لا يعتذر عن حضور الامتحان أبداً ويحوز على أعلى الدرجات دائماً. كان خافياً على الجميع ما يدور في ذهن هذا العبقري وما يخطّطه للمستقبل، بيد أنّهم عرفوا

(١) مقدّمة مباحث الأصول ٣٣ ـ ٣٧.

أنّه منصرفٌ لدراسة العلوم الإسلاميّة[١].

ويعكسُ شدّةَ اهتمامهﷺ بالمدرسة والبحث وتوسيع آفاقه العلميّة في تلك الفترة ما ينقله الشيخ محمّد رضا النعماني عن الشهيدة (بنت الهدى) إذ قالت: «**كنتُ مع أخي في تلك الفترة نجمع ما نحصل عليه من مالٍ قليل، فيشتري السيّد به كتاباً فنطالعه ونستوعبه، ثمّ يبيع الكتاب ليشتري بثمنه كتاباً آخر، وهكذا استمرّ الحال حتّى بعد هجرتنا إلى النجف الأشرف**»[٢].

المشاركة في مواكب العزاء

كان السيّد الصدرﷺ في هذه الفترة يسهم في مناسبات الأئمّة التي كانت تقام في الكاظميّة، والتي كان يعتلي المنبر فيها الشيخ كاظم آل نوحﷺ[٣]، ممثّلاً مدرسته من خلال إلقاء الخطب والكلمات نيابةً باسمها[٤]؛ فقد كان السيّد مرتضى العسكري وأحمد أمين يكتبان المواضيع ويقوم الطلاّب بإلقائها قبل اعتلاء الخطيب المنبر، ثمّ تخصّص جائزة لأفضل إلقاء. وكان السيّد الصدرﷺ يحصد أكبر جائزة[٥]، وقد نال إعجاب أحمد أمينﷺ[٦]، وكانت مقالات رائعة جدّاً بالنسبة إلى سنّه[٧].

وكانﷺ لا يزال صغيراً إلى درجة أنّ طوله لم يكن يساعد على أن يراه الجميع، فوضعوا شيئاً تحته مثل كرسي أو ما شابه ذلك حتّى يتسنّى للجميع رؤيته[٨].

وبحسب تعبير السيّد مرتضى الأهوازي، فإنّ السيّد الصدرﷺ كان يلقي كلمته في احتفالات منتدى النشر كالبلبل[٩].

وتشهد له المجالس والمحافل في الكاظميّة عظيم جرأته، فكان يرتقي المنبر في الصحن الكاظمي كلّ عام في يوم عاشوراء وفي وفيّات الأئمّة الأطهار ليلقي كلمة في المناسبة عن ظهر

---

(١) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٢.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٢.

(٣) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٣، من تعليقة خطيّة للسيّد مرتضى العسكري على كتاب السيّد محمّد الحسيني (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه)؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٤.

يقول الشيخ علي كوراني: سألته من أين جاءه اهتمامه بالعالم الإسلامي؟ فقال إنّه كان يحضر مجالس الشيخ آل نوح الذي كان يتحدّث عن تاريخ الإسلام وأمجاده وكيف صار حال المسلمين، وذكر روايةً قرأها في صغره لعلّها رواية (وا إسلاماه) أثّرت فيه الكثير [صحيفة لواء الصدر، العدد (٣٩٦)، ٢/رمضان/١٤٠٩هـ، نقلاً عن الشيخ علي كوراني؛ وانظر عموماً: مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (ﷺ)، ويضيف في الأخيرة أنّهﷺ كان يقرأ قصص محمود تيمور].

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٤.

(٥) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (ﷺ)، وانظر: الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٣، من تعليقة للسيّد مرتضى العسكري على كتاب السيّد الحسيني (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه)؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٤.

(٦) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (ﷺ).

(٧) مقابلة مع الأستاذ علي الخليلي أستاذ السيّد الصدرﷺ في منتدى النشر (ﷺ).

(٨) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط)؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٣٥.

(٩) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (ﷺ)، ولستُ أدري إن كان المراد السيّد مرتضى العسكري.

قلب وكأنّه يرتجل مسترسلاً، بل نقل أنّه كان يحفظ الكلمة هذه في فترات وجيزة جدّاً لا تتجاوز مسيرة الموكب من المدرسة إلى الصحن الكاظمي.

لقد أعطى لموكب المدرسة شعبيّة واسعة، فكان الناس ينتظرون الموكب بشوق ولهفة[١].

وفي الأيّام العشرة الأولى من محرّم، كان يُعقد في حسينيّة آل ياسين مجلسٌ حسينيٌّ كبيرٌ يضمُّ رعيلاً من العلماء ويضمّ جماهير غفيرة من المؤمنين، فجاء السيّد محمّد باقر الصدر وهو طفل صغير ليقرأ كلمةً كتبها حول سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام [بمناسبة مولده]، فلم يمتلك خاله الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله ـ صاحب كتاب (صلح الحسن عليه السلام) ـ نفسه حتّى بادر وقال له: «**أحسنت يا رافعي العراق**» تشبيهاً له بالأديب المعروف (مصطفى صادق الرافعي)[٢]، وقيل «رافعي الشيعة»[٣].

وكان خاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله يحبّه جدّاً ويعتني به. وقد شكت له أخته خوفها وقلقها عليه لأنّه متميّز والأنظار موجّهة إليه، فطمأنها وقال: «**لا تخافي عليه، أتوقّع له خيراً كثيراً، ولقد رأيته في المنام وهو في الوسط والقرآن على جانبه والكعبة على جانبه الآخر**»[٤].

دراسة السيّد الصدر رحمه الله العقائد

عندما كان السيّد الصدر رحمه الله في الثامنة من عمره، أخذه وليّه[٥] إلى بعض المشايخ ليدرّسه العقائد، وكان السيّد الصدر رحمه الله يناقشه في جميع ما يقول، ولم يكن هذا الشيخ بالمستوى العلمي الذي يجيب به عن أسئلته، فقال لبعض أولياء السيّد الصدر: «**هذا الطفل سيصبح من الملحدين لأنّه يشكّك في كلّ أمر عقائدي**»[٦].

كتاب حول أهل البيت عليهم السلام

عندما كان السيّد الصدر رحمه الله في الثامنة من عمره، ألّف كتاباً حول أهل البيت عليهم السلام يقع في مئة صفحة[٧]، وهو مفقود.

***

---

(١) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٠، وقد تقدّم هذا الكلام في ما نقلناه عن زميل السيّد الصدر رحمه الله.

(٢) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد حسين محمّد هادي الصدر ؛ مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (حفظه الله)، نقلاً عن السيّد محمّد طاهر الموسوي الذي شهد ذلك ؛ من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) نقلاً عن والدة السيّد الصدر رحمه الله ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٣٥، نقلاً كذلك عن والدة السيّد الصدر رحمه الله، وما بين [] من هذا المصدر ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٠ ـ ٦١.

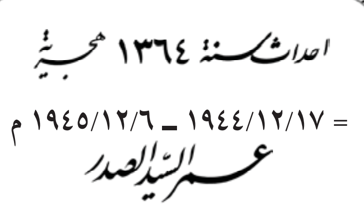
(٣) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي) (حفظه الله).

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٥) ربّما المقصود هو السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله.

(٦) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله) نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله نفسه.

(٧) ذكر لي ذلك السيّد كمال الحيدري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م في منزله في قم، وقد نقل ذلك عن السيّد الصدر رحمه الله نفسه، فيكون تاريخ تأليفه متقدّماً على تاريخ تأليف (العقيدة الإلهيّة في الإسلام) و(فدك في التاريخ) ؛ وانظر: ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد النعماني (حفظه الله).



١٠ سنوات وشهر و٥ أيّام هـ = ٩ سنوات و٩ أشهر و١٦ يوماً م

***

إصرار السيّد الصدر رحمه الله على دراسة العلوم الإسلاميّة[١]

عندما بلغ العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، وجد السيّد الصدر رحمه الله نفسه داخل الأسرة بين نزعتين مختلفتين تتجاذبانه نحو منحيين متغايرين في التخطيط لمستقبله:

ومن جانب آخر كان السيّد محمّد الصدر رحمه الله ـ نجل السيّد حسن الصدر رحمه الله ورئيس مجلس الأعيان آنذاك ـ يرغّبه في مستقبل يضمن فيه سعادة دنياه والعيش في رفاه ودعة بعيداً عن حياة الحوزة وما يكتنفها من فقر وفاقة[٢]، وقد عرض عليه السفر إلى الخارج من أجل إكمال الدراسة الأكاديميّة وذلك على حسابه الخاص[٣].

وكانت العائلة ترى أن يسلك السيّد الصدر رحمه الله الطريق التي سلكها أولاد خاله مثل عزّ الدين وجعفر آل ياسين حيث حصلوا على شهادات أكاديميّة عالية وتسلّموا بعض المناصب [فيما بعد][٤]، باستثناء أخيه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله الذي وقف موقفاً محايداً ولم يتدخّل في الموضوع، ووالدته التي كانت تحثّه على أن يصبح ملاّئيّاً[٥].

بل لعلّ أخاه السيّد إسماعيل رحمه الله لم يقف معه، إذ ينقل أنّه ـ ونظراً للظروف الاقتصاديّة والمعيشيّة التي مرّت بها أسرته بعد وفاة والدهم السيّد حيدر رحمه الله ـ طلب من أخيه السيّد محمّد باقر رحمه الله أن يترك الدراسة ويعمل في السوق، فما كان من السيّد الصدر رحمه الله إلاّ أن احتجّ على هذا الطلب بالإضراب عن الطعام قائلاً لأخيه: «**إنّ بإمكاني أن أشبع من الغذاء والأكل ولكن ليس بإمكاني أن أشبع من العلم فاتركني وشأني**»[٦]، ولعلّ والدته كانت الوحيدة التي وقفت إلى جانبه ودعمته، بينما فضّل له أفراد الأسرة أن يسلك الدراسة الأكاديميّة[٧]، ولذلك يقول رحمه الله: «**كان الفضل لوالدتي، إنّها كانت وباستمرار**

---

(١) مرّ بنا سابقاً أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يدرس في الحوزة أثناء دراسته في مدرسة (منتدى النشر)، ولكنّ ما نورده هنا يرجع إلى المرحلة التي قرّر فيها السيّد الصدر رحمه الله التفرّغ للدراسة في الحوزة، وذلك في أواخر سنة ١٣٦٤هـ.

(٢) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ٤٤ ؛ شهيد الأمة و شاهدها ١: ٥٢.

(٣) مقابلة مع السيّد محمّد باقر المهري، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله (قدس سره).

(٤) مقابلة (١) مع السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله (قدس سره).

(٥) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله (قدس سره).

(٦) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٣، نقلاً عن صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٨٣)، ١٤٠٧هـ.

(٧) انظر: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤١ ؛ مقابلة (١) مع السيّد محمّد باقر

تشجّعني على المضيّ في هذا الاتّجاه الحوزوي رغم المصاعب»[١].

وقد سأل السيّد الصدر﵀ معارضيه عن سبب رغبتهم في سلوكه السلك الأكاديمي، فأجيب بأنّ حياة الحوزة يكتنفها الفقر[٢]، فوقف موقفاً عمليّاً حسم به ذلك التجاذب وأشعَرَ تلك الأطراف التي تقاطعت رغباتها حول مستقبله بواقع ما يطمح إليه، فقد أضرب تقريباً عن الطعام من دون إعلان، واكتفى من الطعام بقطعة صغيرة من الخبز يسدّ بها رمقه طوال الليل والنهار.

بعد أيّام [ثلاثة][٣] أحسّ الجميع بالإضراب الهادئ، فسألوه عن السبب فقال: «**إنّ الذي يستطيع أن يعيش على قطعة صغيرة من الخبز أياماً عديدة قادرٌ على أن يستمرّ إلى آخر العمر كذلك، فأنا لا أخشى من الفقر ولا أخاف من الجوع**».

واستطاع أن يقنع الجميع بصواب رأيه بالالتحاق بالحوزة العلميّة رغم ما قد يواجهه من صعوبة الحياة وجدب العيش فيها، وأثبت أنّ إرادته في اختيار هذا الطريق إرادةٌ لا يزعزعها شيء[٤].

وعلى هذا الأساس أجاب عن عرض السيّد محمّد الصدر﵀ بقوله: «**خطّطتُ لنفسي طريقاً آخر، يجب أن أتّجه إلى الحوزة في النجف**»، وكان يقول: «**بإمكاني أن أصبح أكبر أديب أو كاتب، ولكنّ الكيان الحوزوي والمرجعي يجب أن يكون هو المنطلق**»[٥].

وقد حدّث السيّد الصدر﵀ الشيخ محمّد رضا النعماني عن هذه المرحلة من حياته فقال: «**إنّ المرحوم السيّد محمّد الصدر رئيس وزراء العراق آنذاك كان يصطحبني معه إلى مزرعته خارج بغداد على ظهر جواد له، فكان يمنّيني بمنصبٍ كبيرٍ في الدولة وبحياة ناعمة مرفّهة إن أنا واصلتُ دراستي في المدارس الحكوميّة، فقلت له: إنّ حياة الحوزة والدراسة فيها هي خياري الوحيد، وإنّ قناعتي في ذلك تامّة رغم حاجتي للمال**»[٦].

يُذكر أنّ السيّد الصدر﵀ كان قد عمد ـ بعد اتّخاذه هذا القرار ـ إلى امتناعه عن تقديم الامتحانات في المدرسة، الأمر الذي أدّى إلى رسوبه فيها، فوضع أهله أمام الأمر الواقع[٧]، وراح يدرّس زملاءه في البيت[٨].

يُشار إلى أنّ الشيخ علي كوراني سأل فيما بعد السيّد الصدر﵀ عن توجّه السيّد محمّد الصدر﵀

الحكيم (دام ظله).

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر﵀ للمصنّف، (مخطوط).

(٢) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم﵀، نقلاً عن السيّد الصدر﵀ (دام ظله).

(٣) ما بين [] من: الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٩؛ وانظر شهادة والدته الآتية.

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٥٢؛ ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٩، نقلاً عن السيّد الصدر﵀؛ صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٤)، ٩/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم﵀ (دام ظله).

(٥) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٠٨)، في حديث مع السيّد صدر الدين القبانجي.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٥٣؛ وانظر: صحيفة المُبلّغ الرسالي، العدد (٨٥): ٥. وقد ذُكر لي أنّ لدى السيّد حسين إسماعيل الصدر صورة للسيّد الصدر﵀ يمتطي فيه جواداً، وربّما كان ذلك في مزرعة السيّد محمّد الصدر﵀.

(٧) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (دام ظله).

(٨) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (﵀).

السياسي، وكان الشيخ يعتبر أنّه في أفضل الأحوال إصلاحي يطالب بإصلاح الدولة من داخل، وقد فهم من جوابه أنّه يفضّل اتّجاهاً آخر(١).

تقول والدة السيّد الصدر رحمه الله: إنّها «لمّا رأت هذا النبوغ وهذه العبقريّة المبكّرة لفتاها، تفتّق الأمل في نفسها عن طموح مشرق لمستقبله، فهو ما دام قد حباه الله بهذا التفوّق فلسوف يكون نعم من يحيي سيرة أجداده، ورأت فيه خير امتداد لسلسلة من الأسماء اللامعة المباركة، التي حلّقت في سماء الفقاهة والمجد تاريخاً ممتدّاً. وصارت تشجّعه على الاستعداد للتوجّه إلى النجف الأشرف للالتحاق بركب العلماء من أجداده وأسلافه..

ولكن في هذه الفترة أيضاً، والفتى كان بين ربيعه العاشر والحادي عشر، وُجد في أوساط الأهل اتّجاه آخر يغذّيه قريبهم الوجيه السيّد محمّد الصدر، رئيس وزراء العراق الأسبق، الذي صار يأمل في السيّد الشهيد أيضاً أن يكون لـه شأنٌ كبير ومؤثّر في مستقبل العراق، بعدما عرف منه ذلك التميّز، وسمع ورأى بنفسه كثيراً من مظاهر النبوغ والعبقريّة من الصبي، فكان يغتنم الفرصة للحديث معه كلّما جمعه به مجلس، بل صار يدعوه للذهاب معه إلى مزرعته خارج بغداد، ويصطحبه معه على صهوة جواده، فيحادثه ويمنّيه لتشجيعه ودفعه لمواصلة الدراسات الأكاديميّة المتخصّصة، ووعده بالدّعم والتأييد، وتهيئة الفرص لـه ليتسنمّ أعلى المراتب العلميّة والاعتباريّة في العراق. ولكنّ الشهيد ـ تقول أمه ـ: إنّه كان على حداثة سنّه راسخ الفكرة واضح الاتّجاه، فكان يجيب على ذلك الرجل الكبير والمحسن الكريم: إنّ الاتّجاه إلى الحوزة العلميّة هو خياره واختياره، على الرغم من أنّه كان يعي تماماً الضائقة الماديّة التي كنّا نعيشها، ويدرك أنّه لو اتّجه إلى الخيار الآخر، فإنّه سيتمكّن من رقبة الدنيا، وسيأخذها عريضة بكلتا يديه».

وتكمل والدته: «إنّ لكلا هذين الاتّجاهين ـ في محاولة رسم مستقبل الفتى النابغ ـ كان هناك أنصارٌ ومؤيّدون لكلّ واحد من الخيارين المذكورين في أوساط أفراد الأسرة والأقارب والمحبّين.

ولكنّ الشهيد قد حسم خياره مبكّراً، وبدأنا نرى منه بعض التصرّفات أو نسمع منه تركيزاً على بعض الكلمات التي يشير من خلالها إلى ذلك الحسم والعزم والإصرار على ما اختار.

ولن أنسى تلك الأيام التي رأيناه فيها قد غيّر من سلوكه الغذائي، فقد مرّ عليه يومٌ لم يتناول فيه شيئاً من الطعام، عدا قطعة جافّة من الخبز مع شيءٍ من الماء طوال يومه. فسكتُّ أنا أمُه على مضض ولم أكلّمه؛ لأنّي أعرف ولدي أنّه إذا صمّم على شيء، فإنّي أوّلاً أثق في حكمته على صغر سنّه، ثمّ إنّي كنت أيأس من محاولة صدّه عمّا يعزم عليه، ولكنّي ازددت قلقاً عندما كرّر نفس السلوك في اليوم الثاني. وهكذا انصرم اليوم الثالث على نفس المنوال، ولعلّ الرابع كذلك أيضاً، حتّى أثار انتباه المحيطين ودهشتهم. وسرى النبأ عند الجميع الذين كانوا يتلهّفون لسماع أخباره ويراقبونه، ويأملون فيه الكثير، ولكنّ مثل هذا التصرف لم يكن ليرضي أحداً خوفاً على سلامته، مع أنّه كما قدّمت لم يكن يخلو عادةً من الأسقام والعلل.

ولمّا تكرّر عليه السؤال القلق عن هذا العزوف عن الطعام، وهذا التصرّف الذي اعتبره البعض إيذاءً لنفسه؟ برّر الفتى ذلك التصرّف حين واجهناه محتجّين على مسلكه المؤذي ـ في نظرنا ـ أجاب قائلاً: (إنّ من

(١) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

يقدر على أن يعيش أيّاماً على القليل من الخبز والماء القراح، فلن يضرّه فقر متوقّع، ولن يزيده البؤس جوعاً، ولن يخاف من الله الذي ﴿هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1] حيفاً ولا جوراً).

وهكذا أفحم وألجم كلّ من كان يثبطه عن الالتحاق بركب أسلافه على طرق العلم، وشكّل بذلك إعلاناً منه للجميع وإعلاماً بما اختاره وحجّة دامغة على صوابيّة اختياره»[2].

رسالة في المنطق

ترك السيّد الصدر رحمه الله الدراسة في مدرسة (منتدى النشر) من أجل التفرّغ لدراسة العلوم الحوزيّة.

وقد قرأ رحمه الله علم المنطق في الحادية عشرة من عمره[3]، وكتب رسالة في المنطق يعترض فيها باعتراضات على بعض الكتب المنطقيّة[4]، وهي مفقودة.

***

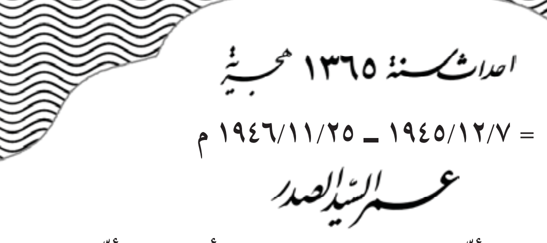
(١) الأعراف: ١٩٦.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٣٥ ـ ١٣٧.

(٣) انظر ما جاء في الوثيقة رقم (٤) ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٣٠٦.

وهذا ينسجم تمام الانسجام مع ما استقربناه لدى تحديد تاريخ تركه الدراسةَ في (منتدى النشر)، حيث استقربنا أن يكون ذلك في شهر ذي القعدة أو ذي الحجّة من العام ١٣٦٤هـ، وقد علمت أنّ ولادة السيّد الصدر رحمه الله كانت في ٢٥/ذي القعدة/١٣٥٣هـ.

(٤) انظر أيضاً الوثيقة رقم (٤) حيث جاء: «في الحادية عشرة من عمره كان يدرس المنطق وقد ألّف رسالة في المنطق في هذا التاريخ ضمّنها بعض الملاحظات والمؤاخذات على بعض الكتب المنطقيّة» ؛ ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).



= ١٩٤٥/١٢/٧ ـ ١٩٤٦/١١/٢٥ م

١١ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٠ سنوات و٩ أشهر و٦ أيّام م

***

دراسة (معالم الدين وملاذ المجتهدين)

في أوائل سنة ١٣٦٥هـ، قرأ السيّد الصدر رحمه الله كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني رحمهما الله، وكان ذلك على يد أخيه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله.

وكان السيّد الصدر رحمه الله من شدّة ذكائه يعترض على صاحب المعالم رحمه الله بإيرادات وردت في كتاب (كفاية الأصول) للآخوند الخراساني رحمه الله، منها:

أنّه ورد في بحث الضدّ في كتاب (المعالم) الاستدلال على حرمة الضدّ بأنّ ترك أحد الضدّين مقدّمة للآخر، فاعترض عليه السيّد الصدر رحمه الله بقوله: «**إذن يلزم الدور**»، فقال له السيّد إسماعيل رحمه الله: «**هذا ما اعترض به صاحب الكفاية على صاحب المعالم**»[1].

كتاب (العقيدة الإلهيّة في الإسلام)

في أوائل هذا العام، وقبل هجرته إلى النجف الأشرف، كتب السيّد الصدر رحمه الله كتاباً عقديّاً عنوانه (العقيدة الإلهيّة في الإسلام)، غير أنّ أحداً لا يعلم شيئاً عن مصير الكتاب المذكور[2].

---

(١) ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله) ؛ ذكر ذلك السيّد حسين السيّد محمّد هادي الصدر في مجلّة شؤون إسلاميّة: ١٨٣. وكنّا قد رأينا أنّ السيّد الصدر رحمه الله بدأ بدراسة المنطق في أواخر العام ١٣٦٤هـ.

وقد جاء في الوثيقة الخطيّة المتقدّمة: «وفي أوائل الثانية عشرة كان يدرس المعالم عند أخيه، وكثيراً ما كان يعترض على مطالب المعالم حين إلقاء الدرس عليه باعتراضات صاحب الكفاية. ومثال ذلك في بحث الضدّ، فقد اعترض على الاستدلال على حرمة الضدّ بالمقدميّة بإشكال الدور».

وقد ذكر رحمه الله في وثيقة خطيّة أنّ دراسته للـ(معالم) كانت في أوائل الثانية عشرة، لكن لا بدّ من حمل ذلك على أنّه كان أوائل سنة ١٣٦٥هـ لا أوائل بلوغه هو الثانية عشرة، وذلك لأنّ بلوغه الثانية عشرة يكون في ذي القعدة من العام ١٣٦٥هـ، ولا يمكن أن يكون قد بدأ بدراسة (المعالم) في ذي القعدة أو ذي الحجّة من العام ١٣٦٥هـ لأنّه درسها في الكاظميّة ثمّ هاجر إلى النجف في الربع الأخير من سنة ١٣٦٥هـ.

وهذا ينسجم مع ما احتملناه سابقاً من أنّه شرع في دراسة المنطق في ذي الحجّة/١٣٦٤هـ، فلو استغرقت دراسته لهذه المادّة ثلاثة أشهر ـ بل أقلّ ـ، فهذا يعني أنّه فرغ من ذلك في ربيع الأوّل/١٣٦٥هـ. وبعد ذلك شرع في دراسة (المعالم)، ويكون ذلك في أوائل ١٣٦٥هـ.

(٢) إنّ أصل وجود هذا الكتاب أمرٌ مؤكّد وليس اختلاقاً، فقد جاء في ذكر السيّد الصدر رحمه الله في كتاب (فدك في التاريخ): «نقلنا هذه الجملة عن كتابنا العقيدة الإلهيّة في الإسلام»، وكتب أيضاً: «وقد أوضحنا هذا المذهب في كتابنا العقيدة الإلهيّة في الإسلام». انظر: فدك في التاريخ: ٩٢، ١٣٤.

أمّا تاريخ تأليفه، فما أوردناه مستفاد ممّا ذكره السيّد حسين السيّد محمّد هادي الصدر صهر السيّد إسماعيل

هجرة السيّد الصدر﵀ إلى النجف الأشرف

في النصف الثاني من سنة/١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) هاجر السيّد الصدر﵀ من الكاظميّة إلى مدينة النجف الأشرف مركز الفقه الإسلامي بمعيّة أخيه السيّد إسماعيل﵀ وباقي أفراد عائلته(١).

وتنقل والدته﵄ أنّهم أثناء انشغالهم بترتيب ونقل الأغراض انتبهوا فجأة إلى أنّ السيّد غير موجود، فبحثوا عنه فوجدوه قد دخل في زوايا البيت الصغيرة وانشغل هناك بكتابته ومطالعته(٢).

وفاة السيّد أبو الحسن الإصفهاني﵀

في ٩/ذو الحجّة/١٣٦٥هـ (١٩٤٦/١١/٤م) توفّي السيّد أبو الحسن الإصفهاني﵀ في الكاظميّة، وتمّ نقل جثمانه إلى النجف الأشرف حيث دفن في الصحن العلوي الشريف في مقبرة أستاذه الشيخ الآخوند الخراساني﵀(٣).

الصدر﵀. انظر مجلّة شؤون إسلاميّة، العدد (٨ ـ ٩)، ١٤٢١ ـ ١٤٢٢ هـ : ١٨٤.وقد جاء في المصدر أنّ عمر السيّد الصدر﵀ كان ١٢ سنة، والصحيح ١١ سنة، وإنّما قيل (١٢) لأنّ السيّد الصدر﵀ ولد سنة ١٣٥٣ وألّف الكتاب أوائل سنة ١٣٦٥هـ، فيقال تسامحاً (١٢) سنة.

ومن الملفت للنظر في المورد الأخير (فدك في التاريخ: ١٣٤) طبيعةُ المطلب العقلي الذي كان السيّد الصدر﵀ بصدد معالجته، وهذا يكشف عن انشغاله﵀ في المجال العقلي منذ صغره، وهذا يجعلنا لا نستغرب ما قدّمناه حول قراءته لكتب الماركسيّة وغيرها أيّام طفولته.

(١) قدّرنا أن تكون هجرة السيّد الصدر﵀ إلى النجف الأشرف في هذه الفترة لأمور:

١ ـ أمّا كونها عام ١٣٦٥ هـ فهو ما ذكره السيّد الصدر﵀ نفسه في الوثيقة الخطيّة حيث كتب: «تاريخ هجرته إلى النجف .. ١٣٦٥». وهو ما ذكره السيّد عبد الغني الأردبيلي﵀ (أسرة آل الصدر: ٢٠٤)، وما ذكره الآخرون يرجع إلى الأخير، وإن كان السيّد إسماعيل الصدر﵀ قد ذكر في رسالته إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين﵀ المؤرّخة بـ١٥/ذي الحجّة/١٣٦٨هـ أنّه قدم إلى النجف الأشرف منذ سنتين. ولكن حيث كانت وفاة السيّد الإصفهاني محدّدة، فإنّ الصحيح ما في المتن.

٢ ـ أمّا كونها في النصف الثاني من السنة المذكورة مع أنّ أحداً لم يحدّدها بذلك، فلأنّ السيّد حسن شبّر يقول حول حضور السيّد الصدر﵀ لأربعينيّة السيّد الإصفهاني﵀ في النجف الأشرف: «في ذلك الوقت جاء السيّد الصدر إلى النجف الأشرف للدراسة» (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٠ ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر، ﷺ).

ومن المفترض أن تكون أربعينيّة السيّد الإصفهاني﵀ حدود ٢٠/محرّم/١٣٦٦هـ (١٩٤٦/١/١٥م) بعد أن كانت وفاته في ٩/ذي الحجّة/١٣٦٥ هـ ولمّا كان وفود السيّد الصدر﵀ إلى النجف الأشرف قريباً من أربعينيّة السيّد الإصفهاني﵀، فإنّ البناء على كونها في النصف الثاني أمرٌ وجيه.

نعم؛ ذكر السيّد إسماعيل الصدر﵀ في رسالة له إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين﵀ بتاريخ ١٥/ذي الحجّة/١٣٦٨هـ أنّه انتقل إلى النجف منذ سنتين، أيّ حوالي سنة ١٣٦٦هـ ولكنّ المشهور ما ذكرناه وما ورد في وثيقة السيّد الصدر﵀. اللهمّ إلاّ أن يقال: إنّ السيّد إسماعيل الصدر﵀ كان سنة ١٣٦٨هـ أذكر من السيّد الصدر﵀ سنة ١٣٩٤هـ عندما كتب وثيقته المتقدّمة، فنقدّم كلام السيّد إسماعيل﵀ بملاك الأذكريّة ؛ ولكنّهما كانا على أيّة حال في النجف في أربعينيّة السيّد الإصفهاني﵀ في محرّم/١٣٦٦هـ فإن كانا قد انتقلا سنة ١٣٦٦هـ ففي أوّلها.

(٢) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر﵀ للمصنّف، (مخطوط)، وفيها: عندما انتقلوا إلى بيتٍ جديد، فاحتملتُ أن يكون ذلك لدى انتقالهم إلى النجف الأشرف.

(٣) انظر: المرجعيّة العاملة: ٢١٧ ـ ٢٢٣ ؛ حياة الإمام السيّد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني﵀.. دراسة وتحليل: ١٦٠ ـ

وبعد وفاة السيّد الإصفهاني﵀ جاءت الوفود لحضور الفاتحة من أنحاء العالم ـ من السنّة والشيعة ـ ولكنّ الحكومة العراقيّة لم ترسل أيّ ممثّل عنها. وقد احتجّ السيّد محسن الحكيم﵀ على هذا الموقف، فأرسل الملك مندوباً عنه لفاتحة الأربعين[١].

وضع السيّد الصدر﵀ الدراسي عند هجرته إلى النجف الأشرف

في النجف الأشرف بدأ السيّد الصدر﵀ حياة جديدة ملؤها الجدّ، فكان دؤوباً على طلب العلم بشكل منقطع النظير، وكان يستثمر من كلّ يوم ستّ عشرة ساعة لتحصيل العلم، فمن حين استيقاظه إلى ساعة النوم كان يلاحق المطالعة والتفكير، عند قيامه وقعوده ومشيه، وكان لا يرى شخصه في الأندية والمجالس إلاّ قليلاً[٢].

يقول﵀: «**إنّني في الأيّام التي كنت أطلب العلم، كنت أعمل في طلب العلم كلّ يوم بقدر عمل خمسة أشخاص مجدّين**»[٣]، «**كنتُ أذهبُ صباحاً إلى غرفة صغيرة في الطابق الأعلى من البيت وأنكبُّ على المطالعة والتحقيق ولا أنتبه إلى الوقت إلاّ عندما تناديني أُمّي لتناوُل طعام الغداء ومن ثمّ أصعد وأكمل حتّى شطر من الليل**»[٤]. وكانت هذه الغرفة بين الطابق الأرضي وبين السطح، ويُصطلح عليها بـ(نيم كار)، ويصفها السيّد الصدر﵀ بقوله: «**هذه الصغيرة صغيرة الحجم وفيها فتحة مدوّرة للتهوية والإضاءة، وكان سقفها منخفضاً بحيث عندما أقف بكامل قامتي يضرب رأسي سقف الغرفة، لذا أضطرُّ إلى الانحناء عند الدخول والخروج أو الحركة فيها. كنتُ أذهب إلى هذه الغرفة في بداية دراستي في النجف بعد صلاة الفجر مباشرةً وأقرأ وأراجع إلى أن ينادوني على طعام الغداء**»[٥].

ويقول﵀: «**إنّني كنت أعيش في منتهى الفقر والفاقة، ولكنّني كنت أشتغل منذ استيقاظي من النوم في كلّ يوم بطلب العلم، كنت أنسى كلّ شيء وكلّ حاجة معيشيّة إلى أن كنت أفاجأ من قبل العائلة بمطالبتي بغذاء يقتاتون به وكنت أحتار عندئذ في أمري**»[٦].

يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**اتّخذ السيّد الشهيد منهجاً خاصّاً لتربية نفسه من الناحية العلميّة، فقد كان ـ وكما سمعت منه ـ يقتطف أكثر من عشرين ساعة من الليل والنهار للتحصيل العلمي، وكان**

---

١٦٣ ؛ الموسوعة العربيّة الميسّرة والموسّعة ١: ١٦١ ؛ گلشن ابرار (فارسي) ٢: ٥٨٩.

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٤٨.

(٢) انظر: ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني ؛ ترجمة السيّد الصدر﵀، السيّد محمّد الغروي (﴿﴾) ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٣ ؛ أسرة آل الصدر: ٢٠٦. وقد نقل الشيخ محمّد رضا النعماني في ما يأتي وفي مقابلة (١) معه (﴿﴾) عن السيّد الصدر﵀ قوله: إنّه كان يدرس عشرين ساعةً وينام أربع ساعات، ولا يستقيم ذلك إلاّ إذا قلنا بشموله لساعات الصلاة والأكل والراحة، فيكون الخالص منها عبارة عن ستّ عشرة ساعة.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٧.

(٤) ترجمة السيّد الصدر﵀، السيّد محمّد الغروي (﴿﴾).

(٥) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٥، وقد نقلها السيّد محمّد الحيدري عن السيّد الصدر﵀، وعلّق على ذلك بأنّ السيّد الصدر﵀ كان قصير القامة، فكيف كانت حال الغرفة؟! ونضيف بأنّه كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره.

(٦) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٧.

يقسّمها بين المطالعة والكتابة والتفكير، ولعلّ التفكير كان يأخذ أكثرها، وقد يكون هذا أحد أسباب الإبداع في نتاجاته العلميّة وما يرى فيها من تميّز ظاهر. فهو لم يجعل نفسه وعاءً لأفكار الآخرين يستنسخها في ذاكرته فقط، بل يمحّص كلّ شيء بموضوعيّة ودقّة منقطعة النظير، فما هو حقٌّ منها يستدلّ له، وما هو باطل يستدلّ عليه، وهكذا»[(١)].

وقد نُقل أنّه اتّخذ لنفسه غرفة صغيرة في داره لا يخرج منها إلاّ لأداء الصلاة أو حضور الدرس ولتناول الغذاء[(٢)]، وكانت غرفةً صغيرة تقع في أعلى المنزل وتسمّى سابقاً (گنجينه). ومع أنّ إنارتها ضعيفة، ولكنّه استحسنها من أجل أن يتفرّغ فيها ويستطيع في أيّ وقت القراءة والكتابة[(٣)]، وكان لديه فيها مروحة صغيرة، فيكتب ويطالع وسط النهار وفي أيّام الصيف مع أنّ الناس ينامون في هذه الأوقات. وكان‏ رحمه الله ينام أوّل الليل ثمّ يستيقظ لصلاة الليل[(٤)].

وعندما كان السيّد الصدر رحمه الله يفكّر، فإنّه كان يستغرق بالتفكير بصورة عميقة حتّى كأنّه لا يوجد شيءٌ حوله يشغله أو يشوّش عليه فكره.

وقد سأله السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله مرّة عن عمله الفكري مع وجود أطفال أخيه السيّد إسماعيل رحمه الله في البيت، وكانوا صغاراً في حينه وهم يبكون أو يلعبون، أو وجود الحركة والحديث في البيت وهو بيتٌ ضيّقٌ نسبيّاً، فذكر له أنّ هذه الأمور لا تشوّش عليه تفكيره ولا تشغله عنه ولا يتأثّر بالضوضاء التي تجري حوله بسبب استغراقه في التفكير[(٥)]. وحتّى بعد أن رزقه الله تعالى الأولاد، فعندما يكون مشغولاً ويكونون إلى جانبه يقول: «**أنا لا أسمعهم**»[(٦)].

ويقول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: «**في بداية عمله العلمي كان يمارس التفكير طيلة الفترة التي يكون مستيقظاً فيها دون استثناء وكان يقول: إنّي كنت ألاحظ أنّه بمجرد أنْ أستيقظ من النوم أبداً بالتفكير من النقطة التي انتهيت إليها من فترة ما قبل النوم ولم يكن يؤثّر عليّ في عمليّة التفكير هذه ما يجري حولي من حديث أو أصوات بل كنت أَقْدِرُ على التفكير في الجو الصاخب أيضاً**»[(٧)].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يعمل ليل نهار دون كلل أو ملل إلاّ عندما يصيبه الصداع الشديد، وهو من الأعراض التي كان يُبتلى بها فيظهر عليه التعب، ويعمل حتّى لا يبقى له وقت للراحة أو فرصة للتوقّف[(٨)]، حتّى أنّه لم يخرج لخمس سنوات من النجف الأشرف ولم يذهب إلى كربلاء أو

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٠٧.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٣، نقلاً عن مجلّة الأضواء الصادرة بقم، العدد (٣)، ١٤٠٤هـ ؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله (حفظه الله).

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (حفظه الله)، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله.

(٥) الفقرتان الأخيرتان عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٠.

(٦) ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٧) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢١ ؛ ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٠.

(٨) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

الكاظميّة.

وفي أوّل زيارة له إلى الكاظميّة تاه في شوارعها لتغيّرها عليه[1]، بل لم يكن يخرج للتنزّه داخل النجف أو حتّى الجلوس في الصحن الحيدري كما هي عادة العلماء، حتّى أنّ أخاه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله كان جالساً في الصحن الحيدري مع السيّد محمّد القمّي في وقت كان الصحن الحيدري مزدحماً بحلقات أهل العلم فقال: «**إنّي أدفع رهاناً لكلّ من يقول إنّ بإمكانه أن يرى أخي السيّد باقر في هذا المكان**»[2].

وكان رحمه الله يتابع الكتب الإسلاميّة الصادرة في الأربعينات، وكذلك بعض الصحف والمجلاّت كجريدة (الساعة) وغيرها[3]. ولكنّه لم يكن يملك المبالغ الكافية لشراء الكتب، فكان يقصد مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام والشوشتريّة وغيرهما..[4]، وكان مع أخته يجمعان ما يحصلان عليه من مال قليل، فيشتري به السيّد كتاباً، وبعد أن يطالعاه ويستوعباه يبيعه ليشتري بثمنه كتاباً آخر[5].

وذات مرّة دخل إلى إحدى المكتبات العلميّة في النجف وسأل عن أحد الكتب الفلسفيّة الذي لا يفهمه إلاّ [الضليعون] في الفلسفة، فتعجّب الحاضرون، وانبرى له أحدهم فسأله سؤالاً عسيراً في الفلسفة على أن يعطيه الكتاب مجّاناً إن أجاب عنه. عندها أجابهم السيّد الصدر رحمه الله إجابة مفصّلة أذهلت الحاضرين، وتركهم في حيرة[6].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يتولّى تدريس أخته بنت الهدى، وكان إذا حان وقت درسها قال لها: «**اجلسي إلى درسك**»، ويقوم هو بغسل الأواني ليفسح لها الفرصة للدراسة[7].

كما كان السيّد الصدر رحمه الله يتردّد في أوقات فراغه على المكتبة الحيدريّة لصاحبها الشيخ محمّد كاظم الكتبي رحمه الله، وربّما كانت الإفادة من المكتبة في ساعات الظهيرة، وكان ذلك يكلّف الشيخ الكتبي رحمه الله تقديم وجبة غذاء خفيفة بالإضافة إلى إعارة بعض الكتب[8].

السيّد الصدر رحمه الله ورؤيا أمير المؤمنين عليه السلام

كان السيّد الصدر رحمه الله في بداية حياته العلميّة مواظباً على الذهاب في كلّ يوم إلى حرم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فكان يؤدّي الزيارة والصلاة ثمّ يجلس ليفكّر بالمسائل العلميّة المعقّدة، مستلهماً

---

(١) نقل ذلك السيّد كمال الحيدري عن السيّد الصدر رحمه الله. انظر: انديشه ماندگار، ويژه كنگره بين المللى آية الله العظمى شهيد صدر قدس سره، شماره پنجم، ٣٠ دى ١٣٧٩، گفت وگو با سيد كمال حيدرى: ١٣ ؛ الشريط (٣٣) من شرح السيّد الحيدري على كتاب (الحلقة الثانية).

(٢) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي) (حفظه الله).

(٣) الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلاميّة في العراق: ٩، نقلاً عن الشيخ علي كوراني في العدد (١٣) من مجلّة الجهاد.

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (حفظه الله)، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله.

(٥) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٢ ؛ من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٦) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٨١)، ١٧/رجب/١٤٠٥هـ.

(٧) صحيفة (لواء الصدر)، ١٣/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ، نقلاً عن الشيخ أبي علي [محمّد تقي] المولى.

(٨) شيخ الورّاقين في النجف الأشرف الشيخ محمّد كاظم الكتبي: ٦٤.

من باب مدينة العلم عليه السلام حلّها، وكان يقول: «**ما استعصى عليّ حلٌّ لمسألة في حرم أمير المؤمنين** عليه السلام»(١).

وقد انقطع السيّد الصدر رحمه الله عن الذهاب إلى الحرم الشريف فترةً من الزمن، ولم يكن أحدٌ يعلم بذلك كلّه إلى أن كشف هذا الأمر الحاج عبد الحسن البلداوي(٢)، فقد رأى في عالم الرؤيا أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: «**قل لولدي السيّد محمّد باقر الصدر لماذا انقطعت عن حضور درسنا؟**».

فقصّ هذا الرجل رؤياه على السيّد إسماعيل رحمه الله فقال له: «**لا أعلم بذلك، فليأت السيّد محمّد باقر ونسأله عن ذلك**». فلمّا جاء السيّد محمّد باقر حكوا له الرؤيا فتبسّم وقال: «**سبحان الله، إنّي كنت أغتنم خلوّ الحرم الطاهر من الزائرين بعد صلاتي الظهر والعصر فأذهب إلى الحرم الشريف لمطالعة دروسي لأستلهم من روحانيّة الإمام أمير المؤمنين** عليه السلام **وأستفيد من فيض علومه، ومنذ يومين لم أذهب إلى الحرم**».

وعاد السيّد الصدر رحمه الله إلى ما كان عليه واستمرّ عليه حتّى آخر يوم قبل احتجازه(٣).

وبالمناسبة نورد ما ينقله الشيخ النعماني حيث يقول: «**دخل السيّد الشهيد** رحمه الله **إلى حرم الإمام علي** عليه السلام **لزيارته، وكان أمامه أحد خدّام الحرم الشريف، ولم يكن يعلم بوجود السيّد الشهيد، ولمّا بدأ (رضوان الله عليه) بالزيارة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، التفت الخادم مذهولاً إلى السيّد الشهيد وقال له: ادخل يا سيّدي فوالله لقد سمعت الإمام يقول: ادخل يا ولدي، ولم أكن أعلم بوجودك هنا**»(٤).

وحول عاداته أيّام الطفولة يقول السيّد الصدر رحمه الله: «**إنّي آليت على نفسي منذ الصغر أن لا أصلّي إلاّ بحضور قلب وانقطاع، فأضطرُّ في بعض الأحيان إلى الانتظار حتّى أتمكّن من طرد الأفكار التي في ذهني، حتّى تحصل لي حالة الصفاء والانقطاع، وعندها أقوم للصلاة**»(٥).

---

(١) انظر هذا المقطع في: الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار: ٨٠؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٠٦ ـ ١٠٧؛ الشيخ محمّد رضا النعماني في ندوة أقامها التركمان حول السيّد الصدر رحمه الله (﴿﴾).

(٢) لم يرد اسمه في المصدر، بل ورد: «رجلٌ كان خادماً للسيّد حيدر الصدر رحمه الله ثمّ بعد وفاته بقي على خدمته وعمله متبرّعاً بذلك»، وقد استفدنا اسمه ممّا تقدّم لدى الحديث عن وفاة السيّد حيدر الصدر رحمه الله سنة ١٣٥٦هـ.

(٣) اعتمدنا في نقل هذه القصّة على التلفيق بين ما نقله الشيخ محمّد رضا النعماني عن والدة السيّد الصدر رحمه الله (الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار: ٨٠؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٠٦ ـ ١٠٧)؛ وما نُقل عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٣ ـ ٦٤، نقلاً عن مجلّة الأضواء، العدد ٣، ١٤٠٤هـ بقلم السيّد عبد الكريم القزويني)؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله؛ وقد سمعتها من السيّد عبد الكريم القزويني بتأريخ ٢٠٠٤/٥/١١م نقلاً عن السيّد إسماعيل رحمه الله كذلك؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله (﴿﴾)؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله (﴿﴾).

ويشار هنا إلى أنّ السيّد كاظم الحائري نقل القصّة عن السيّد الصدر رحمه الله نفسه، وقد ورد في كلامه أنّ صاحب الرؤيا هو امرأة في بيت السيّد رحمه الله، ولعلّها والدته (مقدّمة مباحث الأصول: ٥٢؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (﴿﴾)؛ مقابلة (٢) مع السيّد كاظم الحائري (﴿﴾)؛ مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (﴿﴾)؛ صحيفة لواء الصدر، العدد (١٤٧)، ٣٠/رجب/١٤٠٤هـ؛ السيّد كاظم الحائري في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد حسين هادي الصدر، (﴿﴾))، بينما ورد في ما نقله الشيخ محمّد رضا النعماني عن والدة السيّد الصدر رحمه الله نفسها أنّ الرائي هو الخادم (الحاج عبد الحسن). ونقل أيضاً أنّ الرائي هو أحد العلماء (صحيفة لواء الصدر، العدد (١٤٧)، ٣٠/رجب/١٤٠٤هـ).

(٤) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ١٢٣؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٢٠.

(٥) الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار: ١٢١؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٨ ـ ٢١٩.

منزل السيّد الصدر رحمه الله في تلك الفترة

عندما هاجر إلى النجف الأشرف، سكن السيّد الصدر رحمه الله [مع أخيه السيّد إسماعيل رحمه الله] في محلّة (العمارة) في منزل الحاج كريم أبو گلل[١]، وكان قريباً من منزل السيّد محسن الحكيم رحمه الله، وكان بجوار منزل ابن عمّه السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله[٢] وخاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله[٣]. وكان في هذا البيت يعيش مع أمّه وأخته آمنة وأخيه وعائلة أخيه[٤].

وضع السيّد الصدر رحمه الله الاجتماعي في هذه المرحلة

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: «**كان اتّصالي بالشهيد الصدر وعمره حوالي اثنين وعشرين عاماً، ولم أكن أرَ أنّ له علاقات اجتماعيّة خارج دائرة الأسرة والأصدقاء والدرس المحدود بالرغم من انتمائه إلى أسرتين علميّتين معروفتين عريقتين ومنتشرتين إلى جانب مرجعيّة خاله آية الله العظمى الشيخ محمّد رضا آل ياسين وديوانيّة خاله الآخر الشيخ مرتضى آل ياسين، وذلك على خلاف أخيه آية الله السيّد اسماعيل الصدر الذي كان له علاقات اجتماعيّة جيّدة...**».

«**لقد كان الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) لا يتّصف بالميل إلى العلاقات الاجتماعيّة العامّة، بل يمكن أن أقول بأنّه كان يتّصف من الناحية النفسيّة بشيء من السلبيّة تجاهها، ولعلّ ذلك بسبب حركته العلميّة واستغراقه فيها، أو بسبب ما كان يتّصف به من حياء فطري، أو بسبب ظروفه الاجتماعيّة القاسية التي أشرتُ إلى بعض أبعادها في الفصل الأول من الحديث، أو بسبب زهده فيها ورؤيته بأنّها مضيعة للوقت ومعرضٌ للمشكلات الأخلاقيّة والاجتماعيّة، أو غير ذلك من الأسباب أو بعضها أو جميعها، ولكنّها هي الحقيقة كما صرّح لي بذلك بأنّه لو ترك وشأنه ولم يكن يشعر بمسؤوليّة تجاه هذه العلاقات لتفرّغ للتفكير والعلم دون أيّ رغبة في هذه العلاقـات.**

ولذلك لم يكن الشهيد الصدر قدس سره في بداية حياته وحتّى عنفوان شبابه يمارس العلاقات الاجتماعيّة المعروفة في الحوزة إلاّ بقدر محدود جدّاً، وذلك مثل حضور مجالس الفاتحة بصورة واسعة، أو حضور مجالس التعزية بصورة عامّة، أو التـردّد على الديوانيّات وحضور المناسبات الاجتماعيّة العامّة. فضلاً عن إقامته للمجالس أو فتحه منزله للزائرين أو غير ذلك من الفعاليّات الاجتماعيّة، ولذلك يمكن أن نعبـّر عنه أنّه كان منطوياً على نفسه اجتماعيّاً.

وكان هذا السلوك يشوّش الصورة في أذهان بعض الناس البعيدين عنه، كما كان سبباً في خسارة القاعدة الاجتماعيّة الواسعة التي كان لها علاقات مع أسرتيه أو الأشخاص الذين يهتمّون بهذا السلوك الاجتماعي ويرونه أساساً في مواقفهم وحركتهم. ولكنّه في مرحلة متأخّرة من حياته بدأ الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) يهتمّ بصورة أكيدة بهذا الجانب...»[٥].

---

(١) مقابلة مع الشيخ محمّد صادق الجعفري (حفظه الله).

(٢) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار). أمّا عن قربه من ذينك المنزلين، ففي بالي أنّي سمعته من السيّد نور الدين الإشكوري.

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (حفظه الله).

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٥) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

«**إنّه كان يمارس العمل السياسي والاجتماعي بدافع الوظيفة الشرعيّة، ولم يكن لديه ميلٌ نفسيٌّ ـ لظروف التربية ولأسباب أخرى ـ إلى ممارسة الأعمال الاجتماعيّة والاختلاط بالناس. على أنّ العمل العلمي يمثّل رغبة ملحّة بالنسبة له ويشعر باللذّة والارتياح لممارسته مهما طال الوقت والزمن ومهما طالت به الخلوة**»(١).

وضع السيّد الصدر؆ المالي في هذه المرحلة

كان السيّد الصدر؆ يعاني الفقر في أيّام تحصيله، وكان يخرج ومعه (العلاّقة) وليس في جيبه عشرة فلوس، فيدور في السوق ثمّ يرجع ليس معه شيء.

ومن ذكرياته ما نقله هو؆ من أنّه في يومٍ من الأيّام كان جالساً في (الكنجينة) ـ غرفة صغيرة لوضع الفراش ـ فنادته والدته: «**بني سيّد محمّدٍ باقر هذا الظهر قد أقبل ولا يوجد ما نأكله، فانزل إلى السوق وانظر لعلّ أحد البقّالين يديّننا بشيء**»، ولكنّه كان خجلاً من ذلك لكثرة الديون.

وفي الأثناء طرق الباب شخصٌ لا يعرفه السيّد، وقال: «**هنا بيت فلان؟!**»، فقال السيد: «**نعم**»، فقال: «**إنّ المرحوم السيّد حيدر والدكم كان [قد أقرضني] عشرين ديناراً ولم أتمكّن من تسديد دينه، وها أنا الآن ولله الحمد أستطيع أن أقدّمها إليكم**».

كما حدّث؆ أنّه كان مديناً بمبلغٍ قليلٍ لبقّال، ولم يكن البقّال يسأل عن مبلغ بهذا المقدار، ولكنّ السيّد الصدر؆ كان يقطع طريقاً طويلاً في السوق كي لا يراه ذلك البقّال، وذلك حياءً منه(٢).

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم؆: «**لقد حدّثني (رضوان الله عليه) أنّه كان يعيش في دار ملاصقة لدار خاله المرجع الكبير الشيخ محمّد رضا آل ياسين، وهو مرجع ترده الأموال الشرعيّة مثل بقيّة المراجع الآخرين، وكانت ظروف الشهيد الصدر المعيشيّة في حالة ضيق وشدّة، ولكنّه لم يتلقَّ المساعدة المطلوبة من خاله كطالب علم متفوّق ورحم قريب وجارٍ عزيز ومن أسرة علميّة مرموقة وتنطبق عليه جميع العناوين المطلوبة من الحقوق الشرعيّة، لأنّ خاله ـ مع حبّه واحترامه له لقربه ونبوغه ـ كان يتصوّر أنّ حالته المعيشيّة عاديّة، ويأبى الشهيد الصدر لعزّته وكرامته أن يتحدّث عن أحواله هذه ويبقى حاله على هذه الشدّة والفاقة، وإذا كان حال خاله الملاصق له في حسن الظنّ هذا فكيف بحال غيره؟!...**»(٣).

«**لقد حدّثني (رضوان الله عليه) مرّة عن هذا الأمر بأنّه واجه صعوبةً كبيرةً في إدارة هذه الحياة في هذه الفترة، ولا سيما بعد هجرته إلى النجف الأشرف مع عائلته وانقطاعه عن الوسط الاجتماعي الكاظمي القريب منه ومن والده، فذكر أنّه اضطرّ إلى بيع بعض الممتلكات البسيطة من الأثاث وغيره ممّا كان لديهم في الكاظميّة(٤) ليحوّلها إلى سيولة نقديّة ويشتري بذلك حصّة سيّارة تُستخدم للأجرة على طريق النجف ـ**

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢١، نقلاً عمّا كتبه السيّد الحكيم؆.

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٤)، ٩/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ نقلاً عن السيّد الصدر؆.

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٢. وقد نقل السيّد كمال الحيدري ـ في الشريط ٣٣ من شرحه على الحلقة الثانية ـ عن السيّد الصدر؆ أنّ أخواله من آل ياسين لم يكونوا يصلونه بالمال باعتبار انتمائه إلى آل الصدر، وكان آل الصدرُ في الوقت نفسه لا يصلونه كذلك، إذ كيف يفعلون ذلك وأخواله من آل ياسين فيهم المرجع؟!. وبين هذا وذاك بقي السيّد الصدر؆ بلا مساعدات ماليّة.

(٤) نقل عن السيّد الصدر؆ أنّه طلب من والدته أن تعطيه ما تملك من حلي ثمّ باعه.. مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان

الكوفة وعلى نحو المضاربة ليحلّ بذلك جانباً من المشكلة المعقّدة.

وكان يذكر أنّه كان يدير هذا الأمر مع تفرّغه لطلب العلم من ناحية وبعيداً عن الأنظار لحساسيّة مثل هذا العمل اجتماعيّاً في ذلك الوقت من ناحية أخرى، ولا سيما هذا النوع من النشاط، وحتى أنّ أبناء العائلة ومنهم الأخ الأكبر لم يكن مطّلعاً على هذا الأمر(١)، وكان يصرف المال الذي يهيّئه الشهيد الصدر دون سؤال، وكان قلب الشهيد الواسع وفكره النيّر وطهارة قلب الأخ الكبير كلّها عوامل مساعدة لتعميق هذا الامتحان والمعاناة، فهو الذي كان يتحمّل المسؤوليّة ويهيّئ النفقات وينفّذ الخطّة بعيداً عن العيون والأنظار، وكان أخوه يصرف الأموال وعلى راحته أحياناً.

وقد استمرّ هذا النوع من المعاناة إلى وقت متأخّر من حياته (رضوان الله عليه). لقد كان يرى استخدام هذا النهج في تدبير أمور المعيشة ـ على الظاهر ـ منهجاً يتأسّى فيه بأئمّة أهل البيت عليهم السلام ولكنّه لم يكن معروفاً في الأوساط الحوزويّة على الأقلّ إن لم يكن عيباً في نظرهم، وإن كان معروفاً في روايات أهل البيت ولا سيما الإمامين الصادقين عليهما السلام»(٢).

وينقل الشيخ علي كوراني عن السيّد الصدر رحمه الله قوله: «كنت أفكّر بوضع الأسرة التي كانت تمرّ بحالة فقر في الكاظميّة وبصورة أكثر في النجف، فجمعت مبلغاً من المال من الأهل [مقداره ٣٥ ديناراً](٣)، وبعد جهد اشترينا سيّارة وكانت من السيّارات القديمة (فورد)، وأعطيتها إلى سائق يشتغل فيها (بها) على خطّ الكوفة ـ النجف حتّى يكون عندنا موردٌ لمعيشتنا، لكن رأينا بعد ذلك أنّها مكلفة بحيث إنّ الخسارة [من جرّاء الإنفاق] عليها أكثر من نفعها، فاضطررنا إلى تصفية المشروع وخسرنا قسماً من رأس المال»(٤).

وتقول الشهيدة بنت الهدى رحمها الله عن الأيّام الأولى من هجرتهم إلى النجف: «كنّا في زمان مّا ـ وكان ذلك في الأيّام الأولى من هجرتنا إلى النجف ـ لا نملك ثلاجة [برّاد]، والحرّ في النجف لا يطاق، وكنّا نعتمد على كوز الماء، فكنّا نملأ الكوز بالماء ليلاً ثمّ نضعه على الجدار ليتعرّض إلى الهواء كي يبرد في الصباح، وكانت هناك قطّة ـ تكرهنا ـ فكانت في أحيان كثيرة تمرّ من قرب الكوز فيسقط إلى الأرض فينكسر ونبقى من دون ماء بارد، وهكذا كنّا نبقى نشرب الماء الحار في صيف النجف»(٥).

***

(﴿﴾).

(١) وقد نقل ذلك السيّد الحكيم رحمه الله عن السيّد الصدر رحمه الله في مقابلة معه في الذكرى الثالثة لاستشهاد السيّد الصدر رحمه الله (﴿﴾). ولا شكّ بأنّ والدة السيّد الصدر رحمها الله كانت مطّلعة على ذلك، فلعلّ المقصود البقيّة.

(٢) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٣.

(٣) ما بين [] من: مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (﴿﴾).

(٤) صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (٨٥)، ١٩٩٦/٤/٤م؛ مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (﴿﴾).

(٥) الشهيدة بنت الهدى.. سيرتها ومسيرتها: ١٣٠.

دراسته السيّد الصدر

دروس السطوح[١]

استطاع السيّد الصدر ﵀ أن يحرق المراحل في مشواره العلمي، وانتهى إلى نتائج بهرت الوسط الذي كان يتعلّم فيه. فمثلاً توفّر على استيعاب الفقه وأصبح من ذوي النظر ولم تعد لديه حاجة للتقليد في مرحلة مبكّرة ربّما كانت قبل البلوغ. وينقل أنّه قال: «**كان الفقه كالعجينة في يدي وأنا دون العشرين**»[٢].

وقد ذكر السيّد الصدر ﵀ نفسه أنّه قرأ أكثر أبحاث هذه المرحلة بلا أستاذ معتمداً على قدراته الذاتيّة، وكثيرٌ من دروس السطوح كانت أقرب ما تكون إلى المباحثة، فكان يقرأ الدرس ويقرّره لأستاذه[٣]. وذكر في موضع آخر أنّ دراسته لم تزد على تسع سنين، وأنّ أكثر الكتب لم يدرسها عند أيّ أستاذ وإنّما كان يطالعها شخصيّاً، وإذا لم يتحقّق من معنى معيّن سأل بعض الأساتذة، من قبيل أخيه السيّد إسماعيل أو خاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمهما الله[٤].

وقد أكّد السيّد الصدر ﵀ أنّه كان يسير في دروسه في خطّين: الخطّ الأوّل عبارة عن الدرس الذي يحضره مع الأستاذ. والخطّ الآخر عبارة عن سيره في الدرس على نفسه، أي ما كان يحضّره بنفسه.

وعندما شكا له الشيخ علي كوراني من شرح أستاذه في (الرسائل) شجّعه ﵀ على اتّباع الأسلوب الذي سار عليه هو أثناء دراسته، إذ كان يحضّر الدرس ويهيّئ الأسئلة ثمّ يحضر في جلسة الدرس ويلقي ما لديه من أسئلة وإشكالات، ويتلقّى أسئلة الأستاذ وإشكالاته[٥].

يقول السيّد محمد باقر الحكيم ﵀: «.. **وكان من سوء الحظّ أن يكون أستاذه في المرتبة الثانية المسمّاة في الحوزة العلميّة بالسطوح غير قادر على تبيان حقيقة المطالب المدوّنة في الكتب العلميّة، وكان السيّد الصدر حييّاً يملكه الحياء ـ والمؤمن شعاره الحياء ـ، كان حييّاً لا يمكن أن يعتذر عن درس هذا الأستاذ بعد أن طلب الحضور لديه، ولكن ماذا يصنع وهو يريد أن يتفهّم هذه الدروس تفهّماً كاملاً؟**

هنا بدأت معاناة أخرى وجهاد آخر من أجل طلب تحصيل العلم، فبدأ السيّد الشهيد يدرس وبذاته يقرأ هذه الكتب ويرجع إلى الحواشي المختلفة من هذه الكتب ويجهد فكره وذهنه الوقّاد من أجل أن يتفهّم هذه الكتب، وقد تفهّمها بالفعل، وقد تمكّن من دراسة السطوح بهذه الطريقة الذاتيّة الفريدة....

ولعلّ هذه التجربة المرّة كانت هي السبب في الطريقة التي اتّبعها في استيعاب دروس السطوح بعد ذلك،

---

(١) ذكرنا أنّه درس المنطق في الحادية عشرة من عمره وكتاب (المعالم) وهو في الثانية عشرة. أمّا ما درسه قبل ذلك عندما كان في التاسعة والعاشرة طالباً في مدرسة (منتدى النشر)، فالظاهر أنّه مقدّمات اللغة العربيّة.

(٢) انظر مصادر هذا الكلام ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ لدى الحديث عن دروس التفسير الموضوعي.

(٣) انظر الوثيقة المتقدّمة رقم (٣) ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديثٍ مع السيّد حسين الصدر.

(٤) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (حفظه الله).

(٥) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

وهي طريقة مطالعة الدرس ثمّ تقريره لدى أساتذة معروفين متميّزين، على أن يذكروا له ملاحظاتهم إن لم يكن قد أصاب من الفهم والشرح، وهذه الطريقة كان يقبلها بعض هؤلاء الأساتذة لأنّها لا تكلّفهم جهد التحضير للدرس ويتحمّل فيها التلميذ ـ إن صحَّ التعبير ـ القسط الأوفر من الجهد من خلال المطالعة والتحضير والتهيّؤ للتقرير وإلقاء الدرس، فكان درسه للجزء الثاني من الكفاية ولكتاب مكاسب الشيخ الأنصاري ولشرح الأسفار لملاّ صدرا بهذه الطريقة كما ذكر لي ذلك»[١].

١ـ اللمعة الدمشقيّة[٢]

(أ) حضر السيّد الصدر‏ لأيّام قليلة درس (اللمعة الدمشقيّة) عند الشيخ محمّد تقي الجواهري[٣] في غرفة السيّد محمّد عبد الحكيم الصافي في مدرسة الخليلي الكبرى، وقد ضمّ الدرس أيضا السيّد حسين بحر العلوم[٤].

وقد أكّد حضورَ السيّد الصدر‏ عند الشيخ محمّد تقي الجواهري نجله الشيخ حسن مشافهةً عن والده[٥].

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم‏: «**وقد واجه مشكلةً في هذا المجال بسبب حداثة سنّه ونبوغه المبكّر أيضاً حدّثني عن بعض معالمها:**

فمثلاً عندما أراد أن يدرس شرح اللمعة الدمشقيّة يقول: طلبتُ من أحد المدرّسين المعروفين بالتدريس فيها أن يقوم بتدريسي لها (وهو من المقرّبين إلى حوزة خاله الشيخ آل ياسين).

وعندما حضرتُ الدرس لديه عدّة مرّات وجدته غير مستوعب للمطالب العلميّة فيها بصورة كاملة ودقيقة فوقعت في حرج أخلاقي، فإذا قطعت الدرس فذلك خلاف الأخلاق والآداب الحوزويّة، حيث إنّي طلبت منه الدرس فاستجاب، كما أنّ الانقطاع قد يسبّب أذىً للأستاذ من الناحية المعنويّة، وإذا [استمرّيت] في البحث ضاع الوقت وضاع الدرس، فغلبني الحياء وبقيت مستمرّاً في الدرس بالرغم من عدم الاستفادة وعوّضت ذلك ببذل مزيد من الجهد في المطالعة لاستيعاب الدرس»[٦].

(ب) ويظهر ممّا كتبه السيّد الصدر‏ بخطّ يده أنّه حضر (اللمعة) أيضاً عند الشيخ عباس الشامي إذ يكتب: «**وأكثر كتب المقدّمات والسطوح فهمها بدون درس، حتى أنّ شرح اللمعة باحث كتاب الطهارة منه قبل أن يدرس شيئاً منه للشيخ عباس الشامي**»[٧].

---

(١) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ من نظرات جماعة العلماء: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) حضر السيّد الصدر‏ درس اللمعة حين وصوله إلى النجف الأشرف.

(٣) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٨.

(٤) روى ذلك السيّد محمّد الحسيني سماعاً من السيّد محمّد عبد الحكيم الصافي (الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ١٠٧ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٢).

(٥) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٦٤ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٢. وقد نقل الشيخ حسن الجواهري عن والده أنّ ذلك كان (لمدّة قصيرة) بحسب تعبيره.

(٦) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٥. ويُحتمل أن يكون المراد الشيخ عبّاس الشامي، لأنّي لم أحرز قرب الشيخ الجواهري من حوزة الشيخ آل ياسين‏، إلى جانب جهلي بحال الشيخ الشامي.

(٧) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٣٠٦.

(ج) وعدّ بعضهم السيّد هادي التبريزي ضمن أساتذه محتملاً أنّه درس لديه (اللمعة)[١].

٢ـ كفاية الأصول[٢]

(أ) لقد تقدّم ما نقله السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله عن السيّد الصدر رحمه الله من أنّه درس الجزء الثاني من الكفاية على طريقة تحضير الدرس ثمّ إلقائه على الأستاذ.

وقد ذكر السيّد الحكيم رحمه الله في موضع آخر أنّ السيّد الصدر رحمه الله وبحكم علاقته بالسيّد محمّد الروحاني رحمه الله، فقد اتّفق معه على أن يقرأ في (الكفاية) ثمّ يحضر عنده ويلقيه عليه ليعرف ما إذا كان ثمّة غموض أو توهّم في ضبط المضامين المعمّقة إلى حدّ الطلاسم والألغاز. وقد ألمح السيّد الحكيم رحمه الله إلى أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يعاني من شرح أستاذه لكتاب (الكفاية)، فاضطرّ إلى أن يتّفق مع السيّد الروحاني رحمه الله على الدراسة على النحو المتقدّم[٣]، وكان ذلك في الجزء الثاني من (الكفاية)[٤].

(ب) وينقل السيّد ذيشان حيدر جوادي رحمه الله عن السيّد الصدر رحمه الله أنّه درس أكثر (الكفاية) بالمطالعة ولم يحضر بحث أيّ أستاذ حضوراً رسميّاً[٥].

(ج) ويذكر السيّد محمّد باقر المهري أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يحضّر درس (الكفاية) بنفسه ثمّ يلقيه على السيّد محمّد الروحاني رحمه الله والذي كان دوره الوقوف على الخطأ في فهم المطلب إن وجد[٦].

(د) أمّا السيّد نور الدين الإشكوري، فينقل عن السيّد الصدر رحمه الله قوله:

١ ـ «عيّن لي ـ وأنا صبي ـ أستاذٌ لتدريس هذا الكتاب، فحضرت عنده فترة لم أستفد خلالها منه شيئاً لضعفه في التدريس فاضطررتُ أن أدرس هذا الكتاب بنفسي بالاستفادة ممّا كتب عليه من حواش وشروح وتعليقات، وأنهيت الكتاب بهذا الشكل»[٧].

٢ ـ «كنتُ طفلاً، وفي ذلك الوقت لم يكن أمر اختيار الأستاذ بيدي، فأخذني أهلي إلى أستاذ في الكفاية ودرستُ عنده نصف الجزء الأوّل منها، ولم أستفد منه شيئاً، وأنزعجتُ من الأستاذ ومن الدرس وصمّمتُ على متابعة الدرس بنفسي، فجمعتُ حواشي الكفاية وقرأت الكتاب مع حواشيه إلى أن أنهيته على هذه الطريقة وفهمتُ الكتاب بهذه الطريقة»[٨].

---

(١) مقابلة مع السيّد محمّد باقر المهري (دام ظله).

(٢) الذي قد أميل إليه هو أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد شرع في دراسة الجزء الأول من (الكفاية) أوائل سنة ١٣٦٨هـ. انظر أحداث سنة ١٣٦٨هـ.

(٣) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٦٥، مقابلة شخصيّة للسيّد محمّد الحسيني مع السيّد الحكيم رحمه الله بتاريخ ١٩٩٤/٨/١م ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٥٣.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٥.

(٥) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (دام ظله).

(٦) مقابلة مع السيّد محمّد باقر المهري (دام ظله).

(٧) بغية الراغبين ٢: ٧٠٩.

(٨) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (دام ظله) ؛ وقد ذكر لي السيّد الإشكوري هذا المعنى بتاريخ ٢٠٠٤/٢/١م.

(هـ) درس السيّد الصدر‏ قسماً من الكفاية عند الشيخ محمّد تقي الجواهري، ولفترة غير معلومة. وقد ذكر نجله الشيخ حسن الجواهري أنّه رأى بخطّ والده على الجزء الأوّل من (كفاية الأصول) ما نصّه «**شرعت في تدريسها إلى... والسيد باقر الحيدري**»، وقد سأل الشيخ حسن والده عن السيّد باقر الحيدري حيث لم يكن معروفاً لديه، فأجابه بأنّه السيّد محمّد باقر الصدر[١].

وفي بداية حضوره (الكفاية) على ما يبدو، دخل عليهم بعض العلماء ـ ويبدو أنّه سيّد ـ وسأل السيّد الصدر‏ عمّ يدرس فأجابه بأنّه يدرس (الكفاية)، فخاف السيّد الصدر‏ أن يسأله سؤالاً من القسم الذي لم يصل إليه ولم يدرسه بعد، فبادره بنفسه بالسؤال حول مسألة مرّت معه فأجابه، فأشكل عليه السيّد الصدر‏ فتوقّف ذلك السيّد معجباً، فاستراح السيّد الصدر‏[٢].

(و) كما وحضر السيّد الصدر‏ قسماً من كتاب (الكفاية) عند السيّد باقر الشخص الأحسائي على ما ذكره ابن أخيه السيّد علي الشخص[٣]. أمّا فترة حضوره عنده فغير معلومة.

(ز) وقد ذكر الشيخ محمّد رضا النعماني أنّ السيّد الصدر‏ حضر الجزء الثاني من (الكفاية) عند الشيخ صدرا البادكوبي، وعدَّ الشيخ عباس الرميثي (ت١٣٧٩ هـ) من أساتذته‏[٤]، ولعلّه ناظرٌ إلى مشاركة السيّد الصدر‏ في مجلس التحشية على رسالة الشيخ محمّد رضا آل ياسين‏ سنة ١٣٧٠هـ والذي عقده الشيخ الرميثي‏، وإن لم يكن مجلس تتلمذ.

(ح) ذكر السيّد محمّد الروحاني‏ أنّ السيّد الصدر‏ «**درس شهرين تقريباً في الكفاية**»[٥] عنده.

(ط) وذكر [الشيخ / السيّد] علي أكبر بن محمّد الصبّوري القمّي أنّه عندما كان يحضر (الكفاية) عند السيّد محمّد الروحاني‏ ورد ـ أثناء الدرس ـ سيّدٌ شابٌّ يافع السن لا يتجاوز عمره خمسة عشر أو ستّة عشر عاماً يرتدي عمامةً خضراء (كشيدة)، فعرّفه السيّد الروحاني‏ بأنّه ابن أخ السيّد صدر الدين الصدر، وأضاف الصبّوري بأنّ الجميع عرفوا نبوغه منذ ذلك الحين.

وأضاف الصبّوري أنّ السيّد الروحاني‏ كان يقول: «**إنّ هذا السيّد الصغير يضطرّني إلى المطالعة وأحياناً أعجز عن الجواب، وكانت إشكالاته جيّدة إلى درجة أنّها كانت تحيّرني وتحيّر السيّد السنآبادي الذي كان شريكي في المباحثة**»[٦].

---

(١) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٦٤ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٣ ؛ وانظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٨ ؛ وقد أكّد لي ذلك الشيخ حسن الجواهري بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٣م حيث قال: إنّ أسماء الذين درسوا الجزء الأوّل من الكفاية في حلقة السيّد الصدر‏ مذكورة في بداية نسخة والده من الكفاية، وقد نسي الشيخ حسن أسماءهم ولا زال يذكر السيّد حسين بحر العلوم والشيخ حسين الفرطوسي.

(٢) مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (‏)، نقلاً عن السيّد الصدر‏.

(٣) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٦٤، ١٠٧ (هامش ٣٦) ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٣.

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٨ ؛ وانظر:
Aux sources de l'islamisme chiite, Muhammad Baqer Al-Sadr ,1987, Une grande figure de l'islamisme en Irak Pierre Martin: 120.

(٥) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ١٠٧. (هامش ٤٩)، مقابلة مع السيّد الروحاني بتاريخ ١٩٩٤/٨/٧م ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٣.

(٦) مقابلة مع [الشيخ/ السيّد] علي أكبر بن محمّد الصبّوري القمّي (‏). يُشار إلى أنّ قوله: «وكانت إشكالاته..» ليس

(ي) وينقل الشيخ علي كوراني أنّ السيّد الصدر كان يعاني مع أستاذه في (الكفاية) من ثلاث زوايا: فقد كان يعرف ما سيقوله الأستاذ، وكان شرح الأخير دون المستوى، وكان السيّد الصدر يمتنع عن الإشكال عليه بسبب الحرج أو بسبب آخر.

ثمّ ينقل أنّه سأل أحد أساتذته في (الكفاية) عن دراسة السيّد الصدر عنده فأجابه[١]: «**إنّ السيّد إسماعيل الصدر أتاني وطلب منّي أن أدرّس أخاه السيّد محمّد باقر كتاب الكفاية، قلتُ له: ذاك الصغير (المكعبل) الذي يضع عمامةً خضراء على رأسه؟! هذا يفهم الكفاية؟! فقال لي: أنت لا عليك سأحضره لك**»، وكان هذا الأستاذ هو السيّد محمّد الروحاني[٢].

وإن كان من الممكن الاستفادة من خلال تأكيد السيّد الصدر على حضوره درس السيّد الروحاني في درس (المكاسب) فحسب على نحو المباحثة أنّه لم يدرس لديه (الكفاية).

أمّا الصورة المكتملة لهذه الأحداث، فتأتيك في ذيل الحديث عن دراسته لكتاب (المكاسب)، فانتظر.

٣ ـ المكاسب[٣]

(أ) يقول السيّد الروحاني: إنّ السيّد الصدر «**درس شهرين تقريباً في الكفاية ثمّ درس المكاسب..**»[٤]، وذلك عنده.

(ب) وقد نقل السيّد محمّد باقر الحكيم عن السيّد الصدر أنّه درس (المكاسب) على طريقة تحضير الدرس بنفسه ثمّ إلقائه على الأستاذ[٥].

(ج) وذكر الشيخ علي أكبر برهان أنّ السيّد الصدر درس عند السيّد الروحاني بعض السطوح، وقد تكون (المكاسب) لا أكثر[٦]. وهو ما يذكره السيّد محمّد باقر المهري، وكان السيّد الصدر يحضّر الدرس ويحضر عند السيّد الروحاني ويلقي عليه الدرس فيصحّح له إذا كان هناك ثمّة خطأ في فهم المطلب[٧]. وقد سئل السيّد الصدر عن حضوره درس الخارج عند السيّد الروحاني فأجاب بأنّه حضر المكاسب ولم يحضر الخارج[٨].

(د) وقد سأل السيّد محمود الخطيب السيّد الصدر عن حضوره لدى السيّد الروحاني فأجابه بأنّ حضوره كان أشبه ما يكون بالمباحثة في كتاب (المكاسب) لا ثالث لهما عقيب انتهاء

واضحاً جداً إن كان لا زال للسيّد الروحاني أم أنّه للصبّوري.

(١) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٢) حدّثني بذلك الشيخ علي كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٦ م ؛ وانظر المعنى في: مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٣) الذي أميل إليه هو أنّ السيّد الصدر قد درس (المكاسب) سنة ١٣٦٧ ـ ١٣٦٨هـ.

(٤) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ١٠٧ (هامش ٤٩).

(٥) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٥.

(٦) يقصد (لا أكثر من السطوح)، لأنّ كلامه قد جاء جواباً عن سؤال حول دراسة السيّد الصدر الخارج عنده.

(٧) مقابلة مع السيّد محمّد باقر المهري، نقلاً عن السيّد الصدر (حفظه الله).

(٨) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (حفظه الله).

السيّد الروحاني رحمه الله من إلقاء البحث[١].

(هـ) وينقل عن السيّد الصدر رحمه الله أنّ أستاذه في (المكاسب) كان أضعف منه، فكان يحضّر الدرس ويراجعه مع خاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله ولم يقل شيئاً لأستاذ (المكاسب) خجلاً منه[٢]. ولعلّه شخصٌ آخر غير السيّد الروحاني رحمه الله.

٤ ـ (الرسائل)

(أ) نقل السيّد ذيشان حيدر جوادي رحمه الله عن السيّد الصدر رحمه الله أنّه درس أكثر (الرسائل) أيضاً بالمطالعة ولم يحضر بحث أيّ أستاذ حضوراً رسميّاً[٣].

(ب) ذكر الشيخ علي كوراني أنّ السيّد الصدر رحمه الله درس قسماً من (الرسائل) عند السيّد محمّد الروحاني رحمه الله على طريقته المعهودة في تحضير الدرس ثمّ إلقائه وتقريره على الأستاذ[٤].

ولعلّ الجمع بين النقلين ممكن كما هو واضح.

النتيجة النهائيّة لمرحلة المقدّمات والسطوح

من خلال ما تقدّم يمكن تصوير دراسة السيّد الصدر رحمه الله في مرحلة المقدّمات والسطوح على النحو التالي:

١ ـ درس السيّد الصدر رحمه الله مقدّمات اللغة العربيّة من نحو وبلاغة وما إلى ذلك عندما كان في التاسعة والعاشرة من عمره، أي عندما كان طالباً في مدرسة (منتدى النشر) وذلك بين العامين ١٣٦٢هـ و١٣٦٤هـ.

٢ ـ وفي سنّ الحادية عشرة كان رحمه الله يدرس المنطق عند أخيه السيّد إسماعيل رحمه الله على الأرجح، ثمّ درس (المعالم) عنده في أوائل الثانية عشرة، وكان ذلك في الكاظميّة.

٣ ـ وعندما وفد السيّد الصدر رحمه الله إلى النجف الأشرف بمعيّة ذويه سنة ١٣٦٥هـ ، حضر لفترة قصيرة جدّاً درس (اللمعة) عند الشيخ محمّد تقي الجواهري، وكذلك عند الشيخ عبّاس الشامي، إلاّ أنّه قد استقلّ عن أساتذته ليكمل المادّة بحسب الظاهر لوحده.

٤ ـ بعد ذلك ـ وفي بداية سنة ١٣٦٨هـ وعندما كان في الرابعة عشر من عمره ـ اصطحبه ذووه ـ والمراد خاله الشيخ آل ياسين رحمه الله[٥] ـ إلى الشيخ محمّد تقي الجواهري ليدرس عنده كتاب (الكفاية)، فدرس معه نصف الجزء الأوّل منها ثمّ ترك الدرس.

٥ ـ بعد ذلك أكمل السيّد الصدر رحمه الله النصف الثاني من الجزء الأوّل من (الكفاية) مع كلٍّ من السيّد باقر الشخص والشيخ صدرا البادكوبي رحمهما الله.

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله (٧).

(٣) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (رحمه الله).

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله)، ولعلّه اشتباهٌ بين (الرسائل) و(المكاسب)، وكلاهما للشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله.

(٥) ما بين ـ ـ من: مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

٦ ـ أمّا الجزء الثاني من (الكفاية)، فقد صمّم على دراسته بنفسه من خلال مطالعة حواشي الكتاب ومن ثمّ تقرير الدرس على أحد الأساتذة المعروفين. ومن هنا، فقد أخذه أخوه السيّد إسماعيل الصدر‌رحمه‌الله إلى السيّد الروحاني‌رحمه‌الله ليقرّر عليه الدرس. وقد درس السيّد الصدر‌رحمه‌الله الجزء الثاني من الكفاية مع السيّد الروحاني‌رحمه‌الله بهذه الطريقة خلال شهرين من الزمن[1]، أنهى خلالهما خصوص الدليل العقلي خلال أسبوع[2]، ولعلّه درس عنده لمدّة أسبوع فقط لا لشهرين.

٧ ـ وربّما قبل فراغه من درس (الكفاية)[3] انتقل السيّد الصدر‌رحمه‌الله إلى دراسة كتاب (المكاسب) عند السيّد الروحاني‌رحمه‌الله أيضاً وعلى وفق طريقته المعهودة، فكان يحضّر الدرس بنفسه ثمّ يقرّره على السيّد الروحاني‌رحمه‌الله.

٨ ـ وأوائل سنة ١٣٦٩هـ التحق السيّد الصدر‌رحمه‌الله بدرس السيّد الخوئي ودرس خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين‌رحمهما‌الله.

٩ ـ وبعد التحاقه بدروس الخارج قام السيّد الصدر‌رحمه‌الله والسيّد محمّد الروحاني‌رحمه‌الله بعقد جلسة مباحثة استمرّت عدّة سنوات إلى أواسط السبعينات الهجريّة على ما يبدو[4].

* * *

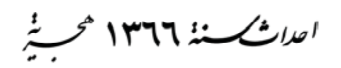
---

(١) نقل السيّد محمّد باقر الحكيم‌رحمه‌الله عن السيّد الصدر‌رحمه‌الله أنّه درس الجزء الثاني من (الكفاية) على هذا النحو، وقال السيّد الروحاني‌رحمه‌الله: إنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله قد درس عنده لفترة شهرين في الكفاية. وهذا وإن لم يكن نصّاً في أنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله قد درس الجزء الثاني من الكفاية بتمامه عند السيّد الروحاني‌رحمه‌الله على النحو المتقدّم وخلال شهرين، إلاّ أنّه غير بعيد عن الاعتبار، خاصّةً وأنّ السيّد الروحاني‌رحمه‌الله قد درّس الجزء الثاني من الكفاية في الحالة الطبيعيّة خلال تسعة أشهر فقط على ما ذكره لي الشيخ محمّد رضا الجعفري. وبناءً عليه، فليس ببعيد أن تستغرق دراسة الجزء الثاني منها بالطريقة المذكورة شهرين فحسب.

(٢) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر‌رحمه‌الله (السيّد محمّد القمّي) (حفظه الله)، والمراد هنا بالدليل العقلي الذي أنهاه خلال أسبوع ما لا يشمل الأصول العمليّة والتعارض.

(٣) لم نفترض أن يكون السيّد الصدر‌رحمه‌الله قد درس (المكاسب) بعد (الكفاية) باعتبار أنّه أنهى (الكفاية) في آخر سنة ١٣٦٨هـ وحضر الخارج مباشرةً على ما يبدو (انظر أحداث سنة ١٣٦٨ ـ ١٣٦٩). هذا وإن كان ما ذكرناه خلاف المستظهر من تعبير السيّد الروحاني‌رحمه‌الله بـ(ثمّ) إذا كان النقل حرفيّاً.

(٤) لقد بحثنا بشكل مفصّل تاريخ التحاق السيّد الصدر‌رحمه‌الله بدروس الخارج، كما بحثنا مفصّلاً ـ ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ ـ شبهة تتلمذه عند السيّد محمّد الروحاني‌رحمه‌الله في مرحلة الخارج، حيث خلصنا إلى حصول التباس لدى المصرّين، حيث ظنّوا المباحثة التي عقدها السيّدان جلسةَ درس.



= ١٩٤٦/١١/٢٦ ـ ١٩٤٧/١١/١٤ م

عمر السيّد الصدر

١٢ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١١ سنة و٨ أشهر و٢٥ يوماً م

❊ ❊ ❊

في أربعينيّة السيّد الإصفهاني رحمه الله

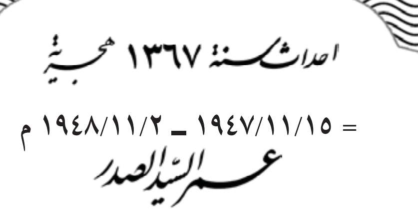
يقول السيّد حسن شبر: «**أتذكّر في عام ١٩٤٥م[١] أقام منتدى النشر حفلاً تأبينيّاً في أربعينيّة آية الله السيّد أبي الحسن الإصفهاني. في ذلك الوقت جاء السيّد الصدر إلى النجف الأشرف للدراسة... جاء رحمه الله بمعيّة أخيه الأكبر آية الله السيّد إسماعيل الصدر إلى منتدى النشر، وكان يضع على رأسه عمامة خضراء[٢]، وعند دخوله سلّم على الشيخ المظفّر سلام الكبار فأثار استغراب الجميع، لقد كنّا نحترم شيخنا المظفّر أيّما احترام، فكيف يسلّم على شيخنا الكبير ويصافحه مثل العلماء وهو شابٌ صغير؟**»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) لعلّه من خيانة الذاكرة، والصحيح ١٩٤٦م على ما أوردناه في هامش سابق.

(٢) لا ندري بالضبط تاريخ وضع السيّد الصدر رحمه الله العمامةَ السوداء، وقد احتمل الشيخ محمّد رضا الجعفري أنّ ذلك كان عام ١٣٦٧هـ، وقد احتملنا أن يكون ذلك سنة ١٣٦٨هـ.

(٣) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٠ ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر (حفظه الله).



١٣ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٢ سنة و٨ أشهر و١٤ يوماً م

***

انتفاضة كانون الثاني

واصلت القوى الوطنيّة في العراق نضالها الشاق دون أن يثنيها القمع والتعذيب الوحشي لتخلّص بلادها من براثن الاستعمار وتطهّرها من المتعاونين معه. فبالإضافة إلى المظاهرات والإضرابات شهد العراق عدّة انتفاضات ثوريّة. فعلاوة على ثورة النجف سنة ١٩١٨م وثورة العشرين الكبرى وانقلاب بكر صدقي الوطني وثورة رشيد عالي كيلاني، وقعت انتفاضة (كاورباغي) في كركوك سنة ١٩٤٧م، وقد قادها عمّال شركة نفط العراق. وانتفاضة كانون الثاني/١٩٤٨م (صفر/١٣٦٧هـ) المسمّاة بوثيقة (كانون) التي قضت على معاهدة (بورتسموث) التي وقّعت بين العراق وبريطانيا في ١٩٤٨/١/١٥م والتي تربط العلاقة بينهما لمدّة عشرين سنة. وبعد أن ولّدت ردّ فعل شعبي عنيف كانت نتيجته تلك الانتفاضة التي عصفت أيضاً بحكومة صالح جبر التي وقّعت عليها[1].

تأليف (فدك في التاريخ)

يُحتمل أنّه في شهر رمضان المبارك من هذه السنة (آب/١٩٤٦م)، اغتنم السيّد الصدر ﵀ العطلة الدراسيّة في الحوزة وألّف كتاب (فدك في التاريخ) الذي عالج فيه مشكلةً تاريخيّة من أعقد مشكلات التاريخ، وهي مشكلة (فدك).

وقد قصد السيّد الصدر ﵀ يومئذ من تأليف هذا الكتاب التأريخ لتلك المرحلة من عمره، وقد سُئل ﵀ فيما بعد عن سبب تأليف الكتاب فأجاب: «**لقد ألّفتُ هذا الكتاب في مرحلة الصبا، وكنتُ أودُّ أن يبقى لي من تلك المرحلة من العمر كتابٌ، فكان كتاب فدك في التاريخ**»[2].

ولم يقدّر لهذا الكتاب أن يبصر النور سوى سنة ١٣٧٤هـ[3].

---

(١) موسوعة السياسة ٤: ٥٨.

(٢) بغية الراغبين ٢: ٧٠٨، والناقل هو السيّد نور الدين الإشكوري.

(٣) لا بأس بالتطرّق إلى بعض الأمور المتعلّقة بكتاب (فدك في التاريخ):

١ ـ تحديد سنة كتابة الكتاب

(أ) ذكر لي السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ أنّ أستاذه ألّف كتاب (فدك في التاريخ) وهو في الحادية عشرة من عمره.

وإذا علمتَ أنّ السيّد الصدر ﵀ يبلغ الحادية عشرة في ٢٥/ذي القعدة/١٣٦٤هـ وأنّه هاجر إلى النجف سنة

١٣٦٥هـ علمتَ أنّه ألّفه سنة ١٣٦٥هـ.

(ب) نقل الشيخ علي كوراني عن السيّد الصدر قوله: «كنتُ في أوّل شبابي أحضر مجالس التعزية في حسينيّة آل ياسين في الكاظميّة (وهم أخواله)، وكتبتُ موضوعاً في أيّام وفاة الزهراء عن فدك وألقيته في المجلس، فأعجبوا به وشجّعوني على تكميله في كتاب.. فأكملته باسم فدك في التاريخ، فطبعوه!» [مسائل في البناء الفكري:٣٣ ؛ مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني ()].

(ج) ذكر السيّد محمّد الحسيني بادئ الأمر أنّ السيّد الصدر كان في السابعة عشرة من عمره عندما صنّف (فدك) (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٤٩)، أي سنة ١٣٦٩ أو ١٣٧٠هـ، وهو ما ذكره السيّد كاظم الحائري (مقدّمة مباحث الأصول: ٦٤) وغيرُه (Une grande figure de l'islamisme en Irak, Pierre Martin: 121)، إلاّ أنّ السيّد الحسيني عدل عن ذلك فيما بعد وقال: إنّ سنّه كانت أقلّ من ذلك (الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٣).

(د) نقل لي السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م عن السيّد الصدر أنّه كان في الثامنة عشرة من عمره عندما كتب (فدك في التاريخ) و(غاية الفكر). وبواسطة المال العائد من وراء مبيع (فدك) طبع (غاية الفكر)، وقد ذكر هذه السن ـ ١٨ عاماً ـ بالنسبة إلى (فدك) الأستاذ صائب عبد الحميد (معجم مؤرّخي الشيعة ٢: ١١٤).

(هـ) وقد قرن بعضُهم بين تصنيف السيّد الصدر (فدك) وبين دراسته كتابَ (الأسفار). (الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلاميّة في العراق: ٨)؛ وحيث إنّهم قد بنوا على أنّ دراسته الكتابَ الأخيرَ كانت حدود سنة ١٣٦٩هـ فيكون تصنيف (فدك) كذلك.

(هـ) وذكر بعضُهم أنّ السيّد الصدر ألّف (فدك) في فترة تأليفه (غاية الفكر) ودراسته (الأسفار) وحضوره مجلسَ الشيخ الرميثي، فيكون ذلك عام (١٣٧١ هـ) مثلاً.

والنتيجة: أنّ هناك اتّجاهين حول المسألة:

الاتّجاه الأوّل: يمثّله السيّد نور الدين الإشكوري معتقداً أنّ السيّد الصدر ألّف (فدك) في المرحلة الأولى من وصوله إلى النجف الأشرف. وربّما أيّده ما نقله الشيخ علي كوراني، حيث يجعلنا ذلك نحتمل بشدّة أنّ السيّد الصدر بدأ بتأليفه في الكاظميّة وأكمله في إحدى العطل الدراسيّة في النجف الأشرف. وهذا قد يجعلنا نستقرب استقراباً قويّاً أن يكون ذلك ضمن فاصلٍ زمنيٍّ غير مديد.

الاتّجاه الثاني: يمثّله السيّد كاظم الحائري وآخرون، وهو الاتّجاه الذي يميل إلى أن يكون ذلك في فترة تأليف (غاية الفكر). وربّما أيّد البعض ذلك بما ورد في كتاب (فدك) من مطالب عقليّة يطمئنُّ القارئ بأنّ كاتبها قد فرغ عن دراسة العلوم العقليّة.

والتحقيق:

أنّ لكلٍّ من هذين الاتّجاهين مؤيّدات، بعضها حسّي والآخر حدسي. ولكن يُمكن الدغدغة في بعضها:

١ ـ أمّا الاتّجاه الأوّل فربّما ضعّفه ما جاء في مقدّمة الكتاب من أنّه ألّفه في إحدى العطل الدراسيّة في النجف الأشرف، وهو ظاهرٌ في مرور مجموعة من العطل الدراسيّة على السيّد الصدر، الأمر الذي يبعّد الفترة الزمنيّة. وربّما ردّه أنّ الحوزة كانت تعطّل آنذاك في شهر رمضان وأيّام من رجب وأخرى من شعبان وأيّام من محرّم وأخرى من صفر، فيكفي افتراض كونه سنة وروده إلى النجف الأشرف.

٢ ـ أمّا الاتّجاه الثاني، فلا وجه لتأييده بما ورد في الكتاب من مطالب عقليّة، فإنّ من المطالب العقليّة التي يتحدّثون عنها هي من قبيل قوله في إحدى هوامش (فدك): «فإنّ الحقّ تجرّد جميع مراتب العلم والصور المدركة، ولكن على تفاوت في مراتب التجريد، فإنّ المدركَ بالذات لا يمكنُ أن يكون نفسَ الشيء بهويّته المادّيّة، فحتّى المدرك بحاسّة البصر له نحوٌ من التجرّد وليس في نوريّة خروج الشعاع أو الانطباع وما ثبت حول الرؤية في علم المرايا أو بحوث الفيزياء ما يفسّر الإدراك البصري تفسيراً فلسفيّاً، فلا بدّ من الاعتراف بتجرّده فضلاً عن الخيال والعقل، وقد أوضحنا هذا المذهب في كتابنا العقيدة الإلهيّة في الإسلام» (فدك في التاريخ: ١٣٤).

فإذا كان السيّد الصدر قد أوضح هذا المذهب في كتاب (العقيدة الإلهيّة في الإسلام) الذي ألّفه في الكاظميّة قبل هجرته إلى النجف الأشرف على ما تقدّم، فبعد ذلك تنتفي الحاجة إلى افتراض دراسته كتابَ (الأسفار) قبل تصنيفه

كتابَ (فدك) أو في عرض تصنيفه إيّاه، لأنّ من المقطوع به أنّه لم يكن قد درس (الأسفار) حين تصنيفه كتابَ (العقيدة الإلهيّة).

إضافةً إلى ذلك، فإنّ السيّد الصدرﷺ طبع (فدك) و(غاية الفكر) في فترة زمنيّة واحدة على ما يأتي تحقيقه، وطالما أنّ الأمر كذلك، فلماذا قالﷺ في مقدّمة (غاية الفكر) :«هذا هو جزءٌ منْ كتابٍ في الأصول شرعت فيه قبل ثلاث سنوات تقريباً..»، بينما قال في مقدّمة (فدك): «فبقي عندي سنين مذكّراً ومؤرَّخاً لحياتي الفكريّة..»، فكيف يتذكّر تاريخ تأليف (غاية الفكر) ولا يتذكّر تاريخ تأليف (فدك) إذا كانا متقارنين؟! ولعلّ عدم تذكّره مشعرٌ بالبعد الزمني..

وعلى أيّة حال، فقبل الوصول إلى المرحلة النهائيّة، لا بدّ من أخذ بعض الأمور بعين الاعتبار:

الأوّل: التعارض الموجود بين ما ذكره اثنان من قدامى تلامذته، ففيما ذهب السيّد الإشكوري إلى أنّه كان في الحادية عشرة من عمره، ذكر السيّد كاظم الحائري أنّه كان في السابعة عشرة.

الثاني: أنّ السيّد الصدرﷺ قد ذكر ـ على ما نقلناه في المتن ـ أنّه قد ألّف الكتاب في مرحلة (الصبا)، ولعلّ التعبير بـ(الصبا) يتناسب مع الاتّجاه الأوّل أكثر.

وبعد فراغي من تصنيف هذا الكتاب اطّلعتُ على مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدرﷺ ذكر فيها أنّه سمع من أسرة السيّد الصدرﷺ أنّ الأخير ألّف (فدك) عندما كان في ١٣ أو ١٤ من عمره (مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدرﷺ، السيّد محمّد القمّي، ﴿﴾).

٢ ـ تحديد الشهر

ذكر السيّد الصدرﷺ أنّه قد ألّف الكتاب في إحدى العطل الدراسيّة في النجف، والعطل الدراسيّة في ذلك الوقت كانت عبارة عن: ١ ـ بضعة أيّام من شهر رجب وشهر شعبان. ٢ ـ شهر رمضان المبارك. ٣ ـ أسبوعين من شهر محرّم. ٤ ـ أسبوعين من شهر صفر. ولم يكن في النجف عطلة صيفيّة.

والكاتب يميل إلى أن تكون عطلة شهر رمضان المبارك، خاصّة وأنّه قد عبّر قائلاً: «..في الشهر الذي تمخّض عنه..» بعد قوله «عطلة من عطل الدراسة».

هل طبع الكتاب بصيغته الأولى أم تمّ تعديل بعض فقراته؟

نقل لي أحدُ روّاد مجلس السيّد الصدرﷺ ومريديه ـ من غير طلاّبه ـ أنّهﷺ سُئل عن بعض العبارات الواردة في كتاب (فدك) فأجاب بأنّه لم يكن يبني عليها بينه وبين نفسه. ومن هنا، نستطيع الاطمئنان إلى أنّ هذه العبارات لم تكن موجودة في ما كتبه السيّد الصدرﷺ بادئ الأمر، فقد أسلفنا أنّهﷺ كتبه بادئ الأمر بهدف التأريخ للمرحلة الفكريّة التي كان يعيشها، وهو ما يظهر من مقدّمة الكتاب، ولا وجه في هذه الحالة لأن يكتب شيئاً ويبني في نفسه على شيء آخر، إلاّ أن تكون الإضافات متأخّرة زماناً عن تدوين الكتاب ومقارنة لوقت عزمه على طباعته، وهو ما نراه.

وليس هذا حدساً محضاً، بل لدينا مؤيّد آخر يسير في الاتّجاه نفسه: ففي موضع من الكتاب يقول السيّد الصدرﷺ: «أكتب هذا كلّه وبين يدي كتاب (فاطمة والفاطميّون) للأستاذ عبّاس محمود العقّاد، وقد جئته بشوق بالغ لأرى ما يكتب في موضوع الخصومة بين الخليفة والزهراء..» (فدك في التاريخ، ط١: ٣٥ ؛ ط دار التعارف: ٤٠). وفي هامش من هوامش الكتاب جاء: «رواه الطبري كما في ص ١٨ من سمو المعنى في سمو الذات للأستاذ الكبير الشيخ عبد الله العلائلي..» (فدك في التاريخ، ط١: ١٢١ ؛ ط التعارف: ١١٣).

وإذا رجعنا إلى كتاب الشيخ العلايلي المذكور وجدنا أنّه طبع سنة ١٩٣٩م، وقد جاءت مقدّمته بتاريخ ١٥/شعبان/١٣٥٩هـ (سمو المعنى في سمو الذات: ٦)، فلا دلالة في ذلك على شيء. أمّا كتاب العقّاد، فقد طبع لأوّل مرّة سنة ١٩٥٣م (حوالي ١٣٧٣هـ) كما وجدنا في سيرة العقّاد ، أي قريب الانتهاء من (غاية الفكر) وإرسال الكتابين إلى الطبع.

وحيث لا يُمكن القول: إنّ السيّد الصدرﷺ ألّف كتاب (فدك) سنة ١٣٧٣هـ لما جاء في المقدّمة سنة ١٣٧٤هـ من أنه بقي عنده لسنين، فهذا يعني أنّه أعاد النظر فيه قبل إرساله إلى الطبع، فأضاف إليه مناقشةً مع العقّاد لم تكن موجودة في ما كتبه سابقاً، وهذا يؤكّد في نهاية المطاف أنّ (فدك) الذي بين أيدينا يختلف ـ ولو بمقدار ـ عن النسخة الأولى التي ألّفها السيّد الصدرﷺ في صباه.

من طبع كتاب (فدك في التاريخ)؟

ذكر الشيخ علي كوراني نقلاً عن السيّد الصدر ﵀ أنّ أخواله هم الذين طبعوا الكتاب (مسائل في البناء الفكري:٣٣)، بينما ذكر لي الشيخ محمّد رضا الجعفري بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥م أنّ الشيخ مرتضى آل ياسين ﵀ قد شجّع السيّد الصدر ﵀ على طباعة كتاب (فدك في التاريخ)، وقد تبرّع بالمبلغ اللازم لطباعته السيّد عبد الحسين شرف الدين ﵀. وقد رجعت طباعة (فدك) على السيّد الصدر بمبلغ كبير من المال، فطبع به كتاب (غاية الفكر).

وفي كلا القولين نظر (انظر أحداث ١٣٧٤هـ)، ويبدوا أنّ الصحيح ما ذكره السيّد محمّد باقر الحكيم ﵀ من أنّ السيّد الصدر ﵀ عندما أراد طباعة (غاية الفكر) سنة ١٣٧٤هـ لم يكن يملك المبلغ الكافي لذلك، فعرض عليه الشيخ محمّد كاظم الكتبي أن يطبع له (غاية الفكر) مقابل أن يعطيه كتاب (فدك) ليطبعه [ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)]. وقول السيّد الصدر ﵀ في مقدّمة (فدك): «طلب منّي تقديمه إليه ليتولّى طبعه» ناظرٌ إلى هذه المسألة على ما يبدو.

ومع أنّ السيّد الصدر ﵀ لا يؤمن فقهيّاً بحقوق الطبع، إلاّ أنّه قد التزم داخل العراق على الأقلّ بإعطاء حقوق الكتاب إلى الشيخ الكتبي، ومن هنا جاء على غلاف الطبعتين الأولى والثانية للكتاب: (حقوق الطبع محفوظة للناشر محمّد كاظم الحاج محمّد صادق الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف)، أو أن يكون حينها قائلاً بذلك فقهيّاً.

ويأتي ضمن أحداث ١٣٩٠هـ أنّ تجّاراً من البحرين طلبوا من السيّد الصدر ﵀ إعادة طباعة الكتاب، ولكنّ السيّد ﵀ طلب منهم مراجعة الحاج الكتبي لأنّه لا علاقة له بالكتاب. وبعد أن أعاد الحاج طباعته وأرسل نسخاً منه للسيّد ﵀، أرجعها ﵀.

كم مرّة طبع كتاب (فدك في التاريخ)؟

ذكر الشيخ علي كوراني أنّ السيّد الصدر ﵀ لم ينقّح كتاب (فدك) و«لم يُعد النظر فيه طوال عمره، بل لم يطبعه ولم يكن يرغب في طبعه!» (مسائل في البناء الفكري: ٣٢)، ثمّ رتّب على ذلك نتائج آلينا عدم التعرّض لها.

أ ــ أمّا عدم تنقيح الكتاب وإعادة النظر فيه، فلا وجه للاستشهاد به، لأنّ السيّد الصدر ﵀ لم يعد النظر في حياته بشكل ملحوظ إلاّ في كتاب واحد هو (بحث حول الولاية) على ما يأتيك مفصّلاً في متن الكتاب ضمن أحداث ١٣٩٠هـ وأحداث ١٣٩٧هـ. نعم، ربّما أضاف بعض الأمور اليسيرة أو بعض التخريجات كما في (اقتصادنا) مثلاً. وحيث لا يمكن ادّعاء أنّ السيّد الصدر ﵀ قد عدل عن كتبه جميعاً، فاللازم باطل والملزوم مثله في البطلان.

ب ــ أمّا دعوى عدم طبعه الكتاب: فقد ذكر لي الحاج محمّد صادق الكتبي صاحب منشورات الشريف الرضي في قمّ بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٤م ـ وهو نجل الشيخ محمّد كاظم الكتبي صاحب المكتبة الحيدريّة في النجف والذي ورد اسمه في مقدّمة السيّد الصدر ﵀ ـ أنّ كتاب (فدك) ملكٌ لوالده الشيخ الكتبي لا للسيّد الصدر ﵀. وقد ذيّل كلامه بذكر حادثتين:

الأولى: أنّ كتاب (فدك) لم يدخل بيت السيّد الصدر ﵀ حتّى دفع ربع دينار ثمن عشر نسخ منه، إذ كان سعر النسخة الواحدة ٢٥ فلساً.

الثانية: أنّ تجّاراً من الناصريّة أتوا إلى السيّد الصدر ﵀ طالبين منه السماح لهم بطباعة الكتاب، فأجابهم بأنّه لا علاقة له بالموضوع، وأنّ المسألة غير مرتبطة به، وأحالهم على الشيخ الكتبي ـ والده ـ الذي أجازهم بطباعة ٣٠٠٠ نسخة.

أقول: وهذا يؤيّد ما ذكرناه من أنّ الشيخ الكتبي ﵀ طبع (غاية الفكر) مقابل طباعة (فدك).

وبعيداً عن هذا، فقد طبع الكتاب في حياة السيّد الصدر ﵀ في العراق ثلاث مرّات وفي لبنان مرّة:

الطبعة الأولى: وهي طبعة المكتبة الحيدريّة سنة ١٣٧٤ هـ .

الطبعة الثانية: الطبعة التي طبعها تجّار الناصريّة.

الطبعة الثالثة: المشهورة بالثانية، وهي طبعة المكتبة الحيدريّة كذلك، وتعود إلى سنة ١٩٧٠م، وقد جاء على غلافها: «فدك في التاريخ، تأليف محمّد باقر الصدر، الطبعة الثانية، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م، حقوق الطبع محفوظة للناشر محمّد كاظم الحاج محمّد صادق الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف..» وعلى الغلاف الخلفي: «تمّ في ١٩٧٠/٣/١٥». ويشير إلى الطبعة الأولى فوزي عبد الرزّاق في الفهرست الذي أعدّه عن المطبوعات العربيّة والصادر عن جامعة هارفرد ببوسطن عام ١٩٨٣م ؛ وإلى الطبعة الثانية الدكتور شبلي الملاّط (انظر: تجديد الفقه

الإسلامي: ٢٥٨). وقد يبدو لنا اتّحاد الطبعة الثانية والثالثة وأنّ من الممكن وقوع اشتباهٍ بين تجّار الناصريّة وبين تجّار البحرين على ما يأتيك ضمن أحداث سنة ١٣٩٠هـ.

الطبعة الرابعة: وهي طبعة دار التعارف التي جاءت بتاريخ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م. وقد احتملتُ كونها بعد استشهاد السيّد الصدرﷺ، إلاّ أنّ الحاج حامد عزيزي صاحب دار التعارف ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٤م أنّ ذلك كان في حياة السيّد الصدرﷺ وبموافقته (على تفصيل يأتي).

ولعلّ الشيخ كوراني لم يعلم بطبعة تّجار الناصريّة لخفاء الأمر، ولم يطّلع على طبعة سنة ١٩٧٠م لتواجده حينها في الكويت، ثمّ ظنّ أنّ طبعة دار التعارف كانت بعد استشهاد السيّد الصدرﷺ، ولهذا نفى أن يكون الكتاب قد طبع، ولكنّ الأمر قد اتّضح.

عدم الرغبة في إعادة طباعة (فدك في التاريخ)

ثمّ إن الشيخ كوراني ادّعى أنّ السيّد الصدرﷺ لم يكن يرغب في إعادة طباعة (فدك في التاريخ)، وهي دعوى صحيحة، ولكنّ السياق الذي وضعت فيه ـ والذي أهملنا نقله فضلاً عن التعليق عليه ـ سياقٌ موهم. ولا يهمّنا فعلاً مناقشة النتائج التي أوصل إليها تشكيل المقدّمات بهذا الشكل، بل نكتفي بتوضيح حقيقة الأمر تاريخيّاً:

أ ـ ذكر لي الحاج حامد عزيزي بتاريخ ٢٠٠٤/٩//١٤م أنّه عندما أراد إعادة طباعة (فدك في التاريخ) في لبنان فضّل السيّد الصدرﷺ عدم طباعته حفاظاً على أمور الوحدة وما هو من هذا القبيل، وبعد مراجعة الحاج حامد مرّة أخرى بواسطة السيّد محمود الهاشمي وافق السيّد الصدرﷺ. ويظهر ذلك أيضاً من جواب للسيّد الصدرﷺ عن سؤال وجّهه إليه السيّد محمّد الغروي ـ سنة ١٣٩٧هـ ـ يطلب فيه السماح بطباعة (فدك) فلا يوافق السيّد الصدرﷺ.

ب ـ وأوضحُ من ذلك ما ذكره السيّد الصدرﷺ للسيّد حسن الأمينﷺ في رسالة أرسلها إليه (حصلنا عليها مؤخّراً وتُنشر للمرّة الأولى): «..وفي نفس الوقت فأنا لا أرجّح إعادة نشر الكتاب نظراً إلى طبيعة موضوعه وملابساته العاطفيّة، وأرى أنّ العمل الفكري الإيجابي المستقلّ أفضل من الدخول في المناقشات المذهبيّة مهما كانت موفّقة وعميقة..» (انظرها كاملةً ضمن أحداث سنة ١٣٧٤هـ).

وقبل كلّ شيء، لا بأس ببيان مراد السيّد الصدرﷺ من (العمل الفكري الإيجابي المستقل) مستفيدين من رسالة أرسلها إلى الشيخ علي الإسلامي بتاريخ ١٩/ذي الحجّة/١٣٩٦هـ حيث يقول: «... وقد تحقّقت بدايات بعض الآمالٌ التي أسعى إلى تحقيقها، فإنّي كنت أفكّر أنّ المرجعيّة النائبة عن الإمام الصادق إذا استطاعت أن تقدّم أحكام الشريعة في إطار فقه أهل البيت إلى العالَم بلغة العصر ومنهجة العصر وبروح مخلصة فسوف تستطيع أن تقنع عدداً كثيراً من أبناء السنّة بالتقليد للمجتهد الإمامي باعتباره اجتهاداً حيّاً واضحاً على مستوى العصر، وبذلك يعود نائب الإمام الصادق مرجعاً للمسلمين عموماً كما كان الإمام كذلك، ويكون هذا التقليد مرحلةً للانتقال إلى التشيّع الكامل، وهذا ما تحقّقت بعض بوادره لأنّ بعض المدرّسين المثقّفين من السنّة في بغداد راجعوني طالبين تحويل تقليدهم من أبي حنيفة إلى الفتاوى الواضحة. وعلى هذا الأساس فقد قرّرنا طبع الفتاوى الواضحة في القاهرة إن شاء الله تعالى ليقدّم صورة واضحة للفقه الإمامي المليء تقوىً وورعاً وإيماناً بين يدي المتعلّمين من أبناء مصر» (انظرها كاملةً ضمن أحداث ١٣٩٦هـ).

ج ـ ولكن في المقابل، لم يكن السيّد الصدرﷺ يعارض نشر الكتاب في إيران، وهذا ما تجده واضحاً في رسالته إلى السيّد أحمد الحسيني الإشكوري الآتية ضمن أحداث سنة ١٣٧٤هـ.

إذاً كان جديراً حصر النقاش في استراتيجيّة العمل فقط وفقط دون جرّ البحث إلى بساطٍ آخر ولو بالإيحاءات.

رسم الصورة الكاملة حول الكتاب وتاريخه

وعلى ضوء ما تقدّم سابقاً نستطيع رسم صورة أكثر موضوعيّة وملامسةً للواقع، وهي كالتالي:

* عندما كان في الكاظميّة كتب السيّد الصدرﷺ موضوعاً حول السيّدة الزهراء عليها السلام ألقاه في حسينيّة أخواله من آل ياسين، وكان عمره حينها حوالي إحدى عشرة سنة، وهنا يلتقي ما نقله الشيخ علي كوراني وما نقله السيّد نور الدين الإشكوري.

* وبعد استقرار السيّد الصدرﷺ في النجف الأشرف، استغلّ إحدى العطل الدراسيّة في شهر رمضان المبارك وطوّر ما كان قد بدأه في الكاظميّة، وكان هدفه من ذلك هو التأريخ لتلك المرحلة العلميّة من حياته، ولم يكن في نيّته

* * *

طباعته ونشره على الإطلاق، وكان ذلك حوالي سنة ١٣٦٧ هـ.

* وبعد فترة (١٣٧٠ ـ ١٣٧١) كتب السيّد الصدر(رحمه الله) (غاية الفكر) وأراد طبعه سنة ١٣٧٤هـ ولكنّه لم يكن يملك المبلغ اللازم لطباعته، فعرض عليه الشيخ محمّد كاظم الكتبي(رحمه الله) طباعته مقابل أن يسمح له بطباعة (فدك) بعد أن علم أنّ له كتاباً حول الموضوع. ويبدو أنّ السيّد الصدر(رحمه الله) التزم بإعطاء حقوق الطبع إلى الشيخ الكتبي (داخل العراق على أقلّ تقدير) وإن لم يؤمن به فقهيّاً (أو أنّه كان يؤمن به يومذاك)، ولهذا أحال تجّار الناصريّة إلى الشيخ الكتبي عندما رغبوا في إعادة طبع الكتاب.

* ثمّ بعد أن عرض عليه الشيخ الكتبي طباعة (غاية الفكر) مقابل السماح بطباعة (فدك) أعاد النظر في الكتاب الأخير لكي يكون ـ بنظره ـ أكثر إقناعاً ومدعاةً لتقبّل الطرف الآخر، فأدخل العبارات المرتبطة بالخلفاء غيرَ بانٍ عليها بينه وبين نفسه، إضافةً إلى مناقشته مع العقّاد، وربّما مباحث أخرى.

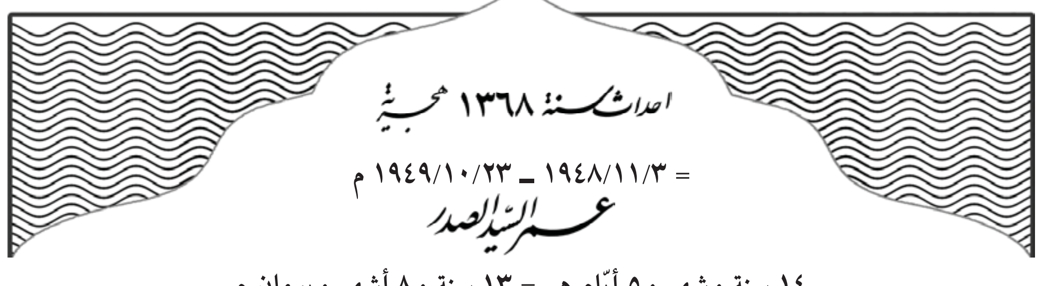
* وبعد أن أصبح السيّد الصدر(رحمه الله) في سدّة المرجعيّة شخّص أنّ العمل الفكري الإيجابي أكثر فائدةً للتشيّع، ولهذا كان مهتمّاً بالدخول إلى الساحة السنيّة في مصر من أجل إرجاع مثقّفيها في التقليد إليه ليكون الفقه الإمامي الشيعي هو المرجع، وذلك تمهيداً للتشيّع الكامل بحسب تعبيره.

ولهذا لم يرجّح إعادة نشر الكتاب عندما طلب منه السيّد حسن الأمين(رحمه الله) ذلك، وهو ما ذكره للحاج حامد عزيزي عندما طلب منه ذلك، ولكنّه وافق بعد أن طلب الحاج حامد ذلك مرّة أخرى. وهذا يعني أنّ ملاك إعادة النشر لم يكن عنده بمستوى المفسدة المطلقة، إضافةً إلى عدم ممانعته من طباعته مترجماً في إيران.

هذه هي الصورة المتكاملة التي أجدها أقدر على تفسير مختلف الظواهر في ما يتعلّق بالكتاب.

نشير أخيراً إلى أنّ السيّد البروجردي مثلاً كان يمنع غيره عن طباعة ما يثير الحساسيّات الشيعيّة السنيّة: فعندما أراد آقاي وكيلي طباعة منظومة له في الفقه تعرّض في أوّلها للخليفتين الأوّل والثاني، قال له السيّد البروجردي(رحمه الله): «لا يحق لك نشر هذا الكتاب، وعليك حذف مطلعه، إنّ اليوم ليس زمان طرح هذه الأمور وتشديد الخلاف الشيعي السنّي». كما انتقد(رحمه الله) الشيخ عبد الحسين الأميني(رحمه الله) صاحب (الغدير) بدون ذكر اسمه عندما زار إصفهان مصادفاً مع التاسع من ربيع الأوّل، واتّخذت محاضراته طابعاً مشحوناً ضدّ السنّة، فقال(رحمه الله): «ما هذا الوضع في إصفهان؟ ففي الوقت الذي تشنّ فيه إسرائيل حربها على مصر وتريد احتلال قناة السويس وتعريض أهل مصر للضغوطات والأخطار، نأتي لنشعل حرباً بين السنّة والشيعة» (انظر: يادنامه شرق، ضميمه رايگان تاريخ واندیشه، شماره ١٢، ويژه آيت الله بروجردى، فروردين ٨٥: ٦).

وكان الشيخ المستشكل قد نوّه سابقاً بجهود السيّد الصدر(رحمه الله) حيث قال: «الوعي الإسلامي الذي تراه في العالم العربي الشيعي هو مدينٌ لجهود المرحوم السيّد الحكيم(رحمه الله) والشهيد الصدر(رحمه الله)..» (صحيفة المبلغ الرسالي، العدد ١٠٨، ١٩٩٧/٤/١٠م: ١٠).



١٤ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٣ سنة و٨ أشهر ويومان م

*** * ***

استقلال السيّد الصدر﵀ بالرأي

يقول السيّد الخوئي﵀: «**إنّ السيّد محمّد باقر الصدر قد اجتهد في الرابعة عشرة من عمره، وكان قبل بلوغه مجتهداً مسلَّمَ الاجتهاد**»(١)، فيكون ذلك في هذا العام على الأرجح(٢).

وكان السيّد الصدر﵀ قد قلّد خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين﵀ قبل بلوغ سنّ التكليف، أمّا بعده فلم يقلّد أحداً(٣)، إذ أنّه لم يكن بحاجة إلى التقليد حين بلوغه(٤). كما نقلت والدته أنّه لم يقلّد فقيهاً منذ بلغ سنّ التكليف(٥)، وهو ما سمعه الشيخ محمّد رضا النعماني منه﵀ أيضاً(٦)، وأشار إليه السيّد نور الدين الإشكوري(٧)، وربّما أيّده ما قاله أخوه السيّد إسماعيل الصدر﵀: «**سيّدنا الأخ بلغ ما بلغ في أوان بلوغه**»(٨).

ولكنّ السيّد كاظم الحائري لا يذكر أنّ السيّد الصدر﵀ قال: «**كنت من حين البلوغ أعمل برأيي**»، أو قال: «**كنت بين العمل بالاحتياط و العمل بالرأي**»(٩).

وقيل: إنّه قلّد تقليدَ بالغٍ لسنةٍ واحدة خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين﵀، وبعدها استقلّ

---

(١) نقل لي ذلك الأخ حسين البدري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٥م عن السيّد عبّاس الكاشاني الذي سمع ذلك من السيّد الخوئي﵀ نفسه. وشهادة السيّد الخوئي﵀ هذه إذا فسّرناها بأنّها شهادة مباشرة منه باجتهاد السيّد الصدر﵀ في تلك السن، بمعنى أنّ السيّد الخوئي﵀ لمس اجتهاد السيّد الصدر﵀ عندما كان الأخير في الرابعة عشرة من عمره، فهذا سيؤثّر على تبنّينا لتاريخ حضور السيّد الصدر﵀ بحث الخارج، لأنّ ذلك سيعزّز فكرة حضوره البحث مبكّراً. أمّا إذا حملناها على نحو ما نحمل عليه جواب طالب من طلّاب السيّد الصدر﵀ مثلاً عن سؤاله حول سنّ اجتهاد السيّد الصدر﵀، بمعنى شهادته بذلك دون أي يكونَ ناشئاً بالضرورة عن معاينة مباشرة، فهذا لن يؤثّر على ما نتبنّاه هناك (انظر أحداث سنة ١٣٦٩هـ).

(٢) هذا منّا، وذلك باعتبار أنّ السيّد الصدر﵀ يبلغ الرابعة عشرة في ذي القعدة/١٣٦٧هـ.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٢، نقلاً عن السيّد الصدر﵀ ؛ وانظر: صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد كاظم الحائري ؛ مقابلة مع السيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١١م (﵀) ؛ السيّد كاظم الحائري في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد حسين هادي الصدر (﵀).

(٤) مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (﵀)، نقلاً عن السيّد الصدر﵀.

(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٣٧.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٩.

(٧) بغية الراغبين٢ : ٧٠٨.

(٨) أسرة آل الصدر: ٢٠٦.

(٩) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٢.

برأيه[١]، وقيل لسنتين[٢]، وقيل كذلك لثلاث سنوات[٣].

وعندما كان السيّد الصدر رحمه الله في العشرين من عمره ـ أو بعد ذلك بسنة ـ كان في بيت السيّد محمّد القمّي ـ وكانت عادته أن يتغدّى عنده يوم الخميس ـ فسأله السيّد القمّي: «**هل قلّدتَ في حياتك أحداً من المجتهدين؟! ومن هو؟!**»، فتبسّم السيّد الصدر رحمه الله وقال: «**تريد إيجازاً أو إطناباً في الإجابة؟**»، فقال: «**ما شئت**»، فقال رحمه الله: «**أختار الإيجاز لأنّك لست في حاجةٍ إلى الإطناب**»، فقال: «**وهو كذلك، المهمّ العلم بالشيء**»، فقال رحمه الله: «**لعلمك فإنّي لم أقلّد أحداً من المجتهدين، فإنّي يوم بلغتُ سنّ التكليف لم يكن وضعي العلمي يسمح لي بالتقليد أو الرجوع إلى أحد المجتهدين في المسائل الفرعيّة**»، فقال له: «**وهل كان هذا الاستغناء احتياطاً أم اجتهاداً؟!**»، فأجاب رحمه الله ـ على ما يتذكّر الراوي ـ: «**إنّه الاجتهاد بحمد الله وتوفيقه**»، ثمّ انجرّ بهما الحديث إلى دراسته بعض الكتب العلميّة، وكان ممّا ذكره السيّد الصدر رحمه الله أنّه أنهى دراسة الأدلّة العقليّة من (الكفاية) خلال أسبوعٍ واحد[٤].

الفراغ من دراسة كفاية الأصول

في أواخر سنة ١٣٦٨هـ فرغ السيّد الصدر رحمه الله من دراسة الجزء الثاني من (كفاية الأصول)[٥]. وكنّا قد رأينا أنّه كان يحضّر الدرس بنفسه ويلقيه على السيّد محمّد الروحاني رحمه الله، وقد أنهاه على هذا النحو في مدّة شهرين.

السيّد الصدر رحمه الله يضع العمامة

وربّما في هذه السنة وضع السيّد الصدر رحمه الله العمّة (العمامة)[٦].

مراسلة للسيّد إسماعيل الصدر رحمه الله

في ١٥/ذي الحجّة/١٣٦٨هـ (٨/١٠/١٩٤٩م) كتب السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«بسمه تعالى

سيّدي الأجلّ ومولاي الأعظم طود العلم المنيف وركن الدين الحنيف ومالك أزمّة التأليف والتصنيف، رجل الدعاية الدينيّة وبطل الدعوة الإسلاميّة، فارس ميدان الجهاد والاجتهاد، والمؤيّد من الله بالتوفيق والسداد، حصن الطائفة المحقّة وسيفها البتّار ولسانها الناطق، عزّ الشيعة وفخر الشريعة، علاّمة الهاشميّين ووارث علوم أجداده المعصومين، شرف الملّة والدين وعزّ الإسلام والمسلمين، والحافظ لشريعة سيّد

---

(١) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (حفظه الله).

(٢) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٤م.

(٣) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (حفظه الله).

(٤) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي) (حفظه الله).

(٥) يُحتمل أن يكون مراد السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله في قوله (اليوم) في آخر رسالته الآتية: في الفترة الأخيرة لا اليوم على نحو الدقّة.

(٦) هذا باعتبار أنّ السيّد الصدر رحمه الله حضر بحث (الكفاية) عند السيّد الروحاني قبل تعمّمه بحسب نقل الشيخ علي كوراني عن السيّد الروحاني رحمه الله نفسه، مع استقراب أنّه تعمّم لدى حضور بحث السيّد الخوئي رحمه الله.

المرسلين، سيّدي الإمام آل شرف الدين أدام الله وارف ظلاله بحقّ نبيّنا محمّد وآله.

أعرض بخدمتكم بعد التبرّك بلثم أناملكم المقدّسة وراحاتكم المباركة، وبعد تقديم السلام إلى مقامكم السامي الرفيع، سلام لا يوزن ولا يقدّر إلاّ بزنة حبّي لكم وشوقي إليكم وتلهّفي للمثول بين يديكم وتقديري لمؤلّفاتكم القيّمة وآثاركم الثمينة التي عليها صبغة من الكلام السماوي ونفحة من الإعجاز المحمّدي وقبس من البلاغة العلويّة، أخبركم أنّ ابن عمّنا الفاضل الورع التقي، نخبة الأفاضل المحصّلين، بل جوهرة العلماء الممتازين، العلاّمة المفضال السيّد عبّاس آل عبّاس العاملي، لمّا وصله كتابكم ابتهل إلى الله تعالى أن يديم بقاءكم ويكثر من أمثالكم، وكان لكم من الشاكرين ولله من الحامدين، وكان عازماً على إطاعة أمركم وأن يرسل أسبابه في أوّل شهر ذيحجّة، وأن يتوجّه نحوكم بعد زيارة عرفة، ولكنّه ابتلي في العشرين من ذيقعدة بمرض الروماتيزم حتّى أقعده في فراشه، ولازمته الحمّى عدّة أيّام، وهو لا يزال طريح الفراش، إلاّ أنّ أحواله بكثير أحسن. ولقد كلّفني أن أكتب لكم هذا الكتاب وأعرض بخدمتكم أنّ تأخّره لا عن تهاونٍ بأمركم أو استخفاف بطلبكم، بل عن مرضه الذي منعه حتّى من القيام من مكانه، وهو مصمّمٌ على التوجّه نحوكم في أوّل وقتٍ يتمكّن من ذلك.

سيّدي الأجلّ! قد تستغربون من مكاتبتي لكم من النجف، وذلك أنّي منذ سنتين قد سكنتُ النجف لإتمام دراستي على أكابر علمائها أمثال شيخنا الخال دامت بركاته، والحجّتين الشيرازي والخوئي دام بقاهما[1].

أخي محمّد باقر يقبّل أياديكم، وأبشركم أنّه من المحصّلين النابهين، ولقد فرغ اليوم من دراسة الجزء الثاني من الكفاية مع فهمها وكتابتها والإشكالات الواردة عليها.

وبالختام أقبّل أقدامكم وأسلّم على أشبالكم الأفاضل، لا سيما الأستاذ الكبير مفخرة العرب والحجّة في الأدب أمير البيان وفارس القلم و[اللسان] السيّد صدر الدين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السبت ١٥ ذيحجّة ١٣٦٨

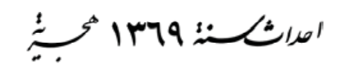
ولدكم المخلص المشتاق، إسماعيل الصدر»[2].

* * *

---

(١) يقصد الشيخ محمّد رضا آل ياسين ، السيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد أبو القاسم الخوئي رحمهم الله.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٨) ؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٢٣ ـ ١٢٤.



= ١٩٤٩/١٠/٢٤ ـ ١٩٥٠/١٠/١٣ م

عمر السيّد الصدر

١٥ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٤ سنة و٧ أشهر و٢٣ يوماً م

❋ ❋ ❋

حضور السيّد الصدر رحمه الله بحث الخارج

المشهور أنّ السيّد الصدر رحمه الله حضر بحث الخارج سنة ١٣٦٥هـ، والتحقيق أنّه في سنة ١٣٦٩هـ حضر مجلس تحشية خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله على كتاب (العروة الوثقى)، كما حضر بحث الخارج للسيّد الخوئي رحمه الله[(١)].

---

(١) وهنا كلامٌ:

تحقيق
متى حضر السيّد الصدر رحمه الله بحث الخارج

اختلفت الأقوال في ما يتعلّق بتاريخ حضور السيّد الشهيد رحمه الله بحث الخارج، وإن لاح منها الاتّفاق على حضوره درس السيّد الخوئي رحمه الله ودرس خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله في فترة زمنيّة واحدة.

والاتّجاه السائد هو أنّه حضر سنة ١٣٦٥هـ أو ما يقرب منها، وقد تدلّ عليه مجموعة من الأمور:

١ ـ بين أيدينا وثيقة بخطّ السيّد الصدر رحمه الله يظهر منها حضوره بحث الشيخ آل ياسين والسيّد الخوئي رحمهما الله سنة ١٣٦٥هـ. وقد جاءت الوثيقة على النحو التالي:

(تاريخ هجريته إلى النجف دام ظلّه: ١٣٦٥
تاريخ حضوره دام ظلّه عند أساتذة الخارج مع بيان أسمائهم
آية الله العظمى الشيخ محمّد رضا آل ياسين (تنقل القصّة)
آية الله العظمى السيّد الخوئي
مجلس تحشية بلغة الراغبين) انظر الوثيقة المتقدّمة رقم (٣).

وقد قلنا: إنّ ذلك يستفاد من خلال الاستظهار لا النصّ على ذلك، لأنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يصرّح في الوثيقة بتاريخ حضوره درسيهما رحمهما الله مع أنّ السائل طلب بيان ذلك، ولعلّه اكتفى بما ذكره في الأعلى ليكون تاريخ هجرته وتاريخ حضوره درسيهما رحمهما الله تاريخاً واحداً.

٢ ـ ما حدّثني به السيّد عبد الكريم القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١١م نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله من أنّ عمر السيّد الصدر رحمه الله حين حادثة الثمرة الفقهيّة في مجلس الشيخ آل ياسين رحمه الله كان (١٢) أو (١٤) سنة.

٣ ـ صرّح السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله في رسالته التي ألّفها تحت إشراف السيّد الصدر رحمه الله أنّه: «في سنة ١٣٦٥هـ حضر بحث أستاذه زعيم الحوزة العلميّة أستاذ المجتهدين ومربّي الفقهاء السيّد الخوئي دام ظلّه..».

٤ ـ نقل لي السيّد كمال الحيدري بتاريخ ٢٠٠٤/٢/١٦م أنّه سمع مباشرةً من السيّد الصدر رحمه الله قوله: إنّه حضر بحث السيّد الخوئي رحمه الله وله من العمر ثلاث عشرة سنة. وهو ما ذكره السيّد محمّد الغروي في (ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، ﷺ).

٥ ـ ورد في كتيّب يحمل عنوان (لمحة موجزة عن حياة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره) أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد حضر بحث السيّد الخوئي رحمه الله في أوائل سنين بلوغه.

٦ ـ ذكر السيّد عبد الله شرف الدين أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد حضر دروس الخارج في أواسط العقد الثاني وهو لم

يبلغ بعد الخامسة عشرة. ثمّ عقّب ذلك بالقول: إنّ الشهيد الصدر﵀ قد حضر عند السيّد الخوئي﵀ دورات متعدّدة (بغية الراغبين ٢: ٦٣٨).

٧ ـ ذكر السيّد محمّد حسين فضل الله في مقابلة معه (﵀) أنّه حضر بحث السيّد الخوئي﵀ سنة ١٣٦٨ هـ وكان السيّد الصدر﵀ قبله في الدرس.

٨ ـ تقدّم ضمن أحداث السنة الماضية قول السيّد الخوئي﵀: إنّ السيّد الصدر بلغ درجة الاجتهاد وهو في الرابعة عشرة من عمره، وهذا قد يعني أنّه خَبِرَه في تلك الفترة، وعلى هذا الأساس شهد بذلك. ولكن قد يقال: إنّ قوله هذا قد لا يكون ناتجاً عن شهادة حسيّة منه، بل عن شهرة للأمر أو نقلاً عن خاله الشيخ مرتضى آل ياسين﵀ مثلاً، تماماً كما بإمكاني أن أقول الآن: إنّ العلاّمة الحلّي﵀ بلغ درجة الاجتهاد في العمر الفلاني.

٩ ـ إذا صحّ حرفيّاً ما سننقله عن الشيخ محمّد رضا الجعفري من أنّ السيّد الخوئي﵀ أستاذ السيّد الصدر﵀ أشار عليه بحضور درس (الأسفار)، وصحّ إلى جانبه ما سننقله عن السيّد إبراهيم الزنجاني من أنّ درس (الأسفار) استمرّ لسنتين وكان حوالي ١٣٦٥هـ ـ ١٣٦٧هـ فإنّ هذا سيعني أنّ السيّد الخوئي﵀ كان أستاذاً للسيّد الصدر﵀ منذ ذلك الزمان.

١٠ ـ وقد عدّ السيّد الصدر﵀ من الجيل الثاني لطلبة السيّد الخوئي﵀ (فهرس التراث ٢: ٦٥٥)، ولعلّ المراد أنّه ضمن من حضروا دورته الأصوليّة الثانية. كما عدّ السيّد علي السيستاني من الجيل الأوّل، وإن كنتُ أظنُّ أنّه من الجيل الثاني أيضاً.

١١ ـ قد يقال: إنّ بالإمكان الاستدلال بالحادثة المعروفة التي تنقل عن حضور السيّد أبو القاسم الكوكبي الباغميشي درس السيّد الخوئي﵀، حيث ينقل أنّ السيّد الكوكبي حضر درس السيّد الخوئي﵀ زمان هجرته إلى النجف الأشرف (وكان تلميذاً للسيّد البروجردي في قمّ)، وراح يشكل على السيّد الخوئي﵀ الذي أحاله على شابٍّ يحضر درسه قائلاً له: اطرح إشكالاتك على ذلك الشاب فإن لم يجبك فتعال لأجيبك.

فاستغرب السيّد الكوكبي من ذلك، ولكنّه طرح إشكالاته على الشاب المشار إليه فلم يفهم الشاب ماذا يقول لأنّه طرحها عليه بالتركيّة على ما يبدو (لأنّ السيّد الصدر﵀ كان يفهم الفارسيّة)، فأعاد طرحها بالعربيّة، فأجابه عنها بأجوبة متينة، الأمر الذي أدهش السيّد الكوكبي، فسأله عن اسمه فقال له: محمّد باقر، فسأله عن نسبه فأجاب بأنّه ابن السيّد حيدر الصدر ابن السيّد إسماعيل..(انظر القصّة ضمن أحداث سنة ١٣٩٤هـ).

ومحلّ الشاهد في هذه القصّة أنّ أحد ناقلي القصّة قد ذكر أنّ السيّد الصدر﵀ لم يكن في وقتها معمّماً. ولمّا كنّا نجزم بأنّ السيّد الصدر﵀ لم يتأخّر في وضعه العمامةَ إلى ما بعد ١٣٦٨هـ أو أوائل سنة ١٣٦٩هـ فهذا يعني أنّه كان يحضر درس السيّد الخوئي﵀ في تلك الفترة.

ولكنّ الاستدلال بهذه القصّة في غير محلّه، وذلك لأسباب عديدة عمدتها أنّ السيّد الكوكبي حضر بحث الاستصحاب من الدورة الثالثة وقرّر ذلك المبحث (نبذة من حياة السيّد الكوكبي: ٣١)، ووقع الفراغ من تسويده ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٧٥هـ من الهجرة النبويّة (مباني الاستنباط، الصفحة الأخيرة). وإذا كانت الدورة الثالثة تنتهي بتاريخ ١٥/ج١٣٧٥/٢هـ (دراسات في علم الأصول ٤: ٤٤٤)، وكان نصيب الاستصحاب ربع الدورة، فهذا يعني أنّ السيّد الكوكبي قد حضر تقريباً في صفر من العام ١٣٧٤هـ والحال أنّه لم يقع نزاعٌ في أنّ السيّد الصدر﵀ كان حاضراً في درس السيّد الخوئي﵀ في هذه الفترة.

ومن هنا نقطع بأنّ هذه القصّة لو ثبت أصل وقوعها، فإنّها لا تدلّ على المطلوب، لأنّها وقعت عام ١٣٧٤هـ لا في النصف الثاني من الستّينات الهجريّة.

المختار

كانت النفسُ تميل إلى حضور السيّد الصدر﵀ بحث الخارج سنة ١٣٦٥هـ، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار ـ إضافةً إلى ما تقدّم ـ أنّ السيّد الصدر﵀ بلغ درجة الاجتهاد قبيل بلوغه أو حين البلوغ، أي ما يقرب من سنة ١٣٦٧هـ أو ١٣٦٨هـ وأنّ السيّد الخوئي﵀ أخبر عن اجتهاده وهو في الرابعة عشرة من عمره (العمر المذكور تاريخٌ للاجتهاد وليس تاريخاً للإخبار).. إلى أن ظهرت مجموعة من الأمور دفعتها إلى الميل نحو كون حضوره سنة ١٣٦٩هـ ، وأنّه حصّل ملكة الاجتهاد في مرحلة السطوح، بعد أن كانت سطوحه تختلف عن سطوح الآخرين وتتاخم خارجهم، ولنا

على ما نقول قرائن:

١ ـ أنّ السيّد إسماعيل الصدرؒ ذكر في رسالته إلى السيّد عبد الحسين شرف الدينؒ بتاريخ ١٥/ذي الحجّة/١٣٦٨هـ أنّ أخاه السيّد محمّد باقر فرغ اليوم من الجزء الثاني من (الكفاية). ومن الطبيعي أن يكون قد شرع في بحث الخارج أوائل محرّم/١٣٦٩هـ حين استئناف الدروس بعد عطلة محرّم.

ثمّ إنّ السيّد إسماعيلؒ ذكر للسيّد شرف الدين أنّه ـ هو ـ يحضر عند خاله، ولم يتعرّض إلى حضور أخيه السيّد الصدرؒ. وهذا في نفسه يضعّف أن يكون الأخير قد حضر بحث الخارج في عرض دراسته السطوح كما هو مختار البعض.

٢ ـ ما ذكره لي الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م نقلاً عن السيّد عبد الكريم الأردبيلي ـ ويأتي إن شاء الله تعالى ضمن أحداث سنة ١٣٧٤هـ ـ من أنّ الأخير لمّا علم من السيّد موسى الصدر أنّه كان يتباحث مع ابن عمّه السيّد محمّد باقرؒ، تعجّب من ذلك وقال له: «لقد تركناه وهو يدرس اللمعة». وقد جاء في السيرة الذاتيّة للسيّد الأردبيلي أنّه سكن النجف بين ١٣٦٤ وبين ١٣٦٨هـ، وهذا يعني أنّ السيّد الصدرؒ لم يكن قبل سنة ١٣٦٨هـ يحضر الخارج.

٣ ـ ذكر لي السيّد محمّد صادق الروحاني بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٩م أنّه هاجر إلى إيران سنة ١٣٦٩هـ ولم يترك درس السيّد الخوئيؒ إلاّ ليوم أو يومين قبل سفره، ولم يكن في ذلك الوقت يرى السيّد الصدرؒ في الدرس.. إلاّ أن يقال بعدم المساوقة بين عدم الرؤية وبين عدم الحضور، وهو ما قد يكون بعيداً بالنسبة إلى حجم درس السيّد الخوئيؒ في حينها.

٤ ـ جاء في (أعيان الشيعة): «كان في السادسة عشرة من عمره يزامل في الدراسة كبار العلماء عند آل ياسين» (أعيان الشيعة ٩: ١٨٤)، وهذا ظاهرٌ في أنّه بدأ يزاملهم في السادسة عشرة، وإن لم يكن ـ بحسب الدقّة المنطقيّة ـ نافياً للمزاملة قبل ذلك.

٥ ـ يأتي في المتن إن شاء الله تعالى أنّ الدرس الذي أحضر فيه السيّد الصدرؒ الثمرة الفقهيّة للشيخ آل ياسينؒ كان في بيت خاله. وقد ذكر الدكتور محمّد حسين آل الصغير أنّ الشيخ آل ياسين كان له درسان: أحدهما في «عنفوان كهولته» في مقبرة آل ياسين، والآخر «عند كبره وشيخوخته المبكّرة» وكان ذلك في غرفة متواضعة في داره، وكان مقتصراً على المجتهدين من أهل العلم (أساطين المرجعيّة العليا: ١٥). وهذا يعني أنّ حادثة الثمرة الفقهيّة كانت في المرحلة المتأخّرة من حياة الشيخؒ، وفي البحث الذي عقده في داره. وقد توفّي الشيخؒ في ٢٨/رجب/١٣٧٠هـ.

وقد أكّد لي الدكتور آل الصغير بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١٤م أنّ السيّد الصدرؒ لم يكن يحضر في درس الشيخ محمّد رضا آل ياسينؒ عندما كان يصطحب جدّه الشيخ حسين الصغير إلى الدرس، وإنما كان أخوه السيّد إسماعيل الصدرؒ (اهـ). ولسنا ندري هل تفيد رسالة السيّد إسماعيل الصدرؒ إلى السيّد عبد الحسين شرف الدينؒ (المتقدّمة ضمن أحداث سنة ١٣٦٩٨هـ) أنّ درس الشيخ آل ياسينؒ كان قائماً في تلك السنة أم لا، هذا إذا كان المراد فيها من (شيخنا الخال) الشيخ محمّد رضا آل ياسينؒ لا الشيخ مرتضىؒ، واللذين حضر السيّد إسماعيلؒ عندهما معاً.

وبعيداً عن هذا: لمّا كان بحث الشيخ آل ياسينؒ الذي أتى فيه السيّد الصدرؒ بالثمرة الفقهيّة يدور حول مسائل باب (الطهارة)، وكانت التعليقات التي كتبها الشيخ محمّد حسن آل ياسين ـ في مجلس والده الذي شرع به سنة ١٣٦٩هـ ـ حول (الطهارة) أيضاً، بل واشتملت على الثمرات الفقهيّة المتعلّقة بزوال عين النجاسة عن الحيوان..

ولمّا كان من البعيد أن يكون الشيخ آل ياسين قد درّس الطهارة في آخر حياته مع أنّ بابها من أوائل أبواب الفقه...

بعد هذا كلّه، فإنّ أغلب الظنّ الذي يشارف أبواب اليقين هو أنّ السيّد الصدرؒ حضر سنة ١٣٦٩هـ في مجلس خاله الذي عقده للتحشية على كتاب (العروة الوثقى)، لا في بحثه الفقهي الذي مارسه في مرحلة متقدّمة من حياته.

أمّا الروايات التي نقلناها والتي يُستفاد منها خلاف ذلك، فليس هناك ما يدعونا للأخذ بها مع وجود القرائن التي أوردناها، خاصّةً وأنّني قد عاينتُ عدم دقّة الرواة في موارد أخرى. بل إنّ (التشطيبات) التي جاءت في ما كتبه السيّد الصدرؒ دليلٌ على أنّه كان متردّداً ولم يكن متأكّداً من سنة حضوره دروس الخارج أو حتّى سنة شروعه هو في تدريس الخارج.

الحضور في مجلس تحشية الشيخ آل ياسينرحمه الله

في هذه السنة، ونزولاً عند إلحاح وطلب شديدين، شرع الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله في تجديد النظر في حواشيه المطبوعة على كتاب (العروة الوثقى) للسيّد محمّد كاظم اليزدي رحمه الله، وذلك تمهيداً لإعادة طبعها بعد أن كانت طبعتها الأولى قد نفذت.

وعندما بلغ النبأ أسماع النخبة من طلاّبه رغبت أن يضرب لها موعداً معيّناً من كلّ ليلة للحضور والتلمذة عليه في ذلك. وكان نجله الشيخ محمّد حسن آل ياسين يسجّل تلخيصاً مركّزاً للتعليقات والشروح والمناقشات لدى قراءة كلّ مسألة من كتاب (العروة) إلاّ ما حال دونه حائل.

وكانت تعليقات الشيخ آل ياسين رحمه الله قائمة على منتهى ما يُمكن من الإيجاز والاختصار وملتزمةً بعدم الخوض في الاستدلال على المباني الأصوليّة المذكورة خلالها، وذلك لأنّ حضّار هذا المجلس الفقهي لم يكن فيهم من يحتاج إلى هذه التفاصيل لاطّلاعهم التام على مباني أستاذهم رحمه الله[(١)].

وممّن حضر هذا المجلس ـ الذي عقد في غرفة في دار الشيخ آل ياسين رحمه الله ـ : الشيخ حسين الصغير، الشيخ عبّاس الرميثي، السيّد محمّد باقر الشّخص، الشيخ محمّد تقي آل صادق العاملي النجفي، الشيخ محمّد طه الحويزي الكرمي، الشيخ محمّد علي الخماميسي، السيّد محمّد صادق الصدر، الشيخ محمّد طاهر الشيخ راضي، السيّد محمّد تقي بحر العلوم، الشيخ محمّد إبراهيم الكرباسي، السيّد عبد الكريم عليخان المدني، السيّد إسماعيل الصدر[(٢)]، الشيخ صدرا البادكوبي[(٣)]، الشيخ محمّد حسن آل ياسين[(٤)]، السيّد [حسين الموسوي] الخادمي والسيّد محمّد باقر الصدر الذي كان يحضر في الدرس رغم صغر سنّه ويقرّر دروس الشيخ آل ياسين رحمه الله[(٥)]، وكان السيّد عبد الرحيم

وقد ذكر الشيخ محمّد رضا النعماني في رسالته ـ التي استقى معلوماتها من السيّد الصدر رحمه الله على ما يبدو ـ أنّه رحمه الله قد حضر بحث خاله الشيخ آل ياسين وبحث السيّد الخوئي رحمهما الله وهو لم يتجاوز منتصف العقد الثاني من عمره. والسيّد الصدر رحمه الله يبلغ منتصف عقده الثاني أواخر ١٣٦٨هـ، فيكون ما فهمناه قريباً ممّا ذكره الشيخ النعماني. كما ورد التصريح في الرسالة نفسها أنّ السيّد الصدر رحمه الله حين أتى بالثمرة الفقهيّة لم يكن قد تجاوز السابعة عشر من عمره، وفي رسالة السيّد محمّد الغروي أنّ عمره كان سبعة عشر عاماً.

فمع العلم بأنّ مجلس الشيخ آل ياسين رحمه الله افتتح سنة ١٣٦٩هـ نجد أنّ الصحيح ما تبنّيناه وهو ما استقربه السيّد محمّد الحسيني (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٦).

نعم؛ غاية ما في الأمر أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان مجتهداً عند حضور بحث الخارج، ويؤيّده ـ إضافةً إلى ما ذكرناه ضمن أحداث سنة ١٣٦٨هـ تحن عنوان (استقلال السيّد الصدر رحمه الله بالرأي) ـ تأليفه (غاية الفكر) سنة ١٣٧١هـ، والرسالة التي أرسلها في تلك السنة ـ سنة ١٣٧١هـ ـ إلى عمّه السيّد صدر الدين الصدر رحمه الله، والتي يظهر منها أنّ لديه مبانيه العلميّة الخاصّة. وإذا كنّا نقطع باجتهاده سنة ١٣٧١هـ فليس من البعيد افتراض ذلك سنة ١٣٦٩هـ، ولسنا نتحدّث هنا عن موارد استصحاب العدم الأزلي التي لا طائل من وراء الاحتكام إليها في البحث التاريخي.

(١) دراسات فقهيّة على هامش كتاب العروة الوثقى: ٥ ـ ٧.

(٢) أساطين المرجعيّة العليا: ١٦.

(٣) أسرة آل الصدر: ٢٠٥.

(٤) دراسات فقهيّة على هامش كتاب العروة الوثقى: ٦.

(٥) مقابلة مع السيّد [حسين] الخادمي (قدس سره)؛ وانظر أيضاً: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٩. وذكره أيضاً ضمن طلاّب الشيخ في: موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٧٠٨. ولم يذكره في (دراسات

الشوكي يلتقي بالسيّد الصدر‏ في بيت خاله الشيخ آل ياسين‏ حيث كان الأوّل من مقلّديه[١]، وكان الشيخ مرتضى آل ياسين‏ يحضر المجلس أيضاً ولكن لا بعنوان التلمذة[٢].

وكان السيّد إسماعيل الصدر‏ يسافر أحياناً إلى الكاظميّة، وكان في الوقت نفسه حريصاً على أن لا يفوته شيءٌ من أبحاث خاله، فكان يوصي أخاه السيّد محمّد باقر بأن يدوّن له الأبحاث.

وفي مرّة من المرّات، عاد السيّد إسماعيل‏ من السفر وطالب أخاه بما كتب من درس الشيخ آل ياسين‏، فقدّم له السيّد الصدر‏ ما كتب، فأخذها السيّد إسماعيل وعرضها على الشيخ آل ياسين‏ الذي وجد أنّ هذه الكتابة ليست عبارة عن كتابة حرفيّة للمطالب، وإنّما هي كتابة رجل مستوعب للمطالب بمنهجة وتبويب واستيعاب[٣].

وذات مرّة مرض السيّد إسماعيل‏ فطلب من أخيه حضور الدرس، فرجع‏ وقد حفظ الدرس ولم تفته منه أيّة نكتة علميّة، وأملاها على أخيه[٤]. ويُحتمل أن ترجع هذه الحادثة إلى ما قبل حضور السيّد الصدر‏ بحث خاله.

الثمرة الفقهيّة في مجلس الشيخ آل ياسين‏

كان الشيخ محمّد رضا آل ياسين‏ ـ [قبل اطّلاعه على تقريرات السيّد الصدر‏ لبحثه] ـ يظنّ أنّ حضور ابن أخته إنّما هو حضورٌ تشريفيٌّ وليس لغرض التحصيل العلمي، وذلك لأنّ عمره لم يكن يتناسب مع مستوى بحث الخارج [وكان يظنُّ أنّ حضور السيّد الصدر الدرسَ إنّما لأنّه يودُّ زيارة بيت خاله باعتبار أنّ الدرس كان في البيت][٥].

ولم تكن شخصيّة السيّد الصدر‏ العلميّة وقابليّاته الذاتيّة معروفةً لدى الشيخ الخال، حيث كان‏ يكتفي بالاستماع إلى أبحاث أستاذه، ويتجنّب المناقشة أو الاعتراض وهما أحد المنافذ التي يمكن للأستاذ أن يُقيّم مستوى تلاميذه من خلالها.

فقهيّة). ويُشار إلى أنّ هناك من ينفي حضور السيّد الصدر‏ في درس خاله الشيخ آل ياسين‏، ويعتبر أنّه كان يحضر إلى البيت باعتباره بيت خاله فحسب. ولنا على ما أثبتناه ـ مع قطع النظر عن الشياع ـ أمران: **أوّلهما:** ما ورد في الوثيقة رقم(٤) حيث جاء: «آية الله العظمى الشيخ محمّد رضا آل ياسين (تنقل القصّة)». **والثاني:** أنّ السيّد الصدر‏ استعرض في ثلاثة موارد من كتابه (غاية الفكر) بعض الآراء الأصوليّة ونسبها إلى «بعض مشايخنا المحقّقين» (انظر: غاية الفكر: ٦٨، ٦٩، ١٣٦، ط المؤتمر العالمي)، وقد ذيّلت اللجنة العلميّة في المؤتمر العالمي هذه الموارد بقولها: «لم نعثر عليه». ولكن يبدو أنّه الشيخ محمّد رضا آل ياسين‏، وأغلب الظنّ أنّ السيّد الصدر‏ استفاد هذه الآراء من مجلس التحشية هذا حيث تعرّض الشيخ آل ياسين في درسه الفقهي إلى بعض مسائل العلم الإجمالي المثبتة في آخر كتاب (دراسات فقهيّة).

(١) مقابلة مع السيّد عبد الرحيم الشوكي (‏).

(٢) مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (‏).

(٣) مجلّة شؤون إسلاميّة، العدد (٨ ـ ٩): ١٨٥، مقابلة مع السيّد حسين هادي الصدر ؛ مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (‏).

(٤) خواطر محفوظة بدون سند (‏).

(٥) ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (‏).

وعلى هذا الأساس كان الاعتقاد السائد هو أنّ حضور السيّد الصدر رحمه الله بحث خاله كان حضوراً شكليّاً[١]، بل إنّ الحاضرين كانوا يظنّون أنّ السيّد الصدر إنّما يأتي إلى الدرس صحبةً لأخيه الأكبر السيّد إسماعيل رحمه الله لا أكثر[٢]، في حين كان السيّد الصدر رحمه الله يحضر كغيره من الفضلاء ولكنّ تقدّمهم عليه في السن كان يمنعه من الحديث، وكم كان يخطر بباله من إشكالات على بحث خاله ولكنّه كان يحجم عن الحديث للسبب المذكور[٣].

وقد انتهى بحثُ الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله يوماً إلى مسألة أنّ الحيوان هل يتنجّس بعين النجس ويطهر بزوال العين أو لا يتنجّس بعين النجس أصلاً؟[٤]، لا إلى مسألة مقدّمة الواجب كما احتُمل[٥].

وقد ذكر الفقهاء أنّ الحيوان ـ غير الإنسان ـ إذا لاقى جسمه عين النجاسة، فإنّه يطهر بمجرّد زوال هذه العين دون الحاجة إلى تطهيرها بالأساليب المعهودة.

وقد قيل: إنّه لا ثمرة في القول بذلك، واحتُمل أنّ مراد القائل هو عدم تنجّس الحيوان من رأس بملاقاة عين النجاسة، لا أنّه يتنجّس ولكنّه يطهر بمجرّد زوال العين.

وقد دفع الشيخ الأنصاري رحمه الله ذلك بأنّ عدم ظهور الثمرة لا يقتضي رفع اليد عن القواعد، فإذا اقتضت القاعدة العمل بالعموم في انفعال كلّ ملاقي للنجس وجب القول به. وإذا دلَّ الدليل على عدم ترتّب أحكام النجاسة بعد زوال العين حكم بطهارة المحلّ بعد النجاسة، ثمّ قال رحمه الله: «**مع أنّ الثمرة في بعض الموارد ربّما تظهر للمتأمّل**»[٦].

وبعد أن ذكر الشيخ آل ياسين رحمه الله كلام الشيخ الأنصاري رحمه الله أضاف: «**إنّ أستاذنا المرحوم السيّد إسماعيل الصدر حينما انتهى بحثُه إلى هذه المسألة طلب من تلاميذه أن يبيّنوا ثمرة الفرق بين القولين، فبيّنّا له ثمرةً في ذلك. وأنا الآن أطلب منكم أن تأتوا لي غداً بعد التفكير والتأمّل بثمرة القولين**».

فقصد السيّد الصدر رحمه الله في اليوم التالي[٧] بيت خاله الشيخ آل ياسين رحمه الله وقال له: «**إنّي جئت بثمرةٍ للقولين**»، فتعجّب الشيخ رحمه الله من ذلك لأنّ صغر سنّ السيّد رحمه الله وقتئذ كان يوحي إلى الشيخ آل ياسين ـ وكما كرّرنا ـ بأنّ حضوره مجلس الدرس ليس حضوراً اكتسابيّاً بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإنّما هو حضورٌ ترفيهي.

ولمّا ذكر السيّد الصدر رحمه الله ما لديه من ثمرة، دُهش الشيخ آل ياسين رحمه الله وقال له: «**من كتب هذا؟!**»،

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٧ ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٥٥ حيث الإشارة إلى ما ينقله السيّد كاظم الحائري والسيّد عبد الكريم القزويني والسيّد محمود الخطيب.

(٢) ذكر لي ذلك السيّد علي أكبر الحائري بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٨م.

(٣) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي)، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله (قدس سره).

(٤) دراسات فقهيّة على هامش كتاب العروة الوثقى: ٢٥٦.

(٥) زندگی نامه شهید آیت الله صدر (فارسي): ١١ ـ ١٢.

(٦) كتاب الطهارة (تراث الشيخ الأعظم رحمه الله) ١: ٣٨٠.

(٧) وقيل: في اليوم نفسه، وإنّه أتى بعدّة ثمرات. صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديثٍ مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله.

فقال «**أنا**»، فقال الشيخ: «**أحسنت، أحسنت، بارك الله بك، أعد بيان الثمرة لدى حضور باقي الطلاّب**».

وحينما حضر الطلاّب الآخرون طالبهم الشيخ آل ياسين‏‏ بالثمرة، فلم يتكلّم منهم أحد، [وسكت السيّد الصدر‏ خجلاً لأنّه لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره][1]، فقال الشيخ: «**إنّ السيّد محمّد باقر لديه جواب**».

فظنّ الطلاب أنّه السيّد محمّد باقر الشخص‏، فاستغرب السيّد الشخص لأنّه لم يستحضر جواباً وقال للشيخ آل ياسين: «**عفواً شيخنا، البارحة كنت منشغلاً ولم يكن لديّ وقت للتحضير**»، فقال الشيخ: «**لا، باقرنا باقرنا، فإنّه أتى بثمرة للخلاف غير الثمرة التي نحن أتينا بها إلى أستاذنا**».

وشرع السيّد الصدر‏ في بيان جوابه ليثير إعجاب الحاضرين من أكابر العلماء لعدم سماعهم بمثل هذه الثمرة، حتّى قال الشيخ آل ياسين‏: «**إنّ السيّد إسماعيل الصدر حينما طلب منّا التفكير في الجواب لم يجب أحدُ على سؤاله سوى عمّك السيّد محمّد مهدي الصدر وأنا، وجوابك هذا لم نسمع به**»[2]، «**أحسنت، فقد أصبت بما أجبت، لا فضّ فوك، ونفع الله بك**»[3].

وبعد ذلك تمّت مناقشة هذه الثمرة في مجلس الدرس من قبل بعض الفضلاء، إلاّ أنّ الشيخ آل ياسين‏ أمضى الجواب[4]، بل قيل: إنّه أتى بثمرتين أو ثلاث[5].

ولسنا نعلم ما هي الثمرة أو الثمرات الفقهيّة التي أتى بها السيّد الصدر‏، ولكن حيث إنّ الشيخ آل ياسين‏ قد أقرّها وقرّرها، فالظاهر أنّها إحدى الثمرات المذكورة في تقرير بحثه. والثمرات هي:

الأولى: جريان الاستصحاب على الأوّل ـ أي تنجسّ الحيوان وطهارته بزوال العين ـ دون الثاني ـ أي عدم تنجسّه من أصل ـ ، فلو لاقى جسد الحيوان ماءً قليلاً وشكّ في كونه حين الملاقاة حاملاً للنجاسة أو أنّها قد زالت قبلها، فعلى القول بالتنجّس تستصحب النجاسة فيكون الماء نجساً، وعلى القول بعدم التنجّس لا تثبت نجاسة الماء إلاّ على نحو مثبت[6].

الثانية: ما لو ذكّي حيوانٌ على بدنه نجاسة كانت قد جفّت قبل موته، فإن قلنا بعدم التنجّس كان

---

(١) ما بين [] من: ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٢) انظر حول القصّة: أسرة آل الصدر: ٢٠٥ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٦ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٦ ـ ٦٨ ؛ مجلّة شؤون إسلاميّة، العددان (٨ ـ ٩)، ١٤٢١ ـ ١٤٢٢ هـ: ١٨٥ ؛ الشهيد الصدر الفيلسوف الفقيه: ٥٣ ـ ٥٤ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر‏ ؛ لقاء مع السيّد عبد الكريم القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١١م نقلاً عن السيّد إسماعيل‏ كذلك ؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (حفظه الله) ؛ ترجمة السيّد الصدر للشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله) ؛ ترجمة السيّد الصدر‏، السيّد محمّد الغروي (حفظه الله)، نقلاً عن السيّد الصدر‏ أثناء ذهابهم إلى كربلاء ؛ السيّد محمود الهاشمي في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد كاظم الحائري والسيّد حسين هادي الصدر (حفظه الله) ؛ مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (حفظه الله) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٣٨.

(٣) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر‏ (السيّد محمّد القمّي)، نقلاً عن السيّد الصدر‏ (حفظه الله).

(٤) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد حسين الصدر.

(٥) السيّد محمود الهاشمي في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد كاظم الحائري والسيّد حسين هادي الصدر (حفظه الله).

(٦) أي إلاّ بما يُعرف عند الأصوليّين بالأصل المثبت، وربّما ذهب أكثرهم إلى عدم مثبتيّة اللوازم العقليّة، ومن هنا قيل: إنّ الأصل المثبت غير مثبت.

الجلد طاهراً ويكفي الحكّ وأمثاله في إزالة النجاسة الجافّة. وإن قلنا بالتنجّس كان جلده محكوماً بالنجاسة لعدم زوالها حال حياته، فلا بدّ من الماء لتطهيرها.

الثالثة: ما لو ذكّي حيوانٌ وأخذ جلده وكان عليه نجاسة ما، فإن قلنا بعدم التأثّر جازت الصلاة بهذا الجلد باعتباره من المحمول المتنجّس، كالثوب الذي يحمل عين نجاسة جافّة. وإن قلنا بالتأثّر لم تجز الصلاة به لأنّه بمنزلة الثوب المتنجّس.

الرابعة: ما لو قطعنا بزوال نجاسة ما عن جلد حيوان معيّن، ولكن شكّ في أنّ هذا الزوال قد تحقّق حين اتّصال الجلد بالحيوان أو بعد انفصاله عنه. فإن قلنا بالتنجّس جرى استصحاب النجاسة، وإن قلنا بالعدم كان طاهراً.

الخامسة: ما لو تولّد حيوانٌ لا اسم له من كلب وخنزيرة مثلاً، فإنّ استصحاب النجاسة فيه تابعٌ للقول بتنجّس بدن الحيوان.

وقد ذيّل الشيخ آل ياسين رحمه الله ذلك بقوله: «**ولا يخفى أنّ المختار بحسب المباني الأساسيّة عدم التنجّس أصلاً، عملاً باستصحاب الطهارة، وإن كان القول به بعيداً جدّاً بحسب الذوق**»[1].

حضور درس السيّد الخوئي رحمه الله

وقد حضر السيّد الصدر رحمه الله درسه أصولاً وفقهاً، وكان بحث السيّد الخوئي رحمه الله الفقهي آنذاك في (المكاسب)[2].

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: «**لقد طرحتُ عليه يوماً هذا السؤال: أنّه لماذا لا يحضر درس الخارج للإمام الحكيم ويحضر درس الخارج للإمام الخوئي؟! وكان يعني أنّ الحضور إذا كان للتكريم أو التشريف (لأنّه قد استغنى عن الحاجة العلميّة للحضور وكان يدرّس الخارج حينذاك[3])، فدرسُ الإمام الحكيم أولى بذلك لما أعرفه من موقعٍ للإمام الحكيم في نفسه. فذكر أنّ حضوره لدى الإمام الخوئي إنّما هو وفاءٌ له، لأنّه لا يمكن أن يقدّم خدمةً للإمام الخوئي إلاّ من خلال هذا الحضور، حيث إنّ موقفه وعمله كان إلى جانب مرجعيّة الإمام الحكيم حينذاك. واستدرك أنّه إذا كنتَ ترغبُ بذلك فأنا على استعداد للحضور في درس الإمام الحكيم، فاعتذرت منه**»[4].

وفي جواب عن سؤال وجّهه إليه الشيخ علي أصغر المسلمي سنة ١٣٩٠هـ بعيد وفاة السيّد الحكيم رحمه الله، قالَ السيّد الصدر رحمه الله ضمن ما قاله: «**عندما حضرت بحث السيّد الخوئي حضرت حضور استشكال، لا حضور تفهّم**»[5].

---

(١) دراسات فقهيّة على هامش كتاب العروة الوثقى: ٢٥٦.

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (رحمه الله) ؛ معجم رجال الحديث ٢٣: ٢٢ تحت عنوان (أبو القاسم بن علي أكبر) ؛ مصباح الفقاهة ١: ٧، ٩.

(٣) ما يعني أنّ ذلك كان عام ١٣٧٨هـ لا قبله، أي بعد تركه درس الأصول وقبل تركه درس الفقه.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٥) مقابلة مع الشيخ علي أصغر المسلمي (حفظه الله) ؛ انظر الحادثة بالكامل ضمن أحداث سنة ١٣٩٠هـ تحت عنوان (السيّد الصدر رحمه الله يرفض التصدّي للمرجعيّة في هذه المرحلة).

مكانة السيّد الصدرﷺ عند السيّد الخوئيﷺ

١ ـ كان السيّد الصدرﷺ يحضر درس أستاذه السيّد الخوئيﷺ مع بقية الدارسين، ثمّ يعود إلى التأمّل في ما ألقي عليه، وكثيراً ما كان يطرق باب أستاذه ليلاً ليودعه مناقشةً مكتوبةً لآرائه ليعود صباحاً ويتلقّى تعليقات أستاذه على المناقشة مكتوبةً على الورقة نفسها، وقد يتابعان المناقشةَ قبل خروج الأستاذ إلى درس الفقه الصباحي، وقد تحتدم المناقشة بينهما لفترة طويلة دونما انقطاع إلى أن يحين وقت الدرس[1].

٢ ـ وقد ذكر السيّد الصدرﷺ: «**المرّة الأولى التي تكلّمت فيها في مجلس السيّد الخوئي أوردت على السيّد الخوئي ستّة إشكالات**»، فسأله السيّد حسين الصدر: «**فماذا صنع؟**»، فأجابﷺ: «**سلّم ببعضها وردّ بعضها واستمهل للتفكير في بعضٍ آخر**»[2].

٣ ـ وينقل السيّد حسين الصدر أيضاً عن السيّد إسماعيل الصدرﷺ أنّ السيّد الخوئيﷺ في بحث من أبحاثه الأصوليّة أشار إلى رأي وقال: «**خلافاً للفاضل المعاصر**» وأشار إلى السيّد الصدرﷺ[3].

٤ ـ يقول السيّد محمّد باقر الحكيمﷺ: «**حدّثني أنّه كان يراجع الإمام الخوئي ليلاً في داره القريبة لمنزل الشهيد الصدر، وذلك لمتابعة ومناقشة بعض مسائل الدرس، وقد طال النقاشُ مرّةً حتّى انفضّ جميعُ الحاضرين ولم يبقَ إلاّ هو والسيّد الأستاذ ـ كما كان يعبّر عن الإمام الخوئي ـ. واحتدم النقاش بينهما في هذه الخلوة حتّى ضاق الخادم بذلك، فدخل عليهما لينقذَ السيّد الأستاذ من هذا الطالب الذي ظنّه مزعجاً، ولا سيما بعد أن كان قد علا الصوتُ في النقاش، وإذا بالسيّد الأستاذ يبادر الخادم ويمنعه من التدخّل ويصرفه ليستمرَّ النقاشُ إلى نهايته الطويلة، وقد كان يستمرُّ في بعض الأحيان عدّةَ أيّام لمراجعة مسألة واحدة.**

وقد كان يذكر الشهيد الصدر مثالاً لذلك إشكالاته وملاحظاته حول موضوع (استصحاب الحكم الشرعي) الذي لم يكن يقول الإمام الخوئي بحجيّته على خلاف مذهب الشهيد الصدر فيه، حيث يذكر الشهيد الصدر أنّ الإشكالات العديدة المذكورة في تقريرات السيّد الخوئي حول الاستصحاب (تقريرات الشهيد آية الله السيّد محمّد سرور الواعظ) إنّما هي إشكالاته التي كان يثيرها لدى السيّد الخوئي. وقد كان يسمح له الإمام الخوئي بالنقاش حتّى ينتهي أحياناً إلى تغيير رأيه كما هو الحال فيما ذكره الشهيد الصدر لي في مسألة وجوب صلاة الجمعة تعييناً عند النداء إليها وإقامتها»[4].

---

(١) الشهيد الثالث السيّد محمد باقر الصدر، إطلالة على الذات والخصوصيّة، الشيخ جعفر المهاجر، مجلة المنطلق، العدد (٢٠): ١٦ ـ ١٩، نقلاً عن السيّد الصدرﷺ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٨، نقلاً عن المصدر ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٧.

(٢) مجلّة شؤون إسلاميّة (٨ ـ ٩) : ١٨٤ ـ ١٨٥، مقابلة مع السيّد حسين هادي الصدر، نقلاً عن السيّد الصدرﷺ ؛ وانظر: مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (ﷺ)، نقلاً عن السيّد الصدرﷺ.

(٣) مجلّة شؤون إسلاميّة (٨ ـ ٩): ١٨٥ ؛ وانظر أيضاً: مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدرﷺ (السيّد محمّد القمّي) نقلاً عن السيّد الصدرﷺ (ﷺ) ؛ وقد نقل لي ذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٢م عن أحد تلامذة السيّد الخوئيﷺ من الطبقة القديمة، وقد طلب هذا الطالب من السيّد الخطيب عدم ذكر اسمه، وقد جاء في نقله أنّ السيّد الخوئيﷺ بعد أن نقل الرأي، التفت إلى يمينه ثمّ قال: «خلافاً للفاضل الحاضر» لا «المعاصر».

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٢ ـ ٥٣. وانظر: الفتاوى الواضحة، ط المؤتمر:

ومن باب المناسبة نشير إلى أنّ السيّد الصدر كان من القائلين بالتخيير بين إقامة صلاة الجمعة وبين إقامة صلاة الظهر، ولكنْ إذا أقيمت الجمعة وجب الحضور، وكان أحدُ العلماء القائلين بالوجوب العيني يقيمُها في السرداب، فأخبر السيّد الصدر بذلك، فحضر الأخير مرّتين وصلّى معه الجمعة، ثمّ تباحث معه في المسألة فعدل عن رأيه وعن إقامتها[١].

كما أنّه ناقش أحد العلماء القائلين بوجوب الإحرام من الميقات للعمرة المفردة، خلافاً للمشهور القائل بكفايته من أدنى الحل. فنقض عليه السيّد الصدر بأنّه يلزم من قوله هذا بطلان عمرة رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث ثبت أنّه صلى الله عليه وآله أحرم من (عُسفان) بين مكّة وبين المدينة، وهي ليست ميقاتاً بالإجماع[٢].

٥ ـ يقول السيّد عبّاس خاتم اليزدي ما ترجمته: «**عندما كنتُ أحضر درس السيّد الخوئي كان الشهيد الصدر يُشارك بشكل أساس في درس الفقه، ولم يحضر في درس الأصول إلاّ لمدّة قصيرة**[٣]**، وكان معروفاً بين فضلاء وحضّار درس السيّد الخوئي، وكان من الشخصيّات الجيّدة والفضلاء المعروفين والطلاّب الممتازين للسيّد الخوئي. وكان عندما يطرح الإشكالات على السيّد الخوئي أثناء الطريق أو في منزل الأخير، يجبره على البحث والتأمّل والتفكير، وكان ذلك أحياناً لا يرجع عليه بفائدة، فيبقى عاجزاً عن الجواب**»[٤].

٦ ـ وينقل السيّد كمال الحيدري في أحد دروسه عن أحد الطلبة الذين عاصروا السيّد الصدر ـ وكان معه في دروس السيّد الخوئي ـ أنّه كان في الدرس الواحد يستوعب ويتقدّم بمقدار ما نتقدّمه نحن في شهر كامل[٥].

٧ ـ يقول السيّد الصدر محدّثاً طلاّبه عن الإشكال الحقيقي: «**كنتُ أُشكل على السيّد الخوئي كثيراً، وكان السيّد حاضرَ الجواب لكلّ الإشكالات، وكنتُ أعجب بالسيّد الخوئي على إحاطته، فخطر ببالي أنّ الإشكال الذي أقدّمه ليس هو الإشكال الذي يقدَّم للأستاذ، فصرتُ أقرأُ الدرس قبل حضور الأستاذ وأفكّر في الإشكال، فإذا تنبّهتُ لإشكال كنتُ أفكّرُ في دفعه، وكنتُ إذا دفعته أفكّر أيضاً بإشكال جديد، ثمّ أفكّر بدفعه، وهكذا مرّتين أو ثلاث أو أربع، ثمّ يحصل الإشكال الذي ليس له جواب، فأقول هذا هو الإشكال، وعندئذٍ أقدّم إشكالي الذي لا جواب له عندي، وربّما يكون لا جواب له عند السيّد.**

٣٩٦، حيث يتحدّث السيّد الصدر عن ثلاثة أحكام: الوجوب التعييني لإقامة صلاة الجمعة في حال وجود سلطان عادل؛ الوجوب التخييري لإقامة صلاة الجمعة في حال العدم؛ الوجوب التعييني لحضور صلاة الجمعة في حال أقامها خمسةٌ فيهم شخصٌ عادل.

(١) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ١٦٣.

(٢) السيّد حسين هادي الصدر في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد كاظم الحائري (حفظهما الله). وانظر حول عمرته صلى الله عليه وآله من عُسفان: الكافي ٤: ٢٥١.

(٣) تفسيرُ هذا الكلام هو أنّ السيّد اليزدي حضر بحث التعادل والتراجيح من الدورة الثالثة التي تمّ الفراغ منها سنة ١٣٧٥هـ.

(٤) خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٦.

(٥) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

هذا هو الإشكال، لا كلّ ما يخطر في الذهن من البدوة الأولى.. العالم هو الذي يعرف العلم من أوّله إلى آخره، بحيث لو وجّهتَ له سؤالاً لكانت القاعدة في المسألة حاضرةً ليطبّقها على المصاديق، فإذا رأيتَ عالماً بهذه الصفة فهذا هو العالم المجتهد المؤهّل للجواب على المسائل المطروحة». ثمّ ذكر أمثلة كثيرة في الصلاة والصوم والحجّ والمواريث والفلسفة..[1]. وكان السيّد الصدر﴿ره﴾ يعتقد أنّ مقام السيّد الخوئي﴿ره﴾ الثبوتي أرفع من مقامه الإثباتي[2].

٨ ـ يقول السيّد محمّد حسين فضل الله: «**كنّا نلاحظ بالنسبة إلى السيّد الخوئي: كان إذا أشكل السيّد الصدر عليه في البحث يقرّر الإشكال للطلاّب ويردُّ عليه، وكان السيّد الصدر غالباً يأتي إلى السيّد الخوئي عندما يحضر الدرس بالليل فيتحدّث، فيشكل عليه قبل بداية الدرس، وكان السيّد الخوئي ينفتح عليه انفتاحَ الإنسان الذي يشعر بأنّ ما يقوله السيّد الصدر يمثّل قوّة علميّة يحتاج أن يردّها**»[3]. «**أخذ تعليقاتي ليطلع السيّد الخوئي [عليها] حسب ما قال لي ليدلّل السيّد له على أنّ في العرب طلاّباً جيّدين**»[4] «**حيث كان السيّد الخوئي يعتقد أنّ السيّد الصدر هو الفاضل العربي الوحيد**»[5].

٩ ـ وممّا يذكر حول مناقشاته مع السيّد الخوئي﴿ره﴾ أنّ السيّد الصدر﴿ره﴾ أورد على أستاذه بين الصلاة وبين الدرس ما يلي: «**إنّ الأصول العمليّة لا تجري بلحاظ الحكم الظاهري، حيث إنّ التنجيز والتعذير إنّما يكونان بلحاظ الواقع ولا مجال لجريان أصالة البراءة أو الاشتغال بلحاظ الحكم الظاهري، لأنّها إن جرت بلحاظ الحكم الظاهري على خلاف ما هي جاريةٌ بلحاظ الحكم الواقعي فلا بدّ من الأخذ بما جرى بلحاظ الواقع، وإن جرت بلحاظ الحكم الظاهري بالشكل المماثل لجريانها بلحاظ الواقع فهي لغوٌ، إذ كان جريانها بلحاظ الواقع مغنياً عن جريانها بلحاظ الظاهر**».

قال السيّد الصدر﴿ره﴾: «**إنّ كلامي هذا كان وفق مبنى السيّد الأستاذ القائل بعدم جريان الاستصحاب في الشبهة الحكميّة، فلا تبقى إلاّ أصالة البراءة والاشتغال، وقد قلنا: إنّهما إنّما يجريان بلحاظ الواقع. إنّ السيّد الأستاذ أجاب على الكلام بالنقض، فأجبتُ على النقض، فأتى بنقضٍ آخر وأجبتُ عليه، وهكذا إلى النقض السابع، فأجبتُ عليه وأخذ يفكّر في الموضوع، إلاّ أنّه حان وقت الدرس فبدأ بالتدريس وانقطعت سلسلة البحث في هذه المسألة**»[6].

ومن المناقشات التي جرت بين السيّدين الصدر والخوئي﴿رحمهما الله﴾:

---

(١) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٥١.

(٢) نگاهى به علم اصول در حوزه نجف، مصاحبه با آيت الله محمّد اسحاق فياض (فارسي)، مجله پژوهش وحوزه، شماره‍ ١٦: ٩٠.

(٣) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (﴿ره﴾) ؛ مواقف السيّد الخوئي من القضايا العامّة، الحياة، ٢٠٠٢/٤/٢٢م (موقع بيّنات) ؛ وقد أعاد السيّد فضل الله عليّ ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م ؛ وانظر قريباً منه في: من حديث السيّد محمّد حسين فضل الله حول العلماء: ١٢ ؛ ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديث مع صحيفة صوت العراق: ٢.

(٤) ذكرياتً السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديثٍ مع صحيفة صوت العراق:٢.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٦) مباحث الأصول ق٢، ١: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

م١: «وقد ذكرنا للسيّد الأستاذ هذا العلاج ـ أعني أخذ العلم بالجعل موضوعاً للمجعول ـ فأجاب عنه بما ذكر في (الدراسات) من أنّ جعل الحجّ مثلاً على المستطيع ليس جعلاً بشأن زيد إلاّ إذا استطاع زيد...»[(١)].

م٢: «وببالي ـ إن لم تخنّي الذاكرة ـ أنّي ذكرت هذا البيان للسيّد الأستاذ، فعدل عن فرض كون الرواية واردة فيما نحن فيه»[(٢)].

م٣: «وأظنّ أنّ السيّد الأستاذ كان يضمّ إلى هذا الوجه الوجه الأوّل، فبعد أن يبيّن أنّه لا معنى هنا لملاحظة الأهميّة...»[(٣)].

م٤: «وأتذكّر أنـّي أوردت هذا النقض على السيّد الأستاذ حينما كنت أحضر بحثه، فلم يأتِ بشيء...»[(٤)].

م٥: «ذكر السيّد الأستاذ أنـّه لا يمكن في المقام التفصيل بين البراءتين؛ ... وقد أوردت على السيّد الأستاذ: أنّكم ماذا تصنعون إذن في موارد الشبهات البدويّة، فإنّ البراءة الشرعيّة حسب كلامكم...

فأجاب السيّد الأستاذ عن ذلك بأنّنا...

وأوردتُ عليه ـ عندئذ ـ النقض بأنّه... وهنا توقّف السيّد الأستاذ عن الجواب»[(٥)].

م٦: «وأذكُر من بحث السيّد الأستاذ: أنّه حينما وقع في مثل هذا الشيء أجاب بأنّ المقصود من الارتكاز هنا إنّما هو ارتكاز قاعدة أنّ الشخص لا يرفع اليد عن طريق غير محظور إلى طريق محظور عندما يواجه طريقين من هذا القبيل، وهذه القاعدة لا إشكال في ارتكازيّتها...»[(٦)].

م٧: «الإشكال الرابع: ما أوردناه عليه، وهو: أنّ استصحاب عدم جعل الوجوب مثلاً... وأجاب على ذلك بأجوبة ثلاثة: الأوّل: أنّه لو عورض استصحاب... الثاني: أنّ استصحاب عدم جعل الوجوب... الثالث: أنّ استصحاب عدم جعل الإباحة... وهناك جواب رابع، وهو: أنّ استصحاب عدم جعل الإباحة...

وهذا الجواب ـ أيضاً ـ كان يريده، لكنّه أخيراً وقع الاتّفاق بيننا وبينه على بطلانه، وسوف يتبيّن حاله ـ إن شاء الله ـ في ما يأتي»[(٧)].

م٨: «ويمكن الإجابة على هذا الإشكال بوجهين: الوجه الأوّل: ما لا أتذكّر أنّه هل ذكره السيّد الأستاذ جواباً على ما أوردته عليه من هذا الإشكال أو لا، ... الوجه الثاني: ما ذكره السيّد الأستاذ جواباً على ما أوردته عليه من هذا الإشكال، وهو كأنّه جواب نقضي، وهو ...

أقول: تارةً يفرض أنّ الفقيه...»[(٨)].

م٩: «وقد أوردتُ هذا الإشكال على السيّد الأستاذ ولم أكن وقتئذٍ مقسّماً للبحث إلى فرض دعوى

---

(١) مباحث الأصول ق٢، ١: ٤١١.

(٢) مباحث الأصول ق٢، ١: ٤٢٥.

(٣) مباحث الأصول ق٢، ٣: ٦٢٩.

(٤) مباحث الأصول ق٢، ٤: ٧٢.

(٥) مباحث الأصول ق٢، ٤: ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٦) مباحث الأصول ق٢، ٥: ٤٤.

(٧) مباحث الأصول ق٢، ٥: ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٨) مباحث الأصول ق٢، ٥: ٢٠٤.

الاطمئنان تارةً ودعوى العلم الوجداني أخرى، فتراجع الأستاذ عن القول بثبوت العلم أو الاطمئنان الإجمالي بكذب بعض الفتاوى، وقال: إنّ هذا شيءٌ يتراءى في بادئ الأمر ويزول بالتأمّل»[١].

م١٠: «**بقي شيءٌ، وهو أنّ أصل الإشكال الذي أوردناه على السيّد الأستاذ من تعارض استصحاب عدم جعلٍ الحرمة مع استصحاب عدم جعل الإباحة؛ لثبوت الأثر بلحاظ الإفتاء والإسناد إلى الله تعالى إنّما يرد بناءً على حرمة نفس الإسناد غير المطابق للواقع إليه تعالى، وأمّا...**»[٢].

م١١: «**وقد اعترضتُ على السيّد الأستاذ بأنّ الإباحة... فأجاب: بأنّ استصحاب عدم الحرمة حاكم على استصحاب عدم جعل الحصّة الزائدة من الإباحة...**

فأوردتُ عليه: أنّه يستحيل كون أحد الضدّين غاية للضدّ الآخر ولو في باب الأحكام، وأنتم تعترفون بذلك، فكيف يعقل جعل الحرمة غاية للإباحة؟ فأجاب: بأنّ الغاية في قوله: «حتّى يرد فيه نهي» أو «اسكتوا عمّا سكت الله عنه» ليست هي الحرمة، وإنّما هي ورود الحرمة وبيانها، فيستصحب عدم بيانها.

وهذا الكلام ترد عليه ثلاثة إشكالات...»[٣].

١٠ ــ كما أنّ مناقشةً جرت بين السيّد الصدر رحمه الله وبين أستاذه السيّد الخوئي رحمه الله في مسائل الحجّ، فاستطاع رحمه الله أن يغيّر أكثر من عشر فتاوى للسيد الخوئي رحمه الله في موضوع الحجّ خلال ساعة واحدة أو ما يقارب ذلك[٤].

١١ ــ وقد دار نقاشٌ كتبيٌّ بين السيّد الصدر رحمه الله وبين السيّد الخوئي رحمه الله، فكان السيّد الصدر رحمه الله يُشكل والسيّد الخوئي رحمه الله يجيب حتّى المرّة العاشرة[٥].

١٢ ــ ونقل السيّد الصدر رحمه الله نفسه أنّه كان في مجلس تعزية يقيمه السيّد الخوئي رحمه الله كلّ يوم خميس وطرح الأخير مسألة ــ على الأغلب أصوليّة ــ فكان من السيّد الصدر رحمه الله أن أشكل عليه فردّ الإشكال، فأشكل ثانيةً فدفعه، فأشكل ثالثةً إلى بلغت الإشكالات عشرين أو يزيد، إلى أن توقّف السيّد الخوئي رحمه الله ولم يجب بشيء، وكان أحد مريدي الأخير القادم من إيران حاضراً وشاهد ما جرى، [ولم يكن يعرف السيّد الصدر رحمه الله على ما يبدو] فاعتبر ما جرى منافياً لآداب اللياقة، فقال للسيّد الخوئي رحمه الله: «**كيف يتسنّى لمثل هذا الشاب الصغير أن يجرؤ ويأخذ معكم في حوار كهذا؟!**»، فتبسّم السيّد الخوئي رحمه الله وقال ببساطة وخفّة روح: «**إنّ هذا السيّد لم يحاور ويناظر فقط كما رأيت، بل كانت له الغلبة والانتصار في الرأي، وإنّي رجعت إلى رأيه حيث لم أجد حجّة أدفعه بها**»، ثمّ قام بتعريف السيّد الصدر رحمه الله إلى هذا الضيف[٦].

١٣ ــ وكان السيّد الصدر رحمه الله مشاركاً في مجلس الاستفتاء الذي كان يعقده السيّد الخوئي رحمه الله، وقد

---

(١) مباحث الأصول ق٢، ٥: ٢٠٦.

(٢) مباحث الأصول ق٢، ٥: ٢٠٧.

(٣) مباحث الأصول ق٢، ٥: ٢٠٨ ــ ٢٠٩.

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٧٣.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ عبّاس الأخلاقي في داره بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م.

(٦) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي)، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله نفسه (قدس سره).

ضمّ كلاً من: الشيخ صدرا البادكوبي، الشيخ مجتبى اللنگراني، الشيخ جواد التبريزي، الشيخ كاظم التبريزي والسيّد جعفر المرعشي[١].

وقد ذكر أحدُ أعضاء مجلس الاستفتاء: «**كنّا في مجلس الاستفتاء نتحدّث عن الإجابات الشرعيّة للأسئلة التي تردُنا من مقلّدي السيّد الخوئي**، **وبعد التأكّد من رأي السيّد، نقوم بكتابة الجواب تحت السؤال. وكان ممّن يشارك في الجلسة سماحة الشهيد السيّد الصدر قبل أن يطبع رسالته الفقهيّة ويعلن مرجعيّته. كان مجتهداً وقّادَ الذهن، شديدَ الذكاء، يخرجُ أسئلة المسائل الفقهيّة من كتاب وسائل الشيعة اعتماداً على ذاكرته، من دون أن يراجع فهرس هذه الموسوعة.**

ذات مرّة دار بينه وبين أستاذه السيّد الخوئي نقاشٌ طويلٌ دام حوالي أربع ساعات حول مسألة (تقصير الحاج شعره في الحج)، فرأيُ السيّد الخوئي هو الوجوب التخييري بين الحلق والتقصير[٢]**، بينما يرى السيّد الصدر الوجوب التعييني في الحلق**[٣]**. وكانت النتيجة أن لم يقتنع الطرفان برأي الآخر، ولكنّ السيّد الخوئي قال للسيّد الصدر: إنّك قوي**»[٤].

١٤ ـ ويُنقل أنّ السيّد الخوئي اجتمع مع الشيخ مرتضى آل ياسين في مجلس من المجالس، فسأله: «**هل يحدّثكم السيّد محمّد باقر بشيءٍ من أفكاره؟**»، فقال له الشيخ: «**ولِمَ تسألونَ عن ذلك؟**»، فقال السيّد الخوئي: «**يا شيخنا إنّ هذا الرجل فلتة، هذا الرجل عجيبٌ في ما يتوصّل إليه وفي ما يطرحه من نظريّات وأفكار**»[٥].

١٥ ـ وينقل السيّد عبد الكريم القزويني أنّ السيّد الخوئي طلب منه أن يرتّب لقاءً انفرادياً بينه وبين السيّد الصدر، فكان ذلك في الكوفة حيث يسكن السيّد الخوئي، وقد استمرّ اللقاء لمدّة ساعتين أو خمس ساعات، وبعد أن انفضّ المجلس قال السيّد الخوئي للسيّد القزويني: «**الله أعطى تلميذي هذا ما لم يعطه أحداً من تلامذتي**»[٦].

١٦ ـ وينقل السيّد كمال الحيدري أنّ أحد المشايخ في النجف أتى بمجموعة من (دكاترة) الأزهر إلى مجلس السيّد الخوئي أثناء زيارة لهم إلى العراق، وراح يعرّف بهم: فلانٌ دكتوراه في كذا وفلانٌ دكتوراه في كذا.. ثمّ عقّب قائلاً: «**حوزة النجف ماذا لديها؟**»، فأجابه السيّد الخوئي: «**النجف الأشرف تفتخرُ بالسيّد محمّد باقر الصدر، فمن عندكم في قباله؟**»، فسكت الجميع[٧].

---

(١) غروب خورشيد فقاهت (فارسي): ٢٤.

(٢) مناسك الحجّ، السيّد الخوئي: ١٧٤، م٤٠٤.

(٣) الفتاوى الواضحة، ط المؤتمر: ٧١٧، حيث يرى وجوب الحلق في حجّة الإسلام والتخيير في غيرها.

(٤) قصص وخواطر: ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٥) مجلّة (شؤون إسلاميّة)، مقابلة مع السيّد حسين هادي الصدر ؛ مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر، نقلاً عن الشيخ مرتضى آل ياسين ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٩٧.

(٦) من كلمة للسيّد عبد الكريم القزويني بتاريخ ١٩/ذي القعدة/١٤١٦ هـ (حيث ذكر أنّ ذلك كان لخمس ساعات)؛ وقد أعادها عليّ بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١١م بحضور السيّد محمود الخطيب الذي تبيّن لي أنّه كان حاضراً أيضاً (وذكر أنّ ذلك كان لساعتين).

(٧) انظر الشريط رقم (٣٣) من شرح السيّد الحيدري على كتاب (الحلقة الثانية).

١٧ ـ وكان طلاّب السيّد الصدر الذين يحضرون درسه ودرسَ السيّد الخوئي معاً ينقلون إشكالاته على السيّد الخوئي إلى الأخير الذي كان يقول: «**إنّ هذه الإشكالات ترد على (الأصول) الحاضر، وأنا قادرٌ على الإتيان بأصولٍ جديد لا ترد عليه هذه الإشكالات، ولكن لا وقت لديّ**»(١).

١٨ ـ يقول الشيخ حسن طراد: «**إنّ أحد الأشخاص أخبر السيّد الخوئي أنّ تلميذه السيّد محمّد باقر الصدر يُشكل على آرائه الأصوليّة والفقهيّة ويأتي عليها في دروسه معترضاً بمناقشات علميّة، فأجابه السيّد الخوئي: إنّ ذلك هو مدعاةُ سرورٍ عندي، لأنّه يدلُّ على وصول تلميذي إلى درجةٍ عالية من الفضيلة العلميّة حتّى يتمكّن أن يناقش آرائي ويورد عليها إشكالاته العلميّة**»(٢).

١٩ ـ وعندما عقد السيّد الخوئي مجلساً لكتابة حاشيته على كتاب (العروة الوثقى)، ضمّ المجلس نخبة تلامذته، من قبيل: السيّد محمّد باقر الصدر، السيّد علي السيستاني، الشيخ جواد التبريزي، الشيخ حسين الوحيد الخراساني، السيّد علي البهشتي، السيّد محمّد علي التوحيدي..

يقول الشيخ التبريزي: «**كان السيّد الصدر أكثرنا إشكالاً**»(٣).

٢٠ ـ ويقول الشيخ الكاتبي الهرندي: إنّه تعرّف على السيّد الصدر خلال حضوره عند السيّد الخوئي، حيث كان يرى سيّداً يجلس إلى جانب السيّد الخوئي يحشّي على (العروة)، فعرفتُ ـ والكلام للشيخ الهرندي ـ أنّ هذا السيّد مطّلعٌ على آراء السيّد الخوئي إلى درجةِ أنّه يحشّي وفق آرائه(٤).

٢١ ـ وعندما أراد الشيخ محمّد إسحاق الفيّاض طباعة تقريراته الأصوليّة لدرس السيّد الخوئي، عرضها على الأخير ليكتب له تقريظاً، فاعتذر لضيق وقته، ولكنّه طلب منه عرضها على السيّد الصدر، فإذا أمضاها فإنّه يكتب له تقريظاً.

وبالفعل، عقد السيّد الصدر مع الشيخ الفيّاض مجموعة من الجلسات لليالي العطل في منزل السيّد الصدر الذي كان يراجع التقريرات، وقد يقوم بحذف مطلبٍ وإضافة آخر، حتّى أنّ بعض المطالب كان (يشطبها) ويكتبها من جديد.

وبعد أن أعطى السيّد الصدر موافقته على التقريرات، قام السيّد الخوئي بتقريظها(٥)، بل إنّ الجزء الثالث ـ الذي هو عبارة عن بحث الضدّ ـ من تقرير السيّد الصدر لبحث السيّد

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد بصير بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م.

(٢) قصص وخواطر: ٧٨.

(٣) حدّثني بذلك السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٣١م نقلاً عن الشيخ جواد التبريزي.

(٤) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (). وقد كرّرنا ذكرها ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ. وفي المصدر: «وإمّا على (وسيلة النجاة) للسيّد أبو الحسن الإصفهاني»، وما أثبتناه هو الصحيح.

(٥) حدّثني بذلك أحد قدامى تلامذة السيّد الصدر بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م الذي رأى ذلك مرأى العين، وقد طلب عدم ذكر اسمه، وانظر قريباً منه في مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٩٨١/٣/٢٧م نقلاً عن السيّد الصدر نفسه () دون أن يدري إن كان المَقصود هو الشيخ الفيّاض على ما ذكره لي.

وأحسبُ أنّ بعض زوايا هذا النقل تحتاج إلى ترميم، فإنّ السيّد الخوئي يذكر في تقريظه للكتاب: «وقد عرض عليّ الجزء الأوّل من كتابه..».

الخوئي رحمه الله[١].

٢٢ ـ وكان السيّد الخوئي رحمه الله كثيراً ما يحيل تلامذته على السيّد الصدر رحمه الله من أجل الإجابة عن إشكالاتهم، حتّى نقل السيّد كمال الحيدري عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري عن السيّد الخوئي رحمه الله قوله: «**لا تسألوني أنا، سلوا السيّد الصدر، فإن أقرّ بالإشكال فأنا أقرّ به، وإن ردّه فأنا أردّه**»[٢]، وقد ذكر السيّد الخوئي رحمه الله للسيّد محمّد تقي الأردبيلي رحمه الله: «**إنّ السيّد الصدر عنده نبوغ فكري منذ الصغر**»[٣].

٢٣ ـ وكان السيّد الخوئي رحمه الله يجلس في الحرم ويَرِدُ عليه السائلون، وكان إذا كثر الأخذ والردّ بينه وبين السائل غير المقتنع بكلامه أحاله على السيّد الصدر رحمه الله[٤]، أو إذا كان مشغولاً بأمور أخرى[٥].

٢٤ ـ كما كان السيّد الخوئي رحمه الله يبعث إلى السيّد الصدر رحمه الله بما يكتبه في (معجم رجال الحديث) ليبدي نظره فيه[٦].

٢٥ ـ ولمّا صدر الجزء الأوّل من كتاب (منهاج الصالحين) للسيّد الخوئي رحمه الله أحضر السيّد محمود الهاشمي نسخةً منه إلى أستاذه السيّد الصدر رحمه الله الذي طالعه في ليلته تلك وقال للسيّد الهاشمي في اليوم التالي: «**إنّ فيه سبعة موارد لا تنسجم مع المباني الأصوليّة للسيّد الخوئي حتّى لو سلّمنا بصحّة تلك المباني**».

ولمّا حمل السيّد الهاشمي ملاحظات السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد الخوئي رحمه الله، راجعها وأقرّها ثمّ أوعز إلى السيّد الصدر رحمه الله بمراجعة الجزء الثاني قبل طباعته، وكان حينها في الطبع[٧].

٢٦ ـ وبعد رجوع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى إيران، كان يبعث بأسئلته إلى السيّد الخوئي رحمه الله، ومنها مسألة الاستصحاب في الشبهات الحكميّة، وكان الشيخ الشيرازي يوافق السيّد الخوئي رحمه الله في عدم الحجيّة ويخالفه في دليل ذلك. ومن هنا فقد كتب نقداً لدليل السيّد الخوئي رحمه الله وأرسله إليه، فسلّمه السيّد الخوئي رحمه الله إلى السيّد الصدر رحمه الله ليجيب عنه [وفق رأيه ـ أي الخوئي ـ مع أنّ السيّد الصدر رحمه الله نفسه يخالف السيّد الخوئي رحمه الله].

---

(١) حدّثني بذلك السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٣١م. وقد كرّرنا ذكرها ضمن أحداث سنة ١٣٨٢هـ.

(٢) سمعت ذلك من السيّد كمال الحيدري نقلاً عن الشيخ إبراهيم الأنصاري.

(٣) السيّد محمّد تقي الأردبيلي رحمه الله نقلاً عن السيّد الخوئي رحمه الله (١٣٨).

(٤) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (٧٧).

(٥) ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (١٣٩).

(٦) ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (١٣٩).

(٧) نقل لي ذلك السيّد كمال الحيدري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م عن السيّد محمود الهاشمي ؛ وانظر: انديشه ماندگار، ويژه كنگره بين المللى آية الله العظمى شهيد صدر قدس سره، شماره پنجم، ٣٠ دى ١٣٧٩ش، گفت وگو با سيّد كمال حيدرى: ١٣ (نقلاً عن السيّد الهاشمي) ؛ ونقلها لي السيّد جعفر الصدر بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٩م عن السيّد الهاشمي كذلك ؛ ونقلها لي عن السيّد الهاشمي أيضاً السيّد محمّد بصير بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م ؛ وقد ذكر لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م أنّ السيّد الصدر رحمه الله ذكر له أنّه أرسل الملاحظات مع السيّد الهاشمي (انظر أحداث سنة ١٣٩٢هـ).

وبعث السيّد الصدر رحمه الله جواباً مفصّلاً لم يقتنع به الشيخ الشيرازي، فأرسل إلى السيّد الخوئي رحمه الله مرّةً أخرى، وقد أعاد الأخير الكرّة وأجاب السيّد الصدر رحمه الله بجوابٍ ثانٍ وجده الشيخ الشيرازي ذا مستوى جيّد ومتين ومنسجم[١]، وكان ذلك سنة ١٣٧٢هـ[٢].

٢٧ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله مثابراً على دروسه وعلى كتابته ومباحثاته دائماً، وتنقل زوجته أنّه في وقت كان يذهب ليلاً إلى بيت السيّد الخوئي للمباحثة هناك. وفي إحدى الليالي كان الجوّ بارداً وكان السيّد مريضاً فطلبت منه زوجته عدم الذهاب إلى المباحثة لأنّ حالته لا تسمح له بذلك وسوف يشتدّ مرضه إذا ذهب، فقال لها: «**أعطني القرآن لأستخير**»، فناولته القرآن فخرجت الآية: ﴿**إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾[٣]، فقال لها: «**أذهب الآن أو لا أَذَهب؟!**»، فأجابته: «**اذهب في أمان الله وحفظه**»[٤].

٢٨ ـ ويروي السيّد عبد الكريم القزويني أنّ خلافاً حصل بين ورثة أحد الأموات حول تفسير وصيّة الميت، حيث راح كلٌّ منهم يفسّر نصَّها بما يخدمُ مصلحته، وقد رفع الورثة هذه المسألة إلى السيّد الخوئي رحمه الله الذي قام بعرضها على جملةٍ من الأعلام طالباً تقديم تفسيرٍ لنصّ الوصيّة، وكان منهم السيّد الصدر رحمه الله.

وقد قام السيّد الصدر رحمه الله بمطالعة نصّ الوصيّة، ومن خلال قرائن معيّنة موجودة في النصّ أجاب السيّد الخوئي رحمه الله بأنّ مراد صاحب الوصيّة هو الأمر الكذائي، وعرض عليه القرائن.

وفي مجلس (البرّاني) عرض السيّد الخوئي رحمه الله جواب السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**إنّ السيّد محمّد باقر الصدر أجاب بهذا الجواب الذي لم يأتِ به أحد**»، فقال أحد الحاضرين: «**سيّدنا أنا أجبتُ به**»، فقال له السيّد الخوئي رحمه الله: «**كلاّ لم تجب به، ولا أحد منكم يستطيع الإجابة به**»[٥].

وهذا نظير ما يرويه السيّد محمّد حسين العلوي البروجردي من أنّه دعي إلى بيت السيّد الصدر رحمه الله على الغداء وأثير موضوعٌ علميٌّ كان قد أثير في طهران وأثير لدى كبار فقهاء النجف، وكان السيّد الصدر رحمه الله الوحيد الذي له القدح المعلّى في هذا المجال[٦].

٢٩ ـ وفي إحدى زيارات السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد الخوئي رحمه الله في المستشفى، وعند دخوله نهض السيّد الخوئي رحمه الله من السرير وارتدى عمامته لاستقباله، فبادره السيّد الصدر رحمه الله بالقول: «**سيّدنا أنت مريض، ابقوا على راحتكم**»، فأجابه السيّد الخوئي رحمه الله «**كيف لا! وأنا أستقبل النجف بكامله؟!**»[٧].

---

(١) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (٦٩)، في حديث مع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. وما بين [] منّا. يُشار إلى أنّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حاول العثور على الرسالتين ولكنّه لم ينجح.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ جعفر السبحاني بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٣٠م.

(٣) طه: ١٠.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٥) حدّثني بذلك السيّد عبدالكريم القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١١م في بلدة (كهك).

(٦) مقابلة مع السيّد محمّد حسين العلوي البروجردي (حفظه الله).

(٧) أدب الاختلاف في حياة الإمام الخوئي، منصور عبد الجليل القطري، مجلّة الموقف، العدد ١٧، ١٩٩٤ ـ ١٤١٤ هـ : ٥٤ (انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ).

٣٠ ـ وعندما أراد السيّد الخوئي إعمارَ قبر أستاذه الميرزا النائيني وكان السيّد الصدر إلى جانبه، قال: «**نعمّرُ قبر أساتذتنا لكي يعمّر طلاّبنا قبرنا**» فأجابه السيّد الصدر: «**في خدمتكم**» أو بشيءٍ من هذا القبيل[1].

٣١ ـ وكان السيّد الصدر ـ حتّى بعد تصدّيه للمرجعيّة ـ إذا التقى بالسيّد الخوئي يقبّل يده، ولم يكن يسمح لأحد بذكره بشيء مع ما كان يلاقيه من حاشيته، وعندما سُئل عن السبب قال: «**حتّى أعلّمكم كيف تحترِمون أساتذتكم**»[2].

٣٢ ـ وممّا يُنسب إلى السيّد الخوئي قوله في حقّ السيّد الصدر: «**كلّ ما عندنا عنده، وليس كلّ ما عنده عندنا**»[3].

٣٣ ـ ونختم الحديث بكلمة للسيّد الخوئي مقيّماً فيها السيّد الصدر حيث يقول: «**السيّدُ الصدرُ مظلومٌ لأنّه ولد في الشرق ولو كان مولوداً في الغرب لعلمتم ماذا يقول الغرب فيه**»[4].

٣٤ ـ وهناك حادثةٌ مرتبطةٌ بالشيخ جواد التبريزي نوردها لورود السيّد الصدر فيها، وقد رواها أحدُ تلامذة الشيخ التبريزي وأرجعها إلى سنة ١٣٧١هـ[5]:

«**يقول الأستاذ: إنّه وبعد وصوله [إلى النجف الأشرف] ذهب إلى درس السيّد الخوئي قدّس الله نفسه، وكان السيّد يلقي بحثاً في الأصول بعد صلاة المغرب والعشاء في مسجده الذي يقيم فيه صلاة الجماعة والمعروف بمسجد الخضراء، وكان البحث في تلك الجلسة حول أنّه هل يجب الفحص في الشبهات الموضوعيّة أم لا، وقد اختار السيّد ما هو المعروف من عدم وجوب الفحص في الشبهات الموضوعيّة.**

إلاّ أنّ السيّد تمسّك لعدم وجوب الفحص ـ إضافةً لأدلّة أخرى ـ بصحيحة زرارة والمعروفة بمضمرة زرارة في الاستصحاب، والتي لا يضرّها الإضمار لما ذكر الأستاذ من أنّه يفهم من خلال تفريعاتها ومتنها وتدقيق زرارة في السؤال واهتمامه به وكذلك دقّة الأجوبة أنّ المخاطَب بقوله (قلتُ له) هو الإمام، والظاهر أنه الباقر. يقول (قلتُ: أصاب ثوبي دم رعاف...) إلى أن يقول: (قلتُ: فهل عليّ إن شككتُ أنّه أصابه شيءٌ أن أنظر فيه؟!، قال: لا) الحديث[6].

فالسيّدُ استدلّ بهذه الرواية على عدم وجوب الفحص في الشبهات الموضوعيّة، وبالفقرة الأخيرة (قوله:

---

(١) هذا النقل بالمعنى وليس حرفيّاً، وقد قرأته في سالف الزمان مراراً وقد غاب عنّي الآن أين قرأته.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م والذي شاهد بنفسه السيّد الصدر يقبّل يد السيّد الخوئي؛ وقد أكّده لي السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٣١م وقد رأى ذلك بنفسه.

(٣) هذه المقولة من المنقولات التي لم تثبت ـ بحسب الموازين العلميّة ـ نسبتُها إلى السيّد الخوئي، إذ لم أسمع من يرويها عنه، اللهمّ إلاّ الشياع والشهرة. ولكنّني أحسبُ أنّ في المقام خلطاً، وستأتي نسبة هذه المقولة إلى الشيخ مرتضى آل ياسين [صحيفة (لواء الصدر)، ١/جمادى الأولى/١٤٠٥هـ؛ أحداث سنة ١٣٩٢هـ].

(٤) انظر الشريط رقم (٣٣) من شرح السيّد الحيدري على كتاب (الحلقة الثانية).

(٥) كذا في المصدر، والصحيح ١٣٧٤هـ لأنّ الشيخ جواد التبريزي ذكر في صدر الحادثة أنّ انتقاله إلى النجف كان أبّان رجوع الشاه بعد سقوط حكومة مصدّق، وقد سقطت حكومة الأخير في ٢٨/مرداد/١٣٣٢هـ ش (٨/ذي الحجّة/١٣٧٢هـ) (مصدّق، دولت ملّى وكودتا: ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وهذا يعني أنّ السيّد الخوئي كان في دورته الثالثة، وقد درّس الاستصحاب منها سنة ١٣٧٤هـ.

(٦) التهذيب ١: ٤٢١؛ الاستبصار ١: ١٨٣.

عليّ أن أنظر فيه قال: لا).

وفي اليوم التالي ذهب الأستاذُ إلى بيت السيّد الخوئي ودخل عليه، يقول: فوجدُته جالساً ومعه أحدُ السادة من أهل العلم العرب، فسلّمتُ وجلست، وقلتُ له: سيّدَنا! إنّ ما تفضّلتم به البارحة من أنّه لا يجب الفحصُ في الشبهات الموضوعيّة صحيحٌ، ولكنّ استدلالكم بصحيحة زرارة غيرُ تام، وذلك لأنَّ النجاسةَ في الثوب على فرض ثبوتها مانعٌ علميٌّ لا واقعي، فمتى علم بنجاسته لا يجوز الصلاة فيه مثلاً، ولذا أجاب الإمام زرارة عند سؤاله عن الفحص في الثوب (هل يجب؟ قال: لا)، إذ لا يجب تحصيلُ العلم المحقّقِ للمانعيّة، وكلامُنا ـ والحديثُ للأستاذ دام ظلّه ـ إنّما هو في الشبهات الموضوعيّة الواقعيّة، علمتَ أم لم تعلم، وأنّه هل يجب الفحصُ فيها أم لا؟ يقول: فلمّا سمع منّي السيّد ذلك قبل، وقال لي: أحسنت، الحقُّ معك.

يقولُ الأستاذ: وحيث كان حديثي ومناقشتي له إمّا باللغة التركيّة أو الفارسيّة، رأيتُ أنّ السيّدَ الجالسَ معه متحيّرٌ يريد فهمَ المناقشةِ بعد أن رأى السيّدَ الخوئي قد قبلَ ما قلتُه له، فسأل السيّد ماذا يقول هذا الشيخ؟ فترجم له المناقشةَ، فقبل هو أيضاً، ثمّ بعد مدّةٍ عرفتُ أنَّ هذا السيّدَ الذي كان جالساً اسمُه السيّد محمد باقر الصدر رحمه الله»[1].

إجازة السيّد الخوئي رحمه الله السيّد الصدر رحمه الله بالاجتهاد

في أوائل تكليف السيّد الصدر رحمه الله سمع السيّد مرتضى العسكري السيّد الخوئي رحمه الله يقول: «**سيّد محمّد باقر مجتهد است**» أي «**السيّد محمّد باقر مجتهد**». وعندما سمع السيّد الصدر رحمه الله بذلك أصرّ على السيّد مرتضى العسكري أن يأخذ له في ذلك إجازة من السيّد الخوئي رحمه الله، إلاّ أنّ السيّد الخوئي رحمه الله لم يكن ليعطيه ذلك لصغر سنّه.

وفي أحد المجالس الذي ضمّ مجموعة من العلماء عمد السيّد العسكري إلى (تخجيل) السيّد الخوئي رحمه الله، فسأله: «**السيّد محمّد باقر الصدر مجتهد أم لا؟**»، فأجاب: «**مجتهد**»، فقال له: «**اعطني إجازة اجتهاد**»، فكان ذلك[2].

إلاّ أنّ الشيخ محيي الدين المازندراني يقول: إنّه عثر على هذه الإجازة أثناء بحثه في الأوراق والكتب المتروكة الموجودة عند أستاذه السيّد الصدر رحمه الله.

وعندما عرضها عليه سأله عن تاريخها فذكر له، وبحسب ما يتذكّره الشيخ المازندراني فإنّها صدرت عندما كان للسيّد الصدر رحمه الله ٢١ أو ٢٢ عاماً. ويومها قال السيّد الصدر رحمه الله: «**أنا لم أطلب من السيّد الخوئي حفظه الله تعالى أن يمنحني إجازة اجتهاد، ولكنّه هو بادر إلى كتابتها لي وقال: إنّي أحبّ أن أمنحك هذه الورقة على الرغم من أنّي أتشدّد في إعطاء ومنح إجازات الاجتهاد للعلماء، ولكنّي أحبّ أن**

---

(١) مأخوذ من موقع الشيخ التبريزي على الإنترنت. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ عدم فهم السيّد الصدر رحمه الله ما يدور بينهما من حوار راجعٌ إلى لجوئهما إلى التركيّة لا إلى الفارسيّة، لأنّه كان يحسن فهم الفارسيّة كما سيأتيك ضمن الملحق المعدّ حول (جوانب من شخصيّة السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله).

(٢) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله) ؛ كلمة للسيّد مرتضى العسكري بتاريخ ١٦/محرّم/١٤٢٢هـ في ذكرى السيّد الصدر رحمه الله ؛ ونقل لي ذلك أيضاً الحاج أبو إحسان النعماني بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.

أعطيك هذه الإجازة، فأخذتُها منه وضاعت إلى أن عثرتَ عليها أنت»[(١)].

ومهما يكن من أمر، فالذي يبدو من متن الإجازة أنّ السيّد الخوئيّ﵀ لم يحرّرها لشخص السيّد الصدر﵀، وإنّما حرّرها لمن سأله عن اجتهاده ـ ولعلّه السيّد العسكري ـ ، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ فضيلة العلاّمة قرّة عيني العزيز السيّد محمّد باقر الصدر دام علاه قد تربّى في حوزتنا العلميّة في النجف الأشرف وحضر أبحاثنا الأصوليّة والفقهيّة، فجدّ واجتهد حتّى تمّت له ملكة الاستنباط والاجتهاد، فلكم أن تتحدّثوا عن رأيه بما أنّه اجتهاد شرعي.

وأرجو الله تعالى أن يرفع به أعلام الدين ويجعله عَلَماً للمسلمين.

والسلام على كافّة إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

أبو القاسم الموسوي الخوئي»[(٢)].

يُشار إلى أنّ السيّد الخوئي﵀ سئل لاحقاً ـ في الستّينات ـ عن اجتهاد السيّد الصدر﵀ فقال لهم: «**لا شكّ في أنّه مجتهد**»[(٣)].

كما يُشار إلى ما قيل من أنّ لدى السيّد الصدر﵀ إجازة رواية شفاهيّة من السيّد عبد الحسين شرف الدين﵀[(٤)].

دراسة كتاب (الحكمة المتعالية) أو (الأسفار)

بعد عدّة سنوات من التحاقه بالحوزة العلميّة في النجف أشار عليه أستاذه السيّد الخوئي﵀ أن يدرس الفلسفة الإسلاميّة بالشكل المتعارف في الحوزة، وطلب من الشيخ صدر الدين البادكوبه اى المعروف بصدرا البادكوبي﵀ أن يعقد للسيّد الصدر﵀ حلقة خاصّة يدرّسه فيها كتاب (الأسفار الأربعة) لصدر الدين الشيرازي﵀ المعروف بـ(ملاّ صدرا)، فاستجاب الشيخ البادكوبي﵀[(٥)] بفعل ارتباط السيّد الصدر بخاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين المرجع آنذاك[(٦)].

عندها باع السيّد الصدر﵀ وأخوه السيّد إسماعيل﵀ كتاب (الحدائق الناضرة) في الفقه ليشتريا بثمنه كتاب (الحكمة المتعالية) المعروف بـ(الأسفار)، الأمر الذي أثار حفيظة بعض رجال النجف الأشرف، إذ هل يبيع أحدٌ من طلاّب الفقه يطمح أن يكون فقيهاً كتاب (الحدائق) ليشتري به كتاب

---

(١) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (﴿﴾). ويذكر أنّه قد ورد في بعض الكتابات أنّ السيّد الصدر﵀ قد حصل عليها وهو في التاسعة عشر من عمره (سنوات الجمر: ١٩٩).

(٢) انظر الوثيقة رقم (٩).

(٣) مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني، نقلاً عن السيّد الخوئي﵀ (﴿﴾).

(٤) المشجّر الوافي ٣: ٥٦٢. ولكنّ السيّد الصدر﵀ لم يلتقِ بالسيّد عبد الحسين شرف الدين﵀، فقد كان عمره يوم زار السيّد شرف الدين﵀ العراق ثلاث سنوات، وعندما سافر السيّد الصدر﵀ إلى لبنان سنة ١٣٨١هـ كان السيّد شرف الدين﵀ قد توفّي. فإن كانت الإجازة قد صدرت فعلاً، فهي بالواسطة.

(٥) الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر.. أحد الكبار المجهولين في العصر الحديث، ضياء الدين أحمد (الشيخ عبد الجبار الرفاعي) (ملف)، نقلاً عن السيّد عبد العزيز الطباطبائي﵀ في مقابلة معه بتاريخ ١/رجب/١٤١٦ هـ ؛ وانظر إجمالاً: ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديثٍ مع صحيفة صوت العراق: ٢.

(٦) ذكر لي ذلك السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

فلسفة! وانعقدت الحلقة[١].

وبحسب ما أفاده الشيخ محمّد رضا الجعفري، فإنّ رغبة السيّد الخوئي‏ هذه لم تنشأ من الارتياب في موهبة تلميذه الصدر صاحبِ العقليّة المتوهّجة، ولا من شكّه في قابليّته ونبوغه في استيعاب آراء الفلاسفة وفهمها، وإنّما نشأ من اهتمامِ الأستاذ بمكانة تلميذه وحماية موقعه العلمي، لأنّ التقاليد المتعارفة في الحوزة تستهجن تعاطي أيَّ فنٍّ والتأليفَ فيه من دون الانتساب إلى أستاذٍ معروف، ولا سيما إذا كان ذلك الفن من فنون المعقول[٢].

أمّا أسلوب السيّد الصدر في دراسة (الأسفار)، فكان على منوال دراسته للجزء الثاني من (الكفاية) ودراسة (المكاسب)[٣]، فإنّه حسب قول الشيخ البادكوبي وبنقل السيّد الإشكوري: «**اشترط عليَّ أن لا يتابعني في التدريس الرتيب لهذا الكتاب، بل طلب منّي أن يقرأ عليَّ كلَّ يوم صفحات من هذا الكتاب، ويسألني عمّا أشكل عليه فقبلت، وأنهى دراسته للكتاب بسرعة على هذا الشكل**»[٤].

وقد قيل: إنّ الملاحظة الأساسيّة التي كان يبديها السيّد الصدر على أسلوب أستاذه البادكوبي هي أنّ الشيخ كان يقوم ببيان وتفسير الأفكار والآراء الواردة في (الأسفار) من دون أن يمارس تقويمها ونقدها[٥]، وقد كتب السيّد الصدر إذ ذاك تعليقةً على كتاب (الأسفار)[٦].

ونقل عن السيّد الصدر أنّه قرأ الجزء الأوّل فحسب على يد الشيخ البادكوبي وأتمّ على نفسه الأجزاء الثلاثة الباقية[٧] من الطبعة القديمة المشتملة على أربعة مجلّدات[٨].

وقد جاء في كلامٍ للسيّد محمّد باقر الحكيم حول تاريخ الدراسة أنّ عمر السيّد الصدر لم

---

(١) جاء ذلك في مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله () ؛ الشهيد الصدر.. كان اغتياله اغتيالَ طموحات أمّة، السيّد محمّد حسين فضل الله: ٤٦ ؛ الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٠ عن حديث للسيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ١٩٩٤/٤/٩م ؛ الندوة ٣: ١٠٢ ؛ من حديث السيّد محمّد حسين فضل الله حول العلماء: ١٥ ـ ١٦ ؛ ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديث مع صحيفة صوت العراق: ٣ ؛ كلمات في الشهيد الصدر الأوّل: ٤. وفي المصدرين الأخيرين أنّه استبدل (الأسفار) بـ(الحدائق) لا أنّه باع الأخير واشترى الأوّل، ولعلّ المراد هو الاستبدال بالمعنى الأعمّ المنسجم مع البيع والشراء.

(٢) الشيخ عبد الجبّار الرفاعي (ضياء الدين أحمد) نقلاً عن الشيخ محمّد رضا الجعفري في مقابلة معه بتاريخ ١٥/رجب/١٤١٦ هـ.

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)، نقلاً عن السيّد الصدر ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٥.

(٤) السيّد نور الدين الإشكوري، مجلّة الجهاد، العدد (١٣) ضمن مقالة حول السيّد الصدر ؛ الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلاميّة في العراق، غالب حسن: ٨ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٤، ١٢٩ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٦٠.

(٥) الشيخ عبد الجبّار الرفاعي (ضياء الدين أحمد) نقلاً عن الشيخ محمّد رضا الجعفري في مقابلة معه بتاريخ ١٥/رجب/١٤١٦ هـ.

(٦) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر (السيّد محمّد القمّي) ().

(٧) الشهيد الثالث السيد محمد باقر الصدر.. إطلالة على الذات والخصوصيّة، الشيخ جعفر المهاجر، مجلة المنطلق، العدد (٢٠): ١٦ ـ ١٩، نقلاً عن السيّد الصدر.

(٨) ذكر الشيخ محمّد رضا المظفّر في مقدّمة الطبعة الثانية أنّ الطبعة الأولى طبعت سنة ١٢٨٢هـ في أربعة مجلّدات (الحكمة المتعالية ط ٢٠٠٢ ١: ١٨).

يتجاوز سبع عشرة سنة، حيث قال: «..وآية الله **الشيخ صدرا البادكوبي حيث قرّر عليه الأسفار الأربعة في الفلسفة للفيلسوف المعروف صدر الدين الشيرازي وهو في سنٍّ مبكّرةٍ لم تتجاوز السابعة عشرة**»(١)، بينما ذكر السيّد إبراهيم الزنجاني أنّه حضر مع السيّد الصدر‏ درس الشيخ البادكوبي‏ لمدّة سنتين، وكان ذلك حوالي ١٣٦٥هـ ـ ١٣٦٧هـ(٢)، أي سنة وروده إلى النجف الأشرف. في حين ذكر السيّد عبد العزيز الطباطبائي‏ نقلاً عن الشيخ البادكوبي‏ أنّ الدرس استمرّ خمس سنوات(٣)، وقيل ستّة أشهر، ولم أقف على مستند من حكاه(٤).

إلى جانب هذا، فقد قيل: إنّ السيّد الصدر‏ وجمعاً من تلامذة السيّد الخوئي‏ طلبوا من الشيخ صدرا البادكوبي‏ تدريسهم (الأسفار). وبعد ضغوطات معيّنة، نزل عند رغبتهم(٥). وقد حضر معه السيّد عبد العلي اللاري(٦).

وبعد شروع الدرس، لبس السيّد جلال اليزدي الكفن وجيّش العلماءَ ضدّ الشيخ البادكوبي‏ ودرسِه (وكان مناوئاً للفلسفة)، فاضطرّ الشيخ البادكوبي إلى تعطيل الدرس. ولكنّه عقد حلقة خاصّة

---

(١) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٩.

وقد ذكر السيّد عبد العزيز الطباطبائي‏ أنّ درس السيّد الصدر‏ للأسفار كان بعد التحاقه بالحوزة العلميّة بعدّة سنوات، فلعلّه كان حدود سنة ١٣٦٨ أو ١٣٦٩هـ.

وقد ذكر بعضهم أنّ السيّد الصدر‏ درس (الأسفار) في فترة كتابته (غاية الفكر)، ولم أقف على مستنده في ذلك، ولكنّنا نعلم أنّ السيّد الصدر‏ بدأ بكتابة دورة (غاية الفكر) سنة ١٣٧٠ أو ١٣٧١هـ وأنا أقدّر شخصيّاً أن يكون تاريخ دراسته قبل ذلك، خاصّةً أنّ الشيخ آل ياسين‏ كان حيّاً. والنتيجة أنّ البناء على سنة ١٣٦٩هـ بناءٌ مناسب..

(٢) مقابلة مع السيّد إبراهيم الزنجاني (‏)، وهذا الكلام سيشكّل معارضاً لكلام الشيخ محمّد رضا الجعفري.

(٣) هذا ما رواه الشيخ عبد الجبّار الرفاعي (ضياء الدين أحمد) عن السيّد عبد العزيز الطباطبائي‏ في مقابلة معه بتاريخ ١/رجب/١٤١٦هـ (الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر أحد الكبار المجهولين في العصر الحديث، ملف).

أقول: نقل السيّد نور الدين الإشكوري عن الشيخ صدرا البادكوبي‏ نفسه أنّ السيّد الصدر‏ «أنهى دراسته للكتاب بسرعة على هذا الشكل»، وتعبيره بـ«بسرعة» مشعرٌ بأنّ المدّة أقلّ من خمس سنوات، خاصةً إذا أخذنا بعين الاعتبار ما نقله السيّد الإشكوري ـ في لقاء شخصيٍّ معه بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ ـ عن الشيخ البادكوبي‏ من أنّ السيّد الصدر‏ كان يحضّر «كميّة من الكتاب، لا ورقة أو ورقتين» ثمّ يلقيها على الشيخ البادكوبي‏، وهذا بطبيعته يتناسب مع فترة تقلّ عن خمس سنوات، خاصّةً إذا التزمنا بأنّه درس المجلّد الأوّل من (الأسفار) فقط على الشيخ البادكوبي‏ والباقي على نفسه.

هذا إضافةً إلى أنّ دراسة الجزء الثاني من الكفاية إن كانت تستغرق شهرين على طريقة المباحثة (وهي تستغرق عادةً ما يقرب من ١٥٠ درساً) فإنّ دراسة الأسفار (التي تستغرق الآن حوالي ٢٢٠×٧=١٥٤٠ درساً إذا حذفنا مجلّدي الطبيعيّات) قد تستغرق حوالي عشرين شهراً أو سنتين لا أكثر.

هذا ولكنّ المعتبر على كلّ حال ما حكاه السيّد الطباطبائي‏، وعليه معتمدنا، وقد يؤيّده طابع الرسالة التي أرسلها السيّد الصدر‏ إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين‏ في شعبان/١٣٧٢هـ إثر وفاة السيّد محمّد علي شرف الدين‏، حيث قد يطمئن القارئ بأنّ كاتبها في صدد دراسة الفلسفة.

(٤) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٤؛ الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٠؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٦٠. ولم يرد مصدر المعلومة في المصادر الثلاثة، وكنتُ أحتمل أن يكون مصدرها هو السيّد فضل الله، ولكنّه نفى لي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م أن يكون على علمٍ بالمدّة.

(٥) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٦) مقابلة مع السيّد محمّد باقر المهري (‏).

للسيّد الصدر﵀ لم يحضرها غيرهما[١]. ويبدو أنّهما قد تشدّدا في المحافظة على سريّة هذا الدرس، إلى درجة أنّ أحداً لم يكن على علمٍ به حتّى سنة ١٣٧٩هـ سنة ظهور (فلسفتنا) كما يأتيك إن شاء الله تعالى.

وتوفيقاً بين مجموع الأمور، فليس بعيداً أن يكون الدرس الذي حضره السيّد الصدر﵀ مع البقيّة قد استمرّ ستّة أشهر فقط، بينما استمرّ الدرس الخاص خمس سنوات.

هذا وقد قيل: إنّ السيّد الصدر﵀ درس كتاب (المنظومة) لدى الشيخ البادكوبي﵀[٢].

وقيل أيضاً: إنّ السيّد الصدر﵀ حضر لمدّة سنة دروس الشيخ محمّد تقي الجعفري﵀ أثناء إقامته في النجف الأشرف (١٣٦٥ ـ ١٣٧٦هـ)[٣].

يُشار أخيراً إلى ما ذكره السيّد محمّد الصدر﵀ من أنّ أستاذه السيّد الصدر﵀ كان ممّن فهم (الأسفار) ولكنّه لم يتبعها[٤]، كما أنّه لم ينهج منهج المتصوّفة في معرفة الدين والتعامل معه[٥].

مباحثات السيّد الصدر﵀ أثناء البحث الخارج

التحقيق عندنا أنّه وأثناء دراسته عند السيّد الخوئي﵀، عقد السيّد الصدر﵀ مباحثة مع السيّد الروحاني﵀ في دار الأخير واستمرّت إلى النصف الأوّل من السبعينات الهجريّة. وقد لامه على ذلك السيّد موسى الصدر عندما جاء إلى النجف طالباً معلّلاً ذلك بأنّه سيحسب من تلاميذ الروحاني وهذا يؤثّر عليه.

وكانت له مباحثة أخرى مع ابن عمّه السيّد موسى الصدر عندما كان يدرس في النجف الأشرف[٦].

كما كان له مباحثة في (الكفاية) مع السيّد جمال الموسوي الإصفهاني في مقبرة السيّد أبو الحسن الإصفهاني[٧].

ورابعة في (الرسائل) مع أحد السادة الإصفهانيّين في مقبرة آل ياسين التي كان يتردّد عليها في ذلك الوقت آل الصدر وياسين ليالي الخميس ويحضر مجموعة من العلماء من أصحاب الشيخ محمّد رضا آل ياسين﵀ من قبيل: السيّد محمّد باقر الشخص، السيّد محمّد تقي بحر العلوم، الشيخ محمّد طاهر آل الشيخ راضي، الشيخ محمّد طاهر الشبيري الخاقاني والشيخ محمّد تقي صادق

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.
(٢) نجف.. آشيانه علم واخلاق، مصاحبه با سيد احمد مددى (فارسي)، مجله پژوهش وحوزه، شماره٤ ١٦: ٤٦. وقد ورد في المصدر أنّ السيّد محمود الشاهرودي﵀ كان قد حرّم درس (المنظومة) [دراسةً أو تدريساً]، فامتثل الشيخ البادكوبي﵀ وعطّل درسه العام وجعله خاصّاً.
(٣) تكاپوگر انديشه ها (فارسي) : ٥ ؛ ياران امام به روايت اسناد ساواك/ چراغ فروزان: ١٤، ٥٠، نقلاً عن المصدر الأوّل.
(٤) قناديل العارفين: ٢٦٢.
(٥) دليلٌ جديدٌ على النبوّة: ١٣.
(٦) انظر أحداث سنة ١٣٧٤هـ.
(٧) مقابلة مع السيّد الدكتور جمال الموسوي الإصفهاني (حفظه الله).

العاملي[(١)]، ولعلّ المراد مباحثته مع السيّد محمّد الرجائي الإصفهاني التي دامت ما يقرب من سنة[(٢)]، وإن قيل إنّ اجتماعه رحمه الله والسيّد الرجائي كان في درس خارجٍ خاص لدى السيّد محمّد الروحاني رحمه الله[(٣)]، الأمر الذي لم يظهر من السيّد الرجائي نفسه[(٤)].

كما عدّ الشيخ أحمد الأنصاري رحمه الله من مباحثيه[(٥)].

دفعُ وهم حول حضور السيّد الصدر رحمه الله بحث السيّد الروحاني رحمه الله

ذكر البعض أنّ السيّد الصدر رحمه الله حضر درس كلٍّ من السيّد محسن الحكيم رحمه الله[(٦)]، الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله[(٧)]، الميرزا محمّد باقر الزنجاني رحمه الله[(٨)]، الشيخ حسين الحلّي رحمه الله[(٩)]، والسيّد محمّد الروحاني رحمه الله، والكلّ وهم[(١٠)].

---

(١) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي) (حفظه الله).

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمّد الرجائي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٧م.

(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد صادق الجعفري (حفظه الله).

(٤) عندما سألتُ السيّد الرجائي عن حضور السيّد الصدر رحمه الله بحث الخارج عند السيّد الروحاني رحمه الله أجابني بأنّهم سمعوا ذلك في ذلك الوقت، ثمّ ذكر لي أنّ مباحثةً جمعته هو مع السيّد الصدر رحمه الله، ولم يذكر لي أنّهما حضرا الخارج معاً.

(٥) شهداء العلم والفضيلة في العراق: ٤٠.

(٦) أساطين المرجعيّة العليا في النجف الأشرف: ١٢٨ ؛ معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٨٠٩ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٢٥ ؛ گنجينه دانشمندان (فارسي) ٧: ٢٨٢.

(٧) الشاهد الشهيد: ٦ ـ ٧ ؛ محطّات من حياة الإمام الشهيد السيّد الصدر (محدود الانتشار) ؛ بغية الراغبين ٢: ٦٣٨ ؛ وقد ذُكر السيّدُ الصدر رحمه الله ضمن تلامذة خاله في: موسوعة طبقات الفقهاء ١٤، ق٢: ٨٣٣ ؛ فهرس التراث ٢: ٥٩١.

(٨) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٨٠٩.

(٩) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٨٠٩ ؛ مقابلة مع الشيخ علي أكبر بن محمّد الصبّوري القمّي (حفظه الله).

(١٠) ينفي ما تقدّم كلّه الأدلّة والوثائق التي تحصر دراسته عند خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين وعند السيّد الخوئي رحمهما الله.

تحقيق

هل درس السيّد الصدر رحمه الله بحث الخارج عند السيّد محمّد الروحاني رحمه الله

من المسائل الغامضة في سيرة السيّد الصدر رحمه الله مسألة تتلمذه عند السيّد محمّد الروحاني رحمه الله، والاختلافُ الحاصلُ فيها من الأمور العجيبة حقّاً. ويعتقد البعضُ أنّه لا ثمرة من وراء البحث في هذا الموضوع، وربّما كانوا محقّين. وقد يخالفهم في ذلك آخرون باعتبار أنّ هناك ثمرة علميّة تتمثّل في نسبة بعض الآراء الأصوليّة. وآمل أن يكون الأمر كذلك لأنّني لم أكن ـ على الصعيد النفسي ـ مرتاحاً وأنا أصرف الوقت في تمحيص (القيل والقال)، وقد كان بودّي تلبية نصيحة السيّد الصدر رحمه الله ـ التي تأتيك بإذن الله تعالى ـ حول عدم الانشغال بهذه الأمور.

وربّما كان كاتب السطور يميل إلى أن تكون طريقة التعامل مع هذا الموضوع أكثر بساطةً ممّا سيعرضه إن شاء الله تعالى، حيث يمكن الاكتفاء بقراءة المنقول ثمّ تحليله بشكل إجمالي ثمّ الميل إلى الرأي الأكثر تماشياً مع طبيعة الأمور. ولكنّ هذه الطريقة قد تفهم تهرّباً من الدخول في هذ النزاع، إضافة إلى ميل البعض إلى التعامل مع مسائل من هذا القبيل بغاية الدقّة المتقنة.

وقبل الدخول في معالجة القضيّة وعرض الشهادات، أرى من اللازم الإشارة إلى أنّ تعاملنا في البحث التاريخي مع أخبار الثقات إنّما هو من باب أنّها طريقٌ من طرق الكشف عن الواقع، وليس في الأخذ بها أيُّ جانب تعبّدي. وتقف إلى جانب هذه الطريق طرق أخرى قد لا تقلّ عنها أهميّة.. ولمنطق طبيعة الأمور دورٌ فاعلٌ في هذا المجال.

ومن هنا تلزم الإشارة إلى عامل موضوعيٍ مهمٍّ يحكم العلاقات بين السيّد الصدر وبين السيّد الروحاني وبالتالي مريديهما، وهو أنّ هذين العَلَمَين ينتميان إلى مدرستين فكريّتين مختلفتين، خاصّةً في ما يتعلّق بأمور العمل الإسلامي وإقامة الحكومة الإسلاميّة، وقد كانت طريقة تعامل كلٍ منهما مختلفة تماماً إزاء قضيّة السيّد الخميني وإقامته الجمهوريّة الإسلاميّة ممّا لا يسعنا هنا تفصيله، ولا زالت العلاقة بين الطرفين ـ بين مريدي كلٍّ منهما ـ محكومة إلى اليوم بصبغة خاصّة، إلى جانب مقولة تنقل عن السيّد الروحاني تكشف ـ إن صحّت ـ عن لون العلاقة التي تحكمهما، فقد نقل عنه قوله: «الحكيم أفقه من الخوئي، والخوئي أفقه من الصدر، والخوئي آصل ـ نسبةً إلى أصول الفقه ـ من الحكيم، والحكيم آصل من الصدر، وأنا أفقه من الحكيم وآصل من الخوئي».

وعلى أيّة حال، نبدأ بعرض الشهادات:

أولاً: الشهادات المثبتة

١ ـ السيّد محمّد الروحاني

(أ) نقل السيّد محمّد الحسيني عن السيّد الروحاني قوله: «كان السيّد الصدر عالماً ذكيّاً تقيّاً وقليل النظير، درس عندي ما يقرب من خمس عشرة سنة، درس شهرين تقريباً في الكفاية ثمّ درس المكاسب وبحث الخارج فقهاً وأصولاً، ثمّ قلتُ له بعد ذلك لا تحضر لأنّك لا تستفيد ولست بحاجة لذلك، وقد عاتبني السيّد الخوئي فقلتُ له: لم أقل له لا يحضر دروسك وإنّما دروسي» (الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ١٠٧ ـ ١٠٨ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٧). ويقول السيّد الحسيني: إنّ السيّد الروحاني امتنع عن كتابة ذلك.

(ب) ذكر لي السيّد محمّد صادق الروحاني بتاريخ ٢٩/ذي القعدة/١٤٢٤هـ أنّ أخاه كان يؤكّد على حضور السيّد الصدر عنده في بحث الخارج.

(ج) نقل لي السيّد علي الروحاني عن والده السيّد محمّد الروحاني بتاريخ ٣٠/ذي القعدة/١٤٢٤هـ أنّ السيّد الصدر حضر عند والده لمدّة أربع أو خمس عشرة سنة.

(د) ذكر السيّد محمّد الروحاني في مقابلة معه أنّ السيّد الصدر «حضر عندي درس (الكفاية) على شكلٍ مقرّر للجزء الثاني منها، ثمّ حضر درسي الخارج علىً الجزء الثاني من (الرسائل)، وكذلك درس (المكاسب) خارجاً، ودام حضوره ما يقارب خمسة عشر عاماً أي إلى نهاية سنة ١٣٨٣هـ. كان فهمه جيّداً وكان منكبّاً على الاشتغال والدرس، حضر أبحاث السيّد الخوئي بتحريضٍ منّي، وعندما انقطع عن حضور بحث السيّد الخوئي كان يستشيرني في بعض مواد الفقه والأصول» (مقابلة مع السيّد محمّد الروحاني،).

(هـ) ونشير استطراداً إلى ما نقله لي السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٣١م عن السيّد محمّد ترحيني من أنّ الأخير عرض مطلباً على السيّد الروحاني موجوداً في كتاب (الحلقات) للسيّد الصدر، فأخذ السيّد الروحاني الكتاب وقلّب صفحاته وقال: «هذه سهامي».

٢ ـ الميرزا هاشم الآملي (١٣٢٣ ـ ١٤١٣ هـ)

نقل لي السيّد هشام نور الدين في حزيران/٢٠٠٢م عن أستاذه الشيخ محمّد سند عن الميرزا هاشم الآملي أنّ السيّد الصدر حضر عند السيّد الروحاني لمدّة عشر سنوات.

٣ ـ الحاج حسين الشاكري

وقد ذكر الحاج حسين الشاكري أنّ السيّد الصدر درس عند السيّد محمّد الروحاني درس الخارج فقهاً وأصولاً منذ العام ١٣٦٨هـ (ذكرياتي ٤ : ١١).

٤ ـ السيّد عبد الله شرف الدين

حيث ذكر السيّد شرف الدين أنّ السيّد الصدر حضر لدى السيّد الروحاني خارج الأصول.

٥ـ السيّد محمّد الرجائي

والذي لا يُمكن عدّ شهادته ضمن الشهادات المثبتة على وجه الدقّة لأنّه ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٧م أنّهم سمعوا بهذه القضيّة في ذلك الوقت.

٦ ـ الشيخ محمّد رضا الجعفري

أمّا الشيخ محمّد رضا الجعفري، فينقل السيّد محمّد الحسيني قوله: «[طيلة تلك السنوات الثماني عشرة] كنّا نرى

السيّد الصدر إمّا خارجاً من بحث السيّد الروحاني أو في الطريق راجعاً أو ما زال جالساً لم يكمل الدروس، فننتظر حتّى ينهي سيّدنا الأستاذ بحثه معه ويشرع معنا في البحث. وكان يحضر بحثه الشريف في كلّ يوم قبل الغروب بساعتين طيلة فترة دراسته» (الإمام الصدر... سيرة ذاتيّة ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٤ نقلاً عن مجلّة النور الصادرة عن مؤسّسة السيّد الخوئي، العدد ٧٥، ١٩٩٧م: ٨ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٧١، نقلاً عن المصدر نفسه).

وقد قابلتُ الشيخ محمّد رضا الجعفري في قمّ بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥م (٣/ذي الحجّة/١٤٢٤هـ) وسألته مفصّلاً عن علاقة السيّد الصدر بالسيّد الروحاني، وكان حادّاً إلى درجة معتدٍّ بها أثناء سرده ما سأنقله عنه إن شاء الله تعالى. وقبل أن ألقي عليه السلام ابتدأني قائلاً: «في ما يتعلّق بالسيّد الروحاني أنا أقول كلّ شيء ولا أخشى أحداً». وفي ما يلي عرضٌ لما ذكره ممّا يرتبط بالمقام، وذلك بعد ترتيبه وترجمة ما قاله منه بالفارسيّة:

(أ) إنّ معرفتي بالسيّد محمّد باقر الصدر ترجع إلى درس السيّد الروحاني عام ١٣٦٩هـ إلاّ أنّني كنت أراه قبل ذلك. وقد التقيتُ به مرّة عند الشيخ كاظم الأيرواني حيث طلب منه كتاباً، وقد أجابه الشيخ الأيرواني بنوع من الاستعلاء، وبعد ذهابه سألني عنه فقلت: لا أعرفه، لكنّني أراه في درس السيّد الروحاني ودرس السيّد الخوئي. وكانت لحيته في ذلك الوقت لم تختطّ بعد، ولم يكن فيها سوى شعيرات. لقد كان حين الحادثة معمّماً، وأحتملُ أنّه قد تعمّم قبل درس الكفاية عام ١٣٦٩هـ بسنتين، أي سنة ١٣٦٧هـ. ثمّ سألتُ عنه أستاذنا السيّد الروحاني الذي نقلتُ جوابَه إلى الشيخ الأيرواني وقلت: إنّ السيّد الروحاني يقول إنّه طالبٌ فاضل.

(ب) إنّ المرّة الأخيرة التي درّس فيها السيّد الروحاني كتاب (الكفاية)، كان له مجلسا درس:

الأوّل: كان يدرّس فيه الجزء الأوّل من (الكفاية) من أوّله، وكان وقتُ الدرس صباحاً. وكان إلى جانب ذلك يدرّس الجزء الثاني من أوّله مساءً، وقد أنهى تدريسهما خلال تسعة أشهر لينتقل عام ١٣٧٠هـ إلى تدريس الخارج.

الثاني: وكان في موازاة الدرس الأوّل يدرّس الجزء الثاني من الكفاية تدريساً خاصّاً وأكثر تفصيلاً، وكان يحضر الدرس السيّد محمّد باقر الصدر والسيّد محمّد الرجائي وآخرون. وكان هؤلاء قد فرغوا سابقاً من دراسة الجزء الأوّل. وما أعرفه هو أنّهم كانوا خلال فترة الأشهر التسعة يدرسون الجزء الثاني من الكفاية، ولا أدري إن كانوا قد بدأوا من أوّل الجزء الثاني أم أنّهم كانوا قد شرعوا قبل ذلك. وأنا أستبعد أن يكون السيّد محمّد باقر قد درس الجزء الأوّل من الكفاية عند غير السيّد الروحاني لأنّه لم يكن يجد شخصاً غير السيّد الروحاني ممّن يمكن أن يقنعه ويشبع أسئلته. أمّا دراسته لكتاب (المكاسب)، فلا أعرف عنها شيئاً.

(ج) شرع السيّد الروحاني في تدريس الخارج عام ١٣٧٠هـ وكان يلقي درس الأصول بعد طلوع الشمس بنصف ساعة، ودرس الفقه قبل غروبها بساعة؛ وقد بدأ درس الفقه بكتاب المكاسب ثمّ الطهارة ثمّ الصلاة... بينما كان السيّد الخوئي يلقي درس الفقه بعد طلوع الشمس بساعة ونصف، ودرس الأصول بعد صلاتي المغرب والعشاء. وقد استغرقت دورته الأصوليّة ثلاث عشرة سنة، بينما كانت الدورة الواحدة للسيّد الخوئي تستغرق ستّ سنوات فقط.

(د) بعد أن شرع السيّد الروحاني في تدريس الخارج عام ١٣٧٠هـ طلب السيّد الصدر منه أن يخصّص له ساعة للدرس يكون فيها وحيداً كي يستغلّ الوقت بالشكل المطلوب، فخصّص له حصّة قبل المغرب بساعتين [وهو ما يصطلح عليه نجفيّاً بالساعة العاشرة، لأنّ الغروب عندهم عبارة عن الساعة ١٢ *]. وكان هذا الدرس مزيجاً بين الفقه والأصول، فإنّه كان إذا وصل إلى مطلب أصولي بحث فيه، وكان الدرس بالفارسيّة. وبعد الفراغ من هذا الدرس الخاص قبل المغرب بساعة، كان السيّد الروحاني يشرع في درسه العام الذي كان يحضره البقيّة. وابتداءً من العام ١٣٧٠هـ ولمدّة سبع عشرة سنة بعد ذلك، كنتُ غالباً ما أرى السيّد محمّد باقر الصدر لا زال جالساً في الدرس.

(هـ) عندما فرغت من (الكفاية) عند السيّد الروحاني حضرت درس السيّد الخوئي ولم أحضر درس السيّد الروحاني، إلى أن رأيتُ أنّ من يجب أن أحضر درسه هو السيّد الروحاني، فالتحقتُ بدرسه في بحث المشتقّ، وقد قرّرت بحث (الطلب والإرادة) الذي لم يدرّسه السيّد الروحاني في الدورة الثانية التي قرّرها السيّد عبد الصاحب الحكيم والذي كان قد التحق بدرس السيّد الروحاني من بحث الاستصحاب من الدورة الأولى [يشار إلى أنّ تقريرات السيّد عبد الصاحب الحكيم تشتمل على بحث (الطلب والإرادة) *].

(و) عندما فرغتُ من الكفاية ودرست الخارج عند السيّد الخوئي لم يكن السيّد الصدر قد حضر عند السيّد

الخوئي، وأوّل بحث (خارج) حضره كان عند السيّد الروحاني، ولم يحضر درس السيّد الخوئي إلاّ بعد إصرار الشيخ مرتضى آل ياسين على السيّد الروحاني بإقناعه بذلك.

ففي العام ١٣٨٧هـ أو بعده قال لي السيّد الروحاني‌ [يلفت الانتباه إلى أنّ تاريخ رواية السيّد الروحاني يرجع إلى العام ١٣٨٧ هـ لا الحادثة نفسها *]:

إنّ السيّد محمّد باقر الصدر كان يدرس عندي، ولم يكن مستعداً لحضور درس السيّد الخوئي‌، وقد تحدّث معي خاله الشيخ مرتضى آل ياسين وقال لي: إنّ استفادة السيّد محمّد باقر من درسك أكثر من استفادته من درس السيّد الخوئي، إلاّ أنّ درس السيّد الخوئي درس (إثبات) ودرسك درس (ثبوت)، فاحمله على الحضور عنده، لأنّ من لا يحضر درسه من الطلبة فليس (طلبة) [تستخدم كلمة «طلبة» في الوسط الحوزي للإشارة إلى الجمع باعتبارها جمع «طالب»، كما وتستخدم للإشارة إلى المفرد، واستعمالها كذلك واردٌ من اللغة الفارسيّة حيث تعني كلمة (طلبه) خصوص طالب الحوزة *]. وبعد ذلك حمل السيّد الروحاني السيّد محمّد باقر على الحضور عند السيّد الخوئي.

يُضيف الشيخ الجعفري: وفي أواخر الفترة التي أتيتُ فيها إلى إيران ترك السيّد محمّد باقر بحثَ السيّد الروحاني وكان لا يزال يحضر بحث السيّد الخوئي. وقد سألته عن تاريخ هجرته إلى إيران، فقال حدود ١٣٩١هـ.

(ز) بعد انقلاب (عبد الكريم قاسم) عام ١٣٨٧هـ (لاحظ، والصحيح ١٣٧٨هـ *)، أخبرني السيّد الروحاني بأنّ حضور السيّد محمّد باقر درسَه قد يسبّب حرجاً له، وكان يومها قد شرع في تدريس الخارج وتجمّع حوله الطلاّب، وأنا أصرُّ عليه بترك درسي. وقد حضر عنده بعد ذلك لفترة ثمّ ترك الدرس.

(ح) وأثناء حديثه أكّد الشيخ الجعفري أنّ ما دوّنه السيّد الصدر‌ في كتاب (غاية الفكر) هو عبارة عن آراء السيّد الروحاني‌، وقد قرأها الشيخ الجعفري وزملاؤه عليه، أي السيّد الروحاني‌.

ثانياً: الشهادات النافية

١ ـ السيّد الصدر‌

(أ) نقل لي السيّد علي أكبر الحائري بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٨م عن أخيه السيّد كاظم الحائري عن السيّد الصدر‌ أنّه ـ أي السيّد كاظم ـ سأله حول دراسته لدى السيّد الروحاني‌ فقال: «أنا لم أدرس الخارج عنده».

(ب) ذكر لي السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م أنّه ـ وربّما كان معه السيّد محمود الهاشمي ـ سأله عن تتلمذه عند السيّد الروحاني، فأجاب: «هذا حكي، لا تدخلوا أنفسكم في هذه الأمور».

(ج) حدّثني السيّد علي رضا الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٨م أنّه بعد أن شاع الحديث حول تتلمذ السيّد الصدر‌ عند السيّد الروحاني‌ سأله عن الأمر فأجابه: «لقد حضرتُ عنده مقداراً من المكاسب، وكنتُ أنا أحضّر المطلب ثمّ أقرّره عليه، فإذا كان هناك غموضٌ في فهم المطلب تدخّل». وهذا يدلُّ على أنّ المقدار الذي يعترف به السيّد الصدر‌ هو هذا، وبالتالي فإنّه ينفي بالدلالة الالتزاميّة دراسته الخارج عند السيّد الروحاني‌.

(د) وقد سئل السيّد الصدر‌ عن حضوره درس الخارج عند السيّد الروحاني فأجاب بأنّه حضر المكاسب ولم يحضر الخارج (مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان، ‌).

(هـ) حدّثني الشيخ علي كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٦م أنّه سأل السيّد الصدر‌ عن سبب نفيه دراستَه عند السيّد الروحاني‌ فقال له: لأنّ الجهد وتحضير الدرس كان ملقىً على عاتقي لا على عاتق الأستاذ. وهذا الكلام أيضاً يدلُّ بالدلالة الالتزاميّة على نفيه دراسة الخارج عند السيّد الروحاني‌ لأنّه ناظرٌ إلى درس المكاسب.

(و) ثمّ إنّ السيّد الصدر‌ لمّا كان في مقام بيان أسماء أساتذة الخارج ـ كما تقدّم في الوثيقة رقم (٤) ـ لم يذكر سوى الشيخ محمّد رضا آل ياسين والسيّد الخوئي‌، ولو كان السيّد الروحاني‌ أستاذاً له لذكره بعد أن كان في مقام البيان، ولمّا لم يذكره فمعناه أنّه لم يتتلمذ لديه في بحث الخارج.

٢ ـ الشيخ محمّد إسحاق الفيّاض

نقل لي الشيخ حسّان سويدان العاملي في شوّال/١٤٢٤هـ أنّه التقى في النجف الأشرف بالشيخ محمّد إسحاق الفيّاض في شهر رمضان المبارك ١٤٢٤هـ فسأله عن دراسة السيّد الصدر‌ عند السيّد الروحاني‌، فقال: إنّه درس لديه كتاباً واحداً في السطوح، أمّا الخارج فقد نفى ذلك بشدّة.

٣ ـ السيّد محمّد باقر الحكيم‌

لقد نفى السيّد محمد باقر الحكيم أن يكون السيّد الصدر قد حضر بحث السيّد الروحاني ليوم واحد، وكان السيّد الصدر يومذاك يعدّ في الأوساط العلمية قريناً للسيّد الروحاني. (الإمام الصدر... سيرة ذاتيّة: ٦٧ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٧).

٤ ـ السيّد نور الدين الإشكوري

قال لي السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ: «إنّنا [يعني طلاّب السيّد الصدر] لا أنا فقط، سمعنا من السيّد الصدر أنّه قال: إنّه لم يدرس عند السيّد محمّد الروحاني». ومن الواضح أنّ كلامه ناظرٌ إلى مرحلة الخارج لا مطلقاً.

٥ ـ السيّد طالب الرفاعي

ويؤكد السيّد طالب الرفاعي بأنّ علاقة السيّد السيّد الصدر بالسيّد الروحاني لا تعدو أن تكون مباحثة عامّة لم يحضرها غيرهما (الإمام الصدر... سيرة ذاتيّة: ١٠٨) [ما ينقله السيّد محمّد الحسيني عن السيّد الرفاعي من أنّ استفادة السيّد الروحاني العلميّة من هذه المباحثة لا تقلّ عن استفادة السيّد الصدر منها، ينفي السيّد طالب الرفاعي أن يكون قد قاله على ما ذكره لي الدكتور جودت القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠م نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي].

٦ ـ السيّد مرتضى العسكري

أمّا السيّد مرتضى العسكري، فقد ذكر أنّ السيّد الصدر درس على السيّد محمّد الروحاني الكفاية» (مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري ( ) ؛ كلمة للسيّد مرتضى العسكري ( ) ؛ كلمة للسيّد العسكري بتاريخ ١٦/محرّم/١٤٢٢هـ). ثمّ ذكر دراسته الخارج عند السيّد الخوئي والشيخ محمّد رضا آل ياسين ولم يتعرّض إلى دراسته الخارج عند السيّد الروحاني، مع أنّ هناك مناسبة واضحة لذكره إن كان الأمر فعلاً كذلك.

٧ ـ الشيخ عبّاس أخلاقي

نفى لي الشيخ عبّاس أخلاقي بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م أن يكون السيّد الصدر قد درس الخارج عند السيّد الروحاني، وقد سمع من السيّد الصدر أنّه كان يتباحث معه (اهـ)، أي مباحثة النظير للنظير كما يقولون.

٨ ـ السيّد محمود الخطيب

وقد سأل السيّد محمود الخطيب السيّد الصدر عن حضوره لدى السيّد الروحاني فأجابه بأنّ حضوره كان أشبه ما يكون بالمباحثة في كتاب (المكاسب) لا ثالث لهما عقيب انتهاء السيّد الروحاني من إلقاء البحث (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٧ ـ ٥٨).

٩ ـ السيّد الدكتور مصطفى جمال الدين

وقد نفى السيّد الدكتور مصطفى جمال الدين للسيّد محمّد الحسيني أن يكون السيّد الصدر قد حضر بحث السيّد الروحاني، والدكتور لا يعدّ من الأوساط المرتبطة بالسيّد الصدر (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٨).

*** الموقف المختار**

يقول الشهيد مرتضى مطهّري: «قرأت يوماً في كتب التأريخ المتداولة التي كتبها أشخاصٌ كبار أنّه في واقعة الحرّة أحدثوا القتل الذريع في المدينة، وقد دخلوا بيت شخص من أهل المدينة وكان من الأنصار، وكانت عائلته فقيرة وامرأته قد وضعت حملها قريباً، وكانت راقدةً في الفراش والطفل في مهده، فدخل رجلٌ شاميٌّ ليأخذ شيئاً من هذا البيت، فتوسّلت به المرأة قائلة: أنا زوجة فلان أحد أصحاب رسول الله وقد بايعنا رسول الله في بيعة الرضوان، فلم ينفع ذلك وأخذ الرجل الشامي برجل الطفل وأداره حول رأسه ثمّ ضرب به الجدار فتناثر مخّه. نقل هذه الواقعة عدد كبير، فهل يكفي هذا في صحّتها؟ يعني هل يمكن للمرأة التي بايعت مع زوجها رسول الله في بيعة الرضوان أن تضع حملاً في سنة ٦٣ للهجرة بعد فاصلة زمنيّة قدرها ٥٨ سنة؟ فلو فرضنا أنّها في ذلك الوقت كانت صبيّة عمرها عشر سنوات متزوّجة حديثاً، وذهبت مع زوجها لمبايعة الرسول، فإنّها تكون الآن في الثامنة والستّين من عمرها، فهل يمكن لمن في سنّها أن تضع حملاً؟» (التربية والتعليم في الإسلام : ٢٤ ـ ٢٥).

أمّا في مقام الركون إلى اتّجاه دون آخر، فإذا كان الاعتماد على عامل الوثاقة فحسب ـ وهو ما لا نقتصر عليه في البحث التاريخي ـ فالأمر سهلٌ، إذ بإمكان كلٍّ منّا الميل إلى قول من يراه في الوثاقة أوفر حظّاً.

ولكنّني لن أقف عند هذا الخيار الذاتي الذي قد تتباين فيه النتائج بدرجة كبيرة، وسأنتقل إلى البحث من جهة موضوعيّة، ونعني بها هنا ما يرتبط بعالم الخارج وطبيعة الأشياء. وقد وجدتُ أنّ شهادة الشيخ الجعفري كانت من أكثر الشهادات تفصيلاً، وهي العمدة في المقام عند المثبتين على ما يبدو، ولكنّها تشتمل على الكثير من الأمور التي لا يُمكن قبولها، ويمكن المناقشة فيها من وجوه تصلح إجمالاً لتكون مناقشةً لما نقلناه عن السيّد محمّد الروحاني رحمه الله أيضاً، ونحن نكتفي منها بما يلي بعد أن حذفنا الكثير من التفريعات:

١ ـ المناقشة الأولى:

أمّا ما ذكره من أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد حضر الجزء الثاني من الكفاية عند السيّد الروحاني سنة ١٣٦٩هـ لمدّة تسعة أشهر، فإنّه معارضٌ بما ذكره السيّد الروحاني رحمه الله نفسه من أنّ درس الجزء الثاني من الكفاية كان لمدّة شهرين فقط. وهو معارضٌ أيضاً بما ذكره السيّد الروحاني رحمه الله نفسه ـ على ما نقله لي الشيخ كوراني عنه مباشرةً ـ من أنّ السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله عندما أتى بالسيّد محمّد باقر إليه ليدرّسه الكفاية كان السيّد محمّد باقر لا يزال ـ وبحسب تعبير السيّد الروحاني رحمه الله ـ (صغيراً مكعبلاً يلبس العمامة الخضراء)، وهذا يعني أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد درس الكفاية في المرحلة الأولى من وروده إلى النجف الأشرف عندما كان لا يزال يلبس العمامة الخضراء.

إذاً: السيّد الروحاني يقول إنّه درّسه الكفاية قبل تعمّمه ولمدّة شهرين، والشيخ الجعفري يقول: إنّ ذلك كان عام ١٣٦٩ بعد تعمّمه بحوالي سنتين ولمدّة تسعة أشهر أو أكثر!!

أمّا ما ظنّه ـ أو ما لم يظنّ خلافه ـ من أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد حضر الجزء الأوّل عند السيّد الروحاني رحمه الله، فهو غير صحيح لأنّه حضره عند الشيخ محمّد تقي الجواهري رحمه الله.

٢ ـ المناقشة الثانية:

إنّ ما ذكره الشيخ الجعفري من أنّ السيّد الروحاني رحمه الله قد شرع في تدريس الخارج عام ١٣٧٠هـ صحيحٌ على ما ذكره لي نجله السيّد علي الروحاني بتاريخ ٣٠/ذي القعدة/١٤٢٤هـ وأخو السيّد الروحاني رحمه الله السيّد محمّد صادق الروحاني حيث قال لي بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٥م (٢٢/ذي القعدة ١٤٢٤هـ): إنّ السيّد الصدر رحمه الله درس مقداراً من السطوح عند أخيه السيّد محمّد رحمه الله. وأخبرني بتاريخ ٢٩/ذي القعدة/١٤٢٤هـ بأنّه كان وحيداً في الدرس ولم يشاركه فيه غيره، إلاّ أنّه لا يعرف مقدار المدّة، وقال: إنّه لا يعرف ما لو كان قد درس عنده الخارج، إلاّ أنّه أكّد أنّ أخاه السيّد محمّد رحمه الله لم يكن قد شرع في تدريس الخارج عندما هاجر هو إلى قمّ في أواخر ١٣٦٩هـ وقد بدأ بتدريس الخارج بعد حوالي شهر من وصوله إلى قم. ومن هنا كان تدريس السيّد محمّد الروحاني رحمه الله سنة ١٣٧٠هـ.

أمّا كون درس السيّد الروحاني رحمه الله هو أوّل درس حضره السيّد الصدر رحمه الله في مرحلة بحث الخارج فيلاحظ عليه:

(أ) أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد حضر بحث الشيخ محمّد رضا آل ياسين وبحث السيّد الخوئي رحمه الله سنة ١٣٦٩هـ على ما حقّقناه، بعد أن فرغ من دراسة الجزء الثاني من (الكفاية) في ١٥/ذي الحجّة/١٣٦٨هـ.

(ب) أنّ السيّد الروحاني رحمه الله قد شرع في درسه سنة ١٣٧٠ هـ على ما ذكره الشيخ الجعفري نفسه، وقد توفّي الشيخ محمّد رضا آل ياسين في ٢٨/رجب/١٣٧٠هـ. والشيخ لا ينكر أصل دراسة السيّد الصدر رحمه الله عند خاله الشيخ آل ياسين، وعليه: فلا بدّ من الالتزام بأنّ السيّد الروحاني رحمه الله قد شرع في درسه في محرّم من ذلك العام مثلاً، فحضر لديه السيّد الصدر رحمه الله، ثمّ حضر مباشرةً عند خاله الشيخ آل ياسين رحمه الله إلى رجب من تلك السنة حيث وافته المنيّة. ويلزم من ذلك أن تكون الأحداث التي يتحدّثون عنها من قبيل حادثة الثمرة الفقهيّة التي أتى بها السيّد الصدر رحمه الله في مجلس الشيخ آل ياسين رحمه الله وغيرها قد وقعت بين أوائل العام ورجب، وأنا أركن إلى أنّ فترة تتلمذ السيّد الصدر رحمه الله عند خاله كانت أطول من هذا المقدار.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ كلام الشيخ الجعفري هذا يعارض ما ذكره هو بنفسه لي وللشيخ عبد الجبار الرفاعي:

(د) أمّا ما ذكره للشيخ عبد الجبّار الرفاعي (ضياء الدين أحمد) في مقابلة معه بتاريخ ١٥/رجب/١٤١٥هـ فهو أنّ رغبة السيّد الخوئي رحمه الله في دراسة السيّد الصدر رحمه الله لكتاب الأسفار عند الشيخ صدرا البادكوبي لم تنشأ من ارتيابه في موهبة تلميذه، بل من اهتمام الأستاذ ـ وأركّز على كلمتي (التلميذ) و(الأستاذ) ـ بمكانة تلميذه وحماية موقعه العلمي. ونحن نعلم أنّه درس الأسفار عام ١٣٦٩هـ أو قبل ذلك، وهذا يعني أنّ السيّد الخوئي رحمه الله كان أستاذاً له قبل دراسته

(الأسفار)، وهذا لا ينسجم مع ما ذكره هنا. اللهمّ إلاّ إذا كانت هاتان الكلمتان من الناقل، أعني الشيخ الرفاعي.

(هـ) أمّا كاتب السطور، فقد ذكر له الشيخ الجعفري حادثة السيّد الصدر﵀ مع الشيخ كاظم الإيرواني والتي أرجعها الشيخ الجعفري إلى العام ١٣٦٩هـ وقال خلالها: إنّه لم يكن حينها يعرف السيّد الصدر إلاّ أنّه كان يراه في درس السيّد الخوئي ودرس السيّد الروحاني. وهذا يعني أنّ السيّد الصدر﵀ كان يحضر درس السيّد الخوئي﵀ عام ١٣٦٩هـ أو قبله، فلا يصحّ أن يكون درسه عند السيّد الروحاني﵀ أوّل درس لأنّه شرع عام ١٣٧٠هـ على ما ذكر الشيخ الجعفري نفسه.

٣ ـ المناقشة الثالثة:

أمّا ما ذكره من أنّ السيّد الصدر﵀ قد حضر درس السيّد الروحاني﵀ الخاص ابتداءً من ١٣٧٠هـ ولمدّة ١٧ عاماً تارة، وأخرى بأنّه حضر إلى ما بعد انقلاب عبد الكريم قاسم عام ١٣٨٧ هـ ـ مع أنّ الصحيح ١٣٧٨هـ ـ ، وثالثةً بأنّه استمرّ في حضوره عند السيّد الروحاني إلى قبيل سفره هو إلى إيران عام ١٣٩١هـ، ورابعةً بأنّ السيّد الصدر﵀ لمّا ترك درس السيّد الروحاني كان لا يزال يحضر عند السيّد الخوئي﵀، فهذا يعني:

أوّلاً: أنّ السيّد الصدر﵀ عندما شرع هو في تدريس الخارج كان لا يزال تلميذاً عند السيّد الروحاني، ثمّ أوشك أن يفرغ من الدورة الأصوليّة الأولى أو فرغ وكان لا يزال تلميذاً عنده. وفي هذا من أوجه الخدش والبطلان ما لا يخفى.

ثانياً: أنّ السيّد الصدر﵀ استمرّ في درس السيّد الخوئي﵀ إلى ذلك الوقت، وسيتّضح في المتن إن شاء الله تعالى ـ ضمن أحداث ١٣٧٥هـ و١٣٧٨هـ ـ أنّ السيّد الصدر﵀ ترك درس السيّد الخوئي﵀ في الأصول سنة ١٣٧٥هـ ودرس الفقه سنة ١٣٧٨هـ.

ثالثاً: أنّ السيّد الصدر﵀ أنهى دورته الأصوليّة الأولى وهو يحضر درس السيّد الخوئي﵀ مع تلامذته، لأنّ قسماً كبيراً منهم كان يحضر درسه ودرس السيّد الخوئي﵀ في آن واحد، ولو كان هذا لبان، وحيث لم يبن فلم يكن.

٤ ـ المناقشة الرابعة:

وهي مناقشة استلطافيّة، حيث ذكر الشيخ الجعفري أنّ درس السيّد الصدر﵀ مع السيّد الروحاني﵀ كان قبل المغرب بساعتين، وكان الشيخ الجعفري ـ ولمدّة ١٨ سنة ـ غالباً ما يرى السيّد الصدر﵀ لا يزال جالساً في الدرس، فينتظره الطلاّب حتّى يفرغ من درسه مع السيّد الروحاني﵀ ليبدأوا هم بدرسهم.

ونحن نعلم أنّ السيّد الصدر﵀ عندما بدأ بتدريس الخارج كان درسه قبل المغرب بساعة، وهذا يعني أنّه كان يخرج من درس السيّد الروحاني﵀ ليذهب مباشرةً إلى درسه هو.

ومن العجيب أنّه في الوقت نفسه يلاحظ طلاّب السيّد الصدر﵀ أنّه كان منتظماً في الحضور في الدرس بل وقبل الوقت كما يروون لينتظر استكمال عددهم، كما أنّ من العجيب أنّ أحداً منهم لم يلاحظ حضوره في درس السيّد الروحاني﵀ قبل حضوره إلى درسهم أو لم يعرف بذلك ولو عن غير طريق الملاحظة، مع أنّنا نعرف ـ من خلال حياتنا الطلاّبيّة ـ أنّ الطالب يلمّ بالكثير من تفاصيل حياة أستاذه من خلال الأجواء العاديّة التي تفرضها علاقة التلمذة والأستذة، فكيف إذا كان الأمر يتعلّق بالسيّد الصدر﵀ بالذات الذي عاش مع طلاّبه علاقةً لم أرَ أو أسمع بنظيرها في سير علمائنا.

٥ ـ المناقشة الخامسة:

وهذه المناقشة تتعلّق بما جاء حول (غاية الفكر) ـ انظر أحداث سنة ١٣٧١هـ ـ ولكنّها مهمّة لأنّها تكشف عن مدى الاضطراب الذي تعاني منه هذه الشهادة، إذ من المؤكّد أنّ (غاية الفكر) ـ الذي هو عبارة عن مباحث العلم الإجمالي ـ طبع سنة ١٣٧٤هـ، بينما بلغ السيّد الروحاني﵀ مبحث العلم الإجمالي سنة ١٣٧٧هـ أو ١٣٧٨هـ، فكيف يكون الشيخ الجعفري قرأ على السيّد الروحاني﵀ المباحث التي دوّنها السيّد الصدر﵀ في (غاية الفكر)؟! إلاّ إذا كان مراده أنّه قرأها لدى السيّد الروحاني﵀ سنة ١٣٧٨هـ وهذا لن ينفعه طالما أنّ الكتاب صدر قبل ذلك، بل إنّه سيضرّه.

*** والنتيجة:**

١ ـ حضر السيّد الصدر﵀ عند الشيخ محمّد رضا آل ياسين والسيّد الخوئي﵉ عام ١٣٦٩هـ ، وترك درس السيّد الخوئي﵀ سنة ١٣٧٥هـ أصولاً و١٣٧٨ أو ١٣٧٩هـ فقهاً، وبحسب ما يذكره السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ فقد حضر السيّد الصدر﵀ درس خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين﵀ تأييداً له، وحضر درس السيّد الخوئي﵀ باعتباره الطريق

الوحيد الذي يستطيع من خلاله خدمة السيّد الخوئي، ولم يحضر درس السيّد محسن الحكيم...

مع ذلك كلّه يحضر درس السيّد الروحاني من سنة ١٣٧٠هـ إلى سنة ١٣٨٣هـ أو ١٣٨٥هـ أو ١٣٨٧هـ أو ١٣٩٠هـ وهو من سنة ١٣٧٨هـ أستاذٌ للخارج!!!

٢ ـ المستفاد من كلام السيّد الروحاني نفسه أنّه طلب من السيّد الصدر عدم حضور درسه، وقد عاتبه على ذلك السيّد الخوئي فأجاب السيّد الروحاني بأنّه طلب منه عدم حضور درسه هو لا درس السيّد الخوئي.

وهذا يعني أنّ هذا الطلب جاء في الفترة التي كان يحضر فيها السيّد الصدر عند السيّد الخوئي، ولا بدّ أن يكون ذلك بين ١٣٧٠هـ (سنة حضوره عند السيّد الروحاني بحسب الدعوى) وبين ١٣٧٥هـ (سنة فراغه من الدرس الأصولي عند السيّد الخوئي)، لأنّه إن كان بعد ١٣٧٥هـ فقد سبق أن ترك السيّد الصدر درس السيّد الخوئي الأصولي سنة ١٣٧٥هـ فلا معنى لاستنكار السيّد الخوئي.

وعليه فأقصى ما يُمكن ادّعاؤه هو أنّ السيّد الصدر حضر عند السيّد الروحاني من سنة ١٣٧٠ إلى سنة ١٣٧٥هـ. هذا ثبوتاً، والإمكان ثبوتاً لا علاقة له بالوقوع إثباتاً.

*** محاولة التوفيق بين الأقوال:**

إنّ شهادة الشيخ الجعفري يمكن تصوّرها بالتحليل بأحد وجهين:

الأوّل: أن يكون متعلَّق شهادته الحسيّة هو حضور السيّد الصدر بحث الخارج عند السيّد الروحاني، ويكون إصراره على هذا الأمر بالتحديد.

الثاني: أن يكون متعلَّق شهادته الحسيّة هو رؤية السيّد الصدر عند السيّد الروحاني، وتكون دراسة الخارج مستفادة من الحدس.

أمّا على الأوّل، فالشهادات الصادرة من الجهة نفسها شديدة الاضطراب، وهي كثيراً ما تعارض نفسها من ناحية وتعارض الشهادات الأخرى من ناحية ثانية، كما أنّ منطق طبيعة الأشياء لا يترك حيّزاً للأخذ بها.

أمّا على الثاني، فهذا ينسجم مع ما نقلناه عن السيّد الصدر نفسه من أنّه كان يتباحث مع السيّد الروحاني، وهو ما أكّده السيّد طالب الرفاعي.

والكاتب لا يستبعد أن تكون شهادات المثبتين من هذا القبيل، حتّى الميرزا هاشم الآملي، فالأرجح أنّ متعلَّق شهادته الحسيّة هو اجتماع السيّد الصدر بالسيّد الروحاني، أمّا تعيين كون الاجتماع من أجل دراسة الخارج فقد كان حدساً منه، وربّما لم يحتمل اجتماعهما للمباحثة نتيجة فارق السنّ الموجود بينهما، فإنّ السيّد الروحاني من مواليد سنة ١٣٣٦هـ (معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٦١٨)، أي أنّه يكبر السيّد الصدر بـ(١٩) عاماً.

إلاّ أنّ هذا لا يكفي كما هو واضح، خاصّةً بعد ملاحظة ما تقدّم ضمن أحداث سنة ١٣٦٥هـ من أنّ الصبّوري ـ وهو أحد تلامذة السيّد الروحاني في (الكفاية) ـ نقل عن السيّد الروحاني نفسه اعترافه بأنّ هذا السيّد الصغير ـ ويقصد السيّد الصدر ـ كان نتيجة الإشكالات التي يطرحها عليه يدفعه إلى المطالعة وأحياناً يتركه حائراً بلا جواب، وكان لا زال حينها في الخامسة أو السادسة عشر من عمره، فلا يبعد على الإطلاق أن يكون نِدّاً له بعد شروعه في دراسة الخارج، خاصّةً مع اطمئنان السيّد الخوئي إلى اجتهاده وهو في الرابعة عشرة من عمره، ومع شهادة السيّد الصدر بأنّ حضوره لدى السيّد الخوئي في حينها كان حضور استشكال لا تفهّم.

ومن هنا فنحن نحتمل أنّ الأمر قد التبس على كلّ من ادّعى دراسة السيّد الصدر بحث الخارج عند السيّد الروحاني، فظنّ أنّ مباحثتهما عبارة عن درس تتلمذي. وقد تفطّن السيّد موسى الصدر لما سيقع في المستقبل ونبّه السيّد الصدر إلى ذلك، وقد وقع ما توقّع، فلله درّه.. (انظر أحداث سنة ١٣٧٤هـ).

إشكال حول طريقة التعامل التاريخي

وقبل أن نستعرض عثرتين يُمكن أن تعترضا طريقنا، نشير إلى إشكال يُمكن أن يوجّه إلى طريقة تعاملنا مع المسائل التاريخيّة، وهو أنّ الشهادات إن كانت مخدوشة من جهة ما تتعرّضُ له من أرقام، فهي بلا شك تكشف عن أصل وقوع الحادث، وهو ما يكفينا في المقام.

وهذا بحقيقته مرتبطٌ ببحث أصولي حول سقوط المدلول التضمّني لدى سقوط المدلول المطابقي وعدمه. إلاّ أنّنا

نعتقد بأنّ معالجة البحث التاريخي بأدوات أصول الفقه ممّا يساهم في تشويه معالمه، إلاّ أن تكون الأدوات التي يستعيرها من بحث الأصول أدوات عرفيّة تنتمي إلى عالم الاحتمالات والظنون الواقعيّة، ففي البحث التاريخي لا يُمكننا اللجوء إلى استصحاب العدم الأزلي مثلاً لنفي وقوع حادثة.

أمّا في ما نحن فيه، فلفترض مثلاً أنّ شخصاً قال لك: لقد رأيتُ فيلاً يدخل في جحر الفأر.. فتحتمل في بداية الأمر أنه رأى حيواناً صغيراً، ولكنّ الأمر اشتبه عليه، فتقول له: من الممكن أن تكون قد رأيت حيواناً آخر، وإلاّ فمن غير الممكن للفيل أن يدخل في جحر الفأر، فيقول لك: لا إنّه فيل، ويحلف لك على ذلك الأيمان.. ومهما حاولت إقناعه بأنّ المسألة غير متعقّلة، يصرّ على موقفه. ففي حالات من هذا القبيل يتضاءل احتمال إصابة الخبر للواقع حول أصل وقوع الحادثة، لا حول تفاصيلها فحسب.

أمّا العثرتان اللتان نذكرهما:

*** عثرةُ الطريق الأولى:**

إن كان ما استفدناه إلى حدّ الآن منسجماً مع منطق الأشياء وطبيعة الأمور، فإنّه قد يواجه إشكالاً نابعاً من التقارب بين وجهات النظر الأصوليّة للعلمين المذكورين. هذا ولكنْ:

١ ـ إنّ دعوى المدّعي قائمة على أنّ درسهما كان فقهيّاً، وأنّ السيّد الروحاني كان يعرج إلى المطالب الأصوليّة استطراداً. وهذا في حدّ نفسه يضعّف وجود مقتضٍ لدعوى من هذا القبيل.

٢ ـ بعد قطع النظر عن ذلك نقول: إنّ وجود هذا التقارب يحتاج أوّلاً إلى تحقيق، ولا بدّ أيضاً أن تؤخذ تقريرات الشيخ حسن عبد الساتر بعين الاعتبار، لأنّها أقرب التقريرات إلى النصّ الذي ألقاه السيّد الصدر.

٣ ـ ثمّ على تقدير وجوده، فإنّه لا يغيّر من واقع ما استفدناه شيئاً، إذ لا مانع من رجوعه إلى المباحثة التي عقداها لا إلى درس الخارج المزعوم. إضافةً إلى اللقاءات التي كانت تحصل بينهما خلال الزيارات التي كان يقوم بها السيّد الصدر للسيّد الروحاني. وقد تساهل القومُ في إرجاع آراء السيّد الصدر إلى السيّد الروحاني وتعاملوا مع ذلك تعامل المسلّمات، والحال أنّه لا دليل على عدم العكس، فلا أقلّ من التكافؤ وصيرورة الأمر من قبيل الشبهة المصداقيّة.

*** عثرةُ الطريق الثانية:**

ثمّ إنّ البعض قد ادّعى أنّ هناك تقارباً حرفيّاً أو شبهَ حرفيٍّ بين التقريرين في بعض المطالب، فتعزّزت لديه قناعاته حول تتلمذ السيّد الصدر عند السيّد الروحاني.

وقد تكون هذه القناعة مبرّرة لمن لم يطّلع على حيثيّات هذا الدرس المزعوم، وإلاّ فإنّ من شأنها التشكيك في هذه القناعات لا تعزيزها، وبالتالي التحريك نحو البحث عن مبرّر آخر لهذا التقارب.

وبيان ذلك:

أوّلاً: لقد حضر السيّد عبد الصاحب الحكيم ـ مقرّر الدرس ـ دروس السيّد محمّد الروحاني ابتداءً من بحث (الاستصحاب) من الدورة الأولى على ما ذكره لي الشيخ محمّد رضا الجعفري (أي حدود ١٣٧٨هـ). والتقريرات المتوفّرة لدورس السيّد الروحاني عبارة عن تقريرات الدورة الثانية مع بعض ما تجدّد له من نظر في الدورة الثالثة (منتقى الأصول ١: ١٠ ـ ١١)، بل مع مقدار من الدورة الأولى كما سيظهر لك بإذن الله تعالى. وقد استمرّت الدورة الأولى من ١٣٧٠هـ حتّى ١٣٨٣هـ ثمّ بدأتِ الثانية. ومن خلال ملاحظة التواريخ الواردة بهذا الترتيب في (منتقى الأصول: ٧: ٢٣٥ ؛ ٢: ٢٧٥ ؛ ٧: ٤٤٦ ؛ ١: ٣٦٦ ؛ ٢: ٤٥٨ ؛ ٢: ٥١٨ ؛ ٣: ٤٧٢ ؛ ٤: ٢٣٥ ؛ ٤: ٣٦١) يمكن افتراض أنّ الدورة الثانية انتهت حدود رمضان/١٣٩٥هـ.

ثانياً: درّس السيّد الصدر دورتين في الأصول لم تتمّ الثانية منهما: وقد بدأت الأولى يوم الثلاثاء ١٢/جمادى الثانية/١٣٧٨هـ حتّى يوم الثلاثاء ١٢/ربيع الأوّل/١٣٩١هـ. وبدأت الدورة الثانية من ٢٠/رجب/١٣٩١هـ حتّى يوم ٢/رجب/١٣٩٩هـ حيث كان البحث في (الاشتغال). ولهذا فإنّ تقريرات السيّد كاظم الحائري (مباحث الأصول) ـ المشتملة على مباحث ما يُعرف بالقسم الثاني ـ عبارة عن تقريرات الدورة الأولى، أمّا تقريرات السيّد محمود الهاشمي (بحوث في علم الأصول) فهي تلفيقٌ بين الدورتين، وكذلك تقريرات الشيخ حسن عبد الساتر (بحوث في علم الأصول).

ثالثاً: إنّ الذين تبنّوا دراسة السيّد الصدر‌رحمه الله عند السيّد الروحاني‌رحمه الله لم يدّعوا أنّ السيّد الصدر‌رحمه الله قد حضر في الدرس العام، بل ادّعوا أنّ درسهما كان خاصّاً، وأنّه كان فقهيّاً (وقد تعهّدنا بقطع النظر مبدئيّاً عن كونه فقهيّاً، وإلاّ فإنّه في حدّ نفسه كاف لإبطال الدعوى أو إضعافها على أقلّ تقدير).

رابعاً: إنّ درسهما كان باللغة الفارسيّة على ما ذكره لي الشيخ محمّد رضا الجعفري، ونحن نعلم أنّ السيّد الصدر‌رحمه الله كان يحسن الفارسيّة.

كما أنّ الدورة التي حضرها السيّد عبد الصاحب الحكيم‌رحمه الله كانت بالفارسيّة على ما ذكره لي السيّد حسن نجل السيّد محمّد الروحاني بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٣م وأكّده لي السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣١م.

بعد هذا نقول:

* إنّ لدينا سلسلتين سارت فيهما المطالب، وفي كلٍّ منهما مجموعة حلقات.

ولنفترض مثلاً أنّ التقارب المدّعى واقعٌ في مباحث الاستصحاب أو التعادل والتراجيح، فحتّى تتمّ دعوى أنّ السيّد الروحاني‌رحمه الله هو مصدر مطالب السيّد الصدر‌رحمه الله، فستكون السلسلتان على الشكل التالي:

السلسلة الأولى:

١ ـ دوّن السيّد الصدر‌رحمه الله أو حفظ مطالب السيّد الروحاني‌رحمه الله في درسهما الخاص، وذلك بين ١٣٧٠هـ وبين ١٣٧٥هـ (وهي الفترة التي خلصنا إلى إمكان افتراضها ثبوتاً وإن لم يقم عليها دليلٌ سالمٌ عن المعارضة إثباتاً).

٢ ـ ثمّ بعد سنين وبين ١٣٨٦ ـ ١٣٩١هـ ألقى السيّد الصدر‌رحمه الله هذه المطالب على طلاّبه باللغة العربيّة بعد أن ترجم إلى العربيّة ما كان قد سمعه من السيّد الروحاني‌رحمه الله بالفارسيّة بين **١٣٧٠ ـ ١٣٧٥هـ**.

٣ ـ ثمّ دوّن السيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي والشيخ حسن عبد الساتر هذه المطالب.

إذن في هذه السلسلة يوجد: إلقاءٌ من السيّد الروحاني، تلقٍّ من السيّد الصدر‌رحمه الله، ترجمة من السيّد الصدر‌رحمه الله، إلقاء من السيّد الصدر‌رحمه الله، تقرير من قبل السيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي والشيخ عبد الساتر.

السلسلة الثانية:

٤ ـ وفي عرض ذلك وبين ١٣٧٨هـ ـ ١٣٨٣هـ أعاد السيّد الروحاني‌رحمه الله إلقاءها على طلاّبه، وذلك باللغة الفارسيّة.

٥ ـ ثمّ دوّن السيّد عبد الصاحب الحكيم‌رحمه الله مطالب السيّد الروحاني‌رحمه الله بعد ترجمتها.

وفي هذه السلسلة يوجد: إلقاءٌ من السيّد الروحاني، ترجمة ثمّ تقرير من السيّد عبد الصاحب الحكيم‌رحمه الله.

* ثمّ إذا كانت المطالب في مباحث الألفاظ غير المثبتة في تقريرات السيّد كاظم الحائري والمثبتة في تقريرات السيّد محمود الهاشمي والشيخ عبد الساتر من الدورة الثانية، فإنّ الفاصل الزمني سيكون أطول (١٣٩١هـ ـ ...).

ومن الواضح (١) أنّ النصّ إن كان قد صدر من السيّد الروحاني‌رحمه الله واحداً في بداية كلٍّ من السلسلتين، ثمّ مرّ بالحلقات المتقدّمة لكلّ سلسلة، ثمّ اتّحد في نهاية كلٍّ من هاتين السلسلتين.. **(٢)** أو أن يكون النصّ قد تغيّر لدى عبوره في السلسلتين المتقدّمتين، ولكنّه مع ذلك اتّحد في آخر الأمر..

أقول: من الواضح أنّ هذا ما لا تسمح بافتراضه بديهيّة الاتّصال في حساب الاحتمالات، ولعلّ امتناعه في الفرض الثاني أقوى (ولا حاجة إلى بيان ذلك بياناً رياضيّاً)..

وأنت خبيرٌ كذلك بأنّ فائدة ما قدّمناه هو أنّنا إذا أردنا ابتداءً قياس نسبة احتمال أن تكون دعوى التقارب الحرفي دعوى صحيحة، فإنّنا سنستبعدها بدرجة كبيرة ببركة بديهيّة الاتّصال وبالبيان المذكور.

أمّا لو وقفنا فعلاً على موارد يظهر فيها التقارب واضحاً، فإنّنا وببركة بديهيّة الاتّصال المتقدّمة سننفي أن يكون منشأ التقارب هو أخذ السيّد الصدر‌رحمه الله المطلب من السيّد الروحاني‌رحمه الله، وسنكون مجبورين على البحث عن مبرّر آخر.

وغير خفيٍّ عليك أنّ الدغدغة التي بيّنّاها بواسطة حساب الاحتمالات تشمل صورة تتلمذ السيّد الصدر‌رحمه الله عند السيّد الروحاني‌رحمه الله وصورة مباحثته معه، بلا فرق بينهما.

ونحن لا نريد أن نحوّل سهام البحث إلى الاتّجاه المقابل مثيرين قضيّة تتلمذ السيّد عبد الصاحب الحكيم‌رحمه الله عند السيّد الصدر‌رحمه الله (مستدركات أعيان الشيعة ١: ٩١)، فإنّه درس عليه المقدّمات ونصف السطوح فحسب (صحيفة لواء الصدر، العدد ١٩٤، الأربعاء ١٩/رجب/١٤٠٥: ٨ ـ ٩، وصحيفة لواء الصدر أعرفُ بحاله لارتباطها بآل الحكيم)، وإنّما نريد التذكير فقط بأنّ الجزءين الأوّل والسابع من تقريرات السيّد الصدر‌رحمه الله صدرا في حياته‌رحمه الله وقبل صدور تقريرات

السيّد الروحاني، أمّا باقي الأجزاء فقد صدرت جميعها بعد استشهاد السيّدين الصدر والحكيم وقبل صدور تقريرات السيّد الروحاني، ولذلك فإنّ السيّد عبد الصاحب الحكيم لم يطّلع على الأجزاء ٢، ٣، ٤، ٥ و٦ من تقريرات السيّد الصدر، فلا بدّ أن يكون التقارب المدّعى واقعاً في هذه الأجزاء الخمسة حتّى ينفتح البحث بشكلٍ جدّي، أمّا إذا كان واقعاً في الجزءين الأوّل والسابع فهذا لا ينفع المدّعي بل يضرّه.

ومهما يكن من أمر، فإنّ تقريرات السيّد الصدر صدرت قبل صدور تقريرات السيّد الروحاني، ولا يوجد على الإطلاق ما يبرّر البناء على صحّة الدعوى التي أبطلناها.

*** إشارة:**

تبقى الإشارة إلى أمرين:

الأوّل: أنّ السيّد الصدر حبّب للسيّد محمّد حسين فضل الله حدود عام ١٣٧١هـ حضور بحث السيّد الروحاني أصولاً، ولمّا حضر السيّد فضل الله لم يكن السيّد الصدر في درسه لا فقهاً ولا أصولاً (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٤ ـ٥٥ نقلاً عن السيّد فضل الله).

الثاني: نقل الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري أنّه قرأ الإهداء الذي كتبه السيّد الصدر على كتاب (فلسفتنا) عندما أهدى نسخة منه إلى السيّد الروحاني، وقد جاء فيه: «سيّدي وأستاذي». كما نقل الشيخ الأنصاري عن السيّد علي السيستاني ـ المرجع المعاصر ـ أنّ الأخير زار السيّد محمّد النوري في غرفته بمدرسة الخليلي بصحبة الشيخ علي أصغر الشاهرودي ووجد عن السيّد النوري كتاب (غاية الفكر) وقد أهداه إلى السيّد الروحاني بعبارة (سيّدي وأستاذي ومن إليه استنادي) (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٥).

وهاتان الحادثتان لا تغيّران القناعات التي توصّلنا إليها، فإنّها لا ترقى إلى مصافي المعارضة، لأنّ دراسة (المكاسب) وشيءٍ من (الكفاية) عند السيّد الروحاني وفق الطريقة المتقدّمة تكفي ليطلق السيّد الصدر وصف (الأستاذ) على السيّد الروحاني، خاصةً لمن يقف على ظاهرة الألقاب التي أطلقها السيّد الصدر على عشرات الأشخاص في حياته، أو إلى إشادته مثلاً في مقدّمة كتاب (اقتصادنا) بما بذله السيّد محمّد باقر الحكيم في سبيل إنجاز (اقتصادنا)، مع أنّ السيّد الحكيم نفسه يقول إنّ ما قدّمه لا يستحقُّ الذكر.

*** إنارة: في كون حكم الأمثال واحداً:**

يذكر السيّد محمّد صادق الروحاني أنّ أخاه السيّد محمّد الروحاني ادّعى أنّه ـ أي الأوّل ـ درس لديه، وهو ما نفاه السيّد محمّد صادق، وهو الحقُّ بعد ملاحظة أنّ السيّد محمّد صادق شرع في تدريس الخارج قبل أخيه السيّد محمّد على ما سمعته منه بتاريخ ٢٢ و٢٩/ذي القعدة/١٤٢٤هـ. كما أنّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قد عُدّ من تلامذة السيّد محمّد الروحاني مع أنّه لم يدرس لديه.

*** إنارة أخرى: في أنّ من شابه أباه ما ظلم:**

يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «رُوي عن المرحوم حجّة الاسلام والمسلمين الخلخالي أنّه قال: إنّ السيّد حيدر الصدر كان يُدرّس أثناء إقامته في الكاظميّة (الكفاية)، فاتّفق أنّ أحد أكابر الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ورد الكاظميّة وطلب منه السيّد الصدر أن يتباحث معه في (الكفاية) خلال فترة بقائه في الكاظميّة فلم يقبل، وهنا حاول السيّد حيدر الصدر أن يستثمر الفرصة بأسلوب آخر فطلب منه أن يتتلمذ عنده بتدريسه (الكفاية) خلال بقائه، فوافق على ذلك. فكان السيّد حيدر الصدر يدرّس جمعاً كبيراً من الطلاّب كتاب (الكفاية)، ثمّ كان يحضر لدى هذا العالم على أنّه طالب يدرس كتاب (الكفاية) عنده.

قال السيّد علي الخلخالي: إنّي سألت السيّد حيدر الصدر: ماذا صنعت بفلان الذي لم يقبل المباحثة معك في (الكفاية)؟ فأجاب: إنّي وصلتُ لما كنت أروم، ذلك أنّي أحضر لديه بعنوان التلميذ فيقرأ عليَّ مقطعاً من (الكفاية)، فينفتح باب المناقشة والبحث وكان هذا هو المطلوب لنا» (شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٣٨ ـ ٣٩).

وليتَ السيّد الصدر أصغى إلى نصيحة ابن عمّه السيّد موسى الصدر الذي طلب منه قطع المباحثة عندما علم بها، معلّلاً ذلك بأنّه سيقال إنّها درس وليست مباحثة وأنّ السيّد الصدر سيحسب من طلاّب السيّد الروحاني.

*** والنتيجة النهائيّة:**

أنّ دعوى دراسة السيّد الصدر عند السيّد الروحاني لا تنهض بإثباتها أدلّة يُمكن الاعتماد عليها، بل إنّ ما

السيّد محسن الحكيم رحمه الله يرفض استقبال الملك فيصل الثاني

عندما أراد الملك فيصل زيارة النجف عام ١٩٤٩م، بلَّغ مسؤولُ البلديّة السيّدَ محسن الحكيم رحمه الله بأنّ الملك سيأتي بعد يومين، ولكنّ السيّد رحمه الله رفض استقباله بعد أن كانت العادة أن يستقبل العلماءُ الملكَ في ضريح الإمام علي عليه السلام.

عندها جاء القائمقام وطلب منه الحضور فرفض ذلك أيضاً، فجاءه متصرّف كربلاء عبد الرسول الخالصي قائلاً: «**سيّدنا هذه إهانة لي وأنا شيعي**»، ولكنّ السيّد رفض كذلك. وبعدها دار نقاشٌ بينهما إلى أن نهره السيّد رحمه الله قائلاً له: «**نحن لسنا جزءاً من زخرف الحضرة حتّى يأتي الملك ويطلعونه على الزخارف، لقد اجتمعت معهم أوّل مرّة لوجود احتياجات للناس ذكرناها**[١]**، ولكن يبدو أنّ القضيّة ليست جديّة، حيث لم يتمّ لحدّ الآن تنفيذ هذه الحاجات وإنّما هي للدعاية، وأنا لستُ مستعدّاً أن أكون جزءاً من زخرف الحضرة..**».

عندها ذهب المتصرّف إلى الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله الذي لم يوافق أيضاً، فقصد الشيخ عبد الكريم الجزائري فلم يوافق كذلك.

وبعد شهرين مرض السيّد الحكيم رحمه الله، فأرسل البلاط الملكي لجنة طبيّة من أربعة أطبّاء كان من بينهم الدكتور محمّد الجليلي، وكان الهدف من ذلك إعادة الأمور إلى طبيعتها[٢].

فراغ السيّد الخوئي رحمه الله من دورته الأصوليّة الثانية

في ٢٦/ذي الحجّة/١٣٦٩هـ (٩/١٠/١٩٥٠م) فرغ السيّد الخوئي رحمه الله من دورته الأصوليّة الثانية[٣].

***

يُمكن الاعتماد عليه ويُساعد عليه منطقُ الأمور وطبيعة الأشياء ينهض على خلافها.

هذا إذا كان الإصرار على كونه قد درس لديه الخارج للمدّة المذكورة، أمّا إذا كان الإصرار على اجتماعهما وحيدَين لمدّة سنوات، فقد قلنا: إنّ هذا الاجتماع كان اجتماعَ مباحثة لا تتلمذ، وبالتالي لا يحقُّ لأحدٍ إرجاع آراء السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد الروحاني رحمه الله.

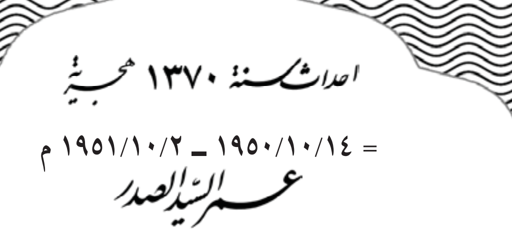
إضافةً إلى ذلك، فإنّ بعض المطالب التي يُدّعى أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد أخذها من السيّد الروحاني رحمه الله ليست موجودة في تقريرات السيّد الروحاني رحمه الله، وكأنّ أخذ هذه المطالب من قبيل أخذ الأعيان الخارجيّة التي إن أخذها الآخذ فُقدت من لدى المأخوذة منه!!!

هذا بحسب ما بين أيدينا من وسائل إحراز، والله هو العالم بواقع الأمور.

(١) كان السيّد الحكيم رحمه الله قد استقبل الملك فيصل أيّام كان السيّد أبو الحسن الإصفهاني رحمه الله في بعلبك للعلاج، وكان معه في الاستقبال الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيّد علي بحر العلوم. وفي تلك الزيارة قدّم السيّد الحكيم رحمه الله مجموعة من المطالب العامّة المتعلّقة بالناس، فسجّلت وانتهى اللقاء (من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٤٨).

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٤٨ ـ ٥٠.

(٣) انظر: الهداية في الأصول ٤: ٣٩٤.



١٦ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٥ سنة و٧ أشهر و١٣ يوماً م

❊ ❊ ❊

شروع السيّد الخوئي رحمه الله في دورته الأصوليّة الثالثة

في منتصف محرّم الحرام ١٣٧٠هـ (تشرين الأوّل ـ الثاني/١٩٥٠م)[1]، شرع السيّد الخوئي رحمه الله في إلقاء دورته الأصوليّة الثالثة، وكان السيّد الصدر رحمه الله حاضراً فيها.

رحيل الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله

في هذه الفترة كانت قد تدهورت الحالة الصحيّة للشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله، وكان مبتلىً بضيق النفس والضعف العام.

وعندما كان على فراش الموت وصلته ثلاثة آلاف دينار من الحقوق الشرعيّة، فأرسل خلف تلميذيه السيّد محمّد تقي بحر العلوم والشيخ عبّاس الرميثي رحمهما الله وأمرهما بتوزيعها على المستحقّين في تلك الليلة، فامتثلا أمره وفرغا من توزيعها قبيل الفجر[٢].

عند الساعة السابعة والنصف من عصر السبت في ٢٨/رجب/١٣٧٠هـ (١٩٥١/٥/٥م)، توفّي الشيخ محمّد رضا آل ياسين رحمه الله خال السيّد الصدر رحمه الله في بيته في الكوفة. وقد تمّ تغسيله في داره وشيّع إلى مسجد الكوفة وسجّي جثمانه في محراب الإمام علي عليه السلام حيث بات ليلته، وراحت الوفود تتقاطر عليه لتوديعه.

وفي اليوم التالي تمّ نقل الجثمان إلى مرقد الإمام علي عليه السلام حيث أقام الصلاة عليه أخوه الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله، وقد صلّى خلفه السيّد محسن الحكيم رحمه الله وغيره من العلماء. ثمّ حمل النعش إلى ضريح الإمام عليه السلام للزيارة، ومن ثمّ اتّجهوا به نحو باب الفرج ـ المعروف بباب العمارة ـ غرب الحرم حيث مقبرة آل ياسين ذات القبّة الزرقاء، ووري الثرى عند مرقد جدّه الأعلى الشيخ محمّد حسن آل ياسين الكاظمي رحمه الله. وكان الدّفن مساء يوم الأحد قبيل الغروب. وقد عطّلت لوفاته

---

(١) أمّا كون شروع السيّد الخوئي رحمه الله في هذه الدورة في محرّم ١٣٧٠ هـ، فلأنّه قد فرغ من دورته السابقة في ٢٦/ذي الحجّة/١٣٦٩هـ (١٩٥٠/١٠/٩م) (الهداية في الأصول ٤: ٣٩٤)، وبما أنّه لم يتبقَّ لشهر محرّم الحرام/١٣٧٠هـ سوى أربعة أيّام حيث تبدأ العطلة في أوّل محرّم وتستمرّ لحدود منتصف محرّم، فقد استقربنا أن يكون السيّد الخوئي رحمه الله قد شرع في دورته في منتصف محرّم/١٣٧٠ هـ. وأمّا كونها الدورة الثالثة، فلما ورد في: (دراسات في علم الأصول ٤: ٤٤٤).

(٢) نجفيّات: ٢٧٣. وقد سمع المؤلّف علي محمّد علي دخيّل من السيّد بحر العلوم يقول: إنّ الشيخ كان يعطيني في مرضه ما يصله من المال ويقول: وزّعه فإنّي أخشى أن أموت والمال عندي (نجفيّات: ٢٧٣).

الدروس وأقيمت له الفواتح ورثي بأكثر من مئة قصيدة شعريّة[١]. وقد نظم السيّد محمّد حسن الطالقاني في تأريخ وفاته:

نعى الناعي فأشجى سامعيه ... غداة نعى الفصاحة والبيانا
نعى عَلَماً له تعنو البرايا ... فأفقدها القداسةَ والحنانا
إمامٌ لم تدنّسه الخطايا ... وبحرٌ في الفقاهة لا يداني
مضى لله والتأريخ حاد ... محمّد الرضا وافى الجنانا[٢]

وألقى في الاحتفال السيّد مصطفى جمال الدين رحمه الله قصيدةً انتقد فيها مناهج الحوزة، وقد نشرتها مجلّتا (البيان) النجفيّة و(الأواح) اللبنانيّة، وممّا جاء فيها:

هلاّ تكونون من مصر وأزهرها ... كما يكون من السلسال منبعُه
أم لا فنحن أناسٌ عمرنا سفهٌ ... إن لم نكن بـ(أتى زيدٌ) نضيّعه[٣]

وبمناسبة وفاة الشيخ آل ياسين رحمه الله كتب السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله إلى الشيخين مرتضى وراضي آل ياسين رحمهما الله يعزّيهما:

«ألا أيّها الموت الذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كلّ خليل
أراك بصيراً بالذين أحبّهم ... كأنّك تنحو نحوهم بدليل

لا غرو أن سئمتُ الحياة الدنيا وعزفت نفسي عنها، فإنّ فقدان الأحبّو وثكلان الأعزّة يوجب ذلك بحكم الفطرة والجبلّة، وما عليّ من معرّة إذا ما مللت عمري وسئمت حياتي وتفطّرت حرقاً وتفجّرتُ علقاً، فمن لي بالجلد وأين لا أين يوجد، وأحبابي تسفر وأترابي ظعن والدار قفر والجناب صفر.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكّة مسامر

فآهٍ وأوّاه على إخواني مصابيح دجى العالم ومقابيس هدى بني آدم، أعلام الدين من آل الصدر وياسين.

سبقوا هواي وأعنقوا لهواهم ... فتخرّموا ولكلّ جنبٍ مصرعُ

فللعين القذى وللحلق بعدهم الشجى، والليل مسهّد والحزن سرمد، أو يختار الله لي دارهم التي ظعنوا إليها:

أيجيب منّي القلب داعي سلوةً ... وهو الأصمُّ الوقر عن نغماتها
أيقاد سلس القود نحو نديّها ... فيعوج شامسه على أبياتها
هيهات يقعده السلوّ وغدوة ... عند الأحبّة هجهجت جسراتها

هيهات هيهات وقد أومض برق العراق بصاعقةٍ اقشعرّت لهولها الآفاق فاضطربت لها الحواس، وانخلعت بها قلوب الناس، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٣٢ ـ ٥٣٤ ؛ دراسات فقهيّة على هامش كتاب العروة الوثقى: ٦ ؛ أساطين المرجعيّة العليا: ٣٥ ـ ٤٠.

(٢) انظر الأبيات في: طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٧٥٨.

(٣) مصطفى جمال الدين.. ملامح في السيرة والتجربة الشعريّة: ٣١ ـ ٣٢.

قضى إمام الأمّة ومفزعها في كلّ ملمّة وطريقها الفاصل بين الحق والباطل، قضى والله فصل خطابها ومفصل صوابها، قضى شخص العلم والعمل ومناط الرجاء والأمل:

مـصابٌ عظـيمٌ هولـه بلـغ السـما   وخطـبٌ جـسيمٌ صـيّر الـدهر في عمـى

اندكّ الطود الذي يمسك الله به الأرض أن تميد وبه يغيث الناس فيمطرهم رحمةً وفضلاً، فإذا صبري قتيل وأمري عويل، وحياتي شقاء وكلّ ما حولي ثكلٌ وبكاء.

ويا لهف أرضي وسمائي على بقيّة سلفنا الهاشمي، وتليّة شرفنا الفاطمي المفدّاة، تأخذها القارعة تلو القارعة، وقد بلغت من الكبر عتيّاً، رحماك اللهمّ ربّنا وحنانيك في أَمَتك هذه الضعيفة وابنة عبديك وأنت أعلم بها وأرحم، ولك عليها سوابق النعم، أشبلتها الضراغم لتكونَ بينهم أعزّ من جبهة الأسد، اللهمّ فأفرغ عليها من الصبر ما تستوجب به أعظم الأجر، وأورف عليها من ظلال علميها ما تتقلّب فيه على مهاد الدعة، وتستظلّ فيه تحت سماء العزّ، على ما لها من الباقيات الصالحات، فإنّها خيرٌ عندك ثواباً وخيرٌ أملاً.

أمتِع ربَّنا عبادَك بآية الله المرتضى وحجّته الراضي ومن إليهما، واحفظ عبدك الراحل إليك في ولده الفاضل الوحيد واجعله خلفاً له ولسائر سلفه، وامنن على سائر آل الصدر وياسين بما منّ به على الصابرين المحتسبين من الزلفى لديك وحسن المآب إليك، واجعلهم عنوان الصبر الذي تربط به الأفئدة، وتمسك به القلوب، ليتعزّوا بعزاء الله ويحتسبوا ما أصابهم في جنب الله، فإنّ في الله عزّ وجلّ عزاءً من كلّ مصيبة، وعوضاً من كلّ فائت، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون»[١].

مشاركة السيّد الصدر ﵀ في مجلس التعليقة على (بلغة الراغبين)

بعد رحيل الشيخ آل ياسين ﵀ علّق الشيخ عبّاس الرميثي ﵀ بتعليقته على رسالة الشيخ آل ياسين المسمّاة (بلغة الراغبين).

ولفرط اعتقاده وشدّة إيمانه بذكاء السيّد الصدر ﵀ طلب منه أن يحضر مجلس التحشية، فلبّى السيّد ﵀ دعوة الشيخ واشترك في المجلس وكتب وقتئذ تعليقةً على (بلغة الراغبين). وكان يقول له الشيخ عبّاس الرميثي في ذاك التاريخ: «**إنّ التقليد عليك حرام**»[٢].

وكان السيّد الصدر ﵀ يأسف على ضياع تعليقته على (بلغة الراغبين)، إذ كانت تعتبر من أغلى ذكريات عمره العلمي، إلى أن شاء الله تعالى أن يعثر عليها بعد ذلك الشيخ محمّد رضا النعماني،

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٠) ؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٩ ؛ ترجمة السيّد الصدر، الشيخ محمّد رضا النعماني (﵀) ؛ وانظر حول الموضوع: الندوة ٣: ١٠٢ ؛ من حديث السيّد محمّد حسين فضل الله حول العلماء: ١٦ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٦٤ ؛ ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٩.

وقد قال لي الشيخ محمّد رضا الجعفري بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥م: إنّ «(السادة) صنعوا من السيّد محمّد باقر الصدر أستاذاً، أعني الشيخ عبّاس الرميثي، وأنكروا أستاذيّة السيّد الخوئي ﵀، ولكنّهم اضطرّوا بعد ذلك إلى الاعتراف بها. أمّا أستاذيّة السيّد الروحاني فقد أنكروها، ولكنّ ذلك لا يهمّ على الإطلاق، لأنّ السيّد الروحاني إن كان قد درّسه لوجه الله، فعلى الله أجره ولا حاجة له إلى أجر الآخرين».

أقول: أمّا أستاذيّة السيّد الروحاني ﵀ فقد تقدّم التحقيق حولها. أمّا إنكار أستاذيّة السيّد الخوئي ﵀، فالخدش في هذه الدعوى واضح، لأنّ السيّد الصدر ﵀ يذكر السيّد الخوئي ﵀ في ثلاثة موارد من كتابه (غاية الفكر) الذي شرع في تأليفه في هذه الفترة ويعبّر عنه بـ(الأستاذ)، فلاحظ: غاية الفكر، ط المؤتمر: ٦٤، ٦٩ـ ٧٠، ٧٩.

ولكنّها الآن مفقودة للأسف الشديد[١].

وضع السيّد الصدر﵀ المالي

أطلع السيّدُ محمّد الروحاني﵀ أخاه السيّد محمّد صادق الروحاني على الوضع المالي للسيّد الصدر﵀ وأنّه في وضع مأساوي، وطلب منه أن يطلب من عمّه السيّد صدر الدين الصدر﵀ (والذي تزوّج السيّد الصدر﵀ فيما بعد كريمته) مساعدته.

وعندما أطلع السيّد محمّد صادق الروحاني السيّد صدر الدين﵀ على الأمر، اعتذر بأنّ وضعه كذلك صعبٌ للغاية ولا يتأتّى منه شيء. فطلب منه السيّد محمّد صادق مفاتحة السيّد حسين البروجردي﵀ بالموضوع، فاعتذر عن ذلك أيضاً لموانع ذكرها، وأحال الموضوع على السيّد محمّد صادق نفسه باعتبار أنّه لا مانع يمنعه من مفاتحة السيّد البروجردي﵀ بالموضوع. وبالفعل تمّ ذلك، وصار السيّد البروجردي﵀ يرسل للسيّد الصدر﵀ مساعدة ماليّة من وقت لآخر[٢].

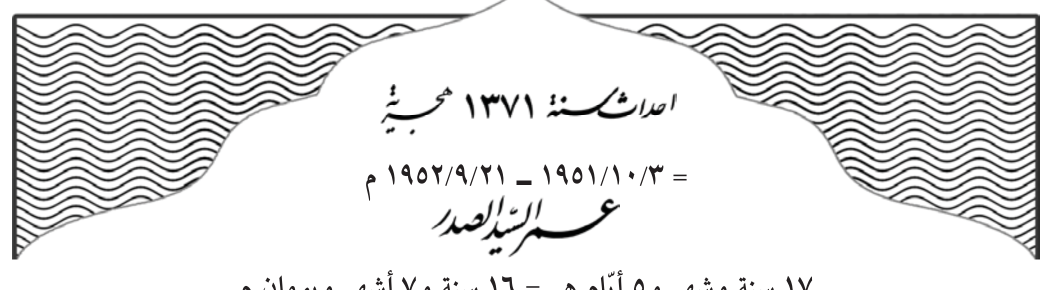
❊❊❊

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٩. وانظر أحداث سنة ١٣٩٦ هـ.

(٢) حدّثني بالحادثة السيّد محمّد صادق الروحاني بتاريخ ٣٠/ذي القعدة/١٤٢٤ هـ.

وتاريخ هذه الحادثة لا يرجع بالضرورة إلى هذا العام، لكنّنا أدرجناها هنا لأنّ ما نعلمه هو أنّها بين أواخر العام ١٣٦٩هـ (تاريخ هجرة السيّد محمّد صادق الروحاني إلى مدينة قم المقدسّة) وبين عام ١٣٧٣ هـ (تاريخ وفاة السيّد صدر الدين الصدر﵀).



١٧ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٦ سنة و٧ أشهر ويومان م

***

الشروع في (غاية الفكر)

ربّما في هذا العام[(١)]، شرع السيّد الصدرﷺ بكتابة دورة كاملة في علم الأصول مؤلّفة من عشرة أجزاء تمثّل مبانيه في القواعد الأصوليّة سمّاها (غاية الفكر)، طُبع منها الجزء الخامس في (الاشتغال) فحسب[(٢)]، والأجزاء الباقية مفقودة. وقد تعرّض في الكتاب إلى بعض آراء الشيخ آل ياسين والسيّد الخوئيﷺ. ويبدو أنّه كتب الجزء الخامس المطبوع خلال ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣هـ[(٣)].

---

(١) ذكر السيّد الصدرﷺ في مقدّمة الكتاب سنة ١٣٧٤ هـ أنّه قد شرع في تأليف الكتاب منذ حوالي ثلاث سنوات. وذكر البعض أنّه كان في السابعة عشرة من عمره. وفي الرسالة التي كتبها الشيخ محمّد رضا النعماني وكذلك رسالة السيّد محمّد الغروي (ﷺ) أنّ ذلك كان عام ١٣٦٩هـ. فإمّا أن نقول مثلاً: إنّ السيّد الصدرﷺ كتب مقدّمة الكتاب سنة ١٣٧٣هـ ثمّ طبع سنة ١٣٧٤هـ وبالتالي فإنّ قوله (تقريباً) قد يتّفق مع ١٣٦٩هـ، وإمّا أن نقول: إنّ السيّد الصدرﷺ حين كتابة المقدّمة كان أذكر للأمور، فيقدّم ما جاء في المقدّمة بملاك الأذكريّة كما يعبّرون. والذي يبدو لنا أنّه شرع في الدورة سنة ١٣٧١هـ لا في الجزء الخامس بالخصوص.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢١؛ وانظر أحداث سنة (١٣٧٤هـ).

(٣) في الرسالة التي كتبها الشيخ محمّد رضا النعماني (ﷺ) جاء أنّ ذلك كان عام ١٣٧١هـ، وقد استعرض السيّد الصدرﷺ في ثلاثة موارد من كتابه (غاية الفكر) بعض الآراء الأصوليّة ونسبها إلى «بعض مشايخنا المحقّقين» (انظر: غاية الفكر: ٦٨، ٦٩، ١٣٦، ط المؤتمر العالمي)، وقد ذيّلت اللجنة العلميّة في المؤتمر العالمي هذه الموارد بقولها: «لم نعثر عليه». ويبدو لي أنّه الشيخ محمّد رضا آل ياسينﷺ، ويبدو أنّه استفاد هذه الآراء من مجلس التحشية المتقدّم سنة ١٣٦٩هـ، حيث تعرّض الشيخ آل ياسين في درسه الفقهي إلى بعض مسائل العلم الإجمالي.

كما استعرضﷺ في ثلاثة موارد من الكتاب المطبوع رأي السيّد الخوئيﷺ الذي عبّر عنه بـ(الأستاذ)، وهذه هي الموارد:

١ ـ «الثاني: ما ذكره سيّدُنا الأستاذ من أنّ المحذور حاصلٌ، وهو الجمعُ في الترخيص وإن لم يلزم الترخيص في الجمع» (غاية الفكر، ط ج : ٦٤).

٢ ـ «وقد فصّلنا هذا في مباحث القطع من هذا الكتاب، وبيّنّا الوجهَ في بطلان القضيّة الحينيّة تبعاً لسيّدنا الأستاذ، فإنّه ذهب إلى ذلك، وإلى أنّه لا واسطة بين الإطلاق والتقييد..» (غاية الفكر: ٦٩ ـ ٧٠).

٣ ـ «وقد أفاد سيّدنا الأستاذ دامت بركاته في المقام: أنّ الأصلين العرضيّين إمّا أن يكونا من سنخٍ واحدٍ، أو من سنخين». (غاية الفكر: ٧٩).

والكلامان الأوّل والثالث قد ذكرهما السيّد الخوئيﷺ في (تتمّة دوران الأمر بين محذورين) وفي (التنبيه الأوّل من تنبيهات دوران الأمر بين محذورين)؛ أمّا الثاني فقد ذكره في مبحث (المطلق والمقيّد) أي في أواخر المباحث اللفظيّة.

ولمّا كان فراغ السيّد الخوئيﷺ من مباحث الألفاظ من دورته الأصوليّة الثانية في ٢٠/ربيع الثاني/١٣٧٢هـ (دراسات في علم الأصول ٢: ٣٥٤)، فهذا يعني أنّ السيّد الصدرﷺ كتب الجزء الخامس المطبوع (أو عدّله وأضاف عليه) بعد

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم: «**نجد الشهيد الصدر يتمكّن من كتابة دورة كاملة لأصول الفقه وهو في سنٍّ يقارب العشرين عاماً. وكان يقول عن كتاباته هذه: إنّها تشكّل الأساس لكلّ أفكاره الأصوليّة بحيث إنّه كان يقول: إنّه في المراحل اللاحقة لم يحصل تغييرٌ لديَّ ـ إلاّ بشكلٍ جزئيّ ـ في أفكاري وتصوّراتي في علم الأصول**»(1)، وهو ما يؤكّده السيّد محمود الهاشمي(2).

رسالة إلى السيّد صدر الدين الصدر حول حاشيته على (وسيلة النجاة)

في ٢٣/جمادى الأولى/١٣٧١هـ (١٩٥٢/٢/٢٠م)، كتب السيّد الصدر إلى عمّه السيّد صدر الدين الصدر رسالةً جاء فيها:

«٢٣ شهر جمادى الأولى(3)

بسمه تعالى

سيّدي ومولاي وقبلتي التي يسجد أمامها قلبي، وعمّي وما أحلاها من كلمة، وما أرسخها من لفظة في أعماق روحي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فما أشدّ شوقي إلى تقبيل راحاتكم الكريمة والتمتّع بقربكم الحبيب، وإنّي أسأل الله تعالى الذي لم يقدّر لنا أن نسعد برؤيتكم حتّى الآن، أن يسعدنا جميعاً بدوام وجودكم الشريف، وامتداد ظلالكم الظليلة، التي نجد في فيئها عطف الأبوّة وحنانها، بحقّ محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

قد تشرّفتُ أخيراً برؤية حاشيتكم المباركة على وسيلة النجاة، وكنتُ كثير التشوّق إليها وإلى الاستفادة ممّا تضمّنتها من نكات دقيقة، وتشير إليها من التفاتات عبقريّة، وتنبّه عليها من مطالب عالية، وإن حصلت في ذهني عدّة تأمّلات في بعض المواضيع الدقيقة، مضافاً إلى ما قد يكون التأمّل فيه من جهة أصل المباني الأصوليّة التي هي المدرك في كثيرٍ من المسائل.

وكيف كان، فيا حبّذا لو اهتممتم بطبعها لتحتلّ الصدارة في عالم التعليقات على الوسيلة. وكيف لا تكون كذلك! وهي صادرةٌ عن قريحة علميّة من أجلّ القرائح، وعبقريّة فكريّة من أبرع العبقريّات، وشخصٍ هو فريد العلماء والمجتهدين، وصدر الدنيا والدين.

تحيّاتي الأخويّة الخالصة لابن العمّ العلاّمة الحجّة أبي كاظم، والعلاّمة الكبير السيّد موسى، وأخيهما الفاضل الشريف، سلّمهم الله جميعاً.

محمّد باقر الصدر

هذا التاريخ بعد أن كانت مباحث المطلق والمقيّد في آخر مباحث الألفاظ.

وبحسب الحساب الرياضي، ينبغي أن يكون السيّد الخوئي قد بلغ إلى مباحث العلم الإجمالي التي ينقل عنها السيّد الصدر من الدورة الأصوليّة الثالثة حوالي شهر رجب/١٣٧٣هـ ولهذا قلنا: إنّ السيّد الصدر كتب مباحث الجزء الخامس حوالي ١٣٧٣هـ.

(1) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢١. وهو يوافق ما سمعته من السيّد كمال الحيدري نقلاً عن السيّد الصدر حيث قال: لا تتصوّروا أنّ المطالب التي أقوم بإلقائها الآن أنّي توصّلت إليها في هذه المرحلة، بل إنّها جاهزة عندي قبل بلوغي العشرين سنة.

(2) مقابلة مع السيّد محمود الهاشمي (•).

(3) بضميمة أنّ المراد في ما يأتي هو رحيل السيّد محمّد تقي الخونساري المتوفّى سنة ١٣٧١هـ (مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢١١ ؛ ٧: ٢٧٥)، فإنّ تاريخ الرسالة يكون سنة ١٣٧١هـ كذلك.

لا أدري هل هناك أخبار عن السياسة العلميّة بعد التطوّرات الأخيرة ووفاة بعض الأعلام[١]، ممّا يستحقّ أن يتحفنا ابن العم السيّد أبو كاظم بتفاصيلها وشؤونها أم لا؟!»[٢].

وفاة السيّد محسن الأمين رحمه الله

عند الساعة الحادية عشرة من مساء السبت ٣/رجب/١٣٧١هـ (١٩٥٢/٣/٢٩م) توفّي السيّد محسن الأمين رحمه الله، وقد نعته الإذاعة اللبنانيّة ثمّ إذاعات العالم العربي والإسلامي. وفي يوم الأحد كانت دار الفتوى تتقبّل التعازي بوفاة السيّد الأمين رحمه الله.

وعند الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين خرج جثمان الفقيد من منزل نجله السيّد محمّد باقر الأمين في منطقة الحرج، وقد امتدّ موكب المشيّعين من الحرج إلى الجامع العمري الذي وصلوه عند الساعة الثانية عشرة ظهراً، فصلّى عليه مفتي الجمهوريّة الشيخ محمّد علايا، ومنحه السيّد أحمد الحسيني وزير الأشغال ممثّلاً رئيس الجمهوريّة وسام الأرز برتبة (ضابط أكبر).

ثمّ وضع الجثمان في عربة صحيّة وتبعته مئات السيّارات من المشيّعين الذين ازداد عددهم حين وصول التشييع إلى منطقة شتورا. وعلى الحدود السوريّة كانت بانتظار الجثمان الحشود السوريّة التي رافقته إلى المدرسة المحسنيّة حيث بقي إلى غد.

وفي اليوم التالي نقل الجثمان إلى المسجد الأموي حيث صلّى عليه الشيخ محمّد كامل القصّاب عالم الشام، ومن بعدها نقل إلى تربة باب الصغير، ثمّ نقل بالسيّارة إلى مقام السيدة زينب عليها السلام حيث أعدّت له غرفة كبيرة وري فيها الثرى[٣].

وفاة الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله خال السيّد الصدر رحمه الله

قبيل ظهر يوم الخميس ١٦/ذي القعدة/١٣٧١هـ (١٩٥٢/٨/٧م) توفّي الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله خال السيّد الصدر رحمه الله في دار السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في شحور، فنقل جثمانه إلى النجف الأشرف ليدفن هناك في مقبرة آل ياسين[٤]. وعلى إثر ذلك كتب السيّد شرف الدين رحمه الله إلى الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله:

«بنفسي أنت ـ آية الله المحكمة ـ كيف تجدك على حرّ المصاب ووقد الفجيعة، أتراك مولّها مدلّهاً مهيض الجناح؟! أم تراك الصابر الراسخ على مضّ الجراح؟!

بنفسي أنت. إنّ الوجيعة لتمدّ على بصري غشاوة لا أتبيّنك من خلالها، أمتصدّعٌ أنت أم مدرّع، وإنّ

---

(١) يقصد وفاة السيّد محمّد تقي الخوانساري رحمه الله سنة ١٣٧١هـ بحسب ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١١) ؛ مجلّه تخصصى كلام اسلامى (فارسي)، العدد ٥٦: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ٤: ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٤) انظر: طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٧١٨ ـ ٧١٩ ؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٢٨ ـ ٥٢٩ ؛ موسوعة العتبات المقدّسة ١٠: ١١٨ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٤٧ ـ ٤٨. وفي المصادر أنّ وفاته كانت في ١٥/ذي القعدة/١٣٧٢هـ ولكنّ رسالة السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله مؤرّخة بـ٢٢/ذي القعدة/١٣٧١هـ، وقد جاء في سجلّ رسائله أنّ وفاته كانت في يوم الخميس ١٦/ذي القعدة/١٣٧١هـ . كما أنّ السيّد عبد الله شرف الدين يؤكّد على أنّ وفاته رحمه الله كانت سنة ١٣٧١هـ لا ١٣٧٢هـ (كما أتذكّره جيّداً) بحسب تعبيره (مع موسوعات رجال الشيعة ١: ٦٧٤).

لك عندي في الحالين منجىً من اللائم وسنّة للمقتدي، فإن تجزع فعلى مثل أبي عز الدين يجب الجزع، وإن تصبر فبمثلك يليق الصبر.

فكن ـ يا فديتك ـ ما أنت كائن في مواجهة هذه القارعة، أمّا أنا فليتني كنت فداء الأخوين البطلين يخرّ واحدهما إثر أخيه، والعلمين المنطويين لا يكاد يلفّ أوّلهما حتّى يقفوه ثانيه، ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسيّاً.

وبماذا أحدّثك عن أبي عزّ الدين؟ بطل العلم والأخلاق والفضيلة، وأيُّ خصبٍ فيه لا تشهده مهتزّاً رابياً مخضلاًّ دانياً يؤتي الثمار؟ وأيّة لحظة منه لا تزحم أختها، بل يبسم إليك منٍ مناقب نفسه، وجوامع خصاله.

نعم؛ أنا محدّثك عن أمر لم تشهده يغنيك عن غيره ولا يغني غيره عنه:

رأيته يخوض المعركة تطيش الأحلام وتذهل الألباب وتُذهب العقول، فكان ينتقل فيها من نصرٍ رائع إلى نصرٍ أروع، بسّاماً لم يتغضّن له جبين، وضّاحاً لم تغمّ له طلعة، مطمئنّاً لم تزغ له نظرة، رابط الجأش شديد المراس تزول الجبال ولا يزوال.

رأيته يقهر الموت في معركة جسمه وروحه، ويكرهه على الانحناء في طريقه إليه، ولا أعرف هذه القدرة القادرة إلاّ لنفس راضٍ مرتاض تسمو روحه وتسمو حتّى تتحرّر من أسر جسده، متعالية على أعراض ضعفه، كما تتعالى على ضعف نزواته.

رأيته والداء يغير على جسمه عنيفاً منكراً هائلاً فلا يأبه به، حتّى كأنّ جسمه ليس منه وكأنّ الأمر لا يعنيه، فهو مدبر عن آلامه مقبلٌ على ربّه، يرجو ما أعدّه الله للصابرين من أمثاله، يهشّ لزوّاره ويتحدّث إليهم بما يعنيهم وبما يسرّهم، حتّى إذا حانت اللحظة الحاسمة وهدأ الجسد المجهد من حركة الصداع، ألفيته يختار من الموت ما يشاء من ميتة الأنبياء والأولياء.

في الأرض جــــوهر جــــسمه الــــفــــاني وفي الملكــــوت عقلــــه

ألفيت الموت نفسه يفتح بين يديه باب الحياة كما يشاء، ذلك هو فعل الصبر صبركم آل ياسين المحتسبين، ينتصر هذا الانتصار عارفٌ مؤمنٌ يحيي بروحه لا بجسده، ويعيش لآخرته لا لدنياه.

هذا هو أخوك ـ يا فديتكم ـ ألا ترضيك حتّى تسلّيك روحه التي لم ينل منها الموت.! ألا تهزّك فتعزّيك غرُّ معانيه التي زفّته إلى الغرفة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

علم الله أنّي كنتُ أتوقّع أن يفتك بي مصابه الفتكة تسيح لها قدماي، حتّى إذا رأيته ونفسه الطاهرة تفيض على يدي، فإذا هي تفيض عليّ من صبره البطولي صبراً ومن حياته الحق عزاء.

نبعتان للعزاء زخّارتان: إحداهما تتسلسل من ذاتك كوثريّة والثانية تترقرق في نفس أخيك نميريّة فاغرف من أيّهما شئت، وأفض على الأمّة من سلامتك الضوء والجمال.

والحمد لله الذي جمع فيك ما تفرّق في صنويك العظيمين من خصائص وهبات، وكأنّ الله يوم برأكم وقدّر للأمّة أن ترى منك وتراً ما قد رأته منهما شفعاً، وذلك ما يجب أن يكون عزاءك بمقدار ما هو [عزاؤنا].

فكن ـ كما شاء ـ العزاء المذخور لنفسك ولهذه الأمّة الموصولة الهدى والصبر بخيوطٍ من آل ياسين وهداهم.

بقيت أمور في هوامش المصاب تحزُّ في نفسي حزّاً شديداً، في طليعتها أنّنا لم نستطع كشف [..]، لا

لتقصير منّا في المحاولة بل لتمكّن الداء في جسمه الطاهر، وكنّا على استعداد أن نفتديه بالأعلاق والأنفس، لولا أن يسدّ الأطبّاء علينا هذه الطريق بما كتمناه عنه وعنكم في حينه حرصاً على راحته وراحتكم.

وأشدُّ من هذا حزّاً في نفسي أن تكوى الخضرات الطاهرات ـ من بناته، بناتي ـ بنار اليتم في داري، وأن تلفح شموسه هذه الشمس في بيتي، ثمّ لا أستطيع لدفع الكرب عنهنّ أكثر من هذه الدمعة المسفوحة، و[..] الهادرة، وحزن دائمٌ حتّى يختار الله لي لحاقه.

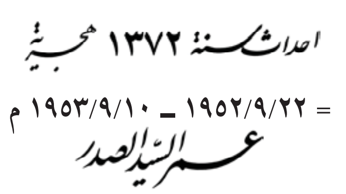
لقد كان يتمنّى الحياة ولا يتمنّاها إلاّ لأمر واحد هو أن يردّ عليهنّ /// معروفهنّ في تمريضه وتمريض والدتهنّ، ترى كيف كان يريد أن يردّ المعروف؟ [أإنّي] على معرفة لأساهم بردّه، فهو دينٌ يلزمنا الوفاء به.

ولا تذكّرني بمفيد، هذا الدارج العزيز، فلذكره روعٌ في نفسي أرجو أن يطمئنّ إذا أحسّ بعد ذعره بَرْدَ مسّك ورحمة جناحيك، فضمّ على أولئك الفراخ ذراعيك، واتركني للوحشة بعدهم تطلّ عليّ في الصباح بوجه كاسر، وفي المساء بطلعة غول، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٢٢ ذي القعدة ١٣٧١»[١].

* * *

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢)؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٧٠ ـ ١٧٣.



= ١٩٥٢/٩/٢٢ ـ ١٩٥٣/٩/١٠ م

١٨ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٧ سنة و٦ أشهر و٢١ يوماً م

***

انتفاضة تشرين الأوّل وتأسيس الحزب الجعفري

في تشرين الأوّل/١٩٥٢م (محرّم/١٣٧٢هـ) اندلعت انتفاضة شعبيّة طالب فيها الشعب بانتخابات مباشرة حرّة وجعل رئيس الدولة ـ أي الملك ـ على غرار النظام البريطاني «**يحكم ولا يملك**»[(١)].

وعلى إثر بعض الأحداث في النجف الأشرف ـ ربّما كانت لها علاقة بانتفاضة تشرين الأوّل ـ قام مجموعة من شباب النجف ـ السيّد حسن شبّر والحاج عبد الصاحب دخيّل والسيّد محمّد صادق القاموسي، [السيّد مهدي الحكيم، الشيخ محمّد رضا العامري، السيّد محمّد بحر العلوم، السيّد جواد العاملي] ـ بتأسيس تنظيم شبابي يهتمّ بإقامة المجالس الحسينيّة الهادفة، إضافةً إلى التحرّك على أبناء الأمّة لتغييرهم نحو الإسلام وهدايتهم[(٢)]، حيث كانوا يعتقدون بأنّ الإسلام يجب أن يعرض بوصفه نظاماً للحياة ولا ينبغي الاقتصار على جانب الشعائر والعبادات وقسمٍ من المعاملات[(٣)]، وكانوا يعملون على تزكية النفس من ناحية وعلى التحرّك السياسي من ناحية أخرى.

وقد قصدوا مراجع وعلماء النجف: السيّد محسن الحكيم، الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائري رحمهم الله وطالبوهم بمطالبة الحكومة بأن تخضع النجف الأشرف لحكم ذاتي، إلاّ أنّهم أجيبوا بأنّ هذا غير ممكن[(٤)].

وفي ٩/ربيع الأوّل، اعتلى السيّد مهدي الحكيم رحمه الله المنبر وألقى قصيدةً جاء فيها:

متى ينجلي هذا الظلام عن الهدى ... وتصبح للناس الحقيقةُ موردا
وحتّى متى يا ابن العسكري اصطبارنا ... فإنّا غدونا لا نطيق التجلّدا
فذا جدّك الكرّار خانوا بعهده ... وصار مسيوداً بعد أن كان سيّدا
وذي أمّك الزهراء أسقط حملها ... ولم يحفظوا فيها النبيَّ محمّدا
وميراثها قد أنكروه وأثبتوا ... حديثاً له ربّ الخلائق فنّدا
وذا الحسنُ الزاكي تجرّع أكؤساً ... من الصاب هانت عندها أكؤس الردا

---

(١) موسوعة السياسة ٤: ٥٨.
(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٣٧. وما بين [] من: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٢٩ ـ ٣٢؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٥ ـ ٤٦.
(٣) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (رحمه الله).
(٤) مقابلة مع السيّد حسن شبّر (حفظه الله).

وفـي كـربلا كـم أبـرزوا مـن عقيلـة وكـم فتّـوا للمـصطفى الطهـر أكبـدا
وذي حالنـا يـا صـاحب الأمـر مثلمـاً تراهـا فقـد تهنـا عـن الحـق والهـدا
فعجّل فـدتك الـنفس فـي نهضة بهـا تجمّـع شـمل المـسلمين المبـدّدا
وعجّـل فهاتيـك المبـادئ قـد غـدت تهـدّم صـرحاً للهدايـة شـيّدا
وعجّـل فهـذا الـدين يـصرخ داعيـاً حمـاة تنجّيـه فلـم يـرَ منجـدا
أجـل يـا إمـام العـصر تلـك مـصائبٌ قـد اتّخـذت منّـا مكانـا ممهّـدا[١]

وقد عقدت تلك المجموعة عدّة اجتماعات قرّرت فيها إعداد برنامج لشهر رمضان المبارك/١٣٧٢هـ. وكان السيّد مهدي الحكيم رحمه الله يلقي كلمة توجيهيّة بعد الإفطار من كلّ يوم. وكان يعدّ الكلمات علماء كبار، وقد أعدّ الكلمةَ الأولى الشيخ محمّد أمين زين الدين رحمه الله الذي كان السيّد مهدي الحكيم رحمه الله متأثّراً بأفكاره، وقد بدأت الكلمة بالآية الكريمة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢].

وكان السيّد عامر الحلو يحضر هذه المجالس التي كان يصطحبه إليها والده[٣].

وقد استمرّ إلقاءُ هذه الكلمات حتّى ذكرى شهادة الإمام علي عليه السلام حيث بدأت تظهر المشكلات عبر إشاعة الحزب الشيوعي العراقي بأنّ الإخوان المسلمين وراء عقد تلك المجالس[٤]، أو أنّهم اتّهموا بالوهابيّة فأطلقوا على أنفسهم (الحزب الجعفري)[٥]، كما اتّهموا بأنّهم يروّجون لمرجعيّة السيّد محسن الحكيم رحمه الله، فحاولوا الالتفاف على هذا التحرّك من داخل بيت السيّد الحكيم رحمه الله الذي لم يأبه لكلامهم[٦].

ورغم الإحباطات التي واجهت المجموعة ـ حيث استمرّت نشاطاتها أربعة أشهر ـ فإنّ أعضاءها واصلوا العمل من أجلِ قيام تحرّك إسلاميٍّ جادٍّ يلبّي متطلّبات الساحة الفكريّة والسياسيّة، والتي غزتها اتّجاهاتٌ سياسيّةٌ معارضةٌ للحكم تتمثّل في القوميّين والديموقراطيّين والماركسيّين أيّام العهد الملكي[٧].

---

(١) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (مخطوط). وقد أرّخ السيّد الحكيم رحمه الله لهذه الحادثة سنة ١٣٧١هـ، ولكنّنا وحّدنا بين هذه الأحداث بعد أن بدا لنا أنّها ترجع إلى سنة واحدة.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) ذكريات السيّد عامر الحلو (مخطوط).

(٤) انظر: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٢٩ ـ ٣٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٥ ـ ٤٦. وفي المصدر رمضان/١٩٥٢م، وهو وإن صادف رمضان/١٣٧١هـ ولكنّ المراد ١٣٧٢هـ بعد التسامح في تحويل ١٣٧٢هـ إلى ١٩٥٢م ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (مخطوط).

(٥) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٣٧ ؛ منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ١٤٣، نقلاً عن: الخريطة السياسيّة للمعارضة العراقيّة: ٢٩.

(٦) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (مخطوط).

(٧) انظر: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٢٩ ـ ٣٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٥ ـ ٤٦.

وقيل إنّ هذا الحزب انحلّ بعد سنة من تأسيسه[١].

وفاة السيّد محمّد علي شرف الدين رحمه الله

في ١٥/شعبان/١٣٧٢هـ (٢٩/٤/١٩٥٣م) توفّي السيّد محمّد علي نجل السيّد عبد الحسين شرف الدين[٢].

ويوم الأحد ١٩/شعبان (٣/٥/١٩٥٣م) كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ملاذنا الأكبر وسيّدنا الأفخم الذي تركّزت فيه طبائع الإمامة والكمال، وانبعثت من ساحته المقدّسة إشعاعات الهداية والتوجيه، وتألّقت في تاريخه المجيد أضواء الجهاد في ميادين العقيدة وفي مجالات التحرّر والعمل.

فديتكم بروحي ووقيتكم أيْ مولاي العظيم. بنفسي ما أفدح مصابكم وما أعظم فاجعتكم التي أشاعت في قلوبنا جميعاً اللوعات المرّة، وأودعت في أرواحنا الآلام الممضّة، وما أشدَّ هولها على قلبكم الرحيم الذي صاغه الله من طبيعة الحنان، وجمع فيه كلَّ عناصر البرّ والرحمة، حتّى كأنّه ليس من أجزاء هذا العالم المادي الذي هو الحلقة الأخيرة من سلسلة الوجود، بل من مبدعات العالم النوري المتجرّد عن ظلمات المادّة، وحتّى كأنّ المبدع العظيم برأ هذا الإحساس العبقري ليكون مثلاً لما يبدعه من قلوب ومن مشاعر إن صحّت فكرة المُثُل. هذا القلب الذي اتّسع في أبوّته لكثيرٍ كثيرٍ ممّن استنشق روائح لطفكم، وتمتّع بألوان من حنانكم.

يا لهفي عليه كيف يقسو عليه الدهر فيفقده أكبر أشباله، فبنفسي آلامكم الهادّة، وليتني كنتُ أقدر على أن أقيكم بروحي عن لوعة هذا الحادث الجلل، ولكنّ القدر لا يردّ، لا تبديل لكلمات الله تبارك وتعالى ولا تحويل لسنّة الطبيعة وناموس الوجود، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم الذي شاء، ولا مغيّر لمشيئته أن يرتفع بكم إلى المقام الأعلى من مراتب المزايا الإنسانيّة، فزخرت حياتكم بسلسلة من العبقريّات الرائعة، وكان صبركم الجازع ـ على حدّ تعبيركم الشريف ـ على هذه المصيبة آيةً من هاتيكم الآيات التي توفّرت فيكم، وكأنّ حياتكم إشعاعة من إشعاعات حياة جدّكم العظيم صلّى الله عليه وآله، وصورة مصغّرة انعكست فيها خيوط تلك الحياة العظيمة، فلمّا فجع النبي بولده إبراهيم طبعت مثل هذه الفجيعة في الصورة المصغّرة، ففارق فقيدنا الجليل هذه الدنيا الفانية وطارت روحه إلى آفاق أجداده الطيّبين. انتقل رحمه الله من دنيا كلّها همٌّ وبلايا إلى عالمٍ أسمى لا همَّ فيه ولا فناء. إنّه بلغ النتيجة الطبيعيّة لتكاملات الجوهر في وجوده وحركته إلى المبدأ على ما هو المفهوم من الموت في المنطق الفلسفي، إنّه ارتفع إلى جنّة عرضها السماوات والأرض في جوار أجداده من الأنبياء والأئمّة والصدّيقين جزاءً وفاقاً لما أنتجه من نتاجٍ وتأليف في سبيل الحق ولما سهره من ليالٍ وأيّام في سبيل العلم على ما هو المفهوم من الموت في لغة الدين.

وختاماً أتقدّم بتعزياتي الصادقة إلى سائر إخوتي الأساتذة الأعزّاء والسلام عليكم وصلوات الله ورحمته وبركاته.

---

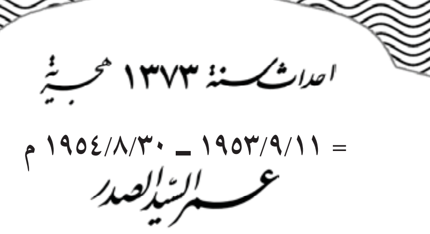
(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٣٨.

(٢) بغية الراغبين ٢: ٣٥٠.

يوم الأحد / ١٩ شعبان
ابنكم المخلص محمّد باقر الصدر»[١].

* * *

(١) انظر الوثيقة رقم (١٣) ؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٢٨ ـ ١٢٩.



١٩ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٨ سنة و٦ أشهر و١٠ أيّام م

❊ ❊ ❊

وفاة السيّد صدر الدين الصدر عمّ السيّد الصدر رحمه الله

في ١٩/ربيع الثاني/١٣٧٣هـ (١٩٥٣/١٢/٢٧م) توفّي السيّد محمّد عليٍ الصدر رحمه الله المعروف بـ(صدر الدين الصدر) عمّ السيّد الصدر رحمه الله ووالد زوجته السيّدة فاطمة لاحقاً. وقد دفن في رواق حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام بنت الإمام الكاظم عليه السلام إلى جوار قبر الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله بعد أن صلّى عليه السيّد حسين البروجردي رحمه الله. وقد أرّخ وفاته السيّد محمّد حسن الطالقاني صاحب مجلّة (المعارف) بأمر من السيّد أبي القاسم الكاشاني، وقد نظم الأبيات التالية:

تبّت يد الزمان من خؤونٍ ... يعبثُ في شمل الهدى والدين
فكم له من ضربة قاضية ... تستنزف الدمع من العيون
وفعلة منكرة عادتْ على الـ ... إسلام بالخسران والشجون
لهفي على الطلّاب مذ نعى لهم ... ناعي الردى شيخَ ذوي اليقين
فقد تولّى شملهم أيدي سبا ... وكان قبل فاقد القرين
ومذ قضى (فرد) الزمان أرّخوا ... **(ألا مضى الدين وصدر الدين)**[1]

وفي الأسبوع نفسه توفّي الدكتور عزّ الدين آل ياسين نجل الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله، فكتب إليه السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله رسالةً يعزّيه فيها بوفاته ووفاة السيّد صدر الدين الصدر رحمهما الله:

«مولاي ومقتداي آية الله في العالمين وقدوتهم في الدنيا والدين.

أنت اليوم وحدك الذي لا أمل لنا بغيره ذخراً لآل ياسين وآل شرفِ الدين وفخراً لعامّة المؤمنين والمسلمين، ومناراً للأمّة وأسوة لهم في كلّ ملمّة، وقدوة لمن اقتدى، وعزاء لمن تعزّى.

جبر الله تعالى بك كسر قلوبنا وتصدّع بنائنا وانهيار (عزّنا) ومختلف آمالنا وأمانينا، مضافاً إلى النكبة العامّة ثلم الدين بفقد إمامه وقوامه البقيّة الباقية من ورثة الأنبياء وممثّلي الصدّيقين قولاً وفعلاً وهدياً وإخلاصاً، فإلى الله المشتكى من هذه الصواعق التي أنستنا المصائب كلّها، حتّى لقد أذهلت العقول وأطاشت الألباب، وبسطت سلطانها على مصادر التفكير والتدبير، فإذا كلّها هباء وهراء .

وليس هذا لأنّنا الذين تخصّهم هذه الفواجع، بل لأنّ من فقدناهم كانوا محلّ الآمال ومعقل الرجاء لنا ولغيرنا، وكان المؤمنون كافّة منهم في أمنٍ من غير الدنيا والدين، فإذا الدنيا بعدهم مظلمة موحشة متنكّرة

---

(١) نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٣: ٩٤٣ ـ ٩٤٨. وقوله (فرد) إشارة إلى إضافة واحد إلى مجموع أعداد التاريخ. ولا يخفى أنّ التعبير بمضيّ الدين تعبير غير مرتضى، والوارد في لسان الروايات انثلام الإسلام.

تنذر بالشرور، وإذا العلم والعمل والأخلاق ثواكل تبكي ثقاتها وأثباتها.

فهل من مجال للصبر إلاّ بقوّة من الله تعالى، وهل من ملجأ بعد اليوم إلاّ أن يكون عندكم وإليكم وفيكم وبكم، فالله أسأل أن يديم لنا هذه النسمة الطيّبة الطاهرة بقيّة الماضين وثمال الباقين وخيرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١]، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم»[٢].

وقد جاءه الجواب من الشيخ آل ياسين رحمه الله بتاريخ ٥/جمادى الأولى/١٣٧٣هـ (١٩٥٤/١/١١م):

«٥ جمادى الأولى ١٣٧٣

سيّدي وسيّد هذه الأمّة آية الله الكبرى والحجّة العظمى روحي فداؤك ونفسي وقاؤك.

ماذا تريد منّي أن أقول بعد اليوم، وبعد أن تتابعت هذه القوارع والفواجع يتلو بعضها الآخر، وبعد أن أصيب الدين بصدره وعزّه بين عشيّة وضحاها، وبعد أن أيتم الدهر (باقراً) ولمّا يفتح عينيه على عيني أبيه وأيتم (زينباً) ولمّا تملأ مقلتيها من شعاع الشمس.

ماذا تريدني أن أقول بعد هذا كلّه يا سيّدي ومالك رقّي، يا من بيده ناصيتي، أجل سوف لا أقول إن شاء الله تعالى إلاّ كما علّمنا الله أن نقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولله الحمد من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وأيم الله قسماً لولا وجودكم الأقدس وشخصكم الأسمى يفتئ على هذه البسيطة بظلّه ويغذوها من مناهل علمه وفضله ويقيم من إودها بموازين عدله، لعزّ على هذه الأسرة العزاء ولضاقت بعجيجها أطراف الأرض وآفاق السماء، فدم يا سيّدي واسلم (لا سلم [شانئك]) إماماً للدنيا والدين، ومفزعاً تهوي إليه أفئدة المسلمين وسلوة تجبر به هذه القلوب الكسيرة من بقيّة آل ياسين بمحمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، والسلام عليكم مع تقبيل يديكم ورحمة الله.

عليّ عزيزٌ أن تعود لأهلها ... عزيزة عزّ الدين والهة ثكلى

وبين يديها طفلةٌ بان يتمها ... تواسي يتيماً مثلها لم يزل طفلا

اللهمّ بعينك ما نزل بنا، اللهمّ بعينك ما حلّ بجمعنا، اللهمّ أنت حسبنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»[٣].

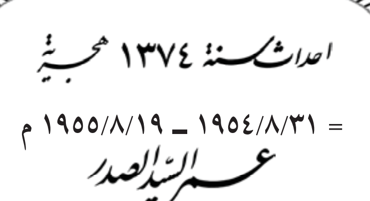
* * *

---

(١) العصر: ٣.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٤)؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٥)؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٧٥ ـ ١٧٦.



٢٠ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ١٩ سنة و٥ أشهر و٣٠ يوماً م

❊ ❊ ❊

قصّة السيّد أبو القاسم الكوكبي مع السيّد الصدر‎رحمه الله في درس السيّد الخوئي‎رحمه الله

في أوائل هذا العام حضر السيّد أبو القاسم الكوكبي بحث السيّد الخوئي‎رحمه الله في الاستصحاب من دورته الأصوليّة الثالثة، وكان السيّد الصدر‎رحمه الله لا يزال يحضر(١).

وذات مرّة راح السيّد الكوكبي يشكل على السيّد الخوئي‎رحمه الله الذي أحاله على شابٍّ يحضر درسه قائلاً له: «**اطرح إشكالاتك على ذلك الشاب فإن لم يجبك فتعال لأجيبك**». فاستغرب السيّد الكوكبي من ذلك، ولكنّه طرح إشكالاته على الشاب المشار إليه فلم يفهم الشاب ماذا يقول ـ لأنّه طرحها عليه بالتركيّة على ما يبدو بعد أن كان السيّد الصدر‎رحمه الله يفهم الفارسيّة ـ فأعاد طرحها بالعربيّة، فأجابه عنها بأجوبة متينة، الأمر الذي أدهش السيّد الكوكبي، ولكنّ تعجّبه انقضى لمّا علم أنّه حفيد السيّد إسماعيل الصدر الإصفهاني(٢).

وقد نقلت القصّة عن السيّد الصدر‎رحمه الله مع اختلاف يسير، إذ نقل عنه قوله: «**عندما كنتُ أحضر درس السيّد الخوئي[..] في درس الخارج حضر أحد فضلاء حوزة قم العلميّة والذي أقام في النجف، وكان هذا الطالب الجديد يناقش السيّد الخوئي في نهاية كلّ درس. وفي أحد الأيّام قال له السيّد الخوئي: إذا كان لديك إشكالٌ أو مناقشة أو استفسار فاذهب إلى السيّد محمّد باقر الصدر ـ ومشيراً عليّ ـ فما يردّ عليك إشكالك فهو ردّي أو يؤيّد إشكالك فهو تأييدي. استغرب الطالب الفاضل من هذا التحويل القاطع وخاصّةً عندما التفت إليّ، وأنا كنتُ جالساً في [إحدى] زوايا المسجد وشاهد صغر سنّي، لكنّها توصية السيّد الخوئي. وفعلاً عند انتهاء كلّ درس يأتي ويناقشني فأجيبه على وفق رأي السيّد الخوئي، وبعض الأحيان أوضّح له رأيي أيضاً. ومن الطريف أنّه قال لي ذات يوم: لديّ سؤال خاص تسمح لي؟! قلت له: تفضّل، فقال: هل أنت إيراني الأصل؟**»(٣).

---

(١) نبذة من حياة السيّد الكوكبي: ٣١ منضماً إلى: مباني الاستنباط، الصفحة الأخيرة و: دراسات في علم الأصول ٤: ٤٤٤.

(٢) سمعتُ هذه القصّة من اثنين من طلاّب السيّد الصدر‎رحمه الله ومن أحد طلاّب السيّد علي السيستاني والشيخ جواد التبريزي. ولكنّ السيّد الكوكبي ـ حين سألته عنها ـ أجاب بأنّه لا يذكرها. وهذه القصّة محكومة لنظرة الحوزة الإيرانيّة إلى الحوزة العربيّة ـ إن صحّ التعبير عن الحوزة بحسب انتمائها القومي أو المناطقي ـ خاصّةً في تلك الفترة، حيث كان عدد طلاّب الحوزة العربيّة قليلاً جدّاً، وكان قسمٌ يسيرٌ منهم فقط منصرفاً للتحصيل العلمي المركّز.

(٣) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٣، وقد نقلها السيّد محمّد الحيدري عن السيّد الصدر‎رحمه الله. وهناك عبارة في ذيل القصّة ليس واضحاً إن كانت للسيّد الصدر‎رحمه الله أم للسيّد الحيدري، وهي: «لأنّه كان يظنّ أنّ الطلاّب العرب غير مجدّين أو ليس لديهم الكفاءات العالية».

ذكرى وفاة السيّد صدر الدين الصدر رحمه الله

في جمادى الأولى/١٣٧٤هـ (١٩٥٤/١٢/٣١م)[١] أقيم احتفالٌ بالذكرى السنويّة الأولى على وفاة السيّد صدر الدين الصدر رحمه الله عمّ السيّد الصدر رحمه الله ووالد زوجته ـ لاحقاً ـ السيّدة فاطمة[٢].

وبهذه المناسبة جاء السيّد موسى الصدر إلى النجف الأشرف للمشاركة في ذكرى والده[٣]، وقد كلّف السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله السيّد محمّد حسين فضل الله بنظم قصيدة في المناسبة، ولكنّها لم تُلقَ باسمه نتيجةَ بعض الأجواء، وقد تمّ تكليفُ من ألقاها باسم مستعار[٤]. وكان عنوان القصيدة (تلك دنياك)، وقد جاء في مطلعها:

تلك دنياك سموٌّ وارتقاءُ ... يتملّى جانبيها الشعراءُ
تتهادى من ذراها نبعةٌ ... ماج في حافاتها الخضر السناءُ
ومجال يُلهب الفكر إذا ... عاقه الدربُ وأضناه السراءُ
خاطرٌ حرٌّ وعقلٌ نيّرٌ ... لم يلوّن صفحتيه الالتواءُ
يبدع الفكرة عذراء وإن ... همهم الجمعُ وثار الأدعياءُ
كلّ ما يبغيه أن ترقى الذرى ... أمّةٌ مزّق بُرْدَيْها الشقاءُ
ويسيرَ الجيلُ في قافلةٍ ... يحمل المشعل فيها الأمناءُ[٥]

ويبدو أنّ السيّد موسى الصدر قرّر حينها البقاء في العراق حيث أمضى أربع سنوات متتلمذاً على السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي رحمهما الله[٦].

السيّد الصدر رحمه الله والسيّد موسى الصدر

خلال تواجده في العراق، أقام السيّد موسى الصدر علاقة دراسيّة مع ابن عمّه السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله، وقد تمثّلت في مباحثة علميّة عقدها الطرفان، وكان السيّد موسى يمضي سبع ساعات من

---

(١) توفّي رحمه الله في ١٩/ربيع الثاني/١٣٧٣هـ، وقد أرّخت القصيدة الملقاة في ذكراه في ٥/جمادى الأولى/١٣٧٤هـ (قصائد للإسلام والحياة: ٣١٠).

(٢) من حكايا السيّد صدر الدين رحمه الله أنّه دخل متأخّراً في إحدى الليالي إلى مدرسة الفيضيّة في قم فوجد نورَ بعض الغرف مشتعلاً، فسأل: «ماذا يفعل الطلبة حتّى هذا الوقت المتأخّر؟» فقيل له: «إنّهم يطالعون»، فقال لهم: «إذاً متى يفكّرون؟!». حدّثني بذلك الشيخ عبّاس الأخلاقي في داره بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م نقلاً عن أحد أساتذته في مدينة قم.

(٣) المفهوم ممّا ذكره السيّد فضل الله أنّ السيّد موسى الصدر جاء إلى النجف لهذه الغاية، ولكنّ الأستاذ محسن كماليان ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م أنّ السيّد موسى الصدر حلّ في النجف الأشرف في فروردين/١٣٣٣هـ. ش، أي في رجب ـ شعبان/١٣٧٣هـ.

(٤) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (رحمه الله)؛ الشهيد الصدر.. كان اغتياله اغتيال طموحات أمّة: ٤٦؛ ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديثٍ مع صحيفة صوت العراق: ٣.

(٥) قصائد للإسلام والحياة: ٣٠٧ ـ ٣١٠.

(٦) استفدنا ذلك جمعاً بين ما أورده السيّد فضل الله وبين ما جاء في (مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ٣٦) من أنّ السيّد موسى الصدر هاجر إلى العراق عام ١٩٥٤م. وإذا كان السيّد موسى الصدر قد انتقل إلى العراق ليشارك في ذكرى وفاة والده في ١٩٥٤/١٢/٣١م، فليس ببعيد أن يكون قرّر البقاء حينها.

وقته يوميّاً في التحضير لهذه المباحثة، ومع ذلك فقد كان السيّد الصدر رحمه الله (يهلكه) على ما ذكره السيّد موسى[(١)].

وفي الوقت نفسه كان السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله يقول: «**إنّ ابن عمّي أذكى الفقهاء في المسائل المستحدثة**»[(٢)].

وذات مرّة اختلفا أثناء المباحثة حول مسألة فقهيّة، ولم يقنع أحدهما الآخر، فرفعاها إلى السيّد الخوئي رحمه الله ليحكم بينهما، فحكم للسيّد موسى الصدر. وقد نقل السيّد الصدر رحمه الله ذلك إلى بعض تلامذته، وسمعها من هذا البعض الشيخ علي الباكستاني. ولمّا التقى الأخير بالسيّد موسى الصدر لاحقاً في لبنان قصّها عليه، فخجل السيّد موسى الصدر وسأله ممّن سمعها، فذكر له، فقال له السيّد موسى: «**نعم، القصّة صحيحة، ولكن لا يختلط عليك الأمر فتظنّ أنّني أعلم منه**»[(٣)].

وعندما رجع السيّد موسى الصدر إلى قم، ذكر للسيّد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي أنّه كان يواجه صعوبةً في المباحثة مع ابن عمّه، فتعجّب السيّد الأردبيلي من ذلك وقال: «**لقد تركناه يدرس اللمعة**»، فقال له السيّد موسى: «**لقد طوى مسيرته بسرعة، وهو يتمتّع بنبوغٍ عالٍ**»[(٤)].

وقد لام السيّد موسى الصدر ابن عمّه محمّد باقر على عقده مباحثةً مع السيّد الروحاني رحمه الله معلّلاً ذلك بأنّه سيحسب من تلاميذه وهذا يؤثّر عليه[(٥)].

وفي بيت السيّد الصدر رحمه الله، تعرّف السيّد موسى الصدر على كلٍّ من الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله والسيّد محمّد حسين فضل الله[(٦)].

طباعة (غاية الفكر) و(فدك في التاريخ)

كان السيّد الصدر رحمه الله قد كتب (فدك في التاريخ) سنة ١٣٦٦هـ أو ١٣٦٧هـ كما تقدّم، وكان ناشرٌ إيراني قد أخذه منه ليطبعه في إيران إلاّ أنّه أعاده بعد فترة ولم يطبعه[(٧)].

كان السيّد الصدر رحمه الله قد شرع عام ١٣٧٠ ـ ١٣٧١هـ بكتابة دورة أصوليّة كاملة من عشرة أجزاء تمثّل آراءه الأصوليّة سمّاها (غاية الفكر).

وكانت عادة السيّد الصدر رحمه الله الجلوس في المكتبة الحيدريّة لصاحبها الحاج محمّد كاظم

---

(١) نقل لي ذلك الشيخ عبّاس الأخلاقي بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م عن السيّد موسى الصدر، وقد ذكر بالفارسيّة: «پدرم در میاورد».

(٢) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م نقلاً عن السيّد صادق الطباطبائي نقلاً عن والده نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله.

(٣) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م نقلاً عن الشيخ علي الباكستاني.

(٤) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م نقلاً عن السيّد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي. ويُشار إلى أنّ استغراب السيّد الأردبيلي مردّه إلى أنّه عرف السيّد الصدر رحمه الله بين عامي ١٣٦٤ و١٣٦٨هـ أيّام إقامته في النجف الأشرف.

(٥) حدّثني بذلك السيّد جعفر الصدر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٣م، ولكنّه استمهلني للتأكّد من حسيّة هذا النقل.

(٦) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ٣٦.

(٧) مقابلة مع أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله (السيّد محمّد القمّي)، نقلاً عن السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله (قدس سره).

الكتبي رحمه الله وتجاذب الحديث معه.

وقد قيل: ذات يوم قال له السيّد رحمه الله: «**حاج بو صادق.. إنّني كتبت أوراقاً في موضوع فدك وأحببتُ أن أقدّمها لك وأنت بالخيار في طبعها**». فأخذ الحاج الكتبي الأوراق دون أن يتفحّصها أو يراجعها وأعطاها عصراً إلى الطبّاع ليطبعها. وبعد أيّام تمّ [طبع] الكتاب.

وعندما مرَّ السيّد رحمه الله بالمكتبة أعطاه الحاج الكتبي مجموعةً من النسخ هديّةً له، ولكنّ السيّد رفض أخذ شيء وقال: «**إنّني أعطيتكُ الكتاب ولا أريد عوضاً له**»، وكلّما ألحّ عليه الحاج لم يجد نتيجة[١].

وقيل: إنّ السيّد الصدر رحمه الله عندما أراد أن يطبع (غاية الفكر) لم يكن لديه مالٌ ينفقه للطباعة، فاشترط عليه صاحب المكتبة الحيدريّة أن يأذن له بطباعة (فدك في التاريخ) لأنّ موضوعه وأسلوبه له سوقٌ رائجة، وفي مقابل ذلك يطبع له جزءاً مهمّاً وحسّاساً من دورته الأصوليّة (غاية الفكر)، وهو البحث في (تنجيز العلم الإجمالي) الذي كان يتبنّى فيه السيّد الصدر رحمه الله بعض الآراء الجديدة[٢].

والذي يبدو أنّ صاحب المبادرة هو الحاج الكتبي رحمه الله، ولهذا الأمر يشير السيّد الصدر رحمه الله في مقدّمة (فدك) حيث يقول: «.. **غير أنّ حضرة الوجيه الفاضل الشيخ محمّد كاظم الكتبي ابن الشيخ صادق الكتبي أيّده الله طلب منّي تقديمه إليه ليتولّى طبعه، وقد نزلتُ على رغبته تقديراً لأياديه البيضاء على المكتبة العربيّة والإسلاميّة، والكتاب هو ما تراه بين يديك**»[٣].

وبمقتضى هذه الاتّفاقيّة، صار كتاب (فدك في التاريخ) مرتبطاً بالشيخ محمّد كاظم الكتبي صاحب المكتبة الحيدريّة وكانت حقوق النشر له[٤]، وإن لم يؤمن السيّد الصدر رحمه الله بهذا الحقّ فقهيّاً، وإلى جانب (فدك) طبع (غاية الفكر)[٥].

وبعد إنجاز طبع (فدك في التاريخ) قام الحاج الكتبي رحمه الله بإرسال عدّة نسخ من الكتاب بيد أحد معارف السيّد الصدر رحمه الله. وما إن وقعت عينا السيّد رحمه الله على هذه النسخ من كتابه بين يديه حتّى بادر إلى زيارة الحاج الكتبي رحمه الله في مكتبته حاملاً النسخ وقائلاً له: «**لا تدخل [إلى] بيتي إذا لم أعرف قيمتها فأقدّمها إليك**». وبعد إصرار وإلحاح، لم يتقبّل السيّد الصدر رحمه الله إلاّ نسخةً أو نسختين من كتابه موكلاً الحصول على بقيّة النسخ لمن شاء أن يشتريها من المكتبة الحيدريّة[٦]. وقيل: إنّ السيّد الصدر رحمه الله دفع ربع دينار ثمن عشر نسخ بعد أن كان سعر النسخة (٢٥) فلساً[٧].

وبعد فترة زار السيّد الصدر رحمه الله جماعة من [الناصريّة] وطلبوا موافقته على إعادة طبع كتابه

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٧)، ٣٠/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ، حيث ينقلها السيّد ياسين الموسوي عن الحاج الكتبي نفسه.

(٢) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٠.

(٣) فدك في التاريخ، ط١: ٣. وقد ذكر لي السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م أنّ السيّد الصدر رحمه الله طبع (غاية الفكر) من عائدات (فدك في التاريخ)، ولعلّ صيغة ذلك ترجع إلى ما ذكره السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٤) انظر الوثيقة رقم (١٦).

(٥) انظر الوثيقة رقم (١٧).

(٦) شيخ الورّاقين في النجف الأشرف.. الشيخ محمّد كاظم الكتبي: ٦٦.

(٧) حدّثني بذلك الحاج محمّد صادق الكتبي نجل الشيخ محمّد كاظم الكتبي بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٤م.

مجدّداً، فطلب منهم السيّد الصدر رحمه الله مراجعة الحاج الكتبي رحمه الله للحصول على موافقته على طبع الكتاب مجدّداً، فهو بحسب قوله: «**الكتاب كتابه يتصرّف فيه [كما] يشاء**»[(١)]، وقد أجاز لهم الشيخ الكتبي طباعة (٣٠٠٠) نسخة منه[(٢)].

يُشار إلى أنّ مدير أمن النجف كان قد حضر مع بعض الضبّاط وقت الظهيرة مستغلّين قلّة وجود الناس وقاموا بغلق المكتبة الحيدريّة ووضع (الختم الأحمر) على الأقفال. وكان الحاج الكتبي رحمه الله جالساً على (مصطبة) أمام المكتبة ينظر إليهم عاجزاً عن ردعهم. وفي الأثناء مرّ السيّد الصدر رحمه الله على سوق الكتب وكان قد وضع عباءته على عمامته كما هي عادة رجال العلم في النجف وقت الظهيرة تقريباً. ولدى مشاهدته الحاج الكتبي ورجال الأمن وما يفعلونه وقف سائلاً الحاج الكتبي رحمه الله: «**لماذا أنت جالس على الأرض؟**»، فأجابه رحمه الله: «**إنّ رجال الأمن كما ترى جاءوا وهم يقومون بوضع الختم الأحمر على قفل المكتبة**»، فأنزل السيّد الصدر رحمه الله عباءته على كتفه والتفت إليه قائلاً: «**يخسأون، هذه ليست مكتبة خاصّة بك بل هي مكتبة الشيعة، اليوم العصر يلزم أن تفتح المكتبة**»، ثمّ انصرف وعلامات التأثّر بادية عليه.

وعند العصر طرق باب دار الحاج الكتبي رحمه الله رجال الأمن وطلبوا منه الذهاب معهم إلى حيث يقومون بكسر الأختام الحمراء وفتح المكتبة ويقدّمون الاعتذار عن التأخير لأنّهم لم يتعرّفوا على عنوان المنزل بسرعة[(٣)].

وعلى أيّة حال، فقد جاء كتاب (فدك) في (١٦٨) صفحة من الحجم الوسط، وجاء عليه: «**فدك في التاريخ، تأليف محمّد باقر الصدر، حقوق الطبع محفوظة للناشر محمّد كاظم الكتبي، المطبعة الحيدريّة في النجف، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م**»[(٤)]. وقد كتب السيّد الصدر رحمه الله في مقدّمته يقول:

«أيّها القارئ الكريم:

هذا إنتاجٌ اغتنمتُ له عطلةً من عطل الدارسة في جامعتنا الكريمة النجف الأشرف، وتوفّرتُ فيها على درس مشكلة من مشاكل التاريخ الإسلامي، وهي مشكلة فدك والخصومة التاريخيّة التي قامت بين الزهراء صلوات الله عليها والخليفة الأوّل رضي الله تعالى عنه.

وكانت تتبلورُ في ذهني استنتاجاتٌ وفكر، فسجّلتُها على أوراق متفرّقة، حتّى إذا انتهيتُ من مطالعة مستندات القضيّة ورواياتها ودرس ظروفها، وجدتُ في تلك الوريقات ما يصلح خميرةً لدراسة كافية للمسألة، فهذّبتُها ورتّبتُها على فصول اجتمع منها كتيّبٌ صغير. وكان في نيّتي الاحتفاظ به كمذكّر عند الحاجة، فبقي عندي سنين مذكّراً ومؤرّخاً لحياتي الفكريّة في الشهر الذي تمخّض عنه، غير أنّ حضرة الوجيه الفاضل الشيخ محمّد كاظم الكتبي ابن الشيخ صادق الكتبي أيّده الله طلب منّي تقديمه إليه ليتولّى

---

(١) شيخ الورّاقين في النجف الأشرف الشيخ محمّد كاظم الكتبي: ٦٦. وما بين [] ذكره لي الحاج محمّد صادق الكتبي نجل الشيخ محمّد كاظم الكتبي بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٤م.

(٢) حدّثني بذلك الحاج محمّد صادق الكتبي بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٤م. وانظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ.

(٣) شيخ الورّاقين في النجف الأشرف الشيخ محمّد كاظم الكتبي: ٦٦ ـ ٦٨ ؛ وقد حدّثني بذلك الحاج محمّد صادق الكتبي بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٤م.

(٤) انظر كذلك: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٢٦١ ؛ معجم مؤلّفي الشيعة: ٢٤٧.

طبعه. وقد نزلتُ على رغبته تقديراً لأياديه البيضاء على المكتبة العربيّة والإسلاميّة[1]. والكتاب هو ما تراه بين يديك.

(المؤلف)»[2].

أمّا (غاية الفكر)، فقد جاء في (١٠٤) صفحات من الحجم الوسط وجاء عليه: «**غاية الفكر.. القسم الخامس من الجزء الثاني.. في مباحث الاشتغال**»[3]، وقد جاء في مقدّمة الكتاب:

«هذا هو جزءٌ من كتابٍ في الأصول شرعتُ فيه قبل ثلاث سنوات تقريباً، وقد ابتدأتُ فيه من القسم الثاني من المباحث الأصوليّة، أي مباحث الأدلّة العقليّة، ورتّبته على عشرة أجزاء، وهذا الذي بين يديك هو الجزء الخامس منها في أكثر مباحث الاشتغال، أعني في أصل المسألة مع بعض تنبيهاتها. ويليه الجزء السادس في باقي تنبيهات المسألة مع أصل مسألة الأقلّ والأكثر.

ولئِن كان أكثرُ مطالب هذا الكتاب مخالفاً لِمَا هو المسموع من الكلمات، فليس ذلك لأنّي قد اهتديتُ إلى ما لم يصل إليه الأساتذة والأكابر، وهيهاتَ لذهني القاصر أن يرتفع إلى ذلك، وإنّما هو لأنّي لم أوفَّق للعروج إلى آفاق تفكيرهم ومجاراتهم في أنظارهم الدقيقة. وكلُّ رجائي من المولى سبحانه أن يشملني بعنايته ولطفه، ويوفّقني لاقتفاء أثرهم، ويعدّني للتشرّف باتّباع خطواتهم المباركة، إنّه على كلّ شيء قدير.

الراجي عفو ربِّه محمّد باقر الصدر»[4].

قال آقا بزرگ الطهراني في ترجمة السيّد حيدر الصدر رحمه الله: «..**وخلّف** رحمه الله **ولدين: السيّد إسماعيل والسيّد محمّد باقر وهما من الفضلاء المشتغلين بطلب العلم في النجف الأشرف ولا سيما الثاني، فقد طبع من آثاره غاية الفكر في مبحث الاشتغال وفدك في التاريخ، حفظهما الله وزاد توفيقهما**»[5]، ولكنّه لم يُشر في (الذريعة) إلاّ إلى (فدك في التاريخ)[6].

وقد أهدى السيّد الصدر رحمه الله نسخةً من كتاب (فدك) إلى السيّد مهدي الصدر العاملي، وقد كتب له على صفحتها الأولى: « **هديّتي إلى حضرة حجّة الإسلام والمسلمين العلم العيلم المعظّم السيّد آغا مهدى صدر عاملى دام بقاه، المؤلّف**»، وأهدى أخرى إلى السيّد جمال الموسوي [الإصفهاني] وكتب له: «**هديّتي إلى حضرة الصديق العزيز العبقري الأستاذ السيّد جمال الموسوي مع أطيب تمنيّاتي وتحيّاتي [الأخويّة]، محمّد باقر الصدر**»[7].

كما أهدى نسخةً من كتاب (غاية الفكر) إلى الشيخ صدرا البادكوبي رحمه الله كتب عليها: «**أرفع هذا الكتاب إلى مقام شيخنا المعظّم حجّة الإسلام والمسلمين العلاّمة المتبحّر المحقّق الشيخ صدرا دامت بركاته،**

---

(١) كذا في الطبعتين الأولى والثانية والطبعة الجديدة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر قدس سره، وفي الطبعة الرائجة لدار التعارف للمطبوعات ـ بيروت (ص١١): «غير أنّ بعض الإخوة (أيّدهم الله) طلبوا منّي طبعه، وقد نزلت على رغبتهم تقديراً لهم ولتوفيره في المكتبة العربية والإسلاميّة»، وقد كان هذا التعديل من قبل الحاج حامد عزيزي بعد أن طبع الكتاب في حياة السيّد الصدر رحمه الله على ما أخبرني به بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٤م.

(٢) فدك في التاريخ: ٣ (الطبعة الأولى ـ ١٩٥٥/١٣٧٤م).

(٣) انظر كذلك: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٢٥٥.

(٤) غاية الفكر، ط المؤتمر العالمي: ٧.

(٥) طبقات أعلام الشيعة/ نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٦٨٤.

(٦) الذريعة ١٦: ١٢٩.

(٧) انظر الوثيقة رقم (١٨).

المؤلّف»[١]، كما أهدى أخرى إلى السيّد محمّد الروحاني رحمه الله وكتب في الإهداء: «**سيّدي وأستاذي ومن إليه استنادي»**[٢].

ويبدو من خلال مجموعة من القرائن والوثائق التاريخيّة أنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يكن يرغب في مرحلة لاحقة في إعادة طبع الكتاب في العالم العربي، ولم يكن لديه مانعٌ من ذلك في إيران مثلاً، ولكنّ عدم الرغبة لم يبلغ حدّاً عالياً، فلم يمانع من ذلك بشكل لا يقبل النقاش عندما أعيد طبع الكتاب في النجف سنة ١٩٧٠م وفي بيروت سنة ١٩٨٠م.

وحول هذا الشأن يكتب إلى السيّد حسن الأمين رحمه الله الذي كان قد طلب منه أن يبعث له بنسخةٍ من كتابه (فدك في التاريخ)، وقد كتب إليه السيّد الصدر رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ الكبير الأخ العزيز السيّد حسن الأمين دام فضله

السلام عليكم زنة احترامي وتقديري

وبعد، فقد تسلّمتُ رسالتكم الكريمة فقرأتُ فيها روحكم العالية وعملكم المتواصل في سبيل إعلاء شأن الطائفة والكشف عن ثقافتها الإسلاميّة والمذهبيّة، والاستمرار في حمل رسالة المقدّس السيّد رضوان الله عليه[٣]، ومن أجدر منكم بحكم الوراثة والتربية والثقافة وتوفّر الإخلاص أن يحمل هذه الرسالة المقدّسة ويخدمها بكلّ ما أوتي من حولٍ وطول.

أمّا كتاب فدك فلا توجد عندي إلاّ نسخة واحدة منه، وسوف أرسلها إليكم بالبريد المسجّل وثمنها مقبوضٌ سلفاً، إذ يكفي ثمناً لها يسيرٌ من هذه الخدمات الجلّى التي تقدّمونها للطائفة ومن هذه الألطاف التي تغمرونني بها بين حينٍ وحين.

وفي نفس الوقت فأنا لا أرجّح إعادة نشر الكتاب نظراً إلى طبيعة موضوعه وملابساته العاطفيّة، وأرى أنّ العمل الفكري الإيجابي المستقلّ أفضل من الدخول في المناقشات المذهبيّة مهما كانت موفّقة وعميقة.

وأمّا الموضوعات التي تفضّلتم بالإشارة إليها فأنا لا يسعني إلاّ أن أتجاوب بقدر الإمكان مع رغباتكم نظراً إلى إخلاصي وتقديري لكم، ولهذا فسوف أحاول دون أن أقطع بذلك وعداً على نفسي أن أكتب في موضوع المجتهد، ولا أدري هل سوف أنجح في المحاولة بالرغم من كثرة الأشغال أو لا.

وختاماً أبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يسدّد خطاكم ويواصل توفيقكم في خدمة الطائفة ويحفظكم لها ذخراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[٤].

وفي المقابل كتب إلى السيّد أحمد الحسيني الإشكوري في النصف الأوّل من السبعينات

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٩).

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٥، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري نقلاً عن السيّد علي السيستاني ـ المرجع المعاصر ـ الذي رأى ذلك بنفسه. وقد تقدّم ـ ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ ـ الحديث عن الموضوع مفصّلاً وخلصنا إلى أنّ وصف (الأستاذ) ناظرٌ إلى مرحلة السطوح لا الخارج.

(٣) يقصد السيّد محسن الأمين رحمه الله.

(٤) انظر الوثيقة رقم (٢٠).

الميلاديّة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قرّة العين الفاضل الكامل العلاّمة السيّد أحمد الإشكوري دامت بركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت رسالتكم العزيزة، وفرحت بها، لأنّها ذكّرتني بما لم أنسه ولا أنساه، ذكّرتني بكم وببقيّة الأحبّة الأعزّاء. ولا تزال أيّها الأحبّة صوركم في قلبي وذكرياتكم [ملء] نفسي، رعاكم الله بعينه التي لا تنام، وأسبغ عليك أيّها العزيز ما يسبغه على الصالحين من عباده من تأييد وتسديد في مرضاته وخدمة دينه الحنيف.

وأمّا موضوع ترجمة كتاب فدك، فأمره موكولٌ إليكم ؛ فإنّ اهتمامكم بالكتاب كاهتمامي، فأنتم مأذونٌ في إجازة الترجمة إذا رأيتم أنّها كاملة ومناسبة لفظاً ومعنى. وهناك بعض الملاحظات سوف يشير إليها السيّد أبو جواد(١) في رسالته.

والسلام عليكم وعلى سائر أحبّتكم وإخوانكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»(٢).

أمّا ما ادّعي من أنّ ما في (غاية الفكر) عبارة عن دروس السيّد محمّد الروحاني، فوهم(٣).

---

(١) يقصد السيّدكاظم الحائري.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٢١) ؛ گنج ورنج: ٢٧٦، ٣١٤. وتاريخها كما ذكرنا لأنّ السيّد كاظم الحائري كان في العراق والسيّد أحمد الإشكوري في إيران.

(٣) ذكر لي الشيخ محمّد رضا الجعفري بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥م أنّ: «الشيخ مرتضى آل ياسين قد شجّع السيّد الصدر على طباعة كتاب (فدك في التاريخ)، وقد تبرّع بالمبلغ اللازم لطباعته السيّد عبد الحسين شرف الدين. وقد رجعت طباعة (فدك) على السيّد الصدر بمبلغ كبير من المال، فطبع به كتاب (غاية الفكر) الذي كان عبارة عن ستّة أجزاء طبع الجزء الرابع منها، وهو في الأصول العمليّة. وبعد ذلك لم يُدرج (فدك) ضمن أعماله، وكذلك لم يقم بإعادة طباعة (غاية الفكر). أمّا (غاية الفكر)، فهو عبارة عن درس السيّد الروحاني، فقد أودع فيها أفكاره، ونحن نعرفها لأنّه كان يلقيها علينا أيضاً. وقد أهدى السيّد الصدر نسخة من غاية الفكر إلى السيّد الروحاني وقد ذكر له أنّ هذه الأفكار أفكاركم، وما هو عندي فمن عندكم» اهـ. ويلاحظ عليه:

أوّلاً: أنّ (غاية الفكر) يشتمل على عشرة أجزاء في الأدلّة العقليّة كما صرّح السيّد الصدر في مقدّمة الكتاب وليس ستّة. ثمّ إنّ المطبوع هو الخامس لا الرابع.

ثانياً: أنّ كتاب (فدك) لم يطبع على نفقة السيّد عبد الحسين شرف الدين (والمفهوم ممّا يأتي في المتن أنّه اطّلع عليه بعد نشره)، بل إنّ السيّد الصدر عندما أراد طباعة (غاية الفكر) ولم يكن لديه المال الكافي لذلك، عرض عليه صاحب المكتبة الحيدريّة طباعة (غاية الفكر) لكن في مقابل أن يسمح له بطباعة (فدك). والظاهر أنّ ذلك كان تمليكاً، فصار (فدك) ملكاً للشيخ الكتبي صاحب المكتبة الحيدريّة على ما ذكره لي نجله وقد تقدّم الحديث عنه. ومنه يُعلم ما في قوله من أنّ طباعة (فدك) درّت عليه مبلغاً كبيراً.

ثالثاً: أمّا أنّ السيّد الصدر ذكر للسيّد الروحاني في إهدائه على نسخة من الكتاب أنّ «هذه الأفكار أفكاركم، وما هو عندي فمن عندكم»، فقد تقدّم نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري نقلاً عن السيّد علي السيستاني ما يقرب منه، وأنّه ذكر له: «سيّدي وأستاذي ومن إليه استنادي»، وقد علّقنا في محلّه ـ ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ ـ بأنّ دراسة الجزء الثاني من (الكفاية) و(المكاسب) بالطريقة المذكورة هناك تكفي ليطلق عليه لقب (الأستاذ)، فإن كان الصحيح أو الأصحّ هو ما نقل عن السيّد السيستاني لا ما نقله الشيخ الجعفري، فلا يبقى دلالة على أنّ ما في الكتاب عبارة عن أفكار السيّد الروحاني.

رابعاً: أمّا أنّ الموجود في (غاية الفكر) عبارة عن درس السيّد الروحاني، وأنّ طلاّبه يعرفون تلك المطالب لأنّ

السيّد عبد الحسين شرف الدين يشهد باجتهاد السيّد الصدر من خلال (فدك)

عندما وصل كتاب (فدك في التاريخ) إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين تناوله وطالعه، وكان جالساً في بيته في صور، ثمّ أطبق الكتاب وقال: «**أشهد بالله أنّه مجتهد**»، وكان ذلك حوالي ١٩٥٥م(١).

وبمناسبة الحديث عن السيّد الصدر والسيّد شرف الدين يُشار إلى ما نسب للأوّل بحقّ كتاب (المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة) للثاني حيث جاء: «**المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة تكفّلت ببيان أسرار النهضة الحسينيّة وفضل هذه النهضة على الإسلام والمسلمين مع استشهادٍ بكلمات كبار الكتّاب الأجانب الذين توصّلوا إلى عظمة الإسلام عن طريق أبي الشهداء في ثورته الخالدة على الظلم والظالمين**»(٢).



السيّد الروحاني كان يلقيها عليهم، وهو مردود بلا أدنى تأمّل، وذلك لأمور:

(أ) أنّ مباحث (غاية الفكر) عبارة عن مباحث (الاشتغال) من علم الأصول، وقد تعرّض لها السيّد الروحاني في الجزء الخامس من دورته المؤلّفة من سبعة أجزاء. وقد ذكر الشيخ الجعفري أنّ دورة السيّد الروحاني الأصوليّة استمرّت ١٣ عاماً (١٥٦ شهراً)، وهذا يعني أنّ نصيب كلّ مجلّد حوالي (١٥٦ ÷ ٧ = ٢٢ شهراً ونيفّاً) الأمر الذي يعني أنّ نصيب الأجزاء الأربعة الأولى حوالي (٨٩ شهراً) أي ما يقرب من سبع سنوات ونصف. وهذا يعني أنّ السيّد الروحاني قد وصل في درسه الأصولي إلى بحث الاشتغال سنة ١٣٧٧ أو ١٣٧٨هـ بينما طبع السيّد الصدر (غاية الفكر) سنة ١٣٧٤هـ فكيف تكون دروس السيّد الروحاني مع أنّه لم يكن إلى سنة ١٣٧٤هـ قد وصل إلى مباحث الاشتغال؟!

(ب) ثمّ إن كان مراده أنّهم سمعوا هذه الأفكار من السيّد الروحاني عام ١٣٧٧ أو ١٣٧٨هـ فهذا يجعل السهام متّجهة نحو الطرف الآخر.

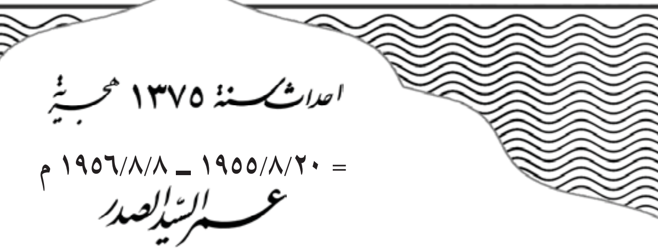
(ج) أمّا إذا ادّعى أنّ السيّد الروحاني درّس هذه الأفكار للسيّد الصدر في درسه الخاص الذي زعمه أصحاب السيّد الروحاني، ففيه:

١ ـ أنّنا لا نسلّم بهذه الدعوى، وقد أسهبنا في ردّها سابقاً.

٢ ـ أنّنا إذا سلّمنا بذلك، فقد قال الشيخ الجعفري: إنّ الدرس كان فقهيّاً وإنّه كان يتعرّض للمطالب الأصوليّة في الأثناء عندما تكون هناك مناسبة لذلك. وإذا كان السيّد الروحاني قد درّس أفكار (غاية الفكر) استطراداً خلال هذه الفترة القصيرة فلستُ أدري لماذا يبقى عنده السيّد الصدر لمدّة ١٧ أو ١٨ عاماً؟!

(١) مقابلة مع السيّد حسين شرف الدين (أبي رائد) حفيد السيّد عبد الحسين ( ).

(٢) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، الغلاف الخلفي، بدون توثيق.



٢١ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٠ سنة و٥ أشهر و١٩ يوماً م

❊❊❊

وفاة السيّد عبد الرؤوف شرف الدين رحمه الله

في ٢/ربيع الثاني/١٣٧٥هـ (١٩٥٥/١١/١٨م) توفّي السيّد عبد الرؤوف شرف الدين نجل السيّد محمّد علي ابن السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله[١].

وعلى إثر ذلك كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد شرف الدين رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدنا وملاذنا وأبانا ومعاذنا، شمس هذه الأمّة الساطعة في سماء الطهارة والعصمة والعلم والخلود، والمتفجّرة في مشارق دنيا الإسلام ومغاربها بالنور والحكمة والعرفان، والآيات الباهرات من الأعمال والأقوال التي تتقاصر عنها قيم العلماء وكفاءات العظماء وهمم المصلحين، لأنّها الشمس المستمدّة من نور النبوّة والقرآن والمقتبسة من نفوس الأنبياء والمعصومين.

لا ندري كيف نرفع إلى مقامكم الأبوي الرفيع عواطفنا التي توحي إلينا في هذه المناسبة الأليمة بما توحي به عواطف ابن برٍّ يتعشّقُ أباه، ويتمنّى أن يبعد عنه الآلام ولو ببذل نفسه وهو يرى هذا الأب وقد ازدحمت عليه شتّى الآلام وواجهته الدنيا الخؤون بألوانٍ من الفجائع وأشكال من الوقائع المرّة التي لا يجد إلى تحويلها سبيلاً.

فوا لهفاه على قلبكم العظيم، هذا القلب الكبير الذي لاقى صنوفاً من الامتحان حيث شاء أن يمتحنه العلم، فنجح في الامتحان نجاح الأقلّين من نوابغ علماء الدهر، وإذا بهذا القلب يتّسع في معناه لما لا تتّسع له أكابر العقول من دقّة وعمقٍ وتحقيقٍ ونظرٍ واجتهاد، ويسجّل في هذا الميدان الرقم القياسيَّ الصاعد. وشاء أن يمتحنه الإقدام والإخلاص في ميادين العمل والثبات، وإذا به الآية الكبرى التي لا يرتفع إلى مداها الأبطال المصلحون، وإذا بهذا القلب العظيم مزدحماً لبطولات فذّة محمّديّة وعلويّة لا تعرف لغير المبدأ الحقّ قيمة، ولا للنكول عن الواجب والتراخي عن التضحية معنى.

وقد شاء الصبر أن يأخذ بنصيبه من الامتحان فرماكم بالفاجعة تلو الفاجعة، وإذا به يرى فيكم الجبل الراسخ الذي لا تزعزعه الزعازع، والشمس المنيرة التي لا ترتفع إلى مداها العواصف، فكان أن استأثر الله تعالى أوّلاً بفقيد العلم والدين، كبير الأشبال الذي كانت الآمال معقودةً في شبابه على ما يبشّر به من مستقبل باهر ومقامٍ رفيع يعدّه لخلافة الأسد في عرينه[٢].

وكان أخيراً ما انتهى إليه أمر أبي مصطفى نابغة عصره، العبقري في كفاءاته وإمكانيّاته، الذي كان قد عقدت عليه آمالٌ وآمالٌ كبيرة بقدر ما يتمتّع به من معدّات كبيرة كان الحريّ بها أن ترفعه إلى قمّة

---

(١) بغية الراغبين ٢: ٣٥١.

(٢) يقصد رحمه الله رحيل السيّد محمّد علي النجل الأكبر للسيّد شرف الدين رحمه الله بتاريخ ١٥/شعبان/١٣٧٢هـ.

العظماء من الرجال وتشقّ له الطريق في كلّ يسر وسرعة إلى تلك القمّة، لولا أنّ الدنيا أصرّت على معاكسته فنثرت بين يديه العقاب على طول الخطّ وظهرت في وجهه واعترضته في طريقه دائماً متّجهّمة عابسةً مظلمةً حتّى خارت قواه ـ وا أسفاه ـ في عاصفةٍ من تلك العواصف الشنعاء التي انتصرت فيها الدنيا على العبقريّة والنبوغ، وطالما انتصرت الدنيا على مواهب العظماء وعظماء المواهب في حروبها التي تشنّها على هؤلاء الأفذاذ بلا رحمة وهوادة، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله[١].

وبعد ذلك كلّه فاجعة المرحوم حفيدكم العزيز جاءت بدورها خاتمة السلسلة فأطاحت به شابّاً طريّاً [ملؤه] الحياة والأمل، ومَلأَ عينيه المستقبل وأحلامه، ومَلأ قلبه العواطف والنبل والشهامة..[٢]

فبنفوسنا أنتم وما تقاسون، وبنفوسنا مصائبكم التي لا يُرجى الصبر عليها إلاّ من قلبكم الكبير الذي سجّل فيه جميع أدوار حياته.

إنّه القلب الكبير حقّاً، وإنّه القلب الذي اتّسع لما لا يتّسع له وجه الدنيا كلّها من طهارة وكمال، وإنّه القلب الذي يخرج في كلّ معركة من معارك الدهر متوّجاً بالانتصار عليه، جارياً على أخلاق النبوّة وطبائعها.

متّعنا الله تبارك وتعالى بدوام ظلّكم الظليل يا خليفة الماضين وثمال الباقين، سلوةً عمّن فقدنا ونوراً نستضيء في ظلماتنا وقطباً يدور عليه رحى المذهب والإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمّد باقرالصدر

[ولدكم الحزين إسماعيل الصدر]»[٣].

الفراغ من الدراسة الأصوليّة عند السيّد الخوئي رحمه الله

في ١٥/جمادى الثانية/١٣٧٥هـ (١٩٥٦/١/٢٩م)، أنهى السيّد الصدر رحمه الله تحصيلاته الأصوليّة عند السيّد الخوئي رحمه الله[٤].

---

(١) يقصد ما جرى على السيّد صدر الدين شرف الدين ـ أبي مصطفى ـ نجل السيّد عبد الحسين رحمه الله من أحداث سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) بعد نشره كتاب (سحابة بورتسموث) في نقد صالح جبر، الأمر الذي أدّى بالحكومة العراقيّة إلى مصادرة الكتاب وتعطيل جريدة (الساعة) ونزع جنسيّته العراقية وإخراجه من العراق في تمّوز/١٩٤٩م.

(٢) يقصد رحمه الله رحيل السيّد عبد الرؤوف شرف الدين نجل السيّد محمّد علي ابن السيّد الحسين شرف الدين رحمه الله.

(٣) انظر الوثيقة رقم (٢٢)؛ موسوعة الإمام شرف الدين ٩: ١٤٠ ـ ١٤١.

(٤) ذكر السيّد عبد الغني الأردبيلي أنّ السيّد الصدر رحمه الله أنهى دراسته الأصوليّة عند السيّد الخوئي رحمه الله سنة ١٣٧٨هـ (أسرة آل الصدر: ٢٠٦)، بينما ذكر السيّد الصدر رحمه الله نفسه أنّه قد فرغ منها «حوالي سنة ١٣٧٥». انظر: الوثيقة المتقدّمة رقم (٤)؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٣٠٦.

والملفت للنظر أنّ عبارة السيّد الصدر رحمه الله في الوثيقة الخطّيّة قد وردت على النحو التالي: (حوالي ~~قبل~~ سنة ~~١٣٧٨~~ ١٣٧٥). ونحن نستظهر أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد كتب أوّل الأمر: (قبل سنة ١٣٧٨)، ثمّ تذكّر السنة بشكل أكثر تحديداً فعدّلها على النحو التالي: (حوالي سنة ١٣٧٥).

وربّما كان المأنوس في ذهن السيّد الصدر رحمه الله أنّ ذلك كان سنة ١٣٧٨هـ أو قبلها وذكر ذلك للسيّد الأردبيلي رحمه الله، فأثبت الأخير سنة ١٣٧٨هـ. وبعد أن أراد السيّد الصدر الإجابة عن الأسئلة المذكورة ذكر أنّ ذلك كان قبل سنة ١٣٧٨هـ ثمّ تذكّر التاريخ بشكل أكثر تحديداً فكتب: (سنة ١٣٧٥هـ). وهذا يبعّد أن تكون وثيقة السيّد الصدر رحمه الله عبارة عن أجوبة وجّهها إليه السيّد عبد الغني الأردبيلي من أجل تأليف رسالته (أسرة آل الصدر) كما يُفهم من بعض الكتابات (شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٦٥)، والأرجح أنّها كُتبت للسيّد عبد الله شرف الدين.

وقد قال له السيّد الخوئي رحمه الله آنذاك: «**اذهب إلى درسك، لا حاجة لك بي**»[١].

تدريس (كفاية الأصول)

لقد درّس السيّد الصدر رحمه الله كتاب (كفاية الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني رحمه الله عدّة مرّات قبل هذه السنة. وفي هذه الفترة[٢] طلب السيّد فخر الدين أبو الحسن من السيّد الصدر رحمه الله درسَ (الكفاية)، ولكنّ عارضاً عرض له ومنعه من المتابعة فتوقّف الدرس.

وعند ارتفاع هذا المانع، جاء السيّد أبو الحسن إلى صديقه السيّد نور الدين الإشكوري وطلب منه أن يطلب من أحد العلماء الشباب ـ وهو السيّد الصدر ـ درس (الكفاية). إلاّ أنّ السيّد الإشكوري امتنع عن ذلك قائلاً: إنّه يدرس عند الشيخ مجتبى اللنكراني رحمه الله (١٣١٥ ـ ١٤٠٦هـ) أستاذ (الكفاية) المعروف، وهو لا يعدل عنه إلى أستاذ آخر. ولكنّ السيّد أبو الحسن ألحّ بالطلب مجدّداً وأفصح عن الداعي إلى ذلك، وأنّه يخجل أن يطّلب الدرس مرّة ثانية بعد الذي حصل منه. عندها استجاب السيّد الإشكوري وفاءً للصداقة، لكن بشرط أن يترك الدرس ويعود إلى الشيخ اللنكراني حال شروع الدرس واستقراره.

وعلى إثر ذلك تمّ الحديث مع السيّد الصدر رحمه الله الذي وافق على ذلك، وبدأ درس (الكفاية) في مسجد الهندي[٣] الواقع في سوق (القبلة) قبل المغرب بساعة من أيّام الأسبوع عدا يومي الخميس والجمعة.

يقول السيّد الإشكوري: إنّه في أوّل درس حضره عند السيّد الصدر رحمه الله وكأنّه سحره، فنسي أساتذته كلّهم وترك درس الشيخ مجتبى اللنكراني رحمه الله. وعندما رجع إلى البيت قرّر درس (الكفاية) وعرضه في اليوم التالي على السيّد الصدر رحمه الله الذي أبدى بالغ تشجيعه على المتابعة[٤].

وعلى أيّة حال، فما أردنا تأكيده في المقام هو أنّ هناك شواهد أخرى تجعلنا نركن إلى أنّ حضور السيّد الصدر رحمه الله عند السيّد الخوئي رحمه الله في درس الأصول استمرّ إلى العام ١٣٧٥هـ:

أمّا كونه حاضراً سنة ١٣٧٤هـ فلما تقدّم ذكره ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ من أنّ الإشكالات المذكورة في تقريرات السيّد محمّد سرور البهسودي في بحث الاستصحاب من الدورة الثالثة هي للسيّد الصدر رحمه الله، وقد انتهت هذه الدورة في ١٥/جمادى الثانية/١٣٧٥هـ (دراسات في علم الأصول ٤: ٤٤٤).

أمّا كون حضوره لم يتعدَّ سنة ١٣٧٥هـ فلما يُستفاد من كلام السيّد عبّاس خاتم اليزدي رحمه الله الذي حضر في مبحث التعادل والتراجيح من الدورة الأصوليّة الثالثة (١٣٧٤ ـ ١٣٧٥هـ) حيث يقول: إنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يُشارك في درس الفقه بشكل أساس ولم يحضر في درس الأصول إلاّ لمدّة قليلة [خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٦]، والأرجح أنّ المدّة القصيرة التي يتحدّث عنها السيّد اليزدي رحمه الله هي الفترة الممتدّة من بحث التعادل والتراجيح إلى آخر الدورة.

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد بصير بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م ؛ مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله). ومن المحتمل أن يكون ذلك سنة ١٣٧٨هـ سنة فراغه من الدراسات الفقهيّة عند السيّد الخوئي رحمه الله.

(٢) المعروف أنّ درس (الكفاية) كان سنة ١٣٧٦هـ ولكن حيث إنّ الجزء الأوّل انتهى بتاريخ ٢٥/ربيع الأوّل/١٣٧٦هـ فهذا يعني أنّ الدرس ابتدأ سنة ١٣٧٥هـ.

(٣) وأكّد كون الدرس في مسجد الهندي السيّد ذيشان حيدر جوادي رحمه الله [لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (حفظه الله)].

(٤) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله) ؛

وممّن التحق بالدرس الشيخ عبّاس الأخلاقي الذي كان قد انتقل إلى النجف من أجل الدراسة. وبعد فترة قصيرة عزم على الرجوع إلى إيران لأنّه لم يستسغ البقاء، حيث كانت متابعة الدروس بالعربيّة صعبةً عليه. وفي أيّامه الأخيرة التقى بالشيخ محمّد حسن المظفّر رحمه الله الذي كان قد التقى به في إيران أثناء سفرهما إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام ووعده بزيارته إذا قدم إلى النجف، فاصطحبه إلى داره حيث التقى بابنه الشيخ عبد العالي المظفّر الذي طلب منه أن يجرّب درس السيّد الصدر قبل سفره. وقد تحدّثَ الشيخ عبد العالي مع السيّد الصدر حول ذلك واستأذن له بالحضور، ثمّ تمّ التواعد في مدرسة الخليلي حيث التقى بالسيّد الصدر والسيّد طالب الرفاعي.

وبمجرّد أن رأى السيّدَ الصدر وقع حبّه في قلبه وحضر درسه، وقد سُحر ـ والكلام للشيخ الأخلاقي ـ بيانه العذب مع أنّه كان يعاني من فهم اللغة العربيّة. وبعد ذلك صار يقرّر الدرس ويعرضه عليه، وقد قال له السيّد الصدر رحمه الله مشجّعاً: «**أنا عربيٌّ ولا أحسن أن أكتب أحسن من هذا**». وقد احتفظ بمقدار من تقريراته وهي موجودة عنده في مكان ما، ولكنّه لم يعثر عليها حتّى الآن[(١)].

وممّن التحّق بالدرس أيضاً السيّد محمّد باقر الحَكيم رحمه الله الذي كان في هذه الفترة يدرس (الكفاية) عند أحد الأساتذة، فسمع أحد الطلاّب يمدح السيّد الصدر ويطري على درسه، فقرّر الحضور عنده بغرض التجربة والمقارنة. وقد وجد السيّد الحكيم رحمه الله في درس السيّد الصدر رحمه الله مجموعةً من الخصائص:

الأولى: أنّه لم يكن يتّبع طريقة الشرح المقطعي، بل كان يشرحُ تمام المطلب من أوّله إلى آخره عن ظهر قلب، ثمّ يقوم بتطبيق ما شرحه على متن الكتاب.

الثانية: أنّه كان صاحب منهج في شرحه، فكان يقدّم بعض المقدّمات والمعلومات ويؤخّر أخرى ممّا ذكره صاحب (الكفاية) حتّى يصبح البحث ممنهجاً ذا مقدّمات ونتائج.

الثالثة: تمثُّله آراء صاحب (الكفاية). فعلى الرغم من أنّه كان يخالف صاحب (الكفاية) في أكثر المطالب، إلاّ أنّه كان يرى أنّ مسؤوليّة تدريس الكتاب تفرض عرض الموضوع كما لو كان الشارح هو صاحب الكتاب، ولذا كان السيّد الصدر رحمه الله يقوم بعرض كافّة الوجوه الفنيّة التي يمكن أن تخدم وجهة نظر صاحب (الكفاية).

الرابعة: كان إذا أشكل أحد الطلاّب يُنْضِجُ إشكاله ويبرز وجهه الفني، فإن كان في محلّه أظهر أنّه كذلك، وإلاّ أوضح وجه المناقشة فيه.

الخامسة: اهتمامه حين إجابته عن أسئلة الطالب بتحريك ذهن الطالب ولو لم يقتنع بالجواب[(٢)].

السادسة: أنّه كان يبيّن المطلب بحيث لا يحتاج الطلاّب إلى مزيد مشقّة في تطبيق المطلب على عبارة (الكفاية)[(٣)].

مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (دام ظله)؛ انظر الوثيقة رقم (٢٣).

(١) حدّثني بذلك الشيخ عبّاس الأخلاقي بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م.

(٢) مقابلة (١) مع السيّد محمّد باقر الحكيم (قدس سره)؛ انديشه ماندگار، ويژه كنگره بين المللى آية الله العظمى شهيد صدر قدس سره، شماره دوم، آذر ١٣٧٩، گفت وگو با سيّد محمّد باقر حكيم: ٨ ـ ١٠.

(٣) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٥/١/٦م.

وفي ٢٥/ربيع الأوّل/١٣٧٦هـ (٣٠/١٠/١٩٥٦م) فرغ السيّد الصدر‏ من تدريس الجزء الأوّل من الكتاب وشرع بعده في تدريس الجزء الثاني[١].

وأثناء تدريسه الجزء الثاني من (الكفاية)[٢] كان الشيخ محمّد تقي الفقيه‏ منشغلاً بالتبليغ في (قلعة سكر) في العراق ونواحيها ثلاثة أشهر في السنة، فأشار على ابن أخيه الشيخ مفيد الفقيه ـ قبل أن ينهي (الكفاية) ـ أن يختار أستاذاً لنفسه، فالتقى بالسيّد الصدر‏ ولم أكن يعرفه بعد، وطلب منه درساً فاعتذر بعدم سعة الوقت، فشرع في الجزء الثاني من (الكفاية) عند السيّد يوسف الحكيم‏، وحضر معه هذا الدرس السيّد علي مكّي والشيخ عبد الكريم الفقيه، لكنّ السيّد يوسف‏ أيضاً كان مبتلى بشؤون المرجعيّة فلم يتمّ لهم ما أرادوه.

وصادف أن أخبرهم السيّد محمّد باقر الحكيم‏ أنّ السيّد الصدر‏ يباحث في الجزء الثاني من (الكفاية) ورجّح لهم ترك درس أخيه السيّد يوسف‏ وحضور درس السيّد الصدر‏ لأنّه أمتن منه وبيانه أفضل من بيانه، فحضروا درسه للتجربة ولكنّهم انتقلوا إليه بعد أن أعجبوا به.

وكان السيّد الصدر‏ في ذلك الوقت يباحث في الاستصحاب، فيشرع في مطلب (الكفاية) من دون أن يفتح الكتاب خلافاً للمتعارف، فيلقيه عليهم غيباً ويبيّنه فلا يفوته منه شيء ولا يحتاج إلى مراجعة الكتاب وإن اتّفق له ذلك مرّة، فيعود الشيخ مفيد إلى البيت ويكتب الدرس تفصيلاً لأنّ أداءه في الدرس ـ والكلام للشيخ الفقيه ـ لا يعلى عليه توضيحاً إلاّ درس السيّد الخوئي‏، فإذا انتهى من الكتابة فتح الكفاية فإذا المطلب بتمامه لم ينقص منه شيء. وأنهى الجزء الثاني من (الكفاية) ابتداءً من مبحث الاستصحاب إلى آخرها[٣].

أمّا حول حضّار الدرس ـ الذي ضمّ ما يقرب من عشرين شخصاً[٤] ـ فقد كان منهم إضافةً إلى السيّد نور الدين الإشكوري والسيّد فخر الدين أبو الحسن: الشيخ سعيد السوري، الشيخ عبد العالي المظفّر، السيّد محمّد باقر الحكيم‏[٥]، السيّد طالب الرفاعي، الشيخ عبّاس الأخلاقي، الشيخ نعمة الصغير[٦]، الشيخ محمّد الإصفهاني[٧]، وكذلك حضر لديه شطراً من (الكفاية) الشيخ علي آل إسحاق[٨]، والسيّد عبد الرحيم الشوكي[٩]، الشيخ مفيد الفقيه، السيّد علي مكّي والشيخ عبد الكريم الفقيه[١٠]، وكان إذا حضر الأستاذ قام له التلاميذ[١١].

---

(١) استفدنا هذا التاريخ من تقرير السيّد نور الدين الإشكوري لدرس (الكفاية).

(٢) منّا.

(٣) موقع مجلّة (رسالة النجف) على شبكة الإنترنت.

(٤) ما بين ــ ـ من: ترجمة السيّد الصدر‏، السيّد محمّد الغروي ().

(٥) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٦/١/٢٠٠٥م.

(٦) مقابلة (١) مع السيّد محمّد باقر الحكيم ().

(٧) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي ().

(٨) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق ().

(٩) مقابلة مع السيّد عبد الرحيم الشوكي ().

(١٠) موقع مجلّة (رسالة النجف) على شبكة الإنترنت.

(١١) ما بين [] من: ترجمة السيّد الصدر‏، السيّد محمّد الغروي ()

تدريس كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين)

في هذا العام درّس السيّد الصدر‏رحمه الله كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) للشيخ محمّد حسين آل الصغير[١]، كما ورد أنّه درّس كتاب (المطوّل) في مقبرة آل ياسين[٢].

تأسيس (مكتبة الإمام الحكيم العامّة)

في ١٥/شوّال/١٣٧٥هـ (٢٦/٥/١٩٥٦م) اشترى السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله دارين متّصلين بالمسجد الهندي من أجل تأسيس مكتبة عامّة، وقد انتهت المرحلة الأولى منها في أوائل ربيع الثاني/١٣٧٧هـ (تشرين الأوّل ـ الثاني/١٩٥٧م)[٣].

وقد قام السيّد الصدر‏رحمه الله بالتوعية مع الشباب في مكتبات السيّد الحكيم‏رحمه الله[٤].

مشاركة السيّد الصدر‏رحمه الله في مجلس (التحشية) على (العروة الوثقى)

في هذه الفترة عقد السيّد الخوئي‏رحمه الله مجلساً ضمّ نخبة تلامذته، وذلك من أجل كتابة حاشيته على كتاب (العروة الوثقى). وقد ضمّ هذا المجلس: السيّد الصدر‏رحمه الله، السيّد علي السيستاني، الشيخ جواد التبريزي، الشيخ حسين الوحيد الخراساني، السيّد علي البهشتي، السيّد محمّد علي التوحيدي وغيرهم.

يقول الشيخ جواد التبريزي: «**كان السيّد الصدر أكثرنا إشكالاً**»[٥].

ويقول الشيخ الكاتبي الهرندي: إنّه تعرّف على السيّد الصدر‏رحمه الله خلال حضوره عند السيّد الخوئي‏رحمه الله، حيث كان يرى سيّداً يجلس إلى جانب السيّد الخوئي‏رحمه الله يحشّي على (العروة)[٦]، فعرفتُ أنّ هذا السيّد مطّلعٌ على آراء السيّد الخوئي‏رحمه الله إلى درجةٍ أنّه يحشّي وفق آراء السيّد الخوئي‏رحمه الله[٧].

وقد نقل أحد حضّار مجلس السيّد الخوئي‏رحمه الله أنّ السيّد الصدر‏رحمه الله كان عندما يباحث في الفقه يستحضر مطالب كتاب (وسائل الشيعة) بمجلّداته كافّة دون الرجوع إلى الفهرس[٨].

لقاء السيّد الصدر‏رحمه الله بالشيخ جعفر السبحاني

في هذا العام زار الشيخ جعفر السبحاني السيّد الصدر‏رحمه الله في النجف الأشرف، ومع أنّ اللقاء كان قصيراً إلاّ أنّ الشيخ لمس فيه النبوغ وتوقّع له أن يكون من أعلام الفكر في الأوساط الإسلاميّة.

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ الدكتور محمّد حسين آل الصغير بتاريخ ١٤/٣/٢٠٠٥م.

(٢) خواطر محفوظة بدون سند (قدس سره).

(٣) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٣٣ ؛ راجع أحداث سنة ١٣٨٦هـ.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٣٩٦)، ٢/رمضان/١٤٠٩هـ، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

(٥) حدّثني بذلك السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٣١/١٢/٢٠٠٤م نقلاً عن الشيخ جواد التبريزي. وقد ذكر السيّد الخبّاز أنّ ذلك كان بعد وفاة السيّد البروجردي‏رحمه الله، ولكن حيث إنّ الطبعة الأولى من (التعليقة) ترجع إلى سنة ١٣٧٥هـ، فقد أثبتنا ما في المتن، وقد جاءت الطبعة الثانية بتاريخ ١١/ذي الحجّة الحرام/١٣٨٠هـ.

(٦) في المصدر: «وإمّا على (وسيلة النجاة) للسيّد أبو الحسن الإصفهاني‏رحمه الله»، وما أثبتناه هو الصحيح.

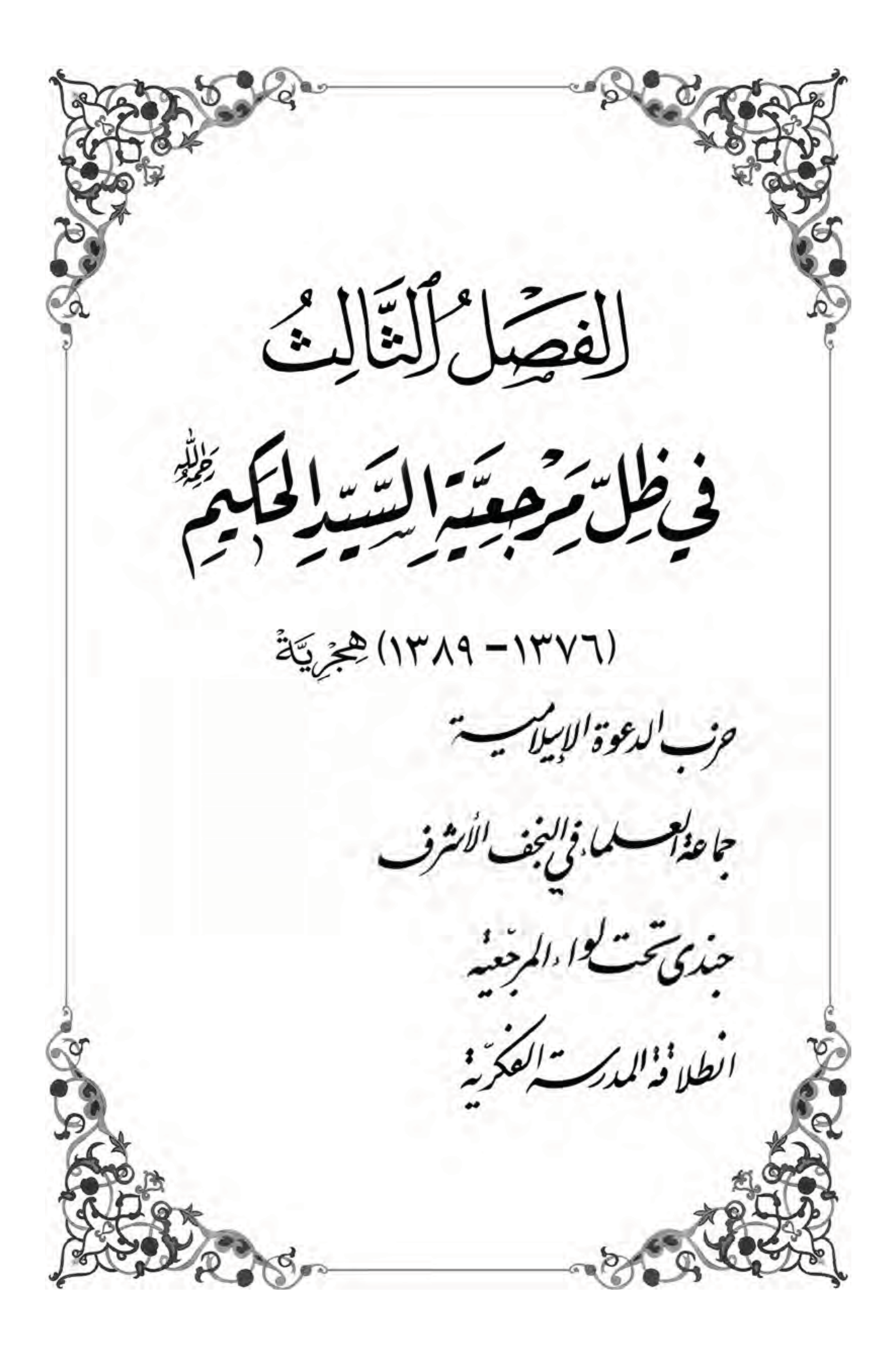
(٧) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (قدس سره).

(٨) تقدّم ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ.

وبعد ذلك وصله منه كتاب (غاية الفكر) الذي دلّل للشيخ السبحاني على مكان السيّد الصدر رحمه الله في علم الأصول على الرغم من صغر حجم الكتاب[١].

* * *

(١) مقابلة مع الشيخ جعفر السبحاني (حفظه الله)، ومن المحتمل رجوع اللقاء إلى ما قبل طباعة (غاية الفكر).



الفصل الثالث

في ظل مرجعية السيد الحكيم رحمه الله

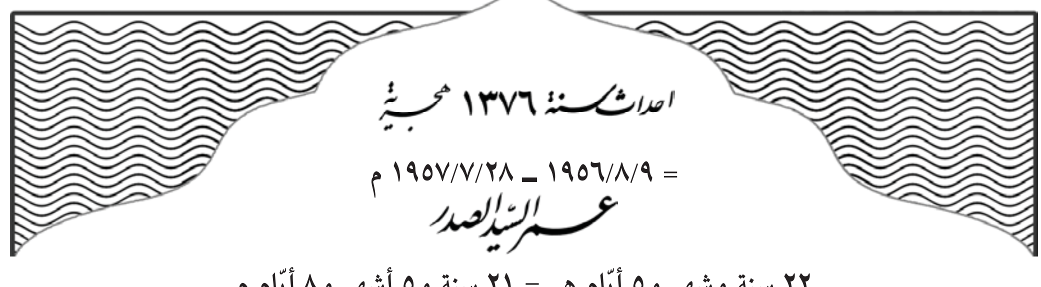
(١٣٧٦- ١٣٨٩) هجرية

حزب الدعوة الإسلامية

جماعة العلماء في النجف الأشرف

جندي تحت لواء المرجعية

انطلاقة المدرسة الفكرية



٢٢ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢١ سنة و٥ أشهر و٨ أيّام م

***

العدوان الثلاثي وأجواء المرحلة

إثر العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦/١٠/٢٩م (٢٤/ربيع الأوّل/ ١٣٧٦هـ)[1]، وجّه السيّد عبد الحسين الدينﷺ عشيّة الاعتداء نداءً إلى علماء الدين في العالم، وقد جاء فيه:

«في هذه الفترة الحاسمة التي يمتحن فيها الاستعمار مناعة الإنسان في الحرّيّة وتقرير المصير، في هذه الفترة التي يغزو بها الاستعمار مصر المجاهدة، أبتهل إلى الله عزّ وعلا أن ينصر الحق ويزهق الباطل، وأناشد إخواني في الله تعالى علماء الدين في كلّ مكان أن يقولوا كلمتهم، فتدوّي صارخة توقظ النائمين، وتدفع الواقفين إلى الدفاع عن معقلٍ هو أعزُّ معاقلنا، تحت راية الحق يحملها جمال عبد الناصر الذي أصبح فكرةً في العقول، وخفقةً في الصدور، وإنساناً في العيون.

وأهيب بجميع أبنائنا في الله في المشرق والمغرب إلى الاشتراك في معركة المصير هذه، وإعلان الحرب على الاستعمار الذي جعل من شرعة حقوق الإنسان شريعة قراضنة و[ذئبان]، يغدر بالوطن المؤمن الآمن، فيتسوّر عليه جوّه وأرضه ومياهه، ويلتحم معه ناباً مسموماً، وظفراً لئيماً في حرب إبادة، فيرى في الموطن العظيم جيشاً وشعباً ورئيساً.

ألا وإنّ الاستعمار الغربي يغزونا في عقر دارنا معتدياً غاشماً.

ألا ومن مات دون حفنة من تراب وطنه مات شهيداً»[2].

ودعا السيّد محسن الحكيمﷺ إلى إقامة مهرجان ديني في صحن مقام الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام من أجل الابتهال إلى الله تعالى أن يقي مصر كيد الأعداء[3].

وأبرق الشيخ محمّد رضا المظفّرﷺ إلى شيخ الأزهر برقيّة جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

محافل النجف تعجُّ صارخةً إليه تعالى بدعائها صارخةً لإنقاذ مصر المسلمة، وتبتهل إليه أن يأخذ بناصركم ويرفع لواءكم، والقلوب تقطر دماً من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشيّة أعداء الإسلام والإنسانيّة. والمسلمون في جميع البلاد يدٌ واحدة في شدّ أزركم.

تشرين الثاني ١٩٥٦

---

(١) موسوعة السياسة ٢: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) موسوعة الإمام شرف الدين (المدخل) ٠: ٤٦٦ ؛ ٩: ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

(٣) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦٠.

عميد كليّة منتدى النشر»[١].

وقامت في أنحاء العراق مظاهرات صاخبة، فأصدرت رئاسة الوزراء أوامرها إلى السلطات الأمنيّة بقمع التظاهرات التي واجهتها السلطات الحكوميّة بمنتهى العنف والشدّة، الأمر الذي أدّى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا بين قتيل وجريح. كما أصدر الملك فيصل الثاني إرادةً ملكيّة بإعلان الأحكام العرفيّة بصورةٍ مؤقّتة في جميع أنحاء العراق إلى حين صدور إرادة ملكيّة بإنهائها.

وكانت أشدّ المظاهرات عنفاً تلك التي خرجت في النجف الأشرف بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٣م (١٩/ربيع الثاني/١٣٧٦هـ) والتي شارك فيها رجال الدين. وقد ارتكبت الأجهزة الأمنيّة مجزرة دامية في المدينة راح ضحيّتها ١١٤ أو ٤٥٠ قتيلاً[٢]. ومن جملة الشهداء أربعة شباب قضوا حملهم المتظاهرون على عربة إلى دار السيّد محسن الحكيم رحمه الله وسط تظاهرة عارمة ووضعوا جثثهم أمام داره[٣]، وأضرب رحمه الله عن صلاة الجمعة[٤].

وقد استنكر هذه المجازر جملةٌ من العلماء، فقد وجّه السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله برقيّةً إلى الملك فيصل الثاني رفض فيها سياسة حكومته:

وقوف العرب في صفٍّ والعراق في صف، تناقضٌ صارخٌ مع رسالة الحسين وفيصل وغازي التي مضوا في سبيلها تقتيلاً وتشريداً.

وإنّني والله لأسمع عتبهم الأبوي المفجوع ترسله أرواحهم الزكيّة، وألمح خيبة الأمل ترتسم على وجوههم النبويّة، محتجّةً مع الملايين على رئيسٍ سفّاحي العراق، واعتدائه على جدّك ومجدك في النجف الأشرف، وإذلاله لشعبك الأبي في شتّى أنحاء مملكتك.

شعبك العظيم يدعوك للمجد العظيم، فكن لشعبك يا ولدي كما كان لشعبه أخوك عبد الناصر، وابن عمّك الحسين، وأخرج السفّاح من دار الحكم، دارِك، تنفرج الأزمة التي تأخذ بخناق شعبك السجين، ويتنفّس المسلمون والعرب الصعداء!..

أحيّيك بانتظار الفرج، وأحيّي إخواني المجاهدين علماء حكماء، وزعماء شرفاء، وشعباً كريماً، وجيشاً باسلاً ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٥]»[٦].

وكتب إليه الشيخ عبد الكريم الجزائري:

«بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك المعظّم.

---

(١) الشيخ محمّد رضا المظفّر وتطوّر الحركة الإصلاحيّة في النجف: ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٧ ـ ٤٨ ؛ وانظر للتفصيل: سنوات من تاريخ العراق.. النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديموقراطي في العراق: ٣٠٩ ـ ٣٢٧ ؛ الفكر السياسي المعاصر في العراق: ٣١٤ ـ ٣٢٨.

(٣) مساهمة النجف في التصدّي للعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ كما يرويها شاهد عيان، الأستاذ أحمد الحبّوبي، مجلّة الموسم، العدد (٩ ـ ١٠): ٥٨ ـ ٦٨.

(٤) الإمام الحكيم.. لمحة موجزة عن مرجعيّته وجهاده: ٢٠.

(٥) آل عمران: ١٦٩.

(٦) موسوعة الإمام شرف الدين (المدخل) ٠: ٤٦٧.

إنّ حالة النجف مضطربة لإراقة دماء الأطفال الأبرياء داخل مدارسهم وهتك حرمتها، ولا تهدأ إلاّ بإنزال العقوبات الشديدة بالمعتدين.

عالجوا الوضع بالحل السريع قبل أن يتفاقم الأمر..

عبد الكريم الجزائري»[١].

وأبرق السيّد حسين الحمامي رحمه الله بالبرقيّة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

.. كان لهجوم الشرطة الوحشي على مدارس النجف وقتل الطلاّب الأبرياء أعنف الأثر في النفوس عامّة. نطلب المبادرة إلى إزالة التوتّر والضرب على أيدي المعتدين..

حسين الحمامي»[٢].

ثمّ أرسل إليه السيّد محسن الحكيم رحمه الله الرسالة التالية:

«جلالة الملك [المعظّم] ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ إراقة الدماء البريئة بشكلها الوحشي الفظيع في بلدنا المقدّس لتدعو إلى القلق والاستنكار العظيمين، ومن المؤسف إغضاء الحكومة عن ذلك كلّه وسلوكها طريق الإرهاب لعموم الطبقات.

محسن الطباطبائي الحكيم»

وقد ردّ الملك فيصل على برقيّة السيّد الحكيم رحمه الله بالبرقيّة الجوابيّة التالية:

«سماحة العلاّمة حجّة الإسلام السيّد محسن الحكيم [الطباطبائي]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد أُحطنا علماً ببرقيّتكم بشأن الحوادث المؤسفة التي وقعت في النجف المقدّس، وقد أمرنا الحكومة بما يقتضي.

والسلام عليكم

بغداد في ٣ كانون الأوّل ١٩٥٦م / ٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٦ هـ

فيصل»[٣].

يُشار إلى أنّ السيّد حسين البرورجردي رحمه الله انتقد الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله صاحب (الغدير) بدون ذكر اسمه عندما زار الأخير إصفهان مصادفاً مع التاسع من ربيع الأوّل، واتّخذت محاضراته طابعاً مشحوناً ضدّ السنّة، فقال رحمه الله: «**ما هذا الوضع في إصفهان؟ ففي الوقت الذي تشنّ فيه إسرائيل حربها على مصر وتريد احتلال قناة السويس وتعريض أهل مصر للضغوطات والأخطار، نأتي لنشعل حرباً بين السنّة والشيعة**»[٤].

بدايات تشكيل حزب الدعوة الإسلاميّة

في أجواء شبيهة لتلك التي خلقتها أحداث تشرين الثاني/١٩٥٦م، بدأت تتبلور فكرة تشكيل

---

(١) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦١.

(٢) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦١.

(٣) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦١ ـ ٦٢ ؛ وما بين [] من: حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٨.

(٤) انظر: يادنامه شرق (فارسي).. ضميمه رايگان تاريخ وانديشه، شماره ١٢، ويژه آيت الله بروجردى، فروردين ٨٥: ٦.

حزب إسلامي في العراق ينهض بأعباء المرحلة. ولكن لم تكن لدى هؤلاء الشباب أطروحة واضحة حول الحكومة الإسلاميّة في زمن الغيبة، كيفيّتها وشكلها.

وهنا سأل السيّد مهدي الحكيم رحمه الله الشيخ حسين الحلّي رحمه الله عن الحكومة الإسلاميّة، وكان يرى حرمة قيامها زمن الغيبة لأنّها منازعة لمقام الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف[1].

وفي تشييع أحد العلماء آخر سنة [١٩٥٦م][2]، فاتح السيّد مهدي الحكيم رحمه الله ابن خالته السيّد محمّد حسين فضل الله حول الموضوع، والذي أيّد الفكرة وشجّع عليها. كما فاتح السيّد مهدي رحمه الله الحاج عبد الصاحب دخيّل رحمه الله، والشيخ سليمان اليحفوفي، ثمّ تمّ الاتّصال بالسيّد طالب الرفاعي[3].

يقول السيّد مهدي الحكيم رحمه الله: «**تكلّمتُ وقتها مع السيّد طالب الرفاعي وعبد الصاحب دخيل ومحمّد صادق القاموسي على أساس أن نعمل حزباً، وعقدنا عدّة اجتماعات وجلسات حول الموضوع، وكان السيّد طالب الرفاعي أفضلنا من الناحية السياسيّة باعتبار اتّصاله بحزب التحرير[4] والإخوان المسلمين[5] ومن خلاله تعرّفنا على الشيخ عارف البصري[6]**».

وكانت غاية هؤلاء المؤسّسين من تأسيس الحركة الإسلاميّة تحقيق جملة من الأهداف في مقدّمتها:

١ ـ طرح الإسلام علاجاً للحياة الاجتماعيّة في مقابل التيّارات الفكريّة والثقافيّة الأخرى التي كانت تطرح معالجات غير إسلاميّة، كالقوميّة والاشتراكيّة والشيوعيّة الماركسيّة فضلاً عن الديموقراطيّة الليبراليّة.

٢ ـ مواجهة التيّارات الأخرى بالأسلوب الجذّاب نفسه ـ في ذلك الوقت ـ الذي كانت تستخدمه لاستقطاب أبناء الأمّة.

٣ ـ إيجاد وسيلة للوصول إلى قطاعات في الأمّة كان يصعب الوصول إليها من خلال العلماء والمبلّغين ـ في ذلك الوقت ـ مثل قطاع الموظّفين والطلبة الجامعيّين وغيرهم من المرتبطين بالجهاز الحاكم، حيث كان يوجد حاجزٌ نفسيٌّ واجتماعيٌّ وثقافيٌّ بين هذه الأوساط وبين الحوزة العلميّة بسبب مخلّفات وآثار العمل الثقافي والسياسي المضاد من قبل الاستعمار السياسي والثقافي والتيّارات الفكريّة والثقافيّة التابعة له.

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٣٥ ؛ وانظر حول بدء التحرّكات بعد أحداث ١٩٥٦م: مقابلة مع السيّد حسن شبّر (حفظه الله).

(٢) في المصدر آخر/١٩٥٧م، وقد أثبتنا ١٩٥٦م ممّا بدا لنا من مجريات الأمور.

(٣) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (قدس سره) ؛ انظر بعضها في: منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٠٠.

(٤) تأسّس حزب التحرير (الإسلامي) في مدينة القدس بفلسطين عام ١٩٥٢م على يد الشيخ تقي الدين النبهاني، وتركّز عمله في البداية على فلسطين والأردن، ثمّ انتشر إلى عدد من البلدان الإسلاميّة الأخرى (سنوات الجمر: ٢٣).

(٥) تأسّست جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨م على يد الشيخ حسن البنّا وامتدّت إلى الكثير من البلدان الإسلاميّة ومنها العراق، إذ دخلته الجماعة في أوائل الأربعينات (سنوات الجمر: ٢٣).

(٦) كان الشيخ عارف يتردّد من البصرة إلى النجف الأشرف، وقد أقنعه السيّد الصدر رحمه الله بالبقاء في النجف [صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديثٍ مع السيّد محمّد حسين فضل الله].

بعد ذلك اقترح السيّد طالب الرفاعي على السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ طرح الموضوع على السيّد الصدر‏ﷺ، إلاّ أنّ السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ أبدى خشيته من ذلك باعتبار أنّ السيّد الصدر مجتهد، وكان يخشى أن يُسَبُّوا ويُلعَنوا ويُكَفَّروا، إلاّ أنّ السيّد الرفاعي طمأنه قائلاً: «**السيّد الصدر ليس من ذلك النمط**».

وعلى هذا الأساس تشجّع السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ وقام بزيارة السيّد الصدر‏ﷺ في بيته وعرض عليه الموضوع، فوافق عليه من دون ممانعة أو تردّد، [فقد كان السيّد الصدر‏ﷺ يعتقد أنّ التنظيم الحزبي يشبه مسألة توزيع كتاب، حيث يطرح فيها السؤال: ما هي أفضل طريقة لتوزيعه وإيصاله إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين؟!][1].

بعد موافقة السيّد الصدر‏ﷺ ، انتقلت الاجتماعات إلى داره وازداد عدد الحضور ـ الذي كان يتمّ اختيار الجدد منه بعناية ـ حتّى جاوز العشرة في بعضها، وكان بعض هذه الاجتماعات يجري بصورة ثنائيّة فقط.

وكانت وجهات النظر تلتقي في بعض الأحيان وتتباعد في أحيان أخرى، ولذلك انسحبت جماعة، وبقيت على اتّصال دائم كوكبةٌ منسجمةٌ أخذت أفكارها تتلاقى وتتوحّد.

وكان من بين المشاركين في تلك الاجتماعات التي كانت تعقد بصورة ثنائيّة تارةً وجماعيّة أخرى، الحاج محمّد صالح الأديب الذي كان حينها في الصفّ الأخير من كليّة الزراعة والذي كان بدوره يبحث عن جماعة تتّفق معه على تأسيس حزب إسلامي، وقد تمّت دعوة الأديب لحضور هذه الاجتماعات من قبل السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ [الذي تعرّف عليه الأديب والتقى به في دار والده السيّد محسن الحكيم‏ﷺ، وكان الأديب يتحدّث في مدينته كربلاء وفي كليّة الزراعة عن ضرورة العمل المنظّم فدلّه أحد أصدقائه المنتمين إلى (جماعة الشباب المسلم) التي يتزعّمها الشيخ عزّ الدين الجزائري واليائسين من نجاح العمل على السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ بوصفه أبرزِ من يفيده في هذا المجال. وفي هذا اللقاء استجاب السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ لما طرحه الأديب مباشرةً وذكر له أثناء الحديث أنّ السيّد محمّد باقر الصدر يؤمن بالعمل المنظّم واقترح عليه أن يذهب بصحبته إلى دار السيّد الصدر حيث التقياه.

وفيما كان السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ يتحدّث عن سبب الزيارة بادر السيّد الصدر‏ﷺ إلى الحديث عن ضرورة العمل الإسلامي المنظّم في وجود حركة ذات فكر مستقى من القرآن الكريم والسنّة ومن سيرة الأئمّة‏عليهم السلام، غير أنّ تبنّي هذه الحركة فكرَ أهل البيت‏عليهم السلام لا يعني إشهاره بالطريقة الصارخة، بل تتبنّى فكرهم بطريقة ضمنيّة ومن خلال عرضه والتعريف به].

بعد ذلك صارت تعقد اجتماعات ثلاثيّة بين الصدر والحكيم والأديب نهار الجمعة وبشكل أسبوعي في دار السيّد الصدر‏ﷺ في النجف الأشرف، وكان الحديث في تلك الاجتماعات يدور حول ضرورة العمل الإسلامي المنظّم وتشكيل حزب تبنى دعائمه على ما جاء في القرآن الكريم

---

(١) ما بين [] من: طريقة حزب الله في العمل الإسلامي: ٨٩ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٠٦، نقلاً عنه.

والسّنة النبويّة وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، لكن مع استيعابه للمسلمين كافّة.

وقد استطاع السيّد الصدر رحمه الله خلال تلك اللقاءات الدوريّة التي كانت تعقد يوم الجمعة من كلّ أسبوع من التعرّف على أوضاع طلبة جامعة بغداد والإحاطة بنشاط القوى السياسيّة المختلفة ـ من قبيل الحزب الشيوعي وحركة القوميّين العرب ـ التي كانت تتّخذ من الجامعة ومعاهدها ـ وكانت الوحيدة في العراق ـ ميداناً لتحرّكها.

وكان السيّد الصدر رحمه الله يؤكّد خلال تلك الاجتماعات على نقطتين أساسيّتين:

١ ـ الأولى: تتعلّق بظاهرة انتماء الشباب إلى التيّارات والأحزاب العلمانيّة والتي كان بعضها يجاهر بعدائه للدّين ويحارب شعائره.

وكانت رؤية السيّد الصدر رحمه الله حول هذه النقطة أنّ الشبّان المتحمّسين والمتطلّعين إلى المستقبل لا يعرفون عن إسلامهم شيئاً، وهم بانتمائهم إلى تلك الأحزاب إنّما يريدون خدمة وطنهم عبر أيّ طريق كان، ولو كانت هناك حركة إسلاميّة تأخذ بأيديهم وتستوعب تطلّعاتهم المشروعة لما اختاروا غير الإسلام سبيلاً.

٢ ـ الثانية: تتعلّق بضرورة العمل من أجل قيام دولة إسلاميّة، لأنّ السيّد الصدر رحمه الله كان على اعتقاد بأنّ وجود مثل هذه الدولة هو الذي يضمن تبيان تعاليم الإسلام وتطبيق أحكامه.

ومن كلامه في هذه الشأن قوله: «**قد نعمل ونغيّر المجتمع، فإذا كانت الحكومة لا تؤمن بذلك فإنّها قادرة وبجرّة قلم على إلغاء كلّ ما قمنا به**»[١].

وكان يقول: «**إنّ التنظيم الحزبي يشبه مسألة توزيع كتاب، حيث يطرح فيها السؤال: ما هي أفضل طريقة لتوزيعه وإيصاله إلى أكبر عددٍ ممكن من القرّاء.. والتنظيم إنّما هو طريقة لإيصال أفكار الإسلام إلى أكبر عدد ممكنٍ من المسلمين**»[٢].

---

(١) انظر: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٣٦ ـ ٣٩ ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (قدس سره) ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٨ ـ ٥١ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٦٨)، ١٩٨٣/١/٣م ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٨ ؛ وما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٩ ـ ٧٠. علماً بأنّ الأحداث الآتية طالت العام التالي أيضاً على الأرجح، ولكنّنا فضّلنا عدم فصلها. وانظر حول العمل الحزبي من وجهة نظر حزب الدعوة الإسلاميّة: العمل الحزبي، منشورات حزب الدعوة الإسلاميّة، الإعلام المركزي، ط٣، ١٩٨١م.

يُشار إلى أنّ من الأمور التي جعلتنا نطمئن إلى أنّ بدايات التأسيس كانت سنة ١٣٧٦هـ هي أنّ الحاج الأديب يصرّح بأنّ بدايات العمل كانت سنة ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٦م (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٠) وأنّه تعرّف على السيّد الصدر رحمه الله سنة ١٩٥٦م (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٩)، وقد تقدّم في المتن أنّ السيّد مهدي الحكيم رحمه الله هو الذي عرّفه على السيّد الصدر رحمه الله في إطار تأسيس الحزب الجديد. ومن هنا فإنّ الأحداث ترجع إلى العام ١٩٥٦م. ولمّا كان الحاج الأديب في السنة الأخيرة من كليّة الزراعة كما في المتن، وكان تاريخ تخرّجه سنة ١٩٥٧م (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠)، فهذا يعني أنّ هذه الأحداث تزامنت مع بدايات العام الدراسي للسنة الأخيرة والتي تبدأ في حدود تشرين الأوّل/١٩٥٦م (ربيع الأوّل/١٣٧٦هـ) وتنتهي في بدايات صيف/١٩٥٧م. وهذا ينسجم مع كون تأسيس الحزب قد أعقب أحداث تشرين الثاني/١٩٥٦م.

(٢) طريقة حزب الله في العمل الإسلامي: ٨٩.

السيّد الصدر‌رحمه‌الله يدرس أنظمة الأحزاب

قلنا: إنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله كان يركّز في اجتماعاته على أنّ الشباب الجامعي الذي لحق بالأحزاب العلمانيّة لا يعرف عن إسلامه شيئاً، وإنّه كان يؤكّد على ضرورة إقامة حكومة إسلاميّة.

وقد طلب‌رحمه‌الله من الحاج محمّد صالح الأديب أن يجمع له الأنظمة الداخليّة لمختلف الأحزاب العراقيّة [مثل الحزب الشيوعي وحزب البعث العراقي والقوميّين العرب، إضافةً إلى الكتب العشرة لتقي الدين النبهاني التي كانت بمثابة الفكر الأساسي لحزب التحرير، فيما لم يجدوا لـ(الإخوان المسلمون) نظاماً داخليّاً لأنّهم ـ بحسب بعض كوادرهم ـ يتدارسون كتاب (الدعوة والداعية) لحسن البنّا وكتب عبد القادر عودة][1]، وطلب من السيّد مهدي الحكيم‌رحمه‌الله أن يجمع له الأنظمة الداخليّة لجمعيّة (منتدى النشر) والجمعيّات الأخرى، وكان الهدف من ذلك هو أن يقف على أهداف الأحزاب وآليّات عملها[2].

وبالفعل أحضر الأديب هذه الأنظمة وعدداً من مجلّة (الإخوان المسلمون) وأعداداً أخرى من مجلّة (المسلمون) التي كان يصدرها سعيد رمضان، وقد قرأها السيّد الصدر‌رحمه‌الله وأبدى إعجابه بمجلّة الإخوان وكانت مجلّة كبيرة وذات أركان متعدّدة للمرأة والعمّال ومواضيع أخرى[3].

مع كتاب (الخلافة الإسلاميّة) لتقي الدين النبهاني

كان حزب التحرير الذي أسّسه الشيخ تقي الدين النبهاني في القدس قد ضمّ العديد من العناصر الشيعيّة من قبيل: عبد الغني شكر الشمّري، هادي ابن الشيخ عبد الحسين شحتور، الشيخ عارف البصري وأخوه عبد علي، الشيخ سهيل السعد، الشيخ مجيد الصيمري ومحمّد الكوّاز.

وسنة ١٩٥٦م أصدر الشيخ النبهاني كتابه (الخلافة الإسلاميّة) الذي كان بمثابة تصفية حزب التحرير من العناصر الشيعيّة[4]، وقد دارت على إثره نقاشات بين أعضاء حزب التحرير وبين كوادر الحركة الإسلاميّة كالحاج عبد الصاحب دخيّل[5].

وبعد صدور الكتاب أحضر [بعض كوادر حزب التحرير] ثلاث نسخ وقدّم الأولى إلى السيّد محمّد باقر الصدر‌رحمه‌الله والثانية إلى السيّد الخوئي‌رحمه‌الله، والثالثة إلى الشيخ محمّد رضا الجعفري. وقد طُلب من السيّد الصدر التعليق على الكتاب من أجل طباعة التعليقة ضمن طبعته الجديدة، كما طلب

---

(١) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠ ؛ وانظر: صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديثٍ مع السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠، نقلاً عن الحاج الأديب. وقد ورد في مصدر آخر أنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله أعجب بجريدة (الحساب) التي كان يصدرها (الإخوان المسلمون) لما حوته من مواضيعَ متنوّعة سياسيّة وفكريّة وأركانها الثابتة حول المرأة والعمّال..كما أعجب بمجلّة (المسلمون) التي كان يصدرها التنظيم الدولي للإخوان، وذلك لشموليّة ودقّة المواضيع التي كانت تحتويها (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٢).

(٤) عزّ الدين الجزائري.. رائد الحركة الإسلاميّة في العراق: ٩٠ ـ ٩١.

(٥) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

السيد الخوئي من الشيخ الجعفري التعليق عليه، إلاّ أنه اعتذر بكفاية تعليق واحد. وقد تبيّن لاحقاً أنّ السيّد الخوئي رحمه الله قد طلب ذلك من السيد محمّد مهدي الخرسان.

وقد أرسل السيّد الصدر رحمه الله التعليقة إلى تقي الدين النبهاني [باسم السيّد الخوئي رحمه الله]، إلاّ أنّها لم تُضمّن مع الكتاب عند إعادة طبعه[1]، وطلب السيّد الصدر رحمه الله من النبهاني عدم طباعة الكتاب، وإن كان لا بدّ فلتؤخذ الملاحظات بعين الاعتبار، إلاّ أنّ النبهاني لم يكتفِ بطباعة الكتاب دون أخذها بعين الاعتبار بل جعله مادّةً من مواد التدريس في حزبه[2].

تأسيس كليّة الفقه

في هذه السنة أسّس الشيخ محمّد رضا المظفّر رحمه الله كليّة الفقه في النجف الأشرف التابعة لجمعيّة منتدى النشر، وكان إلى جانبه عدّة مؤسّسين هم: الشيخ جواد الحجامي، الشيخ محمّد حسين المظفّر، السيّد علي بحر العلوم، السيّد محمّد سعيد الحكيم، السيّد يوسف الحكيم والسيّد موسى بحر العلوم رحمهم الله.

وقد اعترفت بها وزارة المعارف العراقيّة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) واعتبرت شهادتها عالية يطبّق على حاملها ما تنصُّ عليه القوانين والأنظمة في ما يتعلّق بخرّيجي المعاهد العالية ودرجاتها العلميّة درجة (الليسانس) كما هو مثبت في شهادة خرّيجي كليّة الفقه، وهي درجة تخصّص في اللغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة.

وقد تلقّت عمادة الكليّة من قبل جامعة بغداد بكتابها المرقّم (٢٠٣٨٣) بتاريخ ١٩٦٢/١٢/٢٩م الاعتراف بمستوى الكليّة ومعادلتها بالكليّات الشبيهة بها في الجامعة مثل كليّة الشريعة وكليّة التربية وكليّة الآداب.

وسنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) أصبحت الكليّة تابعة لجامعة بغداد مباشرةً[3].

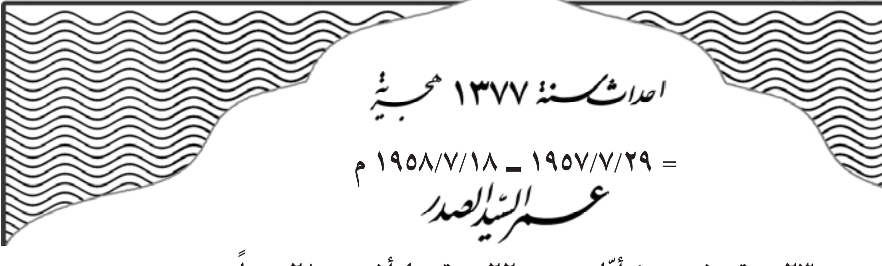
* * *

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ محمّد رضا الجعفري بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥م ؛ وانظر شيئاً منه في: مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (ﷺ). وقد أضاف الشيخ الجعفري: «لسنا نعرف شيئاً عن تلك التعليقة، وهي إن كانت موجودة عند أحد، فعند السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله، وقد استشهد» ؛ انظر أيضاً أحداث سنة ١٣٩٩هـ تحت عنوان: إرسال السيّد محمود الهاشمي إلى إيران، الهوامش ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٢، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم حيث الحديث عن نسختين قدّمتا إلى السيّدين الخوئي والصدر مع إغفالٍ للنسخة التي قدّمت إلى الشيخ محمّد رضا الجعفري ؛ وما بين [] من المصدر الأخير.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٩م، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله.

(٣) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ١٥٥ ـ ١٧٢.



٢٣ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٢ سنة و٤ أشهر و٢٨ يوماً م

❊❊❊

الاجتماع التأسيسي الأوّل لحزب الدعوة الإسلاميّة في النجف

في ١٧/ربيع الأوّل/١٣٧٧هـ (١٢/١٠/١٩٥٧م)، تمّ عقد اجتماع ضمّ ـ إضافةً إلى السيّد الصدر؛ ـ سبعة أشخاص آخرين في منزل السيّد مهدي الحكيم؛ في النجف الأشرف، ومن هؤلاء المشاركين: السيّد مهدي الحكيم، الحاج محمّد صادق القاموسي والسيّد محمّد باقر الحكيم[1].

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٤ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.

مكان الاجتماع

أمّا مكان الاجتماع فالذي يذكره الحاج صالح الأديب أنّه كان في منزل السيّد مهدي الحكيم؛ في كربلاء (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠)، بينما يرى آخرون أنّه كان في منزله في النجف الأشرف (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٣). وقد اعتبر السيّد محمّد الحسيني وجود تهافت بين كلامين صادرين عن السيّد محمّد باقر الحكيم؛ ومنقولين عنه في كتاب (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٤، ٦٤) حيث ذهب في أحدهما إلى أنّ الاجتماع كان في منزل السيّد مهدي الحكيم؛ ـ دون تحديد المدينة ـ وفي كلام آخر إلى أنّ الاجتماع كان في منزل السيّد محسن الحكيم؛ في كربلاء (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧١). والحقيقة أنّه لا تهافت بينهما لأنّ الأوّل منهما ناظرٌ إلى الاجتماع التأسيسي الأوّل في النجف والثاني إلى الاجتماع التأسيس الثاني في كربلاء كما هو موضّح في المصدر نفسه (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٣، ٦٣)، وإن كان السيّد الحسيني لا يعتقد بوجود اجتماعين تأسيسيّين (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٣).

تاريخ الاجتماع

أمّا بالنسبة إلى تاريخ التأسيس:

(أ) فقد ذكر الحاج محمّد صالح الأديب أنّ ذلك كان في ربيع الأوّل من العام ١٣٧٧هـ، وقد أكّد الأديب عدم تأكّده من تاريخ اليوم، وإن كان الحزب يتبنّى يوم السابع عشر في احتفالاته الرسميّة (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٩، هامش ٢٠) ؛ وانظر: مقدّمة مباحث الأصول: ٨٨ ؛ وقد أكّد هذا الأمر السيّد حسن شبّر (الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١١، هامش ١٨ ؛ لقاء شخصي بتاريخ ١٩/٤/٢٠٠٤م).

ويشهد لهذا التاريخ أيضاً أنّ تأسيس الحزب كان في عام تخرّج الحاج الأديب من كليّة الزراعة، وقد كان ذلك سنة ١٩٥٧م (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠)، وكون التأسيس في في تشرين الأوّل/١٩٥٧م يتناسب مع ذلك.

(ب) إلاّ أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم؛ ذكر في كتابات عديدة أنّ ذلك كان في صيف ١٩٥٨م (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٢٧) ؛ وكذلك السيّد طالب الرفاعي الذي قال: إنّه كان بعد أشهر قليلة من انقلاب تموز ١٩٥٨م (محرّم ١٣٧٨ وما بعد) (الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١١، هامش ١٨)، وقد أكّد لي الدكتور جودت القزويني نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي أنّ ذلك كان عام ١٩٥٩م بعد تأسيس جماعة العلماء.

ولعلّ وجه الجمع بين القولين ـ خاصّة أنّ الأديب والرفاعي والحكيم كانوا جميعاً من المؤسّسين ـ هو أنّ للحزب اجتماعين تأسيسيّين: أحدهما في ربيع الأوّل ١٣٧٧هـ والآخر في تموز ١٩٥٨م، فيكون كلٌّ من هذين الرأيين ناظراً

وقد دار أغلب الحوار في ذلك الاجتماع بين السيّد الصدر(رحمه الله) وبين الحاج محمّد صادق القاموسي باعتبارهما الأكثر وعياً وثقافةً من بين الحضور[1].

وفي ختام الاجتماع تقرّر تأسيس الحزب الإسلامي الذي كانت المباحثات تجري بشأنه على مدار السنة ـ أو أكثر ـ التي سبقت عقده.

وعند اتّخاذ هذا القرار لم تكن معالم التشكيل واضحة لأنّها كانت تجربة جديدة في هذا الوسط أريد منها تحقيق أهداف معيّنة مع محاولة الاحتفاظ بأصالتها والجانب الشرعي والإسلامي منها من

إلى أحد هذين الاجتماعين.

لكن تبقى الإشارة إلى مسألة، وهي أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم(رحمه الله) يقول: «في شتاء ١٩٥٨..كنّا قد أسّسنا الحركة الإسلاميّة المنظّمة»، [ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)]. ولو أردنا أن نتعامل مع المسألة بدقّة، فإنّ شتاء ١٩٥٨ ينتهي في ١٩٥٨/٣/٢٣م (٣٠/شعبان/١٣٧٧هـ)، وهذا يدعم كلام الأديب ومن ذهب إلى أنّ تأسيس الحزب كان في ربيع الأوّل/١٣٧٧هـ والله العالم بواقع الحال.

وسواء كان التأسيس عام ١٣٧٧هـ كما ذهب إليه الأديب أم ١٣٧٨هـ كما ذهب إليه السيّدان الحكيم(رحمه الله) والرفاعي، فإنّ كلاً من الرأيين ينفيان صحّة ما ذكره الشيخ علي كوراني من كون تأسيس الحزب «سنة ١٣٨٠ هجريّة وليس قبل ذلك كما يذكر بعضهم» (مسائل في البناء الفكري: ٧). ولا شكّ في أنّ قول من تقدّم ذكرهم مقدّمٌ على قوله، لأنّهم أسبق منه إلى الدار، وهم أعرف منه بما فيها.

وجهات نظر حول التأسيس

١ ـ اعتبر الحاج صالح الأديب أنّ الاجتماع التأسيسي لحزب الدعوة الإسلاميّة كان في كربلاء وفي ربيع الأوّل/١٣٧٧هـ (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠).

٢ ـ أمّا السيّد طالب الرفاعي فيعتبر أنّه والسيّد مهدي الحكيم وشخصاً ثالثاً لم يرغب في ذكر اسمه كانوا وراء تأسيس حزب الدعوة ثمّ دعي السيّد الصدر(رحمه الله) إلى الحزب ليصبح على رأسه بعد فترة. وبعد قيام الحزب بأشهر قام السيّد مهدي الحكيم(رحمه الله) بدعوة السيّد مرتضى العسكري. وكان ذلك في شهر تمّوز/١٩٥٩م. وكان السيّد مهدي الحكيم(رحمه الله) ـ مع إيمانه بالتنظيم ـ متوقّفاً عن تنفيذ الفكرة لاعتقاده بضرورة وجود فقيه على رأس التنظيم، وقد وافقه على ذلك السيّد طالب الرفاعي (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠ ـ ٧١، ٧٢، ٧٥).

٣ ـ ويذكر الشيخ عبد الهادي الفضلي أنّ حزب الدعوة تأسّس عقيب إفتاء السيّد محسن الحكيم(رحمه الله) بحرمة الانتماء إلى حزب التحرير نتيجة سلفيّته، فانفصل عنه السيّد طالب الرفاعي والمهندسان محمّد هادي وأخوه مهدي السبيتي والشيخ عارف البصري. وبعد ذلك طلب المهندسان السبيتي من السيّد طالب الرفاعي مفاتحة السيّد الصدر(رحمه الله) حول تأسيس حركة إسلاميّة شيعيّة، وبعد أن تحمّس السيّد الصدر(رحمه الله) للفكرة واستأنس برأي خاله الشيخ مرتضى آل ياسين ورأي السيّد محسن الحكيم(رحمهما الله) بدأ عمله بوضع (الأسس) وفوتح الأعضاء الأوائل للدعوة بالانتماء إلى الحزب (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧١).

٤ ـ ويروي الشيخ جواد الخالصي عن أخيه الشيخ مهدي أنّه ـ أي الشيخ مهدي ـ كان أحد خمسة أسهموا في التفكير لتأسيس حزب إسلامي، وهم: السيّد مرتضى العسكري، الحاج عبد الصاحب دخيّل، عبد الهادي السبيتي، الشيخ مهدي الخالصي وشخصٌ خامس لم يذكر اسمه. وكان من أهمّ ما تمّ الاتّفاق عليه هو أن يكون مركز العمل الإسلامي في الكاظميّة وأن يتمّ السكوت عن الموقف من المرجعيّة بسبب الحساسيّة تجاه مرجعيّة السيّد الحكيم(رحمه الله)، وأن يكون العمل غير طائفي. وبعد أن انتقلت المداولات إلى النجف الأشرف وعرضت الفكرة على السيّد الصدر(رحمه الله) وآخرين وتمّ تبنّي الطابع المذهبي وتحديد النجف مركزاً والاتّصال مع المرجعيّة المتمثّلة بالسيّد الحكيم(رحمه الله) انسحب الشيخ مهدي الخالصي (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٧، نقلاً عن الشيخ جواد الخالصي نقلاً عن الشيخ مهدي الخالصي).

(١) مذكّرات السيّد مهدي الحكيم(رحمه الله): ٣٧ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٤.

ناحية، وانسجامها وتكيّفها نسبيّاً مع الخطّ العام للحركة الإسلاميّة المتمثّلة بالمرجعيّة الدينيّة والحوزة العلميّة من ناحية ثانية، وفاعليّتها وقدرتها على تحقيق أغراضها من ناحية ثالثة. فلم يكن الاسم معروفاً حتّى وقت متأخّر، كما أنّ النظام الداخلي لم يكن محدّداً بشكل كامل حتّى ذلك الوقت، وهكذا أساليب ومنهج العمل والحقوق والواجبات وغيرها من الأمور[(١)].

رحيل السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله

يوم الاثنين ٨/جمادى الثانية/١٣٧٧ هـ (١٩٥٧/١٢/٣١م)، توفّي السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في مستشفى (أوتيل ديو) في بيروت عند الساعة الخامسة والنصف صباحاً.

وصباح يوم الثلاثاء تمّ تشييع جثمانه رحمه الله من المستشفى إلى المطار ـ والمسافة بينهما نحو ٧ كلم ـ بهدف نقله إلى العراق ليوارى الثرى في النجف الأشرف، وقد وصل الجثمان إلى المطار عند الساعة الحادية عشرة.

وعند الساعة الحادية عشرة والثلث، أقلعت الطائرة الخاصّة التي تقلّ الجثمان إلى مطار بغداد حيث وصلت عند الساعة الثانية ظهراً. وقد شيّع الجثمان في بغداد والكاظميّة ووصل إلى كربلاء عند الساعة الثانية ليلاً.

ويوم الأربعاء أقفلت كربلاء محلاّتها لتشيّع جثمان الفقيد رحمه الله إلى النجف الأشرف. وعند (خان النصف) استقبل النجفيّون الجثمان، يتقدّمهم السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي والشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد حسين الحمامي رحمهم الله، وقد وصلوا إلى النجف الأشرف قبل المغرب وتمّ تشييعه بموكب مهيب لم تشهده النجف سابقاً[(٢)].

وأثناء التشييع طلب السيّد جعفر نجل السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله من الآغا بزرگ الطهراني رحمه الله أن يستقلّ سيّارةً بدل التشييع ماشياً وذلك بسبب وضعه الصحّي، فقال له الشيخ الطهراني رحمه الله: «**يبدو أنّك لا تعرف خلف من أنا أمشي، أنا أمشي خلف الشيخ المفيد**»[(٣)]، وقد صلّى على الجثمان السيّد محسن الحكيم رحمه الله[(٤)].

ثمّ دفن السيّد شرف الدين رحمه الله في إحدى غرف الصحن العلوي يوم الأربعاء في ١٠/جمادى الثانية/١٣٧٧هـ (١٩٥٨/١/١م)[(٥)].

وفي اليوم الثالث أقام كلٌّ من السيّد محسن الحكيم رحمه الله الفاتحة في مسجد (عمران)، والسيّد عبد

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٢٤ ـ ٥٥، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مقابلة معه في طهران بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٠م.

(٢) بغية الراغبين ٢: ٢٥٥ ـ ٢٦٠ ؛ النص والاجتهاد: ٣٩ (مقدّمة السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله).

(٣) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٣م.

(٤) حياة الإمام شرف الدين في سطور، الشيخ أحمد قبيسي: ١٢٥. وقد ذكر لي بعضُ السادة أنّ السيّد جعفر شرف الدين قدّم السيّد الصدر رحمه الله، ولكنّ الأخير قدّم السيّد يوسف الحكيم والسيّد محمّد سعيد الحكيم والد السيّد محمّد تقي، ولعلّ السيّد محمّد سعيد هو الذي صلّى عليه، والصحيح ما في المتن.

(٥) النص والاجتهاد: ٣٩ ؛ وانظر حول رحيله: رائد الفكر الإصلاحي السيّد عبد الحسين شرف الدين: ٧٣ ـ ٧٨، نقلاً عن مجلّة العرفان، م٤٥.

الهادي الشيرازي‏ في مسجد الشيخ الأنصاري‏، إضافةً إلى مجلسي السيّد حسين الحمامي والسيّد الخوئي‏. وفي الكاظميّة أقام آل الصدر مجلس الفاتحة لمدّة ثلاثة أيّام، وقد استقبل التعازي كلٌّ من السيّد علي الصدر والسيّد محمّد صادق الصدر‏[(١)].

وبعد ذلك كتب السيّد جعفر شرف الدين إلى السيّد موسى الصدر ـ وكان في قم ـ رسالةً يدعوه فيها إلى الحلول في لبنان مكان والده‏. فاستجاب السيّد موسى وقدم في أواخر سنة ١٩٥٩م، ثمّ أقام فيها سنة ١٩٦٠م[(٢)].

انقلاب عبد الكريم قاسم

أدّى التنكيل بالوطنيّين والإمعان في الخضوع للاستعمار والتآمر على قضايا الشعب الأساسيّة ومقوّماته الحضاريّة الذي بلغ قمّته في إقامة حلف بغداد سنة ١٩٥٥م ثمّ الاتّحاد الهاشمي بين العراق والأردن سنة ١٩٥٨م للردّ على قيام الجمهوريّة العربية المتّحدة بين مصر وسوريا، أدّى ذلك كلّه إلى زيادة الالتحام والتكاتف بين مختلف الأحزاب والحركات الوطنيّة والقوميّة التي ائتلفت في جبهة الاتّحاد الوطني التي ضمّت بدورها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال والحزب الشيوعي العراقي، بالإضافة إلى العناصر القوميّة العسكريّة[(٣)].

وعند الساعة الرابعة والنصف فجراً من صباح يوم الاثنين ١٤/تموز/١٩٥٨م (٢٦/ذي الحجّة/١٣٧٧هـ)، تمّت محاصرة منزل رئيس الوزراء نوري السعيد بإمرة المقدّم وصفي طاهر. وبعد تمكّنه من الفرار ألقي القبض على نوري السعيد في الشارع هارباً في لباس امرأة في ١٩٥٨/٧/١٦م، فانتحر وسحبت جثّته في الشارع حتّى اهترأت وتقطّعت.

وحوصر قصر الرحاب (قصر النهاية) وتمّ قصفه وقتل من فيه، وبعد مقتل الملك فيصل الثاني وخاله عبد الإله ـ الذي كان وصيّاً على العرش من سنة ١٩٣٩ حتّى سنة ١٩٥٣م ـ سلّم الضبّاط الأحرار جثّة عبد الإله إلى الناس فربطوها وسحلوها، ثمّ علّقوها في شارع الكرخ متدلّيةً من شرفة أحد الفنادق، وسلمت جثّة الملك فيصل من السحل[(٤)].

وأفاق العراقيّون صباح الرابع عشر من تمّوز على أنغام الموسيقى العسكريّة من الراديو وخصوصاً النشيد الوطني الحماسي «**الله أكبر**». وعند الساعة السادسة والنصف صباحاً أذاع عبد السلام عارف البيان الأوّل للحكم الجديد مفيداً بأنّ الجيش قد حرّر «**الوطن الحبيب من المفسدين الذين نصّبهم الاستعمار**». وبعد فترة ظهر قاسم وعارف وأوضحا أنّ حكومةً شعبيّة ستتشكّل فوراً ودعيا إلى الحفاظ على النظام والوحدة من أجل الوطن. وبعد ساعات أُعلنت الأحكام العرفيّة[(٥)].

---

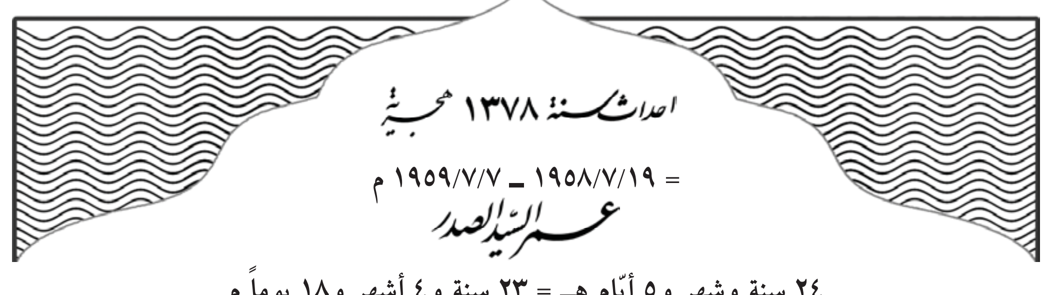
(١) بغية الراغبين ٢: ٢٦٠. ويبدو أنّ المقصود هو السيّد محمّد صادق ابن السيّد محمّد حسين الصدر‏.

(٢) الإمام السيّد موسى الصدر.. محطّات تاريخيّة: ١٢٧.

(٣) موسوعة السياسة / العراق.

(٤) عبد الكريم قاسم، رؤية بعد العشرين: ٢٣ ـ ٥٣.

(٥) من الثورة إلى الديكتاتوريّة: ٨٣.



٢٤ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٣ سنة و٤ أشهر و١٨ يوماً م

***

رجوع السيّد موسى الصدر إلى إيران

في ١٣٣٧/٤/٢٨ هـ . ش (١٩٥٨/٧/١٩م = ١/محرّم/١٣٧٨هـ) رجع السيّد موسى الصدر إلى إيران، وكان عازماً على الرجوع مجدّداً إلى النجف الأشرف من أجل نقل أغراضه وأثاثه إلى إيران[١].

وعندما صمّم السيّد موسى الصدر على مغادرة العراق، سأله السيّد الصدر‏ رحمه الله ـ وكانا منذ ورود السيّد موسى الصدر إلى النجف الأشرف مختلفين حول الأعلم بين المحقّق الداماد أستاذ السيّد موسى وبين السيّد الخوئي أستاذ السيّد الصدر، حيث كان كلٌّ منهما مصرّاً على أعلميّة أستاذه ـ : «**الآن وقد حضرت درس السيّد الخوئي لأربع سنوات، إلى ماذا انتهيت؟ هل المحقّق الداماد أعلم أم السيّد الخوئي؟!**»، فأجابه السيّد موسى الصدر: «**الذي توصّلتُ إليه هو أنّك أعلم منهما**»[٢]، وقد أشار السيّد موسى الصدر على والدته بتقليد ابن عمّه السيّد الصدر‏ رحمه الله عندما سألته يوماً إلى من ترجع بالتقليد[٣].

وعندما ودّع السيّد الصدر‏ رحمه الله ابن عمّه في (الكاراج) قال له السيّد موسى: «**لقد اخترتُ طريقَ السيّد جمال الدين، فعليّ السفر، أمّا أنت فمستقرٌّ في النجف، فأمّن لي الجوّ خارج النجف**»[٤].

وكان السيّد الصدر‏ رحمه الله يعتقد أنّ السيّد موسى الصدر لم يخرج من النجف الأشرف إلاّ مجتهداً[٥]، بل لو أنّه بقي في النجف الأشرف لصار مرجعاً للشيعة بلا منازع[٦].

وقد بقي السيّدان على تواصل، حتّى كان السيّد موسى يقول: «**عندما يضيق صدري أحزم حقيبتي وأذهب إلى النجف للقاء ابن عمّي السيّد الصدر، وعندها تنفرج أساريري ويزول عنّي همّي وضيق صدري**»[٧]، وكان كلٌّ منهما ان ينظر إلى الآخر بقداسة وتقدير بالغ، وحتّى إذا تناديا، فلا يسمع

---

(١) انظر تقرير المخابرات الإيرانيّة في: ياران امام به روايت اسناد ساواك ١: ٣.

(٢) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان نقلاً عن السيّد محمّد الغروي.

(٣) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٤) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان نقلاً عن السيّد صادق الطباطبائي.

(٥) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان نقلاً عن السيّد مهدي ابن السيّد رضا الصدر نقلاً عن عمّته السيّدة فاطمة الصدر نقلاً عن زوجها السيّد الصدر‏ رحمه الله ؛ خواطر محفوظة بدون سند (رحمه الله).

(٦) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م ؛ وانظره في: عزّت شيعه (فارسي): ١٤، ٢١٢.

(٧) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر‏ رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ وانظر: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٨٧.

منهما إلاّ لفظ «مولاي»، «حبيبي»، «سيّدي»..[(١)].

موقف السيّد محسن الحكيم رحمه الله من قاسم

وبعد انقلاب الضبّاط الأحرار هذا ضدّ النظام الملكي، حسم الصراع بين عبد الكريم قاسم وبين عبد السلام عارف لصالح الأوّل.

وعندما سمع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله الخبر من الراديو، أخبر السيّد محسن الحكيم رحمه الله بذلك. وبعد يومين جاء متصرّف كربلاء فؤاد عارف لزيارة السيّد الحكيم رحمه الله طالباً منه تأييد الثورة، إلاّ أنّ السيّد أصرّ على عدم كتابة برقيّة، فسأله السيّد مهدي رحمه الله: «**سيّدنا لماذا لا تكتب؟**»، فأجاب: «**إنّ لكلّ شيء حساباً، وهؤلاء لا أعرفهم**»[(٢)].

وبتاريخ ٦/محرّم/١٣٧٨هـ (١٩٥٨/٧/٢٤م) أبرق السيّد الحكيم رحمه الله إلى مجلس القيادة وعبد الكريم قاسم برقيّة جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

مجلس السيادة للجمهوريّة العراقيّة، سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإنّي أحمد الله وأشكره، وأسأله أن يجعلكم من قادة العدل وأنصار الحقِّ الذين عناهم الله سبحانه بقوله الكريم: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[(٣)]، فإنّ العدل أساس الملك، والعطف على الرعيّة أوّل النصر، وشكر الله تعالى يستوجب المزيد، والظلم والاستئثار من أكبر عوامل الدمار، فسيروا مسدّدين على ضوء تعاليم الإسلام وهدى القرآن ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[(٤)]، واعتبروا بمن مضى قبلكم، فإنّ الله سبحانه وتعالت كلمته يقول: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ..﴾[(٥)].

ولقد سرّني ما يبلغني عنكم من خطوات سديدة جبّارة في هذه الآونة القصيرة، الأمر الذي يستوجب لكم الإكبار والإعظام. لذلك أبارك لكم في ما أولاكم الله به، وأدعو لكم بحسن التوفيق لخدمة الدين والإسلام، والمحافظة على الصالح العام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

[النجف الأشرف]

٦ محرّم ١٣٧٨هـ.»[(٦)].

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٨٧.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٥٣ ـ ٥٤ ؛ وانظر: الفكر السياسي المعاصر في العراق: ٣٣٨ ـ ٣٤٤ ؛ وانظر حول استعداد الشيوعيّين لثورة قاسم: من تاريخ الحركة الثوريّة المعاصرة في العراق ١: ٣٣٠ ـ ٣٥٤.

(٣) محمّد: ٧.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) يونس: ١٣ ـ ١٤.

(٦) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣١٧ ـ ٣١٨ ؛ من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٥٤ ؛ الإمام المجاهد السيّد

وقد أجابه قاسم بما يلي:

«سماحة المجتهد الأكبر السيّد محسن الحكيم دامت بركاته

تلقّينا كتاب سماحتكم بمزيد الشكر، سائلين المولى أن يوفّقنا لأداء الواجب الملقى على عاتقنا نحو الأمّة، وحماية شعائر الإسلام وإقامة موازين العدل والمحافظة على الصالح العام، مستمدّين العون من عناية الله ومؤازرة الأمّة وبركات أئمّة الدين.

الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ـ رئيس الوزراء

٨ محرّم الحرام سنة ١٣٧٨ هـ»[1].

وقد أبرق الشيخ عبد الكريم الجزائري بالبرقيّة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم دام تأييده.

سلامي ودعائي.

﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

في الوقت الذي أكبر فيه مواقفكم المشرّفة وجهودكم الجبّارة في حركتكم المظفّرة، أسأله تعالى أن يأخذ بيدكم لما فيه الخير والصلاح، ويسدّد خطاكم لإعلاء كلمة الدين وراية الحق، [و]أن يكون عهدكم الجديد عهداً مباركاً تسوده العدالة الاجتماعيّة في حدود ما أمر الله، وأنزلت به رسله.

وفّقنا الله وإيّاكم لنصرة الدين وجمع كلمة المسلمين، إنّه وليّ التوفيق.

عبد الكريم الجزائري».

وأجابه قاسم بما يلي:

«كان لرسالتكم الأبويّة الأثر البالغ في نفوسنا، نسأله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الأمّة ورعاية الإسلام، والمحافظة على الصالح العام، وأن يمدّنا بعونٍ منه، وتسديده من أئمّة دينه، وأن يجعل هذا العهد عهداً تتظافر فيه الجهود، وتصان فيه الحقوق، وتحمى فيه بيضة الدين.

الزعيم الركن عبد الكريم قاسم

رئيس الوزراء

٨ محرّم الحرام ١٣٧٨»[3].

أمّا السيّد الصدر رحمه الله فكان يرى أنّ عبد الكريم قاسم إنسانٌ قلقٌ ليس لديه فكرة معيّنة عن الحكم، وكان يلعب لعبة التوازن بين التيّارات السياسيّة في العراق، ومن هنا تارةً يكون أقرب ما يكون إلى القوميّين العرب وأخرى إلى الشيوعيّين.. وكان همّه أن يحكم، ولكن لم تكن لديه فكرة واضحة يحكم من خلالها[4].

وكان رحمه الله يعقد في هذه الفترة مجالس تجمعه مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله والسيّد

محسن الحكيم: ٦٤ ـ ٦٥، وما بين [] من المصدر الأخير.

(١) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣١٨ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦٥.

(٢) محمّد: ٧.

(٣) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦٥ ـ ٦٦.

(٤) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

محمّد حسين فضل الله والشيخ محمّد رضا الجعفري والسيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ويتداول فيها الوضع القائم في العراق[١].

الوضع السياسي في ظلّ النظام الجديد وانعكاساته على المؤسّسة الدينيّة

لقد تمّ الإعلان عن الجمهوريّة وألغي العمل بدستور ١٩٢٥/٣/٢١م وتمّ تأسيس مجلس سيادة يتولّى مهمّة رئيس الجمهوريّة يرأسه نجيب الربيعي بمساعدة عضوين آخرين، وليس لذلك المجلس صلاحيات مهمّة لأنّ السلطة التنفيذيّة الفعليّة تركّزت بيد الوزراة، أو بالأحرى بيد رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم، وعضويّة عبد السلام عارف. كما عيّن أحمد حسن البكر عضواً في المجلس العرفي العسكري. وكان الغرض من تلك الثورة تغيير وجه العراق سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وإعادته إلى الركب العربي ومحاربة الإمبرياليّة، بحيث يمكن حصر أهداف الثورة في التحرّر التام من الاستعمار وإجراء إصلاحات جذريّة اجتماعيّة واقتصاديّة وتحقيق الوحدة العربيّة.

وسارت الثورة فعلاً في أشهرها الأولى ضمن هذه الأهداف: فقد أطلق سراح المعتقلين السياسيّين وسمح بعودة المبعدين وألغي قانون دعاوى العشائر وشرّع قانون الإصلاح الزراعي الذي أصبح نافذ المفعول منذ ١٩٥٨/٩/٣٠م، وشرّع قانون العمل الجديد الذي دخل حيّز التطبيق في ١٩٥٨/٧/٢٧م، ثمّ قانون الاتّحاد العام للجمعيّات الفلاحيّة في ١٩٥٩/٥/٩م الذي أقرّ لأوّل مرّة حقّ الفلاّحين في تأسيس الجمعيّات الفلاحيّة، ثمّ ألغيت القواعد العسكريّة الأجنبيّة في الحبّانيّة وغيرها، والانسحاب من حلف بغداد والاتّحاد الهاشمي، ونادت الثورة بالحياد الإيجابي والتعايش السلمي.

ولكن بعد بضعة أشهر دخل عبد الكريم قاسم في صراع حادٍّ مع ممثّلي الخطّ القومي واعتمد على الشيوعيّين الذي تخلّوا عن جبهة الاتّحاد الوطني ودعموا قاسم الذي انتهى به الأمر إلى الانفراد بالحكم، فألغى كلّ الأحزاب الوطنيّة والقوميّة، الشيء الذي دفع بالوزراء القوميّين والوطنيّين إلى تقديم استقالاتهم من الوزارة في ١٩٥٩/٢/٥م. وأنشأ عبد الكريم قاسم لجان التحقيق الخاصّة، والمحكمة العسكريّة العليا الخاصّة المعروفة بمحكمة المهداوي التي نكّلت بالقوميّين. وقد أدّى كلّ ذلك إلى انتفاضة الموصل التي قادها الضباط القوميّون وعلى رأسهم عبد الوهاب الشوّاف وناظم الطبقجلي، وذلك في ١٩٥٩/٣/٨م. ولكنّ تلك الانتفاضة فشلت وكانت نتيجتها مذابح كبيرة[٢].

لقد أحدث الانقلاب العسكري العراقي تحوّلاً جذريّاً في الحياة السياسيّة العراقيّة، وأثّر في مسيرتها لسنين طويلة قادمة، وتغييره التركيبة الاجتماعيّة والسياسيّة للشعب العراقي إجمالاً.

في ذلك الانقلاب أزيحت العائلة المالكة التي نصّبها الإنجليز على الشعب العراقي في عام ١٩٢١م من سدّة الحكم، وصفيّت جسديّاً مع بعض رجالات حكومتها، وحلّت محلّها مجموعة من

---

(١) خواطر محفوظة بدون سند (قدس سره).

(٢) موسوعة السياسة ٤: ٥٨ ـ ٥٩ ؛ وانظر عموماً: من الثورة إلى الديكتاتوريّة: ٨١ ـ ١٢٤ ؛ العراق الجمهوري: ٦٠ ـ ٨٤ ؛ ثورة ١٤ تموّز وحقيقة الشيوعيّين في العراق ؛ عبد الكريم قاسم.. البداية والنهاية: ١٨٩ وما بعد.

ضبّاط الجيش الذين قادوا الانقلاب وعلى رأسهم عبد الكريم قاسم.

وقد شكّل هؤلاء الضبّاط حكومتهم من شخصيّات سياسيّة معروفة ومتباينة في المشارب والاتّجاهات، وقامت في الأشهر الأولى بإنجازات أكسبت رئيسها قاسم محبّة وودّ الجماهير. ومن هذه المنجزات الانسحاب من حلف بغداد وإغلاق القواعد البريطانيّة في العراق.

وفي مقابل مشاعر الكره والاستياء لدى الشعب العراقي تجاه النظام البائد والاستعمار البريطاني، أبدى هذا الشعب بالغ الحبّ والتقدير لقاسم الذي تحوّل إلى بطلٍ وطنيٍّ بين عشيّة وضحاها.

ورغبةً من قاسم في الاستحواذ على مقاليد الحكم وتسيير دفّة القيادة السياسيّة حسب مآربه ولزيادة شعبيّته، قام باستعمال الشيوعيّين الذين كانوا من أكثر الأحزاب تنظيماً آنذاك، وكان الهدف هو تصفية زملائه الضبّاط في القيادة (الانقلابيّة) والذين كانوا يناصرون الحركة القوميّة العربيّة.

وفي خضم هذه الأحداث وما تبعها من محاولة بعض الضبّاط القوميّين القيام بمحاولة انقلاب ضدّ قاسم، دارت معارك في معظم مدن العراق الرئيسيّة وأهمّها الموصل وكركوك سفكت فيها دماء كثيرة، وكانت الغلبة فيها للشيوعيّين الذين استغلّوا تأييد قاسم لهم بزيادة رصيدهم الشعبي وتحريك الجماهير وفق مآربهم.

وقد وجدت المؤسّسة الدينيّة الشيعيّة نفسها أمام تحدٍّ سافر من قوى سياسيّة ملحدة في المجتمع لا يمكن للقيادة الدينيّة أن تتغاضى عن تصرّفاتها وتتركها تعبث على هواها، حيث سوف تنجح هذه القوى في إماتة الروح الدينيّة لدى أفراد الشعب.

وبالفعل فقد دقّت بعض المؤشّرات نواقيس الخطر على هذه الظاهرة الخطيرة:

أوّلاً: كان إصدار الحكومة قانون الأحوال المدنيّة (الشخصيّة) الجديد والذي كانت بعض بنوده مخالفة لأحكام الشريعة الإسلاميّة وخاصّةً تلك البنود التي تعالج الإرث وحقوق المرأة.

ولم يثر القانون أيّة ردود فعل شعبيّة ضدّه، ممّا يؤكّد أنّ عموم الشعب كان يتقبّل الموجة العلمانيّة وحملات مهاجمة الدين والمتديّنين التي كان يرعاها النظام. ولم تفلح إدانات العلماء العلنيّة عن ثني حكومة قاسم عن رأيها، ومضت قدماً في قانونها المخالف للإسلام.

ثانياً: استمرّت الدعاية الشيوعيّة في هجومها على المؤسّسة الدينيّة واصفةً إيّاها بالرجعيّة، كما شنّت حملتها الإعلاميّة على الفكر الديني باعتباره عقبةً كأداء في طريق نهضة وتطوّر الشعوب.

وقد وجدت هذه الهجمات الدعائيّة آذاناً صاغيةً لها بين الجماهير، ووجدت المؤسّسة الدينيّة نفسها عاجزةً في وقت تغلغل الشيوعيّون إليها في المدن المقدّسة كالنجف الأشرف وكربلاء والكاظميّة. والأنكى من ذلك أنّ الشيوعيّين قد نجحوا حتّى في كسب وتنظيم أبناء عوائل معروفة بتديّنها ومحافظتها على التقاليد الدينيّة.

وكان لزاماً على المرجعيّة المتمثّلة بالسيّد محسن الحكيمؒ أن تواجه هذا التحدّي الذي كان يهدّد ليس الشيعة وبقية المسلمين في العراق فحسب، وإنّما الشيعة في كلّ مكان، حيث يعتبر العراق مركزاً لمدارس إسلاميّة رئيسيّة على مرّ القرون ومقرَّ المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة

وأضرحة الكثير من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأيّة محاولة لإضعاف الروح الإسلاميّة في هذا القطر سيضعف الشيعة في كلّ مكان[١].

يُشار إلى أنّ الشيخ محمّد رضا المظفّر رحمه الله كان قد أبرق عدّة برقيّات إلى رجال الحكم والإدارة، منها البرقيّة التالية التي نشرت فيما بعد على صعيد واسع:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطّلعنا على قانون الأحوال الشخصيّة، فوجدناه يصطدم في كثير من مواده بالقانون الإسلامي المقدّس وبنصوص القرآن العظيم الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]، فأسفنا أن يشرّع مثل هذا القانون، ولا سيما في العراق البلد الذي يرجع إليه المسلمون أجمع في تعرّف أحكام الإسلام الحنيف وتشريع القرآن الكريم، فكان الجدير بقانون الأحوال الشخصيّة أن يكون صدى لصوت القرآن ونسخةً مطابقةً لأصل قانون الإسلام لا يحيد عنه، فالمأمول من سيادتكم إصدار الأمر بتعديله على وجه يطابق القانون الإسلامي.

محمّد رضا المظفّر

النجف الأشرف

مع ثلاثة من الأعلام الآخرين»[٣].

(سيبقى هذا الصوتُ خالداً)

في ١٩٥٨/٨/٧م (٢٠/محرّم/١٣٧٨هـ) نشرت مجلّة (النشاط الثقافي) مقالاً للسيّد الصدر رحمه الله تحت عنوان (سيبقى هذا الصوتُ خالداً)، وهو حول الإمام الحسين عليه السلام[٤].

عبد الكريم قاسم يزور السيّد محسن الحكيم رحمه الله

مرض السيّد محسن الحكيم رحمه الله، فسافر إلى بغداد في ٢٠/صفر/١٣٧٨هـ (١٩٥٨/٩/٥م)، فزاره عبد السلام عارف وكان يومها نائباً لرئيس الوزراء.

وفي اليوم الثاني زاره عبد الكريم قاسم، وكان السيّد الحكيم رحمه الله في بيت الغبّان مستلقياً على السرير، فجلس قاسم وقال: «**إنّني جئتُ من أجل أن أحقّق طموحات الناس وأخلّصهم من الظلم والطغيان.. أنا زعيمٌ شيعيٌّ، وأنا حاضر لتوجيهاتكم**»، فأوصاه السيّد الحكيم رحمه الله بعدّة قضايا منها: الرحمة بالناس، وأنّ الظلم قد مورس بحقّ الأمّة، فإذا استطعتَ أن تخدم الناس فهذا هو العمل الصالح، وأنّ الناس ستحافظ عليك وكذلك الله.. وكان الحديث عامّاً[٥].

---

(١) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٦٦ ـ ٤٦٨.

(٢) فصّلت: ٤٢.

(٣) الشيخ محمّد رضا المظفّر وتطوّر الحركة الإصلاحيّة في النجف: ٨٠ ـ ٨١.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٨٤١)، ٤/ذي الحجّة/١٤١٨هـ نقلاً عن مجلّة النشاط الثقافي ـ النجف، ١٩٥٨/٨/٧م؛ مجلّة (طريق الحقّ)، السنة الثانية، العدد الثامن: ١٥. وسينشر هذا المقال بإذن الله تعالى في الطبعة القادمة من (أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة) الصادر عن المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر قدس سره.

(٥) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٥٤ ـ ٥٥.

الاجتماع التأسيسي الثاني لحزب الدعوة الإسلاميّة في كربلاء

في صيف العام ١٩٥٨م (ذي الحجّة ١٣٧٧هـ ـ ربيع الأوّل ١٣٧٨هـ)، اقترح السيّد الصدر رحمه الله على السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أن يعرض فكرة تأسيس حزب إسلامي على السيّد مرتضى العسكري في بغداد والذي كانت تراوده الفكرة ذاتها أيضاً، وذلك من أجل ضمّه إلى الهيئة المؤسّسة، وكتب له رسالة تعريف لعدم حصول معرفة سابقة بين السيّد العسكري وبين السيّد مهدي رحمه الله، وقد جاء في الرسالة: «**السيّد مهدي يحمل إليك حديثي**».

عند وصول السيّد مهدي الحكيم رحمه الله إلى المدرسة التي كان السيّد العسكري قد أسّسها في الكاظميّة[1]، أعطاه الرسالة وكان يرتجف وهو يحدّثه، فقرأها السيّد العسكري ثمّ سأله: «**ما الموضوع؟**»، فأجابه السيّد مهدي رحمه الله: «**أنا والسيّد الصدر نفكّر في ضرورة تشكيل حزب إسلامي لتشكيل حكومة إسلاميّة، وإنّ السيّد قال إذا وافق العسكري فإنّنا نستطيع السير في ذلك**»، فقال السيّد العسكري: «**أنا موافق، اذهب وأنا سآتيكم**».

عندها بدت على السيّد مهدي رحمه الله علامات الدهشة والاستغراب، فقال له السيّد العسكري: «**لا تعجب، فقد كنتُ أفكّر في الموضوع منذ زمن، ولكن لم أجد الإنسان الذي أتحدّث معه حول ذلك**»[2].

غادر السيّد العسكري بغداد إلى النجف الأشرف ليعقد اجتماعاً رباعيّاً ضمّه والسيّد الصدر رحمه الله والسيّدين مهدي ومحمّد باقر الحكيم رحمهما الله، وكان هؤلاء الأربعة نواة حزب الدعوة[3].

اجتماع كربلاء

بعد انقطاع نسبي، عُقد اجتماعٌ في كربلاء في منزل السيّد محسن الحكيم رحمه الله الذي لم يكن مسكوناً[4]، وكان ذلك بعد ثورة تمّوز بأشهر قليلة، ولعلّه في أيلول أو تشرين الأوّل (ربيع الأوّل ـ ربيع الثاني ١٣٧٨هـ)[5]. وقد حضره كلٌّ من:

١ ـ السيّد محمّد باقر الصدر [الذي لم يحضر اجتماعاً خارج النجف غير هذا الاجتماع على ما يبدو][6].

٢ ـ السيّد مهدي الحكيم.

٣ ـ السيّد محمّد باقر الحكيم.

---

(١) ذكرت بعض المصادر أنّ ذلك كان في دار السيّد العسكري في بغداد، وما أثبتناه مستفاد ممّا ذكره السيّد العسكري في كلمة له بمناسبة ذكرى السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ.

(٢) من حديث للسيّد مرتضى العسكري في احتفال بذكرى السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/ ١٤٢ هـ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٥ ـ ٥٦ ؛ العلاّمة العسكري في مصادر التوثيق: ٩٥ ـ ٩٦ ؛ مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (حفظه الله).

(٣) فاتني مصدر المعلومة، ثمّ وجدتها في موضع آخر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٩.

(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٤، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨/٥/٤م.

(٥) حيث قد عبّر المؤسّسون بـ«بضعة أشهر من ثورة تمّوز»، انظر: حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٣، ولكنّ الحاج صالح الأديب يؤكّد على أنّ اجتماع كربلاء كان صيف ١٩٥٧م (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٠).

(٦) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٣.

٤ ـ السيّد مرتضى العسكري.
ـ السيّد طالب الرفاعي، [ولكنّ السيّد الرفاعي نفسه ينفي وقوع اجتماعٍ في كربلاء][(١)].
٥ ـ الحاج محمّد صادق القاموسي.
٦ ـ الحاج عبد الصاحب دخيل.
٧ ـ الحاج محمّد صالح الأديب[(٢)].
٨ ـ المهندس محمّد هادي السبيتي الذي قام السيّد مرتضى العسكري بدعوته[(٣)].

وقد تمّ في هذا الاجتماع رسم الخطوط العريضة للتنظيم وتحديد أساليب العمل الحزبي وفق قاعدة (الغاية لا تبرّر الوسيلة). وبعد ذلك تمّ اختيار أوّل قيادة لحزب الدعوة الإسلاميّة ـ ولم تكن التسمية موجودة بعد ـ وقد ضمّت كلاً من:

١ ـ السيّد محمّد باقر الصدر.
٢ ـ السيّد مرتضى العسكري.
٣ ـ السيّد محمّد مهدي الحكيم.
٤ ـ الحاج محمّد صادق القاموسي[(٤)].

وبحسب نقل السيّد مرتضى العسكري، فقد طلب السيّد الصدر رحمه الله أن يقسم السيّد العسكري أوّلاً فأقسم، ثمّ أقسمَ هو من بعده، ومن ثمّ السيّد مهدي الحكيم رحمه الله[(٥)].

وبحسب قول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله، فقد كان السيّد الصدر رحمه الله بمعنىً من المعاني هو المؤسّس للتنظيم والراعي له، بمعنى أنّه لولاه لم يكن هذا التنظيم ليوجد ولا ليأخذ هذا الواقع الخاص والتأييد، فوجوده كان له دورٌ كبيرٌ في جمع هذا العدد المهمّ من حيث الكيف والموقع السياسي والاجتماعي واقتناعهم بهذا العمل الإسلامي، وهذا الجانب هو سرُّ نجاح هذا التنظيم وقدرته على النموّ والتطوّر[(٦)].

وبحسب قول أخيه السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، فإنّه لا يمكن تحديد شخص معيّن أسّس الحزب، ولكنّ القضيّة أنّ واحداً قال: «**تعالوا نعمل حزباً**»، فجاء الجميع[(٧)].

ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله ينفي أن يكون هو المؤسّس[(٨)].

---

(١) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٧٣.
(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٤ ؛ سنوات الجمر: ٣٦ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٦٩، ٧٣.
(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٧٤.
(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٧. ويذكر السيّد مرتضى العسكري أنّ أعضاء القيادة كانوا متكافئين ومتضامنين في تحمّل المسؤوليّة (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٩).
(٥) من حديث للسيّد مرتضى العسكري في ذكرى السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله).
(٦) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٨.
(٧) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٩.
(٨) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٢٦.

الخطوات الأولى للحزب[(١)]

طلب السيّد الصدر رحمه الله من السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أن يعدّ له قائمةً بأسماء وكلاء والده السيّد محسن الحكيم رحمه الله في العراق[(٢)]، وكان السيّد مهدي رحمه الله يعرفهم واحداً واحداً. ثمّ قام رحمه الله بفرز أسماء من يعتقد باستجابتهم حال مفاتحتهم بقضيّة الحزب، وقد صنّفهم في ثلاث مجموعات، ليقوم هو بمفاتحة أفراد المجموعة الأولى، والسيّد مهدي رحمه الله الثانية والسيّد العسكري الثالثة.

استطاع السيّد الصدر رحمه الله إقناع معظم من فاتحهم بالموضوع وضمّهم إلى التنظيم، وصارت الاجتماعات تعقد في داره مرّتين في الأسبوع.

كان التنظيم قد انتقل من النجف إلى كربلاء حيث تولاّه الحاج محمّد صالح الأديب، وإلى بغداد حيث تولاّه السيّد مرتضى العسكري.

وبعد ازدياد عدد الأعضاء تشكّلت الحلقات الحزبيّة، وكان السيّد الصدر رحمه الله يرأس عدداً منها، وأخرى يرأسها السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله وثالثة السيّد مهدي الحكيم رحمه الله الذي كان أكثر الأعضاء كسباً للأفراد، وكان السيّد العسكري يدير حلقات بغداد.

وفي الحلقات التي كان يديرها السيّد الصدر رحمه الله كان يطرح أفكاراً ثقافيّة وتنظيميّة أخذت بعد ذلك طريقها إلى النشر من خلال كتبه رحمه الله[(٣)]، وكان إذا دار نقاشٌ في إحدى الجلسات حول قضيّة من القضايا فسرعان ما يأتي السيّد الصدر رحمه الله في اليوم التالي ببحث في هذه القضيّة[(٤)].

وكان السيّد الصدر رحمه الله قبل خروجه من التنظيم يدفع الحزب للتّحرّك على عناصر مختارة ومتميّزة في الحوزة والاهتمام بقبول الطلبة في الحوزة أو الحثّ على انتمائهم إليها وكسبهم إلى جانب التنظيم الخاص وربطهم به[(٥)].

وممّن فاتحهم السيّد الصدر رحمه الله بموضوع الانخراط في صفوف الحزب الشيخ محمّد باقر الناصري، وقد سبق ذلك سؤالٌ وجّهه الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله إلى الشيخ الناصري حيث سأله: «**هل تعرف السيّد الصدر؟!**»، فأجابه بأنّه كان يراه ولكن لم يسبق له أن تشرّف بمعرفته، فأخبره الشيخ الوائلي رحمه الله بأنّ السيّد الصدر رحمه الله يريد أن يأتي لزيارته.

وفي اليوم الثاني جاء السيّد الصدر والسيّد محمّد مهدي الحكيم رحمهما الله إلى منزل الشيخ الناصري، وكان معهما الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله الذي أوصلهما إلى باب الدار وقفل راجعاً.

وأثناء الحديث كان السيّد الصدر رحمه الله يتحدّث عن همومه، الأمر الذي أفرح الشيخ الناصري الذي

---

(١) تطال هذه الأحداث سنة ١٣٧٨ ـ ١٣٨٠هـ.

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٨٩، نقلاً عن الحاج الأديب والسيّد حسن شبّر في جلسة مشتركة بتاريخ ١٩٩٤/٩/٧م ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٣.

(٣) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٨٩ ـ ٩١.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٥، نقلاً عن الشيخ عامر الكفيشي نقلاً عن المهندس محمّد هادي السبيتي.

(٥) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٣١.

كان يلتقي مع هذه الهموم. ثمّ حدّثه السيّد الصدر عن نضوج الفكرة خلال هذه السنوات حول ضرورة العمل الجماعي وحول تأسيسهم حزب الدعوة الإسلاميّة، ثمّ أخرج له نسخة عن بيان التأسيس. فما كان من الشيخ الناصري إلاّ أن بارك هذه الخطوة، ولكنّه اعتذر عن الانخراط بالعمل تنظيميّاً بسبب وضعه وأسفاره وخطاباته، فقدّر السيّد الصدر ذلك(١).

كما زار السيّد الصدر الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري في منزله منزلِ الحاج عبد الحسين الشبستري الكائن في شارع الإمام الصادق عليه السلام ودعاه إلى الانخراط في الحزب متحدّثاً عن ضرورة العمل التنظيمي، فذكر له الشيخ الأنصاري أنّ تلامذته يعملون، إلاّ أنّ السيّد الصدر أكّد له على أنّ الأعمال ما لم تكن منظّمة فإنّها لن تكون ذات فائدة(٢).

وبهذا الصدد ـ وفي مرحلة متأخّرة ـ تحدّث السيّد نور الدين الإشكوري مع الشيخ الأنصاري وذكر له أنّ على تلامذة السيّد الصدر أن يمنعوا التنظيم من الاستفادة من أستاذهم وأنّ عليهم هم أن يلتفّوا حوله(٣).

وممّن زارهم السيّد الصدر الشيخ [علي] آل إسحاق حيث فاتحه بخصوص الانتساب إلى الحزب، فرحّب الشيخ بالفكرة ولكنّه سأل عن الأعضاء والمؤسّسين فاعتذر السيّد الصدر لأسباب أمنيّة مؤكّداً على أنّهم ثقات، ولكنّ الشيخ اعتذر بدوره مبدياً استعداده لإسداء أيّة خدمة(٤).

ولا بأس هنا بذكر بعض من المنتسبين إلى الحزب من المتقدّمين:

١ ـ **من العراق:** السيّد محمّد باقر الصدر، السيّد محمّد مهدي الحكيم، السيّد محمّد باقر الحكيم، الشيخ عارف البصري، محمّد صالح الأديب، عبد الصاحب دخيل، السيّد طالب الرفاعي، المحامي السيّد حسن شبّر، الشيخ مهدي السماوي، السيّد محمّد بحر العلوم، السيّد عدنان البكّاء، محمّد حسين الأديب، السيّد إبراهيم المراياتي، الدكتور داوود العطّار، الشيخ سهيل نجم، كاظم يوسف التميمي، هاشم ناصر محمود، الشيخ عبد المجيد الصيمري.

٢ ـ **من إيران:** السيّد مرتضى العسكري، السيّد فخر الدين العسكري، السيّد علي العلوي، السيّد محمّد كاظم البجنوردي، الشيخ محمّد مهدي الآصفي، السيّد كاظم الحائري.

٣ ـ **من لبنان:** محمّد هادي السبيتي، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين، السيّد محمّد حسين فضل الله، الشيخ علي كوراني، السيّد عبّاس الموسوي، الشيخ صبحي الطفيلي.

هذا إضافةً إلى الشيخ عبد الهادي الفضلي من الحجاز، والسيّد عارف الحسيني والسيّد علي

---

(١) مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري ( ) ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٣، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري ؛ مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري( ) ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر ( ).

(٢) مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري ( ) ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٣، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.

(٣) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري ( ).

(٤) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق ( )

النقوي من باكستان[١].

رسالة حول شكل الحكومة الإسلاميّة

ألّف السيّد الصدر‏ في هذه الفترة رسالة برهن فيها على جواز بل وجوب قيام الحكومة الإسلاميّة زمن الغيبة، وذلك من خلال آية الشورى، وكان يرى أنّ الهدف من وراء تشكيل الحزب هو قيام الحكومة الإسلاميّة[٢]، وقيل إنّ ذلك كان بالضبط سنة ١٩٥٩م[٣]، أي ربّما سنة ١٣٧٨هـ.

قيل: إنّه لم يتمّ لدى السيّد الصدر‏ دليلٌ واضح على صيغة الحكم الإسلامي بشكلٍ خاص، وقد ناقش في الرسالة الأدلّة التي يذكرها الفقهاء على الصيغة الخاصّة للحكم الإسلامي، سواء روايات ولاية الفقيه المطلقة أم دليل الحسبة وحفظ النظام الذي كان يراه دليلاً قاصراً عن الوفاء بجميع متطلّبات الدولة والحكم الإسلامي في العصر الحاضر.

وقد عرض السيّد محمّد باقر الحكيم‏ هذه الرسالة على الشيخ حسين الحلي‏ تلميذ الميرزا النائيني‏ فأعجب بها، وإن لم يكن يتّفق مع السيّد الصدر‏ حول نتائجها، حيث أبدى إشكالاته على الاستدلال بآية الشورى[٤].

وكان مقرّراً أن يكتب السيّد الصدر‏ بحثاً حول (شكل الحكم في الدولة الإسلاميّة)، وكان يناقش القيادة في ذلك أثناء اجتماعاتها، وقد بدأ فعلاً بالكتابة، إلاّ أنّه لم يكمله لأسباب مجهولة[٥].

ولكنّ مصادر أخرى نفت أن يكون السيّد الصدر‏ قد كتب شيئاً من هذا القبيل[٦].

نشرات أوّليّة للسيّد الصدر‏

اضطلع السيّد الصدر‏ بما لديه من مؤهّلات علميّة عالية واطّلاع واسع على ثقافات عصره

---

(١) سنوات الجمر: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٣ ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم‏ ().

(٣) مقابلة مع السيّد محمّد باقر الحكيم‏ بتاريخ ١٩٨١/١/١٤م ().

من الطبيعي بحسب طبيعة الأشياء ومنطق الأمور أن يكون زمن كتابة الرسالة المذكورة متقدّماً على تاريخ تأسيس الحزب، لأنّ الفقيه السيّد الصدر‏ لن يقدم على عمل من هذا القبيل دون أن يكون فارغاً عن مشروعيّته الفقهيّة مسبقاً. وكنتُ قد بنيت على ذلك للسبب المتقدّم فحسب، إلى أن وجدتُ أنّ الأستاذ علي المؤمن ينقل عن أحد المؤسّسين في حوار خاصٍ له معه أنّ أوّل قضيّة طرحت على طاولة البحث **(قبل)** التأسيس كانت مشروعيّة قيام الحكومة الإسلاميّة في عصر الغيبة، فكتب آية الله الصدر دراسة فقهيّة برهن فيها على شرعيّة قيام الحكومة الإسلاميّة في عصر الغيبة، وكانت هذه الدراسة أوّل نشرة حزبيّة تتبنّاها (الدعوة) (سنوات الجمر: ٣٦ ـ ٣٧). وهذا ما أكّد لي عدم صحّة محاولة تكريس أنّ هذه الحركة لم تكن مبنيّة على أساس فقهي (انظر: مقدّمة الحقّ المبين في معرفة المعصومين‏: ٢٨ ـ ٣٠ ؛ مقابلة مع الشيخ علي كوراني،).

(٤) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٢٩ ؛ الإمام محمّد باقر الصدر... معايشة من قريب: ٥٣ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٥.

(٥) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٧.

(٦) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (). يُشار إلى أنّ تاريخ الرسالة متقدّم على تاريخ التحاق الشيخ كوراني بالحزب، فلا موضوعيّة لنفيه.

بمهمّة الإشراف الفكري والشرعي والتنظير الفكري والثقافي[(١)].

وقد كتب النشرتين الأولى والثانية للحزب كلٌّ من السيّد الصدر‏ﷺ والسيّد مرتضى العسكري، وقد تمّ طبعهما على آلة طباعة كانت في حانوت الشهيد عبد الصاحب دخيل والسيّد علي العلوي[(٢)]، ولعلّها آلة الرنيو التي أوصى الشيخ أحمد الوائلي‏ﷺ أحد الأشخاص في بغداد من أجل تسليمها إلى السيّد عدنان البكّاء والشيخ عبد الهادي الفضلي[(٣)].

وطبقاً لمصادر حزب الدعوة، فقد كتب السيّد الصدر‏ﷺ أربع مقالات في جريدة الحزب الرسمية (صوت الدعوة) يوضح فيها الاسم وتركيبة الحزب والهدف وطبيعة الظرف الراهن في النضال السياسي وكانت تستهدف بناء الخلايا التنظيميّة للحزب[(٤)].

١ ـ وكان من بين أوائل النشرات التي كتبها نشرة بعنوان (**دعوتنا إلى الإسلام يجب أن تكون انقلابيّة**)[(٥)] التي نشرت سنة ١٣٨٠هـ[(٦)]، إلاّ أنّه كان مشاركاً في كتابتها[(٧)] ولم يتفرّد بذلك، وفقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

دعوتنا إلى الإسلام يجب أن تكون انقلابيّة

أيّها الدعاة المؤمنون المجاهدون في سبيل الإسلام لإعادة سيادته السياسيّة ووجوده الدولي!

في هذه الفترة من تاريخ الأمّة الإسلاميّة انبثقت من هنا وهناك دعوات إسلاميّة كثيرة تستهدف بناء كيان الأمّة واستئناف وجودها الإسلامي، ويمكننا أن نقسّم هذه الدعوات إلى قسمين: دعوات إصلاحيّة ودعوات انقلابيّة:

فالدعوات الإصلاحيّة هي التي تستهدف إصلاح جانب معيّن من جوانب الواقع متغاضيةً في حقل نشاطها العملي عن سائر جوانبه الأخرى وعن ركائز الأساسيّة التي يبتني عليها هذا الواقع بصورة عامّة.

أمّا الدعوة الانقلابيّة التي تدرك الوضع الذي تعيش فيه أمّتها ولا تدين بهذا الواقع لأنّه يناقض مبدأها جملةً وتفصيلاً فتعمل على تغييره، وذلك بحمل رسالة فكريّة تبشّر بها لإنشاء الحياة على قواعد تلك الرسالة وركائزها المحدّدة حياة جديدة يعيش فيها الفرد وينتظم المجتمع وتعمل فيها الدولة.

كيف تكون الدعوة إلى الإسلام

يواجهنا قبل كلّ شيء السؤال عن الطابع الذي يجب أن تتّخذه الدعوة الإسلاميّة وهل هو الطابع الإصلاحي؟ أو الطابع الانقلابي؟ ومن الضروري أن نحدّد الجواب في ضوء الظروف التي يعيشها الإسلام ومدى وجوده في واقع الأمّة الإسلاميّة. فالإسلام إذا كان هو القاعدة الرئيسيّة التي يبتني عليها نظام

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٣، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم‏ﷺ في مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٠م.

(٢) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (ﷺ) ؛ والمعلومة مثبتة في كتاب (حزب الدعوة الإسلاميّة)، ولم يمكنني لاحقاً تحديد رقم الصفحة، ولكن انظر مثلاً الكتاب نفسه: ١٧٩.

(٣) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٢٠، مقابلة مع الشيخ الفضلي.

(٤) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١١، هامش (٢٠).

(٥) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٣، نقلاً عن الحاج الأديب والسيّد حسن شبّر في حوار لهما بتاريخ ١٩٩٤/٩/٧م.

(٦) ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ٢٤٤ ؛ صحيفة الجهاد، السنة الرابعة، العدد (١١٦): ١١.

(٧) ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ٢٤٤.

الحياة، فإنّ على الدعوة الإسلاميّة أن تتّخذ الطابع الإصلاحي، وقد كان الإسلام حتّى الظرف الذي انتهى بنهاية الحرب العالميّة الأولى هو القاعدة الرئيسيّة التي يبتني عليها كيان الأمّة كلّها، وكانت العقيدة الإسلاميّة هي القاعدة الفكريّة للأمّة والقاعدة الدستوريّة، والقاعدة للدولة والأساس العام لمختلف ألوان الأنشطة الفرديّة والجماعيّة والسياسيّة. غير أنّ اعتبار الإسلام هو القاعدة من قبل الأمّة بما فيها السلطة لم يكن يعني عدم وجود الانحراف وعدم وقوع المخالفة والتحريف والاحتيال عليها، فقد كان يختلف مدى الثبات على هذه القاعدة باختلاف مدى وعي الأمّة للإسلام ومدى إخلاص الحكّام، ومن الواضح أنّ ظرفاً للإسلام كهذا كان يتطلّب بسبب ظهور الضعف والخلل الكبير في كيان الأمّة والدولة قيام دعوات ذات طابع إصلاحي لا انقلابي كما قامت بالفعل عدّة دعوات إصلاحيّة استهدفت الحفاظ على القاعدة الإسلاميّة للدولة أو إصلاح الجوانب التي لا تنسجم مع هذه القاعدة.

تحدّيات الواقع

وأمّا حيث يفقد الإسلام مركزه من القاعدة الأساسيّة ويستبدل بغيره من القواعد المعادية أو اللاقاعدة، فإنّ الدعوة الإسلاميّة في هذه الحالة يجب أن تكون انقلابيّة، وهذا هو الواقع الذي تعيشه الأمّة منذ نهاية الحرب الأولى، إذ قوّض المستعمرون الدولة الإسلاميّة ودخلوا بلاد المسلمين وتقاسموهم فيما بينهم. وما إن تمّت عمليّة الاستعباد هذه للعالم الإسلامي حتماً، تمّ بذلك انقلاب كلّي في حياة الأمّة فأقصيت العقيدة الإسلاميّة من موقفها من القاعدة الرئيسيّة لكيان الأمّة ووضعت الأمّة في أطر فكريّة وسياسيّة غريبة عن عقيدتها من الديمقراطيّة الرأسماليّة في كثيرٍ من المناطق الإسلاميّة ومن الاشتراكيّة في البلاد التي تخضع لحكم روسية.

إنّ الواقع الذي لا شكّ فيه هو أنّ استبدال أنظمة الحكم والمجتمع بأنظمة أخرى لا يعني مجرّد تغيير قانون بقانون ولا يعبّر عن حادث طارئ في كيان الأمّة، بل هو يعبّر عن استبدال جميع الأفكار والمفاهيم الإسلاميّة عن الحياة والكون التي ترتكز الأنظمة السابقة للحكم والمجتمع عليها بالأفكار والمفاهيم التي تقوم عليها الأنظمة الجديدة. وعلى هذا فقد كان الثمن الذي دفعته الأمّة للمستعمرين غالياً وغالياً جدّاً. فقد كلّفها ذلك التنازل عن رسالتها في الحياة وسرّ أصالتها في المجال الفكري والدولي معاً، وكلّفها التبعيّة والخضوع لأعدائها الظالمين، وكتب عليها أن تستجدي أفكارها ومفاهيمها من أبناء أعدائها الصليبيّين القدامى.

إنّ قضيّة الإسلام في مثل هذه الظروف ليست قضيّة إصلاح بل قضيّة انقلاب، والدعوات الإصلاحيّة التي قامت بإنشاء المدارس الدينيّة تارة وإصدار الكتب والمجلاّت الإسلاميّة تارةً أخرى، وتأسيس لجان للوعظ والإرشاد مرّة ثالثة ونحو ذلك من ألوان الخدمة، إنّ هذه الدعوات وإن قدّمت للإسلام خدمات جلّى تذكر فتشكر، ولكنّها لا تعدو جميعاً أن تكون أعمالاً جانبيّة وليست من صميم المعترك، فإنّ المعركة الرئيسيّة التي يخوضها الإسلام اليوم مع أعدائه إنّما تستهدف قبل كلّ شيء استرداد القاعدة للإسلام وجعل العقيدة الإسلاميّة في موضعها الرئيسي من حياة الأمّة والقضاء على الواقع الفاسد والكيان القائم برمّته، وليست المدارس في مناهجها الدراسيّة ولا الصحف والمجلاّت بأفكارها ومفاهيمها ولا المحطّات ببثّها وبرامجها إلاّ أدوات بيد السلطة الحاكمة ونتائجها تتمخّض عن قواعد المجتمع الذي ينشأ فيه، فلا يمكن أن يضمن تطويرها تطويراً إسلاميّاً إلاّ إذا امتدّت الدعوة إلى الأسباب الرئيسيّة التي تموّن تلك الأحداث بطابعها وسياستها وأهدافها.

ما هي حقيقة الأمر

الأمر ـ أيّها الإخوة ـ ليس أمر شبيبة تفسدها المدارس ولا أمر جماعة تحتاج إلى وعظ وتوجيه ولا

أمر بيئة يجب أن تهذّب وتنظّف من الدعارة والفساد، بل أمر أمّة يجب أن تقام على أساس الإسلام لتسعد في الدنيا والآخرة وتقبض على المفتاح الذي يفتح لها بركات الأرض والسماء ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[١].

ولهذا فإنّ دعوتنا إلى الإسلام دعوة انقلابيّة لإنقاذ الأمّة من واقعها الفاسد ممتثلةً بذلك لأمر الله تعالى. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]»[٣].

٢ ـ كما شارك في كتابة نشرة تحت عنوان **(ما نرتضيه من الدعوة الإصلاحيّة وما نرفضه منها)** التي صدرت سنة ١٣٨٠هـ[٤]، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ما نرتضيه من الدعوة الإصلاحيّة وما نرفضه منها:

إنّ من القضايا التي يجب على الدعوة أن تعطي فيها فكراً واضحاً محدّداً قضيّة الدعوة الإصلاحيّة إلى الإسلام، فإنّ كثيراً من الجهود التي تبذل في سبيل القضيّة الإسلاميّة تتّسم بطابع الدعوة الإصلاحيّة، فكثيراً ما تجدّد[٥] حملات لمقاومة الانحلال الخلقي والخلاعة والسفور، وتثار ضجّة حول تعاطي المسكرات والمخدّرات، وتقوم جماعة بتنظيم نفسها للحفاظ على مظاهر شهر الصيام بالترغيب والترهيب، أو لجمع الزكوات واستثارة العواطف الإسلاميّة في الأغنياء، وتوزيع تلك الأموال على الفقراء والمعوزين، وبهذه الألوان من العمل اشتغل فيها كثيرٌ من غيارى المسلمين معتقدين وجوبها ووفاءها بمهمّة الدعوة الإسلاميّة، بينما شجبها آخرون مؤكّدين خطأ هذه الأعمال كليّاً وداعين إلى العمل السياسي الذي يوجد المجتمع الإسلامي إيجاداً صحيحاً كاملاً.

وقد يكون كلٌّ من الفريقين لم يدرك الحقيقة كاملة ولم يستوعب المفهوم الإسلامي كاملاً عن تلك الأعمال والدعوات، فلا بدّ من إيضاح وجهة الخطأ في كلٍّ من الاتّجاهين المتناقضين لتتّضح الحقيقة بشكل كامل، فليست الدعوة الإصلاحيّة بالدرجة التي يعتقدها الإصلاحيّون، كما أنّ شجب الأعمال التي قاموا بها والإعراض عنها ليس صحيحاً كما يعتقده بعض الدعاة الانقلابيّين.

أمّا الوجهة الخطأ في الاتّجاه الأوّل الذي تقوم على أساسه الدعوات الإصلاحيّة فهو أنّ الواقع الاجتماعي للأمّة اليوم واقعٌ فاسدٌ من جذوره، والقيام بدعوة إصلاحيّة اعترافٌ ضمنيٌّ بأنّ الواقع سليم في أسسه وأنّه إنّما يحتاج إلى الإصلاح والتنقيح، مضافاً إلى هذا ما تقوم به الدعوة الإصلاحيّة من إبعاد الأمّة عن معركتها الأساسيّة مع قوى الكفر والضلال وإشغالها بأمور جانبيّة من صراعها العنيف وإسدال الستار على التناقض المرير القائم بين متبنّياتها من مفاهيم وأنظمة وبين ما يفرض عليها من أفكار

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الصف: ١٠ ـ ١٣.

(٣) ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ٢٤١ ـ ٢٤٤ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١١٦): ١١ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٦١ ـ ٢٦٣. والمقطع الأوّل ساقط من المصدر الأخير.

(٤) ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ٢٤٨.

(٥) كذا، ولعلّ الصحيح (تجنّد).

وقوانين، الأمر الذي يؤدّي بالتالي إلى انخفاض وعيها الحقيقي لواقعها الفاسد.

فطبيعة الدعوة الإصلاحيّة إذن لا تتّفق مع طبيعة الإسلام وواقع الأمّة اليوم، لهذا كانت الدعوات الإصلاحيّة ترتكب خطأً بتقديمها دعواتها للأمّة على أنّها قضيّة الإسلام التي لا بدّ للأمّة أن تتبنّاها.

إنّ قضيّة الإسلام اليوم ليست مسألة تجميع الزكوات من بعض المحسنين، أو جماعة تؤدّب المتجاهرين بالإفطار او تحثّ على الحجاب أو تطالب بزيادة أجور العمّال، إنّما هي قضيّة التغيير الكلّي والانقلاب الشامل، فكلّ محاولة لتغطية الحقيقة وإبراز حاجة الأمّة بشكل غير شكله الحقيقي تكون تضليلاً للأمّة وإبعاداً لها عن جهادها الحقيقي مع قوى الكفر والتسلّط، ولكنّ هذا لا يعني بحال من الأحوال أن تكون الأعمال التي تقوم بها الدعوات الإصلاحيّة خطأً ولا يعني جواز إهمال تلك الأعمال واعتبارها لغواً، وهنا يكمن الخطأ الذي وقع فيه الاتّجاه الثاني الذي أخذ به بعض الانقلابيّين فشجب نشاطات الدعوات الإصلاحيّة واعتبرها معيقة عن العمل الأساسي للإسلام.

إنّ الدعوة إلى السلوك الخلقي النظيف وتطهير المجتمع من مفاسد الانحلال ليست دعوة خاطئة، وإنّما الخطأ القيام بذلك على شكل دعوة اصلاحيّة للواقع القائم وإعطاء كلمة الإسلام في الانحلال الخلقي على أنّها قضيّة الإسلام وهدف الإسلام، لأنّ الهدف الحقيقي للإسلام هو قلب الواقع لا ترميمه، فحين يدعى إلى القضاء على الرذيلة والشذوذ لا بدّ أن يدعى إليه على أنّه جزءٌ من عمليّة التغيير والانقلاب على الأمّة، وحين تكون الدعوة إليه قائمةً على هذا الاعتبار تصبح دعوة إلى جانب من جوانب الانقلاب الأساسي الشامل، وهي وإن لم تختلف في المظهر عن الدعوة الإصلاحيّة إلاّ أنّها تختلف عنها في الوعي وفي الفكرة التي تحملها، وكذلك الأمر في الدعوة إلى إحباط المعاهدات والاتّفاقيّات والأحلاف الاستعماريّة، وكلّ الأعمال الإصلاحيّة.

وعلى هذا فليس من طبيعة الدعوة الانقلابيّة أن تمتنع عن القيام بمثل تلك الدعوات وإنّما من طبيعتها أن تنظر إلى كلّ شيء تدعو إليه نظرة انقلابيّة بصفته جزءاً من كل، وهي لذلك تؤكّد وتشرح للأمّة دائماً عدم رضاها عن الواقع بكامله وتوضح أنّ دعوتها لمحاربة تعاطي المسكرات والمخدّرات في مدينة أو بلدة أو محلّة ليست لأنّ الواقع يتطلّب إصلاحاً في هذا الجانب وحسب بل باعتبار أنّ جزءاً من المخطّط الإسلامي الانقلابي قد تهيّأ له من الأسباب والأجواء ما لم يتهيّأ لمحاربة الربا والقمار والرشوة مثلاً، وليس من الصحيح شرعاً أن يقال إنّ الدعوة الانقلابيّة لا ترضى بتبذير جهودها في هذه الأمور البسيطة، فإنّ الانقلاب الشامل لا يمكن أن يحصل دفعة واحدة في كيان الأمّة، وحتّى إذا أصبح الحكم إسلاميّاً فإنّ هذا لا يعني في بعض الحالات الانقلاب الشامل، وإنّما هو الجزء الذي يختصّ بالحياة السياسيّة من الانقلاب.

الانقلاب إذن شيءٌ يسار فيه بالتدريج وتكون كلّ مرحلة فيه وكلّ خطوة فيه ممهّدة للخطوة الأخرى، وكلّما تهيّأت الظروف والشروط للدعوة إلى تطبيق حكم شرعي واحد من أحكام الإسلام فلا يجوز إهمال الدعوة إليه، وما دام الوعي الذي ترتكز عليه الدعوة في محاربة المنكر وإقامة المعروف وعياً انقلابيّاً كما أكّدنا عليه فسوف يكون نجاح الدعوة في كلّ جزء كسباً للانقلاب ذاته وتقريباً للأمّة نحو الحياة الإسلاميّة الكاملة.

وخلاصة الموضوع: أنّ خطأ الدعوات الإصلاحيّة يكمن في وعيها لا في عملها الإصلاحي، ونحن مع إيماننا بالدعوة الانقلابيّة الجذريّة لا نرى جواز إهمال المجال الإصلاحي وإنّما نرى أن يفهم بروحه الانقلابيّة وباعتبار أنّه جزء من كلّ ممّا يريده الإسلام.

وفي هذا المجال علينا أن لا ننسى أنّ من الضروري للدعوة الانقلابيّة أن تقارن بين الأعمال الإصلاحيّة والجذريّة وتعمل على تجنيد القوى والطاقات لما هو أكثر أهميّة وتأثيراً في عمليّة الانقلاب الشاملة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(١)]»[(٢)].

٣ ـ وهناك مقالٌ تحت عنوان (**حول الاسم والشكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلاميّة**) اشتهر كونه للسيّد الصدر‌، وقد يبدو أنّه ليس له[(٣)].

٤، ٥ ـ ونسبت إليه مجلّة (الموسم) مقالين: أحدهما بعنوان (**الشخصيّة الإسلاميّة**)، والآخر بعنوان (**الأعمال والأهداف**)، وكلاهما للشيخ عارف البصري‌ وليسا له[(٤)].

السيّد الصدر‌ يضع (الأسس الإسلاميّة)

بعد فترة من دراسته نظامَ الحزب انتهى السيّد الصدر‌ إلى وضع (أسس الحكومة الإسلاميّة) التي كتبها بقلمه، وهي تبلغ (٣٣) أساساً، نشر منها على نطاق واسع (٩)، وعلى نطاق ضيّق (١٣)، وقد حرّرها السيّد الصدر‌ سنة ١٩٥٨م وصدرت سنة ١٣٨١هـ[(٥)].

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ٢٤٥ ـ ٢٤٨.

(٣) انظر: ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ١٣ ـ ١٥ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١١٦): ١١ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٦٥ ـ ٢٦٧. ونحن نورده بإذن الله ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ لدى الحديث عن (تسمية حزب الدعوة)، وقد ذكرنا هناك أنّه قد ورد في المصدرين الأخيرين أنّ هذا المقال للسيّد الصدر‌، بينما جاء في المصدر الأوّل ـ وهو مصدر ما تلاه ـ أنّ هذه النشرة صدرت بتاريخ/١٣٩٤هـ فإن كان تاريخ الصدور متّصلاً بتاريخ الكتابة فأغلب الظن أنّه ليس للسيّد الصدر‌.

(٤) انظر: مجلّة الموسم، العددان (٢٣ ـ ٢٤)، ١٩٩٥م: ٤٧٤ ـ ٤٨٣. وانظر المقال الأوّل في: ثقافة الدعوة الإسلاميّة (منشورات الدعوة الإسلاميّة) ٤: ٥٢ ـ ٥٥، نقلاً عن: صوت الدعوة، العدد (٣)، ربيع الثاني/١٣٨٣هـ منسوباً إلى الشيخ عارف البصري ؛ وانظر المقال الثاني في: ثقافة الدعوة الإسلاميّة (القسم التنظيمي) ٢: ٨٩ ـ ٩٥، جمادى الأولى/١٣٨٥هـ، منسوباً إلى الشيخ عارف البصري.

(٥) هنا أمران:

الأوّل: حول تاريخ كتابة (الأسس):

لقد جاء في [ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ١٥٢ ؛ صحيفة (الجهاد)، السنة الرابعة، العدد (٧٨): ١١ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٣٦] أنّ (الأسس) صدرت سنة ١٣٨١هـ. كما ينقل الدكتور شبلي الملاّط عن السيّد مهدي الحكيم‌ بأنّ (الأسس) وزّعت على أصحاب الصدر وتلامذته أوائل الستّينات (تجديد الفقه الإسلامي: المقدّمة:١٥ ؛ الهوامش: ٢٧٢، الهامش٢٠). والمحتمل عندي أنّ تاريخ صدورها ليس متّصلاً بتاريخ تأليفها، لأنّ طبيعة سير الأشياء تجعلنا نميل إلى أنّ وضع (الأسس) كان بُعيد تشكيل التنظيم والإعلان الرسمي عنه، كما في مقابلة السيّد الصدر‌ للسيّد الخوئي‌ حيث أطلعه على تشكيل الحزب وسلّمه نسخة من (الأسس).

وبعد هذا الحديث بأشهر عثرنا على الأسس (١٠ ـ ١٣) في الجزء الرابع من (ثقافة الدعوة)، وقد ذيّلت بأنّها حرّرت سنة ١٩٥٨م (ثقافة الدعوة الإسلاميّة ٤: ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥١)، وهذا جعلني أطمئنُّ إلى ما كنتُ قد بنيتُ عليه. والمتحصّل إذن أنّ (الأسس) حرّرت سنة ١٩٥٨م وصدرت سنة ١٣٨١هـ.

الثاني: حول عدد (الأسس):

المتداول هو أنّ هذه الأسس تبلغ (١٣) أساساً نشر منها تسعة، في حين ينقل الدكتور شبلي الملاّط عن الأستاذ محمّد عبد الجبّار (تجديد الفقه الإسلامي.. محمّد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم، شبلي الملاّط، مقدّمة الطبعة العربيّة : ١٦، ٣٠) أنّها (٣٣) أساساً.

وكنتُ أحتمل أنّ ها هنا خطأً مطبعيّاً حصل بين (١٣) و(٣٣)، إلاّ أنّ ورود ذلك مرّتين في كتاب الدكتور الملاّط (ص١٦، ٣٠) جعلني أستبعد ذلك.

لقد قام السيّد الصدر رحمه الله نفسه بتدريسها للمجموعة المؤسّسة التي كانت تحضر عنده، وقد كتب لها شرحاً لم يعرف مصيره[١]، كما جرى عليها بعض التعديل في تغيير بعض الأسس بناء على اقتراح السيّد مرتضى العسكري[٢]، وقد ذكر السيّد العسكري أنّ السيّد الصدر رحمه الله كتب نصفها وكتب هو نصفها الآخر[٣].

والأمر الذي أدّى إلى بقاء هذه الأسس طيّ الكتمان وعدم انتشارها على نطاق واسع هو أنّ حزب الدعوة الإسلاميّة يومذاك كان لا يزال في مرحلته السريّة، وكان كلّ ما يمتّ إليه بصلة سريّاً كذلك[٤]، ولأنّ السيّد الصدر رحمه الله عدل من ناحية أخرى عن الفكرة الأساسيّة التي تقوم عليها هذه الأسس[٥].

ولكنّ وضع هذه الأسس كان مسبوقاً بنقاشات مطوّلة على ما يبدو، فقد كان الدعوتيّون يجتمعون لمناقشة لوائح الدستور في سرداب مدرسة القوام. وقد أشاع الشيوعيّون أنّ انقلاباً ضدّ قاسم يُحاك من هذه المدرسة[٦].

وكان السيّد الصدر رحمه الله أثناء التحضير لهذه الأسس يناقش في ولاية الفقيه تأثّراً بأستاذه السيّد الخوئي رحمه الله.

ووصل إليهم كتابٌ ترجم حديثاً إلى اللغة العربيّة للسيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله ـ صاحب تفسير (الميزان) ـ طرح فيه نظريّة شورى الحكم التي أعجب بها السيّد الصدر رحمه الله، إلاّ أنّه سرعان ما

وقد ارتفع عندي هذا الشكّ بعدما لاحظتُ ما ذكره الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي حيث قال: «عدد المنشور من الأسس الإسلاميّة تسعة.. ومتى أضيف إليها المخطوط من الأسس يرتفع العدد إلى أكثر من ثلاثين، فإنّي أتذكّر أنّنا درسنا لديه أكثر من هذه التسعة». (هكذا عرفتهم، الشيخ عبد الهادي الفضلي ٢: ٢٢٠ ؛ الأسس الإسلاميّة للدستور الإسلامي، مجلّة المنهاج، العدد (١٧): ٣٣١ ـ ٣٣٢).

وعلى أيّة حال فإنّنا نضيف إلى الأسس التسعة المنشورة والمتداولة أربعة أسس أخرى لتبلغ (١٣).

أمّا السرّ في انتشار (٩) من هذه (الأسس) لا (١٣)، فيتّضح إذا راجعنا موارد نشرها بحسب التسلسل التاريخي العكسي: ونحن نجد أنّ الشيخ عبد الهادي الفضلي نشرها اعتماداً على السيّد محمّد الحسيني وعلى الدكتور شبلي الملاّط، وقد اعتمد الأخيران على ما يبدو على (ثقافة الدعوة الإسلاميّة) التي صدر الجزء الأوّل منها سنة ١٤٠١هـ متضمّناً تسعة أسس، ثمّ صدر جزؤها الرابع سنة ١٤٠٩هـ مشتملاً على الأسس الأربعة الباقية (انظر مثلاً ما يوحي بذلك في: تجديد الفقه الإسلامي.. محمّد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم: ٣٠). أمّا بالنسبة إلى السيّد الحسيني فأغلب الظنّ أنّ الفرصة لم تتح له الاطّلاع على الجزء الرابع من (ثقافة الدعوة الإسلاميّة) بعد أن صدر كتابه سنة ١٩٨٩م = ١٤١٠هـ ولهذا لم ينشر سوى ما نشر في الجزء الأوّل منها، أي تسعة أسس فحسب.

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٥، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (رحمه الله).

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٢٣، تعليقة السيّد مرتضى العسكري على الكتاب الأوّل للسيّد محمّد الحسيني.

(٣) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله).

(٤) الأسس الإسلاميّة للدستور الإسلامي: ٣٣٦.

(٥) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٧٨.

(٦) صحيفة (لواء الصدر)، ١٩/رجب/١٤٠٥هـ.

تخلّى عنها إثر المناقشات التي دارت حولها وبعد أن تمّ عرضها على مجموعة من الفضلاء والمجتهدين[١]، إلاّ أنّ هذا الأمر كان متأخّراً زماناً عن التحضير للأسس، لأنّ الترجمة المذكورة تمّت سنة ١٣٨٤هـ[٢].

وتمّ طرح حكومة الفقيه التي كان يطرحها السيّد الخمينيّ في قم قبل انتقاله إلى النجف الأشرف، وقد انتهوا إلى تبنّي الفكرة لكن في خطّين: فمنهم من قال بحكومة الفقيه مطلقاً، ومنهم من قال بحكومة الفقيه الأعلم لأنّه القدر المتيقّن[٣].

وليس واضحاً إلى اليوم حقيقة موقف السيّد الصدر بشكل لا لبس فيه[٤]، إلاّ أنّ المعروف أنّه وضع أسس الحكومة الإسلاميّة آنذاك مستنداً إلى آية الشورى، وكان يرى في هذه (الأسس) نظام الشورى الذي عدل عنه فيما بعد إلى القول بولاية الفقيه[٥]، وإن كان ملفتاً للنظر النصّ المنسوب إليه ـ إن صحّ أنّه حرّره في هذه الفترة ـ والذي يقول فيه: «**إنّ الصفة الشرعيّة الإلزاميّة للانضباط في الدعوة تنبع: أوّلاً:.. ثانياً:... ثالثاً: من إعمال الفقيه لولايته الشرعيّة في وجوب إطاعة التنظيم..**»[٦]، وربّما لهذا السبب ذكر السيّد عبد العزيز الحكيم أنّ السيّد الصدر إنّما أسّس حزب الدعوة بناءً على ولاية الفقيه التي كان يراها، وكان خروجه من الحزب إثر شكٍّ عرض له حول ولاية الفقيه هذه[٧]، كما أكّد الشيخ حسين كوراني أنّه كان يقول بالولاية منذ تأسيس الحزب[٨]، وهذا الرأيان خلاف المعروف.

وكانت (الأسس) أوّل مجموعة أصول للدستور الإسلامي إذ لم يعهد قبلها أن وضعت أصول للدستور الإسلامي[٩]. وقد تمّ استنساخها على ورق (كربون) وتوزيعها على أعضاء القيادة لقراءتها وإبداء الملاحظات عليها، وكان ذلك بناءً على طلب السيّد الصدر الذي كان على اعتقاد بأنّ أسس الحكومة الإسلاميّة يجب أن تعرض على مجتهدين آخرين قبل تبنّيها[١٠].

أمّا متن (الأسس)، فما يلي:

«الأسس الإسلامية

---

(١) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٠٥.

(٢) نظريّة السياسة والحكم في الإسلام، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، ترجمة الشيخ محمّد مهدي الآصفي، ٢٦/شوّال/ ١٣٨٤هـ.

(٣) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٠٦، نقلاً عن ندوة للشيخ عبد الهادي الفضلي. ومتعلّق الإطلاق هنا هو الفقيه لا ولايته، بمعنى: هل مطلق الفقيه له حقّ الحكومة أم خصوص الأعلم؟! وهناك بحثٌ آخر يكون الإطلاق فيه متعلّقاً بالولاية بمعنى: هل الفقيه ـ بغض النظر عن كونه الأعلم أو غيره ـ له ولاية مطلقة أم لا؟!

(٤) منّا.

(٥) انظر: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٣٥.

(٦) انظر أحداث سنة ١٣٨٠هـ عنوان (تسمية الحزب).

(٧) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (رحمه الله).

(٨) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٩) الأسس الإسلاميّة للدستور الإسلامي: ٣٢٨.

(١٠) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٤ ـ ٩٥.

الأساس رقم (١)

الإسلام

الإسلام في اللغة هو الاستسلام والانصياع، وبهذا المعنى كان صفةً للدين الإلهي بشكل عام في قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1] وآيات أخرى.

أمّا المعنى الاصطلاحي للإسلام فهو (العقيدة والشريعة اللتان جاء بهما من عند الله تعالى الرسولُ الأعظمُ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله)، وهذا المعنى هو المقصود من الإسلام في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2].

ونقصد بالعقيدة (مجموعة المفاهيم التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله التي تعرّفنا خالق العالم وخلقه وماضي الحياة ومستقبلها ودور الإنسان فيها ومسؤوليّته أمام الله)، وقد سمّيت هذه المفاهيم عقيدة لأنّها معلومات جازمة يعقد عليها القلب.

ونقصد بالشريعة (مجموعة القوانين والأنظمة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله التي تعالج الحياة البشريّة كافّة، الفكريّة منها والروحيّة والاجتماعيّة بمختلف ألوانها من اقتصاديّة وسياسيّة وغيرها).

فالإسلام إذاً مبدأٌ كاملٌ لأنّه يتكوّن من عقيدة كاملة في الكون ينبثق عنها نظامٌ اجتماعيٌّ شاملٌ لأوجه الحياة ويفي بأمسّ وأهمّ حاجتين للبشريّة، وهما القاعدة الفكريّة والنظام الاجتماعي.

الأساس رقم (٢)

المسلم

المسلم على قسمين:

مسلمٌ واقعي: وهو من استسلم عن إيمان ويقين بالله واليوم الآخر ورسالة النبي صلى الله عليه وآله ويعبّر عنه في القرآن الكريم كثيراً بـ(المؤمن) وعن مقابله بـ(الكافر).

ومسلمٌ ظاهري: وهو كلُّ من شهد الشهادتين ولم يظهر منه إنكارٌ لضروريٍّ من ضروريّات الدين. ويعتبر كلُّ من أعلن الشهادتين في عرف الدولة مسلماً مساوياً في الحقوق والواجبات لسائر المسلمين.

والدليل الشرعي على ذلك:

أوّلاً: سيرة النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين مع من كان يسلم تحت ضغط التهديد بالقتل، فإنّه كان يُقبل إسلامه بمجرّد إعلانه الشهادتين.

ثانياً: سيرة النبي صلى الله عليه وآله مع أشخاص علم نفاقهم بشهادة القرآن الكريم.

ثالثاً: نصوص السنّة المصرّحة بأنّ أحكام الإسلام تدور مدار إعلان الشهادتين.

وعلى ذلك فالدولة الإسلاميّة تساوي في الحقوق والواجبات بين جميع المشتركين في إعلان الشهادتين في أحكام الإسلام العامّة: الطهارة، جواز التزويج، دخول المساجد ونحو ذلك، وإن كان لا يجوز لها أن تسند إلى من تخشى نفاقه ورياءه شيئاً من الوظائف والمهام التي يشكّل إسنادها خطراً على الإسلام، كما يجوز لها أن تضعه في رقابة وتحدّد تصرّفاته طبقاً لمقتضيات المصلحة الإسلاميّة العليا.

كما ينبغي أن يُعلم أنّ المرتدّ عن الإسلام سواء كان مليّاً أو فطريّاً إذا تاب وأناب فإنّ الدولة تقبل

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) المائدة: ٣.

إسلامه واقعاً وظاهراً، وتعامله كبقيّة المسلمين وذلك استناداً إلى رأي فقهيٍّ تتبناه الدعوة[١].

الأساس رقم (٣)

الوطن الإسلامي

الوطن الإسلامي هو (ما يسكنه المسلمون من أقطار العالم).

يجب أن نميّز بين استحقاق الدولة الإسلاميّة للأرض وبين صفة الوطن الإسلامي التي صحّ أن نصف بها الأرض.

إنّ استحقاق الدولة الإسلاميّة للأراضي نوعان:

النوع الأوّل: الاستحقاق السياسي. وهو ما تستحقّه الدولة الإسلاميّة من الأرض باعتبارها الإدارة السياسيّة العليا للإسلام أي باعتبارها المسؤولة عن الكيان السياسي للمبدأ الإسلامي والموظّفة الشرعيّة على تطبيقه ونشره وحمايته.

ودائرة هذا الاستحقاق ليست محدودة بحدود، لأنّ الكيان السياسي للدولة الإسلاميّة قائمٌ على مبدأ فكري عام لا تختلف في حسابه الأراضي والبلاد. ولذلك كان الإسلام المتمثّل في الدولة الإسلاميّة صاحب الحق الشرعي في الأرض كلّها ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٢] فيحقُّ للدولة الإسلاميّة إخضاع جميع أراضي العالم لها سياسيّاً. غير أنّ طريقة استعمال هذا الحقّ وشكل تنفيذه يختلف باختلاف طبيعة الأشخاص المستوطنين للأرض من حيث كونهم مسلمين أو ذميّين أو كفّاراً غير ذميّين إلخ... وتشرح ذلك الأحكامُ الشرعيّةُ المتعلّقة بسياسة الدولة الخارجيّة.

النوع الثاني: استحقاق مالكي. وهو ما تستحقّه الحكومة الإسلاميّة من الأرض باعتبارها الممثّل الأعلى للأمّة الإسلاميّة والوكيل الشرعي عنها في حقوقها وأملاكها. ودائرة هذا الاستحقاق هي الأرض الخراجيّة، فإنّها أملاك عامّة للأمّة المسلمة وتقوم بولايتها أو وكالتها عنها بتولّي شؤونها طبقاً لمصالح الأمّة. وتشرح ذلك الأحكامُ الشرعيّةُ المتعلّقةُ بأملاك الأمّة العامّة.

ومن الواضح أنّ صفة الوطن الإسلامي تختلف في طبيعتها عن صفة الاستحقاق السياسي والمالكي، فإنّ استحقاق الدولة السياسي للأرض هو بسبب تحمّل الحكومة حماية المبدأ ممّا جعل لها الحقَّ في تنفيذ إرادة الإسلام في الأرض طبقاً لتشريعاته. والاستحقاق المالكي سببه أملاك الأمة ممّا جعل لها الحقَّ في تنفيذ إرادة الأمّة طبقاً لمصالحها، وهذا الاستحقاق بنوعيه حكمٌ شرعيٌّ لا بدّ في استنباطه وتحديد دائرته من الأدلّة الشرعيّة.

أمّا تحديد الأرض التي يصحُّ وصفها بالوطن الإسلامي فهو ليس حكماً شرعيّاً، فيكون المرجع فيه العرف السليم الذي يقضي في تعريف الوطن الإسلامي بأنّه (كلُّ ما يسكنه المسلمون من أقطار الأرض) .

---

(١) المرتدُّ الفطري هو المولود على الإسلام من أبوين أحدهما على الأقلّ مسلم، والمعروف أنّ حكمه هو القتل، وتبين منه زوجته وتعتدُّ عدّة الوفاة وتقسم أمواله حال ردّته بين ورثته. والمرتدُّ الملّي هو من أسلم عن كفر ثمّ ارتدّ ورجع إليه، وحكمه أنّه يستتاب، فإن تاب خلال ثلاثة أيّام كان به وإلاّ قتل في اليوم الرابع (تكملة منهاج الصالحين، السيّد الخوئي رحمه الله: ٥٣). ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله يخالف في هذا المورد كما جاء في متن (الأسس) معتبراً زماننا زمن (شبهة) كما يأتي في نقاشه مع السيّد الخوئي رحمه الله، وإن لم يرد شيءٌ من هذا القبيل في تعليقته على (منهاج الصالحين) للسيّد الحكيم رحمه الله، فلعلّه لا يخالف في أصل الحكم، ولكنّه يشكّك في أن يكون زماننا محقّقاً لموضوع ذلك الحكم.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

الأساس رقم (٤)
الدولة الإسلاميّة

الدولة ككلّ على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الدولة القائمة على قاعدة فكريّة مضادّة للإسلام، كالدولة الشيوعيّة والدولة الديمقراطيّة الرأسماليّة، فإنّ القاعدة الفكريّة الرئيسيّة للدولة الشيوعيّة تناقض الإسلام تماماً، وكذلك القاعدة الفكريّة الرئيسيّة للدولة الديمقراطيّة الرأسماليّة، فإنّها وإن لم تمسّ الحياة والكون بصورة محدّدة إلاّ أنّها تناقض نظرة الإسلام إلى المجتمع وتنظيم الحياة، فهي أيضاً قائمة على قاعدة فكريّة مضادّة للإسلام. وهذه الدولة دولة كافرة لأنّها لا تقوم على القاعدة الفكريّة للإسلام، وهي بسبب تبنّيها لقاعدة فكريّة مناقضة للإسلام تعدُّ كلّ إمكاناتها للتبشير بتلك القاعدة ومحاربة كلّ ما يناقضها بما في ذلك الإسلام بعقيدته وأفكاره وتشريعه.

وحكم الإسلام في حقِّ هذه الدولة أنّه يجب على المسلمين أن يقضوا عليها وأن ينقذوا الإسلام من خطرها إذا تمكّنوا من ذلك بمختلف الطرق والأساليب التبشيريّة والجهاديّة، لأنّ الإسلام في هذه الدولة ـ حتّى بصفته عقيدة ـ موضعٌ للهجوم وموضعٌ للخطر، فتكون الحالة معها حالة جهاد لحماية بيضة الإسلام، غير أنّ وجوب جهاد هذا العدو لا يعني بطبيعة الحال القيام بأعمال تعرّض العاملين للخطر دون نتيجة ايجابيّة.

النوع الثاني: الدولة التي لا تملك لنفسها قاعدة فكريّة معيّنة، كما هو شأن الحكومات القائمة على أساس إرادة حاكم وهواه أو المسخّرة لإرادة أُمّة أخرى ومصالحها. وهذه الدولة دولة كافرة وليست دولة إسلاميّة وإن كان الحاكم فيها والمحكومون مسلمين جميعاً، لأنّ الصفة الإسلاميّة للدولة لا تنبع من اعتناق الأشخاص الحاكمين للإسلام وإنّما تنشأ من اعتناق نفس الدولة كجهاز حكم للإسلام، ومعنى اعتناق الدولة للإسلام ارتكازها على القاعدة الإسلاميّة واستمدادها من الإسلام تشريعاتها ونظريّتها للحياة والمجتمع، فكلُّ دولة لا تكون كذلك فهي ليست إسلاميّة. ولمّا كان الكفر هو النقيض الوحيد للإسلام صحّ أن نعتبر كلَّ دولة غير إسلاميّة دولة كافرة وكلَّ حكم غير إسلامي حكماً كافراً، لأنّ الحكم حكمان: حكم الإسلام، وحكم الكفر والجاهليّة، فما لم يكن الحكم إسلاميّاً مرتكزاً على القاعدة الإسلاميّة فهو حكم الكفر والجاهلية وإن كان الحاكم مسلماً متعبّداً بعبادات الإسلام ففي الحديث الشريف أنّ (الحكم حكمان حكم الله [..] وحكم الجاهليةّ، فمن أخطأ حكم الله فقد حكم بحكم الجاهليّة)[1].

والإسلام في هذه الدولة وإن كان لا يجابه منها حرباً مركّزة على عقيدته وأفكاره، إلاّ أنّه حيث أُقصي عن قاعدته الرئيسيّة أصبح يفقد ضمان الدولة بكلّ وجه من الوجوه، وأصبح وجوده في خطر.

والحكمُ الشرعي في حقِّ هذه الدولة أنّها ليست دولة شرعيّة ويجب على المسلمين هدمها وإبدالها بدولة إسلاميّة، وكذلك فإنّ وجوب إبدالها لا يعني القيام بأعمال تعرّض العاملين للخطر دون احتمال نتيجة إيجابيّة، كما أنّ الطرق التي تستعمل في سبيل هدمها وإبدالها تقدّر من حيث درجة العنف والقوّة طبقاً لمدى الخطر الذي يتهدّد الإسلام منها وطبقاً لإمكانات العاملين واحتمال عود جهادهم بنتيجة على الإسلام.

النوع الثالث: الدولة الإسلاميّة. وهي الدولة التي تقوم على أساس الإسلام وتستمدُّ منه تشريعاتها،

---

(١) الكافي ٧: ٤٠٧، ح١.

بمعنى أنّها تعتمد الإسلام مصدرها التشريعي وتعتمد المفاهيم الإسلاميّة منظارها الذي تنظر به إلى الكون والحياة والمجتمع.

والدولة الإسلامية هذه على ثلاثة أنحاء:

النحو الأول: أن تكون جميع التشريعات التي تقوم بها الدولة مستمدّة من القاعدة الفكريّة بحيث إنّ سير الدولة التشريعي والتنفيذي يكون منسجماً ومتّفقاً مع متطلّبات الإسلام وأحكامه وبصورة مضمونة دون أيّ قصور أو تقصير. وهذا إنّما يتأتّى فيما إذا كانت السلطة الحاكمة معصومة من الخطأ والهوى كالسلطة الحاكمة أيّام النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

وحكم الإسلام بحقّ الدولة من هذا النوع أنّه يجب إطاعتها ولا يجوز التخلّف عن أوامرها وقراراتها التي تصدرها بصفتها سلطة حاكمة بحال من الأحوال.

النحو الثاني: أن تكون بعض التشريعات والتنفيذات متعارضة مع الإسلام تعارضاً ناشئاً من عدم اطّلاع السلطة الحاكمة على حقيقة الحكم الشرعي أو طبيعة الموقف. وحكم الإسلام بحقّ الدولة من هذا النوع:

١ ـ أنّه يجب على العارف من المسلمين أن يشرح للدولة ما تجهله من أحكام الإسلام أداءً لوجوب تعليم أحكام الإسلام لمن يجهلها خاصّة السلطة الحاكمة.

٢ ـ كما يجب على المسلمين إطاعة هذه السلطة في كلّ الحقوق والمجالات التي تشملها صلاحيّاتها الشرعيّة.

٣ ـ وإذا أصرّت السلطة الحاكمة على وجهة نظرها الخاطئة عن حسن نيّة ولم يمكن لمن يختلف معها في وجهة نظرها أن يثبت لها رأيه، فإن كانت القضيّة من القضايا التي يجب فيها توحيد الرأي كالجهاد والضرائب وأمثالها وجب على المخالف إطاعة أمر الدولة وإن كان معتقداً خطأها. وإن لم تكن القضيّة ممّا يجب فيه توحيد الرأي كان للمخالف أن يطبّق في مجاله الخاص اجتهاده المخالف لاجتهاد الدولة.

النحو الثالث: أن تشذّ الحكومة في تصرّفاتها التشريعيّة أو التنفيذيّة، فتخالف القاعدة الإسلاميّة الأساسيّة عن عمد مستندةً في ذلك إلى هوى خاص أو رأي مرتجل. وحكم الإسلام في هذه الدولة:

١ ـ أنّه يجب على المسلمين عزل السلطة الحاكمة واستبدالها بغيرها لأنّ العدالة من شروط الحكم في الإسلام وهي تزول بانحراف الحاكم المقصود عن الإسلام فتصبح سلطته غير شرعيّة. ويشترط في ذلك أن يتوصّل المسلمون إلى عزل السلطة الحاكمة بغير الحرب الداخليّة.

٢ ـ وإذا لم يتمكّن المسلمون من عزل الجهاز الحاكم وجب عليهم ردعه عن المعصية طبقاً لأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة المقدّسة.

٣ ـ وإذا استمرّت السلطة المنحرفة في الحكم فإنّ سلطتها تكون غير شرعيّة ولا يجب على المسلمين إطاعة أوامرها وقراراتها فيما يجب فيه إطاعة ولي الأمر إلاّ في الحدود التي تتوقّف عليها مصلحة الإسلام العليا كما إذا داهم الدولة خطرٌ مهدّدٌ وغزوٌ كافرٌ، فيجب في هذه الحالة أن يقف المسلمون إلى صفّها ـ بالرغم من انحرافها ـ وتنفيذ أوامرها المتعلّقة بتخليص الإسلام والأمّة من الغزو والخطر.

والدولة في كلّ هذه الأنحاء الثلاثة هي دولة إسلاميّة لقيامها فكريّاً على أساس الإسلام وارتكاز كيانها على القاعدة الإسلاميّة، ومجرّد حدوث تناقض بين القاعدة التي تقوم عليها وبعض معالم الحكم ومظاهره لا يخرجها عن كونها دولة إسلاميّة، كما هو الشأن في كلّ دولة تقوم على قاعدة فكريّة فإنّها تحمل صفة تلك القاعدة وإن حصلت بعض التناقضات في جهاز الحكم.

ويترتّب على الدولة الإسلاميّة في كلّ هذه الحالات بعض الأحكام الفقهيّة كسقوط الزكاة عن ذمّة

من تجب عليهم إذا أخذته الدولة منهم كما نصّت على ذلك أحكام الشريعة المقدّسة.

الأساس رقم (٥)

الدولة الإسلاميّة دولة فكريّة

لمّا كانت الدولة هي المظهر الأعلى للوحدة السياسيّة التي توجد بين جماعة من الناس، فلا بدّ أن تكون وحدتها انعكاساً لوحدة عامّة قائمة بين الجماعة.

وهذه الوحدة العامّة بين الناس التي تنعكس في الوحدة السياسيّة تارةً تكون وحدة عاطفيّة وأخرى وحدة فكريّة.

فالوحدة العاطفيّة هي العاطفة الواحدة التي يحسّها ويشترك فيها جماعة من الناس بسبب من الأسباب كاشتراكهم في إقليم متميّز بحدوده الجغرافيّة أو اشتراكهم في قوميّة متميّزة بلغة أو دم أو تاريخ معيّن.

وأمّا الوحدة الفكريّة فهي عبارة عن إيمان جماعة من الناس بفكرة واحدة تجاه الحياة يقيمون على أساسها وحدتهم السياسيّة، وهذه الوحدة هي الوحدة الطبيعيّة والجديرة بأن ينشأ على أساسها كيانٌ سياسيٌّ موحّد متمثّل في دولة بعكس الوحدة العاطفيّة، لأنّ العاطفة لمّا كانت لا تعني بطبيعتها الموقف السياسي للأمّة ولا نظرتها العمليّة نحو الحياة، فبالتالي لا يمكن أن توجد للأمّة حكماً ونظاماً، لأنّ الحكم والنظام إنّما يوجده الفكر. ولذا كان الفكر هو القاعدة الطبيعيّة للحكم وكانت الوحدة الفكريّة هي الوحدة الصالحة لتعليل الوحدة السياسيّة المتمثّلة في الدولة تعليلاً علميّاً.

على ضوء ذلك نستطيع أن نقسّم الدولة ولو بصورة غالبة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **الدولة الإقليميّة**: وهي التي تعكس في وحدتها السياسيّة الوحدة الإقليميّة.

٢ ـ **الدولة القوميّة**: وهي التي تستمدُّ وحدتها السياسيّة من القوميّة الموحّدة.

٣ ـ **الدولة الفكريّة**: وهي التي ترتكز في وحدتها السياسيّة على وحدة فكريّة معيّنة.

والدولة الإسلاميّة من القسم الثالث. ومن طبيعة الدولة الفكريّة أنّها تحمل رسالة فكريّة ولا تعترف لنفسها بحدود إلاّ حدود ذلك الفكر، وبذلك تصبح قابلة لتحقيق رسالتها في أوسع مدى إنساني ممكن، وكذلك الدولة الإسلاميّة فإنّها دولة ذات رسالة فكريّة التي هي الإسلام، والإسلام دعوة إنسانيّة عامّة بعث بها النبيُّ محمّدﷺ إلى الإنسانيّة كافّة في مختلف العصور والبقاع بقطع النظر عن الخصائص القوميّة والإقليميّة وغيرها كما يدلُّ على ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[2]، مع آيات ونصوص أخرى كثيرة لا تدع مجالاً للشكّ بأنّ الإسلام رسالة عالميّة لا إقليميّة ولا قوميّة.

الأساس رقم (٦)

شكل الحكم في الإسلام

تعريف الحكم في الإسلام

الحكم في الدولة الإسلاميّة هو (رعاية شؤون الأمّة طبقاً للشريعة الإسلاميّة)، ولذلك يطلق على الحاكم كثيراً اسم الراعي وعلى المحكومين اسم الرعيّة كما في الحديث الشريف «كلّكم راع وكلّكم

---

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) الأنعام: ١٩.

مسؤولٌ عن رعيّته»[١]. ولا بدّ لكي تكتسب الرعاية صفة الشرعيّة أن يتوفّر فيها أمران:

الأوّل: تنفيذ رعاية شؤون الأمّة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الإسلام عليها.

الثاني: أن تكون الرعاية نفسها متّفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام، فلا يكفي لأن تكتسب الرعاية الصفة الشرعيّة أن تقوم فعلاً بتطبيق الدستور والقوانين الإسلاميّة في إدارة شؤون الأُمّة من جهاد واقتصاد وعلاقات سياسيّة، بل لا بدّ أن يراعي تطبيق الدستور والقوانين الإسلاميّة في الرعاية نفسها لأنّ رعاية شؤون الأُمّة من شؤون الأُمّة أيضاً، فيجب أن تكون بالشكل الذي حدّده لها الإسلام.

المهام التي تتطلّبها الدولة الإسلاميّة

تتطلّب الدولة الإسلاميّة عدّة مهام هي:

أوّلاً: بيان الأحكام، وهي القوانين التي جاءت بها الشريعة الإسلاميّة المقدّسة بصيغها المحدّدة الثابتة.

ثانياً: وضع التعاليم، وهي التفصيلات القانونيّة التي تطبّق فيها أحكام الشريعة على ضوء الظروف، ويتكوَّن من مجموع هذه التعاليم النظام السائد لفترة معيّنة تطول وتقصر تبعاً للظروف والملابسات.

ثالثاً: تطبيق أحكام الشريعة ـ الدستور ـ والتعاليم المستنبطة منها ـ القوانين ـ على الأمّة.

رابعاً: القضاء في الخصومات الواقعة بين أفراد الرعيّة أو بين الراعي والرعيّة على ضوء الأحكام والتعاليم.

شكل الحكم الإسلامي

للحكم في الإسلام شكلان:

الأوّل: الشكل الإلهي: وهو يعني حكم الفرد المعصوم الذي يستمدُّ صلاحيّاته من الله مباشرة ويمارس الحكم بتعيينٍ إلهيٍّ خاصٍّ دون دخل لاختيار الناس وآرائهم.

وهذا الشكل من الحكم ثابتٌ في الإسلام دون شكٍّ وبإجماع المسلمين. فمن المتّفق عليه لدى المسلمين كافّة أنّ حاكميّة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت من هذا الشكل كما يدلُّ عليه قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾[٤] وغير ذلك من النصوص. ولم تكن البيعة التي يأخذها الرسول صلى الله عليه وآله من المسلمين تعني أنّ الرسول يستمدُّ صلاحيّاته للحكم منها، ولا المشورة المأمور بها في قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٥] تعني أنّ حاكميّته مقيّدة برأي الأمّة ومستمدّة منها، لأنّ الله تعالى لم يوجب عليه الأخذ بما يُشار عليه وإنّما علّق الأمر على عزمه خاصّة.

وعلى هذا فوجود الشكل الإلهي للحكم في الإسلام لا شكّ فيه ولا نزاع بين المسلمين، وإنّما النزاع في تحديد الأشخاص الذين ثبت لهم الحقُّ في ممارسة الحكم بهذا الشكل وهل ثبت بعده صلى الله عليه وآله لأحد أم لا؟ فيذهب السنّة إلى انحصار هذا الشكل من الحكم برسول الله صلى الله عليه وآله، ويذهب الشيعة إلى أنّ هذا

---

(١) أورده مرسلاً في: بحار الأنوار ٧٥: ٣٨ ؛ إرشاد القلوب ١: ١٨٤ وغيرهما.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) محمّد: ٣٣.

(٤) الأحزاب: ٣٦.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

الشكل من الحكم ثبت بعد الرسول صلى الله عليه وآله للأئمّة الاثني عشر المنصوص عليهم بصورة خاصّة.

والضمان الأساسي في الشكل الإلهي من الحكم هو العصمة من الهوى والخطأ التي تشكّل الضمان الحتمي لاستقامة الحكم ونزاهته.

وبملاحظة المهام الأربع التي يتطلّبها الحكم في الإسلام، يتّضح أنّ صلاحيّات الحاكم المعصوم تشمل المهمّة الأولى بوصفه مبلّغاً للشريعة إلى الأمّة، كما تشمل المهمّة الثانية والثالثة بوصفه حاكماً، كما تشمل المهمّة الرابعة للقضاء بوصفه قاضياً أعلى. فهو يمارس صلاحيّات القيام بالمهام الأربع بوصفه مبلّغاً وحاكماً ورئيساً أعلى للقضاء بينما يختلف الأمر في الحاكم غير المعصوم كما سنرى.

الثاني: الحكم الشوري أو حكم الأُمة:

والمصدر التشريعي لهذا الشكل من الحكم قوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[1] فإنّ هذه الآية الكريمة الواردة في سياق صفات المؤمنين التي تستحقُّ المدح والثناء تدلُّ على ارتضاء طريقة الشورى وكونها طريقة صحيحة حينما لا يوجد نصٌّ من قبل الله ورسوله. وأمّا حيث يوجد النصُّ فلا مجال لاعتبار الأمر شورى لأنّه سبحانه يقول ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2]. فالأمر إنّما يجوز أن يكون شورى بينهم فيما إذا لم يقض النصُّ الشرعي بقضاء معيّن، ومن الواضح أنّ مسألة شكل الحكم في الوقت الحاضر لم تعالج في نصٍّ خاصٍّ على مذهَبَي الشيعة والسنّة معاً.

وبكلمة أخرى: إنّ الشورى في عصر الغيبة شكلٌ جائزٌ من الحكم فيصحُّ للأمّة إقامة حكومة تمارس صلاحيّاتها في تطبيق الأحكام الشرعيّة ووضع وتنفيذ التعاليم المستمدّة منها، وتختار لتلك الحكومة الشكل والحدود التي تكون أكثر اتّفاقاً مع مصلحة الإسلام ومصلحة الأمّة، وعلى هذا الأساس فإنّ أيّ شكل شوري من الحكم يعتبر شكلاً صحيحاً ما دام ضمن الحدود الشرعيّة، وإنّما قيّدنا الكيفيّة التي تمارس بها الأمّة حقّ الحكم بأن تكون ضمن الحدود الشرعيّة لأنّها لا يجوز أن تختار الكيفيّة التي تتعارض مع شيءٍ من الأحكام الشرعيّة كأن تسلّم زمام الأمر إلى فاسق أو فسّاق، لأنّ الإسلام نهى عن الركون إلى فاسق بالأخذ بقوله في مجال الشهادة فضلاً عن مجال الحكم ورعاية شؤون الأمّة.

فلا بدّ للأمّة حين تختار كيفيّة الحكم والجهاز الذي يباشر الحكم أن تراعي الحدود الشرعيّة[3].

الأساس رقم (٧)

تطبيق الشكل الشوري للحكم في ظروف الأمّة الحاضرة

عرفنا أنّ الشكل الشوري للحكم شكلٌ صحيحٌ في أساسه في ظرف عدم وجود الشكل الإلهي المتقدّم وعدم وجود النصّ الشرعي على كيفيّة معيّنة لممارسة الحكم.

ولا بدّ أن نعرف الشروط لممارسة الأمّة اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم، وهي الشروط الثلاثة التالية:

١ ـ أن يكون اختيار شكل الحكم واختيار الجهاز الحاكم ضمن الحدود الشرعيّة الإسلاميّة وغير

---

(١) الشورى: ٣٨.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) سأل السيّد مرتضى العسكري السيّد محسن الحكيم رحمه الله عن شكل الحكم إذا أقيم حكمٌ إسلاميٌّ في العراق، فأجابه رحمه الله: «نسأل أهل الخبرة عن أفضل نوع حكم يقام ونقرّر ذلك» (الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٩٢).

متعارض مع شيء من أحكام الإسلام الثابتة.

٢ ـ أن يكون اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم أكثر اتّفاقاً مع مصلحة الإسلام التي تعني الوضع الأفضل للإسلام باعتباره دعوة عالميّة وقاعدة للدولة.

٣ ـ أن يكون اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم أكثر اتّفاقاً مع مصلحة المسلمين بوصفهم أمّة لها جانبها الرسالي والمادي.

ومن الواضح أنّ ممارسة اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم بهذه الشروط تتوقّف على وعي الأمّة للإسلام من جهة، ووعيها للظروف الحياتيّة والدوليّة من جهة أخرى، فإذا تمّ للأمّة بشكل عام مثل هذا الوعي فإنّ باستطاعتها أن تختار شكل الحكم وأن تنتخب الجهاز الكفؤ لرعاية شؤونها، ويتساوى حينئذ في ممارسة هذا الحق كلُّ المكلّفين بأحكام الإسلام من الأمّة من بلغ السن الشرعيّة من المسلمين والمسلمات.

أمّا إذا لم تكن هذه الشروط متوفّرة في الأمّة لعدم وجود الوعي العام للإسلام وبالتالي عدم معرفة الحدود الشرعيّة التي يجب أن تراعى في اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم بما يتّفق مع مصلحة الإسلام والأمّة، فإنّه لا بدّ للدعوة بوصفها طليعة الأمّة الواعية لحدود الإسلام ومصلحته والواعية لظروف الأمّة ومصالحها أن تقيم في الأمّة شكلاً للحكم الإسلامي وتختار جهازاً حاكماً، حتّى يجيء الظرف المناسب لاستفتاء الأمّة لاختيار شكل الحكم.

الأساس رقم (٨)

الفرق بين أحكام الشريعة والتعاليم

أحكام الشريعة الإسلاميّة المقدّسة هي الأحكام الثابتة التي بيّنت في الشريعة بدليل من الأدلّة الأربعة الكتاب والسنة والإجماع والعقل[١]. فلا يجوز في هذه الأحكام أيُّ تبديل أو تغيير لأنّها ذات صيغة محدّدة وشاملة لجميع الظروف والأحوال، فلا بدّ من تطبيقها دون تصرّف.

ولنضرب لذلك مثلاً بإلزام الأمّة الإسلاميّة بإعداد ما تستطيع من القوّة في مواجهة أعداء الإسلام. فهو حكمٌ شرعيٌّ نصّت عليه الشريعة في بعض أدلّتها كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[٢]، ولذلك فهو حكمٌ ثابتٌ شاملٌ لجميع الظروف والأحوال.

أمّا التعاليم أو القوانين، فهي أنظمة الدولة التفصيليّة والتي تقتضيها طبيعة الأحكام الشرعيّة الدستوريّة لظرف من الظروف ولذا فهي قوانين متطوّرة تختلف باختلاف ظروف الدولة، ومنشأ التطوّر فيها أنّها لم ترد في الشريعة مباشرة وبنصوص محدّدة وإنّما تستنبط من أحكام الشريعة على ضوء الظروف والأحوال التي هي عرضة للتغيّر والتبدّل.

ويدخل في الأحكام الشرعيّة كلُّ حكم دلَّ عليه الدليل الشرعي بصفته المعيّنة كحكم وجوب الصلاة والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافّة التفاصيل المحدّدة التي جاءت بها الشريعة المقدّسة.

ومثال التعليم إلزام المسلمين القادرين بالتدريب على القتال، فإنّ هذا الحكم ليس حكماً شرعيّاً ثابتاً في كلّ الأحوال ولم يدل عليه دليلٌ من الأدلّة الأربعة بهذه الصفة المعيّنة، ولذا لم يوجد إلزامٌ

---

(١) ينبّه السيّد الصدر﵀ في أبحاثه الأصوليّة على أنّ الإجماع ليس دليلاً مستقلاً برأسه وإنّما هو كاشفٌ بحساب الاحتمالات عن السنّة.

(٢) الأنفال: ٦٠.

بالتدريب أيّام الرسولﷺ إلاّ قليلاً حيث كانت وسائل الحرب بسيطة ومتداولة والحاجة إليها والتدرّب عليها يكاد يكون عامّاً، وأمّا في الظروف الحاضرة فقد أصبح التدريب من أسباب القوى التي يجب رصدها وإعدادها، فهو لذلك تعليمٌ تقتضيه طبيعة الحكم الدستوري الذي هو وجوب إعداد القوّة القتاليّة.

وهكذا يدخل في التعاليم كلُّ أحكام القوانين التي تقتضيها طبيعة الأحكام الشرعيّة كقانون الشرطة وقانون الاستيراد والتصدير وقوانين التعليم والتخصّص وقانون العمل وأمثالها ممّا تقضي به طبيعة الأحكام الشرعيّة في ظرف من الظروف.

وعلى ضوء ما سبق نعرف أنّ اصطلاح (الدستور الإسلامي) حينما يطلق على الشريعة المقدّسة هو أوسع من المصطلح المتعارف للدستور، لأنّه يشمل كافّة أحكام الشريعة الخالدة، حيث تعتبر بمجموعها أحكاماً دستوريّة، كما أنّ وصف التعاليم والقوانين بـ(الأحكام الشرعيّة) هو وصفٌ صحيحٌ، وان كانت أحكاماً ظرفيّة لأنّها تكتسب الصفة الشرعيّة ووجوب التنفيذ شرعاً من الأحكام الشرعيّة التي اقتضتها ولأنّ الجهاز الحاكم العادل قد تبنّاها من أجل رعاية شؤون الأمّة والحفاظ على مصلحتها ومصلحة الإسلام العليا.

كما نعرف أنّ المرونة التشريعيّة التي تجعل أحكام الإسلام صالحة لجميع الأزمان ليس معناها أنّ الإسلام قد سكت عن الجوانب المتطوّرة من حياة الإنسان وفسح المجال للتطوّر أن يشرّع لها من عنده وإنّما معناها أنّ الإسلام أعطى في تلك الجوانب الخطوط العريضة الثابتة بحيث إنّ التطوّرات المدنيّة للإنسان لا توجب تغيّر هذه الخطوط وتبدّلها، وإنّما تؤثّر في القوانين والتعاليم التي تباشر تنظيم الحياة في ظروف تقصر أو تطول.

الأساس رقم (٩)

مهمّة بيان أحكام الشريعة وتعيين القضاة ليستا من مهام الحكم

عرفنا أنّ قيام الدولة الإسلاميّة يتطلّب مهاماً أربعاً وهي:

١ ـ بيان أحكام الشريعة (الدستور).

٢ ـ وضع التعاليم (القوانين التي تقتضيها طبيعة أحكام الشريعة في ضوء الظروف الراهنة).

٣ ـ تنفيذ أحكام الشريعة والقوانين.

٤ ـ القضاء في الخصومات.

وهذه المهام وإن كانت لازمة للدولة غير أنّها ليست جميعاً من شؤون رعاية الأمّة حتّى تدخل في صلاحيّات الحكومة بوصفها حكومة.

فقد عرفنا أنّ بيان المعصومعليه السلام لأحكام الشريعة لم يكن منه بوصفه حاكماً بل بوصفه مبلّغاً مأموراً بالتبليغ، وكذلك قضاؤه بين الناس وتنظيمه لجهاز القضاء وعزل من لا يرى صلاحيّته من القضاة كان بوصفه قاضياً أعلى. وفي الشكل الشوري للحكم، الشكلِ الذي تقيمه الأمّة في غياب المعصومعليه السلام لا تملك الحكومة الحقَّ في حصر ممارسة بيان أحكام الشريعة وتبليغها كما لا تملك الحقَّ في حصر ممارسة القضاء في الخصومات كما لا يملك أحدٌ من الحكومة أو غيرها حقَّ القاضي الأعلى الذي يستطيع عزل القضاة وتعيينهم.

والشكل الذي تؤدّى به هاتان المهمّتان كما يلي:

١ ـ مهمّة بيان الأحكام الشرعيّة:

هي من حقّ وواجب كلّ من يتوفّر من الناحية العلميّة على درجة الاجتهاد ومن ناحية السلوك

والصفات على درجة العدالة، فالمجتهد العادل فقط من حقّه أن يبيّن الأحكام الشرعيّة في ضوء الأدلّة الأربعة ويسمّى بيانه للحكم الشرعي على هذا الأساس (إفتاء).

فإن كان لا يوجد في الأمّة إلاّ مجتهدٌ عادلٌ واحدٌ وكان هو الذي وقع عليه اختيار الأمّة وأسندت إليه مهمّة الحكم، فقد اجتمعت عليه مهمّة الحكم ومهمّة الإفتاء معاً.

وإن تعدّد المجتهدون العدول: فإن لم يختلفوا في نتائج استنباطهم فلا مشكلة. وإن كان بينهم اختلافٌ في بيان الأحكام الشرعيّة، وجب أن ينظر إلى طبيعة الحكم المختلف فيه، فإن كان حكماً يلزم على الدولة أن تتبنّى فيه اجتهاداً معيّناً وتجعله الاجتهاد السائد في المجتمع الإسلامي كالأحكام التي تتّصل بمجالات السياسة والاقتصاد والجهاد، فإنّ على الحاكم إمّا أن يكون مجتهداً أو يختار اجتهاداً من تلك الاجتهادات ويتبنّاه لأنّ هذا الانتخاب والتبنّي لاجتهاد معيّن داخلٌ في رعاية شؤون الأمّة ومن الواجبات الشرعيّة على الحاكم، غير أنّ تبنّي الدولة لاجتهاد معيّن لا يعني منع المجتهدين المخالفين لذلك الاجتهاد من استنباطهم أو إبداء آرائهم وإنّما يعني اختصاص ذلك الاجتهاد المختار بالعمل والتنفيذ.

أمّا إذا كان الحكم الذي اختلفت فيه وجهات نظر المجتهدين من الأحكام التي لا يجب على الدولة توحيد الاجتهاد فيها عمليّاً ولا يضرُّ بكيان الأمّة والمجتمع اختلاف الأفراد في سلوكهم طبقاً لاختلاف المجتهدين في آرائهم، فلا يجوز للدولة والحالة هذه أن تتبنّى اجتهاداً معيّناً بل توكل كلّ مسلم إلى رأي مقلّده الخاص أو رأيه إن كان مجتهداً.

٢ ـ القضاء وتعيين القضاة:

القضاء في نظر الإسلام لونٌ خاصٌّ من الحكم لأنّه رعاية لشؤون الأمّة لدى وقوع المخاصمة، ولكنّ السائد في لسان الشريعة هو التعبير عنه بالقضاء وعمّن يباشره بالقاضي لا بالحكم والحاكم.

غير أنّ حقّ القضاء لا يثبت للحاكم بمجرّد كونه حاكماً بل يثبت لمن نصّت عليه الشريعة نصّاً خاصّاً كالقضاة الذين كان يعيّنهم المعصوم عليه السلام في زمانه، أو نصّاً عامّاً كما هو الحال في المجتهد العادل بصورة عامّة، فكلُّ مجتهد عادل يتمتّع بحقّ ممارسة القضاء. ويستمدُّ القاضي في المجتمع الإسلامي هذا الحقّ من نصوص الشريعة التي دلّت على جعل هذا الحقّ لكلّ مجتهد عادل وليس من جهاز الحكم.

ومما يتّصل بذلك:

أ ـ لا يجوز للدولة أن تمنح حقّ القضاء لغير المجتهد العادل الذي ثبت له هذا الحقُّ في الإسلام، كما لا يجوز لها أن تمنع مجتهداً من ممارسة هذا الحقّ بل يجب عليها إمضاء قضائه وتنفيذه.

ب ـ يجب على الدولة توفير المجتهدين العدول لممارسة القضاء بالدرجة التي تسدُّ احتياج الأمّة في قضاياها وخصوماتها لأنّ ذلك يندرج ضمن الرعاية الواجبة لشؤون الأمّة.

ج ـ إذا تعدّد المجتهدون العدول ووقع الاختلاف في أقضيتهم فلذلك صورتان:

إحداهما: أن يكون مردُّ الاختلاف بينهم إلى الاختلاف في استنباط الأحكام الشرعيّة.

والصورة الثانية: أنّ الاختلاف بسبب التطبيق، فإن كان اختلاف الأقضية بسبب اختلاف الاجتهاد وكانت مصلحة الأمّة تتطلّب إقامة القضاء على حكمٍ شرعيٍّ معيّن، كان على الحاكم أن يتبنّى اجتهاداً معيّناً ويفرض على جميع المجتهدين العدول أن يقضوا على أساس ذلك الاجتهاد. فمن كان منهم مصوّباً لذلك الاجتهاد قضى طبقاً لرأيه، ومن كان منهم مخالفاً قضى بالوكالة عن المجتهد الذي يرتئي نفس الاجتهاد المتبنّى للدولة. وهذا التبنّي يكون واجباً على الحاكم لأنّه من شؤون الرعاية الواجبة للأمّة. أمّا إذا كان اختلاف الأقضية لا يضرُّ بنظام المجتمع واستقراره فيجب أن يعطي لكل مجتهد حرية

القضاء طبقاً لاجتهاده.

وإن كان اختلاف الأقضية بسبب اختلاف المجتهدين في تطبيق الحكم الشرعي مع وحدة الرأي فيه أساساً، كما إذا كان هذا القاضي يرى شهادة زيد وعمرو بيّنة شرعيّة ولا يراها القاضي الآخر بيّنة لاعتقاده بفسقهما، فإنّ هذا الاختلاف لا يولّد مشكلة تستوجب تدخّل الحكومة، فيجب أن يسمح لكلٍّ منهما بممارسة حقّه في القضاء وأن يباشر القضاء حسب رأيه. وإذا قضيا في مسألة واحدة بقضائين تنفّذ الحكومة القضاء الأسبق زماناً منهما.

وتفصيل الكلام في بحوث القضاء في الفقه»[١].

«الأساس رقم (١٠)

المقياس في السياسة الخارجيّة للدولة

الأحكام الدستوريّة مقياسٌ ثابتٌ في سياسة الدولة، الداخليّة منها والخارجيّة، ويضاف إلى الأحكام الدستوريّة المصلحة الإسلاميّة التي تعني مصلحة الإسلام والمسلمين. وتقوم الدولة على ضوء هذين المقياسين بوضع اللوائح التنظيميّة في المجال الداخلي والخارجي:

أمّا في المجال الداخلي؛ فتبيّن ذلك في تفصيلات لسنا بصددها.

وأمّا في السياسة الخارجيّة؛ فإنّ الدولة تراعي في جميع العلاقات والمعاهدات والاتّفاقات مع الدول الأخرى ـ بالإضافة إلى انسجامها مع أحكام الدستور ـ أن تكون متّفقة مع هذه المصلحة.

والمصلحة الإسلاميّة عبارة عن الوضع الأفضل للإسلام باعتباره دعوة ومبدأ وقاعدة للدولة والوضع الأفضل للمسلمين بوصفهم أمّة لها جانبها الرسالي وجانبها المادي، فكلّ ما كان يساعد على إيجاد الوضع الأفضل للإسلام والمسلمين على هذا النحو فهو مصلحة إسلاميّة.

والمصلحة الإسلاميّة تارةً تكون منصوصةً من الشرع المقدّس؛ كمصلحة عدم اتّخاذ الكافرين أولياء من دون المسلمين، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلْ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾[٣]، وآيات ونصوص شرعيّة أخرى. فتكون هذه المصلحة المنصوصة من أحكام الدستور، فلا يجوز الاجتهاد فيها، بل يلزم تطبيقها كما جاءت في النص.

وأخرى لا تكون المصلحة الإسلاميّة منصوصة، فيوكل أمر الاجتهاد فيها إلى المجلس القانوني في الدولة أو إلى الجهاز الحاكم، على شرط أن لا تتنافى نتيجة الاجتهاد مع النصوص العامّة للشرع (الدستور).

أمّا موقف الدولة من المعاهدات والاتّفاقات المعقودة بين حكومات بلاد المسلمين والحكومات الأخرى، فهو أنّه يجب أن تخضع من جديد للمقياس العام المتكوّن من الأحكام الدستوريّة والمصلحة الإسلاميّة، وتقوم الدولة الإسلاميّة بإلغاء ما يتنافى منها مع ذلك بقدر الإمكان، باعتبار أنّ الحكومات التي أبرمت تلك المعاهدات والاتّفاقيّات حكومات غير شرعيّة، فتكون الاتّفاقات غير مشروعة إلاّ بإقرار الحكومة الإسلاميّة في ضوء المقياس الإسلامي.

---

(١) ثقافةالدعوة الإسلاميّة ١: ١٣٠ ـ ١٥٢ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٣٧ ـ ٣٥٩؛ تجديد الفقه الإسلامي.. محمّد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم: ٣٣ ـ ٤٨.

(٢) آل عمران: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) النساء: ١٤٤.

أمّا حكم المعاهدات والاتّفاقات التي تبرمها الدولة الإسلاميّة أو تقرّها باختبارها فهو أنّها معاهدات نافذة يجب الوفاء بها، ولا يجوز للدولة إلغاؤها قبل مدّتها المقرّرة وإن اصبحت تتنافى مع المصلحة الإسلاميّة شيئاً ما، ولذلك وفى النبيﷺ بتعهّده لقريش بعدم الغزو بعد صلح الحديبيّة مع أنّ الإسلام أصبح بعد الصلح بقليل قادراً على احتلال مكّة، بل استمرّ وفاؤهﷺ مع إخلال قريش بالمعاهدة عدّة مرّات حتّى تكرّر منها النكث واتّضح.

وما ينبغي الالتفات إليه أنّ المصلحة الإسلاميّة التي تعني الوضع الأفضل للإسلام والمسلمين قد تختلف من بلد إلى بلد وظرف إلى ظرف، فقد تكون مثلاً سريّة الدعوة الإسلاميّة في بعض البلاد الكافرة هي الوضع الأفضل للإسلام بوصفه دعوة تتبنّاها الدولة الإسلاميّة وتحملها إلى أرجاء الأرض، فتقرّر الدولة سريّة الدعوة في ذلك البلد وفقاً للمصلحة الإسلاميّة، وتدخلها في حساب علاقتها واتّفاقيّاتها معه. وقد يكون تأجيل تطبيق الإسلام وتسلّمه للسيادة في بلد إسلامي هو الوضع الأفضل للإسلام بوصفه مبدأً، كما إذا منحت فرصة لتسلّم الإسلام السيادة ولكن في ظرف معقّد من الناحية السياسيّة العامّة، ينذر بسرعة تقويض الكيان الإسلامي إذا أقيم في ذلك الظرف وانتكاس الحركة الإسلاميّة؛ ففي مثل هذه الحالة يكون تأجيل تسلّم السيادة في ذلك البلد إلى الظرف المناسب هو الوجه الأفضل للإسلام بوصفه مبدأ.

وقد يكون عدم توقيع معاهدة بين الدولة الإسلاميّة ودولة أخرى هو الوضع الأفضل للإسلام بوصفه قاعدة للدولة لما يخشى أن تؤدّي إليه المعاهدة في نفوذ الدولة الأخرى في جهاز الدولة الإسلاميّة، الأمر الذي يشكّل خطراً على قاعدتها الإسلاميّة.

وقد يكون عقد اتّفاق اقتصادي معيّن مع دولة معيّنة أو دول هو الأفضل للمسلمين من الناحية الاقتصاديّة، فيصبح مصلحة إسلاميّة.

وبشكل عام؛ فإنّ الدولة تقوم بدراسة المصلحة الإسلاميّة وتراعيها في علاقتها الخارجيّة لأنّها المسؤولة عن رعاية الإسلام والمسلمين.

الأساس رقم (١١)

موقف الدعوة والدولة من النفوذ الكافر

نعتبر الدولة الغازية لوطن المسلمين بجميع صورها وطرق استعمارها ونفوذها دولة محاربة للإسلام، ويجاهد أنصار الإسلام قبل إقامة الدولة الإسلاميّة إلى جنب الحكومات القائمة في بلاد المسلمين لتقويض دعائم الكافر المستعمر ونفوذه، كما يجاهدون لعين الهدف في بلاد المسلمين وإن كانت تتبنّى أحكام الكفر أيضاً وتتعارض بذلك مع الهدف الأوّل للدعاة، وهو إزاحة أحكام الكفر وتطبيق أحكام الإسلام. إلاّ أنّها من الممكن أن تلتقي مع الدعاة في الهدف الثاني، وهو إزاحة سيطرة الكافر. وفي ظروف الالتقاء هذه يجاهد الدعاة إلى جنبها مراعين في مدى تعاونهم مع تلك الحكومات في هذا السبيل طابعهم الإسلامي الخاص ومصلحتهم بوصفهم منضمّين لدعوة إسلاميّة مخلصة.

أمّا عند قيام الدولة الإسلاميّة وبعده، فإنّ المقياس العام في سياسة الدولة الخارجيّة يقضي بمقاطعة الدولة الكافرة الغازية لبلاد المسلمين، ويراعى في هذه المقاطعات إمكانيّة الدولة الإسلاميّة وظروفها، ويمكن أن يتمّ ذلك [عن] طريق خطّة تدريجيّة تضعها الدولة لتحقيق ذلك. كما أنّ مسؤوليّة الدولة في الجهاد لرفع النفوذ الكافر لا تقف عند الوطن الإسلامي الذي يسكنه المسلمون فعلاً، بل يشمل الأرض التي فتحها المسلمون وكانت عامرة عند الفتح ثمّ انتزعها الكافر مرّة أخرى من يدهم، فإنّها تعتبر أرضاً مغصوبة ووطناً إسلاميّاً سليباً ولو لم يبق على ظهرها مسلم واحد، ومن حق الأمّة المالكة استرجاعها وإن لم يجر عليها فعلاً أحكام دار الإسلام المقرّرة في الفقه، كما هو الحال في الأندلس وفلسطين وأجزاء

أخرى من أراضي المسلمين.

الأساس رقم (١٢)
دعوتنا إلى الإسلام دعوة تغييريّة

الدعوة الإصلاحيّة هي الدعوة التي تستهدف إصلاح جانب معيّن من جوانب الواقع القائم متغاضيةً في حقل نشاطها العملي عن سائر جوانبه الأخرى وعن الركائز الأساسيّة التي يبنى عليها الواقع بصورة عامّة، أي أنّها تسعى إلى إنشاء البنيات الفوقيّة التي تأتلف منها شخصيّة الأمّة دون أن تنفذ إلى البنيات والجذور الرئيسيّة في شخصيّتها.

والدعوة التغييريّة هي الدعوة التي لا تدين بالواقع الذي تعيش فيه الأمّة من أساسه، لأنّه يناقض مبدأها جملةً وتفصيلاً، فتبني عملها على تغييره تغييراً جذريّاً، وذلك بحمل رسالة فكريّة تبشّر بها لإنشاء شخصيّة الأمّة إنشاءً جديداً بكل بنياتها الأساسيّة والفوقيّة، وإنشاء الحياة على قواعد تلك الرسالة وركائزها المحدّدة، سواء في النظرة الفلسفيّة نحو الكون والحياة أو المقياس العملي العام للحياة أو في طريقة التفكير التي يتكوّن بها الكيان الاجتماعي للأمّة.

ولدى السؤال: ماذا يجب أن تكون دعوتنا إلى الإسلام، إصلاحيّة أم تغييريّة؟ علينا أن ننظر إلى الظروف التي يعيشها الإسلام وصدى وجوده في واقع الأمّة، فإنّ هذه الظروف هي التي تحدّد نوع الدعوة إلى الإسلام:

فإذا كان الإسلام هو القاعدة الرئيسيّة التي يبتني عليها نظام الحياة وكيان الأمّة، وكانت العقيدة الإسلاميّة هي القاعدة الفكريّة والدستوريّة للدولة والمنهج العام لمختلف ألوان النشاط الفردي والاجتماعي والسياسي، كان للدعوة أن تتّخذ طريق الإصلاح للحفاظ على القاعدة الإسلاميّة للدولة وإصلاح الجوانب التي لا تنسجم مع هذه القاعدة.

أمّا إذا فقد الإسلام مركزه من القاعدة الأساسيّة واستبدل بغيره من القواعد الفكريّة أو استبدل باللاقاعدة، فإنّ الدعوة إلى الإسلام يجب أن تكون دعوة لإعادة الإسلام إلى مركزه من الدولة ومن الأمّة في عمليّة تغيير شامة لكل الواقع اللا إسلامي.

ومن الواضح أنّ الظروف التي يعيشها الإسلام منذ نهاية الحرب الأولى هي الظروف الثانية؛ إذ قوّض المستعمرون الدولة الإسلاميّة ودخلوا بلاد المسلمين وتقاسموها وقاموا بعمليّة انقلاب شامل في حياة الأمّة وأقصوا العقيدة الإسلاميّة عن وضعها الرئيسي في كيان الأمّة السياسي والاجتماعي، ووضعوا الأمّة في أطر فكريّة وسياسيّة غريبة عن عقيدتها، من الديمقراطيّة الرأسماليّة والاشتراكيّة وما إليها من الأطر اللاإسلاميّة.

لذلك فإنّ واجب الدعوة في ظروف الإسلام الحاضرة أن تكون دعوة تغييريّة ـ انقلابيّة تهدف استبدال القواعد اللا إسلاميّة التي أقيم عليها الحكم والحياة الاجتماعيّة للأمّة بالقاعدة الفكريّة للإسلام ونظامه الاجتماعي للحياة.

وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ ظروف الإسلام حيث توجب علينا انتهاج الطريق التغييري الجذري في العمل فإنّ ذلك لا يعني أنّنا نقف من الدعوات والمشاريع الإصلاحيّة موقف الرفض والعداء، وذلك لأنّ الإسلام يوجب علينا تطبيق ما أمكن من أحكامه في أيّ جانب من حياة الأمّة، وإن لم يمكن تطبيق أحكامه من الجوانب الأخرى. وما دام العمل الإصلاحي تطبيقاً للإسلام في أيّ مساحة من حياة المجتمع فهو عمل إسلامي صحيح. كما لا يعني ذلك أنّنا لا نقوم بالأعمال الإصلاحيّة، وذلك لأنّ التغيير الكلي يتوقّف على تغييرات جزئيّة متعدّدة.

منهجنا في الدعوة إذن هو تأييد وتوجيه المشاريع والدعوات الإصلاحيّة والقيام بالعديد من الخطوات والمشاريع الإصلاحيّة التي تقع في طريق التغيير أو تؤثّر فيه من قريب أو بعيد.

نعم؛ لا بدّ لدعوتنا التي تهدف التغيير الكلّي في المجتمع أن تقارن بين مجالات العمل وتجنّد الطاقات لما هو أكثر فائدة للإسلام وتأثيراً في عمليّة التغيير الشاملة.

الأساس رقم (١٣)

من أين يبدأ التيّار التغييري في الأمّة؟!

من أين تبدأ الدعوة الإسلاميّة بإحداث مدّها للتغيير الجذري الشامل في حياة الأمّة؟ وما هي العمليّة الأساسيّة في هذا المد؟!

يجيب السطحيّون في تفكيرهم على هذا السؤال بأنّ العامل الرئيسي في الانقلاب الإسلامي هو عمليّة الاستيلاء على الحكم، ويتراءى لهم أنّ تسلّم السلطة هو العمليّة الانقلابيّة الكبرى التي يتمّ بها كلّ شيء. وقد غفل هؤلاء عن أنّ لكلّ مجتمع قاعدة، وأنّ القاعدة هي الأمّة، فإذا كانت الأمّة هي الأمّة لم تتغيّر في محتواها الداخلي فإنّ تغيير الحكم لا يعني حدوث الانقلاب الأساسي الشامل في المحتوى الفطري والروحي للأمّة، وإنّما يعني ـ إذا أمكن الاحتفاظ به ـ فقط حصول الأداة القويّة التي يجب أن يبدأ الانقلاب والتطوير من عندها وبها.

ويجيب الماديّون على هذا السؤال بأنّ العامل الرئيسي في الانقلاب الشامل في الأمّة هو الظروف الماديّة الخارجيّة، حيث يزعمون أنّ تحوّل وسيلة الإنتاج من شكل إلى شكل هو الحدث الانقلابي الكبير الذي يخلق المجتمع من جديد. وقد غفل هؤلاء عن أنّ الإنسان هو الذي يصنع الظروف الماديّة، وليست الظروف هي التي تخلق الإنسان وتكيّفه كما تشاء.

أمّا الإسلام، فيجيب على هذا السؤال جواباً واضحاً محدّداً مرتكزاً على نظرته العامّة عن التاريخ الإنساني والمجتمع التي أوضحها الله تعالى في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، فإنّ هذه الآية الكريمة تشير إلى أنّ التغيير الاجتماعي للبشريّة إنّما يتحقّق عن طريق تغيير ما بالنفوس البشريّة، أي بتغيير المحتوى الداخلي للإنسان من أفكار ومشاعر.

فالكيان الفكري والروحي للإنسانيّة هو العامل الرئيسي في البناء والتجديد في تاريخ المجتمعات.. وهذا بالضبط سرّ الانقلاب الكبير الذي أحدثه الإسلام في الأمّة التي لم يكن لها نصيب من السياسة ولا وجود في المجال الدولي، ولم تكن تعرف للحياة معنى غير التفاخر والتغالب، حتّى أنّها كانت لتضيق بفكرة الوحدة القوميّة لشدّة تحكّم الروح القبليّة في نفوسها. وإذا بهذه الأمّة بالذات تصبح سيّدة أمم الأرض ومالكة الزمام في الموقف الدولي، والمبشّرة المثاليّة برسالة عالميّة لا تعترف بالحدود القوميّة، فضلاً عن الحدود القبليّة. وقد تمّ كلّ هذا الانقلاب في فترة قصيرة لم يتغيّر فيها شيء من الظروف الماديّة، ولم يكن سببه إلاّ إحداث التغيير في المحتوى الداخلي الفكري والشعوري للأمّة. وهذا التغيير هو الذي يعبّر عنه الله تعالى بالتزكية والتعليم في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[2]»[3].

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

(٣) ثقافةالدعوة الإسلاميّة ٤: ٤٤ ـ ٥١.

الموقف العلمائي من تأسيس حزب الدعوة

لقد لاقى تأسيس الحزب تأييداً عامّاً من مراجع النجف، وإن كانت معرفة مدى تأييدهم لعمل من هذا القبيل [بشكل دقيق] متعذّرة[١]، إلاّ أنّ المسألة ليست بهذا البساطة، لأنّ انتماء الشباب إلى حزب الدعوة قد اعتبر لدى البعض خروجاً على مسلّمات الحوزة[٢] التي كانت تسير في اتّجاه آخر، حتّى أنّ الأشخاص هوجم في مسجد الهندي وتعرّض إلى الضرب الشديد لأنّه كان يحمل مجلّة، الأمر الذي اعتبره الضارب كفراً. كما أنّ أحد المشايخ اللبنانيّين ـ الشيخ محمّد ـ تعرّض إلى هجوم في مسجد الهندي كذلك لأنّه يجلس أمام أستاذه السيّد علاء الدين الحكيمؒ في درس (الحاشية) دون عمامة[٣].

أمّا السيّد محسن الحكيمؒ فقد كان أكثر من أيّد حزب الدعوة حتّى قيل: إنّه كان يتبنّى العمل الإسلامي عموماً وحزب الدعوة خصوصاً[٤]، فقد بارك العمل الحزبي خارج الدائرة الشيعيّة أيضاً، إذ بارك تأسيس (الحزب الإسلامي) في الوسط السنّي سنة ١٩٦٠م برئاسة الدكتور عبد الرزّاق السامرّائي[٥]، وإن سمّت بعض المصادر السيّد الحكيمؒ راعياً للحزب الإسلامي كما أفيد في طلب الترخيص الذي قيل إنّه قدّم إلى السلطة لإجازة عمله[٦]، وينفي فليح السامرّائي ـ أحد مؤسّسي الحزب الإسلامي ـ أن يكون ثمّة دعم مالي من قبل السيّد الحكيمؒ[٧].

وبالرغم من تأييد السيّد محسن الحكيمؒ، إلاّ أنّ مجموعة من آل الحكيم وقفت ضدّ العمل الحزبي وآمنت بأنّه يخرّب الحوزة من الداخل ويؤدّي إلى التصادم مع السلطة، ومنهم السيّد محمّد علي الحكيم ونجله السيّد محمّد سعيد الحكيم ـ المرجع المعاصر ـ والسيّد محمّد رضا الحكيمؒ نجل السيّد الحكيمؒ، بل والسيّد يوسفؒ وإن دار حديثٌ عن وجود حقيقيٍ للسيّد علاء الحكيمؒ في الحزب[٨]، وبشكل عام فقد كان السيّدان مهدي ومحمّد باقرؒ استثناءً في علاقة آل الحكيم مع السيّد الصدرؒ، وقد وصفهما أخوهما السيّد محمّد حسين الحكيمؒ بأنّهما من أتباعه[٩].

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري في صحيفة صوت العراق.

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد حسن الأمين (حفظه الله).

(٣) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٧، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري في صحيفة صوت العراق.

(٥) الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر.. مراجعة لما كُتب عنه باللغة الإنجليزيّة: ٣٢٨ ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧١.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧١، نقلاً عن سنوات الجمر، ط.ق: ٤٩.

(٧) الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر.. مراجعة لما كُتب عنه باللغة الإنجليزيّة: ٣٢٨، نقلاً عن فليح السامرّائي.

(٨) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٧، ١٦٦ (نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي)، ٨٨، ٩٢ (نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري) ؛ وانظر: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٤٠ وما بعد.

(٩) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٥، نقلاً عن الحاج صالح الركابي الذي كان بصحبة والده الحاج عبد صلوات الركابيؒ الذي عاتب السيّد محمّد حسين الحكيمؒ على موقفه من السيّد الصدرؒ.

لقد قام السيّد الصدر‏ؒ بإطلاع السيّد الخوئي‏ؒ على تأسيس الحزب وعرض عليه (الأسس). وفي إحدى اجتماعات الحزب تحدّث السيّد الصدر‏ؒ عن الموقف الإيجابي الذي لقيه من السيّد الخوئي‏ؒ الذي كان متفهّماً لقيام عملٍ من هذا القبيل[١].

وكان الشيخ مرتضى آل ياسين‏ؒ على علمٍ تفصيليٍّ بعمل الحزب وتأسيسه[٢]. كما تمّ إطلاع السيّد إسماعيل الصدر‏ؒ على الأمر[٣]، واستأنس السيّد الصدر‏ؒ برأي السيّد الحكيم‏ؒ[٤].

وفي إيران تمّ إعلام السيّد سلطاني أحد تلامذة السيّد حسين البروجردي‏ؒ[٥]، وكذلك الشيخ محمّد هادي معرفة الذي اعترض على ما ورد في (الأسس) من قبول توبة المرتد سواء كان مليّاً أم فطريّاً بأنّه مخالف لمشهور الفقهاء، فأجابه الحاج صالح الأديب بما أجاب به السيّدُ الصدر‏ؒ السيّدَ الخوئي‏ؒ حيث استند إلى الواقع الفكري السائد وغلبة التيّارات غير الدينيّة وشيوع الشبهات التي تمنع من تطبيق الأحكام المختصّة بالارتداد[٦].

وقد قام الحاج صالح الأديب بمفاتحة السيّد محمّد الشيرازي‏ؒ في كربلاء حول فكرة الحزب، وكان متجاوباً وكان يفترض ـ لإيمانه بالعمل ـ أن يشترك في المداولات التي كانت الأساس في انطلاقة عمل الدعوة، إلاّ أنّه لم يقدم على ذلك، خصوصاً بعد وفاة والده وخشيته أن يكون جزءاً من أتباع السيّد الحكيم‏ؒ[٧].

يُشار إلى أنّ أتباع السيّد الشيرازي‏ؒ لم يكونوا ضدّ التنظيم، وإنّما كانوا يريدون حزباً للمرجعيّة التي يقف على رأسها السيّد محمّد الشيرازي‏ؒ[٨].

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤، نقلاً عن الحاج محمّد صالح الأديب.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي والشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤، نقلاً الشيخ رياض الناصري نقلاً عن السيّد سلطاني.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٤ ـ ٨٥، نقلاً عن الحاج محمّد صالح الأديب ؛ وانظر: الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٨٨، نقلاً عن صالح الأديب في مقابلة معه في طهران بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٦ وعن رسالة خاصّة للشيخ الفضلي بتاريخ ١٤١٥/٢/٣هـ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٥ ـ ٩٦، نقلاً عن الحاج الأديب في مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٤/٩/٧م.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٦، نقلاً عن الحاج صالح الأديب. ولكنّ الغريب أنّ الحادثة التي أشار إليه السيّد محمّد الحسيني قبل ذلك بصفحة ـ والتي أدرجناها ضمن أحداث سنة ١٣٩٢هـ ـ تتعلّق بالسيّد محمّد الشيرازي‏ؒ نفسه، حيث ستقرأ هناك بإذن الله تعالى: وبعد اعتقال الشيخ العطيّة، ذهب السيّد الصدر‏ؒ ومعه السيّد محمود الهاشمي إلى السيّد الخوئي‏ؒ للتوسّط في قضيّة إطلاق سراح الشيخ. وفي سياق الحديث قال السيّد الخوئي‏ؒ: «جاءني السيّد محمّد الشيرازي (نجل السيّد مهدي الشيرازي) وقال: إنّ السيّد محمّد باقر الصدر أسّس حزباً إسلاميّاً، فقلتُ له: السيّد الصدر رجلُ فكر وعلم، فأكّد عليَّ مرّةً أخرى، فقلتُ له: إذا كان الصدر قد أسّس حزباً فسجّلني فيه عضواً» وأردف كلامه قائلاً: «تدرون، أنا تركي!» (نقل ذكر ذلك الدكتور جودت القزويني عن السيّد حسين محمّد هادي الصدر (الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٨: ١٤٣ ـ ١٤٤). وهذا يوحي ـ بحسب السياق ـ أنّ السيّد محمّد الشيرازي‏ؒ كان معارضاً لذلك منذ لحظة الولادة حيث لم يكن السيّد الخوئي‏ؒ قد علم بذلك بعد.

(٨) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٦، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

وإثر تبنّي حزب الدعوة مرجعيّة السيّد محسن الحكيم﵀ أبدى الشيخ محمّد الخالصي﵀ ـ المرجع في الكاظميّة ـ تحفظّه إزاء الحزب[1]، فقد رأى فيه فرعاً من فروع مرجعيّة السيّد الحكيم﵀[2]. وكان الشيخ الخالصي﵀ يرى أنّ جهاز مرجعيّة السيّد الحكيم﵀ مخترقٌ، وقد خشي هذا الاختراق على حزب الدعوة، وهو اختراقٌ شكّل هاجس الشيخ الخالصي على خلفيّة انطباعاته تجاه الإنجليز وعملهم في هذا الصدد[3].

ومن هذا المنطلق كان الشيخ الخالصي﵀ يمنع مريديه والمحيطين به من الانخراط في العمل الحزبي، ومثالاً على ذلك فقد منع السيّدَ داوود العطّار ـ أحد مدرّسي مدرستهم في الكاظميّة ـ من الانخراط في الحزب، فتراجعت علاقة الأخير بالمدرسة[4]، وإن كان الشيخ مهدي الخالصي ـ نجل الشيخ محمّد﵀ ـ قد ارتبط بالحزب لفترة معيّنة وانسحب منه قبيل وفاة والده بفترة قصيرة بعد جلسة مغلقة معه لم تعرف تفاصيلها[5]، وكان مسؤوله الحزبي المباشر هو الشهيد عبد الهادي السبيتي[6].

السيّد الصدر﵀ يعرض (الأسس) على السيّد الخوئي﵀

أمّا حول إخبار السيّد الخوئي﵀، فقد زاره السيّد الصدر﵀ وشرح له وضع المجتمع وضرورة وجود دولة إسلاميّة، وقال له: «**بغير وجود حزب منظّمٍ يتبنّى مذهب أهل البيت**﵈ **ويعرض الإسلام الحقيقي الذي أتى به الرسول**ﷺ**، لا يمكن إقامة الدولة**». عندها استبشر السيّد الخوئي﵀ وقال: «**هذا هو الذي يجب أن يكون**». فذكر له السيّد الصدر﵀ أنّهم قد شكّلوا هذا الحزب، ففرح السيّد الخوئي﵀ لذلك.

وبعد ذلك عرض السيّد الصدر﵀ (الأسس) على السيّد الخوئي﵀ وطلب منه إبداء ملاحظاته عليها، فاستلمها السيّد الخوئي﵀ ووعد بذلك.

بعد ذلك اطّلع السيّد الخوئي﵀ على (الأسس)، وفي جلسة أخرى عقدها مع السيّد الصدر﵀، جرت مناقشة (الأسس) بعد أن كان للسيّد الخوئي﵀ العديد من الملاحظات، من أهمّها عدم قبوله بدلالة آية الشورى على الحكم الإسلامي، وكذلك إشكاله فيما يتعلّق بموضوع المرتدّ الفطري والمرتدّ الملّي، حيث جاء في (الأسس) أنّ توبة المرتدّ الفطري تقبل في زمن الشبهة، خلافاً لباقي العلماء الذين لا يرون توبة المرتدّ الفطري، وإنّما الملّي فحسب.

وبدأ السيّد الصدر﵀ يناقش السيّد الخوئي﵀، وكان النقاش يدور حول (إلحاد الشيوعيّين)، وممّا

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٢، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٢، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٢، نقلاً عن الشيخ جواد الخالصي نجل الشيخ محمّد الخالصي.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٦، نقلاً عن الشيخ جواد الخالصي.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٦، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي وكذلك أصل الموضوع عن الحاج صالح الأديب.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٦ ـ ٩٧، نقلاً عن عامر الكفيشي نقلاً عن الشهيد السبيتي نفسه.

ذكره السيّد الصدر﵀: «**هؤلاء حسب العرف السائد مرتدّون فطريّون، لذا فلو أقمنا الدولة الإسلاميّة، هل نعتقلهم؟ وإذا شهد عليهم الشهود بالردّة، هل نقيم عليهم الحدّ ونقتلهم؟ إنّ الحلّ غير عملي**».

بعد ذلك أخذ النقاش بينهما منحىً فقهيّاً خلص فيه السيّد الصدر﵀ إلى اعتبار هذا الزمن (زمن شبهة) فيما إذا أقيمت الدولة الإسلاميّة، وبذلك يمكن أن تقبل توبة المرتدّ الفطري. وقد قيل: إنّ السيّد الخوئي﵀ وافق السيّد الصدر﵀ فيما ذهب إليه من حكم شرعي.

كما وعرض السيّد الصدر﵀ (الأسس) على الشيخ حسين الحلّي وإن كان موقفه الفكري مغايراً[(١)].

وقد ظلّت (الأسس) مادّة التثقيف المركزي في حلقات الدعوة لسنوات عدّة حتى بعد أن طلب السيّد الصدر﵀ من الحزب الكفّ عن تداولها عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م[(٢)].

ولكنّ مصادر أخرى نفت بشدّة أن يكون السيّد الصدر﵀ قد أطلع أحداً على (الأسس)، لا السيّد الخوئي﵀ ولا السيّد الحكيم﵀، بل لو سئل عن هذه (الأسس) لأنكر أن يكون هو كاتبها[(٣)].

خصائص التنظيم الجديد (حزب الدعوة الإسلاميّة)

بالرغم من كتابة السيّد الصدر﵀ (الأسس)، فإنّ الحزب لم يشهد على عهده وجود نظام داخلي خاصٍ به، بل ولا حتّى اجتماعات منظّمة وإنّما كانت اجتماعات رهينة الحاجات الموردیّة[(٤)].

الطابع المذهبي: وقبل كلّ شيء نشير إلى مسألة الطابع المذهبي للحزب والتي أصبحت ـ وربّما في مراحل لاحقة ـ محلاً للخلاف، حيث كان الحاج عبد الصاحب دخيّل والشيخ عارف البصري﵄ يميلان إلى عدم تحديد الطابع المذهبي وأنّه مسألة شخصيّة[(٥)]، فيما تشير مصادر أخرى إلى أنّ إحدى خلافات السيّد الصدر﵀ مع الشيخ علي كوراني هي أنّ الأخير كان يدعو إلى أخذ التنظيم بعين الاعتبار فقهَ مختلف المذاهب الإسلاميّة، الأمر الذي كان يرفضه السيّد الصدر﵀[(٦)].

وعلى أيّة حال، فقد كان للحزب خصائص تنظيميّة واضحة وقيادات متعدّدة تتوزّع عليها المهام:

وقد اختصر بعض الباحثين خصائص التنظيم الجديد (حزب الدعوة الإسلاميّة) بما يلي:

١ ـ القيادة الجماعيّة: حيث كان العمل برأي الأكثريّة اعتماداً على مبدأ الشورى دونما ترجيح لرأي الفقيه وفقاً لما أسّس له السيّد الصدر﵀. وقد انعكس ذلك على سلوكه﵀ في قيادة الحزب

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٥ ـ ٩٦، نقلاً عن الحاج الأديب في مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٤/٩/٧م.

(٢) نقل الأستاذ صلاح الخرسان عن الحاج الأديب والسيّد حسن شبّر أنّ ذلك استمرّ حتّى قيام الحكم العارفي. (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٦). وسيأتي أنّ الحكم العارفي قد قام في ١٨/تشرين الثاني/١٩٦٣م (١/رجب/١٣٨٣هـ) . وقد ذكر في موضع آخر أنّ الحزب قد امتنع عن الكفّ عن تداول (الأسس) عام ١٩٧١م (حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٠٩).

(٣) مقابلة مع الشيخ عليٍ كوراني (حفظه الله). يُشار إلى أنّ الشيخ كوراني ورد النجف الأشرف هذه السنة (١٩٥٨م)، وقد التحق بالحزب لاحقاً، فلا موضوعيّة ملحّة لنفيه أموراً تتعلّق بهذه المرحلة، خاصّةً أنّه لا يبدو أنّه ينفي نقلاً عن أحد.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٥، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي والحاج محمّد صالح الأديب.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٧، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤م.

حيث لم ير لنفسه أو لرأيه خصوصيّة تلزم الآخرين بالإذعان نظراً لكونه فقيه الحزب أو مفكّره[١].

وقد نسب الشيخ علي كوراني إلى السيّد الصدر رحمه الله إيمانه بالجماعيّة في المرجعيّة أيضاً[٢]، بينما ينصُّ السيّد الصدر رحمه الله على أنّ النائب عن الإمام عليه السلام هو شخص المرجع في الأحوال جميعها[٣].

٢ ـ الطابع السلمي للحزب: وهذه الفكرة تقضي بإمكانيّة العمل من خلال المجالس البرلمانيّة، إلاّ أنّ هذه الفكرة انحسرت مع مجيء البعثيّين إلى الحكم حيث انقلبت إلى فكرة الانقلاب العسكري على الحكم[٤].

٣ ـ الطابع السرّي: وهو الذي حدّده السيّد الصدر رحمه الله بما أورده في إحدى النشرات الداخليّة لحزب الدعوة الإسلاميّة حيث جاء:

«الطريقة العامّة في عمل الدعوة في هذه المرحلة هي السريّة، لأنّ الدعوة يجب أن لا تبرز إلاّ في الوقت الذي تصبح فيه من الناحية الكميّة والكيفيّة بدرجة من الاتّساع والصلابة تجعل من العسير على أعدائها خنق أنفاسها والقضاء عليها. والسريّة التي نعنيها في هذه المرحلة هي سريّة تنظيم الدعوة وسريّة الأعضاء والخطط والاجتماعات والتحرّكات التنظيميّة، فلا يجوز للداعية أن يكشف للناس وجود الدعوة أو أسماء من يعرف من الدعاة حتّى لو تعرّض للأذى والضرر لأنّه لا يجوز في الإسلام إيقاع الضرر بالغير حتّى لدفعه عن النفس، مضافاً إلى أنّ كشف الدعاة يوقع الضرر بمصلحة الدعوة.

وأمّا الأفكار والأهداف التي تتبنّاها الدعوة فليست سريّة ولا داعي للتكتّم بها...»[٥].

وقد نسب السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله إلى السيّد الصدر رحمه الله عدوله عن فكريّة سريّة الحزب[٦].

٤ ـ المرحليّة: ومن خصائص حزب الدعوة الإسلاميّة إيمانه بفكرة المرحليّة في العمل، مؤمناً بوجود أربع مراحل تحكم العمل الإسلامي، وقد تعرّض السيّد الصدر رحمه الله إلى المراحل الثلاث الأولى منها دون أن يكون قد شجب كبرى المرحليّة[٧]، وإن كان بعض قياديّي الدعوة قد تحفّظ على فكرة المرحليّة باعتبارها تفوّت العمل السياسي من قبيل الشيخ عبد الهادي الفضلي[٨].

وهذه المراحل عبارة عن:

المرحلة التغييريّة: وتستهدف هذه المرحلة أن يصبح الحزب كتلة من المجاهدين تتمكّن كمّياً

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٦، نقلاً عن الشيخ علي كوراني والحاج صالح الأديب.

(٢) مسائل في البناء الفكري: ٩ ـ ١٠.

(٣) راجع متن أطروحة المرجعيّة ضمن أحداث سنة ١٣٩٢هـ حيث يصرّح السيّد الصدر رحمه الله بذلك.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٦ ـ ٧٧.

(٥) الردّ الكريم على السيّد محمّد باقر الحكيم: ٣١ ـ ٣٢ (نشرة داخليّة لحزب الدعوة الإسلاميّة كتبها السيّد الصدر بخط يده حول المرحلة الأولى من عمل الدعوة) ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٧. ولكنّ نسبة النصّ إلى السيّد الصدر رحمه الله لم تثبت لدينا.

(٦) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم: ٢٣٤ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٨، نقلاً عن المصدر. إلاّ أنّ الأمر ـ كما يبدو لي ـ تكتيكيٌّ بحت يرجع إلى الظروف العامة التي تتحكّم في إخفائه أو إعلانه.

(٧) مقدّمة مباحث الأصول: ٩٠.

(٨) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨١، نقلاً عن خير الله البصري.

وكيفيّاً من مباشرة عمل الدعوة بشكل علني عام وأن يصبح في الأمّة جماعات من أوساطها المختلفة تناصر الدعوة وتؤيّدها أو تتعاطف معها وتلهج بالإسلام...

المرحلة السياسيّة: والطابع العام لهذه المرحلة هو الجهادي السياسي بالإضافة إلى متابعة الجهاد الفكري بقدر ما تتطلّبه عمليّة التغيير والمعركة والإعداد للمرحلة التالية.

المرحلة الثوريّة: حيث تتهيّأ الدعوة لأخذ السلطة من الكافر، وأهمّ معالم هذه المرحلة تعاطف الأمّة مع الدعوة ومشاركتها إيّاها في انتزاع السلطة من الحكم الكافر.

مرحلة الحكم: حيث تكون الدعوة قادرة على تنفيذ المهمّة بعد أن تسعى إلى توفير أمرين:

أ ـ تنفيذ رعاية شؤون الأمّة وتطبيق أحكام الرعاية.

ب ـ أن تكون الرعاية نفسها متّفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام(١).

هيكليّة (حزب الدعوة الإسلاميّة)

أمّا حول هيكليّة الحزب، فقد تشكّل من عدّة هيئات ولجان:

١ ـ القيادة الفكريّة: المتمثّلة بالسيّد الصدر ومن يكلّفه رحمه الله بالكتابة، من قبيل السيّد محمّد حسين فضل الله، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله، السيّد مرتضى العسكري، الشيخ محمّد مهدي الآصفي والشيخ عبد الهادي الفضلي.

٢ ـ القيادة التنظيميّة: وتضمّ من بغداد المهندس محمّد هادي السبيتي وعبد الصاحب دخيّل رحمهما الله، ومن النجف السيّد مهدي الحكيم والشيخ عارف البصري رحمهما الله.

٣ ـ هيئة تحرير النشرة السريّة: التي لم تقتصر على أفراد معيّنين.

٤ ـ لجنة العلاقات العامّة للاتّصال بالمرجعيّة والعلماء والشخصيّات المهمّة: وكانت مؤلّفة من السيّد مرتضى العسكري والسيّد مهدي الحكيم وعبد الصاحب دخيّل رحمهما الله.

٥ ـ لجنة الاتّصال بالحركات الأخرى: وكانت مؤلّفة من الشيخ عارف البصري رحمه الله والشيخ عبد الهادي الفضلي.

٦ ـ هيئة إعداد الأفكار والمرئيّات: وكانت مؤلّفة من السيّد محمّد حسين فضل الله والشيخ محمّد مهدي شمس الدين والمهندس محمّد هادي السبيتي رحمهما الله والشيخ عبد الهادي الفضلي.

وكان الاتّصال بين الأعضاء الأوائل يتمّ بشكل مباشر، وبين غيرهم عن طريق رئاسات الخلايا(٢).

الشروع بتدريس الخارج (الأصول)

بعد فراغه من تدريس (كفاية الأصول)، طلب الطلاّب من أستاذهم أن يشرع في بحث (الخارج).

زمان الدرس:

يوم الثلاثاء (١٢/جمادى الثانية/١٣٧٨هـ) (١٩٥٨/١٢/٢٣م)(١)، بدأ السيّد الصدر رحمه الله بتدريس

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٥٨٢ ـ ٥٨٣ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٦، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

خارج الأصول على منهاج كتاب (كفاية الأصول)، وكان ذلك قبل المغرب بساعة واحدة عدا يومي الخميس والجمعة[٢]، وكانت مدّة الدرس تتراوح من نصف ساعة إلى ٤٥ دقيقة. وكان﵀ لا يعطّل في الصيف، ولكنّه مؤخّراً أقرَّ العطلة الصيفيّة[٣].

وكان عدد طلاّب درسه قليلاً في الفترة الأولى[٤]، منهم من كان معه في درس (الكفاية) كالسيّد نور الدين الإشكوري والسيّد محمّد باقر الحكيم﵀ والشيخ مفيد الفقيه[٥] الذي حضر مباحث الأصول اللفظيّة من أوّلها إلى آخرها ـ مع شطر من الأصول العمليّة ـ لم يفته منها شيء لأنّه لم يتغيّب عن درسه يوماً أبداً، وكان السيّد الصدر﵀ يبتهج لذلك، وكان الوحيد من بين الطلاّب الذي كتب الأصول اللفظيّة، وانفرد أخوه الشيخ يوسف الفقيه﵀ بكتابة الأصول العمليّة كاملة[٦].

وبالتدريج صار الطلاّب يلتفّون حول السيّد الصدر﵀ معرّفين بعضهم البعض:

ومن باب المثال فقد التحق السيّد كاظم الحائري بتشجيعٍ من السيّد نور الدين الإشكوري، فعرّف بدوره السيّد عبد الهادي الشاهرودي[٧]، كما أنّ السيّد محمّد الغروي التحق بالدرس بعد أن عرّفه عليه ابن خاله الشيخ محمّد الإصفهاني[٨]، بينما كان الداعي إلى التحاق الشيخ علي أصغر المسلمي بالدرس إعجابه بجواب السيّد الصدر﵀ عن سؤال وجّهه إليه في مجلسٍ جمعهما، وكان السؤال عن سبب ذهاب صاحب (الكفاية) إلى اقتضاء العلم للتنجيز في باب القطع، بينما اعتبر العلم الإجمالي علّة تامّة له في باب الاشتغال، فقال له﵀: «**هل يمكنك الانتظار حتّى ينزل الخطيب أم أنّك تريد الجواب الآن؟!**»، فأجابه الشيخ: «**صبر مى كنم**»، ولمّا انتهى المجلس وأجابه السيّد الصدر﵀ جواباً نال

---

(١) ذكر السيّد الصدر﵀ في إحدى وثائقه الخطيّة أنّه شرع في تدريس الخارج (الأصول) عام ١٣٧٩هـ لا ١٣٧٨هـ، إلاّ أنّ السيّد عبد الغني الأردبيلي﵀ ذكر أنّه شرع بذلك يوم الثلاثاء ١٢/جمادى الثانية/١٣٧٨هـ، وكذلك في ترجمة السيّد الصدر﵀ التي ألّفها تحت إشراف ومراجعة السيّد الصدر﵀ (﵁). وكان ينبغي لنا الاعتماد على ما ذكره السيّد الصدر﵀، إلاّ أنّ تحديد السيّد الأردبيلي﵀ اليومَ والشهرَ هو الذي دفع بنا إلى الأخذ بكلامه.

هذا ويُمكن أن يكون تاريخ بدء الدرس يوم الثلاثاء ١٣/جمادى الثانية لا ١٢ منها، لأنّ الدرس الرابع من الدورة كان يوم الأحد ١٣٧٨/٦/١٨هـ على ما استفدته من تقريرات السيّد نور الدين الإشكوري التي يؤكّد التاريخ الوارد فيها أنّ السيّد الصدر﵀ شرع في بحث الخارج سنة ١٣٧٨هـ.

(٢) ذكر الشيخ محمّد رضا النعماني أنّ ذلك كان بعد المغرب بساعة، إلاّ أنّ السيّد محمّد الغروي ذكر أنّه كان قبله بساعة، وهو ما أكّده لي السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ (٢٠٠٣/١٠/١٢م). ولعلّ ما ذكره الشيخ راجعٌ إلى المرحلة المتأخّرة من حياة السيّد الصدر﵀ بحكمِ كونه من طلاّبه المتأخّرين، وكونِ كلام السيّدين ناظراً إلى المرحلة المتقدّمة بحكم كونهما من قدامى طلاّبه خاصّةً السيّد الإشكوري الذي قد يكون ثاني طلاّبه أو أوّلهم.

(٣) ترجمة السيّد الصدر﵀، السيّد محمّد الغروي (﵁).

(٤) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري.

(٥) منّا.

(٦) موقع مجلّة (رسالة النجف) على موقع الإنترنت. ولعلّ المقصود أنّه الوحيد الذي كتبها كاملة، وإلاّ فهناك غيره ممّن قرّر منها شطراً.

(٧) انظر ذلك مفصّلاً ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ.

(٨) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﵀).

إعجابه، قرّر الشيخ الالتحاق بدرسه[١].

وظلّ عددهم يتزايد حتّى قيل: إنّه زاد على عدد طلاّب السيّد الخوئي رحمه الله أو ساواه[٢].

مكان الدرس:

وقد تنقّل درس الأصول بين عدّة أمكنة:

١ ـ ولعلّ أوّلها مسجد (الهندي) الواقع في سوق (القبلة).

٢ ـ كما انتقل الدرس إلى مسجد صغير في آخر عقد (صد توماني)، وهو عقد السيّد السيستاني الذي يقطعه شارع الرسول صلى الله عليه وآله من طرف سوق (القبلة).

٣ ـ ثمّ انتقل إلى مقبرة السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله.

٤ ـ وبعد فترة انتقل إلى منزل السيّد الصدر رحمه الله في سوق (العمارة).

٥ ـ وبعد ذلك انتقل إلى مقبرة آل ياسين حيث استقرّ هناك لفترة معتدٍّ بها[٣]. وكان يدخل قبل موعد الدرس بدقائق، فيقرأ الفاتحة لخاله رحمه الله ثمّ يبدأ الدرس[٤].

٦ ـ وبعد فترة انتقل درس الأصول إلى مقبرة (سلامة) قرب مسجد (الرأس)[٥].

٧ ـ وآخر مكان لدرس الأصول كان مسجد الجواهري[٦]، وقيل إنّه درّس لفترة في مسجد الشيخ الطوسي رحمه الله[٧].

كما ورد أنّه درّس في مدرسة الخليلي ومقبرة الحبّوبي[٨].

السيّد الصدر رحمه الله في درسه

كان السيّد الصدر رحمه الله يرفض أن يسند ظهره إلى (المتكّى) حال التدريس ويصرّ على الجلوس شأنه شأن سائر الطلبة وكان يسند ظهره إلى الحائط[٩]، حتّى أنّ الشيخ حسن أمهز أعدّ له فرشة

---

(١) مقابلة مع الشيخ علي أصغر المسلمي (حفظه الله).

(٢) نجف، آشيانه علم واخلاق، مصاحبه با سيد احمد مددى (فارسي)، مجله پژوهش وحوزه، شماره‍ ١٦: ٤٧.

(٣) المعلومات الواردة هنا مستفادة ممّا ذكره لي السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤ هـ. والقدر المتيقّن أنّ السيّد الصدر رحمه الله استمرّ في درسه في المقبرة إلى زمن التسفيرات بعد وفاة السيّد الحكيم رحمه الله.

(٤) ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٥) ذكر لي ذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢٦؛ وحدّثني بذلك الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

(٧) ذكر لي ذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م؛ تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٢٠ ـ ٢١؛ ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (حفظه الله)؛ السيّد محمود الهاشمي في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد كاظم الحائري والسيّد حسين هادي الصدر (حفظه الله).

وربّما كان السيّد الصدر رحمه الله قد نقل درس الأصول من مسجد الطوسي رحمه الله إلى مسجد الشيخ الجواهري رحمه الله لكثرة المجتازين في المسجد أثناء الدرس، على ما ذكره لي السيّد كمال الحيدري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م. وقد ذكر السيّد الغروي في (ترجمة السيّد الصدر رحمه الله) أنّ الدرس انتقل من مسجد الشيخ الطوسي رحمه الله لكثرة إقامة الفواتح.

(٨) خواطر محفوظة بدون سند (حفظه الله).

(٩) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٦٢)، ٢٤/ذي القعدة/١٤٠٤هـ؛ سمعتُه من السيّد كمال الحيدري في بعض شروحاته الفلسفيّة، وأظنّ أنّه في شرحه على (بداية الحكمة)، وهذا النقل ناظرٌ إلى مرحلة متأخّرة.

صغيرة مع وسادة ليرتاح أثناء إلقاء الدرس.

ولمّا وصل رحمه الله إلى درسه ورأى التغيير الحاصل غضب ونحّاهما ثمّ جلس وفق عادته(١). وذكر الشيخ منير الطريحي أنّه بعد انتقال السيّد الصدر رحمه الله إلى مسجد الشيخ الطوسي رحمه الله أخذ له فراشاً ووسادة ولكنّه رفض الاستفادة منهما، ولم ينزل عند رغبة الشيخ إلاّ بعد الإلحاح الشديد(٢).

وكان إذا اعترض تلميذٌ أصغى إليه ثمّ عقّب، وبعد الدرس يجلس طويلاً في مكانه للجواب عن استفسارات الطلبة، ثمّ يغادر إلى بيته وحيداً(٣)، وقيل: إنّه لم يكن يفضّل للتلميذ أن يُشكل في وقته على درس اليوم، فكان إذا اعترض أحدهم أسدل رأسه إلى أن يفرغ الطالب، ثمّ يرفع رأسه ويُكمل الدرس. فقيل له: «**هل هذا استخفافٌ بالطالب؟**»، فأجابهم: «**إنّ من البعيد أن يختمر في ذهن الطالب أثناء إلقاء الدرس إشكالٌ مستحكم، وعليه أن يفكّر في المطلب في بيته مليّاً. نعم؛ لو ذهب إلى البيت وفكّر في الدرس جيّداً ثمّ أشكل عليّ فأنا أسمع إشكاله**»(٤).

كان السيّد الصدر رحمه الله يجلس لساعات من أجل مناقشة الإشكالات العلميّة، ويستمرُّ في الطريق حتّى يصل إلى البيت ثمّ في البيت، إلى أن تتّضح الأمور لدى الطالب(٥)، وكان يقرّر إشكالات تلامذته ويذكرها أمام الطلاّب(٦)، كما كان يراجع تقريراتهم ويعلّق عليها، كما هو الحال مع السيّد نور الدين الإشكوري مثلاً(٧)، وكذلك الشيخ مفيد الفقيه الذي كان يكتب الدرس ويعرضه عليه فيعلّق عليه، وأحياناً يكتب عبارة: «**أحسنتم كثيراً**»(٨).

وكان في مقبرة آل ياسين غرفةٌ مع منافعها وسردابٌ معطّل، وكان مفتاح الغرفة بيد السيّد الصدر رحمه الله وخاصّةِ طلاّبه الذين حازوا على نسخة منه. وكان الدرس يعقد داخل الغرفة.

وكان بحوزة السيّد نور الدين الإشكوري مسجّل جديد(٩) ـ بلحاظ تلك الأيّام ـ وكانوا يضعونه داخل صندوق القبر المغطّى بالقماش الأسود، وقد مدّوا شريط المسجّل من تحت السجّاد إلى حيث يجلس السيّد الصدر رحمه الله، وكان السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله هو الذي يتولّى غالباً مسؤوليّة التحكّم بالمسجّل من خلال مفتاح مدّه إلى تحت المسند (المتكّى).

---

(١) مقابلة مع الشيخ حسن أمهز (دام عزه).

(٢) مقابلة مع الشيخ منير الطريحي (دام عزه).

(٣) ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (دام عزه).

(٤) نُقل لي ذلك عن السيّد كمال الحيدري ولم أسمعه منه مباشرةً. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ أخذ انطباع عن طبيعة أيّ شخص يحتاج إلى استقراء واسع لمواقفه، أمّا ما نقلناه في المتن فقد يفيد صورتين متباينتين، وقد يكون كلٌّ من النقلين معتمداً على موقف معيّن في ظرف معيّن مع شخصٍ معيّن، ثمّ عمّم إلى السلوك عامّة.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، ١٧/شعبان/١٤٠٥هـ.

(٦) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٦٢)، ٢٤/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.

(٧) انظر الوثيقة رقم (٢٤).

(٨) موقع مجلّة (رسالة النجف) على شبكة الإنترنت.

(٩) ذكر لي السيّد الإشكوري أنّ المرّة الأولى التي استخدموا فيها المسجّل كانت في مقبرة آل ياسين، وقد ذكر لي السيّد أيضاً أنّ المسجّل كان من نوع (Grundic) على ما في باله.

١ ـ وفي يوم من الأيام كان المسجّل على وضعيّة القراءة (Play) لا التسجيل (Record) فعلا صوت المسجّل، الأمر الذي أزعج السيّد الصدر رحمه الله كثيراً باعتبار أنّه قد تمّ افتضاح الأمر بعد أن كان تسجيل الدروس أمراً غير متعارف آنذاك.

ولعلّ السيّد الصدر رحمه الله كان أوّل من سنّ هذه السنّة التي اشتهرت اليوم، بعد أن كان السيّد محسن الحكيم رحمه الله أوّل من استعمل المذياع ومكبّر الصوت أثناء الدرس[(١)].

٢ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله قبل أن يلقي الدرس يقوم بتحضيره ثمّ يجلس مع نفسه يستعرض الأفكار التي سوف يلقيها على طلاّبه وكأنّه يعيش وحده، وقد يتّفق أن يكون طلاّبه معه في الغرفة نفسها يتحدّثون أو يتباحثون، فيلتفتون إليه فإذا به يتصبّب عرقاً من عمق التفكير والتركيز[(٢)].

وكان بعض طلاّب السيّد الصدر رحمه الله يقرّرون الدرس من خلال ما يحفظونه، وكان السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله يقرّر اعتماداً على الأشرطة المسجّلة، [والسيّد محمّد الصدر رحمه الله يقرّر أثناء الدرس][(٣)].

٤ ـ والمحاضرات التي ألقاها رحمه الله حول الأئمّة عليهم السلام كان [بعضها] في مقبرة آل ياسين[(٤)]، حيث كان يلقي محاضرةً حول المعصوم عليه السلام صاحب المناسبة بدل تعطيل الدرس كليّاً[(٥)].

٥ ـ وذات يوم دخل السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله إلى مجلس درس السيّد الصدر رحمه الله في مقبرة آل ياسين، فسكت السيّد الصدر رحمه الله، وقد ظنّ السيّد إسماعيل رحمه الله أنّ أخاه بصدد التفكير أو استحضار معلومة في ذهنه، ولكن بعد أن طال ذلك قال: «**سيّدنا تفضّلوا**»، فأجاب السيّد الصدر رحمه الله: «**سيّدنا ما يصير**» ورفض إكمال الدرس احتراماً لأخيه الأكبر، ولم يكمله إلاّ بعد إصرارٍ شديدٍ من السيّد إسماعيل رحمه الله[(٦)].

الفراغ من التحصيلات الفقهيّة عند السيّد الخوئي رحمه الله

في هذا العام، أنهى السيّد الصدر رحمه الله تحصيلاته الفقهيّة عند السيّد الخوئي رحمه الله[(٧)]، وكان السيّد

---

(١) هذا ما ذكره السيّد الإشكوري، وقد ذكر السيّد عبد الهادي الشاهرودي أنّه لم يكن هناك مسجّلٌ إلاّ في درس السيّد الخوئي رحمه الله. مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله)، ولعلّ في الوصف نوعاً من الإضفاء الأدبي.

(٣) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله)؛ وما بين [] من ذكره لي السيّد نور الدين الإشكوري.

(٤) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (حفظه الله).

(٥) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م في منزله في صور.

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م في منزله في صور.

(٧) ذكر السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله أنّ ذلك كان عام ١٣٧٩هـ والموجود في وثيقة خطيّة بيد السيّد الصدر رحمه الله نفسه أنّ ذلك كان عام ١٣٧٨هـ. وقد قدّمنا زمان شروعه في تدريس الخارج أصولاً على زمان فراغه من حضور الخارج فقهاً لأنّ المستفاد من بعض مذكّرات السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يدرّس الخارج لفترة وهو يحضر درس السيّد الخوئي رحمه الله، فوفّقنا بين هذه الأمور على النحو المذكور. كما يمكن ذلك فيما لو بنينا على أنّ فراغه من حضور الخارج فقهاً كان عام ١٣٧٩هـ.

الخوئي﵀ في حينها يدرّس كتاب الطهارة الذي شرع فيه في ٢٧/ربيع الأوّل/١٣٧٧هـ (٢٢/١٠/١٩٥٧م)[١]، بعد يومٍ واحد من فراغه من بحث (الخيارات) في كتاب (المكاسب)[٢]، فيكون قد حضر عنده في كتابٍ الطهارة حوالي سنتين[٣].

السيّد الصدر﵀ يعقد لطلاّبه مجلساً إرشاديّاً

بعد شروعه في التدريس بفترة من الفترات، أوعز السيّد الصدر﵀ إلى بعض طلاّبه بعقد مجلس ليلة الخميس أو الجمعة يحضره هو من أجل التوعية.

وقد استجاب السيّد نور الدين الإشكوري، فعقد في داره مجلساً ليلة الخميس كان يُقرأ فيه العزاء وقد استمرّ لمدّة طويلة، [وقد طلب السيّد الإشكوري من السيّد عامر الحلو قراءة العزاء، وكان يحضر هذا المجلس: الشيخ حسن طراد، الشيخ عبّاس الأخلاقي، السيّد عبد الغني الأردبليلي﵀، الشيخ مرتضى شريعتي، السيّد محمود الهاشمي، السيّد كاظم الحائري، الشيخ نجيب سويدان﵀، السيّد محمّد الصدر﵀، السيّد محمّد باقر المهري، الشيخ علي أكبر برهان، السيّد محمّد علي الباقري، السيّد منير البعلبكي، السيّد نجيب خلف..][٤]، وغيرهم.

ولم يكن السيّد الصدر﵀ يلقي محاضرة، بل كان يجيب عن أسئلة الحاضرين، ولكنّه كان يتعدّى السؤال من أجل بثّ المفاهيم الإسلاميّة، حيث كان يتحدّث حول مختلف الأمور. وقد استمرّ المجلس حتّى هجرة السيّد الإشكوري إلى الكاظميّة إثر وفاة السيّد إسماعيل الصدر﵀ سنة ١٣٨٨ هـ، [وكانت تقام عند الساعة السادسة بالتوقيت العربي].

وفي هذه الفترة كان السيّد الصدر﵀ يلقي في مناسبة وفيّات الأئمّة﵈ محاضرات حول سيرتهم، وكان بعض الطلاّب يحضرون ومعهم المسجّل للتسجيل[٥]:

١ ـ في إحدى الجلسات تعرّض السيّد الصدر﵀ إلى انخفاض الوعي لدى الأمّة، وعرّج إلى الحديث عن [مؤتمر القاهرة الذي عقده تشرشل في آذار/١٩٢١م لحلّ مشاكل الشرق الأوسط، حيث تقرّر تعيين فيصل ملكاً على العراق، وعبد الله أميراً على شرقي الأردن. وقد لاقى ذلك التعيين تأييداً شعبياً في العراق]، وكان السيّد الصدر﵀ يرجع ذلك إلى انخفاض الوعي لدى الأمّة التي تقبّلت هذا الوضع وراحت تنادي بنفسها بتنصيب فيصل ملكاً على العراق[٦]، وشرح كيف ضحكت

---

(١) معجم رجال الحديث ٢٣: ٢٢ ؛ فقه الشيعة / الطهارة ٢: ٤٧٦.
(٢) التنقيح في شرح المكاسب، الخيارات ٤٠: ٣١٣ (ضمن موسوعة الإمام الخوئي).
(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد صادق الجعفري (﵏).
(٤) ما بين [] من: ذكريات السيّد عامر الحلو (﵏)، وربّما لم يحضر هؤلاء كلّهم منذ تأسيس المجلس.
(٥) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (﵏) ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (﵏) ؛ وما بين [] من: مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (﵏). انظر بعض هذه المحاضرات في (أهل البيت﵈ ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة)، طباعة المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر﵀.
(٦) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (﵀) ؛ وما بين [] ذكره السيّد الإشكوري بالمعنى، ولكنّنا أوردناه بشكل دقيق من: موسوعة السياسة ٤: ٥٦.

بريطانيا على الملك حسين وقسّمت المنطقة[١].

وضرب مرّة مثالاً بالمريض الذي يذهب إلى الطبيب ويحصل على وصفة العلاج ولكنّه يضعها في جيبه ولا يلجأ إلى الدواء، وذكر أنّ حال الأمّة الإسلاميّة كحاله، فإنّ القرآن الكريم هو الوصفة الربّانيّة لعلاج الإنسان، إلاّ أنّ الناس عمدوا إليه ووضعوه على الرفوف ولم يعملوا به[٢].

٢ ـ وقد بقي السيّد الصدر لعدّة أسابيع يتحدّث عن إسرائيل الغاصبة والموقف منها ومن الحكومات، كما كان يتحدّث عن تاريخ العراق[٣].

٣ ـ وقد سُئل السيّد الصدر ذات يوم في بيت المرحوم السيّد عبد الغني الأردبيلي: متى تقوم الحكومة الإسلاميّة في العراق؟ فأجاب: «**لا تقوم الحكومة الإسلاميّة في العراق إلاّ إذا نضجت الحوزة العلميّة على مستوى الإشراف أو إدارة الحكومة الإسلاميّة**»[٤].

٤ ـ وفي إحدى الجلسات كان الجالسون يفكّرون في كيفيّة توعية الملسمين على الإسلام من أجل أن ينهضوا، فقال أحدهم: «**لو توجد أساليب سحر لاستعملناها**»، فأعجب السيّد باهتمامه وإخلاصه وحرصه وكان يقول: «**إنّ الإنسان الذي يريد أن يضلَّ الشباب المسلمين بمبادئه اليمينيّة أو اليساريّة، هذا يفكّر قبل أن ينام كي يعمل ليؤثّر على هذا الشاب بأفكاره الضالّة كالشيوعيّة مثلاً، إذن كم هو مخلصٌ لإلحاده؟ يفكّر بالأساليب التي يكسب بها ويؤثّر بها على هذا الأب أو جاره أو على آخرين. نحن لا يصحُّ أن يكون إخلاصنا للإسلام أقلَّ من إخلاص هؤلاء لإلحادهم ولمبادئهم المعادية للإسلام**»[٥].

٥ ـ وفي جلسة أخرى سنة ١٩٦٧م طلب الشيخ حسين كوراني ـ وكان في مدرسة العلوم الإسلاميّة ـ من السيّد عامر الحلو أن يرتقي المنبر في منزل السيّد الإشكوري في جلسة مساء الأربعاء التي كان يتغيّب عنها السيّد محمّد باقر الحكيم بفعل ارتباطه بكليّة أصول الدين يومي الثلاثاء والأربعاء[٦].

وبعد تردّد من السيّد الحلو قبل وقرأ لمدّة ربع ساعة. ولمّا أراد الانصراف طلب منه الشيخ خزعل السودانيّ البقاء لأنّ السيّد الصدر سيلقي كلمة.

وقد قارن السيّد الصدر في كلمته بين المرجعيّة الدينيّة في النجف وبينها في الأزهر، والتي تعيّن بقرار من رئيس الجمهوريّة، بينما المرجع في النجف تختاره الناس بالطرق الطبيعيّة[٧].

٦ ـ وفي إحدى الجلسات تحدّث السيّد الصدر عن سبب عدم جمع كثيرٍ من طلاّب الحوزة

---

(١) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني ().

(٢) مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر ().

(٣) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان ().

(٤) من كلمة للسيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٦/محرّم/١٤٢٢ هـ ؛ وانظر: مقابلة (٢) مع السيّد كاظم الحائري ().

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٣٩٦)، ٢/رمضان/١٤٠٩هـ، نقلاً عن الشيخ علي كوراني، نقلاً عن أحد الإخوة.

(٦) جاء في رسالة من السيّد الصدر إلى الشيخ علي كوراني أنّ السيّد الحكيم يقضي الخميس والجمعة في بغداد.

(٧) صحيفة (المنبر)، العدد (٥١)، في حديث مع السيّد عامر الحلو. ولو صحّ هذا النقل فإنّه مختصرٌ جدّاً، ومن الواضح بالنسبة إليّ أنّ الأمر عندنا لا يتمّ على هذا النحو، بل هو أعقد ممّا نقل عن السيّد الصدر.

بين الدرس وبين الاهتمام بالشأن العام، وكان ذلك إثر سؤال وجّهه إليه سابقاً الشيخ حسين كوراني[١].

٧ ـ وفي إحدى الجلسات تحدّث احد طلاّب السيّد الصدرﷺ حول أنّه ليست لدينا فلسفة إسلاميّة وإنّما هناك فلسفة للمسلمين، وقد صادقﷺ على ذلك، إلاّ أنّه اختلف مع أحد تلامذته الذي كان يرفض أيّ لجوء إلى ما أنتجته القارّة الغربيّة مكتفياً بما جاء في الكتاب والسنّة، وكان لا يرى مانعاً من الاستفادة ممّا توصّلت إليه البشريّة باعتباره قواعد عامّة[٢]، وكان على أيّة حال يرفض ـ حين دار حديثٌ عن فلسفة شرقيّة أو غربيّة ـ الحديث عن فلسفة إسلاميّة، بمعنى أن نفرض الفكر الفلسفي من مفكّرين مسلمين على الإسلام. إنّ إسلاميّة الفلسفة ليست من خلال أنّ هناك مضموناً فلسفيّاً يتمثّل في فكر هؤلاء، ولكنّ الإسلام مفاهيم يمكن أن تفلسفها، فقد يبلغ هؤلاء مداها وقد لا يبلغون. وفي كلّ حال، هي فلسفة المسلمين وليست فلسفة الإسلام بحيث تفرضها كحقيقة إسلاميّة إذا أنكرتها فإنّك أنكرت الإسلام[٣]، وهو ما يؤكّد عليه في مقدّمة (فلسفتنا) حيث يقول: «**ويحسن بالقارئ العزيز أن يعرف قبل البدء أنّ المستفاد من الإسلام بالصميم إنّما هو الطريقة والمفهوم، أي الطريقة العقليّة في التفكير والمفهوم الإلهي للعالم. وأمّا أساليب الاستدلال وألوان البرهنة على هذا وذاك فلسنا نضيفها جميعاً إلى الإسلام، وإنّما هي حصيلة دراسات فكريّة لكبار المفكّرين من علماء المسلمين وفلاسفتهم**»[٤].

وكان السيّد الصدرﷺ يعرض بعض آراءه الفلسفيّة، وكانت آراءً جديدة، فطلب منه السيّد كاظم الحائري ـ بعد أن التحق بدرسه ـ أن ينشرها، فكان جواب السيّد الصدرﷺ: «**إنّ مباني الفلسفة الأرسطيّة غير صحيحة، وأنا باستطاعتي أن أكتب كتاباً أبيّن فيه المباني الصحيحة، ولكن هل إذا دوّنتُ هذا الكتاب سيخلّدُ الإسلام؟ علينا بكتاباتنا أن نخدم الإسلام، وهذا الكتاب ليس فيه خدمة للإسلام لأنّ قسماً كبيراً من العقائد الإسلاميّة[٥] مبنيٌّ على فلسفة أرسطو، فلو رَدَدنا هذه الفلسفة، لربّما سبّب ذلك بلبلة على مستوى العقائد، فنحن لا نريد أن نكتب للكتابة ولا العلم للعلم، بل نريد أن نخدم الإسلام وإن كان بديل الفلسفة الأرسطيّة موجوداً**»[٦].

---

(١) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (ﷺ).
(٢) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (ﷺ).
(٣) السيّد محمّد حسين فضل الله في: كلمات في الشهيد الصدر الأوّل: ١٥ ـ ١٦.
(٤) فلسفتنا: ٥٢.
(٥) نسبةً إلى المسلمين لا إلى الإسلام.
(٦) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (ﷺ) ؛ وقد حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م ؛ وقد نقل لي ما يقرب منه الشيخ حيدر حب الله نقلاً عن السيّد محمود الهاشمي ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (ﷺ).

يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «سمعت سماحة آية الله السيّد كاظم الحائري ينقل عنه أنّه (رضوان الله عليه) كان يستطيع نسف الفلسفة الأفلاطونيّة، بل كان قد بدأ بذلك على مستوى الأحاديث والأبحاث الخاصّة بينه وبين بعض طلاّبه، ولم يبرز ذلك على شكل كتاب لأنّ قسماً من الناس يؤمنون بالله من خلال هذا الطريق، فلم يجد ضرورة أو حاجة تستلزم الخوض في هذا الموضوع» (الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار:٨٠).

وكان إشكالهﵫ مرتبطاً ببحث الوجود والماهيّة(١).

وإلى جانب هذه الجلسة، كان هناك جلسة خاصّة تقام أحياناً عصر الأربعاء أو في أوقات أخرى في بيوت بعض طلاّبه من قبيل الشيخ علي أكبر برهان والسيّد كاظم الحائري، وكان يقرأ فيها العزاء [السيّد عامر الحلو]، وكان يحضر السيّد نور الدين الإشكوري والسيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي والسيّد عبد الغني الأردبيليﵫ والسيّد عبد الهادي الشاهرودي والشيخ محمّد الإصفهاني والشيخ مرتضى شريعتي(٢).

وكانﵫ يحدّث طلاّبه عن الإخلاص، وكان يضرب مثلاً تداولوه، وهو أنّ الذي لا يوجد إخلاص في عمله مثله كمثل من يبيع ثروة طائلة بعصا من خشب(٣).

ومن كلمات السيّد الصدرﵫ الإرشاديّة لطلاّبه، والتي ألقاها بعد درس الأصول:

«قلنا كراراً ومراراً بأنّ كلّ هذه المطالب العمليّة إنّما نريدها وإنّما نتسلّح بها لأجل أن ننزل بها إلى ميدان الصراع والعراك مع أعداء الإسلام ومع أعداء الدين لحماية الإسلام، وإلاّ مجرّد الاطّلاع والاستيعاب للمطالب الأصوليّة أو الفقهيّة الدقيقة والتبحّر في هذه العلوم تبحّراً كاملاً، هذا لا يغيّر من وضع الإسلام شيئاً، ولا يقدّم من وضع الإسلام خطوة، لا يحلّ من مشاكل المسلمين مشكلة، ولا يقلّل من آلام الأمّة ألماً من الآلام، غاية ما نصنع لو فرضنا أنّنا اقتصرنا على أن نحقّق هذه المطالب تحقيقاً كاملاً واسعاً، أن نتأمّل في المعنى الحرفي، وأن نتأمّل في ماء الاستنجاء، ونتأمّل في بحث الأقلّ والأكثر الارتباطيّين، غاية ما يترتّب على ذلك أن نتوصّل إلى نكات علميّة صناعيّة بحيث قد تؤثّر أحياناً في تغيير الفتوى وقد لا تؤثّر، فبدل أن يقال: إنّ ماء الاستنجاء طاهر يقال بأنّه متنجّس. وهكذا بدلاً أن يقال إنّ السورة واجبة في الصلاة يقال بأنّها مستحبّة في الصلاة.

هذا المقدار يجب أن لا نقنع به، يجب أن لا نزهد ونكتفي بهذا المقدار، لأنّ هذا المقدار غير مربوط بهدفنا. أيُّ وضع يمكن أن يتغيّر لصالح الإسلام فيما لو فرضنا أنّنا توصّلنا إلى أنّ السورة ليست جزءاً من الصلاة بعد أن كانت السورة جزءاً من الصلاة في فتوى العلماء الأخيار السابقين، هل بهذا نقوم بفتح من فتوح الإسلام؟

هل بهذا نحقّق انتصاراً للإسلام؟ هل بهذا نقلّل من المآسي التي يعيشها المسلمون ؟ ! لا، لا يحصل شيء من هذا القبيل بمجرّد أنّنا نتوصّل إلى عدم وجوب السورة بعد أن كان العلماء السابقون يقولون بوجوبها. بالنتيجة كلّ من الفتويين فتوىً معذّرة، لو عمل بها المسلم يثاب يوم القيامة، في النهاية من حيث العذريّة والمنجزيّة وضمان دخول هذا المسلم إلى الجنّة لا يفرّق ما بينهما.

إذاً من هذه الناحية نحن دائماً يجب أن ننظر إلى العلم وإلى هذه المطالب بالمعنى الحرفي لا بالمعنى الاسمي، بما هي سلاح في خدمة الدين وفي خدمة الإسلام.

لعلّكم ترون أنّي أشدّ الناس شوقاً إلى هذه المطالب الصناعيّة واهتماماً بها وحرصاً عليها وسعياً وراءها، وأريد منكم أيضاً هذا، ولا أقصد من هذا الكلام التزهيد في البحث الصناعي. وأنتم ترون أنّ

---

(١) مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (رحمه الله). وقد جاء: «شابٌ من آل الحلو»، وقد أثبتنا اسمه ممّا ذكره السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.

(٣) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (رحمه الله).

وضعي الخارجي وعملي الخارجي مبنيٌّ على الاهتمام جدّاً بهذه المطالب الصناعيّة والتعب في سبيل تحصيلها وتدبّرها، وأنتم يجب أيضاً أن تكونوا هكذا، لكنّ الكلام في طبيعة النظرة إلى هذه المطالب. إنّ هذه المطالب وإنّ هذه التحقيقات يجب أن يُنظر إليها بالمعنى الحرفي لا بالمعنى الاسمي، بما هي سلاح. ودائماً يجب أن يتوجّه الإنسان إلى هذا المعنى لأجل أن لا تنقلب المقدّمة غاية، يجب أن لا نخلط بين المقدّمات والأهداف، فالعلم في الوضع المعاش هو قوّة من القوى وسلاح من الأسلحة، [ويجب] أن نتسلّح بكلّ الأسلحة في خدمة الإسلام، أحد الأسلحة التي يجب أن نتسلّح بها في خدمة الإسلام هو هذا العلم، يعني فهم الإسلام في نفسه لأجل أن يكون هذا قوّة بأيدينا في مقام ترويج الإسلام وإعلاء كلمته وتبليغ أحكامه، والوقوف في وجه التيّارات الكافرة التي تكتنف حياة المسلمين وتغزو عالم الإسلام من كلّ جهة ومن كلّ صوب.

وعلى هذا الأساس نحن قلنا بأنّ من أفضل الأساليب التي تجعلنا دائماً نتوجّه إلى حرفيّة هذا البحث لا إلى اسميّته، وإلى وسيليّته لا إلى غايته، وإلى أ نّه سلاح في خدمة الإسلام وأنّه جزء من الإمكانيّات التي يجب أن نبذلها جميعاً في خدمة الإسلام، يجب أن نبذل كلّ إمكانيّاتنا وطاقاتنا بما فيها هذه المعلومات في سبيل خدمة الإسلام، لأجل أن يكون هذا واضحاً دائماً وملتفتاً إليه بالالتفات التفصيلي.

من أحسن الأساليب في هذا السبيل: هو استقراء أحوال الأئمّة عليهم السلام باعتبارهم النماذج العليا في سبيل حمل الدعوة والدفاع عن الإسلام، وصرف كلّ الإمكانيّات والطاقات التي كانوا يملكونها في سبيل هذه الرسالة المقدّسة.

فعلى هذا الأساس يعتبر هذا المطلب أهمّ من البحث ذاته، [إذ يجب النظر] إلى حقيقة هذا البحث وإلى واقع هذا البحث وإلى غاية هذا البحث، إذ غاية هذا البحث هو أن نسلك في طريق الأئمّة وفي طريق مواكب الأنبياء والعلماء الصالحين الذين ضحّوا في سبيل الإسلام، وفي سبيل إعلاء كلمة الإسلام»[١].

المدّ الأحمر الشيوعي يغزو العراق

بعد انقلاب الرابع عشر من تموز، صعّد الحزب الشيوعي (الذي أعلن عنه ١٩٣٥م) عمله في العراق بعد إعلان بدء العلاقات بين الاتّحاد السوفييتي وبين قادة الانقلاب الجديد. وقد فسح لهم عبد الكريم قاسم العمل علانية، فدخلت العناصر الشيوعيّة إلى الدوائر الرسميّة ذات المستوى السياسي والإعلامي والعسكري، ونال العديد من الكوادر الشيوعيّة قربَ قاسم، واعتمد عليهم في تدبير سياسة العراق فاستبشر الشيوعيّون بالنصر وإمكان استلام السلطة في العراق، فأعلنوا الحرب على المقدّسات الدينيّة والعلماء.

وكان عبد الكريم قاسم قد شعر بالخطر من جرّاء تأييده لهم، بيد أنّ الظروف لم تسمح له بضربهم لأنّه كان على خلاف مع جمال عبد الناصر، فلم يبقَ من أعوانه سوى الحزب الشيوعي بعد أن سحبت الأحزاب القوميّة تأييدها له[٢].

وقد اعتمد الشيوعيّون على تضليل الناس، فأوحوا إليهم أنّ كلمة (الشيوعيّة) تعني (الشيعة)،

---

(١) انظر: ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في حياته وفكره: ٢٤٣.

غاية الأمر أنّ هذه الكلمة عصريّة.. وأنّ معنى الشيوعيّة هو إقامة سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وكانت بدايات التحرّك الإسلامي ضدّ الشيوعيّة في دار السيّد محسن الحكيم رحمه الله. فبعد أن صارت الدعوة إلى إلغاء الحجاب، قام الشيخ محمّد أمين زين الدين بتأليف كرّاس (العفاف بين السلب والإيجاب)، إلاّ أنّ الرقابة رفضت الموافقة على طبعه باعتباره يتضمّن أفكاراً رجعيّة.

وعلى إثر ذلك عقد اجتماعٌ في دار السيّد الحكيم رحمه الله يضمّ ١٥٠ إلى ٢٠٠ شخص معلنين احتجاجهم ضدّ الثورة، وبعث السيّد الحكيم رحمه الله بدوره إلى القائمقام قائلاً له: «**على أيّ أساس تعتبرون هذه الأفكار رجعيّة؟! إنّها أفكار الإسلام..**» وأظهر احتجاجه على ذلك. وبعد مدّة وافقت الرقابة على طبع الكرّاس[٢].

موقف السيّد الصدر رحمه الله

يقول السيّد الصدر رحمه الله يصف وضعه جرّاء اجتياح المدّ الشيوعي للعراق:

«أنا حينما مرّ بالعراق المدّ الأحمر (الشيوعي) كنتُ ألف مرّة ومرّة أمتحن نفسي، أوجّه إلى نفسي هذا السؤال: أنّي أنا الآن أشعر بألم شديد لأنّ العراق مهدّد بخطر الشيوعيّة، لكن هل أنّي سوف أشعر بنفس هذا الألم وبنفس هذه الدرجة لو أنّ هذا الخطر وجّه إلى إيران بدلاً عن العراق، لو وجّه إلى باكستان بدلاً عن العراق وإيران، لو وجّه إلى أيّ بلد آخر من بلاد المسلمين الكبرى بدلاً عن هذه البلاد.. هل سوف أشعر بنفس الألم أو لا أشعر بنفس الألم؟!

أوجّه هذا السؤال إلى نفسي حتّى أمتحن نفسي لأرى أنّ هذا الألم الذي أعيشه لأجل تغلغل الشيوعيّة في العراق هل هو لأجل خبزٍ سوف ينقطع عنّي؟! أو لمقامٍ شخصي سوف يتهدّم؟! أو لكيانٍ سوف يضيع؟! لأنّ مصالحي الشخصيّة مرتبطة بالإسلام إلى حدٍّ مّا؟!

فهل أنّ ألمي لأجل أنّ هذه المصالح الشخصيّة في خطر؟!

إذا كان هكذا، إذن فسوف يكون ألمي للشيوعيّة في العراق أشدّ من ألمي للشيوعيّة في إيران.. أو أشدّ من ألمي للشيوعيّة في باكستان.

وأمّا إذا كان ألمي لله تعالى، إذا كان ألمي لأنّي أريد أن يعبد الله في الأرض، وأريد لا يخرج الناس من دين الله أفواجاً..

فحينئذ سوف أرتفع عن حدود العراق وإيران وباكستان، سوف أعيش لمصالح الإسلام، سوف أتفاعل مع الأخطار التي تهدّد الإسلام بدرجة واحدة دون فرق بين العراق وإيران وباكستان وبين أيّ أرجاء العالم الإسلامي الأخرى!!..»[٣].

* * *

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٥٨.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) محاضرة المحنة: ٤٩ ـ ٥١ ؛ والمحاضرة مسجّلة على شريط كاسيت.

(جماعة العلماء) في النجف الأشرف

أجواء المرحلة

بعد انقلاب ١٤/تموز/١٩٥٨م (٢٦/ذي الحجّة/١٣٧٧هـ)، وفي الأيّام الأولى لحكم عبد الكريم قاسم، عقد مؤتمر الأدباء العرب في بغداد. وكان مقرّراً أن يأتي أعضاء المؤتمر إلى مدينة النجف الأشرف، وهي أوّل مرّة يزور وفدٌ بهذا المستوى مدينة النجف.

وفي حينها أوعز الشيوعيّون إلى أتباعهم ـ المنظّمين وغيرهم ـ بالتوجّه إلى المدينة لإظهار أنّ النجف فيها عددٌ كبيرٌ من الشيوعيّين. وبالفعل، فقد حدث اجتماعٌ كبيرٌ جداً على المستوى الشعبي.

وفي الوقت نفسه، عقد اجتماعٌ للعلماء في بيت الشيخ محمّد جواد الشيخ راضي للبحث في هذا الموضوع لخطورته على سمعة النجف الدينيّة، لأنّ هذه الوفود سوف تذهب إلى أنحاء العالم العربي وتظهر النجف وكأنّها مدينة شيوعيّة.

وهناك دار نقاشٌ طويلٌ حول الموضوع، ثمّ استقرّ القرار على الذهاب إلى السيّد محسن الحكيم رحمه الله والطلب منه أن يطلب من المسؤولين بأن تجعل السيطرة على الصحن الشريف بيد المرجع.

وبالفعل، كتب السيّد الحكيم رحمه الله رسالة إلى فؤاد عارف أحد الضبّاط الأحرار، والذي كان متصرّفاً للواء كربلاء آنذاك، وكان يحترم السيّد الحكيم رحمه الله، وكان مضمون الرسالة: «**يصلك ولدنا السيّد مهدي، وسوف يحدّثك عن الموضوع..**».

ذهب السيّد مهدي رحمه الله برسالة والده إلى فؤاد عارف عند الظهر، وهناك قال له: «**إنّ هذه الوفود القادمة إلى مدينة النجف لم تأتِ لمشاهدة بنايات أو محلاّت تجاريّة، ففي بلادهم أرقى وأحسن ممّا هو موجود في النجف. وإنّما هم قادمون على اعتبار أنّ النجف مركز من مراكز الحوزة العلميّة. وعلى هذا الأساس، فإنّنا نطلب أن يسلّم الصحن بأيدينا، ولا يسمح لأيّة فئة من الفئات أن تدخل إلاّ بموافقتنا**».

فوافق عارف على ذلك، واتّصل مباشرةً تلفونيّاً بقائمقام النجف آنذاك تقي القزويني ـ الذي كان مندفعاً بشدّة إلى الشيوعيّين ـ وحدّثه حول الموضوع وقال له: «**السيّد مهدي سيأتيك**».

اتّصل السيّد مهدي بالقزويني وقال له: «**اتّصل بك أبو فرهاد فؤاد عارف**». فقال: «**نعم ولكن لا يمكن ذلك لأنّنا لا نستطيع أن نوفّر الحماية لكم، ونحن نخاف عليكم من الجماهير**». فقال له السيّد مهدي رحمه الله: «**إذا كان الموضوع موضوع جماهير، فالدولة مسؤولة عن توفير الحماية. وإذا لم تستطع ذلك، فنحن نوفّر الحماية ولكن بشرط أن أقدّم لك طلباً بالموضوع وأنت اكتب عليه لا نستطيع توفير الحماية**» وأغلق السيّد مهدي الهاتف. وبعد قليل اتّصل به القزويني وقال: «**إنّ كلّ ما في القضيّة هو وجود ضغط عليّ من قبل الشيوعيّين**».

وتمّ الاتّفاق أخيراً على الموضوع وتمّ استلام الصحن بشكل رسمي وتمّ إغلاق الأبواب، ولم يكن يسمح بالدخول إلاّ للأشخاص الذين يرغبون بهم. وفي حينها طبع كتيّب للشيخ عبد الهادي

الفضلي باسم «**النجف في سطور**»[(١)].

وفي هذه الفترة التي ظهر فيها على سطح المسرح السّياسي في العراق مجموعة من التيّارات السياسيّة والفكريّة، احتدم الصراع في المرحلة الأولى بين التيار الماركسي من جانب ـ والذي كان يقوده الحزب الشيوعي العراقي والذي كان يحصل على الدعم المعنويّ من قائد الانقلاب عبد الكريم قاسم ـ وبين مجموعة التيّارات السياسيّة الأخرى من جانب آخر، كالتيّار القومي الذي كان يجمع بين الناصريّين والبعثيّين وغيرهم والذي كان له وجودٌ سياسيٌّ في الحكم وفي الشارع بسبب الدعم الذي كان يحصل عليه من الجمهوريّة العربيّة المتّحدة حينذاك بقيادة جمال عبد الناصر، وكالتيّار الإسلامي الذي كانت تتعاطف معه جماهير واسعة من الشعب العراقي المسلم دون أن يكون له وجودٌ سياسيٌّ قويٌّ عدا بعض الأحزاب السياسيّة الإسلاميّة الصغيرة.

وقد وجد علماء النجف الأشرف أنّ من الضروري أن يطرح الإسلام بوصفه قوّةً فكريّة وسياسيّة أصيلة تنتمي إلى السماء وتمتدّ جذورها في الشعب المسلم[(٢)]، إضافةً إلى ضرورة مواجهة المدّ الشيوعي الذي بات يهدّد الوجود الديني[(٣)]، فكان تأسيس (جماعة العلماء) وليد الحاجة الملحّة التي شعر بها العلماء إزاء عدم وجود حركة علمائيّة تواجه الخطر المفاجئ الذي يهدّد الكيان الإسلامي ولم تستعدّ النجف لمواجهته ومقاومته[(٤)]، هذا الخطر الذي ساهم بعض رجال المنبر الحسيني بترسيخه، حيث راح بعضهم مثلاً ينتقد قبّة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام الذهبيّة ويدعو إلى إنشاء المصانع لتشغيل الناس بدل بذل المال فيها[(٥)]، وفي المجال نفسه راح الشيوعيّون يكتبون على الجدران معرّضين بقبّة المرقد: «**أنّى لك هذا؟!**»[(٦)].

وفي ليلة من الليالي كان الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله خارجاً من الحرم الشريف متوجّهاً إلى منزله عبر سوق العمارة، وإذا به يرى الجماهير مجتمعة في تلك البقعة المجاورة لمرقد الأمير عليه السلام وخطيبهم على المنبر يردّد قصيدةً وإلى جانبه الجماهير تردّد مستهلّها: «**عاش زعيمي عبد الكريمي.. الحزب الشيوعي للحكم مطلب عظيمي**»، فاعتراه شعورٌ سيّء وراح يفكّر في سبب انقلاب وضع هذا البلد المقدّس ممّا كان عليه إلى الدعوة إلى الإلحاد والزندقة ـ حتّى صارت

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ١٩ ـ ٢١ ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (قدس سره). ويذكر السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أنّ عنوان (جماعة العلماء) جاء من رسالة السيّد الحكيم رحمه الله حيث عبّر بـ«جماعة من علماء النجف».

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، نقلاً السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مجلّة الجهاد، العدد (١٤) ؛ وانظر: مقدّمة مباحث الأصول: ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) انظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٤٦، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مقابلة مع السياسي الإيراني رياضي: ٧ ؛ المصدر نفسه، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

(٤) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤٣، نقلاً عن صحيفة الجهاد، العدد (٣٣٦)، ١/رمضان/١٤٠٨هـ : ١٣.

(٥) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٦) كنتُ قد وثّقت هذه المعلومة، ولكنّ خللاً حدث في الجهاز أدّى إلى ضياعها فأثبتّها من الذاكرة، وأغلب الظنّ أنّي كنتُ قد نقلتها عن الشيخ علي كوراني في مقابلة (١) معه (قدس سره).

صور (لينين) و(ستالين) تملأ الشوارع ـ فعرّج على بيته عبر طريق آخر كي لا يخترق الجماهير وهو بتلك الحالة.

كما أنّ الشيخ حسين الحلّي خرج ذات ليلة متوجّهاً إلى بيته، حتّى إذا وصل إلى دورة الصحن الشريف أحاطت به جماعة وبأيديهم الحبال وهم يردّدون: «**الحزب الشيوعي للحكم مطلب عظيمي.. والحبال موجودة**»، فأجابهم مردّداً: «**والحبال موجودة**»، فانصرفوا ولم يتعرّضوا له[1].

فكرة تشكيل (جماعة العلماء)

يبدو أنّ فكرة تأسيس (جماعة العلماء) تعود بشكل رئيس إلى الشيخ محمّد حسن الجواهري الذي كان والسيّد محمّد باقر الشخص وراء فكرة تأسيس (الجماعة)، وقد عرضا الفكرة فيما بعد على السيّد الحكيم فباركها وأيّدها[2].

وتفصيل الكلام أنّ الشيخ محمّد حسن الجواهري كان قد اعتاد منذ نشأته على إقامة المآتم لأهل البيت، بعضهم لثلاثة أيّام وبعضهم ليوم واحد. وبعد انقلاب عبد الكريم قاسم وازدياد نفوذ الشيوعيّين وشروعهم في الترويج لأنفسهم، كان لدى الشيخ الجواهري مجلسٌ بمناسبة شهادة الإمام الرضا في ١٧/صفر/١٣٧٨هـ (١٩٥٨/٩/٢م)[3]. وكان آخر من بقي في المجلس صديقه السيّد محمّد باقر الشخص، وقد استعرضا معاً وضع النجف والحوزة، وقد قال السيّد الشخص: «**أليس من المؤسف أن لا يكون في النجف الأشرف مركز التشيّع ومنبع الخيرات خمسمائة طالب يتدرّجون حسب سلّم التحصيلات العلميّة؟!**»، فأجابه الشيخ الجواهري: «**إنّ أملك عظيم ومرامك كبير، أنا أطمح إلى أن يكون فيها خمسون شخصاً ممّن وصفتهم في كلامك**»، فقال له: «**ما العمل إذن؟!**»، فأجابه: «**إنّ العلاج إذا كان بحديث عابر جلسنا سويّاً وتحدّثنا، وإن كان على أساس نظام معيّن فهذا بحثٌ آخر**»، فقال: «**لا، ليس الأمر مجرّد تأسّف، بل يجب أن يتغيّر هذا الوضع**». فقال الشيخ الجواهري: «**عندما كان العلم زاهراً في هذا البلد كان المهام موزّعة بين الشخصيّات المتواجدة في هذا البلد، كان هناك مرجع يقوم بمهامه المعهودة من تدريس وإفتاء وقبض وإقباض وما إلى هناك، وكان إلى جانبه شخصيّات علميّة سياسيّة واجتماعيّة، وكانت عبارة عن حلقة وصل بين المرجعيّة وبين الرأي العام، وكانوا في السحة، فإذا حدث ما فيه ضرر على الإسلام والمجتمع كانوا يعملون والمرجعيّة تسندهم. إلاّ أنّ الوضع تغيّر، فقد أصبح المرجع يريد أن يكون هو الكلّ في الكل وبيده كلّ الأمور، ويريد أن يكون ابنه هو حلقة الوصل بينه وبين الحكومة، فلا حاجة إلى الشيخ جواد صاحب الجواهر، الشيخ عبد الكريم الجزائري، السيّد محمّد تقي بحر العلوم.. عندها اختلّ النظام واختلّ التوازن وعمّت الفوضى، لأنّ هؤلاء لم يكونوا وليدي الساعة وإنّما كانوا وليدي عشرات السنين يعرفون ماذا يقولون وماذا يفعلون وكيف يدخلون وكيف يخرجون، أمّا ابن المرجع**

---

(١) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري.

(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١١٧.

(٣) في المصدر ١٧/صفر/١٩٥٩م، ولكنّه يصرّح أنّه في صفر الذي تلا انقلاب قاسم وحدّده بـ(حوالي بعد شهرين)، فيكون الصحيح ١٧/صفر/١٣٧٨هـ.

فهو فارغ من جميع الجهات ولا يملك ما يملكه هؤلاء»، فقال السيّد الشخص: «**إذن ما العمل؟!**»، فأجابه الشيخ: «**الآن حان وقت الصلاة، والحديث طويلٌ عريض وله صلة، فلنقم الآن إلى الصلاة**».

وفي اليوم التالي التقيا مجدّداً، كما التقى الشيخ الجواهري بأشخاص آخرين من قبيل الشيخ محمّد رضا المظفّر، السيّد محمّد تقي بحر العلوم، السيّد محمّد صادق الصدر، السيّد إسماعيل الصدر، السيّد موسى بحر العلوم، الشيخ جواد الشيخ راضي، الشيخ محمّد طاهر الشيخ راضي، السيّد مرتضى الخلخالي، الشيخ محمّد تقي الأيرواني، وآخرين، وقال لهم: «**إنّ الذي أراه هو أنّ تكليفنا في الوقت الراهن هو أن نقوم بتشكيل جماعة من العلماء يكون لها وزنها ومكانتها ويكون لها رئيس لا يطمع في مرجعيّة أو في قيادة وإنّما هو رئيس هذه المجموعة العلميّة، فإذا تمّ هذا الموضوع حينئذٍ نشرع في المرحلة الثانية في ما هو التكليف المتوجّه إلى الجماعة**»، فوافقوا على ذلك بالاجتماع. ونصّب بعض الحاضرين الشيخ محمّد حسين الهمداني رئيساً للجماعة، فقالوا: «**كيف نحصل على موافقته على الموضوع**»، فقال الشيخ الجواهري: «**نذهب إليه ونصارحه بالموضوع ونعلن له أنّ هدفنا خدمة الدين وليس هدفنا حركة سياسيّة**»، فقصده في منزله في الجديدة مع السيّد محمّد صادق الصدر، وقد رحّب بالفكرة بمجرّد عرضها عليه وعقّب قائلاً: «**وممّ أخشى، غاية ما هناك أنّ الشيوعيّين يمكن أن يقتلوني، وما أسعدني بالشهادة. فأنا معكم، ولكن أعلموني بأوقات اجتماعي قبل مدّة لأكون معكم**»، فشكروه وخرجوا من عنده.

وكان رأي الشيخ محمّد حسن الجواهري أن يكون الشيخ مرتضى آل ياسين رئيس هذه الجماعة، بينما كان رأي بعض الحاضرين ـ الذي كان قد اعترض على دعوة السيّد إسماعيل الصدر للمشاركة ـ أن يكون رئيسها السيّد علي بحر العلوم. ولكنّ الشيخ الجواهري ناقشه في ذلك باعتبار أنّ السيّد علي قريبٌ إلى السيّد محسن الحكيم فتصبح الجماعة حكيميّة، وهم يريدون لهذه الجماعة أن تبقى غير منحازة إلى مرجعٍ دون آخر.

وتمّ الاتّفاق على مفاتحة الشيخ مرتضى آل ياسين بالموضوع وإحضاره من الكاظميّة التي كان يقضي فيها عطلته، ولكن شرط أن لا يتّجه هو إلى المرجعيّة وطرح رسالة عمليّة، ومتى ما اتّجه هذا الاتّجاه فإنّهم سينفصلون عنه.

وبينما هم يتهيّأون للذهاب إلى الكاظميّة أقبل الشيخ آل ياسين بنفسه، وتمّت مفاتحته بالموضوع. وبعد ذلك انتظمت جلسات (الجماعة) كلّ أسبوع أو أقلّ أو أكثر يتمّ فيها البحث في ما يُمكن القيام به إزاء ازدياد خطر المدّ الشيوعي، وذلك كلّه دون أن يكون لهذه (الجماعة) نظام داخلي مؤلّف من مواد وقوانين.

وفي جلسةٍ من الجلسات[1] وقبل البدء بأعمال الجلسة تحدّث الشيخ محمّد حسن الجواهري

---

(١) أفاد الشيخ محمّد حسن الجواهري أنّ الجلسة عقدت في ذكرى وفاة السيّد الزهراء في ١٥/جمادى الثانية/١٣٧٨هـ (١٩٥٨/١٢/٢٦م). وفي النفس من ذلك شيء، لأنّ المنشور الأوّل لجماعة العلماء والذي كتبه السيّد الصدر بتوجيه ومراجعة من قبل السيّد محسن الحكيم جاء بتاريخ ٢٣/جمادى الأولى، وهذا يعني أنّ المرجعيّة كانت قد اطّلعتً على نشاطات الجماعة قبل هذا التاريخ، وكذلك تسرّب العناصر الشابّة إليها.

حول ضرورة مفاتحة المراجع بالموضوع وأنّه لا يصحّ أن يبقوا بمنأى عمّا يجري.

وبهذا الصدد قصد الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله واقترح عليه الذهاب إلى منزل السيّد محسن الحكيم رحمه الله وإطلاعه على تشكيل (الجماعة) واستمزاج رأيه، ولكنّ الشيخ أبدى تحفظّه على الموضوع وقال: «**في نفسي من ذلك شيء**» وذكره له، فأجابه الشيخ الجواهري رحمه الله: «**نحن عندما اتّفقنا على خدمة الدين ألم نتّفق بذلك على أن نترك كلّ ما نفوسنا من أحاسيس مانعة عن هذه الخدمة؟!**»، فقال: «**بلى**»، فقال: «**هذا أحدها، وأنا أرجوك في يومك وفاة الزاهراء عليها السلام أن نذهب إلى السيّد محسن ونعزّيه بالصدّيقة الظاهرة ونخبره بما أجمع عليه هؤلاء العلماء الأفاضل**»، فقال رحمه الله: «**بخدمتكم**».

وفي الأثناء دخل عليهم السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله، فقال الشيخ الجواهري: «**وهذا السيّد إسماعيل قد جاء، فلنذهب إليه ثلاثتنا**».

وبعد تقديم التعزية بالزهراء عليها السلام ذكروا له ما عندهم، فرحّب السيّد الحكيم رحمه الله به كلّ الترحيب وقال: «**هذا نعم العمل ونعم الرأي ونعم التفكير.. نسأل الله أن يسدّد خطاكم ويأخذ بساعدكم ويشدّ أزركم..**».

وبعد خروجهم من عند السيّد محسن الحكيم رحمه الله رجعوا إلى منزل الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله الذي خاطب الشيخ الجواهري رحمه الله قائلاً: «**لقد انتهى الأمر كما تحبّ**»، فأجابه: «**لا، الأمر لم ينتهِ بعد، الآن علينا الذهاب إلى السيّد حسين الحمّامي، إنّ ذهابنا إلى السيّد محسن وعدم ذهابنا إلى السيّد الحمّامي انحيازٌ إلى الأوّل**»، فقال رحمه الله: «**بخدمتكم**»، وذهبوا جميعهم إلى السيّد الحمّامي رحمه الله الذي لم يقف موقفاً إيجابيّاً من الموضوع، حيث كان بعض من يثق بهم ويركن إلى قولهم قد صوّروا له (الجماعة) على أنّها ذات هدف خاص وذات غرض خاص لا يرتبط بالدين وإصلاح حال المسلمين، فخرجوا من عنده متأثّرين ـ لا منه ـ ممّن جعله يكوّن هذا الانطباع عنهم.

يُشار إلى أنّ أشخاصاً حاولوا ثني الشيخ الجواهري رحمه الله عن الانتساب إلى (جماعة العلماء) التي وصفوها بـ(جماعة العملاء)، ومنهم أحد الأشخاص المحترمين الذي سرد له الشيخ الجواهري أسماء أعضاء (الجماعة) وطالبه بتقديم ملاحظة على أحدهم، فاعتذر ذلك الشخص وشجّعه على البقاء فيها قائلاً: «**اثبت ثمّ اثبت ثمّ اثبت، ولا تكترث بهذه الأقاويل الخبيثة**» وأيده كلّ التأييد.

وفي إحدى جلسات (الجماعة) في منزل الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله تمّ الاتّفاق على الابتعاد بالجماعة عن الأحزاب السياسيّة، وتمّ الاتّفاق كذلك على أنّ (الجماعة) تنحلّ تلقائيّاً إذا شعروا بميل أحد أعضائها نحو حزب من الأحزاب.

ولهذا اشتدّ النزاع بين الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله وبين أحد الأعضاء الذي تحسّس الشيخ الجواهري ميوله نحو عبد الناصر، وكانت وجهة نظر ذلك العضو أنّ (جماعة العلماء) لا تقوى على مواجهة الشيوعيّين دون الاستعانة بحزب من الأحزاب، وذكر أنّ الحزب الشيوعي كلب أسود بينما الحزب القومي كلب أبيض، ولكنّ الشيخ الجواهري أصرّ على موقفه وقال له: «**أنا لا أميّز ـ وكذلك الله ـ بين كلب أسود وآخر أبيض، كلاهما كلب، وأنا لا أتمايل إلى حزب أبداً، وإذا كنتم ستتّجهون إلى الأحزاب فأنا لستُ معكم**»، وكان أن انزعج ذلك العضو وغادر المنزل، وحيث كان

الشيخ الجواهري﴿رحمه الله﴾ محتدّاً فإنّه لم يقم بتشييعه إلى الباب.

وفي جلسة أخرى وأثناء تشييع الشيخ محمّد حسن الجواهري﴿رحمه الله﴾ الشيخ خضر الدجيلي﴿رحمه الله﴾ إلى الباب قال له: «**لقد عرض في ذهني أمرٌ لا ينبغي أن أقوله أنا للجماعة، فإنّ أكثرهم أكبر منّي سنّاً، وأحبّ أنّك ـ باعتبارك شيخاً كبيراً ـ أن تقول لهم: إنّه قد عرض في ذهنك أمرٌ وأنت خارجٌ من البيت، فيقولون لك ما هو فتقول لهم: في الإخلاص لله يكون الخلاص**». فرجع الشيخ وقال: «**لقد أزعجتُ الشيخ إذ عليّ أن يشيّعني مرّة أخرى، لكن عرض في ذهني أن أخاطبكم جميعاً: في الإخلاص لله يكون الخلاص ممّا تريدون الخلاص منه، فإذا كان في قلب أحدكم شائبة دنيا فليجرّد نفسه منها**»، ثمّ شيّعه الشيخ إلى الباب[1].

تاريخ ولادة (جماعة العلماء)

لقد حدث هذا التحرّك لدى العلماء بعد انقلاب عبد الكريم قاسم بحوالي شهرين[2]، وبالتحديد

---

(١) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (﴿دام عزه﴾). وربّما التقى هذا الرأي حول تشكيل (الجماعة) مع الرأي الذي يتحدّث عن مبادرة العلماء الأعلام ـ من المستويات العالية من أهل الفضل ممّن يعدّ من الطبقة الثانية في المستوى العلمي بعد طبقة المراجع وأكابر الفقهاء ـ إلى تجميع الطاقات وبناء كتلة علمائيّة ضمّت عشرات العلماء والمفكّرين، وحظيت بدعم وتأييد المراجع وفي مقدّمتهم السيّد محسن الحكيم﴿رحمه الله﴾ (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤٣، نقلاً عن صحيفة الجهاد، العدد (٣٣٦)، ١/رمضان/١٤٠٨هـ : ١٣). وهناك اتّجاهان آخران قد لا نرتضيهما:

الاتّجاه الثاني: وهو الذي يتحدّث عن دور رئيس للسيّد محسن الحكيم﴿رحمه الله﴾ في تأسيس الجماعة، حيث يؤكّد السيّد محمّد باقر الحكيم﴿رحمه الله﴾ على أنّ وجود جماعة العلماء يرتبط بشكل رئيسي بعقليّة السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ واهتمامات المرجعيّة الدينيّة وطموحاتها الكبيرة التي كانت تتمثّل بالسيّد محسن الحكيم﴿رحمه الله﴾، بالإضافة إلى الشعور بالحاجة الملحّة لمثل هذه الأطروحة لدى شريحة كبيرة من الأمّة. ورغم أنّ السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ لم يكن أحد أعضاء (جماعة العلماء) لصغر عمره إلاّ أنّه كان له دورٌ رئيسيٌّ في تحريكها وتوجيهها (شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٠، نقلاً السيّد محمّد باقر الحكيم﴿رحمه الله﴾ في مجلّة الجهاد، العدد (١٤) ؛ وانظر: مقدّمة مباحث الأصول: ٧٢ ـ ٧٣).

وفي نصٍّ أوضح دلالةً يصرّح السيّد محمّد باقر الحكيم﴿رحمه الله﴾ بأنّ «تأسيس الجماعة كان بمبادرة من الإمام الحكيم وبعض العلماء وأجهزة المرجعيّة حينذاك» وبأنّ السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ لم يكن وراء تأسيسها (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨٠، الهامش ١٩). وربّما التقى مع هذا الاتّجاه الحديثُ عن تأسيس الجماعة بفعل قرار من المراجع ما عدا السيّد حسين الحمامي﴿رحمه الله﴾ (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٢٥، تعليقة السيّد مرتضى العسكري على الكتاب الأوّل للسيّد محمّد الحسيني).

الاتّجاه الثالث: وهو الاتّجاه الذي يكاد ينيط تأسيس الجماعة بالسيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ نفسه، حيث تذكر بعض المصادر أنّ «فكرة تشكيل جماعة العلماء في النجف الأشرف تعود إلى السيّد الصدر الذي طرحها أولاً داخل قيادة الدعوة الإسلاميّة، حيث نوقشت واعتبرت خطوة ضروريّة لمواجهة المدّ الشيوعي في ذلك الوقت» (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٧، نقلاً عن: الحركة الإسلاميّة المعاصرة في العراق، سامي العسكري، مجلّة الفكر الجديد، العدد (٤): ٢٤١).

ولكنّ الذي يبدو لي هو أن مجموعة من العلماء ـ من الطبقة الثانية ـ تحرّكت لتأسيس الجماعة دون أن يكون للسيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ أيّ دور في ذلك، وكان ذلك متزامناً مع الهموم التي عاشها السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ إزاء المدّ الشيوعي. وبعد تشكّل الجماعة باركها السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ وتبنّاها ورعاها، في الوقت الذي تسرّب إليها السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ خاصّة وعناصر حزب الدعوة عامّة، حتّى شهدت الجماعة بعد ذلك تحوّلاً في سياستها وهمومها وغاياتها.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٤، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم﴿رحمه الله﴾ في مقابلة مع السياسي

في ١٧/صفر/١٣٧٨هـ (١٩٥٨/٩/٢م)[١]، ولكنّ (الجماعة) عقدت جلساتها الإصلاحيّة في أوائل جمادى الأولى/١٣٧٨هـ[٢]، ولم يكن تأسيسها سنة ١٩٥٩م كما صرّحت بعض المصادر[٣]، ولكن من المؤكّد أنّ تأسيسها كان متأخّراً عن تأسيس (حزب الدعوة الإسلاميّة) خلافاً لما ذكره السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله[٤]، وإن كان يظهر من كلامٍ آخر له رحمه الله اعترافه ضمنيّاً بأنّ تأسيس الجماعة كان متأخّراً عن تأسيس الحزب[٥].

تشكيلة (جماعة العلماء)

ضمّت (جماعة العلماء) عدداً من الفقهاء والعلماء بلغ عددهم عشرين عالماً[٦]، وكانوا جميعهم من المجتهدين[٧]، ولكنّ أحداً من المؤرّخين لم يسمِّ هذا العدد منهم.

لقد روعي في تشكيلة (جماعة العلماء) أن تضمّ جميع أطراف الحوزة من عرب وعجم، فاختير الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله معتمداً لها، لأنّه لم يكن محسوباً على طرف معيّن وكان مرضيّاً عليه من قبل الجميع. واختير [الشيخ خضر الدجيلي] عضواً للّجنة التوجيهيّة من طرف العرب، واختير الشيخ حسين الهمداني العضو الآخر للّجنة التوجيهيّة من طرف العجم.

وكذلك روعي في الهيئة العامّة لـ(جماعة العلماء) أن تضمّ مختلف الأطراف ممّن هم محسوبون

الإيراني رياضي: ١.

(١) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (دام عزه).

(٢) معارف الرجال ٢: ٢٤٨.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٤٤، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي والشيخ عبد الهادي الفضلي. وأغلب الظنّ عندي أنّ تأريخ الرفاعي والفضلي جاء وفقاً للإعلان عن (منشور جماعة العلماء) الذي كان في ١٣/رجب/١٣٧٨هـ (١٩٥٩/١/٢٢م)، وإلاّ فلا شكّ في أنّ الجماعة أسّست سنة ١٩٥٨م لا ١٩٥٩م، لأنّ السيّد الصدر رحمه الله كتب منشورها الأوّل في ٢٣/جمادى الأولى/١٣٧٨هـ (١٩٥٨/١٢/٥م)، هذا بمعزل عمّا في المتن.

والغريب أنّ السيّد محمّد الحسيني ذكر في كتابه الأوّل أنّ الجماعة تأسّست سنة ١٩٥٨م (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤٣)، وفي كتابه الثاني مال إلى أنّ التأسيس كان سنة ١٩٥٩م، ثمّ ناقش ما يظهر من كلام السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله من تبنّيه سنة ١٩٥٨م تاريخاً للتأسيس، وقد أحال السيّد الحسيني في مناقشته السيّد الحكيم رحمه الله إلى ما ذكره في كتابه الأوّل (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٤٤)، مع أنّ ما جاء في كتابه الأوّل موافقٌ لما يتبنّاه السيّد الحكيم رحمه الله.

وعلى أيّة حال، فالذي لا شكّ فيه ـ من خلال منشورات (جماعة العلماء) ـ هو أنّ الجماعة تأسّست سنة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م، ولا داعي لاستعراض القيل والقال في هذا المجال .

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٤٤، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مقابلة مع السياسي الإيراني رياضي: ٨.

(٥) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨٠، حيث يقول رحمه الله متحدّثاً عن تأسيس الجماعة: «... أنّ التنظيم الناشئ كان يؤمن بضرورة هذه الواجهة..».

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٤٨، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٤٤، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مقابلة مع السياسي الإيراني رياضي: ٦.

على المراجع أو على المؤسّسات[١]. ولم تكن هذه الهيئة منتخبة[٢]، فإنّه لم يكن لها نظام داخلي مدوّن لا من حيث التشكيلات ولا من حيث تسيير الأعمال، إذ كانت أعمالها تدار بقرارات شفهيّة تقرّر خلال اجتماعات دوريّة كانت تعقد كلّ مرّة في بيت أحد الأعضاء[٣].

أمّا اللجنة المشرفة على (جماعة العلماء) فكانت تضمّ كلاًّ من:

١ ـ الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله.

٢ ـ الشيخ حسين الهمداني رحمه الله.

٣ ـ الشيخ خضر الدجيلي رحمه الله.

أمّا أعضاء الجماعة فهم:

١ ـ السيّد محمّد تقي بحر العلوم رحمه الله.

٢ ـ السيّد موسى بحر العلوم رحمه الله.

٣ ـ السيّد محمّد باقر الشخص الأحسائي رحمه الله.

٤ ـ الشيخ محمّد رضا المظفّر رحمه الله.

٥ ـ السيّد مرتضى الخلخالي رحمه الله.

٦ ـ الشيخ محمّد طاهر آل شيخ راضي رحمه الله.

٧ ـ الشيخ محمّد جواد آل شيخ راضي رحمه الله.

٨ ـ السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله.

٩ ـ السيّد اسماعيل الصدر رحمه الله، [وكان الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله قد أصرّ على ضرورة اشتمال الجماعة على اثنين من آل الصدر ـ وهما السيّد محمّد صادق والسيّد إسماعيل ـ وقد رضخوا لطلبه في نهاية الأمر بعد ممانعة].

١٠ ـ الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله.

١١ ـ الشيخ محمّد تقي الأيرواني رحمه الله[٤].

١٢ ـ السيّد علي الخلخالي[٥].

---

(١) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٩ ـ ١٥٠. وفي المصدر: «السيّد محمّد تقي بحر العلوم» بدل «الشيخ خضر الدجيلي»، ولكنّ الذي يبدو لنا هو صحّة ما جاء في شهادة السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله والشيخ محمّد باقر الناصري (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٩).

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٠، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٠، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي ؛ مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله).

(٤) الإمام محسن الحكيم (السراج): ١١٦ ؛ نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨٠ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٩ ؛ وما بين [] من: مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله).

(٥) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩١ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٩، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي ؛ منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ١٩٢، نقلاً عن الشيخ الفضلي الذي ينفي عضويّة السيّد

١٣ ـ الشيخ عباس الرميثي[١].
١٤ ـ الشيخ محمّد طه الكرمي[٢].
١٥ ـ السيّد محمّد جمال الهاشمي رحمه الله[٣].
١٦ ـ الشيخ عبد الوهّاب الشيخ راضي.
١٧ ـ الشيخ إبراهيم الكرباسي.
١٨ ـ السيّد محمّد الحلّي.
١٩ ـ الشيخ حسن الخوجة[٤].

استيلاء شبابي على زمام (جماعة العلماء) وانقلاب على المؤسّسين الأوائل

كانت (جماعة العلماء) تشكيلاً لا يملك وحدة الفكر، وإنّما كان الشعور بوحدة الخطر يتملّك أعضاءها دون وضوح في الفكر والخطّة، وبعضهم كان يعيش الصدمة عندما يواجه بالكلمات فحسب من التيّارات الأخرى، أو حين يتّهمهم البعض الآخر، [كالشيخ الهمداني رحمه الله مثلاً الذي كان يستكثر الشتيمة، فكان على جلالة قدره واشتهار استقامته يعيش الصدمة لمجرّد أن يتعرّض لبعض الكلمات التي تطاله أو تطال والده، كما أبدى ذلك وبانزعاج للشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله وهو يحثّه على مواصلة دعمه للجماعة].

ولذلك عمل بعضهم على التراجع خاصّةً بعد دخول العناصر التي لا تعرف خلفيّاتها على الخط، لتنتهي الجماعة ويختصرها الشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد إسماعيل الصدر رحمهما الله وإن لم يحصل انسحاب رسمي من قبل الآخرين[٥]، خاصّةً وأنّ (الجماعة) كانت خليطاً غير متجانس في الوعي والإدراك والاهتمام، ولذلك سرعان ما نشأ الخلاف[٦]، ومن هنا فإنّها لا تعتبر نقلة نوعيّة في الطبيعة الحركيّة للحوزة، بل هي حالة طارئة فرضتها ظروف معيّنة وأنهتها ظروف معيّنة، وإن كانت أعطت عناوين حركيّة لطلبة العلوم الدينيّة وللمنفتحين منهم على مستوى تحدّي الممنوعات، ومنها العمل السياسي[٧].

وحتّى السيّد الصدر رحمه الله ـ [الذي تشكّلت الجماعة بجهوده وجهود أخيه إلى جانب خالهما][٨] ـ

محمّد صادق الصدر رحمه الله.

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٧٣ ؛ الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١٠، هامش (٩).
(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤٨.
(٣) معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٧٣ ؛ سنوات الجمر: ٥٣.
(٤) معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٧٣. وقد أضاف المصدر السيّد محمّد باقر الصدر والسيّد مهدي الحكيم، إلاّ أنّهما لم يكونا ضمن الأعضاء قطعاً.
(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٥، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله ؛ وما بين [] من المصدر نفسه: ١٥١، نقلاً عن السيّد فضل الله.
(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٦، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.
(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٦، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.
(٨) ما بين [] من: فهرس التراث ١: ٥٦٥.

كان يرى أنّها لم تكن بمستوى الطموح ولم تكن قادرة على تغيير الأوضاع، ولم تستطع تحقيق ما كان يرجو هو تحقيقه، ولذلك فإنّها لا تمثّل له شيئاً كبيراً(١).

ومع مرور الزمن دخلت الجماعة تحت لواء مرجعيّة السيّد محسن الحكيم، وتسرّب إلى (الجماعة) شباب حزب الدعوة، حتّى اعتبر البعض أنّ (جماعة العلماء) هي حزب الدعوة وكان علماؤها علماء الحركة الإسلاميّة(٢)، الأمر الذي لم يرضِ علماء (الجماعة) الكبار الذين كانوا قد اشترطوا عدم انحياز الجماعة إلى مرجعيّة من المرجعيّات، خاصّة بعد أن راح أحد أبناء المراجع يعمل على إدخال (الجماعة) تحت لواء مرجعيّة والده، الأمر الذي جعل أعضاءها يسحبون أيديهم من الموضوع، وهم الذين لم ينسجموا لاحقاً مع إصدار مجلّة (الأضواء)، ولكنّهم سكتوا(٣). وقد أكّدت بعض المصادر أنّ المراجع سحبوا يدهم من الموضوع بعد تدخّل (الأضواء) في السياسة(٤).

أمّا تاريخ هذا التحوّل فيبدو باكراً جدّاً، إذ كتب السيّد الصدر منشور (جماعة العلماء) الأوّل تحت إشراف ومراجعة السيّد محسن الحكيم في ٢٣/جمادى الأولى/١٣٧٨هـ. ومن هنا فإنّ حديثنا في ما يأتي عن (جماعة العلماء) حديثٌ عنها بعد تسرّب العناصر الشابة التي ينتسبُ أكثرها إلى الحركة الإسلاميّة وحزب الدعوة(٥):

فقد كان إلى جانب (جماعة العلماء) مجموعةٌ من العلماء الذين ساهموا في إيصال صوت الجماعة إلى مدن العراق ويقف على رأسهم السيّد محمّد باقر الصدر، ومن بينهم: السيّد محمّد مهدي الحكيم، السيّد محمّد باقر الحكيم، السيّد مرتضى العسكري، الشيخ محمّد أمين زين الدين، الشيخ عارف البصري، السيّد محمّد حسين فضل الله، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين، الشيخ محمّد مهدي الآصفي، السيّد طالب الرفاعي، الشيخ عبد الهادي الفضلي، الشيخ مهدي السماوي، السيّد عبد الرسول علي خان والشيخ محمّد باقر الناصري(٦).

وقد باشرت (جماعة العلماء) ـ على الرغم من قوّة الأحداث وعدم توفّر الخبرة السياسيّة الكافية وتخلّف الوعي الإسلامي السياسي في الأمّة ـ عملها من أجل إرساء قواعد هذا الخطّ الأصيل وذلك من خلال بعض المنشورات والاحتفالات الجماهيريّة والاتّصالات ببعض قطاعات الشباب وإصدارها مجلّة (الأضواء الإسلاميّة) التي كانت تشرف عليها لجنة توجيهيّة مكوّنة من شباب العلماء كان لها اتّصال وثيق بالسيّد الصدر، وبعد مضيّ أقلّ من عام تمكّنت (جماعة العلماء) من بناء قاعدة إسلاميّة شابّة(٧).

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٨، نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.
(٢) انظر مثلاً: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٦، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.
(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله). ويبدو أنّه يقصد السيّد مهدي الحكيم ووالده السيّد محسن.
(٤) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).
(٥) هذا المقطع منّا.
(٦) سنوات الجمر: ٥٤.
(٧) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤١، نقلاً السيّد محمّد باقر الحكيم في مجلّة الجهاد، العدد (١٤).

وكان من المناورات السياسيّة لأعضاء الجماعة تجنّبُهم الهجومَ على عبد الكريم قاسم بسبب إدراكهم شعبيّته الواسعة لدى الجماهير، وعليه فقد أظهروا تضامنهم ومساندتهم معه في منشوراتهم وإعلاناتهم وحصروا هجومهم على الشيوعيّين[١].

السيّد محسن الحكيم﴾ يرغب إلى السيّد الصدر﴾ بكتابة (فلسفتنا)

بعد طغيان التيّار الماركسي في الساحة وتمكّنه من اجتذاب قطاعات واسعة من المجتمع عبر شعاراته البرّاقة، انضمّ الكثير من الشباب إلى الحزب الشيوعي دون أن يكونوا على أدنى اطّلاع على حقيقة الفكر الشيوعي.

وقد أقلق هذا الأمر السيّد محسن الحكيم﴾، الذي قال لنجله السيّد مهدي﴾: «**إنّي أرى الكثير من الناس أصبحوا شيوعيّين، وهؤلاء الشيوعيّون مجرمون وقد ضلّلوا الناس بحجّة أنّ الإسلام يدعو إلى المساواة بين الفقير والغني، وأنّ الشيوعيّة تعمل كذلك، وعليه فقد أصبح كثيرٌ من الناس شيوعيّين وخصوصاً الشيعة بحجّة أنّ علي بن أبي طالب﴿ مدرسة للفقراء والمستضعفين والمحرومين، والشيوعيّة تدافع عنهم.. نحن بحاجة إلى كتاب يطرح الشيوعيّة والإسلام ويقارن بينهما من أجل إيضاح الحقيقة للناس، فإذا كان ممكناً قل للسيّد الصدر أن يكتب هذا الكتاب**»[٢].

البدء بكتابة (فلسفتنا)

عرض السيّد مهدي الحكيم﴾ رغبة والده على السيّد الصدر﴾ الذي وافق على الموضوع، وبدأ بتأليف الكتاب حوالي جمادى الثانية/١٣٧٨هـ على ما يبدو[٣]، فكان مشروع الكتاب المذكور الذي أراد السيّد الصدر﴾ أن يطرح فيه فلسفة الإسلام بل المسلمين[٤] وأسماه (فلسفتنا).

وفي ظلّ هذه الظروف حيث لم تكن في المكتبات كتبٌ إسلاميّة من النوع الذي يردّ الشبهات عن الفكر الإسلامي، ذهب السيّد عبد الكريم القزويني إلى السيّد الصدر﴾ وعرض عليه حالة الساحة، فكتب مقدّمة (فلسفتنا) التي راحوا يستنسخونها ويوزّعونها على المؤمنين[٥].

لقد شرع السيّد الصدر﴾ في كتابة (فلسفتنا) على الرغم من أنّ التأليف في هذه المجالات يؤثّر

---

(١) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٦٩، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي.

(٢) مذكّرات السيّد مهدي: ٦٠ ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم﴾ (﴿) ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩٨ ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر (﴿).

(٣) كتب السيّد الصدر﴾ مقدّمة (فلسفتنا) في ١٩/ربيع الثاني/١٣٧٩هـ (١٩٥٩/١٠/٢٢م)، وقد جاء في المنشور السادس لـ(جماعة العلماء) بتاريخ ٢٧/رجب/١٣٧٨هـ التبشير بـ(فلسفتنا)، حيث جاء: «كما يتّضح ذلك في كتاب سيصدر في النجف الأشرف باسم (فلسفتنا) إن شاء الله». كما جاء ذلك على غلاف منشورات الجماعة في طبعتها الثالثة بتاريخ ٢٤/شعبان/١٣٧٨هـ وفي العدد التجريبي من مجلّة الأضواء: ٤٨. ولمّا كان﴾ قد ألّفه في غضون عشرة أشهر على ما جاء في مقدّمة الكتاب، فيكون قد شرع بتأليفه في حدود جمادى الثانية/١٣٧٨هـ.

(٤) انظر ضمن أحداث هذا العام عنوان (السيّد الصدر﴾ يعقد لطلاّبه مجلساً إرشاديّاً).

(٥) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٩٨، نقلاً عن السيّد عبد الكريم القزويني، جريدة الشهادة ٨/ شعبان/١٤٠٧هـ العدد (٢٠٢) ؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (﴿).

سلبيّاً في ذلك الوقت على سمعته الحوزيّة ويعطي انطباعاً آخر عن شخصيّته العلميّة وأنّه مجرّد كاتب إسلامي وليس مجتهداً كبيراً ومدرّساً في الحوزة[١].

وكان على السيّد الصدر رحمه الله وهو يؤلّف الكتاب المذكور الخوضُ بتعمّق في المباني الفكريّة للماركسيّة والشيوعيّة، فبرزت أمامه مشكلة تأمين الكتب التي تتناول الماركسيّة والشيوعيّة. فكان كثيراً ما يقرأ الكتب عن طريق الاستعارة، وكان كثيراً ما يستعيرها من مكتبة أحد أصدقائه الشيخ محمّد رضا الجعفري التي توفّرت على عدد كبير من الكتب المعاصرة[٢].

كما لجأ السيّد طالب الرفاعي إلى أحد أصدقائه من القوميّين العرب ـ والذي كان يملك مكتبة لبيع الكتب ـ وأعاره المصادر التي كان يريدها والتي تبحث في الماديّة[٣].

وكان كثيراً ما يتردّد إلى مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف حيث أجاز له المتصدّون الدخول إلى داخل المكتبة والتنقيب فيها كيفما شاء[٤].

كما طلب من السيّد محمّد الحيدري رحمه الله ـ والد تلميذه السيّد محمّد محمّد الحيدري ـ أن يزوّده بالكتب الشيوعيّة، وخاصّةً لمفكّريهم مثل ماركس وإنجلز وغيرهم. وقد زوّده السيّد محمّد رحمه الله من مكتبة الخلاّني العامّة ـ وكان مؤسّسها ـ بعشرات الكتب، ويُمكن القول بأمّهات الكتب. هذا بالإضافة إلى الكتب الرأسماليّة[٥].

قيل: إنّ السيّد الصدر رحمه الله اطّلع على الجزءين الأوّل والثاني من كتاب (اصول فلسفه وروش رئاليسم) أي (أصول الفلسفة والمذهب الواقعي) للسيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله[٦]، وهو ما نفاه الشيخ جعفر السبحاني معرّب الكتاب الذي صدر بعد صدور (فلسفتنا)[٧].

---

(١) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٢) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٠، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦١. ويشار إلى أنّ الشيخ محمّد رضا الجعفري قد وضع لكتاب (فلسفتنا) فهارس فنيّة تحتوي على الأعلام وغير ذلك. لكنّ هذه الفهارس حذفت من الكتاب في طبعاته اللاحقة.

(٣) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١١.

(٤) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م في منزله في صور.

(٥) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٧، وقد نقلها السيّد محمّد الحيدري.

(٦) نظريّة المعرفة بين الشهيدين المطهّري والصدر: ١٢٧. يُشار إلى وجود تشابه بين أفكار (اصول فلسفه) وبين (فلسفتنا) في عدّة مواضع، منها على سبيل المثال في إثبات الواقع الموضوعي حيث آمن السيّد الطباطبائي بأنّ معرفتنا بالواقع الموضوعي على نحو الإجمال هي من الأمور الأوّليّة، وكذلك (فلسفتنا) (انظر: الاستقراء والمنطق الذاتي: ٢٥).

(٧) لقد نفى الشيخ جعفر السبحاني بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٣١م أن يكون السيّد الصدر رحمه الله قد اطّلع على الأصل الفارسي للكتاب، وأكّد كذلك أنّ الكتاب صدر بحلّته العربيّة بعد صدور (فلسفتنا)، وذكر مستطرداً أنّ هذا الكلام سُمع في حينها، ولكن بعد صدور الكتاب معرّباً بعث إليه السيّد الصدر رحمه الله أنّه بترجمته هذه قد خدمه من حيث لا يدري، أي أنّه دفع عنه شبهة الأخذ من كتاب السيّد الطباطبائي رحمه الله.

يُشار إلى أنّ مقدّمة السيّد الطباطبائي رحمه الله على الترجمة العربيّة للكتاب مؤرّخة في ٩/ذي القعدة/١٣٧٨هـ = ١٩٧٨/٥/١٧م (أصول الفلسفة: ٣).

لقد كتب السيّد الصدر رحمه الله (فلسفتنا) وكان عبارة عن كتيّب صغير في ثمانين صفحة بخطّه رحمه الله، إلاّ أنّ الرقابة العسكريّة لم توافق على طبعه ونشره، وكان في هذا المنع مصلحة حيث قام السيّد الصدر رحمه الله بإعادة النظر فيه وتوسعته وصياغته مرّة ثانية، فصار هذا الكتاب المعروف اليوم والذي تمّ طبعه بعد أشهر[١]. وكان السيّد مهدي الحكيم رحمه الله في هذه الفترة في لبنان، وكان مصمّماً على طباعته في بيروت، إلاّ أنّ خبراً وصله من السيّد الصدر رحمه الله حول تسوية الأمور أوقف العمل، وقد صبّ ذلك في مصلحة الكتاب الذي شهد تطويراً معتدّاً به[٢].

ويبدو أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان قد نشر فصولاً منه في جريدة الحريّة قبل طباعته[٣] إلى جانب عمود خاص بمقتطفات من كتابات ميشيل عفلق، وجريدة الحريّة جريدة يشرف عليها قوميّون وبعثيّون (قاسم حمّودي وولداه جعفر وسعد، وكلاهما عضو بارز في حزب البعث)[٤]، كما كان أبناء حزب الدعوة يسحبون من مطبعة النعمان في النجف بعض ملازمه المطبوعة[٥]، كما قام السيّد الصدر رحمه الله بنفسه بتدريس الكتاب لثلّة من طلاّبه في مسجد الهندي قاربوا العشرين شخصاً[٦].

لقد استغرق تأليف الكتاب عشرة أشهر فقط[٧]، وكان السيّد الصدر رحمه الله يثابر على الكتابة، حتّى كانت أصابعه تتورّم من كثرة الكتابة فيلفّها بقميصه ويتابع الكتابة[٨]. وقد أعان السيّد الصدر رحمه الله في إعداد الكتاب السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله الذي أعانه في تصحيح المسودّة الثالثة للكتاب.

يقول السيّد الحكيم رحمه الله: «**في أثناء المدّ الشيوعي في العراق في شتاء سنة ١٩٥٨ حيثُ كانت أزقّة النجف الأشرف تمتلئ في كلّ قواطع طرقاتها بمن يسمّون أنفسهم حرّاس الجمهوريّة يتربّصون بالمؤمنين الدوائر، وكان الشهيد الصدر يكتب في ذلك الوقت كتاب (فلسفتنا)، فكنت أذهب إليه بعد الظهر لمراجعة الكتاب، وعندما ننتهي من ذلك كان يذهب بنا الحديث مذاهب شتّى في جوٍّ من العواطف والحبّ حول الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والحوزويّة والحركيّة، حيث كنّا قد أسّسنا الحركة الإسلاميّة المنظّمة وساهمنا في إسناد ودعم جماعة العلماء وتصدّي المرجعيّة الدينيّة والحوزة العلميّة للقضايا العامّة..**

فيطول الحديث بنا حتّى ينتصف الليل وتخلو الأزقّة من المارّة إلاّ هؤلاء الأوغاد ونحن لا نشعر بذلك، فأخرج من بيته إلى بيتنا القريب نسبيّاً، وكنت أسكن في بيت المرحوم الإمام الحكيم حينذاك، كما كنت حديث العهد بالزواج، ويخضع بيت الإمام الحكيم للمراقبة المشدّدة من قبل هؤلاء الأشخاص، وأطوي

---

(١) الشيخ علي كوراني في: صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (١٠٨): ٥ ؛ مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٦٠ ؛ الشهيد الصدر يرسم الخط الأصيل للإسلام ويتصدّى للمؤامرة ويواجه البعث الكافر، مجلّة الجهاد، العدد (١٤)، ١٩٨١: ٩ ـ ١٠.

(٢) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (رحمه الله).

(٣) مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية، العدد ٣ ـ ٤: ٩٠ ـ ٩٣ ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥١، نقلاً عن: الشيعة والدولة القوميّة: ٢١٣.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥١، نقلاً عن: الشيعة والدولة القوميّة: ٢١٣.

(٥) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديث مع الأستاذ عقيل الموسوي.

(٦) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (رحمه الله) ؛ حدّثني بذلك السيّد محمّد بصير بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م.

(٧) انظر مقدّمة الكتاب.

(٨) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (رحمه الله).

الطريق وعيون الأوغاد تكاد أن تلتهمني قبل عصيّهم وأسلحتهم، وأصل البيت وأهل البيت قد ناموا إلاّ زوجتي المسكينة أجدها تنتظرني على النافذة المطلّة على الشارع وهي ترقب الطريق لوقت طويل، وألقى العتاب منها وأعتذر بالعمل والمسؤوليّة فتصبر على ذلك، ويتكرّر هذا الأمر باستمرار»[1].

السيّد الصدر رحمه الله يكتب منشور (جماعة العلماء)

على الرغم من أنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يكن عضواً رسميّاً في (جماعة العلماء)، إلاّ أنّ دوره قد برز فاعلاً وقويّاً إلى حدٍّ كبيرٍ يمكن معه اعتباره العقل المدبّر للجماعة، وكان رحمه الله يعدّ الجندي المجهول في هذه الجماعة[2].

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ اسم السيّد الصدر رحمه الله كان غائباً عن الساحة، وكان رحمه الله نفسه وراء هذا التغييب، حتّى أنّ أحد إخوانه ذكر اسمه في احتفال من الاحتفالات، فقال له السيّد الصدر رحمه الله: «**أنا بريء منك إذا ذكرت اسمي مرّة ثانية**»[3].

لقد تمثّل دور السيّد الصدر رحمه الله أوّلاً ـ إلى جانب كونه مستشاراً لخاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله ـ بكتابته منشورَ (الجماعة)[4]، الذي لم يكن من كتابة خاله كما توهّمته بعض المصادر[5].

وقد سمح النظام لـ(جماعة العلماء) باستعمال الإذاعة الحكوميّة من باب ردّ الجميل على عدم تعرّضها لنظام قاسم بادئ الأمر[6].

وكان المنشور منشوراً أسبوعيّاً يوزّع على نطاق واسع داخل العراق وخارجه ويذاع من الإذاعة الرسميّة، وكان يلقيه أسبوعيّاً السيّد هادي الحكيم أحد خطباء المنبر الحسيني[7]، وكان نشر البيان من الإذاعة شيئاً مهمّاً جدّاً في ذلك الوقت الذي سيطر فيه الشيوعيّون على الشارع[8].

كما كان يتمّ توزيع المنشور عن طريق البريد أو مع المبعوثين إلى المناطق العشائريّة ممّن تبعثهم (الجماعة)، أو مع الوفود التي تؤمّ النجف الأشرف للزيارة[9]، وكان السيّد الصدر رحمه الله يشارك بنفسه في توزيع المنشور[10]، وكان ذلك بإشراف (لجنة المنشور) في الجماعة والتي كانت تقوم بطبع المنشور وتوزيعه، وأبرز أعضائها:

---

(١) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٢) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢.

(٣) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٤) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢ ؛ وانظر: من حديث السيّد محمّد حسين فضل الله حول العلماء: ١٧ ؛ كلمات في الشهيد الصدر الأوّل: ٦ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٠، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٥) انظر مثلاً: فهرس التراث ٢: ٥٦٥.

(٦) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٦٩، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي.

(٧) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٦٩ ؛ الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢.

(٨) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠١.

(٩) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٤، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي في مجلّة الموسم.

(١٠) مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (حفظه الله)

١ ـ السيّد محمّد النوري.

٢ ـ الشيخ محمّد رضا الجعفري.

٣ ـ الشيخ مهدي السماوري.

٤ ـ الشيخ عبد الهادي الفضلي[١].

وقد أصدرت (جماعة العلماء) سبعة منشورات كتبها السيّد الصدرؒ جميعاً[٢]، وكان السيّد محسن الحكيمؒ يقوم بمراجعتها قبل طباعتها، وربّما عدّل بعض الكلمات ولم تكن ترسل إلى الطبع إلاّ بعد موافقته[٣]، أو أنّ السيّد الصدرؒ كان يكتبها بتوجيه من السيّد محسن الحكيمؒ الذي كان يدعم نشاطات الجماعة ويصرف عليها[٤].

١ ـ المنشور الأوّل: كتب السيّد الصدرؒ المنشور الأوّل للجماعة، وهذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أيّتها الجماهير المسلمة !!

أيّتها الجماهير الكادحة !!

أيّها الشعب العراقي المجاهد !!

الآن ـ ولأوّل مرّة ـ منذ مئات السنين تشرق في بلدنا الحبيب أضواء الحريّة والاستقلال بفضل الثورة التحريريّة الكبرى، والمعركة الفاصلة التي وقف فيها الزعيم الأوحد والبطل المنقذ سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم حفظه الله رائداً للإسلام والمسلمين.

والآن ـ ولأوّل مرّة أيضاً ـ منذ قرون يشهد العراق زعامةً حاكمةً منبثقةً عن صميم الشعب، تسهر على مصالحه وعلى تحقيق آماله وأحلامه، وتتجاوب مع عواطفه ورغباته، وتستمدّ منه قوّتها الجبّارة وسياستها الرشيدة.

فهيّا أيّتها الجماهير المؤمنة بربّها، المخلصة لدينها، الواثقة بزعيمها إلى رفع راية الإسلام بقيادة الزعيم الأوحد والالتفاف حوله تحت هذه الراية المقدّسة، راية السماء التي رفعها أجدادكم في ظلّ قيادة مخلصة، فقفزتهم التاريخيّة الجبّارة، وإذا بأمّة متهالكة فقيرة كان يسودها الاستعمار والجهل، تضحي بعد أن عاشت ربع قرن في ظلال الراية المقدّسة أرقى أمم الأرض وأعظمها حضارة وسياسة وكرامة، تحمل بيدها مشعل النور والهداية للعالم كلّه، وترسم لجميع الشعوب طريق الخلاص من الظلم والاستعباد.

هيّا إلى راية الإسلام، راية الكرامة الإنسانيّة والعزّة، راية الحريّة والسعادة، راية الانعتاق والتحرّر من القوى الطاغية، فإنّ الإسلام اليوم هو الإسلام الذي ساد بالأمس في طاقاته الجبّارة، في مبادئه الرشيدة، في أهدافه الضخمة، في غاياته الخيّرة.

وها هو حاضرٌ يلبّي كلّ راغب في المساواة والعدالة الاجتماعيّة، وكلّ محارب للظلم والطبقيّة والاستغلال الفظيع، وكلّ طالب للسيادة والعزّة والكرامة، وكلّ من يؤمن بنفسه وبلاده وأمّته.

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٠، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٢) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٤٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٢ ؛ وانظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٧ ؛ وانظر: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥١.

(٣) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيمؒ (قدّس سرّه).

(٤) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٢١ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٠.

إنّ الإسلام هو المحرّر الأكبر للإنسانيّة من شتّى ألوان الظلم والطغيان ومن نظام الطبقيّة ومن الإثرة البغيضة ومن سيادة الهياكل الاجتماعيّة التي تخلقها الأنانيّة في مجتمعاتها.

وثورتنا المباركة هي الثورة التحريريّة الكبرى لشعب العراق المسلم، فمن الطبيعي أن ترفع راية الإسلام باعتباره الطاقة السماويّة التي في إمكانها أن تموّن ثورات التحرير بكلّ ما تصبو إليه من عدالة وسلام ومساواة، وتحقّق أهدافها النضاليّة العالية.

أيّها المسلمون !!

إنّ الإسلام ثروة فلا تخسروها.

إنّه دين الإنسانيّة الخالد الذي صاحبناه وعشنا معه قروناً فلم نجد الكرامة المتعالية والسيادة الصحيحة إلاّ في ظلّه، ولم نذق ألوان الشقاء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي إلاّ لأنّنا لم ننصفه من أنفسنا، ولم نشيّد عليه أسس حياتنا.

والنزعات الرأسماليّة أعرف ما تكون بما في الإسلام من قوّة كامنة في النفوس، ونظام يقضي على جبروتها. ولذا فهي لا تحارب شيئاً كما تحارب الإسلام ولا تخشى شيئاً كما تخشى سيادة الإسلام نصير الضعفاء ومحرّر الشعوب. ولهذا حاربته بكل وسائلها، وحاولت أن تقصيه عن جميع المجالات ليتّسع لها المجال للاستغلال والاستهتار بحقوق الضعفاء، وخدّرت عواطف المسلمين تجاه دينهم وإسلامهم وحاولت أن تجعل من الإسلام في نظر المسلمين علاقة اسميّة بين المسلم وربّه، وتنزع عنه الألوان الزاهية التي تخيفها كلّ الخوف، وتهدّدها في مصالحها وأغراضها.

أمّا الآن، وقد تحرّر البلد من نير الاستعمار والنفوذ السياسي للمعسكر الانتهازي ووجدت السفينة ربّانها الأفضل في شخص الزعيم المحبوب، فلا بدّ أن يبرز الإسلام من جديد إلى المجتمع لينشر مفاهيمه التي شوّهها المستعمرون، ويشعّ بأضوائه التي حجبها المستغلّون، ويحمل بيده مصباح الهداية والسعادة ويمدّ الثورة المباركة بقبس من روحه الإصلاحيّة الرائعة، ويثبت لهذه الأمة التي رأت النور من جديد أنّ في تراثها الخالد وفي جوانبها الحيّة وفي صميم كيانها ديناً يطهّر النفس الإنسانيّة من نزعاتها الشريرة، ويطهّر المجتمع الإنساني من مظالمه، ويخلصه من آلامه، ويعلن مبدأ الأخوّة العامّة بين جميع المسلمين، ويحارب الفقر والترف، ويضمن لرفقائه النصرة والعزّة، ويعدهم بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة

هذا هو الطريق فسيروا على اسم الله

وإلى الملتقى القريب...

جماعة العلماء

في النجف الأشرف

٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٨»[1].

---

(١) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف، الطبعة الثالثة، ٢٤ شعبان ١٣٧٨ : ١٨ ـ ٢٣.

ذكر السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أنّ المنشور الأوّل للجماعة غير موجود الآن لكونه ألغي، وهو في الواقع لا يعبّر عن فكر حقيقي وليس فيه اتّجاه معيّن... (من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٢٢). كما ذكر السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أنّ اسم عبد الكريم قاسم كان يتكرّر في المنشور الأوّل وأنّ المنشور الأوّل وصف قاسم بأنّه (نصير الإسلام) بعد أن كان الشيوعيّون يصفونه بـ (نصير السلام) (وانظر: حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠١). والغريب أنّ المنشور الأوّل متوفّر بين أيدينا، ونحن لا نحتمل أن يكون المنشور الأوّل الذي بين أيدينا هو المنشور الثاني للجماعة لأنّ المنشورات المتوفّرة لدينا سبعة، وقد أطبق جميع من أرّخ لتلك المرحلة على أنّ المنشورات سبعة وليست ثمانية. والمظنون أنّ السيّد مهدي رحمه الله يقصد التعبير الوارد حول (قاسم) بـ(رائداً للإسلام والمسلمين).

أمّا ردّة فعل الشيوعيّين على المنشور الأوّل، فقد احتجّوا على إذاعته من دار الإذاعة وسعوا إلى إفشال ذلك، إلاّ أنّهم لم يفلحوا[١]. كما أثار حفيظة حزب (التحرير) وخاصّةً نزار الرحيم وإخوته[٢].

٢ ـ المنشور الثاني: أمّا المنشور الثاني الذي كتبه السيّد الصدر قدس سره، فقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[٣].

يا أمّة محمّد العظيم صلى الله عليه وآله وسلم.

يا شعب العراق المسلم المتحرّر بثورة الزعيم الفذّ عبد الكريم قاسم.

نلتقي بكم في هذه النشرة للمرّة الثانية، بعد أن تجاوبت النشرة الأولى مع عواطف الأمّة ومشاعرها وآمالها تجاوباً رائعاً، وهذا التجاوب مع مفاهيم الإسلام المتفجّرة بالنور الطالعة بالحياة الواهبة للأمّة عناصر القوّة والسيادة دليلٌ ناصعٌ على وعي صحيح للإسلام بشتّى جوانبه.

وقد ساعدت ثورة (١٤ تموز) الجبّارة بإعلانها للإسلام ديناً للدولة في دستورها الجمهوري على هذا الوعي الإسلامي الذي دفع المسلمين إلى التطلّع لتحقيق سيادة الإسلام والأمل في تطبيق أحكامه، فإنّ في هذا الإعلان المبارك من الثورة الخالدة تركيزاً للإسلام الصحيح في الفكر العام كأساس من أسس التحرّر والانعتاق، وقوّة صالحة لتوجيه الإنسانيّة في حياتها العامّة، وتجنيدها لمكافحة الاستعمار الكافر الذي يحاربه الإسلام بشتّى ألوانه وصوره، ومن مختلف مصادره ومنابعه.

فليس الإسلام في منطق الثورة الذي نصّ عليه الدستور الجديد مجموعة من التقاليد والعادات ولا هو علاقة فرديّة خالصة بين الإنسان وربّه فحسب، بل هو قاعدة من قواعد الدولة الأساسيّة، ورصيد تشريعي رائع للثورة في مشاريعها الإصلاحيّة، وفي حلّ المشاكل الاقتصاديّة التي لم تحلّ على وجه أفضل وأكمل من حلّها في الإسلام.

إنّ الإسلام حين يكون دين دولة يعني أنّه دين اجتماعي وقول إلهي فاصل في حقّ الفرد والأمّة على السواء.

وإنّه حين يكون قاعدة من قواعد الدستور للجمهوريّة التي نذرت نفسها لإصلاح الأمّة والقضاء على ما منيت به من ظلم اجتماعي يعني أنّ في تشريع الإسلام وأحكامه ما يتكفّل بحلّ جميع مشاكل الحياة، ويضمن أساليب الإصلاح ومناهجه.

فأين يعيش الاستعمار في بلد إذا دان بالإسلام حقّاً، والإسلام يأمر بالجهاد حتّى الموت في سبيل الذود عن الكيان الإسلامي والبلد الحبيب. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمْ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٤].

وأين يعيش الفقر في بلد يخضع في تنظيمه الاقتصادي للإسلام الذي يكلّف الدولة بإبادة الفقر والحاجة بما يفرضه على الأغنياء من فرائض، وما يرسم لأسباب الثروة من حدود، وما يجعله حقّاً عامّاً في مختلف الثروات الأخرى في البلد الإسلامي، وما يحرّم من اكتناز الأموال بلا تصفية إسلاميّة صحيحة. ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) مذكّرات السيّد مهدي الحكيم رحمه الله: ٢٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠١.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٢٢.

(٣) يوسف: ١٠٨.

(٤) الأنفال: ١٥.

يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١].

وأين يعيش الفساد الخلقي في حياة عامّة قائمة على أخلاق الإسلام وتعاليمه الرشيدة التي تربّي في الإنسان إنسانيّته الكاملة، فيصبح عضواً اجتماعيّاً صالحاً، يشعر بتضامنه الحقيقي مع جميع أفراد الأمّة. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢] ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٣].

وأين تعيش الطبقيّة واختلاف الدرجات في نظام الإسلام الذي يعلن أنّ الإنسانيّة كلّها من أصل واحد، وأنّه لا ميزة لبشر على آخر إلاّ بالتقوى والإخلاص ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٤].

إنّ الإسلام الذي يقول على لسان رسوله الأعظمﷺ: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان [ثمّ لم يغيّر بقول ولا فعل كان حقيقاً] على الله أن يدخله مدخله»[٥] هو الذي دفع إلى ثورة (١٤) تموز التي أشعلت نارها في وجه الظلم والطغيان حين رأت سلطاناً جائراً وأمّة جائعة وبلداً مستعمراً، فضربت الظلم والاستعمار ضربتها القاضية التي هزّت بروعتها وجلالها العالم الإسلامي كلّه.

فهيا أيّها المسلمون الأحرار إلى العمل بمبادئ الإسلام وتطبيق أحكامه والسير على هدى تعاليمه وإرشاداته وتحكيمه في حلّ جميع مشاكل الحياة في ظلّ جمهوريّتكم الحبيبة

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٦]

وإلى الملتقى القريب ...

جماعة العلماء في النجف الأشرف

٨ جمادى الثانية ١٣٧٨ هـ»[٧].

٣ ـ المنشور الثالث: أمّا المنشور الثالث فقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[٨]

يا أمّة الإسلام الجبّارة في تاريخها وجهادها، الثابتة في محنها وشدائدها، المتطلّعة إلى عزّتها وسيادتها.

يا شعب العراق الكريم، إنّ دينكم الذي فيه من الإشعاع ما يبدّد الظلمات كلّها هو مبدأ فوق الميول والاتّجاهات.

وإنّ قائدكم البطل ـ الذي أعاد إلى الأمّة كرامتها، وهزم عدوّها ـ صرّح مراراً وتكراراً بأنّه فوق الميول والاتّجاهات.

والأمّة التي يستقرّ في صميم كيانها الروحي مبدأ يسمو على الميول والمبادئ بجوهره ومناهجه، وتنبثق

---

(١) التوبة: ٣٤.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨١ ـ ٣٨٢، في رسالة الإمام الحسينعليه‌السلام إلى جماعة من أهل الكوفة.

(٦) آل عمران: ١٣٩.

(٧) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٢٤ ـ ٢٨.

(٨) يوسف: ١٠٨.

من واقع كيانها الحاضر زعامة مخلصة وقيادة جبّارة ترتفع عن الاتّجاهات والنزعات، لهي أمّةٌ غنيّةٌ بطاقاتها، قادرةٌ على شقّ طريقها إلى السعادة والسيادة إذا أعلنت ذلك المبدأ الرفيع في ظلّ هذه الزعامة البنّاءة لتاريخ الأمّة الحديث.

فإلى الإسلام أيّها المسلمون... وإلى دستور القرآن الخالد أيّها المتطلّعون إلى مستقبل أفضل ودستور دائم.

دعوة مباركة وجّهها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإنسانيّة الكافرة، فارتفع بها إلى القمّة نوجّهها ـ الآن ـ باسم الإسلام إلى الإنسانيّة المسلمة، إلى الجماهير المؤمنة برسالة محمّد الكبرى.

وقد يبدو من الغريب أن ندعو المسلمين إلى الإسلام مع أنّه دينهم الحبيب إلى قلوبهم، العزيز على نفوسهم الذي لا يحتاجون لاعتناقه إلى دعوة ونداء!!

وقد يبدو من الغريب أيضاً أنّ هذا الدين الذي ارتفع بالأمّة إلى أفضل المستويات الاجتماعيّة في شتّى مناحي الحياة السياسيّة والخلقيّة والثقافيّة والاقتصاديّة، يعيش اليوم في قلوب المؤمنين وقد فقد قوّة التسامي بالكيان الاجتماعي إلى القمّة التي يهدف إليها الاسلام!!

فما الذي أفقده هذه القوّة؟! وما الذي جعل الإسلام يدعو المسلمين إليه وهم مؤمنون به؟!

إنّ الذي أفقده القوّة البنّاءة هو أنّ الإسلام لم يعد في ذهنيّة الكثيرين كما بدأ.

إنّ الإسلام الذي بدأ وحمل رسالته النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله هو العقيدة التي تصوغ الحياة الإنسانيّة كلّها، وتقدّم لحلّ مشاكلها الخطوطَ العريضة التي تنسجم مع كلّ عصر وزمان.

إنّ الإسلام هو الفكرة التي تبلور القلب والعقل والمجتمع بروحها الخيّرة وجوهرها النقي، والقاعدة الفكريّة التي وضعها الله تعالى ليشاد عليها البناء الإنساني كلّه.

إنّ الإسلام الذي نادى به محمّد العظيم صلى الله عليه وآله وسلم دين الحياة في ميادين الفكر، والروح، والعمل:

ففي ميدان الفكر يدعو إلى المنهج العقلي في التفكير، ويرفض التفكير التقليدي والعاطفي الخالص الذي يسود المجتمعات المتأخّرة، كما لا يعتبر التفكير القائم على أساس التجربة والحسّ إلاّ فرعاً من فروع المعرفة العقليّة العامّة التي تمتدّ إلى ما وراء الحسّ، إلى ميادين العقل الخالص: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ [شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ] ﴾[١].

وفي ميدان الروح لا يعتبر الإنسانيّة وقفاً على اللذائذ الماديّة والشهوات الرخيصة، كما هي في عرف الماديّة الكافرة ولا يهمل جانبها المادي، كما فعلت الأديان الروحيّة الخالصة، بل يضع للإنسانيّة قوانينها المهذّبة والمربّية على أساس أنّها مزاج من المادة والمعنى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾[٢].

وفي ميدان العمل يقيم الإسلام الحياة على مناهجه وأسسه من الحقّ والعدل والخير والمساواة ﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٣] ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[٤].

هذا هو المفهوم الصحيح للإسلام الذي شعّ على الدنيا، فأقامها وأقعدها، وبنى أمّة، فركّزها وأعزّها، وأنشأ مجتمعاً، فذابت في أضوائه جميع المشاكل التي تشكو منها المجتمعات الإنسانيّة.

---

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) القصص: ٧٧.

(٣) الكهف: ٢٩.

(٤) الأنعام: ١٥٢.

وهذا هو مفهوم الإسلام الذي فهمه المسلمون الأوّلون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهماً صحيحاً، فاتّخذوه ديناً ومبدءاً وعقيدةً ودستوراً وأخرجوه من نطاق العقيدة الخالصة إلى حقيقة حيّة في كيان الأمّة كلّها، متمثّلة في الحياة الإسلاميّة بشتّى جوانبها وخصائصها.

بل هذا هو الذي فهمه عن الإسلام أعداؤه أيضاً، فقد قال (غلادستون) الوزير البريطاني المعروف وأحد موطّدي أركان الاستعمار البريطاني في الشرق: «ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان».

إنّ القرآن لا يحمي العالم الإسلامي من النفوذ الكافر ولا يهدّد البلاد الاستعماريّة بالذات لو لم يكن كتاب دين يعمر القلوب، ومبدأ بناء لحياة الأمم.

أيّها الشعب المسلم... إنّ الحجبَ التي كان يضعها الاستعمار وأذنابه بين المسلمين وبين نور الإسلام ومفهومه المشرق قد تمزّقت إلى غير رجعة بزوال ذلك العهد البغيض.

فالتفت قليلاً إلى دينك الحبيب، فإنّك ستجد فيه مبدءاً فوق المبادئ.. وسوف ترى أنّه الطبيب الاجتماعي الكبير الذي يحلّ مشاكل المجتمع:

فسوء التوزيع للثروات والطبقيّة واضطهاد الضعيف والاستغلال الفظيع للعمّال والاستهتار بجهودهم، والترف الفاجر على حساب الأمّة وحقوقها، كلّ ذلك مفاهيم لا واقع لها في ظلّ الإسلام، كما سنوضح ذلك في منشوراتنا وكتبنا إن شاء الله.

فليفهم كلّ مسلم أنّ دينه ـ وحده ـ المبدأ الذي يجب أن يعتنقه في الحياة، ويدعو إلى تطبيقه، وأنّ دينه ـ وحده ـ الذي يكفل له تحقيق أمانيه وأحلامه، ويغنيه عن استجداء المبادئ من الأجانب وجلبها من الخارج.

إنّ مبدأكم هنا.. هنا.. في صميمكم وواقعكم، في قلوبكم ونفوسكم، في دينكم وضميركم. وإنّ الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم حبيب القلوب، ونبيُّ الإنسانيّة الخالد يطالب كلّ مسلم بأن يحمل رسالته وينادي أنّ الاسلام هو دينه ومبدؤه الذي يجب تطبيقه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلمينَ﴾[1].

وما أروع ذلك اليوم الذي تتحقّق فيه رسالة الإسلام على يد جمهوريّتنا الحبيبة، وترتفع فيه من جديد رايه محمّد العظيم صلى الله عليه وآله وسلم راية العزّة والكرامة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنيفاً﴾[2] ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّه الإِسْلاَمُ﴾[3] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ ديناً ممَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للَّه [وَهُوَ مُحْسنٌ وَاتَّبَعَ ملَّةَ إِبْرَاهيمَ حَنيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهيمَ خَليلاً]﴾[4] ﴿ذَلكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ولَكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[5] ﴿أُوْلَئكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّة وَالْمَغْفرَة بإِذْنه وَيُبَيِّنُ آيَاته للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[6].

وإلى الملتقى القريب إن شاء الله

١٥ جمادى الثانية ١٣٧٨
جماعة العلماء

---

(١) فصّلت: ٣٣.
(٢) الروم: ٣٠.
(٣) آل عمران: ١٩.
(٤) النساء: ١٢٥.
(٥) يوسف: ٤٠.
(٦) البقرة: ٢٢١.

في النجف الأشرف»[١].

٤ ـ المنشور الرابع: أمّا المنشور الرابع فقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[٢]

إلى الأمّة المتيقّظة المؤمنة بأنّ الإسلام هو طريق السياده والسعادة.

إلى المسلم الغيور على دينه العظيم.

إلى العامل الذي آمن بأنّ حقوقه وقيمه الإنسانيّة تصان كلّها في ظلّ نظام الإسلام إذا طبّقته قيادة فذّة كقيادة البطل اللواء الركن عبد الكريم قاسم.

إلى الفقير الطامح بأحلامه في الغنى والكرامة، إلى الإسلام الذي جعل غنى الفقراء والارتفاع بهم إلى المستوى المعيشي اللائق فريضة اجتماعيّة لازمة.

إلى الغنيّ الذي يفتح الإسلام أمامه أبواب الثروة في حدود من المصلحة العامّة ويفتح قلبه على مفاهيم الأخوّة والإنسانيّة النبيلة.

إلى السياسي الذي يعتقد بأنّ في صرامة الإسلام ومبدئه طاقات تحفظ للمسلمين كرامتهم الدوليّة وعزّتهم السياسيّة في العالم.

إليكم جميعاً يوجّه الإسلام نداءه داعياً:

أوّلاً: إلى توحيد صفوفكم، وإصلاح ذات بينكم، ونبذ الخلافات الصادعة لوحدتكم، والتمسّك بالتآخي المنصوص عليه في صريح قرآنكم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٣].

وثانياً: إلى إقامة الحضارة الإسلاميّة، تلك الحضارة التي سعدت بها الإنسانيّة ردحاً من الزمن، وأقامت على أساسها حياة عامرة بالعدل والحق، مستثمرةً لكلّ ما في صميم الواقع الإنساني من دوافع الخير وعناصره، فإنّ هذه هي رسالتكم في الحياة، وهي قيادتكم الفكريّة في العالم وتحفتكم الغالية للإنسانيّة والأجيال المقبلة جمعاء.

فاملأوا الأجواء بصوت الإسلام، وخذوا بيده إلى ميادين الحياة ليكافح من أجل أمّة استبدلت حضارته بحضارة الغرب، فانتهكت حقوقها، وضاعت كرامتها وعصفت العواصف بكيانها ومقدّراتها، ومنيت بويلات الكافر المستعمر وجرائمه.

خذوا بيد الإسلام إلى تلك الميادين ليحرّر الناس من العبوديّات الاجتماعيّة ويقول: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً»[٤]، وليعلن قانون المساواة والإخاء بين جميع المواطنين ويقول [في الناس]: «فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق»[٥]، وليطلقها صرخة في وجه الظلم والعدوان ويقول: «لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته حتّى أورده منهل الحق وإن كان له كارهاً»[٦].

وإنّا حين نتكلّم عن الحضارة الإسلاميّة وإقامتها مقام الحضارة الغربيّة وأيّة حضارة أخرى لم ينزل بها

---

(١) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٢٩ ـ ٣٦.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) مستدرك الوسائل ٧: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٥) نهج البلاغة: ٤٣٦ ؛ مستدرك الوسائل ١٣: ١٦٠.

(٦) نهج البلاغة: ١٩٤ ؛ بحار الأنوار ٣٢: ٤٩.

القرآن مهما كان شكلها ومهما كان مصدرها، لا نريد من الأمّة أن تستغني عن المدنيّة الحديثة وعلومها كما يدّعي بعض الناس ويزعم أنّ إعادة الحضارة الإسلاميّة معناها إعادة تلك الحياة البدائيّة التي كان يحياها المسلمون في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ورفض سائر ما جاءت به المدنيّات الحديثة من وسائل الحياة ومرفّهاتها. وهذا الزعم افتراءٌ على الإسلام، فالحضارةُ غيرُ المدنيّة، ذلك أنّ الحضارة هي مفاهيم الأمّة عن الحياة، والمدنيّة هي أساليب الحياة التي تتطوّر بتطوّر العلوم والاكتشافات، والحضارة الإسلاميّة تقوم على أساس ربط الحياة الإنسانيّة بمبدعٍ حكيمٍ خلق تلك الحياة، ووضع لها نظامها الأفضل وتقرّر أنّ سعادة هذه الحياة إنّما تحصل بتطبيق النظام الإلهي عليها، وأنّ الهدف الذي يجب أن يعين في الحياة هو رضا الله تعالى الذي يتحقّق بإقامة مجتمع عادل على وفق نظامه، وعلى العكس من ذلك كلّه كلُّ حضارة غير حضارة الإسلام التي جاء بها القرآن، فإنّ الحضارات الأخرى تقيم الحياة على أساس فصلها عن الدين، وتقصي الدين عن موضعه من القاعدة الاجتماعيّة للحياة، وتعرّف السعادة بأنّها المنفعة واللذّة وتجعل الهدف لكلّ إنسان الحصول على أكبر نصيب من هذه المنفعة واللذّة. ومن أجل ذلك كان من الطبيعي ما وقع في الحضارة الغربيّة وغيرها من إقصاء الأخلاق والقيم عن قيادة الحياة العامّة وما منيت به الإنسانيّة من تكالب الأقوياء على الضعفاء، وتنافسهم في الاستعمار واستعباد الشعوب لأنّ المقياس هو المنفعة مهما كانت هذه المنفعة قاسية في حساب الضمير ومحرّمة في حكم الله المقدّر الحكيم.

وأمّا مظاهر المدنيّة المتطوّرة بتطوّر الصناعات والعلوم، وما يستجدُّ من مختبرات وآلات صناعيّة وطبيّة، ووسائل للنقل وأساليب العمران وغير ذلك من شؤون الحياة في سائر المجالات والجهات، فهي عالميّة تنسجم مع كلّ حضارة ومبدأ، فالحضارة الإسلاميّة إنّما تتنافى مع الحضارات الأخرى ولا تتنافى مع أشكال المدنيّة التي يهيّئها العلم، على أن تحدّد بالتحديد الذي يتّفق مع مفاهيم الحضارة الإسلاميّة.

وإذن فالعلوم ونتائجها ممّا يستفيد منها كلّ مجتمع مهما كان مبدؤه، ولا يعني تطبيق الإسلام التقليل من شأنها، بل هو الدين الذي دعا إلى العلم والتأمّل في أسرار الطبيعة واكتناهها، وإنّما يعني إقامة مجتمع إنساني خالص من الآلام وألوان الشقاء الروحيّة والماديّة، ومنزّه عن الشره المحرّم والالتذاذ الرخيص على حساب الآخرين.

إنّ الإسلام ـ وحده ـ هو الذي يضمن إقامة هذا المجتمع لأنّه المبدأ الذي وضعه الله للإنسانيّة، وإنّ دعوتنا إلى الإسلام ـ وحده ـ لا ترضي عنه بشيء من المبادئ والحزبيّات بديلاً، وإنّ الأمّة الإسلاميّة ـ بما فيها العالم العربي ـ لا تثوب إلى حياة مستقرّة إلاّ إذا انصهرت في الإسلام الذي هو جوهر الأمّة المشرق وكيانها الروحي وتركت سائر المبادئ الأخرى التي خلقت في أجوائها والتي جاءتها من الخارج، وعند ذلك فقط يعود المسلمون حقّاً كما أراد الله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وإلى الملتقى القريب إن شاء الله...

جماعة العلماء

في النجف الأشرف

٣٠ جمادى الثانية ١٣٧٨»[2].

---

(١) المجادلة: ٣٢.

(٢) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٣٧ ـ ٤٣.

وبعد المنشور الثالث أو الرابع اعترض السيّد محسن الحكيم؁ وقال: «**لماذا يذكر اسم عبد الكريم باستمرار؟**»، فأجاب السيّد مهدي؀: «**هذا جواز مرور، إذا لا يوجد اسمه نفقد الإذاعة**»[١].

مراجع النجف وكربلاء يحمون (جماعة العلماء)

حظيت (جماعة العلماء) برعاية ودعم السيّد محسن الحكيم؁ الذي أعلن عن موقفه الصريح تجاهها بعد أن كثرت الأقاويل حولها، خاصّةً بعد الهجمة التي قادها الشيوعيّون والقوميّون ضدّها[٢] عبر بعض المشايخ من قبيل الشيخ عبد الكريم الماشطة الذي ألّف وجماعة معه جماعة (رجال الدين الأحرار)، فيتصدّى الشيخ مرتضى آل ياسين؁ إلى جمع هذه التأييدات لجماعة العلماء[٣].

أمّا البيانات:

(أ) بيان السيّد محسن الحكيم؀:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ جميع ما أصدره فريقٌ من أعلام أهل العلم أيّدهم الله تعالى باسم (جماعة العلماء) في النجف الأشرف وما سيصدر منهم من نشرات وغيرها ممّا يتضمّن الدعوة إلى الدين والإسلام لهو من أهمّ الوظائف الشرعيّة التي يجب القيام بها في سبيل إعلاء كلمة الدين وترويج مبادئه الشريفة وتعاليمه القيّمة المقدّسة.

فعلى عامّة المسلمين العمل على [مؤازرتهم] والوقوف إلى صفّهم ومشاركتهم في تحمّل أعباء هذه الدعوة الدينيّة المباركة ووفّق الله سبحانه الجميع لما يحبّ ويرضى، إنّه حسبنا ونعم الوكيل.

محسن الطباطبائي الحكيم

٢٧ ج ٢ ١٣٧٨»[٤].

(ب) بيان السيّد عبد الهادي الشيرازي؀:

«بسمه تعالى شأنه

إنّ (جماعة العلماء) في النجف الأشرف ثلّة من أعلام الدين والعلم قد دفعهم الواجب الشرعي إلى القيام بأعباء الدعوة الدينيّة بإصدار النشرات وغير ذلك من أساليب الخدمة في سبيل الإسلام، فإلى المولى سبحانه نبتهل أن يسدّد خطاهم، وعلى المسلمين كافّة مساندتهم والتقرّب إلى الله تعالى بتأييدهم في هذا العمل العظيم إنّه وليّ التوفيق.

٥ رجب المرجّب ١٣٧٨ هـ ق

الأقلّ عبد الهادي الحسيني الشيرازي»[٥].

(ج) بيان السيّد الخوئي؀:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ النشرات الدينيّة التي يتولّى إصدارها (جماعة العلماء) والتي أقبل عليها المسلمون في كلِّ مكان

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم؁: ٢٣.

(٢) انظر مثلاً: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٤٦.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٦٤، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

(٤) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٦٦ ؛ انظر الوثيقة رقم (٢٥).

(٥) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٦٧ ؛ انظر الوثيقة رقم (٢٦).

وعرفوها أنّها دعوة إسلاميّة خالصة لوجه الله تعالى لهي ـ بلا ريب ـ تستمدّ دعوتها من القرآن وتأخذ أهدافها من تعاليم الدين، فعلى أبناء المسلمين أن يسترشدوا بها أبداً ويتدبّروا [حقائقها] ويعملوا بما جاء فيها من نواميس إسلاميّة تسعد حياة المسلمين، وعليهم أن يدفعوا عنها كلّ غائلة ويجتهدوا في نصرتها ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، وأسأل الله تعالى أن يوفّق الجميع لذلك ليعيشوا في ظلّ عدالة الإسلام ونواميسه الخالدة وهو سبحانه وليّ التوفيق

في ٦ شهر رجب المرجّب ١٣٧٨ أبو القاسم الموسوي الخوئي»[2].

(د) بيان السيّد مهدي الحسيني الشيرازي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ جماعة العلماء في النجف الأشرف أدام الله تأييدهم هم من أعلام أهل العلم المعروفين بدينهم وصلاحهم وإخلاصهم، وإنّ جميع ما صدر عنهم وما سيصدر من الدعوة إلى الدين والإسلام ليس إلاّ القيام بوظيفتهم الدينيّة التي هي من أهمّ وظائف رجال الدين المكلّفين من الله تعالى بإرشاد الأمّة وتوجيهها إلى منهاجها القويم. فالمرجوُّ من المسلمين أن يقفوا إلى جنبهم مؤيّدين ومؤاثرين ومعاضدين والله تعالى الموفّق وهو المستعان.

كربلا ٦ رجب ١٣٧٨ هـ مهدي الحسيني الشيرازي»[3].

(هـ) بيان الشيخ عبد الكريم الجزائري رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ ما أصدره (جماعة العلماء) في النجف الأشرف، وهم من علماء الدين العاملين، وما سيصدرونه من نشر أحكام الإسلام والدعوة للدّين هو من صميم الواجب الشرعي. فعلى كافّة إخواننا المسلمين تأييدهم ومؤازرتهم مؤازرةً للإسلام وصالح الأمّة، والله وليُّ التوفيق.

٧ رجب ١٣٧٨ هجريّة
عبد الكريم الجزائري»[4].

(و) بيان السيّد إبراهيم المعروف بميرزا آغا الشيرازي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ جماعة العلماء في النجف الأشرف عدّة من عيون حملة العلم قد أقاموا استجابةً للحكم الشرعي بأعباء الدعوة الدينيّة بإصدار النشرات وغير ذلك من وسائل الهداية والتوجيه، فسدّد الله خطاهم ووفّقهم في مرماهم، وعلى المسلمين الاستنارة بإرشاداتهم ومؤازرتهم في أعمالهم، والله وليُّ التوفيق.

١١ رجب ١٣٧٨
الأحقر إبراهيم الحسيني الشيرازي الإصطهباناتي»[5].

(ز) بيان السيّد محمّد البغدادي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) محمّد: ٧.
(٢) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٦٩ ؛ انظر الوثيقة رقم (٢٧).
(٣) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٦٨ ؛ انظر الوثيقة رقم (٢٨).
(٤) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٧٠ ؛ انظر الوثيقة رقم (٢٩).
(٥) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٧١.

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ومنقذ الإنسانيّة الأعظم من الظُلَم إلى النور (محمّد بن عبد الله) وآله الطاهرين.

وبعد، إنّ ما صدر من المنشورات الداعية إلى الدين وإلى وحدة الأمّة ووحدة الكلمة باسم جماعة العلماء، فإنّه عملٌ مشكورٌ، ونحن نؤيّده لأنّه لم يخرج عن الحقّ والواقع، وفّق الله الجميع لخدمة الإسلام والأمّة، إنّه وليّ التوفيق.

محمّد الحسيني البغدادي»[1].

(ح) بيان السيّد محمّد الجواد الطباطبائي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه، وإلاّ فعليه لعنة الله»[2]. غيرُ خاف أنّ ما قام به فريقٌ من الأعلام في النجف الأشرف من إصدار منشورات باسم جماعة العلماء لا تحسبوه هيّناً وهو عند الله عظيم، فإنّ الهدف فيها ليس إلاّ الدعوة إلى الدين ومحاربة العبث والفساد المنتشر في الأقطار والقضاء على المبادئ الهدّامة، فيجب على كلّ مسلم غيور مؤازرتهم ومساهمتهم في هذه الخدمة الدينيّة.

الأحقر محمّد الجواد الطباطبائي التبريزي»[3].

بقيّة منشورات (جماعة العلماء)

٥ ـ المنشور الخامس: وقد جاء في المنشور الخامس:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[4]

أيّها المجاهدون في سبيل مستقبلٍ مشرقٍ وغدٍ سعيد... أيّها المتوفّرون على صنع تأريخ أفضل لهذه الأمّة، وصرح جبّار..

أيّها الشباب المسلمون الذين نذروا نفوسهم لخوض معركة التحرير والسيادة في ظلّ قيادة الزعيم المنقذ اللواء الركن عبد الكريم قاسم.

أيّها الشيوخ الذين أدّوا للأمّة حقوقها ولا زالوا يؤدّون..

إنّ المستقبل المشرق هو الإسلام.

وإنّ الغد السعيد هو الغد الذي يحكم فيه مبدأ الإسلام الرسالة الروحيّة والاجتماعيّة الكبرى التي لم تر الإنسانيّة رسالةً روحيّةً واجتماعيّةً تسمو إلى مستواها العظيم في سعتها وشموها، وفي روعتها وكمالها، وفي إقامتها لقانون التوازن في شتّى ميادين الحياة، ومختلف شعبها.

ومن آيات هذا التوازن نظامه الاقتصادي الرائع الذي لا يزال أكثر المسلمين يجهلونه ولا يعلمون أنّ لدينهم العظيم نظاماً اقتصاديّاً فذّاً يتكفّل بحلّ مشاكل الإنسانيّة، ويفهرس لها الحياة المعيشيّة بشكل متوازن الخطوط.

ومن الطبيعي أن يجهل كثيرٌ من الناس اقتصاد الإسلام ونظامه، فإنّ التعليم الذي مرّ بالطلاّب في أدوار

---

(١) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٧٢ ؛ انظر الوثيقة رقم (٣٠).

(٢) الكافي ١: ٢٥. وفي المصدر: «فمن لم يفعل» بدل: «وإلاّ».

(٣) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٧٣.

(٤) يوسف: ١٠٨.

دراستهم لا يعطيهم كلمة عن هذا النظام الاقتصادي، ولا يفهّمهم أنّه نظام مستقلٌّ بنفسه قائمٌ بذاته، حافلٌ بمحاسن الأنظمة الاقتصاديّة كلّها، وسالمٌ عن مساوئها ونقاط الضعف فيها.

وإنّما لقي الإسلام هذا الإهمال الكامل تنفيذاً لما أشرنا إليه مراراً من الخطّ السياسي العريض للاستعمار تجاه الإسلام والمسلمين. فقد شاء الأسياد المزعومون أن يفهّموا المسلمين أنّهم فقراء إلى أفكار أروبا وأنظمتها وطرائقها في الاجتماع والحياة وأنّهم لا يملكون تفكيراً اجتماعيّاً خاصّاً ولا نظاماً ذا طابع مستقل، فألغوا من القاموس الفكري الذي حاولوا أن يضعوه لنا اسم الإسلام وأنظمته ليقولوا لنا في غطرسة وتعال: نحن الأقوياء المفكّرون، وأنتم الضعفاء المقلّدون، فسيروا في ركبنا لنشقّ لكم الطريق، ونعبّد لكم السبيل، ونذلّل أمامكم الصعاب.

شاءوا أن يجوّعونا فكريّاً وماديّاً، فحرمونا من الغذاء الفكري والمادي الذي يقدّمه الإسلام للمسلمين. وإلاّ فأين الجوع الفكري إلى مبادئ الغرب وأنظمة الأجانب إذا اهتدى المسلمون إلى الكنز، ووضعوا أيديهم على مفتاح السرّ للثروة الفكريّة الهابطة من السماء؟ وأين الجوع المادي ونظام الإسلام يوازن بين أفراد الأمّة ويضع لها وحدة تشريعيّة لاقتصاده، إذا طبّقت بمجموعها فهي كفيلة بالقضاء على سوء التوزيع، وعلى اختلال التوازن، وعلى الحاجة والفقر، وعلى التضخّم المالي الفظيع، وعلى كلّ حريّة فرديّة تضرّ بالأمّة وعصبها الاجتماعي، ولا يتّسع هذا البيان لتفصيل تلك الوحدة التشريعيّة للاقتصاد الإسلامي بكلّ خطوطها. وإنّما نريد التنبيه على أنّ ضمان الإسلام لحياة المعوزين من أفراد الأمّة ليس مرتكزاً على أساس إحسان الأغنياء وأريحيتهم ومدى تأثير النصائح والمواعظ فيهم كما يتوهّم بعض الناس، بل هو يرتكز على حقوق ثابتة في صميم النظام الإسلامي، فإنّ الإسلام يجعل من الدولة وسيلة لتهيئة فرص العمل ومجال الحياة المنتجة لكلّ فرد من الأمّة، فإذا لم يكن في طاقة الشخص ممارسة نشاط عملي يهيّئ له الحياة الحرّة الكاملة ولم يكن له معيل، فالإسلام يموّنه بحياة معيشيّة كاملة أو يكمّل النقص في مستواه المعيشي من الفرائض الماليّة التي يجعلها في أموال الأمّة، ويحاسبها على أدائها، ولا يعتبرها تفضّلاً ولا امتناناً منهم على الفقراء، وإنّما هي فرائض لازمة، لا كرامة ولا شأن لهم حين يطبّق الإسلام إذا لم يؤدّوها.

بل يذهب الإسلام أكثر من هذا، فيرى أنّ مسألة الفقر والغنى تتّصل بمسألة الإسلام والكفر بالذات، وأنّ الفقر كما يشكّل خطراً على الوجود الاجتماعي للأمّة كذلك يهدّد بالخطر كيانها الروحي وقيمها الدينيّة، فقد قال أحد رجال الإسلام من الصحابة: «إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك»[(١)].

فانظر كيف ينظر الإسلام إلى الفقر، وكيف يراه شبح السقوط ونذير التدهور في كلّ المجالات. ومن الطبيعي حينئذ أن يعمل على إبادته من المجتمع.

وقد جاء الإسلام بذلك التصميم الاقتصادي الجبّار في عصر لم تبلغ فيه المفاهيم الاجتماعيّة للاقتصاد شيئاً من الرشد والنضج، فكان هو السبّاق بتلك الضمانات الاجتماعيّة على مبدأ الضمان الاجتماعي الذي أخذت الإنسانيّة تحلم به بعد ذلك بمئات السنين.

فما أروع الإسلام حين يقدّم لنا هذه الضمانات مقرّراً على أساس إيمانه العميق بها «ما جاع فقير إلاّ

---

(١) لم على هذا التعبير، وما عثرنا عليه هو ما نقل عن دغفل قال: قال المال أنا أسكن العراق فقال [القدر/الغدر] أنا أسكن معك، وقالت الطاعة أنا أسكن معك الشام قال الجفاء أنا أسكن معك، قال العيش أنا أسكن مصر قال الموت أنا أسكن معك، وقالت المروءة أنا أسكن الحجاز فقال الفقر وأنا أسكن معك (تاريخ دمشق ١: ٣٢٢ ؛ مختصر تاريخ دمشق ١: ٣٠، ٣٤).

بما متّع به غني»[١]، و«ما رأيت نعمة موفورة إلاّ وإلى جانبها حقٌّ مضيّع»[٢]، فالفقر لا يوجد في جانب من الأمّة إلاّ ويقابله حقٌّ مغتصبٌ ومتعةٌ رخيصةٌ في الجانب الآخر.

ولذا وضع الإسلام تصميم مجتمعٍ غنيٍّ سعيدٍ سالمٍ عن الإفراط والتفريط وعن الحاجة والإسراف تعمره العدالة والمساواة المعنويّة والتوازن المعيشي الصحيح:

فهيا أيّها المسلمون.. إلى تفهّم هذا النظام الجبّار واستثمار ما فيه من خيرات والتزوّد بما يشتمل عليه من ثمرات لتسعدوا في الدنيا والآخرة.

وإلى الملتقى القريب إن شاء الله.

١٣ رجب ١٣٧٨ هـ

جماعة العلماء في النجف الاشرف»[٣].

وبعد صدور المنشورات الخمس، تمّ نشرها مجموعةً ، ثمّ نشرت لاحقاً بعد إضافة السادس والسابع[٤].

٦ ـ المنشور السادس: أمّا المنشور السادس فقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[٥]

يا أمّة الإسلام!!

يا شبيبة محمّد والقرآن!!

يا فتية المبدأ الطاهر الذي حمله أجدادنا فأناروا به العالم وأسعدوا به البشريّة الشقيّة، وأرشدوا الإنسانيّة التائهة وهدوها إلى معين للحياة لا ينضب وينبوع للعزّة والخير لا ينحصر!!

إنّ لكلّ أمّة ميلاداً، ولذكرى الميلاد أثرٌ عميقٌ في النفس. ويوم المبعث النبوي ـ الذي هو نقطة انتقال في تاريخ الإنسانيّة ـ هو يوم ولادتك أيّتها الأمّة المسلمة الجبّارة، ويوم انبثاق رسالتك الكبرى التي تحيين لها وتموتين، فما أحراك ـ وقد أشرقت عليك ذكراه المقدّسة من جديد ـ أن تلتفتي إلى الماضي الزاهر بالوحي، لتقتبسي من نور ذلك الوحي مشعلاً تحملينه بيدك، ومن تاريخك الجهادي في سبيل قضايا الحقّ والعدالة طاقةً على حماية ذلك المشعل وإنارة العالم به، وإقامة الحياة في هذا المجتمع على ضوئه وإشعاعه بعد أن تخبط في الظلمات مئات السنين.

---

(١) نهج البلاغة: ٥٣٣ ؛ مستدرك الوسائل ٧: ٩.

(٢) لم نعثر عليه. وقد نقله في (دراسات في نهج البلاغة: ٤٠) دون تخريج المصدر. وقد نسب في بعض المصادر إلى كلام الحكمة: «ما رأيت قطّ سرفاً إلاّ ومعه حقٌّ مضيّع» (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣: ٤٥١ ؛ الجامع لأحكام القرآن [تفسير القرطبي] ١٠: ٢٥١)، وفي بعضها الآخر إلى معاوية بن أبي سفيان بألفاظ متقاربة (انظر: البخلاء ١: ٤٠ ؛ البيان والتبيين ١: ٥١٣ ؛ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١: ٥٧٩ ؛ وانظر ضمن الموسوعة الشعريّة: التمثيل والمحاضرة: ٥٠ ؛ العقد الفريد: ٤٩٤٠ ؛ زهر الآداب وثمر الألباب: ١٠٣ ؛ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: ٧٦٤). ونقل عن سفيان بن عيينة قوله: «ما رأيت شرَفاً قطّ إلاّ وإلى جانبه حق مضيّع» (المجالسة وجواهر العلم ١: ١١٤).

(٣) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٤٤ ـ ٥٠.

(٤) جاء على غلاف الطبعة الثالثة: «للمرّة الثانية تجيز الرقابة إعادة طبع منشورات جماعة العلماء، وذلك بعد أن أضفنا لها السادس والسابع».

(٥) يوسف: ١٠٨.

إنّ الإسلام مسألة حياة أو موت للإنسانيّة كلّها.

وإنّ الإنسانيّة لمنتهية إلى الإسلام في مستقبل قريب أو بعيد لا محالة عندما نؤمن بفشل تجاربها التي قامت بها في شوطها الطويل والطويل جداً الذي قطعته في سبيل تحقيق دين الحياة، وسوف تستمر فيه حتّى ترسو على شاطئ الإسلام، دين الطبيعة الإنسانيّة والحياة، فلتكونوا أنتم ـ أيّها المسلمون ـ أوّل من يرسو على هذا الشاطئ، ويقيم مجتمعاً إسلاميّاً يشعّ على العالم كلّه بمفاهيم العدالة والحقّ ويحقّق المعجزة التي عجزت عنها الإنسانيّة، فيحقّق للفرد كرامته، وللمجتمع حقوقه ولا يخنق في ذاك حريّته وطبيعته، ولا في هذا حياته [و]سعادته، فإنّ كلّ نظام لا يقوم على أساس التوحيد الخالص وشعب هذا التوحيد التي تشمل نواحي الحياة كلّها لا يمكن أن يحقّق ذلك كما يتّضح ذلك في كتاب سيصدر في النجف الأشرف باسم (فلسفتنا) إن شاء الله.

إنّ السفينة قد وجدت طريقها المهيع بعد أن أزال البطل اللواء عبد الكريم قاسم العقبات الاستعماريّة التي كانت تعترضها، فعلى الدعاة إلى الإسلام أن يعدّوا العابرين روحيّاً وفكريّاً لسكنى ذلك الشاطئ.

فالواقع أنّ عهد الأمّة الإسلاميّة بذلك الشاطئ السعيد قد بعد وطال جداً، وضعفت فيها الجذوة الروحيّة التي هي مزاج ذلك الشاطئ، وكادت أن تبتعد الأمّة عن مفاهيمه التي ترتكز عليها السعادة الاجتماعيّة في شاطئ الإسلام، منذ أن غزا الاستعمار بلاد المسلمين، وحمل إليهم أنظمته الماديّة التي لا موضع فيها لقيم الروح والأخلاق.

فيجب في هذه الساعة الحاسمة التي ولّى فيها عدو الإسلام الأوّل ـ وهو الاستعمار ـ أن نملأ أرواحنا وعقولنا بالإسلام، لنهيّئ أنفسنا للأجواء الفكريّة والاجتماعيّة التي تعمر ذلك الشاطئ المقدّس، وأن نستزيد من معلوماتنا عن رسالة الإسلام وخصائصها ومزاياها، لتقوى الأمّة الإسلاميّة على حملها كقيادة فكريّة للعالم.

إنّ الإسلام رسالة فكريّة ودعوة إنسانيّة عامّة لا تعرف حدوداً إلاّ حدود الفكرة التي تبشّر بها، فالميزان هو الفكرة والأساس هو العقيدة.

وإذا راجعنا تاريخ الإسلام نتبيّن ذلك بوضوح من الدولة الإسلاميّة التي انبثقت عن هذا المبعث النبوي المقدّس، فإنّها دولة فكريّة قائمة على أساس مفهومها عن الحياة الذي يتلخّص في انبثاق الحياة عن خالق حكيم وفي ضمان سعادتها بتنفيذ نظامه ونيل رضاه. وكلّ من آمن بهذا المفهوم ـ وإن كان جديد الإيمان ـ كان يعتبره الإسلام فرداً في الدولة وقد يسلّم له زمام قيادة، وعهدة حكم، إذا كانت الفكرة عميقة في قلبه وعقله مع الغضّ عن سائر الاعتبارات الأخرى.

وليس معنى ذلك أنّ غير المسلم كان مهاناً في الدولة الإسلاميّة وكانت كرامته وحقوقه عرضةً للخطر، بل كان لغير المسلم القائم بواجبات المواطنة الإسلاميّة حقوقه وحرمته وكرامته وشأنه وحريّته في ممارسة أعماله الدينيّة والعقيديّة.

وقد بلغ حرص الإسلام على توفير الكرامة لغير المسلم من المواطنين وتطبيق العدالة التي لم تشهد الإنسانيّة لها نظيراً، أنّ خليفة المسلمين وجد يوماً درعه عند مسيحي من عامّة الناس، فأقبل به إلى أحد القضاة واسمه (شريح) ليخاصمه ويقاضيه، ولمّا كان الرجلان أمام القاضي، قال الخليفة: إنّها درعي ولم أبع ولم أهب. فسأل القاضي الرجل المسيحي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين فقال المسيحي: ما الدرع إلاّ درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، وهنا التفت القاضي إلى الخليفة يسأله هل من بيّنة تشهد أنّ هذه الدرع لك؟ فضحك الخليفة وقال: أصاب شريح ما لي بيّنة، فقضى شريح بالدرع للرجل المسيحي فأخذها ومشى، إلاّ أنّه لم يخط خطوات قلائل حتّى عاد يقول: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضٍ يقضي عليه!! ثمّ قال: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين وقد كنت كاذباً فيما ادّعيت.

وبعد زمن شهد الناس هذا الرجل المسيحي جنديّاً مسلماً وبطلاً مجاهداً في المعارك الإسلاميّة[١].

إنّ دولةً هذه مفاهيمها تحتاج إلى ترويض روحي عظيم وبعث ديني شامل. فإلى هذه المفاهيم أيّها المسلمون لنصل إلى الشاطئ بسلام.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

وإلى الملتقى القريب إن شاء الله.

جماعة العلماء

في النجف الاشرف

الجمعة ٢٧ رجب ١٣٧٨ هـ»[٤].

٧ ـ **المنشور السابع:** أمّا المنشور السابع فقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[٥]

إلى شباب الأمّة الإسلاميّة الذين يرتكز عليهم الإسلام في قوّته وجهاده.

إلى أجيال محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الطالعة المدعوّة إلى رفع رايته والتبشير برسالته.

إلى الغيارى على الكيان الحبيب المؤمنين بأنّ الإسلام هو الحارس الوحيد لذلك الكيان والمحامي عنه:

إنّ احتفاء الأمّة العظيمة بهذه البيانات، وإقبالها على ما فيها من المفاهيم الإسلاميّة الوضّاءة بالخير والعدل والمساواة، كشف عن مدى استعداد الذهنيّة الإسلاميّة المخلصة للتجاوب من جديد مع رسالة نبيّها الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، وعن تهيّؤ الروحيّة الإسلاميّة المباركة للانصهار بالإسلام ديناً يملأ القلب إيماناً واطمئناناً ومبدأً يملأ الحياة سعادةً واستقراراً.

ومن مظاهر هذا الإقبال أنّ أكثر الأوساط أخذت تطالب بزيادة إيضاح للمفاهيم الإسلاميّة التي نعطيها في البيانات وصوغها في أساليب بسيطة ولغة ميسّرة الفهم للعموم لتعمّ الاستفادة منها، ولتشيع هذه المفاهيم المباركة في شتّى الأوساط العامّة وتضيء السبيل الفكري الصحيح لمختلف الأفراد.

ونزولاً على إرادة العموم، قرّرنا أن نلاحظ في هذا المنشور وما يتلوه من منشورات جانب التوضيح، ونتّخذ منهجاً بسيطاً وميسّراً في التعبير لنستطيع أن ننفذ بمفاهيم الإسلام إلى أعماق قلوب العموم من المسلمين، ونقتلع من صميمها جميع المفاهيم الخاطئة من مخلّفات العهد الاستعماري الذي قوّضته ثورة العراق الجبّارة بقيادة الزعيم الكريم الموفّق، فإنّ ذلك العهد الفظيع كان يغذّي فكريّة الأمّة بما يحلو له من سموم، وبما يتّصل بمصالحه وكيانه من مفاهيم، فضرورة الإسلام اليوم تدعو إلى بعث الفكر الإسلامي بعثاً جديداً يطهّره من تلك السموم المدسوسة، وينقّيه من تلك المفاهيم الاستعماريّة الدخيلة.

ومن أخطر تلك المفاهيم على كيان المسلمين ما نشأ في ظلّ العهد الاستعماري من مفهومٍ خاصٍّ

---

(١) انظر: الغارات ١: ٧٤ ؛ بحار الأنوار ٣٤: ٣١٦، ١٠٤: ٢٩٠ (مع يسير اختلاف).

(٢) آل عمران: ٦٢.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف، الطبعة الثالثة، ٢٤ شعبان ١٣٧٨ : ٥١ ـ ٥٧.

(٥) يوسف: ١٠٨.

للسياسة في ذهن عامّة الناس من الأمّة، وشجّع الاستعمار على تركيزه وتقويته، فإنّ السياسة الاستعماريّة لمّا كانت حاشدة بالمكر والخديعة وزاخرة بالختل والأكاذيب اتّخذت لها إطاراً مشوّهاً، فصار كثيرٌ من المسلمين لا يفهمون من السياسة إلاّ الالتواء واغتصاب الحقوق وانتهاك حرمات الأمّة وكرامتها.

ولّما تركّز هذا المفهوم في أذهانهم انبثقت عنه فكرة التباين بين السياسة والإسلام، وصاروا ينظرون إلى السياسة كأنّها أبعد الأشياء عن واقع الإسلام وجوهره، لأنّ الإسلام دينٌ طاهر من تلك الأدناس التي شاعت في الجوّ السياسي الموبوء على يد الاستعمار، ومن الطبيعي أن يكون مفهوم السياسة من أبعد المفاهيم عن الإسلام إذا كان معنى السياسة هو التلاعب والاحتيال.

وقد ارتاح المستعمرون كلّ الارتياح لهذه المباينة التي قامت في فكر العامّة من الأمّة بين حقيقة الإسلام وواقع السياسة، وحاولوا أن يزيدوا في هذه الشقّة بينهما في الأذهان لئلاّ يحاول الإسلام بعد ذلك أن ينهض بالمسلمين على يد قادته المخلصين لمحاربة الاستعمار، ومقاومة طغيانه السياسي والوقوف في وجهه، فركّزوا تلك المباينة وطوّروها وغذّوها على شكل يحقّق لهم مصالحهم، ويحول دون نهضة الإسلام وانتفاضته أو يقف عائقاً في الطريق على أقلّ تقدير.

ومفهوم المباينة هذا الذي تبنّاه الاستعمار، وفصل به الإسلام عن السياسة في الأذهان، هو الذي كان يعترض طريق علماء الإسلام ويعيقهم عن تسجيل نجاح حاسم في معارضاتهم الحادّة لأقطاب الاستعمار والطغيان بعد أن كانوا يخوضون الميدان قبل أن يخلق الاستعمار هذا المفهوم في الذهن العام ويقودون الثورات التحريريّة على كلّ غزو استعماري أو سياسة استعماريّة.

إنّ السياسة بمعناها الصحيح ـ لا بمعناها الذي شاهدنا من المستعمرين ـ هي رعاية شؤون الأمّة وعلاقاتها الداخليّة والخارجيّة، فهي التي تحقّق للأمّة مصالحها وتحفظ لها كيانها الاجتماعي في شتّى شعب الحياة ونواحيها، وهي التي تحدّد لها علاقاتها وصلاتها، وترسم عمليّاً حياتها ومنهاجها في الحياة.

هذه هي السياسة بمعناها الاصطلاحي الصحيح، فإذا تبيّناها في واقعها المصفّى وجوهرها البنّاء ووضح لنا كلّ الوضوح مدى الغلط والاشتباه في تلك العقيدة السائدة التي تجعل السياسة نقطة مقابلة للإسلام، فإنّ السياسة إذا كانت في مفهومها الكامل تعني رعاية شؤون الأمّة وحماية مصالحها فهي من صميم الإسلام، وهل اهتمّ الإسلام بشيء كما اهتمّ برعاية شؤون الأمّة وتنظيم علاقاتها وإجراء الأنظمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة العادلة عليها.

فالإسلام يباين السياسة ولكن لا تلك السياسة الصحيحة النزيهة التي يعبّر عنها المفهوم الاصطلاحي للّفظ، بل إنّما يباين سياسة الاستهتار بالكرامات الإنسانيّة واستلاب حقوقها والتآمر على سلامتها.

والإسلام يتبنّى القضيّة السياسيّة، ولكن لا بالمعنى الاستعماري للسياسة، بل بالمعنى الذي كان يقوم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الممثّل للإسلام في كلّ مظاهر حياته المقدّسة ونشاطه المبارك يتولّى باسم الإسلام رعاية شؤون الأمّة وقيادتها الاجتماعيّة وسياسة أمورها وتنظيم حياتها على ضوء شريعته الإلهيّة العادلة.

وليست القضيّة السياسيّة للإسلام تعني أشخاصاً وإنّما تعني مبدأً خاصّاً وهو مبدأ الإسلام الذي يفوق جميع المبادئ والاتّجاهات، فعلى كلّ مسلم كامل أن يكون ذا وعي سياسي صحيح بمعناه الذي يريده الإسلام، وأن يركّز هذا الوعي على القاعدة الإسلاميّة، فهو بطبيعة إسلامه لا بدّ أن يجعل قضيّة الأمّة وشؤونها هي قضيّته الأولى في حياته التي لا بدّ أن يساهم فيها بكلّ ما يملك من حول وطول لقوله صلى الله عليه وآله: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته»[1]. ولا بدّ أن ينظر إلى تلك القضيّة بالمنظار الإسلامي الخالص،

---

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٣٨.

ومن زاوية الإسلام التي تشعّ بطبيعتها على العالم بالنور وتحاول أن تدفع به إلى شاطئ السلام الحقيقي.

فهذا هو الفهم السياسي الذي كان يحمله كلّ مسلم في الصدر الأوّل من الإسلام، وهذه هي الرسالة التي كان يرفع لواءها العظيم كلّ مسلم في الصدر الأوّل من الإسلام أيضاً.

ويتلخّص ذلك الفهم في أنّ السياسة التي يريدها الإسلام هي سياسة رعاية وعناية بالأمّة ومصالحها وشؤونها، وأنّه يريد هذا الوعي السياسي من كلّ مسلم، لأنّه قال ﷺ «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته» كما سبق. وتتلخّص الرسالة التي يركّز عليها ذلك الوعي في أنّ نظام الإسلام هو النظام المتكفّل بمصالح الأمّة ورعاية شؤونها ما تعلّق منها بالدنيا وما تعلّق منها بالآخرة، ولا أدلّ على ذلك من قول نبيّنا ﷺ حين وقف خطيباً بين عشيرته الأقربين فقال: «إنّي [والله ما أعرف شابّاً في العرب] جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، [إنّي قد] جئتكم بخير الدنيا والآخرة»[1].

وإلى الملتقى القريب إن شاء الله تعالى...

جماعة العلماء في النجف الأشرف»[2].

ثمّ توقّفت المنشورات في رمضان/١٣٧٨هـ بعد فشل حركة الشوّاف [في ١٩٥٩/٣/٨م] وتصاعد المدّ الماركسي[3].

احتفال المرجعيّات بمناسبة ولادة الإمام علي عليه السلام في كربلاء

في كربلاء استقرّ تفكير الحركة الإسلاميّة على إقامة احتفال سنويٍّ ضخم بمناسبة ولادة الإمام علي عليه السلام ليكون تظاهرة إسلاميّة كبرى يعبّر فيها الإسلاميّون عن قوّتهم وآرائهم ومواقفهم، ويتصدّون من خلالها للتيّارات الوضعيّة والأحزاب المعادية للإسلام خاصّة حزب البعث والحزب الشيوعي[4].

أقيم الاحتفال مساء الأربعاء ـ ليلة الخميس ـ ١٢/رجب/١٣٧٨هـ (١٩٥٩/١/٢١م)[5]، وحضره معظم مراجع الدين في العراق، وفي مقدّمتهم السيّد محسن الحكيم والسيّد مهدي الشيرازي رحمهما الله، كما حضره ممثّلون عن عبد الكريم قاسم والحكومة والمدن العراقيّة وبعض الدول الإسلاميّة.

وكانت فكرة احتفال كربلاء والتخطيط له وإعداد برامجه قد طرحت في اجتماع عقد في منزل السيّد الصدر رحمه الله في النجف الأشرف حيث حظي المشروع بتأييد ورعاية السيّد محسن الحكيم والسيّد مهدي الشيرازي رحمهما الله، فكان الاحتفال يقام برعايتهما[6].

وفي احتفال كربلاء، كتب السيّد الصدر رحمه الله كلمة باسم (جماعة العلماء)، وعدّل كلمة أخرى ألقاها [السيّد مهدي الحكيم رحمه الله] باسم والده السيّد محسن رحمه الله[7]، والتي جاء فيها:

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي رحمه الله: ٥٨٣، المجلس (٢٤).

(٢) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٥٨ ـ ٦٥ ؛ انظر الوثيقة رقم (٣١).

(٣) لمحات من حياة الإمام الصدر، السيّد محمّد باقر الحكيم: ١٩ ؛ وما بين [] منّا.

(٤) سنوات الجمر: ٥٩.

(٥) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (دام عزه).

(٦) سنوات الجمر: ٦٠.

(٧) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢٨ ؛ وما بين [] من: المهرجان العالمي بمولد الإمام بطل الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كربلا: ٩٧. هذا ويؤكّد الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله أنّه أقيم احتفالٌ في كربلاء قبل يوم من احتفال (جماعة العلماء) في النجف [مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (دام عزه)]، بينما يذكر الأستاذ صلاح الخرسان أنّ

«بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد.

الحمدُ لله مقدار نعمه وإن جلّت عن الحصر، ومبلغ علمه وإن تعالى عن الحدّ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، المتفضّل لجوده المتعالي في كمال وجوده. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، سيّد الدعاة إليه وأكرم الرسل عليه صلّى الله عليه، وعلى أطائب عترته والصفوة المنتجبة من ذريّته.

أيّها المؤمنون..

أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأبارك لكلّ فرد منكم ولجميع المؤمنين في الأقطار الإسلاميّة بهذه المناسبة الكريمة، مناسبة ذكرى مولد سيّد الأمّة وأبي الأئمّة سيّدنا أمير المؤمنين عليه وعلى عترته الطيّبة أفضل الصلاة والسلام.

أيّها المؤمنون..

ليس الغرض من هذه الاحتفالات المقدّسة هو مجرّد الحضور والاستماع إلى ما يُلقى فيها من نظمٍ ونثرٍ، وإنّما الغرض منها هو الاستفادة من حياة الإمام عليه السلام وجعلها نبراساً لنا نستضيءُ بنوره ونهتدي بهداه، فلقد كان الإمام عليه السلام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المثل الأعلى لجميع الصفات الحميدة والخصال الكريمة التي دعا إليها الإسلام في تعاليمه وحرص عليها في محكم كتابه.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١].

أيّها المؤمنون..

جديرٌ بنا أن نقف حيث اختار الله لنا من دينه وأن لا نتعدّى ما وصف لنا من حدوده، وإنّها لكرامةٌ كبرى ومنزلةٌ رفيعةٌ أن يختار الله لعبده ما يحبُّ فيأمره به، وأن يعرّفه ما يبغضه فينهاه عنه. إنّها لكرامةٌ على الله ومنزلةٌ رفيعةٌ عنده أن يكون هو الناظر لعبده في جميع أعماله، فيكشف له ما في العمل من صلاحٍ أو فساد، ويوضح له ما في السلوك من خيرٍ أو شر، وليس على العبد بعد ذلك إلاّ أن يمتثل، وليس عليه إلاّ أن يرتقي، فقد نصب له السلّم ويسّر له السبيل ووضع له الدليل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾[٢]. وما عسى الإنسان أن يختار بعد خيرة الله، وما عساه أن ينظر بعد نظره.. جديرٌ بالمسلم أن يقف حيث اختار الله له من دينه، وأن يعتزَّ بهذا الحباء الذي حباه الله به، والمنزلة التي بوّأه إيّاها، وأن ينصرف جهده إلى استجلاء أسرار الدين واكتشاف غوامض التكوين، فكلاهما تتجلّى فيه دقائق الحكمة وعظمة التنظيم،

كلمة السيّد الصدر رحمه الله التي ألقاها في كربلاء باسم (جماعة العلماء) كانت في أوّل احتفال يقام بالمناسبة (حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢٨)، وهذان الأمران يعنيان أنّ كلمة السيّد الصدر رحمه الله كانت في هذا العام. وهناك مساران تسير فيهما الشهادات: **الأوّل:** تمثّله شهادات الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله، ولا يمكن أن نرتضي على أساسه أن يكون إلقاء السيّد الصدر رحمه الله كلمتَه قد جاء باسم (جماعة العلماء). **الثاني:** وهو الذي نراه ممكناً جدّاً بحسب ما بأيدينا من وثائق، وهو الذي لا يمكن أن نستبعد معه أن يكون إلقاء السيّد الصدر رحمه الله كلمته قد جاء باسم (الجماعة) لأنّه سبق أن كتب منشوراتها ابتداءً من ٢٣/جمادى الأولى/١٣٧٨هـ.

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

لنقف على دينٍ يقول سيّد دعاته بعد مؤسّسه الأوّل: «والله لو أعطيب الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلبَ شعيرة ما فعلت»[(١)].

لنقف على هذه الكلمةً العظيمة من هذا القائل العظيم ثمّ [لنتفكّر]: أيُّ دينٍ هذا الذي ينزّه مجتمعه من هذه الهنات؟ وأيُّ عظمةٍ لإمام دينٍ تكون له مثل هذه النزاهة؟ ثمّ أيُّ سعادة تفقد أو تقصر في مجتمع تتّبع فيه هذه القواعد ويحكمً فيه هذا النظام. ذلك هو الدين القويم الذي شرّع لعباده، وذلك هو ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[(٢)].

فجديرٌ بنا أيّها المؤمنون ونحن بجوار الروضة المقدّسة في هذه الليلة الشريفة، ليلة الجمعة والمولد المبارك أن نرفع أكفَّ الدعاء إلى الله جلّ شأنه ليعيد هذه الذكرى على المسلمين في كلّ عام مستمسكين بدينهم، مقرونةً بالتوفيق مساعيهم، دائبين على الدعوة إلى سبيل ربّهم بالحكمة والموعظة الحسنة، إنّه وليُّ التوفيق، وهو حسبُنا ونعم الوكيل»[(٣)].

احتفال (جماعة العلماء) بمناسبة ولادة الإمام علي عليه السلام في النجف

قرّرت (جماعة العلماء) إقامة احتفال بمناسبة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام عصر يوم الثالث عشر من شهر رجب في مسجد الهندي، ويتضمّن الحفل تعريفاً بالجماعة وبأهدافها ونشاطاتها، وقد بدء التحضير لهذا الاحتفال ابتداءً من شهر جمادى الثانية حيث قاموا بطبع البطاقات ودعوة الناس.

وقبل حلول يوم الذكرى وأثناء العمل على توزيع البطاقات إلى المدعوّين في أنحاء العراق عقدت (جماعة العلماء) اجتماعاً أكّد فيه الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله على عدم دعوة أيّ شخص معروف بانتمائه الحزبي، وقد تبيّن له أثناء الحديث أنّ أشخاصاً قوميّين تمّت دعوتهم إلى الاحتفال، وكان موقفه أن قال لهم: «**إذا أتى إلى الحفل شخص حزبي يحمل بطاقة فهذا فراق بيني وبينكم**»، وناقشه أحد الأعضاء في ذلك باعتبار أنّه لا يصحّ أن يفرض رأيه على الجماعة طالما أنّها تضمّ أشخاصاً آخرين، ولكنّه أصرّ على موقفه إصراراً شديداً، الأمر الذي أدّى بالجماعة إلى تمزيق سبعمائة بطاقة على ما نقله للشيخ الجواهري السيّد حسين بحر العلوم رحمه الله في اليوم التالي، ما بعث على ارتياح الشيخ الجواهري رحمه الله. كما أنّ الشيخ الجواهري رحمه الله التقى في اليوم التالي ابن أخي الشيخ أمجد الزهاوي ـ أحد علماء أهل السنّة المعروفين ـ وسأله الشيخ الجواهري عن سبب عدم مجيء عمّه فقال له: «**أهل كربلاء دعونا أمّا أهل النجف فلم يدعونا**»، فارتاح الشيخ الجواهري لذلك.

وعصر يوم الخميس ١٣/رجب/١٣٧٨هـ (١٩٥٩/١/٢٢م) أقيم الاحتفال كما هو مقرّر[(٤)]، وقد تضمّن كلمةً للسيّد محسن الحكيم رحمه الله وأخرى للرئيس عبد الكريم قاسم ألقاها الشيخ محمّد رضا المظفّر رحمه الله بالنيابة عنه، وأعاد إلقاءها عريّفُ الحفل السيّد حسين بحر العلوم نزولاً عند رغبة

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤٧.

(٢) النمل: ٨٨.

(٣) المهرجان العالمي بمولد الإمام بطل الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كربلا: ٩٧ ـ ٩٩ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٠٧ ـ ٣٠٩.

(٤) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (دام عزّه)

الحاضرين[١]، وقيل: إنّ متصرّف كربلاء فؤاد عارف هو الذي ألقاها[٢]، إضافةً إلى كلمة (جماعة العلماء) التي ألقاها الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله وفق ما تمّ الاتّفاق عليه في جلسة الجماعة الأخيرة، وكانت المرّة الأولى والأخيرة التي يلقي فيها كلمة، وقد تضمّنت كلمته التعريف بالجماعة وبأهدافها[٣]. وقد جاء في كلمة عبد الكريم قاسم:

«السلام عليكم أبناء الشعب.

السلام عليكم أبناء النجف الأشرف، بلد البطولة والحرّيّة، وبلد التقوى والرشاد.

السلام عليكم أيّها العلماء الأفاضل في كلّ مكان.

يسرّني أن تتاح لي الفرصة فأبعث إليكم بكلمة موجزة لتلقى في هذا اليوم الأغرّ يوم الاحتفال بمولد الإمام علي أمير المؤمنين، أمير الحكمة والفصاحةً والبلاغةً والبيان، وهو الذي نستمدّ الهدى من سيرته والسياسة من حكمته والاندفاع في سبيل الحقّ من جرأته.

إنّ الإخلاص بالعمل في سبيل الله والشعب والوطن سيكون دوماً رائدنا، ونصرة العدل والحقّ منهجنا.

ويسرّني وأنا الضعيف المحتاج إلى معونة الباري عزّ وجلّ أن أبتهل إليه ليأخذ بيدي ويساعدني في خدمة هذه الأمّة ونشر الفضيلة وإعلاء كلمة الدين والعدل في أرجاء البلاد كافّة، وأدعوه أن يجمع صفوف الشعب ويوحّد كلمتهم ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، لا سبيل إلى تفرقتهم ليكونوا قوّة جبّارة تضمن سلامة جمهوريّتنا الخالدة.

وقد عاهدنا الله بأنّنا سنكافح ونفنى في سبيلها وفي سبيل أمّة العرب، وأنّا نتمسّك بالحلم والهدوء في تصرّفاتنا لضمان مصلحة الشعب مستمدّين العون من الباري عزّ وجلّ. وإنّنا نستمدّ الحكمة من أقوال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «الحلم عشيرة»[٤] و«لا ظهير كالمشاورة»[٥] و«من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»[٦] وسوف لا ننسى العمل بقوله المأثور «وثمرة التفريط الندامة

---

(١) هذا ما جاء في الكتيّب الذي اشتمل على منشورات جماعة العلماء (منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ١٣).

(٢) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله)، ويبدو أنّ الشيخ المظفّر رحمه الله هو الذي القى الكلمة بحضور فؤاد عارف، فإنّ (منشورات جماعة العلماء) صدرت سنة ١٣٧٨هـ وتأريخ الشيخ الجواهري للحدث متأخّر جداً عن هذا التاريخ، فيصحّ تقديم الأوّل بملاك (الأذكريّة).

(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله). وفي بعض المصادر أنّ ذلك وقع في ذكرى ولادة الإمام الحسين عليه السلام (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤٤، نقلاً عن جريدة الجهاد: ١٣ العدد (٣٣٦) بتاريخ ١/رمضان/١٤٠٨هـ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٤٤)، والصحيح ما أثبتناه.

يُشار هنا إلى ما ورد في منشورات (جماعة العلماء): «هديّتي إلى إخواني أصحاب السماحة (جماعة العلماء) في النجف الأشرف مع تمنياتي الخالصة لنصرة الحقّ والدين وعلوّ كلمة الإسلام / ١٤ تموز ١٩٥٨ / الزعيم الركن عبد الكريم قاسم / التوقيع» (منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف، الطبعة الثالثة، ٢٤ شعبان ١٣٧٨ : ١٧).

ومن المستبعد أن يكون التاريخ الوارد في توقيع عبد الكريم قاسم تاريخاً لكتابته هذه العبارات كي يقال إنّ تاريخ تشكيل (جماعة العلماء) متقدّم على ثورة تمّوز، بل المظنون بشدّة أنّ عبد الكريم قاسم قد أورد هذا التاريخ بوصفه شعاراً لثورته لا أكثر.

(٤) نهج البلاغة: ٥٥٠.

(٥) نهج البلاغة: ٤٧٨.

(٦) نهج البلاغة: ٥٠٠.

وثمرة الحزم السلامة»[١] و«من صارع الحق صرعه»[٢] و«من أبدى صفحته للحق هلك»[٣] وكذا قوله: «وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه»[٤].

وختاماً أهنّئ إخواننا أبناء النجف الأشرف بجوارهم لمن شرّف تربتهم بمرقده، وأدعو الباري عزّ وجلّ أن يجعل هذا اليوم فاتحة خير وبركة لإعلاء كلمة الحقّ والدين، وينير طريق الحريّة والرشاد لأبناء هذا الشعب، ويبارك جهودهم لما فيه الخير العام للبلاد العربيّة والإسلاميّة كافّة وسلامة جمهوريّتنا الخالدة، والسلام عليكم.

١٣/رجب/١٣٧٨ هـ
١٩٥٩/١/٢٣م
الزعيم عبد الكريم قاسم»[٥].

المؤتمر الأوّل لحزب الدعوة في كربلاء

في أوائل العام ١٩٥٩م (رجب ـ رمضان/١٣٧٨هـ) عقد حزب الدعوة أوّل اجتماع له في كربلاء حضره خمسة عشر شخصاً من أعضاء القيادة والكادر الحزبي، وقد تمّ فيه استعراض الوضع السياسي القائم وقضايا تنظيميّة، وكان السيّد الصدرؒ يدير الاجتماع ويطرح المواضيع والتصوّرات ثمّ يجمع الآراء ويقرّرها.

وفي ختام أعمال المؤتمر الذي دام ليوم واحد، تمّ إقرار خطّة عمل كان قد اقترحها السيّد الصدرؒ لدعم المرجعيّة المتمثّلة بالسيّد محسن الحكيمؒ في صراعها مع المدّ الشيوعي الذي أخذ يجتاح العراق. وكانت الاجتماعات الأوليّة لحزب الدعوة تراقب مراقبة دقيقة من قبل الشيوعيّين، الأمر الذي كان يسبّب بعض الإحراج للمجتمعين[٦].

صدور العدد الأوّل من مجلّة (الأضواء) باسم (جماعة من طلبة العلوم الدينيّة)

في شهر شعبان/١٣٧٨هـ صدر العدد الأوّل من مجلّة (الأضواء)، وهي «**نشرة إسلاميّة [تعنى] بتعميم الثقافة على ضوء الدين، تصدر في كلّ شهر مرّة موقّتاً**»[٧]، والذي يبدو لي أنّ الشبّان السلاميّين أصدروها بادئ الأمر بسمهم، ثمّ استفادوا من اسم (جماعة العلماء) ليصدروها بعد ذلك باسمها، وإن لم يكن للجماعة علاقة إطلاقاً بمجلّة (الأضواء) وكلّ ما في الأمر أنّ مؤسّسيها استفادوا من اسم الجماعة التي لم تعترض على ذلك[٨].

---

(١) نهج البلاغة: ٥٠٢.
(٢) نهج البلاغة: ٥٤٨.
(٣) نهج البلاغة: ٥٠٢.
(٤) نهج البلاغة: ٤٨٢.
(٥) منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف: ١٣ ـ ١٥.
(٦) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٩١ ـ ٩٢.
(٧) انظر الوثيقة رقم (٣٢).
(٨) ما بعد الفارزة الأخيرة من: مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله).

مجلس في مسجد (الهندي)

في شهر رمضان/١٣٧٨هـ (آذار/١٩٥٩م)، أقام حزب الدعوة مجلساً في مسجد (الهندي) في النجف الأشرف، وكان المحاضر هو السيّد مهدي الحكيم رحمه الله الذي طرح في محاضرته أفكاراً حول أسس الدولة الإسلاميّة. وقد حضر السيّد الصدر قدس سره المجلس من أجل دعمه وتشجيعه.

وكان هذا المجلس وسيلة لكسب الأفراد، فكان السيّد مهدي رحمه الله إذا طرح فكرة معيّنة، راقب رفاقه المشدودين في الجلسة، فيتمّ التواصل معهم وكسب بعضهم[١].

تضييق عبد الكريم قاسم على الشيوعيّين

إنّ تزايد نفوذ الشيوعيّين جعل قاسم يخشى على زعامته الفرديّة ومركزه في الحكم، فبدأ بالابتعاد عنهم في خطابه الذي ألقاه عشيّة الاحتفال بالأوّل من أيّار/١٩٥٩م (٢٢/شوّال/١٣٧٨هـ)، وفي الإجراءات التي اتّخذها بحقّهم حين أحال عدداً من الضبّاط الشيوعيّين على التقاعد، وفصل عدداً من الموظّفين الشيوعيّين أو نقلهم من مراكز حسّاسة إلى مراكز ثانويّة، كما سجن عدداً كبيراً من الشيوعيّين، وخاصّة قادة المنظّمات النقابيّة. وقد وصل عدد المعتقلين حسب مصادر الحزب الشيوعي خلال عام ١٩٦٠ إلى حوالى ٣٠ ألفاً من أعضاء ومؤيّدين وأصدقاء. وارتكز عبد الكريم قاسم في ضربه الشيوعيّين على حوادث (كركوك) التي وقعت في الذكرى الأولى للثورة، وبذلك أنهى لعبة توازن القوى مع الشيوعيّين.

وفي تلك الفترة بالذات كانت الأوضاع على أسوأ حال داخليّاً وعربيّاً ودوليّاً، الأمر الذي شجّع قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي على التفكير بالتخلّص من عبد الكريم قاسم بمحاولة اغتياله في ١٩٥٩/١٠/٧م حيث تصدّى له بعض البعثيّين ـ ومن بينهم صدّام حسين ـ في أحد شوارع بغداد، إلاّ أنّ المحاولة لم تنجح، وأعقبتها حملة واسعة من التنكيل بالبعثيين، واستغلّ الحزب الشيوعي ذلك الظرف للتقرّب من جديد من قاسم، وقدّم في ١٩٦٠/٦/٩م (١٤/ذي الحجّة/١٣٧٩هـ) طلباً رسميّاً إلى وزارة الداخليّة للسماح له بالعمل علانية. ولكنّ قاسم الذي كان يريد العمل مع الشيوعيّين بعد أن أضعفهم فرض عليهم عدّة شروط قبل السماح لحزبهم بالعمل العلني، منها إقصاء ثلاثة من أعضاء قيادتهم وذلك بقصد خلق البلبلة في صفوفهم[٢].

* * *

---

(١) مذكّرات السيّد مهدي الحكيم رحمه الله: ٤٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢٧.

(٢) موسوعة السياسة ٤: ٥٩.

احداث سنة ١٣٧٩ هجرية

= ١٩٥٩/٧/٨ ـ ١٩٦٠/٦/٢٥ م

عمر السيد الصدر

٢٥ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٤ سنة و٤ أشهر و٧ أيّام م

***

الاحتفال بانقلاب ١٤/تمّوز

لقد صادفت ذكرى ١٩٥٩/٧/١٤م السابع من محرّم/١٣٧٩هـ). وقد عقد بعض أعضاء (جماعة العلماء) ـ وهم: الشيخ محمّد حسن الجواهريِ والشيخ محمّد رضا المظفّر والسيّد محمّد تقي بحر العلوم‌رحمهم الله ـ وقبل دخول شهر محرّم اجتماعاً اتّفقوا خلاله على إقناع عبد الكريم قاسم بتأجيل الاحتفال الذي يصادف أيّام عاشوراء إلى يوم ١٤/محرّم بدل ١٤/تمّوز، خاصّةً أنّه كان يؤكّد في خطاباته على أنّ ثورته امتدادٌ لثورة الإمام الحسين‌عليه السلام، إضافةً إلى أنّ الشيوعيّين كانوا قد عزموا على إقامة مهرجان في النجف الأشرف يدورون خلاله بأزاجيهم حول حرم الإمام علي‌عليه السلام. واتّفقوا على الذهاب إلى بغداد متفرّقين والاجتماع هناك وعدم الانطلاق من النجف مجتمعين.

وقد أعادت هذه الحادثة إلى ذهن الشيخ محمّد حسن الجواهري‌رحمه الله حادثةً قديمةً ترجع إلى أيّام تأسيس الشيخ محمّد رضا المظفّر‌رحمه الله مدرسة (منتدى النشر)، حيث كان يحاول إقناع الشيخ الجواهري‌رحمه الله بالانضمام إليه والعمل معه على تنفيذ مخطّطه.

وفي جلسة جمعتهما في حرم الإمام علي‌عليه السلام ممّا يلي باب الطوسي حاول الشيخ المظفّر‌رحمه الله إقناع الشيخ الجواهري‌رحمه الله بذلك، فكان جواب الأخير: «**إذا كان الاسم على المسمّى وكان الهدف نشر تراث الشيعة فأنا معك، وإذا كان الهدف تخريج التلاميذ فأنا لست معك**». فأجابه الشيخ المظفّر‌رحمه الله بأنّ الخطوة الأولى هي تخريج طلاّب واعين، إلاّ أنّ الشيخ الجواهري‌رحمه الله اعترض عليه وقال له: «**أنا أتعجّب منك مع ما أنت عليه أنّك تنزل إلى هذا المستوى وتتّجه إلى تأسيس مدرسة يتخرّج منها الطلاّب**»، فأجابه: «**أنا أعدّ نفسي في هذا العمل مجاهداً كأحد أصحاب الحسين‌عليه السلام**»، فخفّ وزنه عند الشيخ الجواهري‌رحمه الله بهذه الكلمة، ثمّ قاما. وبقي الشيخ الجواهري‌رحمه الله ينفر منه كلّما رآه لكلمته هذه، إلى أن تبيّن له صدقه في كلمته التي قالها[1].

صدور قانون الأحوال الشخصيّة في العراق

في ١٩٥٩/٧/٢٨م (٢١/محرّم/١٣٧٩هـ) ـ وبسعيٍ من الشيوعيّين ـ نُشر قانون الأحوال الشخصيّة في جريدة (الوقائع) العراقيّة الخاصّة بنشر القوانين الحكوميّة العراقيّة. وقد ألغى القانون الجديد القوانين الإسلاميّة في قضايا الأحول الشخصيّة من نكاح وطلاق وإرث وغير ذلك، فألغى شرطيّة

---

(١) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (دام عزّه). والمقابلة مبتورة، ولم نتبيّن تتمّة ما جرى.

موافقة وليّ الزوجة، ومنح الزوجة حقّاً كحقّ الرجل في الطلاق، وساوى بينها وبين الرجل في الإرث، وألغى الطلاق الخلعي والظهار والإيلاء.

وقد عارض السيّد محسن الحكيم ﵀ هذه القانون بشدّة، وأرسل الوفود إلى عبد الكريم قاسم تبلّغه استنكاره، كما وطلب من السيّد محمّد بحر العلوم الردّ على القانون، فكتب الأخير (أضواء على قانون الأحوال الشخصيّة). وفي رسالة أرسلها السيّد الحكيم ﵀ إلى صحيفة (الجهاد) العراقيّة في ١٩٦٣/٣/١٩م (٢٢/شوّال/١٣٨٢هـ) قال:

«إنّ أوّل واجبات الحكومة هو إلغاء قانون الأحوال الشخصيّة وإرجاع الأمور إلى العهد الذي كانت عليه سيرة المسلمين منذ أيّام الخلافة الإسلاميّة. وإنّ موقفنا هذا هو نفس الموقف الذي وقفناه منذ صدور القانون حتّى يومنا هذا وإلى أن يتمّ رفعه. وأضيف هنا أنّ حكومة العهد الملكي المقبور سبق وأن شرّعت قانوناً للأحوال الشخصيّة فألغت فيه الشرع الإسلامي وعرضته على مجلس النوّاب، فأرسلتُ أحد أولادي للاتّصال بالنوّاب وإبلاغهم استنكاري لهذا القانون ووجوب إلغائه وأصدرتُ رأيي بهذا الشأن، ممّا حدا بالنوّاب إلى معارضته، فاضطرّت الحكومة إلى إحالته على لجنة مختصّة لدراسته وإعادة النظر فيه.. فكانت هذه نهايته. إلى أن بعثه قاسم مجدّداً بصورة ممسوخة مشوّهة أكثر من ذي قبل، فأصدرنا رأينا في وقفه بمختلف الوسائل وبوجوب إلغائه، وما زلنا نصرُّ على رأينا هذا حتّى يتمّ إلغاؤه»[١].

رسالة السيّد الحكيم ﵀ إلى اللواء محمد نجيب الربيعي

في ١٢/ربيع الأوّل/١٣٧٩هـ (١٩٥٩/٩/١٥م) أرسل السيّد محسن الحكيم ﵀ إلى اللواء محمّد نجيب الربيعي رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

النجف الأشرف

من السيّد محسن الحكيم الطباطبائي إلى سيادة رئيس مجلس السيادة الموقّر محمّد نجيب الربيعي أدام الله توفيقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنّي أحمد إليكم سبحانه وتعالى على كلّ حال وأسأله أن يحوّل حالنا إلى أفضل الأحوال إنّه قريبٌ مجيب.

لقد يؤسفني ويحزّ في قلبي ما أحسّه وألمسه في القطر العراقي المسلم من شيوع القلق وفقدان الطمأنينة والارتياح بين جميع فئاته حتّى أصبح الناس كأنّهم في الزمان الذي عناه أمير المؤمنين علي ﵇ بقوله: (ذلك زمانٌ يكثر فيه الباكيان: الباكي لدينه والباكي لدنياه)[٢].

أجل والله الذي لا إله إلاّ هو يؤسفني ذلك كثيراً ويحزّ في قلبي وقد كان المأمول غير هذا فرأيت من واجبي الإسلامي والإنساني معاً أن أشارك هذه الفئات المسلمة في شعورهم وأن أظهر ذلك لأخفّف من سورة آلامهم وقلقهم، كما أنّي أحسّ وألمس في كثيرٍ من الناس من ذوي الشعور الحي وتقدير المواقف

---

(١) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٢٢.

(٢) الوارد عنه ﵇ كذا: «ومن كلام له ﵇ يشير فيه إلى ظلم بني أميّة: واللّه لا يزالون حتّى لا يدعوا للّه محرّماً إلاّ استحلّوه ولا عقداً إلاّ حلّوه وحتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلاّ دخله ظلمهم و نبا به سوء رعيهم، وحتّى يقوم الباكيان يبكيان باكٍ يبكي لدينه وباكٍ يبكي لدنياه..» (نهج البلاغة: ١٤٣، خ٩٨).

مزيد القلق وعدم الارتياح من الموقف الذي يواجهه ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سرّي ورفقائهما ممّا لهم من مكانة في النفوس وقدم في البلاد و[ماضٍ] مجيد، فقد يكون في الخير والإنسانيّة المحافظة على وجودهم ووجود أمثالهم بالعفو عن كلّ تقصير ينسب إليهم، فإنّ العفو أقرب للتقوى[1]، فقد يكون من الخير أيضاً عند سنوح الفرصة إظهار شعوري هذا لسيادة رئيس الوزراء وفّقه الله تعالى، لعلّ الله تعالى يحدث بعد ذلك أمراً، وإنّي لم أكتب إلى سيادته إبداء لبعض الملاحظات، والله سبحانه وليّ التوفيق وبيده قلوب العباد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وإنّي أنتظر منكم إعلامنا عن النتيجة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢ ربيع الأوّل سنة ١٣٧٩هـ / ١٥ أيلول سنة ١٩٥٩م.
السيد محسن الحكيم الطباطبائي»[2].

مجلّة (الأضواء) تستوضح مراجع النجف حول النظام الإسلامي

وجّهت مجلّة (الأضواء) سؤالاً حول النظام الإسلامي إلى كبار مراجع النجف الأشرف يومذاك، كتبه الشيخ عبد الهادي الفضلي بتاريخ ٢٦/ربيع الأوّل/١٣٧٩هـ (١٩٥٩/٩/٢٩م)، وقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

[اسم المخاطب]

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

هل في الإسلام نظامٌ متكاملٌ شاملٌ يتناول جميع مظاهر الحياة بالتنظيم، وجميع مشاكل الإنسان بالحلِّ الصحيح الناجع، ويُعنى بشؤون الفرد والمجتمع عنايةً تامّةً في مختلف وشتّى مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها؟

وهل الدعوة إلى تطبيق هذا النظام الإسلامي واجبة على المسلمين؟

١٣٧٩/٣/٢٦هـ
الأضواء
النجف الأشرف».

وقد جاء في جواب السيّد محسن الحكيم رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

نعم في الإسلام النظامُ الكاملُ على النهج المذكور في السؤال. ويتّضحُ ذلك بالسبر والنظر في الأوضاع التي كان عليها المسلمون في العصور الأولى، وتجب الدعوة إلى هذا التطبيق على الشرائط المذكورة في رسالتنا العمليّة في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله سبحانه وليُّ التوفيق وهو حسبُنا ونعم الوكيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٣٧٩ ٢ع٧
محسن الطباطبائي الحكيم»[3].

وفي جواب السيّد عبد الهادي الشيرازي رحمه الله:

---

(١) انظر البقرة: ٢٣٧.
(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.
(٣) انظر الوثيقة رقم (٣٣).

« بسمه تعالى شأنه

لا ريبَ في أنّ دين الإسلام هو النظام الأتمّ الأكمل لما فيه الحلّ الصحيح لجميع مشاكل الإنسان في جميع الأعصار والأدوار، ويجب الدعوة إلى تطبيقه على من اجتمع فيه الشرائط المذكورة في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الكتب الفقهيّة، والله ولي التوفيق

الأقل عبد الهادي الحسيني الشيرازي»[1].

وفي جواب السيّد مهدي الشيرازي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

نعم، الإسلام نظامٌ متكاملٌ شاملٌ لجميع مظاهر الحياة، ويحلُّ جميع مشاكل الإنسان بأفضل حلٍّ لم يسبقه في ذلك سابق ولا يلحقه فيه لاحق، صالحٌ للتطبيق في جميع الأزمنة والأمكنة. قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2]. والدعوة إلى تطبيق الإسلام واجبة على جميع المسلمين قال الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]. وفّق الله المسلمين إلى العمل بشرائع الإسلام والدعوة إلى الحقّ وهو المستعان.

مهدي الحسيني الشيرازي»[4].

وفي جواب الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنّا وما زلنا ـ والحمد لله ـ نؤمن إيماناً قاطعاً بأنَّ الإسلام الصحيح الذي أرسل به نبيّنا صلى الله عليه وآله إلى الناس كافّة هو الدستور الوحيد لهذه الحياة ما دامت الحياة، وهو النظام الأكمل لهذا العالم ما بقي العالم، فلا سعادةَ حقيقيّةَ إلاّ في ظلّه، ولا عدالة اجتماعيّة إلاّ تحت لوائه، ولا هناء ولا رخاء إلاّ في اتّباع أحكامه وتعاليمه.

آمنّا به كذلك منذ أن درسناه دراسةً واعيةً، فوجدناه نظاماً مثاليّاً يسمو بالروح إلى أبعد الآفاق ونظاماً واقعيّاً ينبو بالحياة عن جميع مشاكل الحياة ويسير بالإنسانيّة إلى شاطئ السلامة والكرامة بكلّ يسر وسهولة دون أن يكلّفها ما لا تطيق ودون أن يرهقها بحرجٍ أو ضرر.

وحسبك في ذلك أن تقرأ كتاب الله تعالى قراءةَ تدبّرٍ وإمعان، ثم تستعين على تفهّمه بسنّة رسوله وآل رسوله عليهم الصلوة والسلام، لتؤمن كما آمنّا بأنّ التشريع الإسلامي لم يغادر كبيرةً ولا صغيرةً من شؤون الحياة إلاّ وانتظمها في سلك نظامه الشامل وأخضعها لقانونٍ من قوانينه الخاصّة والعامّة ليكون دستوراً خالداً للبشريّة تسير على ضوئه في مختلف مجالاتها مهما امتدَّ بها العمر في أعماق الزمان.

وبهذا التنظيم البارع الحكيم استطاع أن يجعل لجميع مشاكل الحياة حلولاً صحيحة ناجعة تضمن للفرد كرامته وللمجتمع سعادته دون أن تستبدَّ فئةٌ بفئة أو تتحكّم طبقةٌ بأخرى.

ولا ريب في أنَّ نظاماً حكيماً بارعاً كهذا النظام السماوي ممّا تجب الدعوة إلى الإيمان به أوّلاً، ثمّ إلى تطبيقه في المجتمع ثانياً، لينقذ هذه الإنسانيّة المعذّبة من شقاء هذه النظم الوضعيّة المرتجلة في الأرض بمعزلٍ عن السماء، وليدرك الناس كيف سيعيشون في ظلّه سعداء آمنين في هذه الحياة التي ما زالت ولا تزال

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٣٤).

(٢) المائدة: ٣.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) انظر الوثيقة رقم (٣٥).

مهدّدة بالويل والدمار ومفعمةً بالدم والدموع والنار.

﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١].

١٣٧٩/٤/١٢هـ

مرتضى آل ياسين»[٢].

السيّد الصدر رحمه الله يقترح طباعة (فلسفتنا) باسم (جماعة العلماء)

أراد السيّد الصدر رحمه الله طبع (فلسفتنا) باسم (جماعة العلماء) في النجف الأشرف بعد عرضه عليهم متنازلاً عن حقّه في وضع اسمه على هذه الكتاب. إلاّ أنّ الذي منعه عن ذلك هو أنّ (جماعة العلماء) أرادت إجراء بعض التعديلات في الكتاب، وكانت تلك التعديلات غير صحيحة في رأي السيّد الصدر رحمه الله، ولم يكن يقبل بإجرائها فيه، فاضطرّ إلى أن يطبعه باسمه[٣].

وقيل إلى جانب ذلك إنّه قد اتّهم من بعض الأشخاص بأنّه يريد بذلك الترويج لنفسه عبر استغلال اسم (جماعة العلماء)، فعدل رحمه الله عن ذلك[٤].

إرسال (فلسفتنا) إلى الطبع

في ١٩/ربيع الثاني/١٣٧٩هـ (١٩٥٩/١٠/١٢م) كتب السيّد الصدر رحمه الله مقدّمة (فلسفتنا)[٥]، ثمّ أرسل الكتاب إلى الطبع.

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: «**لقد كتب الشهيد الصدر كتاب (فلسفتنا) المعروف وكنت أراجع الكتاب معه لتقويم النصّ ووضع العناوين ومناقشة بعض الأفكار وغير ذلك من الأمور التكميليّة، ولم يكن يخطر ببالي أن يذكر الشهيد الصدر شيئاً من ذلك، ولكن فوجئت عند مراجعتي لمسودّة الطبع للتصحيح أنّه قد ذكر في المقدّمة التي كتبها في آخر مدّة الطبع اسمي شاكراً عملي في التصحيح الثالث للمسودّات، ولكنّي قمت بحذف ذلك، وفوجئ عند طبع الكتاب بعدم وجود الاسم، فلم يحدّثني بشيء حتّى كان طبع كتابه (اقتصادنا) الذي بذلت فيه جهداً هو أقلّ من جهدي في (فلسفتنا) فلم يذكر الشهيد الصدر اسمي عند مراجعتي للمسودّات ولم أكن أتوقّع ذلك أيضاً، حتّى فوجئت بالكتاب عند صدوره أنّه قد أورد اسمي بالمقدّمة، فسألته عن ذلك وأنّه كيف، فذكر بأنّه طلب من عامل المطبعة أن لا يمرّ على تصحيح الملزمة الأخيرة في النوبة الثالثة لها والتي كانت فيها المقدّمة لئلاّ أحذف الاسم كما صنعت في كتاب (فلسفتنا)**»[٦].

ويقول رحمه الله: «**ولا زلت أتذكر أنّ كتاب (فلسفتنا) كان يطبع في مطبعة تطبع فيه جريدة شيوعيّة كان يشرف عليها مسؤول الحزب الشيوعي للفرات الأوسط (حسن عوينة) حيث كان الشرر يتطاير من أعينهم**

---

(١) التوبة: ١٢٦.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٣٦).

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٥ ؛ تزكية النفس: ٦٠٧ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديثٍ مع السيّد كاظم الحائري ؛ من نظرات جماعة العلماء: ٩.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٥) فلسفتنا: ٧ ـ ٩.

(٦) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

عندما كنت أراجع المسودّات في المطبعة»(١).

ويذكر السيّد الحكيم رحمه الله أنّهم كانوا يذهبون إلى المطبعة وحرس الجمهوريّة يومذاك يملأ الشوارع وينكّل بمن يعاديه، فكانوا يخشون أن يأخذ من أيديهم نسخ الكتاب(٢)، بل نقل أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان في تلك الفترة ينام كلّ ليلة في بيت من البيوت كي لا يُعلم مكانه فيعتقل ويُعدم(٣).

ومن الطريف ما حدث مع السيّد الصدر رحمه الله عندما كان يطبع (فلسفتنا)، فعندما كان جالساً في المطبعة ذات مرّة، أقبل عليه أحد (المعدان) وسأله عن اسم والد الصحابي ميثم التمّار، فأجابه السيّد: «**لا أدري**»، فقال له: «**حيف، علماء النجف لا يعرفون اسم والد ميثم التمّار؟!**»، فبادره السيّد رحمه الله سائلاً: «**ما اسم والد السيّد أبو الحسن الإصفهاني رحمه الله؟**» فقال: «**لا أدري**»، فقال السيّد: «**حيف، الإنسان يقلّد الشخص ولا يعرف اسم أبيه!!**»، فتحيّر الرجل ـ غيرَ مدرك الربط بين المسألتين ـ ، فقال له السيّد: «**إنّ محبّة ميثم التمّار لا تحتاج إلى معرفة اسم أبيه، ولكنّ التقليدَ يحتاج إلى كون المرجع ابن حلال، فإذا كنتَ لا تعرف اسم أب المرجع ومع ذلك صحّ تقليدك، فكيف لا تصحّ محبّة ميثم التمّار [دون معرفة اسم أبيه]؟!**»(٤).

صدور (فلسفتنا)

ثمّ صدر (فلسفتنا) في جمادى الثانية/١٣٧٩هـ (كانون الأوّل/١٩٥٩م)(٥) عن مطبعة الآداب في النجف الأشرف، وقد جاء متن الكتاب في (٣٢٤) صفحة، إضافةً إلى مجموعة من الفهارس وضعها الشيخ محمّد رضا الجعفري (فهرس المصطلحات، الأسماء، مراجع في الماركسيّة، الموضوعات)، ولكنّ الفهارس الثلاثة الأولى حذفت من الطبعات اللاحقة للكتاب(٦). وقد نفدت الطبعة الأولى

---

(١) الشهيد الصدر يرسم الخط الأصيل للإسلام ويتصدّى للمؤامرة ويواجه البعث الكافر، مجلّة الجهاد، العدد (١٤)، ١٩٨١: ١٠.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٣١، نقلاً عن حديثٍ للسيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في مجلّة (الجهاد)، العدد (١٤)، ٢/جمادي الثانية/١٤٠١هـ.

(٣) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (رحمه الله)، والسيّد ذيشان هو الذي يقول: «كان ينقل..».

(٤) مقابلة مع السيّد حيدر ذي شأن جوادي (رحمه الله)، وما بين [] أضفناه للسياق. ويُشار هنا إلى أمرين: **أوّلهما:** أنّ اسم والد ميثم التمّار رضي الله عنه هو يحيى [انظر مثلاً: نقد الرجال ٤: ٤٤٥ ؛ منتهى المقال ٦: ٣٦٣. وما جاء من أنّ اسم والده عبد الله (فهرست الشيخ الطوسي: ٥٤) أو ما رُدّد في كونه كذلك (مستدركات علم الرجال ٨: ٤٤) وهمٌ (قاموس الرجال ١٠: ٣١٧)]. **والثاني:** أنّ هناك بحثاً حول أنّ طهارة المولد المأخوذة شرطاً في مرجع التقليد هل يجب إحرازها أم يكفي عدم إحراز عدمها؟!

(٥) كتب السيّد الصدر رحمه الله مقدّمة (فلسفتنا) في ٢٩/ربيع الثاني/١٣٧٩هـ (١٩٥٩/١١/١م). وقد جاء على الطبعة الأولى من الكتاب: الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩م. وهذا يعني أنّ الكتاب صدر عام ١٩٥٩م. ولمّا كان ١٩٥٩/١٢/٣١م يصادف ١/رجب/١٣٧٩هـ، فهذا يعني أنّ الكتاب صدر بين ٢٩/ربيع الأوّل وبين ١/رجب ١٣٧٩هـ، ولمّا كانت أقلّ مدّة بحسب الظاهر لإنجاز الطباعة هي شهر واحد، فهذا يعني أنّ الكتاب قد صدر حوالي جمادى الثانية/١٣٧٩هـ.

(٦) فلسفتنا، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ ؛ وانظر كذلك: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٢٧١. هذا ولم يتنكّر السيّد الصدر رحمه الله لما قام به الشيخ الجعفري على الرغم من أنّه حذفها. وقد كتب رحمه الله في مقدّمة كتاب (من وحي فلسفتنا) للشيخ كاظم الحلفي: «ويسبغ عليّ العلاّمة الجليل شيخنا الجعفري فضلاً بوضع فهرس فنّيٍّ للكتاب..» (من وحي فلسفتنا: ٦).

خلال عدّة أسابيع تقريباً[(١)].

وقد أهدى السيّد الصدر نسخةً من كتاب (فلسفتنا) إلى السيّد محمّد الروحاني وكتب في الإهداء: «**سيّدي وأستاذي**»[(٢)].

وعندما صدر (فلسفتنا) كان انطلاقة جديدة لم تعهدها النجف الأشرف بهذا المستوى من العمق الفلسفي والتجديد المنهجي مع شراسة الهجمة وضيق الوقت، فقد شمّر السيّد الصدر عن ساعديه وأنجز كتاب (فلسفتنا) بهذا الأسلوب في مدّة عشرة أشهر[(٣)]، إلاّ أنّ الجهد الذي بذله فيه كان اعتياديّاً[(٤)].

(مجتمعنا)

بعد أن أُنجز كتاب (فلسفتنا)، كان السيّد الصدر يروم أن يقدّم نظريّة الإسلام في المجتمع والدولة وغيرها من مواضيع مرتبطة بالاجتماع، وهذا ما يظهر في خاتمة كتابه (فلسفتنا) إذ يقول: «**وسوف ندرس في (مجتمعنا) طبيعة هذا التكييف وحدوده في ضوء مفاهيم الإسلام عن المجتمع والدولة، لأنّه من القضايا الرئيسيّة في دراسة المجتمع وتحليله، وفي تلك الدراسة سنستوفي بتفصيل كلّ النواحي التي اختصرنا الحديث عنها في بحث الإدراك**»[(٥)].

ويرجع السبب في عدم كتابة السيّد الصدر (مجتمعنا) إلى أمرين:

١ ـ رغبة القرّاء: حيث يقول: «.. **وكنا نقدّر أن يكون (مجتمعنا) هو الدراسة الثانية في بحوثنا نتناول فيها أفكار الإسلام عن الإنسان وحياته الاجتماعيّة وطريقته في تحليل المركّب الاجتماعي وتفسيره لننتهي من ذلك إلى المرحلة الثالثة، إلى النظم الإسلاميّة للحياة التي تتّصل بأفكار الإسلام الاجتماعيّة وترتكز على صرحه العقائدي الثابت. ولكن شاءت رغبة القرّاء الملحّة أن نؤجّل (مجتمعنا) ونبدأ بإصدار (اقتصادنا) عجلةً منهم في الاطّلاع على دراسة مفصّلة للاقتصاد الإسلامي في فلسفته وأسسه وخطوطه وتعاليمه**»[(٦)].

٢ ـ حالة المجتمع: حيث يُنقل عن السيّد الصدر قوله: «**مجتمعنا لا يسمح أن يُكتب مجتمعنا**»[(٧)].

---

(١) المدرسة الإسلاميّة، طباعة المؤتمر العالمي: ٩، كلمة المؤلّف.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٥٥، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري الذي رأى ذلك بنفسه. وقد تقدّم ـ ضمن أحداث سنة ١٣٦٩هـ ـ الحديث عن الموضوع مفصّلاً وخلصنا إلى أنّ وصف (الأستاذ) ناظرٌ إلى مرحلة السطوح لا الخارج.

(٣) مقدّمة فلسفتنا ؛ مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم (دام ظله) ؛ مقابلة مع الشيخ محمّد صادق الجعفري (دام ظله) ؛ الإمام الشهيد السيّد محمد باقر الصدر.. دراسة في سيرته و منهجه: ١٣٢.

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (دام ظله)، نقلاً عن السيّد الصدر، وكان يقيسه مع كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء).

(٥) فلسفتنا: ٣٦٩.

(٦) اقتصادنا: ٥.

(٧) وردت العبارة في بعض المصادر على النحو التالي: «مجتمعنا لا يسمح مجتمعنا» (الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١٢، الهامش ٢٧)). وقد عبّر عنها بأنّها مقالة مشهورة دون ذكر المصدر. وقد ذكر بعضهم أنّه لا يُعرف أساسٌ لهذا القول (الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر، مراجعة لما كتب عنه باللغة الإنجليزيّة، د. عبد الرحيم حسن: ٣٢٥). ولكنّ هذه

وقد توجّه الشيخ نجيب سويدان بالسؤال إلى السيّد الصدر رحمه الله حول وعده القرّاء في (فلسفتنا) بأنّ الكتاب التالي هو (مجتمعنا)، فأين هو؟ فأجاب رحمه الله: «**إنّ هذا الكتاب موجود بمسودّاته**[١]**، ولكنّي أخشى أن أصطدم بواقع اجتماعي موجود في العالم العربي والعالم الإسلامي. إنّ إخراجه إلى الساحة في هذه الفترة ربّما يخلق مشاكل نحن في غنىً عنها ولن نتمكّن من مواجهتها في هذه المرحلة. إنّ الكتاب يمسّ بشكل مباشر تقاليد وأوضاعاً اجتماعيّة قائمة في العالم العربي والإسلامي، ومن الممكن أن تنعكس مواجهتها في هذه المرحلة سلباً على العمل الإسلامي**»[٢].

وقد ذكر السيّد الصدر رحمه الله للسيّد محمّد الغروي أنّ أفكار (مجتمعنا) حاضرة في ذهنه ويحتاج إلى الوقت المناسب لكتابتها، فعندما ألّف (فلسفتنا) قضى في تأليفه عشرة أشهر، والآن ينقصه الوقت لكتابة (مجتمعنا)[٣]، وأجاب آخر: «**هو في ذاكرتي وفي ذهني ولم تحن الفرصة لكتابته**»[٤].

هذا ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله رجع في الأيّام الأخيرة من حياته وخلال فترة الحجز إلى هذا البحث، فقد «**كان في الفترة الأخيرة منشغلاً بكتابة أوّليّة لكتاب وضع له اسم (مجتمعنا)..**»[٥]، ولكنّه صودر على كلّ حال.

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: «**وقد كان الشهيد الصدر في كتابه (اقتصادنا) وعد القراء أن يتحفهم بكتاب (مجتمعنا)، إلاّ أنّه لم ينجز هذا العمل على شكل كتاب وإن كان قد أنجز أكثر فصوله وأسسه من خلال أعماله العلميّة الأخرى حيث نجد ذلك في كتاباته (الإسلام يقود الحياة) و(المدرسة الإسلاميّة) و(التفسير الموضوعي) وبعض المقالات الأخرى**»[٦].

ويقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**وقد سأل البعض عن كتاب (مجتمعنا) هل كتبه السيّد الشهيد؟ والحقيقة أنّ هذا الكتاب لم يكتب، وإنّما أفكاره وهيكليّته العامّة كانت قد سجّلت رؤوسَ نقاط ولم تتهيّأ الظروف لكتابته**»[٧]، «**ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى كتاب (مجتمعنا) الذي لم يرَ النور ولم تسمح ظروف السيّد الشهيد (رضوان الله عليه) بكتابته، وبقيت المكتبة الإسلاميّة تعاني فراغاً كبيراً في هذا المجال، فهل هي إرادة اللّه عزّ وجلّ التي حالت بينه وبين تأليف كتاب (مجتمعنا) ليكون ذلك تحدّياً عمليّاً للمعاهد العلميّة وللمفكّرين الكبار وللحوزات العلميّة. فلماذا ترك أصحاب الفكر والمعرفة هذا المجال مواتاً لا تحرثه أقلامهم**

المقولة ينقلها الشيخ علي كوراني عن السيّد الصدر في: صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (١٠٨) ؛ مقابلة (١) مع الشيخ علي كوراني (...).

(١) يقول الشيخ سويدان: «لستُ متأكّداً من أنّه قال إنّ مسودّاته موجودة ومكتوبة بخطّ يده».

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (...).

(٣) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م. وقد ذكر (تسعة أشهر) بدل (عشرة)، وما أثبتناه مستفادٌ من مقدّمة السيّد الصدر رحمه الله في (فلسفتنا) ؛ وانظر بعضه في: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (...) ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (...).

(٤) خواطر محفوظة بدون سند (...).

(٥) من جواب للسيّدة أم جعفر الصدر عن أسئلة المصنّف.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢٢.

(٧) الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيّام الحصار: ٨٩.

كما فعل السيّد الشهيد في مجال الفلسفة والاستقراء والاقتصاد وغير ذلك؟ وهل أراد اللّه تعالى أن يكون هذا الفراغ التحدّي الذي يشير إلى تلك العبقريّة الفريدة؟»(١).

البدء بتأليف (اقتصادنا)

لم يفرغ السيّد الصدر﵀ من طباعة (فلسفتنا) حتّى بادر مسرعاً يحثّ الخطى ليقدّم للأمّة الإسلاميّة كتابه (اقتصادنا) حول المذهب الاقتصادي للإسلام.

وكان﵀ يصطلح عليه بـ(الحلقة الثالثة)(٢) بعد أن شكّل (فلسفتنا) الأولى، و(مجتمعنا) ـ الذي لم يرَ النور ـ الثانية.

وقد شرع﵀ في تأليفه حدود جمادى الثانية/١٣٧٩ هـ (كانون الأوّل/١٩٥٩م)، وقد استغرق تأليف الجزء الأوّل منه أقلّ من سنة(٣)، وقد استعار مجموعة من الكتب من السيّد محمّد الحيدري﵀ مؤسّس مكتبة الخلاّني، وذلك كما فعل لدى تأليفه (فلسفتنا)(٤).

لقد نقل عن السيّد الصدر﵀ أنّ الجهد المبذول في الكتاب إذا قيس بالجهد المبذول في (الأسس المنطقيّة للاستقراء) فقد كان اعتياديّاً، وذلك على غرار (فلسفتنا)(٥). ولكنّ ذلك لو ثبت فهو بخصوص الجزء الأوّل من (اقتصادنا)، لأنّ السيّد الصدر﵀ يقول سنة ١٣٨٥هـ:

«أتعلمون كم كان صعباً وكم أحسست بالصعوبة حينما حاولت أن أستخلص النظام الاقتصادي في الإسلام من الفقه الإسلامي. حينما بدأت هذه المحاولة رأيت أنّ الفقه الإسلامي بحاجة إلى عمليّة توسيع أفقي، وأمّا الفراغات الكثيرة الكثيرة التي تركها الفقهاء بسبب اتّباعهم النهج المحدّد الموروث الذي لا يزيد ولا ينقص تلك الفراغات التي تركوها بسبب اتّباعهم منهجاً تقليديّاً محدّداً، هذه الفراغات لا بدّ أن تملأ فقهيّاً، وملؤها فقهيّاً عمل صعب عسير جدّاً لأنّها مناطق جديدة يجب أن تغذّى بالفكر الفقهي، لأنّها أراض بكر لم يحاول ولم يمارس قبل الآن، أراض يدخلها الباحث الفقهي ويكتشفها لأوّل مرّة، وهذا يزيد من الصعوبة والخطورة ويجعل من صرف ممارسة هذا العمل وجود ذهنيّة فقهيّة في درجة عالية من الدقّة، أو أنّ الشخص أو الأشخاص الذين يستطيعون أن يقوموا بالتوسيع الأفقي للعمل الفقهي هم أولئك الذين

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) انظر: اقتصادنا، دار الفكر، مقدّمة الجزء الثاني: ٣٣٥ ؛ المدرسة الإسلاميّة: ١١، كلمة المؤلّف.

(٣) يبدو أنّ السيّد الصدر﵀ قد شرع في تأليف (اقتصادنا) حدود جمادى الثانية/١٣٧٩ هـ فور انتهائه من طباعة (فلسفتنا).
وقد فرغ من الجزء الأوّل من (اقتصادنا) في جمادى الأولى/١٣٨٠هـ لأنّه جاء في العدد (١١ ـ ١٢) من مجلّة (الأضواء) المؤرّخ بتاريخ ١/جمادى الثانية/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/١١/٢١م) مقالٌ للسيّد الصدر﵀ تحت عنوان (الماديّة التاريخيّة)، وقد جاء في الهامش: «فصلٌ من كتاب في الاقتصاد سيطبع قريباً إن شاء الله تعالى»، ويظهر من هذا أنّ الكتاب قد تمّ تأليفه، خاصّة وأنّه قد جاء في العدد التالي (١/رجب/١٣٨٠) أنّ (اقتصادنا) ماثلٌ للطبع. وبين جمادى الثانية/١٣٧٩هـ وبين جمادى الأولى/١٣٨٠هـ أحد عشر شهراً.
ونضيف استطراداً أنّ السيّد الصدر﵀ نشر أيضاً (نظام الإنتاج) في العدد (١٣ ـ ١٤) بتاريخ ١/رجب/١٣٨٠هـ و(قوانين المجتمع الرأسمالي) في العدد (١٥ ـ ١٦) بتاريخ ١/شعبان/١٣٨٠ هـ و(الطبقيّة والماركسيّة) في العدد (١٧ ـ ١٨) بتاريخ ١/رمضان المبارك/١٣٨٠ هـ و(الماديّة التاريخيّة في تفاصيلها) في العدد (١٩) بتاريخ ١/شوّال/١٣٨٠هـ. وهي مقتبسات من (اقتصادنا).

(٤) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٧، وقد نقلها السيّد محمّد محمّد الحيدري.

(٥) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (﷿)، نقلاً عن السيّد الصدر﵀.

بلغوا الذروة في التطوّر الفكري بلغوا الذروة بالامتداد العمودي. هؤلاء الذين بلغوا الذروة في التطوّر الفكري في الامتداد العمودي الفكري هؤلاء هم الذين يمكنهم على مرّ الزمن أن يطوّروا، أن يوسّعوا أفقيّاً، وتكون التوسعة أفقيّاً بنفس الدرجة من العمق والدقّة تتمتّع بنفس الضمانات التي تمتّع بها الفقه في حدوده التقليديّة»[١].

السعي في طلب (قصّة الحضارة)

وفي الوقت الذي كان فيه السيّد الصدر‌رحمه‌الله مشغولاً بكتابة (اقتصادنا) بلغه صدور ترجمة عربيّة لكتاب (قصَّة الحضارة) لـ(ول ديورانت)، فطلب من طلاّبه السعي للحصول عليها بأسرع وقت قائلاً: «**كيف أردّ على نظريّة تدَّعي أنَّها قائمة على سرِّ تاريخ البشريّة، فيما قد يكون هناك أمرٌ مهمٌّ في أحوال المجتمعات ومعاملاتها الاقتصاديّة لم أطَّلع عليه؟**».

وكان أحد المشايخ المعروفين قد اقتنى نسخةً منه، وكان عزيزاً نادراً، فكلَّمه طلاّب السيّد الصدر‌رحمه‌الله فلم يستجب لطلبهم، فاتَّصل به السيّد الصدر‌رحمه‌الله بنفسه. وبعد إلحاح شديد أعاره إيَّاه لمدَّة أسبوع واحد فقط، فعكف السيّد الصدر‌رحمه‌الله أسبوعه ذلك على أجزاء الكتاب حتّى طواها بأكملها وأعاد الكتاب إلى صاحبه في موعده دون تأخير[٢].

---

(١) من محاضرة ألقاها السيّد الصدر‌رحمه‌الله سنة ١٣٨٥هـ تحت عنوان (الوضع المعاش في الحوزة) ستنشر قريباً بإذن الله تعالى.

(٢) من محاضرة للسيّد محمود الهاشمي ألقاها في مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي في شوّال/١٤٢٠هـ (انظر: محمّد باقر الصدر، تكامل المشروع الفكري والسياسي، صائب عبد الحميد: ٣٢)، وقد أعادها عليّ الأستاذ عبد الحميد بتاريخ ٢٠٠٤/١١/١٢م نقلاً عن السيّد الهاشمي كذلك. وهنا أمور تسترعي الانتباه:

الأوّل: ما جاء في المصدر المذكور نقلاً عن السيّد الهاشمي من أنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله طوى قراءة الكتاب بمجلّداته الثلاثة والأربعين. ولم أتمكّن من الحصول على هذه المحاضرة، ولكنّنا نريد تصحيح أمور:

أ ــ أنّ كتاب (قصّة الحضارة) يشتمل على (٤٢) جزءاً، والجزء الثالث والأربعون يشتمل على الفهارس، وقد صدر مؤخّراً.

ب ــ أنّ مقدّمة (ول ديورانت) نفسه بلغته الأم على الجزء الحادي والثلاثين قد جاءت في أيّار/١٩٦٣م (قصّة الحضارة ٣١: ٤)، ويفترض بالجزء السادس من الطبعة العربيّة أن يصدر سنة ١٩٦٠م باعتبار أنّ من المفترض صدور جزء كلّ خمس سنوات ابتداءً من سنة ١٩٣٥م (قصّة الحضارة ١: ك)، فما نقل حول مقدار ما قرأه لا يستقيم.

ومن هنا فنحنُ نحتمل بشدّة أنّ الراوي عن السيّد الهاشمي أضاف (الثلاثة والأربعين) ممّا يختزنه هو من معلومات حال إثباته الرواية. ولم أُرجع ذلك إلى السيّد الهاشمي لأنّ راوياً آخر نقلها لي عن السيّد الهاشمي ــ ومن الجلسة نفسها على ما يبدو ــ دون ذكر هذا الوصف، هذا مع التسليم بأنّ هذا يفيد الأنس وليس دليلاً بالمعنى العلمي.

الثاني: أنّ السيّد محمود الهاشمي من مواليد ٢/ذي القعدة/١٣٦٧هـ (١٩٤٨/٩/٦م) (ذكرياتي ٦: ٣٨٨)، وقد التحق بالحوزة سنة ١٣٨٢هـ (تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٣٣٥)، وهذا يعني أنّه كان عند الحادثة في الثانية عشرة من عمره وقبل التحاقه بالحوزة بثلاث سنوات، فكيف ينسجم هذا مع ما جاء في المصدر المذكور؟! حيث يُفهم منه أنّ السيّد الهاشمي نفسه كان ممّن سعى إلى الحصول على الكتاب، فقد جاء في المصدر: «فطلب منّا السعي ... فعلمنا... فكلّمناه، فلم يستجب لطلبنا..». وهنا نقول:

أ ــ إنّ حرفيّة النقل غير محرزة، فلعلّ مراد السيّد الهاشمي من ضمير الجمع أنّ طلاّب السيّد الصدر‌رحمه‌الله هم الذين أحضروا له الكتاب، ويكون السيّد الهاشمي ناقلاً الرواية عنهم فيما بعد.

ب ــ ولو كانت حرفيّة، فإنّ شهادة السيّد الهاشمي على هذه الحادثة غير بعيدة، وإن كان عمره (١٢) سنة وكان ذلك

وطالع السيّد الصدر﵀ أغلب كتب الاقتصاد التي كتبها الغربيّون خلال شهرين، وعندما بدأ بالتأليف كان يستحضر المطالب التي قرأها[١].

وكان السيّد ذيشان حيدر جوادي خلال هذه الفترة يتردّد كثيراً على السيّد الصدر﵀ في سرداب بيته، حيث كان يقوم يبيّض المسودّات التي يكتبها السيّد الصدر﵀، وكان ذلك في فترة الظهيرة بعد صلاتي الظهرين وتناول الغداء[٢].

وعلى غرار (فلسفتنا)، فقد ساهم السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ في إعداد (اقتصادنا)، لكن بجهود أقلّ بحسب تصريحه هو﵀. وقد تعمّد السيّد الصدر﵀ عدم ذكر اسم السيّد الحكيم﵀ عند مراجعة الأخير للمسودّات، وطلب من عامل المطبعة أن لا يمرَّ على تصحيح الملزمة الأخيرة في النوبة الثالثة لها والتي كانت فيها المقدّمة، وذلك لئلاّ يحذف السيّد الحكيم﵀ الاسم كما صنع في كتاب (فلسفتنا)[٣].

صدى (فلسفتنا)

عندما صدر كتاب (فلسفتنا) تساءل بعض الفضلاء في الحوزة الذين التقوا في منزل نجل الميرزا النائيني﵀: «**هل درس محمّد باقر الصدر الفلسفة كي يؤلّف في الفلسفة؟**»، فأجابهم الشيخ صدرا البادكوبي﵀ وكان حاضراً في المجلس: «**لقد حضر عندي محمّد باقر الصدر ودرس (الأسفار) خمس سنوات**»، ففوجىء معظم الحاضرين بهذا النبأ[٤].

وإثر صدور الكتاب اتّخذ الكثير من الأساتذة والطلاّب موقفاً سلبيّاً من السيّد الصدر﵀، خاصّةً أنّه أسماه (فلسفتنا)[٥].

١ ـ أمّا حول صدى الكتاب، ففي ١٩٦٠/٤/٢٣م (٢٦/شوّال/١٣٧٩هـ)، نشرت صحيفة (الحياة)

قبل التحاقه بالحوزة، وذلك لأنّني سمعتُ من بعض طلاّب السيّد الصدر﵀ أنّ السيّد الهاشمي تربّى في كنف السيّد الصدر﵀ بعد وفاة والده السيّد علي الهاشمي الشاهرودي﵀ سنة ١٣٧٦هـ.

الثالث: قراءة السيّد الصدر﵀ هذا الكمّ الهائل من الصفحات في ظرف أسبوع. ولكنّ هذا غير بعيدٍ على السيّد الصدر﵀، خاصّةً إذا علمنا:

أ ـ أنّه كانت لديه سرعة هائلة في القراءة على ما حكاه لي الشيخ محمّد رضا النعماني غير مرّة ويظهر في طيّات كتاباته، ولعلّه كان يعتمد على التصفح. وهذا الأمر لا تستبعده الدراسات الحديثة التي تقرّ بوجود أشخاص يقرؤون السطر بوصفه وحدة ولا يقرؤون كلماته، ثمّ تنمو هذه الموهبة إلى أن يستطيعوا قراءة الصفحة بالنحو المذكور.

ب ـ أنّه كان مهتمّاً بمواضيع خاصّة، فليس من الضروري أن يكون قد قرأ الكتاب بكامله وبما فيه من قصص وحكايا وأمور لا علاقة لها بما يبحث عنه.

(١) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (﷿). وفي المصدر (المستشرقون) بدل (الغربيّون)، ولعلّ المراد ما أثبتناه.

(٢) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (﷿).

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٤) الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر أحد الكبار المجهولين في العصر الحديث (ملف)، نقلاً عن السيّد عبد العزيز الطباطبائي﵀.

(٥) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (﷿).

البيروتيّة في عددها (٤٢٩٤) مقالاً للدكتور أكرم زعيتر حول (فلسفتنا)، هذا نصّه:

«[صدر في العراق مؤخّراً كتابٌ ضخم بعنوان (فلسفتنا) لمؤلّفه محمّد باقر الصدر أثار ضجّةً كبرى وتضاربت حوله الآراء وتناولته الأقلام بأكثر من نقد وتوضيح وتعليق. وقد عرض الكاتب العربي الكبير «أ» لهذا المؤلّف فكتب فيه ما يلي:][1]

(فلسفتنا) هذا كتابٌ قرأته في تأمّل، بل درسته دراسةً في كدحِ ذهنٍ وجهد فكر..

وتساءلتُ حين شرعتُ قراءته بل دراسته عن مؤلّفه: من (محمّد باقر الصدر)؟ وعلى من يعود ضمير الجمع المتكلّم في (فلسفتنا)؟ وانتهيت من الكتاب إلى اليقين بأنّ السيّد محمّد باقر الصدر علاّمة مدركة غزير الاطّلاع، يجيد الكرّ على الخصم ويحسن الدفاع. وقد حملني كتابه على أنّ أصفه في صفّ الفلاسفة الإسلاميّين وفي أئمّة المتكلّمين، وعلى الاعتقاد أنّه بوفرة علمه ووجاهة فكره وقوّة حجّته ينزل المنزلة التي تجيز له أن يجعل عنوان كتابه (فلسفتنا).

وقد وددتُ لو أستطيع التمهيد للحديث عن هذا الكتاب بكلمةٍ وجيزةٍ عن مؤلِّفه العلاّمة، ولكنّ جهلي شيئاً عنه حال دون ذلك، ولعلّ أحد عارفيه يتفضّل علينا معشرَ [قارئيه] بكلمة عنه تذهب بجهلنا الذي نأسف عليه ونعتذر عنه.

وكتاب (فلسفتنا) إنّما يُدرَسُ دراسةً دقيقةً ولا يُطالَعُ مطالعةً عابرة، ولا بدّ لقارئه من بعض إلمام بالمذاهب الفلسفيّة ومصطلحاتها، ومن أن يكون ذا صبر على الغوص في الفلسفة وذا جلدٍ على تفهّم دقائقها وتتبّع الفروق من مناحيها. ومعنى هذا أنّ هذا الكتاب يستعصي فهمه على القارئ العاديّ.

ومع أنّ هذا هو شأن كلّ كتاب فلسفي، فقد كنتُ أرجو أن يحرص الأستاذ باقر جهده على التبسيط أكثر ممّا فعل، وأن يجعل التيسير ذاته هدفاً مهمّاً وغاية مقصودة، وحيث إنّ الأستاذ لا يكتفي من بحوثه بعرض المذاهب الفلسفيّة عرضاً ولا بذكر متناقضاتها ولا [بتفنيد] ما يستأهل [التفنيد] منها، ولكنّه يبدو صاحب رسالة وربّ فكرة، فإنّ الوضوح إلى المدى الأبعد عنصرٌ أساسيٌّ مهمٌّ لا يمكن تجاوزه.

وحيث إنّ المؤلّف المفضال يعدنا بإتحافنا بكتاب يستكمل فيه بحوثه وعلاجاته لمختلف مشاكل الحياة باسم (مجتمعنا)، فإنّنا نرجوه الحرص على التبسيط جهد الطاقة.

وبعد، فإنّ كتاب (فلسفتنا) هو دراسة موضوعيّة في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيّارات الفلسفيّة، وخاصّةً بين الفلسفة الإسلاميّة والماديّة الديالكتيّة الماركسيّة. وهذه الدراسة تتّسم بالدفاع المنطقي الحار عن الميتافيزية أو الإلهيّة، حتّى يمكن القول إنّ الكتاب هو جهدٌ فلسفيٌّ منطقيٌّ موفّق لنسف الأسس الفلسفيّة للإلحاد، وإنّني أعتقد أنّ الماديّة الديالكتيّة الماركسيّة لم [تجابه] بمناقشات فلسفيّة واعية فاهمة ولم تقرع بردود علميّة من قبل كتّاب العرب المتفلسفين كما [جوبهت] وكما قرعت بهذا الكتاب... أجل إنّه لم ينازلها فلسفيّاً منازلٌ عربيٌّ أو مسلمٌ عنيدٌ حسب اطّلاعي مثل محمّد باقر الصدر.

إنّ المؤلّف يعرض في كتابه المفاهيم الفلسفيّة المتصارعة في الميدان وحدودها ويقدّم الإيضاحات الضروريّة عنها، حتّى إذا تناول المذاهب الماديّة الديالكتيّة الحديثة درسها دراسة موضوعيّة مفصّلة بكلّ خطوطها العريضة التي رسمها هيجل وكارل ماركس، وناقشها، واعتمد في ذلك كلّه على الطريقة العقليّة في التفكير، لأنّ العقل بما يملك من معارف ضروريّة فوق التجربة هو المقياس الأوّل في التفكير البشري. وحتّى التجربة التي يزعم [التجريبيّون] أنّها المقياس الأوّل ليست في الحقيقة إلاّ أداة لتطبيق المقياس العقلي.

---

(١) ما بين [] من صحيفة (الحياة).

وقد عني المؤلّف عناية خاصّة بدرس مبدأ العليّة (السببيّة) وقوانينها التي تسيطر على العالم وما تقدّمه لنا من تفسير فلسفي شامل، كما بدّد عدّة شكوك فلسفيّة نشأت في ضوء التطوّرات العلميّة الحديثة.

وإذا ما بلغ المرحلة النهائيّة من مراحل الصراع بين الماديّة والإلهيّة (المادة أو الله) صاغ في بلاغة وإحكام المفهوم الإلهي للعالم في ضوء القوانين الفلسفيّة وفي ضوء مختلف العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة.

هذه نظرة إجماليّة للكتاب، وإذا أردنا مزيداً من التفصيل قسّمنا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: الأوّل وهو تمهيد مهمٌّ بين يدي البحوث، والثاني يدور حول نظريّة المعرفة، والثالث يتحدّث عن المفهوم الفلسفي للعالم.

ففي التمهيد يستعرض صاحبنا أهمّ المذاهب الاجتماعيّة التي يقوم بينها الصراع، فيذكر النظام الديموقراطي الرأسمالي والنظام الاشتراكي والنظام الشيوعي والنظام الإسلامي. وكلٌّ من النظامين الأوّلين يملك كياناً سياسيّاً يحميه في صراعه مع الآخر. أمّا النظام الشيوعي فلم يجرّب تجربة كاملة، إذ عجزت قيادته عن تطبيقه فلاذت بالنظام الاشتراكي كخطوة نحوه وظلّ وجوده بالفعل فكريّاً خالصاً. وأمّا النظام الإسلامي فمرَّ بتجربة ناجحة ثمّ عصفت به العواصف بعد أن خلا من القادة المبدئيّين وظلّ فكرة أو أملاً في ذهن الأمّة الإسلاميّة.

ويفصل المؤلّف نظام الديموقراطيّة الرأسماليّة التي تجعل مصالح المجتمع منوطة بمصالح الفرد (والدولة الصالحة هي الجهاز الذي يسخّر لخدمة الفرد وحسابه.. وهذا النظام مشبعٌ بالروح الماديّة الطاغية من دون أن يبني على فلسفة ماديّة واضحة الخطوط للحياة..)[1]، ثمّ يعرج على النظام الشيوعي وطابعه العام (إفناء الفرد في المجتمع وجعله آلة مسخّرة لتحقيق الموازين العامّة التي يفترضها..).

ولا أنكر أنّ أستاذنا الصدر في استعراضه مآسي النظامين رغم حرصه الشديد على النزاهة وعلى الموضوعيّة لم يستطع أن يتخلّى عن نظّارته السوداء التي تبرز قتامة المذهبين، ثمّ يتحدّث عن معالجة المشكلة ويرى أنّ أمام العالم سبيلين إلى دفع الخطر: أحدهما أن يبدّل الإنسان غير الإنسان وتخلق فيه طبيعة جديدة تجعله يضحّي بمصالحه الخاصّة وبمكاسب حياته الماديّة المحدودة في سبيل المجتمع ومصالحه مع إيمانه بأنّه لا قيم إلاّ قيم تلك المصالح الماديّة، وهذا السبيل هو الذي يحلم أقطاب الشيوعيّة بتحقيقه ويرون أن توكل قيادة العالم إليهم.

وأمّا السبيل الثاني فهو الذي سلكه الإسلام (فلم يبتدر إلى مبدأ الملكيّة الخاصّة ليبطله وإنما غزا المفهوم المادي عن الحياة ووضع مفهوماً جديداً وأقام على أساسه نظاماً لم يجعل فيه الفرد آلة ميكانيكيّة في الجهاز الاجتماعي، ولا المجتمع هيئة قائمة لحساب الفرد، بل وضع لكلٍّ منهما حقوقه وكفل للفرد كرامته المعنويّة والماديّة معاً..)[2]، وجعله يؤمن بأنّ حياته منبثقة عن مبدأ مطلق للكمال ونصب له مقياساً خلقيّاً جديداً في كلّ خطواته وأدواره وهو رضاء الله تعالى.. فليس كلُّ ما تفرضه المصلحة الشخصيّة فهو جائز ولا كلّ ما يؤدّي إلى خسارة شخصيّة فهو حماقة.. وإنّما المقياس الخلقي الذي توزن به جميع الأفعال هو مقدار ما يحصل عليه من الرضا الإلهي، (فالدين يربط بين المقياس الخلقي الذي يضعه للإنسان، حبّ الذات المتركّز في فطرته..)[3].

والخطُّ العريض في هذا النظام هو اعتبار الفرد والمجتمع معاً وتأمين الحياة الفرديّة والاجتماعيّة بشكل

---

(١) انظر المعنى في: فلسفتنا، ط ١: ١٧.

(٢) انظر المعنى في: فلسفتنا، ط ١: ٤٢.

(٣) انظر المعنى في: فلسفتنا، ط ١: ٤٥.

متوازن، فليس الفرد هو القاعدة المركزيّة في التشريع والحكم وليس الكائن الاجتماعي الكبير هو الشيء الوحيد الذي تنظر إليه الدولة وتشرّع لحسابه.

أمّا القسم الثاني للكتاب وموضوعه نظريّة المعروفة، فإنّه يتحدّث عن المصدر الأساسي للمعرفة ويتكلّم في هذا الباب عن نظريّة الاستذكار الأفلاطونيّة والنظريّة العقليّة والنظريّة الحسيّة ونظريّة الانتزاع، حتّى إذا تحدّث عن الخيوط الأوليّة التي نسجت منها الأحكام والعلوم، والمبدأ الذي تنتهي إليه المعارف البشريّة في التعليل، ويعتبر مقياساً أوّليّاً عامّاً لتمييز الحقيقة عن غيرها، تناول بالدرس المذهب العقلي الذي ترتكز عليه الفلسفة الإسلاميّة والمذهب التجريبي السائد في المدرسة الماركسيّة.

وقد فنّد هذا الأخير في تفصيل وقوّة حجّة، غير منكر في الحين ذاته فضل التجربة على الإنسانيّة ومدى خدمتها في ميادين العلم. ولكن ما حرص على توكيده وإثباته هو كونها ليست المقياس الأوّل والمنبع الأساسي للأفكار والمعارف الإنسانيّة، بل المقياس الأوّل والمنبع الأساسي هو المعلومات الأوليّة العقليّة التي تكتسب على ضوئها جميع المعلومات والحقائق الأخرى، حتّى أنّ التجربة ذاتها محتاجة إلى ذلك المقياس العقلي.

ثمّ تناول قيمة المعرفة ومدى إمكان كشفها عن الحقيقة، فاستعرض آراء اليونان وفلسفة ديكارت اليقينيّة وفلسفة جون لوك الممثّل الأساسي للنظرية الحسيّة والتجريبيّة، ثم تحدّث عن دور المثاليّة في نظريّة المعرفة الإنسانيّة، فتناول بالدرس الاتّجاهات المهمّة للمثاليّة الفلسفيّة والمثاليّة الفيزيائيّة والمثاليّة الفيزيولوجيّة. ثمّ تطرّق إلى فلسفة الشك الحديثة ومذهب النسبيّة وحدودها في العلوم البشريّة، وعن اتّجاهيها الرئيسيّين، أي نسبيّة (كانت) والنسبيّة الذاتيّة التي مهّدت للنسبيّة التطوريّة التي تنادي بها الديالكتيكيّة.

وقد أفاض المؤلّف في نقضها مبرهناً على أنّ الحقيقة مطلقة وغير متطوّرة (وإن كان الواقع متطوّراً ومتحركاً على الدوام)[1]، كما برهن على أنّ الحقيقة تتعارض تعارضاً مطلقاً مع الخطأ، وعلى أنّ إجراء الديالكتيك الماركسي على الحقيقة والمعرفة يحتّم علينا الشكّ المطلق في كلّ حقيقة ما دامت في تغيّر وتحرّك مستمر، (بل يحكم على نفسه بالإعدام والتغيّر أيضاً لأنّه بذاته مدّ تلك الحقائق التي يجب أن تتغيّر بحكم منطقه التطوري الخاص)[2].

أمّا القسم الثالث من الكتاب، فقد خصّصه المؤلّف للمفهوم الفلسفي للعالم، فاستعرض في تفصيل وعمق في مدارك الماركسيّة وألوان استدلالها على تطوّر الحقيقة والمعرفة، وأسهب في بيان مغالطاتها الفلسفيّة وعلى الأخصّ ما حاولته من اعتبار العلوم الطبيعيّة في تطوّرها الرائع على مرّ الزمن، ونشاطها المتضاعف وقفزاتها الجبّارة مصداقاً للحركة التطوريّة في الحقائق والمعارف، مع أنّ تطوّر العلوم في تاريخها الطويل لا صلة له بتطوّر الحقيقة والمعرفة بمعناه الفلسفي الذي تحاوله الماركسيّة، (فالعلوم تتطوّر لا بمعنى أنّ حقائقها تنمو وتتكامل، بل بمعنى أنّ حقائقها تزداد وتتكاثر وأخطاءها تقلّ وتتقلّص...)[3].

وامتاز هذا القسم بما أورد المؤلّف من تصحيح لأخطاء شائعة، مثل محاولة اعتبار الصراع بين الإلهيّة والماديّة مظهراً من مظاهر التعارض بين المثاليّة والواقعيّة، (فالواقعيّة ليست وقفاً على المفهوم المادي، كما أنّ المثاليّة ليست الشيء الوحيد الذي يعارض المفهوم المادي على الصعيد الفلسفي، بل يوجد مفهوم آخر

---

(١) انظر المعنى في: فلسفتنا، ط١: ١٨٦.
(٢) انظر المعنى في المصدر نفسه.
(٣) انظر المعنى في المصدر نفسه.

للواقعيّة هو المفهوم الواقعي الإلهي الذي يعتقد بواقع خارجي للعالم والطبيعة ويرجع الروح المادة معاً إلى سبب أعمق فوقهما جميعاً)[١]، ويصحّح أيضاً الخطأ القائل بأنّ المفهوم الإلهي يجمّد مبدأ العليّة (السببيّة) في دنيا الطبيعة.

وبعد ما استعرض المؤلّف أخطاء المفهوم المثالي تناول دراسة المفهوم المادي واتّجاهيه الآلي والديالكتيكي ونقد الديالكتيك كمنطق عام وكشف عن الأخطاء الرئيسيّة التي يرتكز عليها وبرهن على عجزه عن حلٍّ مشكلة العالم.

وكان المؤلّف موفّقاً في درسه مشكلة الإدراك، وهي هدف صراع فلسفي عنيف بين الماديّة والميتافيزيّة، وفي معالجتها على ضوء مختلف العلوم ذات الصلة بالموضوع من طبيعية وفسيولوجيّة وسيكولوجيّة.

ثمّ كان مبدعاً بليغاً قويَّ الحجّة حين بحث في موقف الميتافيزيّة من المادّة والحركة ومن المادّة والوجدان، (فالطبيعة صورة فنيّة رائعة والعلوم الطبيعيّة هي الأدوات البشريّة التي تكشف عن ألوان الإبداع في هذه الصورة وترفع الستار عن أسرارها الفنيّة وتموّن الوجدان البشري العام بالدليل تلو الدليل على وجود الخالق المدير الحكيم وعظمته وكماله)[٢]، وعن (المادة والفسيولوجيا) و(المادة والبيولوجيا) و(المادة وعلم الوارثة) و(المادة وعلم النفس) وهنا بلغ الذروة في الإبداع.

إنّني لا أظن أنّ صحيفة يوميّة يمكن أن تتّسع لأكثر ممّا أسلفت، ولكنّ الكتاب لا يزال يحتاج إلى دراسة، وهو ممّا يجب أن يتناوله جميع المعنيّين بالفلسفة بحثاً وتدقيقاً.

وإنّني لأمحض مؤلّفه المفكّر كلّ التقدير وأتطلّع بشوق إلى إشراق كتابه (مجتمعنا) الذي سيكون المظهر التطبيقي لآرائه في (فلسفتنا).

إنّ عالمنا الذي طغت عليه الماديّة والذي أصيب بمحلٍ روحيٍّ وفشا فيه الجدب الإيماني سيرى في هذا الكتاب فتحاً مبيناً.

وإنّ المؤمنين الذين يروعهم ما يجتاح العراق اليوم من أعاصير إلحاديّة تذهب بطمأنينته وتهدف إلى القضاء على إسلاميّته ويهولهم نشاط المذاهب الإلحاديّة المستوردة والمبادئ التي تعيش على القلق وتربو في حمأة الشك، إنّ هؤلاء المؤمنين سيجدون في (فلسفتنا) خيراً كثيراً و ينبوعاً إيمانيّاً غزيراً»[٣].

٢ ـ ويقول الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة بكليّة أصول الدين بجامعة الأزهر مخاطباً السيّد مرتضى الرضوي وهو في مصر: «**إنّني استفدتُ كثيراً من كتاب (فلسفتنا) وطالعته أكثر من مرّة، فلو أنّك تقيم معنا بمصر وتطبع هذا الكتاب فإنّي مستعدٌّ للقيام بتدريسه هنا على طلاّبي في الجامعة...**»[٤].

٣ ـ وكتب الدكتور سليمان دنيا مقدّمةً لكتاب (الشيعة وفنون الإسلام) للسيّد حسن الصدر رحمه الله، فلم يفته في مقدّمته التذكير بجهود السيّد الصدر رحمه الله وعبقريّته، فيقول:

«...وفي هذا المقام يحلو لي أن أشير إلى مفخرة من مفاخر المسلمين يحقُّ أن نعتزّ بها ونفاخر، تلكم هي كتب السيّد (محمّد باقر الصدر) التي ما أظنّ أنّ الزمن قد جاء بمثلها في مثل هذه الظروف التي وجدت فيها. لقد أنتجت عبقريّته الفذّة الكتب الآتية: (فلسفتنا) و(اقتصادنا). تلكم الكتب التي تعرض عقيدة

---

(١) انظر المعنى في: فلسفتنا، ط ١: ١٩٣.

(٢) انظر المعنى في: فلسفتنا، ط ١: ٣٣١.

(٣) صحيفة (الحياة)، العدد (٤٢٩٤)، ١٩٦٠/٤/٢٣م = ٢٥/شوّال/١٣٧٩هـ : ٦ ؛ مجلّة الأضواء، العدد الثاني: ٥٥ ـ ٥٦، العدد الثالث: ٨١ ـ ٨٤، نقلاً عن مجلّة (الحياة) ؛ انظر الوثيقة رقم (٣٧).

(٤) مع رجال الفكر في القاهرة: ١٤٤.

الإسلام، ونظم معاملاته عرضاً تبدو إلى جانبه الآراء التي تشمخ بها أنوفُ الكفر والملاحدة من الغربيّين وأذنابهم ممّن ينتسبون إلى الإسلام وهو منهم براء، وكأنّهم فقاقيع قد طفت على سطح الماء ثمّ لم تلبث أن اختفت وكأنّها لم توجد»[١].

٤ ـ وكتب الدكتور أحمد عبد الستّار الجواري أحد وزراء التربية السابقين في العراق وأستاذ النحو في كليّة أصول الدين عن كتاب (فلسفتنا):

«وأنا أشهد أنّ فلسفة الإسلام وعقيدته لم تشهد في عصرها الحاضر من أحسن جلائها، وجلا نورها على هذا الوجه الأمين الرزين الدقيق، الذي لم تفعل فيه العاطفة ولم يؤثّر فيه الشعور والانفعال الذاتي. ولعلّ المؤلّف الفاضل ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة[٢] في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، أوّلهما حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي وثانيهما ابن رشد والثالث هو الدكتور الفيلسوف المسلم المعاصر الدكتور محمّد إقبال، على اختلاف في الطرائق وتفاوت في المسالك، ولكلٍّ وجهته»[٣].

٥ ـ أمّا الشيخ محمّد جواد مغنيّةرحمه الله فيقول:

«...وبعد، فهل أُتّهم بالمحاباة إذا قلت: إنّ المؤلّف ردّ لأهل العلم والدين كرامتهم ومكانتهم التي كانت لهم أيّام زمان؟ وهل أُتّهم بالمغالاة إذا قلت إنّه فضح الماديّين ولم يبق لهم من باقية؟ وفي عقيدتي إنّ كتاب (فلسفتنا) لو ترجم إلى اللغات الأجنبيّة لكان له شأنٌ وأيُّ شأن... ولقال أهل الغرب والشرق: إنّ جامعة النجف أقوى خصمٍ عرفه الماديّون على الإطلاق»[٤].

٦ ـ وكان الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي أوّل من قام بتدريس الكتاب في حوزة قم، وذلك لعدّة مرّات، فانتشر الكتاب وصار يُدرّس في المدرسة المنتظريّة للشهيدين البهشتي وصدوقي، وفي مؤسّسة (در راه حق) ومدارس العراقيّين[٥].

ردود فعل السيّد الصدررحمه الله

بعد الانتشار السريع لـ(فلسفتنا)، قال السيّد الصدررحمه الله: «**إنّي حينما طبعت هذا الكتاب لم أكن أعرف أنّه سيكون له هذا الصيت العظيم في العالم والدويّ الكبير في المجتمعات البشريّة ممّا يؤدّي إلى اشتهار من يُنسب إليه الكتاب. وأنا الآن أفكّرُ أحياناً أنّي لو كنت مطّلعاً على ذلك وعلى مدى تأثيره في إعلاء شأن مؤلّفه لدى الناس، فهل كنتُ مستعدّاً لطبعه باسم جماعة العلماء وليس باسمي كما كنت مستعدّاً لذلك أو لا؟ وأكاد أبكي خشية أنّي لو كنت مطّلعاً على ذلك لم أكن أستعدّ لطبعه بغير اسمي**»[٦].

وكان السيّد الصدررحمه الله قد حدّث السيّد كاظم الحائري عن الشيخ علي القميرحمه الله ـ المتعبّد الزاهد

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام: ٧. ويرجع تاريخ النصّ إلى ١٩٦٧/١/١م، أي قبل صدور (الأسس المنطقيّة للاستقراء).

(٢) هكذا وردت العبارة على غلاف الطبعة العراقيّة للكتاب، وفيها خلل غير خاف لأنّ السيّد الصدررحمه الله سيكون بلحاظ ما ذكره رابع أربعة.

(٣) غلاف (فلسفتنا)، ط١٩٧٧م. وانظر البحث كاملاً في مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية، العدد ٣ ـ ٤: ٩٠ ـ ٩٣ ؛ وانظره في أحداث سنة ١٣٨٠ و١٣٨٧هـ.

(٤) مع علماء النجف الأشرف: ١٣٨.

(٥) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (٦٩)، في حديث مع الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي.

(٦) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٥ ؛ تزكية النفس: ٦٠٧ ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٥ ؛ وقد ورد شيءٌ من ذلك في مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (دام ظله).

المعروف في النجف الأشرف ـ أنّه قال له شخصٌ ذات يوم: «**لو ظهر الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه وأمرك بأن تحلق لحيتك وتمشي في الطرقات والأسواق بمشهد من الناس بهذه الحالة علناً، ونهاك أن توضّح للناس كونك مأموراً بهذا الحلق من قبل الإمام عليه السلام، فهل أنت مستعدّ نفسيّاً لتنفيذ ذلك؟**» ـ علماً بأنّ هذا إراقة لماء وجهه أمام الناس تماماً ـ ، فكان يبكي خشية ألاّ يكون مستعدّاً لذلك[١].

تعرّف الشيخ علي كوراني على السيّد الصدر رحمه الله في تشييع السيّد حسين الحمّامي رحمه الله

في جمادى الأولى/١٣٧٩هـ (تشرين الثاني/١٩٥٩م) توفّي السيّد حسين الحمّامي رحمه الله ببغداد حيث كان يستشفي ودفن في النجف مقابل مرقد الشيخ الطوسي رحمه الله[٢]. وأثناء انتظار الجنازة التقى الشيخ مفيد الفقيه بأستاذه السيّد الصدر رحمه الله عند مصلحة نقل الركّاب، وكان مع الأوّل تلميذه في (الكفاية) الشيخ علي كوراني، الذي تعرّف حينها على السيّد الصدر رحمه الله.

وأثناء المشي في تشييع الجنازة تعب السيّد الصدر رحمه الله فجلس مع بعض رفاقه في حديقة غازي المقابلة لوادي السلام، وهناك تحدّثوا بأحاديث، ومن حينها أعجب الشيخ كوراني به.

وبعد إتمامه (الكفاية) قصد الشيخ علي كوراني ومعه أستاذه الشيخ مفيد الفقيه السيّد الصدر رحمه الله ليرشد أوّلهما إلى مدرّس جيّد لكتاب (الرسائل)، فأرشده إلى السيّد علاء بحر العلوم[٣].

انتقال السيّد موسى الصدر إلى لبنان

في إحدى زيارته إلى إيران، كان السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله قد تعرّف على السيّد موسى الصدر وأعجب بشخصيّته[٤]. وفي عام ١٩٥٥م سافر السيّد موسى الصدر إلى لبنان للمرّة الأولى وتعرّف على أنسبائه. وقد أبدى السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله إلى أولاده رغبته في أن يخلفه السيّد موسى بعد وفاته.

وبعد رحيل السيّد شرف الدين رحمه الله في ٨/جمادى الثانية/١٣٧٧هـ (١٩٥٧/١٢/٣٠م)، كتب نجله السيّد عبد الله رسالةً من مدينة قم إلى أخيه السيّد جعفر يقول له فيها: «**إنّ السيّد موسى الصدر مستعدٌّ للمجيئ إلى صور إذا دعوتموه**»، فتذكّر السيّد جعفر حديثاً كان قد سمعه من السيّد موسى في النجف الأشرف في إحدى (فواتح) السيّد عبد الحسين رحمه الله بتاريخ ١٩٥٨/١/٤م حدّثه فيه عن إمكان

---

(١) تزكية النفس: ٦٠٧.

(٢) أعيان الشيعة ٩: ٣٥٧ ؛ وانظر تاريخ السنة فقط في: نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٢: ٦٢٠ ؛ معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٤٥٠ ـ ٤٥١.

(٣) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٤) هذا الكلام متداول شيئاً ما، وقد نقلناه عن السيّد جعفر شرف الدين، ولكنّه محلُّ تأمّل، لأنّ البناء عليه يحتاج إلى شيءٍ من التعمّل: فإنّ السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله لم يزر إيران سوى مرّة واحدة، وكان ذلك من العراق عشيّة السبت ٢١/محرّم/سنة ١٣٥٦هـ وقد التقى بالسيّد صدر الدين الصدر والد السيّد موسى الصدر في قم (بغية الراغبين ٢: ٢٤١). وإذا عرفت أنّ السيّد موسى الصدر ولد في ١٤/خرداد/١٣٠٧هـ ش (١٥/ذي الحجّة/١٣٤٦هـ) (يوسف لبنان: ١٥)، اتّضح أنّ عمره كان حين زيارة السيّد شرف الدين رحمه الله حوالي تسع سنوات وشهر وبضعة أيّام، فيبعد أن يكون السيّد شرف الدين رحمه الله قد أعجب بشخصيّته، اللهمّ إلاّ أن تكون شخصيّته قد تبلورت فعلاً آنذاك، وكان السيّد شرف الدين رحمه الله شديد الفراسة إلى هذا الحدّ.

ذهابه إلى أطراف بيروت (برج البراجنة)، وكان السيّد جعفر قد أجابه في وقتها: «**كلّ شيء ممكن**».

عندها فطن السيّد جعفر إلى مراد السيّد موسى، وتذكّر وصيّة والده، فكتب كتابين:

أحدهما: إلى السيّد موسى الصدر يدعوه فيه إلى الاصطياف في لبنان، ذاكراً له أنّ عليهم الزاد والراحلة.

والآخر: إلى السيّد رضا الصدر أطلعه فيه على دعوته السيّد موسى الصدر إلى الاصطياف ظاهراً، وإلى الإقامة في صور خلفاً لوالده، وقد رجا السيّد جعفر من السيّد رضا أن يبلّغ أخاه ذلك.

وفي أواخر ١٩٥٩م (جمادى الثانية/١٣٧٩هـ) قدم السيّد موسى الصدر إلى لبنان منفرداً، وحلّ في منزل السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في صور حيث مكث شهراً. ثمّ تمّ الاتّفاق على رجوعه إلى إيران تمهيداً لاستقراره الدائم في لبنان، على أن يقوم بإطلاعهم على موعد وصوله إلى لبنان قبل أسبوع من تاريخه.

وفي اليوم الموعود، شقّ السيّد موسى الصدر طريقه وسط الحشود الغفيرة من مطار بيروت إلى ساحة (البصّ) في صور، حيث ترجّل منها إلى المدرسة الجعفريّة التي ألقيت فيها كلمات ترحيبيّة كان منها ما قاله السيّد جعفر شرف الدين: «**لقد غادركم السيّد عبد الحسين شرف الدين وهو يحمل على منكبيه ٨٧ عاماً، وعاد إليكم ابن الواحد والثلاثين عاماً**»[١].

وعلى إثر ذلك كتب الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله إلى السيّد جعفر شرف الدين ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الكريم سيادة الأستاذ الفاضل السيّد جعفر شرف الدين المحترم

السلام عليكم مبلغ الشوق إليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد..

فقد علمتُ منذ أمد قريب بأنّ فضيلة السيّد السند والثقة المعتمد العلاّمة الجليل حجّة الإسلام السيّد موسى الصدر أيّده الله، قد استجاب أخيراً لدعوتكم الملحّة بالهجرة إلى صور، فهاجر إليها فعلاً وحلَّ بها أهلاً ووطأ منها سهلاً، ذلك ليملأ فيها هذا الفراغ الشاغر الذي ظلّ طوال هذه الفترة الكئيبة يتطلّع إلى ذلك الرجل المثالي الجدير بتمثيل رجل الدين في علمه وعمله وفي هديه ووعيه إلى أن منّ الله عليه بهذه الشخصيّة المثاليّة المزدانة بكلّ عناصر الخير والمجهّزة بكلّ طاقات العمل في سبيل النفع العام.

فبورك لصور ومن فيها بهذه التحفة الثمينة التي تفضّل الله بها عليها، وإنّي لواثقٌ بأنّ هذا النور الذي سطع في سماء صور سوف لا يقف عند حدودها كما يقف نور المصباح عند حدٍّ من الحدود، بل إنّه ولا شكّ سيتجاوزها ويتعدّاها حتّى يعمّ العالم الإسلامي بأسره، وما ذلك عن لطفه تعالى ببعيد.

وختاماً، أرجو إبلاغ تحيّاتي ودعواتي إلى فضيلته راجياً له حسن الإقامة في ذلك البلد الأمين إلى جنب أسرته الكريمة الكريمة أسرة الشرف الأصيل والمجد الأثيل.

سلامُ الله عليه وعليهم أجمعين منّي ومن الجميع ورحمة الله وبركاته. كما أرجو إبلاغ تحيّاتي إلى السيّدة النبيلة أم الباقر مع تقبيل وجنات ولديها الحبيبين رعاهما الله بعينه وجعلهما في حصنه، بالنبي الأمين وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) السيّد جعفر شرف الدين.. ذكرياته وكتاباته: ١٠٠ ـ ١٠٢.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مرتضى آل ياسين»[١].

(المهرجان العالمي بمولد الإمام بطل الإسلام) في كربلاء

ابتدأ الاحتفال عند الساعة الخامسة من يوم الاثنين ليلة ١٣/رجب/١٣٧٩هـ (١٩٦٠/١/١١)، وقد اشتمل على البرنامج التالي:

١ ـ كلمة الافتتاح للمتصرّف اللواء عبّود الشوك.

٢ ـ كلمة رئيس مجلس السيادة الفريق الركن محمّد نجيب الربيعي، ألقاها الأستاذ محمّد الحسين الأديب.

٣ ـ كلمة اللواء الركن عبد الكريم قاسم، ألقاها الدكتور فيصل السامر.

٤ ـ قصيدة السيّد محمّد الحيدري.

٥ ـ كلمة وزير الدولة فؤاد عارف.

٦ ـ كلمة السيّد مهدي الشيرازي رحمه الله، ألقاها السيّد مرتضى القزويني.

٧ ـ قصيدة الدكتور مصطفى جواد، ألقاها السيّد أحمد أبو المعالي.

٨ ـ كلمة السيّد الصدر رحمه الله، ألقاها المحامي صبري القنبر.

٩ ـ كلمة وفد علماء بغداد ألقاها الأستاذ رشيد العبيدي عميد كليّة الشريعة.

١٠ ـ قصيدة السيّد محمّد جمال الهاشمي.

١١ ـ كلمة السيّد حسن الشيرازي رحمه الله.

١٢ ـ كلمة السيّد محسن الحكيم رحمه الله، ألقاها السيّد مهدي الحكيم رحمه الله.

١٣ ـ كلمة وكيل قائد الفرقة الأولى عبد المجيد خضر[٢].

أمّا كلمة السيّد الصدر رحمه الله فقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

كان الإمام عليه الصلاة والسلام ـ كما ينطق تاريخه المشرق ـ المثل الأعلى للجهاد في سبيل القضيّة الإسلاميّة الكبرى، فلم تكن حياته الطاهرة منذ بدأها في المسجد الحرام إلى أن خرّ شهيداً في بيت ربّه إلاّ شعلة من الكفاح المقدّس الذي لا يعرف هوادة في الدين، ولا توانياً في الواجب، ولا تراخياً في الحقّ، ولا شيئاً يعزّ أو يعلو على الفداء والتضحية. وقد عاصر الإمام الدعوة الإسلاميّة وامتزج فيها بروحه وعقله وفكره وكلّ أحاسيسه وعواطفه، وسايرها منذ الساعة الأولى من عمرها الطاهر حين انطلقت كالعملاق لتصنع التاريخ وتنشئ العالم من جديد، وتحقّق على يد الإنسان الرسالة التي خلق من أجلها. وبقي الإمام يساير موكب الدعوة الجبّار في زحفه الروحي والفكري والاجتماعي المظفّر، ويواكب انتصاراتها الرائعة التي كانت قيادة النبيّ صلى الله عليه وآله المثلى تحقّقها نصراً تلو نصر في كلّ الميادين الفكريّة والعسكريّة.

وكان الإمام في كلّ تلك الميادين الجهاديّة يحمل بيده مشعل الدعوة ولواء الداعي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لواء

---

(١) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ٣٧ ـ ٣٨، ٤٥ ؛ بغية الراغبين ٢: ٢٥٥ ؛ الإمام السيّد موسى الصدر، محطّات تاريخيّة: ١٢٧. انظر الوثيقة رقم (٣٨). وفي المصدر الأوّل (آية الله) بدل (أيّده الله) والصحيح ما أثبتناه.

(٢) المهرجان العالمي بمولد الإمام بطل الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كربلا: ٤ ـ ٥.

الحقّ والعدل والخير.

وهكذا رافق الإمام أدوار الدعوة كلّها؛ فتغذّى بروحها وغذّاها بجهاده واستمدّ منها مثله العليا وتحقّق فيه وجودها الإنساني الأمثل... رافق الإسلام وهو دعوة تبشّر لعالم جديد كلّه عدل وخير وحق، فكان أوّل من أسلم وآمن بدعوته وجنّد نفسه وكلّ إمكاناته لها. ورافق الإسلام وهو ركيزة تكتّل فكري قوي متضامن يستعذب الموت في سبيل المبدأ الحي، ويستهين بالآلام لأجل أن ترتفع راية الإسلام وتخفق على أرجاء المعمورة بالخير والرحمة، فكان الإمام بطل ذلك التكتّل الإسلامي المرصوص وشريك النبي في حمل أعباء التكتّل وقيادة الدعوة والدفع بها إلى الأمام وتذليل العقبات المعنويّة والماديّة التي تعترض طريق التكتّل الإسلامي المبارك وتعيقه عن نشر رسالته الإلهيّة الكبرى... ورافق الإسلام حين أصبح الإسلام دولة كاملة تتمتّع بأداة سياسيّة قويّة، فاحتفل مع سائر المسلمين بوضع الحجر الأساسي للدولة الإسلاميّة إثر هجرة النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله إلى المدينة ، واستمرّ يؤازر النبي في تسيير جهاز الدولة وتنميتها والاضطلاع بمختلف المسؤوليّات فيها، كتحمّل أعباء القيادة العسكريّة كما اتّفق في أكثر غزوات النبي[١]، وحمل الدعوة إلى الخارج كما صنع حين أرسله النبي إلى اليمن[٢]، وتمثيل الدولة الإسلاميّة في مجال العلاقات السياسيّة كما حصل عند قيامه بمهمّة تبليغ براءة إلى أهل مكّة[٣]. إلى غير ذلك من ألوان العمل والجهاد التي زخرت بها حياة الإمام.

ولم يتح له بعد وفاة رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله أن يحتلّ موضعه الطبيعي، غير أنّه كان على طول الخطّ العين الساهرة على القضيّة الإسلاميّة، والجندي الأوّل لها إذا دقّت أجراس الخطر مهما كانت الظروف السياسيّة، حتّى أتيح له أخيراً أن يباشر صلاحيّاته رئيساً للدولة الإسلاميّة، فاستطاع الإسلام أن يقدّم فيه الحاكم الإسلامي الأروع والنموذج الفذّ للحكم الذي عجزت كلّ المبادئ الأخرى في العالم عن تقديم نظيره طيلة حياته السياسيّة.

فحياة الإمام إذن كانت أبداً ودائماً حياة جهاديّة تتفجّر بطاقات الكفاح من أجل تحقيق مثل الإنسانيّة الأعلى بتطبيق الإسلام وترجمته إلى واقع ملموس محسوس يتمثّل في حاكم وحكم يسعد به الناس ويعيشون في كنفه إخواناً وادعين.

وكانت الحياة الجهاديّة للإمام ذات لونين؛ فقد وقف تارةً يحارب قوى الكفر الصريحة السافرة التي أنكرت الإسلام كدين وتنكّرت له كمبدأ وعادته كدولة، فسجّل في وقفاته الغرّ معها أروع الانتصارات للدعوة والإسلام. ووقف تارةً أخرى وقفته الجهاديّة الخالدة في أيّام خلافته ليصحّح مفاهيم المسلمين عن الإسلام، ويقوم سدّاً دون الانحراف عن أهدافه العليا ونظامه الأمثل الذي بدأ المنحرفون والمتأوّلون يتلاعبون به ويشوّهونه طبقاً لأفكارهم الجاهليّة وشهواتهم الرخيصة، ويرفعون شعارات جديدة لا تمتّ إلى روح الإسلام بصلة، فذاك هو القتال على التنزيل وهذا هو القتال على التأويل على حدّ تعبير رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله[٤] ...

والواقع أنّ المعركة التي خاضها الإمام ضدّ التأويل والتلاعب بأحكام الإسلام والانحراف عن نصوصه في الدولة والحكم والدستور لم تكن تقلّ خطراً عن معاركه الكبرى مع الكفّار والمشركين. ولم يُمنَ بما مني

---

(١) انظر: أمالي الشيخ الطوسي: ١٧٠.

(٢) انظر: الكافي ٥: ٢٨.

(٣) انظر: تفسير العيّاشي ٢: ٢١٣ ـ ٢١٤ ؛ بحار الأنوار ٢١: ٢٧٣، ٣٥: ٢٩٥، ٩٥: ١٩٠.

(٤) انظر: الكافي ٥: ١٠.

به من الأعداء والخصوم السياسيّين والحربيّين إلاّ بسبب استبساله في الحفاظ على أهداف الدعوة وحرصه على إقامة الدولة الإسلاميّة بعيدةً عن تضليل المضلّلين وأطماع الطامعين.

وهكذا نستطيع أن نقول: إنّ الإمام حارب أوّلاً في سبيل الدعوة الإسلاميّة ومثلها، وحارب أخيراً في سبيل الدعوة الإسلاميّة ومنهاجها في السياسة والحكم، فلم تكن الدولة الإسلاميّة في نظر الإمام لتنفصل عن الإمام بالذات، ولم تكن العقيدة الإسلاميّة في رأيه لتنفصل عن وعي إسلامي كامل لكلّ نواحي الحياة، ولم يكن ليكتفي الإمام من المسلمين أن يفهموا كعقيدة في القلب أو ألفاظ تردّدها الشفتان فحسب، وإلاّ فلماذا شنّ تلك الحروب في خلافته ومني بالمنازعات، مع أنّ الإسلام من حيث هو عقيدة في القلوب أو ألفاظ على الشفاه لم يكن موضع خلاف ونقاش، ألم يكن كلّ ذلك لأجل أن تعي الأمّة الإسلام وعياً صحيحاً وأن يطبّق عليها تطبيقاً نزيهاً!

وهذا ما فعله الإمام عليه السلام تماماً حينما تولّى الحكم وأخذ بزمام القيادة السياسيّة للأمّة، فأعلن قبل كلّ شيء هدف الحكم الإسلامي الصحيح، وحدّد رسالته المقدّسة فقال مشيراً إلى نعله: «إنّ هذا النعل هو خير عندي من ولايتكم هذه إن لم أقم حقّاً وأزهق باطلاً»[1].

وهكذا وضع للدولة الإسلاميّة هدفها الأساسي المتمثّل في جانب إيجابي، وهو إقامة القسط والعدل وجانب سلبي وهو إزهاق الباطل.

فليس الحكم في مفهوم عليّ عن الإسلام ذريعة من ذرائع الثراء المحرّم والجاه العريض، ولا أداة للقهر والغلبة والاستيلاء، ولا وسيلة من وسائل التخمة والدعة وإشباع الحفدة والأنصار، ولا جهازاً يتملّق لطائفة أو تستأثر به فئة على حساب الآخرين، وإنّما هو حكومة الحقّ والعدل والتطبيق النزيه لأحكام الله على العباد، فإذا فقد ذلك كان صفراً في حساب عليّ والإسلام. ولذلك قالها الإمام صريحة مدويّة في وجوه أولئك الذين كانوا يزعمون أنّهم ينصحونه بشيء من اللين والانحراف، قالها لتخلد في تاريخ الإسلام كلمات مشرقة بالنور عامرة بأسمى مثل العدالة: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً»[2]؛ ذلك لأنّ حكومة الإسلام هي حكومة العدل والحقّ والقسط، فإذا قامت على أساس من الجور فقدت معناها الإسلامي الذي هو كلّ قيمتها في نظر عليّ العظيم.

وحدّد عليه السلام مسؤوليّته تجاه رعيّته ومدى مشاركته لهم في جشوبة العيش ومكاره الدهر، فقال: «هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة ... وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ[3]

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»[4].

وهكذا أفهم الإمام عليه السلام الأمّة أنّه آخر من ينبغي أن يشبع في رعيّته، وليس أوّل من يشبع هو الحاكم كما كان يريد المتأوّلون والمنحرفون من خصومه السياسيّين.

---

(١) انظر: نهج البلاغة: ٧٦، خ٣٣، بالمعنى.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٣، ح ١٢٦.

(٣) لم نعثر عليه عند غيره عليه السلام، وانظره في: أنوار العقول من أشعار وصي الرسول: ١٩٢.

(٤) نهج البلاغة: ٤١٧ ـ ٤١٨، الرسالة ٤٥.

ووضع الإمام المساواة الحقيقيّة التي جاء بها الإسلام موضع التنفيذ فأعلن بكلّ صراحة قائلاً: «إنّما أنا رجل منكم لي ما لكم وعليَّ ما عليكم»[١]. وقال لأحد ولاته إذ ارتكب جنحة: «والله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كان لهما عندي هوادة، ولا ظفرا منّي بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما وأُزيل الباطل عن مظلمتهما»[٢].

وهكذا حقّق الإمام المساواة بأروع معانيها، هذه المساواة التي لا تزال في الحضارات الأجنبيّة حتّى الآن حبراً على ورق.

ودشّن سياسته الاقتصاديّة بتطبيق المساواة الصارمة التي فرضها الإسلام بين المسلمين في الأموال العامّة، وضرب بيد من حديد على الثروات المنهوبة من الأمّة، وأعلن بكلّ وضوح أنّ كلّ القيم والاعتبارات لا تبيح شرعاً أن تزلزل تلك المساواة بين المسلمين في فيئهم، فهم في نظر الدولة الإسلاميّة سواء مهما اختلفت درجاتهم عند الله : قال عليه السلام: «أيّها الناس[٣] ألا لا يقولنّ رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجّروا الأنهار... حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا، ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أنّ الفضل له على [من] سواه بصحبته فإنّ الفضل [النيّر] غداً عند الله، ... فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسويّة»[٤].

وأوضح الإمام بكلّ جلاء نظريّة الإسلام الإنسانيّة التي تترفّع عن التعصّب الذميم مهما كان لونه، فقال لواليه يوصيه: «فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق»[٥]. فما أروعها كلمة أراد بها عليه السلام أن يصحّح مفهوم الناس عن الدولة الإسلاميّة ؛ فليست الدولة الإسلاميّة في ضوء هذه الكلمة أداة استعباد لغير المسلمين وعداوة لهم، بل هي رعاية للأخوّة الدينيّة الخاصّة وللأخوّة الإنسانيّة العامّة. وقد بلغ حرص الإسلام على هذه النظرة الإنسانيّة مبلغاً رائعاً لا نظير له ؛ حتّى أنّ عليّاً ـ وهو رئيس الدولة الإسلاميّة ـ وجد درعاً له عند مسيحي فلم يكن له طريق إلى أخذه منه إلاّ بالوقوف معه بين يدي القضاء وهكذا وقف رئيس الدولة الإسلاميّة مع المسيحي جنباً إلى جنب أمام القاضي، وقال الإمام إنّها درعي ولم أبع ولم أهب، فقال القاضي للرجل المسيحي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال المسيحي: ما الدرع إلاّ درعي. وهنا التفت القاضي إلى الإمام يسأله هل من بيّنة تشهد أنّ هذه الدرع لك، فضحك علي وقال: ما لي بيّنة، فقضى القاضي بالدرع للرجل المسيحي، فأخذها ومشى، إلاّ أنّه لم يخطُ خطوات قلائل حتّى عاد يقول: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضي يقضي عليه؟ ثمّ قال: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، وأسلم وحسن إسلامه[٦].

وهكذا استطاع الإمام أن يسجّل في ذهنيّة الأمّة بأقواله وأفعاله مفاهيم الدولة الإسلاميّة الخالدة وآياتها البيّنة، فأصحبت دولة الإسلام التي عكسها تاريخ عليّ أمل الإنسانيّة في كلّ العصور، والعقيدة التي يتبنّاها المسلمون جميعاً في كلّ زمان وكلّ مكان.

صحيح أنّ الإمام عليه الصلاة والسلام لم ينجح كلّ النجاح في القضاء على المناوئين والمتربّصين بالدولة

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٣٦.
(٢) نهج البلاغة: ٤١٢، الرسالة ٤١.
(٣) ليست في المصدر.
(٤) شرح نهج البلاغة ٧: ٣٧.
(٥) نهج البلاغة: ٤٢٧، الرسالة ٥٣.
(٦) انظر مثلاً: المغني لابن قدامة ١١: ٤٤٤، وقد أوردها علماؤنا في كتبهم الفقهيّة (المبسوط ٨: ١٤٩)؛ وانظر: بحار الأنوار ٣٤: ٣١٦.

الإسلاميّة، لأنّ المؤامرة الأثيمة على حياته المقدّسة ـ التي انهار بها أعظم صروح الإسلام بعد صرح النبوّة ـ قامت حائلاً دون تحقيق أماني الإسلام العذبة على يديه وضمان السيادة السياسيّة له بشكل ثابت.

وصحيح أنّ الإمام كان يؤلّب على نفسه ودولته جيشاً ضخماً من المنافقين والمارقين الذين ضاقوا بالحقّ ولم يجدوا عند علي ما يشبع نهم المحموم إلى المال والجاه، فانتقضوا عليه وعارضوه بكلّ طول وحول، فلم يفكّر الإمام لحظة واحدة في مهادنتهم على حساب الحق، وأن يسترضيهم بالوسائل التي لا تتّفق مع طبيعة الغاية المثلى، فنجمت عن ذلك سلسلة من المشاكل السياسيّة التي رافقت خلافة الإمام إلى آخر أيّامها...

كلّ هذا صحيح. ولكن ماذا يضير عليّاً من ذلك كلّه وقد خرج من المعركة كما أراد وكما أراد له الإسلام، ظافراً منتصراً قد ضرب للإسلام مثله الرفيع، وركّز إلى الأبد في عقول الواعين من الأمّة مفاهيم الدولة الإسلاميّة، وطبع في أذهانهم صورتها الزاهية بكلّ ما تصبو إليه الإنسانيّة المهذّبة من القيم المادّيّة والمعنويّة؛ فصلوات الله عليه وعلى جهاده، وسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

وختاماً أرفع أكفّ الضراعة إلى الله سبحانه بأن يوفّق المسلمين جميعاً إلى العمل المثمر من أجل الرسالة التي عمل لها علي العظيم، وأن يأخذ بيد الساعين في إقامة هذا المهرجان الإسلامي الرائع من أهالي كربلاء الأبرار إلى ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

فتاوى المراجع ضدّ الشيوعيّة

إثر المدّ الشيوعي الذي اجتاح العراق، اجتمع السيّد محسن الحكيم والسيّد مهدي الشيرازي والسيّد الخوئي رحمهم الله في دار السيّد الشيرازي في كربلاء المقدّسة، وخرجوا من الاجتماع بقرارات أصدروا على أساسها مجموعة من الفتاوى[(٢)]:

١ ـ في ٢٢/شعبان/١٣٧٩هـ (١٩٦٠/٢/٢٠م) أصدر السيّد محسن الحكيم رحمه الله فتواه حول عدم جواز الانتماء إلى الحزب الشيوعي قائلاً في جوابه عن استفتاء وجّه إليه:

«لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي، فإنّ ذلك كفرٌ وإلحادٌ أو ترويجٌ للكفر والإلحاد، أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم إيماناً وتسليماً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٢ شعبان ١٣٧٩هـ

محسن الطباطبائي الحكيم»[(٣)]

وقد تمّ نشرُ هذه الفتوى بصورة واسعة على ما يبدو، حتّى أنّها نُشرت في صحيفة (الحياة) البيروتيّة في ١٩٦٠/٤/٣م (٨/شوّال/١٣٧٩هـ)[(٤)]. وسلّم السيّد مهدي الحكيم رحمه الله نسخة عن الفتوى إلى الشيخ عبد الهادي الفضلي والشيخ كاظم الحلفي اللذين كانا متّجهين إلى بغداد من أجل عمل (الكليشهات) لمجلّة الأضواء، فأعطيا نسخةً إلى جريدة الحريّة التابعة للقوميّين ونسخة إلى جريدة الحزب الإسلامي التابعة لـ(الإخوان المسلمون) وثالثة إلى جريدة الفيحاء في الحلّة، وهي أسبوعيّة

---

(١) المهرجان العالمي بمولد الإمام بطل الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كربلا، كلمة السيّد الصدر رحمه الله.

(٢) انظر: قصص وخواطر: ٥٥٣. والتعبير بالفتاوى هنا فيه تسامح كما لا يخفى.

(٣) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧١؛ وانظر: الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦٧.

(٤) انظر الوثيقة رقم (٣٩).

يصدرها هناك الشيخ كاظم جواد الساعدي[(١)].

وإثر إصدار السيّد الحكيم رحمه الله هذه الفتوى تأزّمت الأمور ثانيةً بين المرجعيّة وبين عبد الكريم قاسم، فقد أحرجت هذه الفتوى التحالف القائم بين قاسم وبين الشيوعيّين، وقد اضطرّ قاسم على إثرها إلى فصم علاقته معهم إلى الأبد.

وقد حاول قاسم زيارة السيّد الحكيم رحمه الله عدّة مرّات، ولكنّ الأخير رفض مقابلته إلاّ بعد أن يلغي الأوّل قانون الأحوال المدنيّة (الشخصيّة) المعمول به آنذاك[(٢)].

وقد أعاد السيّد الحكيم رحمه الله التأكيد على مضمون ما جاء في جوابه الأوّل، وذلك بعد أن شكّ عددٌ من الناس في نسبة الجواب الأوّل إليه، فكتب يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الذي كتبناه في جواب السؤال الصادر من النعمانيّة أنّ الانتماء إلى الحزب الشيوعي كفرٌ وإلحاد أو ترويجٌ للكفر والإلحاد، أنّ الانتماء تارةً يكون كاملاً وأخرى يكون من بعض الجهات: فإذا كان كاملاً كان [كفراً]، وإذا كان ناقصاً كان فسقاً ومعصيةً لله تعالى، لأنّه ترويجٌ للكفر وتأييدٌ له، والله سبحانه العاصم.

٥ شوّال سنة ١٣٧٩

محسن الطباطبائي الحكيم»[(٣)].

٢ ـ ثمّ تتابعت آراء العلماء، فصدر رأي الشيخ عبد الكريم الجزائري رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الشيوعيّة هدمٌ للدين وكفرٌ وضلال، فلا يجوز الانتماء إليها بوجهٍ من الوجوه، كفى الله المسلمين شرّها.

٢٥ شهر رمضان سنة ١٣٧٩ هـ

عبد الكريم الجزائري»[(٤)].

٣ ـ ورأي السيّد محمّد علي الطباطبائي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لا شكّ في أنّ هذا مبدأ الشيوعي مبدأ مخالفٌ لدين الإسلام ومقدّساته ولمصالح المسلمين عامّة، فلا يجوز الانتماء إلى هؤلاء، بل يجب أن يعامل مع هؤلاء الملاحدة كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(٥)].

٢٦ صيام ١٣٧٩ هـ ـ كربلاء

محمّد علي الطباطبائي»[(٦)].

٤ ـ ورأي السيّد محمود الشاهرودي رحمه الله:

---

(١) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ١٩٥ ـ ١٩٦، في مقابلة مع الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٢) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٦٩.

(٣) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٦٧.

(٤) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٣.

(٥) المائدة: ٣٣.

(٦) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٨٠.

«بسمه تعالى

تصادم المبادئ اللادينيّة الشيوعيّة مع الدين الإسلامي من الضروريّات، فلا يجوز تقوية المروّجين لتلك المبادئ بوجه من الوجوه، حتّى بالانتماء إليهم.

ليلة الثلاثين من شهر رمضان ١٣٧٩ هـ

محمود الحسيني الشاهرودي»[١].

٥ ـ ورأي السيّد الخوئي رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سبق منّا أن أجبنا على نظير هذا السؤال إجمالاً، والتفصيل: إنّ الشيوعيّة كعقيدة فلسفيّة تناقض أصول الإسلام، فهي كفرٌ وإلحاد، وإنّها كنظام اقتصادي واجتماعي تناقض قوانين الإسلام التي يجب على المسلمين كافّة الدعوة إليها، كما يحرم عليهم الدعوة إلى غيرها من النظم الاجتماعيّة لأنّ الإسلام وحده خيرة ربّ العالمين ورسالة خاتم النبيّين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾.

أبو القاسم الموسوي الخوئي»[٢].

٦ ـ ورأي الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الشيوعيّة الماركسيّة فلسفةٌ ماديّةٌ بحتةٌ تتنكّر لجميع الأديان ولا تعترف بالخالق تعالى، وتجترّ مفاهيمها من نظريّات فلسفيّة ملحدة بائرة، والنظام الشيوعي يرتكز على تلك الفلسفة ويستمدُّ منها روحه وكيانه، ولذلك كان الانتماء إلى الحزب الشيوعي من أعظم المحرّمات التي يشجبها الدين وتنبو عنها شريعة سيّد المرسلين، هدانا الله جميعاً إلى صراطه المستقيم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

١٣٧٩/١٠/٢٦هـ

مرتضى آل يسن»[٣]

٧، ٨، ٩، ١٠، ١١ ـ كما صدر رأي السيّد محمّد جواد الطباطبائي التبريزي والسيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد عبد الله الشيرازي والسيّد مهدي الشيرازي والشيخ عبد الكريم الزنجاني رحمهم الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الشيوعيّة شنيعة ليس فوقها شنيعة، ورذيلة دونها كلّ رذيلة، ونارٌ لا تبقي ولا تذر، والانتماء إليها ومؤازرتها كفرٌ وإلحاد، عصمنا الله والإسلام وجميع المسلمين من شرّها.

محمّد جواد الطباطبائي التبريزي»[٤].

«بسمه تعالى شأنه

الشيوعيّة ضلالٌ وإلحاد، فلا يجوز الانتماء إليها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٧.

(٢) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٢ ؛ انظر الوثيقة رقم (٤٠) ؛ وانظر: لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٧٢.

(٣) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٥.

(٤) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٨.

الأقل عبد الهادي الحسيني الشيرازي»[١].

«بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى أنّ الشيوعيّة كما أجبتُ عنها سابقاً كفرٌ وإلحاد وعين اللادينيّة، ويحرم على جميع المسلمين التحزّب بهذا الحزب، فإنّ الشيوعيّة تفني الآثار الدينيّة، وكلّ ما حكم به العقل والعقلاء والأنبياء من حفظ الأنساب وملكيّة الأشخاص. حفظنا الله وجميع إخواننا المسلمين من كلّ ما يخالف الدين الإسلامي.

السيّد عبد الله الشيرازي»[٢].

«بسم الله الرحمن الرحيم

نعم، الانتماء إليها حرام، والدعوة إليها حرامٌ آخر، وهي كفرٌ وإلحاد، والله العاصم.

مهدي الحسيني الشيرازي»[٣].

«بسم الله الرحمن الرحيم

المبدأ الشيوعي يناقض الإسلام وسائر الأديان، والنقيضان لا يجتمعان: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤].

عبد الكريم الزنجاني»[٥].

ردود فعل الشيوعيّين ورؤية السيّد الحكيم رحمه الله

كان لفتوى السيّد الحكيم رحمه الله كبير الأثر على الشيوعيّين، الذين حاولوا على إثرها النيل منه، فقاموا برسم صورة لحمار وألبسوه نظّارات وكتبوا عليه (الحمار الحكيم)، وهو اسم لمسرحيّة شائعة للكاتب المصري توفيق الحكيم. كما قام أحد الشيوعيّين في سوق العمارة بالنجف برمي شيء من اللبن على السيّد الحكيم رحمه الله أثناء مروره، فاحتجب السيّد الحكيم رحمه الله إثر ذلك مستنكراً، فجاءته الوفود من شتّى أنحاء العراق[٦].

وكان السيّد الحكيم رحمه الله يعتبر الزمان الذي يتزعّم فيه المؤسّسة المرجعيّة وتحديداً إبّان المدّ الشيعي زمان تقيّة وأنّها تقيّة عمّار بن ياسر[٧]، ولم يكن رحمه الله في وارد العمل من أجل إقامة حكومة إسلاميّة أو حتّى التفكير بمشروع من هذا القبيل بل كان بصدد العمل على نشر التديّن والانتظار لليوم الموعود[٨]، ولكنّ السيّد مهدي الحكيم رحمه الله يعتقد أنّ والده كان يعتقد بوجوب إقامة الحكومة الإسلاميّة مع التمكّن[٩].

---

(١) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٦.

(٢) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٩.

(٣) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٧٤.

(٤) الأنفال: ٢٧.

(٥) الحوزة العلميّة في مواجهة الاستكبار: ١٨٠.

(٦) الشيعة والدولة القوميّة: ٢١٤ ـ ٢١٥ ؛ وقد سمعتُ ذلك من السيّد محمّد الغروي.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٠، ١٦٩، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٨) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٨٩، ١٦٩، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.

(٩) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٠، ١٦٩، نقلاً عن السيّد مهدي الحكيم رحمه الله.

صدور مجلّة (الأضواء) باسم اللجنة التوجيهيّة لجماعة العلماء

قلنا سابقاً: إنّ العدد الأوّل من مجلّة (الأضواء) صدر في شهر شعبان/١٣٧٨هـ باسم (جماعة من طلبة العلوم الدينيّة)(١)، ويؤكّد الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله أنّه لا علاقة إطلاقاً للجماعة بمجلّة (الأضواء) وأنّ مؤسّسيها استفادوا من اسم الجماعة التي لم تعترض على ذلك(٢).

وحيثيّات هذا التحوّل أنّ منشورات (جماعة العلماء) قد وقفت موقفاً إيجابيّاً من عبد الكريم قاسم، ومن هنا فقد شكّل استمرارها حرجاً شديداً لـ(جماعة العلماء) التي وقفت فجأة موقفاً عدائيّاً منه، وبالخصوص عند استفحال التيّار الشيوعي ودعم السلطة إيّاه(٣).

وقد شعرت (جماعة العلماء) بأنّ الأسلوب المتّبع في (المنشور) لا يحقّق أيّ تركيز للساحة، فإنّ الموجة قد تهدأ وتستقرّ على قواعد فكريّة معيّنة من خلال تخطيط الفئات غير الإسلاميّة لمستقبلها الفكري والسياسي في الساحة العراقيّة.

عندها فكّر السيّد الصدر رحمه الله بإنشاء مجلّة يُراد لها أن تخاطب عقول الشباب بالمفاهيم الإسلاميّة في ضوء أساليب العصر ومعطياته ليشعروا بأنّ الأطروحات الجديدة التي تقدّمها الفئات الأخرى لحلّ مشكلة الحياة والإنسان ليست علاجاً سحريّاً يمكن أن يدخل الناس إلى الجنّة الموعودة في الدنيا.. بل هناك المفهوم الإسلامي الذي يحقّق للإنسان التوازن في الحلول الواقعيّة للمشاكل المطروحة في الساحة.

وقد اقترح السيّد الصدر رحمه الله أن يكون اسم المجلّة (الأضواء). وبتوجيه منه تقدّم السيّد مرتضى العسكري والسيّد مهدي الحكيم رحمه الله إلى السيّد محسن الحكيم رحمه الله بالفكرة، فأعطى توجيهاته بإصدارها من قبل (جماعة العلماء) وباسمها(٤)، وراح يدعمها بالمال، وكان السيّد مهدي الحكيم رحمه الله هو الواسطة في إيصال هذه المساعدات(٥).

وقد حصلت (جماعة العلماء) من النظام على رخصة إصدار نشرة شهريّة لمدّة سنتين باسم (الأضواء) بهدف الردّ على الهجمات الإعلاميّة ضدّ الإسلام والمسلمين والتي كان يقوم بها العلمانيّون والمناهضون للدين.

وبحسب ما أورده السيّد طالب الرفاعي، فقد كان السيّد محسن الحكيم رحمه الله هو الذي حدّد دور هذه النشرة، وحيث إنّه لم يكن مقبولاً وقتها أن يتدخّل المرجع الأعلى في أمور سياسيّة محضة ويشرف على إصدار مطبوعة سياسيّة، فقد ارتأى أن تضطلع بهذا الدور (جماعة العلماء) نفسها، وقد تحمّل السيّد الصدر رحمه الله مسؤوليّة كتابة المقال الافتتاحي فيها تحت عنوان (رسالتنا)(٦)، ولم يكن

---

(١) انظر أحداث سنة ١٣٧٨هـ.

(٢) مقابلة مع الشيخ محمّد حسن الجواهري (حفظه الله).

(٣) سنوات الجمر: ٥٦.

(٤) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٥٥، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٥) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (حفظه الله).

(٦) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ؛ وحول نموذج من الافتتاحيّة: انظر الوثيقة رقم (٤١).

السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ يذكر اسمه[(١)]. والصحيح ـ كما يأتي إن شاء الله تعالى ـ أنّ السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ كتب الافتتاحيّات الخمس الأولى منها فقط.

وقد تشكّلت لجنة توجيهيّة للإشراف على المجلّة ضمّت كلاًّ من:

١ ـ الشيخ كاظم الحلفي﴿رحمه الله﴾ مديراً للمجلّة[(٢)].

٢ ـ وإلى جانب الشيخ الحلفي وقف آخرون من قبيل الشيخ محمّد الخليلي (الطبيب)[(٣)].

٣ ـ الشيخ محمّد مهدي شمس الدين﴿رحمه الله﴾.

٤ ـ السيّد محمّد حسين فضل الله.

٥ ـ الشيخ محمّد رضا الجعفري.

٦ ـ الشيخ عبد الهادي الفضلي[(٤)].

٧ ـ السيّد محمّد باقر الحكيم﴿رحمه الله﴾[(٥)]، الأمر الذي نفى بعض أعضاء اللجنة علمهم به، حيث لم يكن معهم ولم يحضر اجتماعاتهم[(٦)].

وكان السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ يراجع كلّ ما يقدّم للنشر ويبدي مرئيّاته وملاحظاته[(٧)]، وكان هناك دورٌ للحاج عبد الصاحب دخيّل﴿رحمه الله﴾ في فكرة (الأضواء) وفي تنميتها وجعلها مؤسّسة ثقافيّة فاعلة بنشرها وتعميمها في الساحة الإسلاميّة في العراق[(٨)].

صدور العدد الأوّل من مجلّة (الأضواء)

نهار الخميس ١٥/ذي الحجّة/١٣٧٩هـ (١٩٦٠/٦/٩م)، صدر العدد الأوّل من مجلّة (الأضواء) نصف الشهريّة، وكان سعره (٤٠) فلساً[(٩)]. وقد استمرّ صدور (الأضواء) حتّى العدد الثالث من سنتها السادسة في ذي الحجّة/١٣٨٥هـ (نيسان/١٩٦٦م)[(١٠)].

وكان السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ هو الذي كتب افتتاحيّة المجلّة (رسالتنا)، وذلك في الأعداد الخمسة

---

(١) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٢) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (﴿حفظه الله﴾)؛ وانظر: كلام الشيخ علي كوراني في: صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (١٠٨): ٥. ويؤكّده إجمالاً ورود اسم الشيخ الحلفي على غلاف المجلّة.

(٣) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديث مع السيّد محمّد حسين فضل الله. والشيخ الخليلي معمّم مارس الطب القديم ودرس شيئاً من طب العين عند الطبيبً عبد الرحمن المقيّد (هكذا عرفتهم، الخليلي ٢: ٢٢٠).

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٣٤، رسالة للشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٠، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم﴿رحمه الله﴾ في مقابلة مع السياسي الإيراني رياضي: ٩؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٢.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٠، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٥، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٨) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٩، نقلاً عن: مقابلة للشيخ محمّد مهدي شمس الدين﴿رحمه الله﴾ مع الحاج أبي عمّار دخيّل.

(٩) انظر الوثيقة رقم (٤٢).

(١٠) انظر العدد الأخير من (الأضواء).

الأولى فقط، وقد كتب فكرة العدد السادس[1].

ولم تكن الافتتاحيّة تحمل اسم السيّد الصدر، بل تصدر باسم (جماعة العلماء في النجف الأشرف). وقد سئل السيّد الصدر عمّا إذا كان هو مؤلّف رسالتنا، فأجاب: «**ليس كلُّ ما ختم**

---

(١) مقدّمة رسالتنا: ١٦ ـ ١٧ ؛ وانظر حول المعنى إجمالاً: من حديث السيّد محمّد حسين فضل الله حول العلماء: ١٨ ؛ كلمات في الشهيد الصدر الأوّل: ٦. هذا وقد علمتُ من السيّد حامد الحسيني أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم كان يعتقد أنّ السيّد الصدر كتب العدد السادس منها أيضاً، ويستشهد على ذلك بأسلوب الافتتاحيّة الذي يشهد بنسبته إلى السيّد الصدر.

أقول: يأتي إن شاء الله تعالى ضمن أحداث سنة (١٣٨٠هـ) أنّ السيّد الصدر أعطى فكرة العدد السادس إلى السيّد محمّد حسين فضل الله ليكتب الافتتاحيّة، ولكن لم تسنح له الفرصة فأعطيت إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين. ومن هنا أمكن اعتبار العدد السادس برزخاً بين الطرفين.

وعليه، فما ينسبه السيّد صدر الدين القبانجي إلى السيّد الصدر في (الجهاد السياسي للسيّد الشهيد الصدر: ٤٧ ـ ٤٨) نسبته غير مقطوعٍ بصحّتها، لأنّه مستلٌّ من افتتاحيّة العدد السادس (مجلّة الأضواء: ١٤٣). أمّا الافتتاحيّات التي كتبها هو:

١ ـ رسالتنا، لم تحمل عنواناً خاصّاً ولكنّها تناولت (الشرط الأساسي لنهضة الأمّة): السنة الأولى، العدد الأوّل، الخميس ١٥/ذي الحجّة/١٣٧٩هـ = ١٩٦٠/٦/٩م.

٢ ـ **(رسالتنا والدعاة):** السنة الأولى، العدد الثاني، الأحد ١/محرّم الحرام/١٣٨٠[ورد ١٣٧٩] = ١٩٦٠/٦/٢٦م.

٣ ـ **(رسالتنا ومعالمها الرئيسيّة):** السنة الأولى، العدد الثالث، الأحد ١٥/محرّم الحرام/١٣٨٠هـ = ١٩٦٠/٧/١٠م.

٤ ـ **(رسالتنا يجب أن تكون قاعدة):** السنة الأولى، العدد الرابع، الثلاثاء ١/صفر/١٣٨٠هـ = ١٩٦٠/٧/٢٦م.

٥ ـ **(رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للعاطفة):** السنة الأولى، العدد الخامس، الثلاثاء ١٥/صفر/١٣٨٠هـ = ١٩٦٠/٨/٩م. وما نشر لاحقاً لا يُمكن نسبته إلى السيّد الصدر، وقد تداركت اللجنة العلميّة في (المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر) هذا الخطأ واقتصرت في طبعتها الأخيرة على الافتتاحيّات الخمس.

أمّا باقي ما كتبه:

٦ ـ **(الماديّة التاريخيّة):** السنة الأولى، العدد (١١ ـ ١٢) بتاريخ ١/جمادى الثانية/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/١١/٢١م). وقد جاء في الهامش: «فصلٌ من كتاب في الاقتصاد سيطبع قريباً إن شاء الله تعالى»

٧ ـ **(نظام الإنتاج):** السنة الأولى، العدد (١٣ ـ ١٤) بتاريخ ١/رجب/١٣٨٠هـ. وقد جاء في الهامش: «فصلٌ آخر من كتاب اقتصادنا المائل للطبع».

٨ ـ **(قوانين المجتمع الرأسمالي):** السنة الأولى، العدد (١٥ ـ ١٦) بتاريخ ١/شعبان/١٣٨٠ هـ. وقد جاء في الهامش: «جزء من بحث مع الماركسيّة من كتاب اقتصادنا الماثل للطبع».

٩ ـ **(الطبقيّة والماركسيّة):** السنة الأولى، العدد (١٧ ـ ١٨) بتاريخ ١/رمضان المبارك/١٣٨٠ هـ.

١٠ ـ **(الماديّة التاريخيّة في تفاصيلها):** السنة الأولى، العدد (١٩) بتاريخ ١/شوّال/١٣٨٠هـ. وقد جاء في الهامش: «فصلٌ من كتاب اقتصادنا الذي بوشر بطبعه».

١١ ـ **(الحرية في القرآن):** السنة الثانية، العدد الأوّل، بتاريخ ١٥/ربيع الأوّل/١٣٨١هـ.

١٢ ـ **(دروس من القرآن الكريم):** السنة الثالثة، العدد (٧ ـ ٨)، بتاريخ رمضان ـ شوال/١٣٨٢ هـ، وقد جاء فيها: (يتبع) ولم يتبع.

١٣ ـ **(عمر الأضواء):** السنة الرابعة، العدد (١ ـ ٢)، ربيع الأوّل ـ الثاني/١٣٨٣هـ.

١٤ ـ **(ملكيّة النبي(ص) والإمام(ع)):** السنة الرابعة، العدد (١٠)، بتاريخ تمّوز/١٩٦٤م.

١٥ ـ **(الجعالة في كتاب اقتصادنا):** السنة الخامسة، العدد الأوّل، بتاريخ ربيع الأوّل/١٣٨٤هـ.

١٦ ـ **(الرسالة الفكريّة والقيادة):** السنة الخامسة، العدد (٦ ـ ٧)، بتاريخ رمضان ـ شوال/١٣٨٤هـ = شباط ١٩٦٥م.

١٧ ـ **(الفقه والأصول):** السنة السادسة، العدد الأوّل، بتاريخ ١/رجب/١٣٨٥هـ = تشرين الثاني/١٩٦٥م.

بـ(نا) فهو لنا»[1]، وربّما كان ناظراً إلى الأعداد التي تلت العدد الخامس أو السادس، وقد صرّح للسيّد كاظم الحائري بأنّه قد كتب بعض الأعداد فحسب[2].

وإلى جانب ذلك كان السيّد محمّد حسين فضل الله يكتب (كلمة الأضواء) على الغالب، ومن أصل (١٧) افتتاحيّة في (٢٤) عدداً ـ سبعة منها مزدوجة ـ كتب اثنتي عشرة افتتاحيّة نشرت لاحقاً في (قضايانا على ضوء الإسلام).

وفي العام الثاني من عمر (الأضواء) انقطعت (رسالتنا) عن الصدور، وتحوّلت (كلمة الأضواء) إلى (كلمتنا) وكان يكتبها غالباً السيّد محمّد حسين فضل الله موقّعةً باسم (جماعة العلماء). وفي العدد السادس من السنة الثالثة أشارت (الأضواء) إلى أنّ الكاتب هو السيّد فضل الله. ثمّ كتب (كلمة الختام) في العدد المزدوج (٧ ـ ٨) من السنة الثالثة موقّعةً باسمه، ثمّ صارت (كلمتنا) تنشر موقّعةً باسمه ابتداءً من العدد (٤ ـ ٥) من السنة الرابعة.

نعم كتب بعض الافتتاحيّات السيّد محمّد باقر الحكيم، من قبيل افتتاحيّة العدد التاسع عشر من السنة الأولى والعدد الرابع من السنة الخامسة. وشارك في ذلك أيضاً الشيخ محمّد مهدي شمس الدين[3].

وكانت للسيّد إسماعيل الصدر مشاركات حول (التشريع الجنائي الإسلامي) في أعداد موزّعة

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، ١٨/شوّال/١٤٠٤هـ.

(٢) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري.

(٣) ذكر السيّد محمّد باقر الحكيم أنّ السيّد الصدر كان يكتب (كلمتنا) باسم (جماعة العلماء) على الغالب، ثمّ انقطع عن ذلك فيما بعد (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٤٢).

أمّا السيّد محمّد حسين فضل الله فيقول: إنّ كلمة (جماعة العلماء) تحت عنوان (رسالتنا) كانت بقلم السيّد الصدر، بينما كان هو يكتب أغلب (كلمتنا) [مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله]، وهو ما ذكره السيّد محمّد الحسيني (بدون: أغلب) (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٤٩). ويضيف السيّد فضل الله أنّ (كلمتنا) كانت تصدر بدون توقيع، وبعد بروز الخلافات عمدوا إلى التوقيع [من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله].

ويذكر السيّد فضل الله في موضع آخر أنّه كان يكتب الافتتاحيّة تحت عنوان (كلمتنا) التي رافقت في فترة من عمر المجلّة السيّد الصدر الذي كان يكتب الافتتاحيّة الأولى تحت عنوان (رسالتنا) (قضايانا على ضوء الإسلام: ط). وفي موضع ثالث قال: إنّ عنوانها كان (كلمة الأضواء) (قضايانا على ضوء الإسلام: ك).

ويختلف الموقف في حديث الشيخ محمّد مهدي شمس الدين الذي يقول: إنّ الافتتاحيّات كانت تصدر باسم (رسالتنا)، وقد كتب السيّد الصدر الافتتاحيّات الأولى منها وأكمل هو الباقي، ثمّ بعد ذلك صارت تصدر باسم (كلمتنا) [مقابلة مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين]. وهذا يعني أنّ (رسالتنا) و(كلمتنا) عنوانان لمعنونٍ واحد.

وهذا موافقٌ جزئيّاً لما ذكره الأستاذ صلاح الخرسان حيث قال: إنّ السيّد محمّد حسين فضل الله حلّ محلّ السيّد الصدر في كتابة افتتاحيّة (الأضواء) تحت عنوان جديد هو (كلمتنا) (حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٥).

أقول: الصحيح أنّه لا وجود ـ في أعداد السنة الأولى ـ لمعنونٍ عنوانُه (كلمتنا)، والموجود إلى جانب (رسالتنا) هو (كلمة الأضواء).

أمّا في أعداد السنوات اللاحقة، فقد ألغيت (رسالتنا) وتحوّلت (كلمة الأضواء) إلى (كلمتنا)، والصحيح ما أثبتناه في المتن.

على سنين مختلفة، إضافةً إلى مشاركة حول (حياة الإمام الصادق عليه السلام دروس وعظات) في العدد (٢٠ ـ ٢١) من السنة الأولى، وأخرى حول (فلسفة السجود على التربة الحسينيّة) في العدد الثالث من السنة الرابعة.

كما كانت هناك مشاركات للشهيدة بنت الهدى كانت تكتبها تحت عنوان (صوت المرأة المسلمة)[١].

[وبشكل عام]، فقد كان علماء حزب الدعوة الإسلاميّة هم كتّاب (الأضواء)[٢].

وعلى إثر صدور المجلّة طالب بعض الموظّفين الصغار من الشيوعيّين بتغيير لوحة مكتب (الأضواء) وحاولوا منع توزيعها عن طريق مؤسّسات توزيع الصحف[٣].

الموقف من (الأضواء)

كان نجم (الأضواء) قد تألّق وازداد الطلب على أعدادها، الأمر الذي أثار حفيظة القوى المناهضة للتيّار الإسلامي والتي وجدت في ذلك المنبر الإعلامي مفاجأةً لم تكن تتوقّعها، والذي جعل (الأضواء) هدفاً لهجمات جهات عديدة[٤].

وبشكل عام فقد رصدت هذه الجهات (جماعة العلماء) ودور السيّد الصدر رحمه الله فيها، فاستهدفته لغرض تعطيل دور (الجماعة)[٥]:

١ ـ الحوزة: لم يكن يحلو لكثير من شرائح الحوزة في النجف نشاطات (جماعة العلماء) التي اتّسمت بشيء من التجديد في الأفكار واللغة والخطاب، فكان منها مَن عَمِلَ على إحباط دورها ونشاطاتها.

وقد ترك بعض البعثيّين تأثيراً على أبناء بعض المراجع في التحريض على العلماء الواعين لثنيهم عن مواصلة العمل بدعاوى عديدة وحجج مختلفة[٦].

وكانت (الأضواء) تفكّر بطريقة تتجاوز المذهبيّة وإن تناولت عدداً من القضايا المذهبيّة، ولذلك أغضبت بعض الإسلاميّين الذين تجاوزوا الإطار المذهبي بالمطلق، كما أغضبت التقليديّين الذين اتّهموها بالتنكّر للتشيّع وعدم الاهتمام به[٧].

كما أنّ جماعة (منتدى النشر) شاركت في الحملة ولأسباب غير واضحة، ربّما يكون ذلك لدور حزب الدعوة ـ الذي كانت له مشاركته في نشاطات (جماعة العلماء) ومنها (الأضواء) ـ في إقالة السيّد هادي الفياض ـ أحد أعضاء جمعيّة (منتدى النشر) ـ إثر نشره مقالاً لصلاح الخالص ـ وهو

---

(١) هناك بعض المقالات موقّعة باسم (بنت الإسلام) وواحدة باسم (بنت العلماء) لا أعلم حالها.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٥٩، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٨٧، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٢.

(٥) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٣.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٥٢، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٥٨، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

من أعلام الشيوعيّين ـ في مجلّته (النجف)[(١)]. بل إنّ بعضاً من (جماعة العلماء) نفسها لم يكن راضياً عن دور السيّد الصدر‌رحمه‌الله[(٢)].

٢ ـ الحزب الشيوعي: كان الحزب الشيوعي يعتبر الخطّ الديني عدوّه الأيديولوجي الأوّل. ومن هذا المنطلق فقد سعى إلى إحباط نشاطات (جماعة العلماء)[(٣)].

٣ ـ حزب (البعث): على الرغم من أنّ حزب البعث كان ينظر أوّل الأمر إلى الحوزة على أنّها حليفته باعتبار صراعها مع عدوّه الحزب الشيوعي، إلاّ أنّه غيّر نظرته للموضوع بعدما تبيّن له حجم الخطر الذي تشكّله الحوزة على كيانه بعد ازدياد نشاطها المتمثّل في (جماعة العلماء). وكان من أبرز وجوههم حسين الصافي المعمّم، والذي دخل في سلك المحاماة لاحقاً.

وكان الصافي يشيع هو ورفقائه في النجف بأنّ هذه المجلّة لا تعبّر عن رأي (جماعة العلماء) وإنّما تعبّر عن رأي تنظيم سياسي وديني سرّي يستغلّ اسم (جماعة العلماء)[(٤)].

السيّد الصدر‌رحمه‌الله يثمّن كتاب السيّد الطباطبائي‌رحمه‌الله ويعارض ترجمة كتاب جورج جرداق

في هذا العام (١٣٣٨هـ ش)[(٥)] قام مجموعة من العلماء في إيران بإعداد (سالنامه مكتب تشيع)[(٦)] التي كان يديرها الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني والدكتور باهنر، وكانت حول كتاب (التشيّع) للسيّد محمّد حسين الطباطبائي‌رحمه‌الله، مع توضيحات الشيخ الأحمدي الميانجي والسيّد هادي خسروشاهي. وقد أرسل الأخير نسخةً منها إلى السيّد الصدر‌رحمه‌الله[(٧)].

وكان السيّد خسروشاهي مصمّماً على ترجمة كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة) للكاتب المسيحي جورج جرداق إلى اللغة الفارسيّة، وقد صدر هذا الكتاب بلغته العربيّة سنة ١٩٥٨م[(٨)].

وحول هذه المواضيع كتب السيّد الصدر‌رحمه‌الله إلى السيّد هادي خسروشاهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة الجليل السيّد هادي الخسروشاهي دامت بركاته ونفع المسلمين بإفاضاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تشرّفت بهديّتكم الغالية التي أتحفتموني بها، فأعجبني أيّ إعجاب كتاب عقيدة الشيعة[(٩)]

---

(١) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٣ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٩، ١٦٢، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٢) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٧٣.

(٣) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٣.

(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٠٣ ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٧٤ ؛ سنوات الجمر: ٥٦ ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٩.

(٥) في صحيفة (اطلاعات)، شماره (١٩٣٠٣)، ٢٥/فروردين/١٣٧٠هـ ش: ورد سنة ١٣٣٨هـ ش، وكذا في: شيعه در اسلام (فارسي): ٢٠ ؛ ولذا ورد في الكتابات العربيّة أنّ ذلك كان سنة ١٩٥٩م (رسالة التشيّع في العالم المعاصر: ٨).

(٦) أي نشرة سنويّة حول مذهب التشيّع.

(٧) صحيفة (اطلاعات)، شماره (١٩٣٠٣)، ٢٥/فروردين/١٣٧٠هـ ش.

(٨) الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، المقدّمة: ١٥، حيث جاء تاريخ المقدّمة في: ١٩٥٨/٣/١م.

(٩) يقصد‌رحمه‌الله كتاب (مكتب تشيع) للسيّد محمّد حسين الطباطبائي‌رحمه‌الله.

الذي سدّ نقصاً عظيماً في مكتبة التشيّع بما اشتمل عليه من تحقيقات آية الله الحجّة المحقّق السيّد محمّد حسين الطباطبائي متّع الله المسلمين بإفاداته، فقد وفّق هذا الكتاب إلى كشف الواقع التاريخي والفكري والديني للشيعة كشفاً علميّاً رائعاً لم يسبق له مثيل ـ فيما أعلم ـ، وليس هذا غريباً منه، وهو بحق مصدر من مصادر الفكر الإسلامي وتعبيرٌ قويٌّ عن بوادر نهضة فكريّة كبرى في الإسلام بما أنتجه من آيات الفكر وروائع التحقيق في التفسير والفلسفة والتاريخ[١].

كما كانت الإيضحات والتعليقات التي قمتم بوضعها مع زميلكم المعظّم[٢] عنصراً ضروريّاً للكتاب ومادّة علميّة خصبة لكلّ دراسة تتعلّق يالتشيّع ومختلف شؤونه، وقد تضمّنت من الفوائد والتحقيقات ما برهنت به على مقام الكاتبين وسعة اطّلاعهما وطول باعهما.

وكانت سلسلة انتشارات الانقلاب الفكري الإسلامي هي الأخرى تحفة غالية وبادرة من بوادر الانقلاب الفكري لهذه الأمّة التي بدأت تستيقظ من سباتها العميق وتلتفت إلى كنوزها الإسلاميّة الهائلة بعد أن نامت عنها قروناً متواصلة وغرقت في سيول أجنبيّة وألوان مختلفة من التفكير الاستعماري الكافر، كالدمقراطيّة والرأسماليّة والاشتراكيّة والشيوعيّة، هذه المذاهب التي لم تجن من ورائها إلاّ المحن والكوارث. وها هي تستشعر الآن أنّ أنفاسها تتقطّع تحت ضغط هذه السيول وتحاول التحرّر منها. ومن الواضح أنّ هذه اللحظة الحاسمة هي الفرصة الذهبيّة بأيدي قادة الفكر الإسلامي وحملة تراث الشريعة المقدّس أمثالكم وأمثال سيّدنا الطباطبائي دامت بركاته.

وبودّي أن أشير بهذا الصدد إلى نقطة تبدو لي على جانب من الأهميّة، وهي تتّصل بعزمكم على ترجمة كتاب جورج جرداق إلى اللغة الإيرانيّة، فإنّ لي في هذا الكّتاب رأياً خاصّاً لا أشكُّ في أنّكم تشاركونني فيه إذا استوعبتم الكتاب مطالعةً وإحاطةً، ولي رسالة إلى السيّد الطباطبائي أشرح له وجهة نظري في الموضوع[٣].

فالكتاب في رأيي مدرسة من مدارس التفكير الغربي بكلّ ما يضجّ به هذا التفكير من مفاهيم وقيم لا إسلاميّة ولا دينيّة على وجه العموم، وهو ينزع لأجل ذلك عن الإمام عليه السلام كلّ إطار ديني ويدرسه بما هو إنسان استطاع أن يكون عظيماً بالمقدار الذي سنحت له بيئته وعصره. وفي الكتاب نصوص كثيرة تنسف كثيراً من أسس التشيّع والإسلام.

صحيحٌ أنّ المسيحي لا يترقّب منه أن يكون شيعيّاً مسلماً، ولكنْ في الكتاب ألوانٌ من الاستهزاء بالدين بصورة عامّة، مضافاً إلى أنّ كون الكاتب غير شيعي وغير مسلم لا يصحّ أن تسلّم إلى الشباب الشيعي المسلم كتابه الذي يفسد على هؤلاء الشباب كثيراً من عقائدهم الدينيّة.

ولهذا أعتبر أنّ من الخطر جدّاً تقديم مثل هذا الكتاب إلى الناشئة الإيرانيّة التي تتجمّع الآن جهودكم وجهود زملائكم من العلماء والمفكّرين في سبيل استنقاذها من براثن التفكير الغربي وتغذيتها بالوعي الإسلامي من جديد.

وأمّا تقريض آية الله العظمى سيّدنا الطباطبائي الحكيم دام ظلّه للكتاب، فقد كُتب في ضوء الجزء الأوّل فحسب، وقد ~~بلغني~~ بلغني بصورة موثوقة أنّه كان يشتمل على التصريح بعدم مطالعة تمام الكتاب.

كما أنّ من المحتمل قويّاً أن يكون تقريض آية الله سيّدنا الطباطبائي البروجردي دامت بركاته مستنداً

---

(١) يقصدﷺ كتاب (الميزان في تفسير القرآن) وكتاب (اصول فلسفه وروش رئاليسم) للسيّد الطباطبائيﷺ.

(٢) يقصد الشيخ الأحمدي الميانجي.

(٣) لم يتمّ الحصول على الرسالة المشار إليها حتّى الآن.

إلى تعريف الآخرين به أو إلى نظرة عابرة منه في بعض فصوله السليمة ﷺ من الدسّ والانحراف[1].

وختاماً أبتهل إلى المولى سبحانه أن يكلّل جهادكم الإسلامي المتواصل بالنجاح ويجعل من قلمكم المبارك أداة علميّة فيّاضة وسلاحاً في خدمة الإسلام والمسلمين وأن يثيبكم على جهودكم أفضل ثواب المجاهدين.

ولكم مزيد الشكر والامتنان والتعظيم من:

المخلص

محمّد باقر الصدر

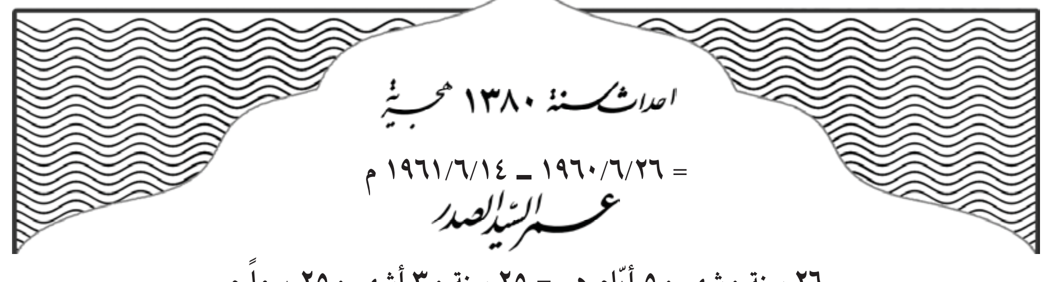
النجف الأشرف»[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) لم أعثر على هذين التقريظين في طبعات الكتاب التي رأيتها، ولعلّهما لم يطبعا معه.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٤٣).



٢٦ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٥ سنة و٣ أشهر و٢٥ يوماً م

***

صدور العدد الثاني من (الأضواء)

في ١/محرّم/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٦/٢٦م) صدر العدد الثاني من مجلّة (الأضواء)، وقد ورد فيه مقالُ الدكتور أكرم زعيتر[(١)] حول (فلسفتنا)، والذي سبق أن تمّ نشرُه في صحيفة (الحياة) البيروتيّة كما تقدّم، وقد تمّ تقسيم المقال إلى قسمين نُشِرا تباعاً[(٢)]. وقد جاء المقال تحت عنوان: (**فلسفتنا.. غنىً فلسفي وروحي في عالم طغت عليه الماديّة**)[(٣)]. وكان بعضُ أعضاء (جماعة العلماء) من فضلاء النجف الكبار وممّن يعتبرون أنّ لهم باعاً كبيراً في الفلسفة يظنّون أنّ مثل هذا الأمر قد يسيء إلى مقامهم. وصارت هناك صيحة خاصّةً من الشيخ محمّد رضا المظفّر رحمه الله[(٤)].

وابتداءً من هذا العدد، بدأ السيّد محمّد حسين فضل الله بكتابة (افتتاحيّة الأضواء) أو ما يعرف بـ(كلمتنا)، وكان ذلك برغبة وطلب من السيّد الصدر رحمه الله[(٥)]، مع أنّ السيّد فضل الله كان قد اعتذر له بعدم ممارسته الكتابة، إلاّ أنّ السيّد الصدر رحمه الله أصرّ على الأمر، ولمّا باشر السيّد فضل الله بها أظهر له إعجابه بما كتب[(٦)].

عودة السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله إلى الكاظميّة

في محرّم من العام ١٣٨٠هـ (حزيران ـ تموز/١٩٦٠م) أو قبله بقليل، عاد السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله إلى موطنه الأصلي الكاظميّة استجابةً لطلب طائفةٍ من أهلها، حيث اشتغل بالتدريس والتبليغ، وذلك بعد أن كان قد تركها عام ١٣٦٥هـ.

ونحتمل أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان في معيّته، وقد زاره السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله في الكاظميّة وأمضى معه أياماً قبل سفره إلى لبنان[(٧)]، وكان للسيّد مرتضى العسكري دورٌ في انتقال السيّد

---

(١) أشير إليه بـ(أ)، وقد تقدّم نقل المقال لدى الحديث عن صدى (فلسفتنا).

(٢) انظر مجلّة (الأضواء)، العدد الثاني: ٥٥ ـ ٥٦ ؛ العدد الثالث: ٨١ ـ ٨٤.

(٣) انظر الوثيقة رقم (٤٤).

(٤) مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (رحمه الله) ؛ حدّثني بذلك السيّد فضل الله بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٠، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٥) حدّثني بذلك السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٦، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٧) قدّرنا أن يكون ذلك في شهر محرّم أو قبله بقليل لأنّ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله الذي سافر إلى لبنان عام ١٣٨٠هـ

إسماعيل رحمه الله إلى الكاظميّة[١].

وعندما كان السيّد الصدر رحمه الله يزور الكاظميّة، كان لا يتحدّث في محضر أخيه، إلاّ أنّ السيّد إسماعيل رحمه الله كان يُرجع إليه في الأسئلة: «**[سلوا] السيّد**»، وكان يحرجه ويلجئه إلى الكلام[٢].

وبعد انتقاله إلى الكاظميّة انتقل تلميذه الشيخ حسن طراد إلى حضور درس أخيه السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله[٣].

وذات مرّة كان السيّد إسماعيل رحمه الله في النجف الأشرف وأقيمت صلاة المغرب جماعةً، فقال لأخيه السيّد محمّد باقر رحمه الله إنّه يكره للمسافر أن يؤمّ الحاضر وطلب منه أن يؤمّ الصلاة، فأجابه رحمه الله بأنّه لا فرق بين المسألتين بحسب الأدلّة والروايات، فيكون من المناسب أن نأتمَّ بك، فسكت السيّد إسماعيل رحمه الله ولم يعلّق على ذلك[٤].

سفر السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله إلى لبنان

في محرّم من هذا العام سافر السيّد محمد باقر الحكيم رحمه الله إلى لبنان. يقول رحمه الله: «**سافرتُ إلى لبنان في سنة ١٣٨٠هـ حيث كانت طموحاتنا أن ننقل أفكارنا إلى ذلك البلد، وودّعت السيّد الأستاذ الشهيد حيث كان في الكاظميّة حينذاك بعد أن عشت معه أيّاماً**»[٥].

وكان السيّد الحكيم رحمه الله يراسل أستاذه باستمرار في رسائل طويلة وكان يجيبه بأخرى يتحدّث فيها عن عواطفه الفيّاضة وهمومه الإسلاميّة[٦]. وعندما قرأ إحدى الرسائل التي يحدّثه فيها السيّد الحكيم رحمه الله عن بعض المشاكل المعقّدة الشخصيّة التي واجهها في الطريق بسبب الظروف السياسيّة القائمة حينذاك لم يملك نفسه عن البكاء والحزن[٧].

السيّد الصدر رحمه الله يعيد النظر في أسس الأحكام الشرعيّة

في محرّم من هذا العام، كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«... وقعتُ منذ أسبوعين أو قريب من ذلك في مشكلة، وذلك أثناء مراجعتي أسس الأحكام الشرعيّة وبعدها، وحاصل المشكلة التوقّف في آية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٨] التي هي أهمُّ تلك الأسس وبدونها

قال إنّه أمضى مع السيّد الصدر رحمه الله أيّاماً في الكاظميّة ثمّ ودّعه وسافر إلى لبنان. وفي محرّم من ذلك العام كتب إليه السيّد الصدر رحمه الله رسالة. فاحتملنا أن يكون السيّد الصدر رحمه الله قد رافق أخاه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله إلى الكاظميّة عندما ترك النجف، وفي تلك الفترة نزل عندهما السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله قبل سفره إلى لبنان وأمضى مع أستاذه أياماً، ثمّ سافر إلى لبنان ورجع السيّد الصدر رحمه الله إلى النجف.

(١) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري بتاريخ ١٩٨١/١/١٥م (حفظه الله).

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، ٦/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ.

(٣) مقابلة مع الشيخ حسن طراد (مجلّة المنهاج، العدد ١٧: ٤٤٥).

(٤) مقابلة مع السيّد ذيشان حيدر جوادي (حفظه الله).

(٥) الشهيد الصدر يرسم الخط الأصيل للإسلام ويتصدّى للمؤامرة ويواجه البعث الكافر، مجلّة الجهاد، العدد (١٤)، ١٩٨١: ١١.

(٦) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤١.

(٧) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)، ولا بدّ أن يكون السيّد الحكيم رحمه الله قد علم بذلك بعد رجوعه أو بواسطة ما.

(٨) الشورى: ٣٨.

لا يمكن العمل في سبيل تلك الأسس مطلقاً، كما كنت أكرّر ذلك في النجف مراراً، ومنشأ التوقّف وجهان أو وجوه: أهمّها أنّي لم أستطع أن أجيب على الاعتراض الذي اعترضته أنت على الاستدلال بالآية وإن كنتُ أجبت عنه في حينه، ولكنّ الجواب يبدو لي خطأً...».

«و إذا تمّ الإشكال فإنّ الموقف الشرعي لنا سوف يتغيّر بصورة أساسيّة، وإنّ لحظات تمرُّ عليّ في هذه الأثناء وأنا أشعر بمدى ضرورة ظهور الفرج وقيام المهدي المنتظر (صلوات الله عليه)، ولا زلت أتوسّل إلى الله تعالى أن يعرّفني على حقيقة الموضوع ويوفّقني إلى حلّ الإشكال، ولكنّي من جهة أخرى أخشى وأخاف كلّ الخوف من أن تكون رغبتي النفسيّة في دفع الإشكال وتصحيح مدّعياتنا الأوليّة هي التي تدفعني إلى محاولة ذلك.

وعلى كلّ حال فإنّ حالتي النفسيّة لأجل هذا مضطربةٌ وقلقةٌ غاية القلق، وما الاعتصام إلاّ بالله، وإنّي أكتب هذه المسألة إليك أيّها الحبيب المفدّى لمشاركتي التأمّل فيها وتعيين موقفنا منها بصورة أساسيّة..»[1].

وكان السيّد الصدر‍ يذهب إلى نظريّة (الشورى) في بداية التحرّك الإسلامي استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2].

إلاّ أنّه عدل عن هذه النظريّة بعد ذلك وكان يورد عليها مجموعةً من الملاحظات، منها الملاحظتان التاليتان:

الأولى: أنّ الآية لو كان لها الدلالة على جعل الولاية للشورى، فهي لا تدلُّ على الولاية أكثر من الدليل (الأصل) الذي يدلُّ على مسؤوليّة الإنسان عن نفسه وعمله، نعم تضيف إليه أمراً آخر وهو أن يتشاور المسلمون في شؤونهم بدل أن يتّخذوا القرار بشكل فردي، لأنّ الآية ليس فيها دلالة على أنّ الولاية سوف تكون للأكثريّة من المتشاورين، بل إنّ المسلمين الذين يكون كلُّ واحد منهم مسؤولاً عن نفسه يجب عليهم أو يحسن بهم أن يتشاوروا في أمورهم. فقد يكون المراد منها الحثّ على التشاور، وإنّما يكون الإلزام بالقرار عندما يكون إجماعيّاً، مع ملاحظة أنّ الآية لا تتحدّث عن خصوص التشاور في (الأمر)، والذي هو الولاية، الذي يعني جميع المسلمين بل تتحدّث عن جميع أمور المسلمين. وبإطلاقها يمكن شمول (الأمر) للأمر الذي يهمّ جميع المسلمين.

وبفهم الآية هذا لا يمكن أن نلتزم رأي الأكثريّة بإدّعاء أنّ تحصيل الإجماع على القرار لمّا كان أمراً غير ممكن التحقّق عادة، فإذا أردنا التقيّد بالإجماع، فإنّ ذلك يعني أن يصبح مضمون الآية لغواً، لعدم تحقّق مصداق له في الخارج، لأنّنا بهذا الفهم يمكن أن نحمل الآية على الأمور الأخرى غير الولاية، من مختلف قضايا وأشكال أمور الجماعات الإسلاميّة ودوائر التشاور.

ومن المعقول أن يكون القرار إجماعيّاً في كثير من هذه الحالات[3]، وإن كان في حالة معيّنة لا يمكن أن يكون إجماعيّاً، وهي حالة انتخاب الولي. ولكنّ ذلك لا يضرُّ بفهم الآية لأنّه لا يؤدّي إلى تخصيص الأكثر، أو أن لا يكون له مصداق.

---

(١) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٧٩.

(٢) الشورى: ٣٨.

(٣) يبدو من هامش السيّد محمّد باقر الحكيم‍ (الحكم الإسلامي بين النظريّة والتطبيق: ٧٧) أنّ هذا هو الإشكال الذي وجّهه السيّد الحكيم‍ إلى السيّد الصدر‍ والوارد في الرسالة المتقدّمة.

الثانية: أنّ الأمر الذي تتناوله الآية وتمدح المؤمنين على التشاور فيه ليس هو أصل الحكم والولاية، وإنّما هي أمور أخرى، وذلك بقرينة أنّ الحكم الذي كان يمارسه النبي صلى الله عليه وآله في زمن نزول الآية لم يكن قائماً بالأصل على الشورى. والظاهر من مجموع الأوصاف التي وردت في سياق هذا الوصف في الآيات الكريمة أنّها أوصاف فعليّة وعمليّة، والمسلمون مدعوّون إلى العمل بها فعلاً.

وهذا لا ينسجم مع ما يقرّره القرآن الكريم من أنّ الولاية ـ في وقت نزول الآية ـ للرسول صلى الله عليه وآله وحده: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[(١)].

بل إنّ هذه الآية نزلت في مكّة ولم يكن للمسلمين مجتمعٌ قائم، وإنّما كانوا يعيشون ضمن المجتمع المكّي الكافر، فلا بدّ أن يكون المقصود أو القدر المتيّقن منها القضايا ذات الطابع الشخصي أو العادي أو تكون منسوخةً بالآيات الدالّة على لزوم إطاعة الرسول وأولي الأمر المنصوبين من قبله[(٢)].

السيّد الصدر رحمه الله يشرع في تدريس الخارج فقهاً

في أوائل هذا العام على ما يبدو شرع السيّد الصدر رحمه الله في تدريس الخارج فقهاً على نهج كتاب (العروة الوثقى) للسيّد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي رحمه الله[(٣)].

والذي يبدو هو أنّ السيّد الصدر رحمه الله شرع في كتاب الطهارة حتّى شهر رمضان/١٣٨٣هـ، حيث باحث الخمس حتّى يوم الثلاثاء ٢٩/صفر/١٣٨٥هـ، ثمّ رجع إلى بحث الطهارة في ١٠/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ[(٤)].

وكانت إحدى أمنيات السيّد الصدر رحمه الله أن تسنح له الفرصة للقيام بدراسة مقارنة على مستوى فقه

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الحكم الإسلامي بين النظريّة والتطبيق: ٧٦ ـ ٧٨ ؛ وهذا وفقاً لما أورده السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله، وإلاّ فهناك مناقشات حول هذا النقل. انظر بعض ذلك ضمن أحداث سنة ١٣٨٢هـ تحت عنوان (زيارة حسين الصافي وانسحاب السيّد الصدر رحمه الله من [قيادة] حزب الدعوة) ؛ وانظر حول العدول إلى ولاية الفقيه أحداث سنة ١٣٨٩هـ.

(٣) ذكر السيّد الصدر رحمه الله أنّه شرع في تدريس الخارج أصولاً عام ١٣٧٩هـ وفقهاً بعد ذلك بحوالي سنتين [انظر الوثيقة المتقدّمة رقم (٤)]، فيكون ذلك سنة ١٣٨١هـ وكذلك الشيخ محمّد رضا النعماني في رسالةٍ كتبها حول حياة السيّد الصدر رحمه الله (مخطوط).

أمّا السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله، فقد ذكر أنّه شرع في تدريس الخارج أصولاً عام ١٣٧٨هـ وفقهاً عام ١٣٨١هـ (أسرة آل الصدر). ونحن قد بنينا سابقاً على أنّه شرع في تدريس الخارج أصولاً عام ١٣٧٨هـ باعتبار أنّ السيّد الأردبيلي رحمه الله ذكر يوم شروع الدرس على وجه التحديد، وكذلك السيّد نور الدين الإشكوري الذي أراني التاريخ في تقريراته التي لا زال يحتفظ بها، الأمر الذي أورث لنا الاطمئنان بصحّة ما تبنّيناه.

أمّا في ما يتعلّق بدرس الفقه، فإنّ ما ذكره السيّد الصدر رحمه الله من أنه درّس الخارج فقهاً بعد تدريسه الأصول بحوالي سنتين يبقى على اعتباره، فيكون تدريسه الفقه عام ١٣٨٠هـ لا ١٣٨١هـ. ويؤيّد ذلك ما جاء في تقريرات السيّد نور الدين الإشكوري، حيث جاء أنّه وصل إلى بحث تحديد الكرّ يوم الثلاثاء ٦/ربيع الأوّل/١٣٨١هـ. وهذا يعني أنّه قد درّس حتّى ذلك التاريخ ما يقرب من أربعمائة صفحة، وهذا يؤيّد أنّه شرع في التدريس قبل عام ١٣٨١هـ لأنّ هذا المقدار لا يمكن استيعابه خلال أربعة أو خمسة أشهر.

(٤) مستفاد من تقريرات السيّد عبد الغنبي الأردبيلي رحمه الله (مخطوط).

العقود والمعاملات بين الإسلام وبين الفقه الوضعي الغربي، وذلك قريباً من كتابة السنهوري في كتابه (الوسيط)، لكن مع إبراز رأي الفقه الإسلامي في المسائل المطروحة[(١)].

وكانت رغبة السيّد الصدر رحمه الله على مستوى درسه الفقهي هي تدريس فقه المعاملات، ولكنّ خاصّة طلاّبه فضّلوا له تدريس كتاب الطهارة وفق الطريقة المعهودة ريثما يصبح درسه درساً معترفاً به، وبعد ذلك يستطيع تدريس فقه المعاملات، إلاّ أنّ الأجل لم يسعفه[(٢)].

وكان وقت الدرس قبل الظهر بساعتين في مقبرة آل ياسين. ثم انتقل البحث إلى مسجد الطريحي من محلّة البراق قرب المدرسة الدينيّة الشبريّة [الذي لم تزد مساحته على ثلاثين متراً][(٣)]. وبعد فترة وجيزة انتقل من مسجد الطريحي إلى مسجد الطوسي رحمه الله[(٤)].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يدخل إلى مسجد الشيخ الطوسي رحمه الله ـ الذي كان له بابان ـ من طرف الشارع العام، وبعد انتهاء الدرس كان يخرج من الباب الخلفي المؤدّي إلى أحد الأزقّة.

وكان يستغلّ وقت مسيره من البيت إلى المسجد بالتفكير والتأمّل، وكان أحياناً يصل إلى باب المسجد، ثمّ يتحوّل عنه لقطع شوط آخر في التفكير، ثمّ يعاود بعد ذلك الدخول. وكان يقول لمن يرافقه إذا انشغل بالنظر إلى السوق: «**لماذا تضيّعون وقتكم بالنظر هنا وهناك، استغلّوا هذا الوقت بالتفكير في معضلة اجتماعيّة أو سياسيّة أو فقهيّة وتأمّلوا فيها علّكم تجدون لها حلاًّ في هذا الوقت**»[(٥)].

وممّن حضر درسه هذا الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي استمرّ إلى حين سفر السيّد الصدر رحمه الله[(٦)] إلى لبنان عام ١٣٨٩هـ على ما يبدو.

السيّد الصدر رحمه الله يطلب من السيّد فضل الله كتابة مقال في (الأضواء)

طلب السيّد الصدر رحمه الله من السيّد محمّد حسين فضل الله كتابة مقال في مجلّة (الأضواء)، إلاّ أنّ الأخير اعتذر بأنْ ليس له عهدٌ بالكتابة إذ لم يكن قد كتب إلاّ لمرة واحدة، ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله أصرّ على ذلك وقال له إنّه يختزن طاقة الكتابة، فنزل السيّد فضل الله عند رغبته وكتب (ذكرياتنا وموقفنا منها) ونشرت في العدد الرابع الصادر في ١/صفر/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٧/٢٦م)[(٧)].

---

(١) كلمة للسيّد كاظم الحائري ضمن أعمال اليوم الأوّل لـ(مؤتمر الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره) بتاريخ ٢٠٠١/١/١٨م.

(٢) سمعتُ ذلك من السيّد محمود الهاشمي بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٢م.

(٣) ما بين [] من: صحيفة (الشهادة)، العدد (٧١٤)، ١٥/ربيع الثاني/١٤١٨هـ، نقلاً عن السيّد صدر الدين القبانجي.

(٤) انظر: تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٢٠ ـ ٢١ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢٦ ؛ وانظر شيئاً منه في: مقابلة مع السيّد محمود الهاشمي (دام ظله).

(٥) انديشه ماندگار، ويژه كنگره بين المللى آية الله العظمى شهيد صدر قدس سره، شماره چهارم، ٢٩ دى ١٣٧٩، گفت وگو با شيخ محمد على تسخيرى.

(٦) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ١٠٠.

(٧) ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديث مع صحيفة صوت العراق: ١٦. وفي المصدر: العدد الثاني، وما أثبتناه من مجلّة (الأضواء) نفسها. وهناك بعض التشويش من ناحية ما تقدّم من أنّه شرع في العدد الثاني بكتابة (كلمتنا).

الموقف من اعتراف الشاه بإسرائيل

كان السيّد مرتضى العسكري في الكاظميّة وقد جاءها الشيخ مرتضى آل ياسينرحمه الله من النجف الأشرف بمناسبة عطلة الحوزة العلميّة. وفي أحد الأيّام زاره السيّد إسماعيل الصدررحمه الله وقال له: «**إنّ خالي يدعوك إليه لحاجة**». فذهب السيّد العسكري إلى الشيخ آل ياسينرحمه الله، فحدّثه الأخير عن قضيّة اعتراف شاه إيران بإسرائيل، وقال: «**إنّ الشاه لا يعتبر فقط ملك إيران، بل هو شاه شيعي، وإنّ العالم يتصوّرون أنّ الشيعة اعترفوا بإسرائيل، ولذلك ينبغي على علماء الدين أن يستنكروا ذلك**»، فقال السيّد العسكري: «**صحيح**»، فقال: «**لا يوجد غيرك من يقوم بهذا الأمر، ويجب عليك أن تذهب إلى النجف وتتحرّك على علماء الدين والمراجع**»، فقال: «**حسن، ولكن يجب أن يرافقني الشيخ مهدي نمري** [وهو رجل دين إيراني] **شرط أن لا يتحدّث أينما أذهب**». فبعث إليه الشيخ مرتضى آل ياسنرحمه الله وقال له: «**تذهب مع السيّد ولا تتكلّم أينما يريد**». وطلب السيّد العسكري أن يرافقه الشيخ [محمّد] حسن الجواهريرحمه الله، فكتب إليه الشيخ آل ياسينرحمه الله بذلك.

بعد ذلك توجّه السيّد العسكري إلى النجف الأشرف وكانت فاتحة السيّد علي بحر العلومرحمه الله، ونزل عند السيّد مهدي الحكيمرحمه الله دون أن يطلعه على الموضوع، واتّصل أوّل الأمر بالسيّد محسن الحكيمرحمه الله وأطلعه على خبر اعتراف إيران بإسرائيل وعرض عليه إصدار بيان يستنكر هذه الخطوة الخيانيّة. غير أنّ السيّد محمّد رضا الحكيمرحمه الله حاول التدخّل لثني والده عن ذلك وقال: «**هذه مسألة سياسيّة، والمراجع لا يتدخّلون في السياسة**»، فنهره والدهرحمه الله وقال: «**نحن تدخّلنا في السياسة قبل هذا حينما أرسلنا مع الشيخ محمّد رضا آل ياسين**[1] **برقيّة إلى الأمم المتّحدة نستنكر فيها اعترافها بإسرائيل**». ثمّ وافق على إرسال برقيّة استنكار لما قام به شاه إيران.

وقام السيّد العسكري بإرسال البرقيّة إلى السيّد محمّد البهبهاني ممثّل السيّد الحكيمرحمه الله في طهران، ولم يرسلها إلى الشاه حذراً من حمل ذلك على الاعتراف بمشروعيّة حكمه[2].

وبعد ذلك ذهب السيّد العسكري إلى السيّد الخوئيرحمه الله وعرض عليه الموضوع فوافق، ولكنّه ذكر بأنّه قد أعطى عهداً بأن لا يقوم بعملٍ من هذا القبيل إلاّ مع السيّد عبد الهادي الشيرازيرحمه الله، [وكان السيّد الخوئيرحمه الله لا يملك طريقةً يرسل بها المساعدات إلى المسلمين الشيعة في أندونيسيا إلاّ من خلال الحكومة الإيرانيّة، ولذلك كانت الواسطة بين المرجعيّة في النجف وبين الحكومة الإيرانيّة هو السيّد محمّد البهبهاني المحترم من قبل الشاه][3].

وعندما قصد السيّد العسكري السيّد عبد الهادي الشيرازيرحمه الله شكّك الأخير في صحّة الخبر،

---

(١) كذا في: العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٥٤ ؛ وفي: دراسات وبحوث مؤتمر تكريم العلاّمة السيّد مرتضى العسكري: ٣٦٢: الشيخ مرتضى آل ياسين.

(٢) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٥٢ ـ ٢٥٦ ؛ دراسات وبحوث مؤتمر تكريم العلاّمة السيّد مرتضى العسكري: ٣٦٢ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٣) ما بين [] من: مواقف السيّد الخوئي من القضايا العامّة، السيّد محمّد حسين فضل الله، الحياة، ٢٠٠٢/٤/٢٢م (موقع بيّنات).

ولكنّه اقتنع بعد مساعدة الشيخ حسين الهمداني رحمه الله، فقبل أن يصدر استنكاراً، ولكنّه أرجأ الأمر إلى الصباح. وبعد أن انتشر الأمر، قام ضدّه الشيخ نصر الله الخلخالي رحمه الله، فأثّر على الشيخ محمّد رضا المظفّر رحمه الله وبعض شيوخ منتدى النشر وبعض السادة من آل بحر العلوم، وبتأثير هؤلاء لم يوقّع السيّد عبد الهادي الشيرازي رحمه الله على مذكّرة الاستنكار، فاكتفى السيّد العسكري ببرقيّة السيد محسن الحكيم رحمه الله والشيخ عبد الكريم الجزائري رحمه الله الذي كان قد وافق على الكتابة أيضاً[(١)].

وكان السيّد العسكري قد اتّهم بأنّه من جماعة جمال عبد الناصر، وقد قال له أحد الأشخاص أثناء جولته على المراجع: «**لا أدري ماذا فعل لكم عبد الناصر لكي تعادوا الشاه هذه المعاداة؟!**»، فأومأ السيّد العسكري إلى نعليه وقال له: «**إنّ مثل الشاه وعبد الناصر عندي كمثل هذا الزوج من النعلين**»[(٢)].

وفي عددها الخامس الصادر نهار الثلاثاء ١٥/صفر/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٨/٩م)، نشرت مجلّة (الأضواء) رسالتين: إحداهما للسيّد الحكيم رحمه الله بعثها إلى السيّد محمّد البهبهاني ممثّله في طهران جاء فيها:

«طهران:

وله الحمد

آية الله البهبهاني دامت بركاته:

إنّ نبأ اعتراف إيران بإسرائيل أحدث ضجّة عظيمة في المسلمين واستنكاراً شديداً في أوساطهم، فالمأمول نصح المسؤولين بالمحافظة على واجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين، والله سبحانه الموفّق والمعين.

محسن الطباطبائي الحكيم»[(٣)]

والرسالة الثانية بعثتها (جماعة العلماء) إلى السيّد البروجردي رحمه الله، جاء فيها:

«سماحة آية الله العظمى السيّد البروجردي

إنّ جماعة العلماء في النجف الأشرف تستنكر اعتراف إيران بإسرائيل أشدّ الاستنكار، لأنّ في ذلك إنكاراً لحقّ الإسلام والمسلمين في أرض فلسطين المغتصبة، راجين من سماحتكم تدارك الأمر بحكمتكم الرشيدة وتوصياتكم السديدة، لا زلت للمسلمين ملاذاً ومعاذاً.

جماعة العلماء»[(٤)]

وقد ذيّلت مجلّة (الأضواء) هاتين البرقيّتين ببيانٍ كنّا نعتقد أنّه للسيّد الصدر رحمه الله، قبل أن نطمئنّ إلى أنّه للسيّد مهدي الحكيم رحمه الله[(٥)]:

---

(١) دراسات وبحوث مؤتمر تكريم العلاّمة السيّد مرتضى العسكري: ٣٦٣.

(٢) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٥٧.

(٣) انظر: مجلّة (الأضواء)، العدد الخامس: ١٣٨ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٢٧ ؛ اسناد انقلاب (فارسي) ١: ١٧ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٨٨.

(٤) انظر: مجلّة (الأضواء)، العدد الخامس: ١٣٨ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٦٢٧.

(٥) كنتُ قد احتملتُ ذلك بشدّة باعتبار أنّ مؤرّخي هذه المرحلة تعرّضوا إلى ردّة فعل الجهاز الإيراني بوصفها أحد الأسباب الضاغطة على السيّد الصدر رحمه الله من أجل الخروج من (الأضواء)، إضافةً إلى موقف السيّد محمّد الروحاني رحمه الله الآتي. وبعد ذلك سألتُ السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٨م عن كاتب البيان فأحالني على الشيخ عبد

«إنّ اعتراف حكومة إيران التي تحكم شعباً يدين بالإسلام بما يسمّى دولة إسرائيل التي تقوم على أساس ديني هو اليهوديّة، والتي تحكم جماعات يهوديّة لا يربط بينها شيءٌ غير رباط الدين يضعنا أمام حقيقة رهيبة هي أنّ الحكومة الإيرانيّة ـ بعملها هذا ـ قد حاربت الإسلام ذاته.

ومن هنا أبدى آية الله العظمى الإمام الحكيم استنكاره الشديد لما حدث، وأعرب عن أمله في أن يحافظ المسؤولون الإيرانيّون على واجبهم الإسلامي.

وإنّ علينا ـ إذا أردنا أن نكوّن فكرة صحيحة عن مغزى الاعتراف الإيراني بإسرائيل ـ أن نأخذ بنظر الاعتبار جملة من الحقائق التي لا ريب فيها:

١ ـ أنّ الإسلام قد حرّم على المسلمين أن يحارب بعضهم بعضاً وأن يعتدي بعضهم على بعض بأيّ شكل من أشكال الحرب والعدوان، كما حرّم عليهم أن يوادّوا أعداء الإسلام وأن يساعدوهم بأيّ شكل من أشكال الموادّة والمساعدة.

٢ ـ وأنّ فلسطين بلدٌ إسلاميٌّ يسكنه قسمٌ من المسلمين، فكلّ عمل من شأنه أن يغيّر هذه الصفة بصورة مباشرة أو غير مباشرة يجب أن يكافح من قبل المسلمين جميعاً لأنّه عملٌ يعرّض الوجود الإسلامي في هذه البقعة من العالم للمحو والفناء.

٣ ـ وأنّ الاستعمار العالمي والصليبيّة الحاقدة في سبيل تنفيذ مؤامراتها الكبرى على الإسلام والمسلمين لم يزالا ولا يزالان يحاولان تمزيق البلاد الإسلاميّة، وبذر بذور التفرقة بين المسلمين بشتّى الوسائل ليحولا بين المسلمين وبين أن يلتقوا تحت ظلّ الإسلام قوّةً واحدة موحّدة في غاياتها وأهدافها.

ولقد كان تكوين إسرائيل حلقة من هذه السلسلة، فإسرائيل ربيبة الصليبيّة الحاقدة وربيبة الاستعمار العالمي ـ الرأسمالي والشيوعي ـ وقد تلقّت إسرائيل التأييد والمعونة المعنويّة والماديّة من مختلف الهيئات الدينيّة المسيحيّة التي تعمل جاهدةً لمحو الإسلام وتحطيم المسلمين، كما تلقّت المعونة الماديّة والمعنويّة من كلا المعسكرين اللذين يأمل كلٌّ منهما في أن ينفّذ بواسطتها مؤامراته ضدّ هذه البقعة من العالم الإسلامي.

٤ ـ وقد نشأ عن اغتصاب فلسطين من أهلها المسلمين وتسليمها إلى شذّاذ الآفاق من اليهود تشريد مليون مسلم عربي من سكّان البلاد الأصليّين وأصحابها الشرعيّين، لا يزالون منذ اثني عشر عاماً يعانون أقسى ظروف العيش.

٥ ـ وإذن فكلّ عمل من شأنه أن يكسب وجود إسرائيل صفة شرعيّة على الصعيد القانوني، وكلّ عمل من شأنه أن يمدّ إسرائيل بأسباب الحياة والبقاء في المجال الاقتصادي يعتبر تجاوباً مع الصليبيّة الحاقدة والاستعمار العالمي ـ الشرقي والغربي ـ في هدفها الأكبر، وهو محو الإسلام وتحطيم المسلمين، ومن ثمّ فهو عملٌ موجّهٌ ضدّ الإسلام نفسه.

وهنا يتّضح لنا مغزى الاعتراف الإيراني بإسرائيل، فإنّ حكومة إيران بعملها هذا قد ساهمت على الصعيد القانوني في إكساب الوجود اليهودي في فلسطين صفة مشروعة، واعتبرت فلسطين بلداً يهوديّاً، وقد مهّدت بعملها هذا للمساهمة في مدّ إسرائيل ـ عدوّة الإسلام والمسلمين ـ بأسباب البقاء عن طريق التبادل التجاري، وقد جرّدت مليون مسلم من حقوقهم المشروعة في فلسطين، ونفت أن تكون فلسطين بلداً إسلاميّاً. وبذلك تكون حكومة إيران قد وضعت في صفّ أعداء الإسلام وساهمت في مؤامرة

الهادي الفضلي. وقد سألتُ الشيخ الفضلي عن ذلك بتوسّط نجله الأستاذ فؤاد، فكان الجواب بأنّه يحتمل أنّه للسيّد مهدي الحكيمؒ، مستشهداً كذلك بالأسلوب. وأمّا الربط بين البيان وبين موقف السيّد محمّد الروحانيؒ فقد أرجعه الشيخ الفضلي إلى أنّ السيّد الصدرؒ كان المشرف على المجلّة، ولم يكن ينشر مقالٌ فيها دون موافقته عليه.

الاستعمار العالمي والصليبيّة الحاقدة على الإسلام والمسلمين، وحاربت فريقاً مضطهداً فرداً من المسلمين.

ولن ينفع الحكّام الإيرانيّين ومن ينطق بلسانهم أن يقولوا: إنّ تركيا ـ وهي بلد إسلامي ـ قد اعترفت بإسرائيل، فإنّ الحكّام الأتراك منذ أتاتورك حتّى الآن يحاربون الإسلام جهرةً في جميع الحقول والميادين. أمّا المسؤولون في إيران، فإنّ ما هو معروفٌ من تمسّك كثيرٍ منهم بالدين وما يظهرونه من غيرة على الإسلام والمسلمين في كثيرٍ من المناسبات يحملنا على أن نأملَ منهم ألاّ يجعلوا من موقف الحكّام الأتراك في هذه القضيّة مبرّراً لموقفهم منها. وإلى أن يعلنوا عداءهم للإسلام جهرةً يكون لهم اعتبارٌ آخر ويكون لنا معهم كلامٌ آخر.

ولن ينفع الحكّام الإيرانيّين أن يدّعوا أنّهم تصرّفوا وفقاً لمصالح إيران حين اعترفوا بإسرائيل، فإنّهم مخطئون لأنّ مصلحة الأمّة الإيرانيّة المسلمة ليست في محاربة الإسلام والمسلمين، وليست في معاضدة أعداء الإسلام والمسلمين ضدّ فريق مضطهد مشرّد من المسلمين.

حقّاً، لقد عولجت مسألة فلسطين في جميع أدوارها على صعيد قومي، واعتبرها الرأي العام العالمي قضيّة العرب وحدهم. ولكنّ هذا لا يغيّر من واقع القضيّة الفلسطينيّة شيئاً، فإنّ جميع عناصرها تجعلها قضيّة المسلمين بأسرهم لا العرب وحدهم، ولئن كان العرب قد أخطأوا فاعتبروها قضيّتهم الخاصّة، فإنّ الأمم الإسلاميّة الأخرى تقع في نفس الخطأ حين تجاري هذا الوهم، وتبرّئ نفسها من المسؤوليّة تجاه هذه القضيّة.

لقد أعرب آية الله العظمى الإمام الحكيم عن أمله في أن يحافظ المسؤولون الإيرانيّون على واجبهم الإسلامي، وأنّ الواجب الذي يلقيه الإسلام على عاتق الحكّام الإيرانيّين وسائر المسلمين تجاه المسألة الفلسطينيّة هو أن يقطعوا كلّ شكل من أشكال الاتّصال لهم مع إسرائيل، وأن يساندوا في المحافل الدوليّة حقّ شعب فلسطين المسلم في العود إلى بلاده وأن يمدّوا يد العون الأدبي والمادي لإخوانهم المسلمين.

وبهذا وحده يكونون قد حقّقوا مصلحة الإسلام ومصلحة إيران وقاموا بواجبهم الإسلامي وأثبتوا أنّهم ـ في هذه المسألة ـ ليسوا حرباً على الإسلام والمسلمين.

وإنّ الأمّة الإسلاميّة في جميع أوطانها ـ ومنها إيران ذاتها ـ تنتظر من المسؤولين الإيرانيّين أن يقولوا كلمتهم النهائيّة في هذه المسألة لتقول كلمتها النهائيّة فيهم.

وبعد..

فإنّ اعتراف حكّام إيران المسلمة بإسرائيل يحتّم على الذين يعتبرون مسألة فلسطين قضيّتهم الخاصّة أن يظهروا الوجه الحقيقي لهذه القضيّة.

إنّ مسألة فلسطين ليست مسألة العرب وحدهم، وإنّما هي مسألة المسلمين بأسرهم، ولذلك فيجب أن تعالج على الصعيد الإسلامي ويجب أن يتعاون جميع المسلمين على إرجاع الحقّ إلى نصابه في فلسطين.

(الأضواء)»[1].

رسالتان بين شلتوت والحكيمﶰ حول اعتراف إيران بإسرائيل

نشرت مجلّة (الأضواء) في عددها السادس الصادر في ١/ربيع الأوّل/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٨/٢٤م) نصّ البرقيّتين المتبادلتين بين الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وبين السيّد محسن الحكيمﶰ، وهذا نصّهما:

---

(١) مجلّة الأضواء، العدد الخامس: ١٣٩ ـ ١٤٠.

١ ـ «أخي في الله صاحب السماحة الأستاذ العلاّمة السيّد محسن الحكيم، النجف ـ العراق.

سلام الله عليكم ورحمته وعلى جميع إخواننا وإخوانكم علماء العراق الشقيق وكلّ من ينهض مدافعاً عن الحقّ ومحافظاً على الوحدة والإلفة بين المسلمين.

أمّا بعد، فإنّ سماحتكم وجميع إخوانكم الأجلاّء تعلمون نبأ الحادث المحزن الذي حدث في هذه الأيّام، وذلك هو اعتراف جلالة شاه إيران بعصابة إسرائيل التي اعتدت على فلسطين وشتّتت أهلها واغتصبت حقوقهم. هذا الاعتراف أقلقنا جميعاً كما أقلق كلّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، إذ كيف يقدم ملكٌ مسلمٌ لشعب مسلمٍ على تأييد أعداء المسلمين وموالاتهم.

ولقد أبرقنا لجلالة الشاه مرّتين، وأبرقنا لسماحة السيّد البروجردي بـ(قم) منبّهين إلى خطورة هذا الأمر وما قد يؤدّي إليه من فتنة جامحة، ولا سيما وقد صدر من شخص الشاه الذي هو شيعيٌّ من إخواننا الإماميّة، ممّا قد ييسّر للّذين يحبّون أن يصيدوا في المياه العكرة وهمسة التشويش ومحاولة فصم الروابط التي عملنا على تقويتها، هذا فضلاً عن منافاة ذلك للدين منافاةَ صراحة لا تحتمل التأويل.

ولا شكّ أنّكم أسفتم لذلك كما أسفنا وأنّكم أنتم وسائر إخواننا وإخوانكم علماء العراق الكرام ستبذلون كلّ ما في وسعكم من السعي لاستنكار هذا القرار بقوّة، والعمل على أن يرجع الشاه عنه كما رجعت حكومة الدكتور مصدّق في إيران عن مثله عام ١٩٥١م.

إنّ صدور هذا المسعى منكم له تأثيره البعيد في علماء إيران وشعب إيران نفسه، كما سيكون له تأثيرٌ حميد عندنا، إذ نبيّن للناس جميعاً أنّنا وإيّاكم زملاء في الجهاد والعمل على رفع راية الإسلام وتثبيت الوحدة بين أهله. وإنّا لما تبعثون به إلينا من بيان سعيكم الموفّق وعملكم الصالح لمنتظرون، والله المسؤول أن يكلأكم برعايته وأن ينفع المسلمين ببركاتكم وصالح سعيكم والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم: محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر»[1].

٢ ـ «بسم الله وله الحمد.

فضيلة العلاّمة الجليل الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر ـ القاهرة.

تلقّينا برقيّتكم الكريمة تستنكرون فيها اعتراف إيران بإسرائيل، فشكرنا لكم اهتمامكم بأمور المسلمين وحرصكم على تقوية الرابطة الإسلاميّة بينهم. وإنّنا منذ بلغنا نبأ هذا الاعتراف بادرنا إلى إبلاغ استنكارنا الشديد إلى المسؤولين في إيران بواسطة بعض إخواننا العلماء في طهران، وأوضحنا لهم خطورة الموقف واستياء الأمّة الإسلاميّة، ونصحناهم بالاحتفاظ بواجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين. وتلقّينا الجواب موضحاً عدم صدور أيّ اعتراف من إيران بإسرائيل، وأنّه ليس في نيّة الحكومة ذلك لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل، ومظهراً للعطف على قضايا المسلمين في كلّ مكان.

وإنّنا إذ نستنكر كلّ خطوة تتّخذ لتعزيز كيان إسرائيل من أيّ جهة كانت، نلفت أنظار المسلمين كافّةً إلى الظرف العصيب الذي يحيط بهم، وندعوهم جميعاً إلى رصّ صفوفهم وتوحيد كلمتهم ليقفوا جبهةً موحّدة أمام التيّارت العاتية من قوى الظلم والكفر والطغيان، والتي جعلت همّها الأوّل محاربة الإسلام وإبعاده عن واقع المسلمين. وما إقامة إسرائيل في فلسطين إلاّ مثل من الأمثلة الكثيرة على محاولة ضرب الإسلام والوقوف في طريقه. ومن هنا كان لزاماً على المسلمين عامّةً والحكومات القائمة في بلاد المسلمين خاصّةً أن يرجعوا إلى [حظيرة] الإسلام ويلتفّوا حول لوائه الظافر الذي هو عنوان نصرهم وعزّتهم ويستمدّوا تشريعاتهم من ينبوعه الثر ومنهله الصافي ليستعيدوا مجدهم وكرامتهم، ويحلّلوا ما حلّل الإسلام

(١) مجلّة (الأضواء)، العدد السادس: ١٦٧ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٨٧.

ويحرّموا ما حرّمه. وما هذه المآسي التي ضجّت بها حياة المسلمين إلاّ أثر من آثار تهاونهم في الإسلام وإبعاده عن إدارة شؤون الأمّة، الأمر الذي ينذرهم بالخطر ويهدّدهم بالخذلان.

وختاماً نبتهل إلى العليّ القدير أن يجمع كلمة المسلمين على التقوى والهدى، ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم، إنّه سميعٌ مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم»[١].

امتعاض السيّد محمّد الروحاني رحمه الله وتعنيفه السيّد الصدر رحمه الله

لقد انقسمت النجف على إثر تعليق (الأضواء) إلى فريقين بين مؤيّد لها وبين معاد[٢].

وكان للسيّد محمد الروحاني رحمه الله دورٌ في هذه الحملة، فقد مارس ضغطاً على السيّد الصدر رحمه الله من أجل ترك الكتابة في (الأضواء)[٣]، حيث التقى به وعنّفه على ما نشره، ووجّه إليه كلاماً قاسياً باعتبار أنّ شاه إيران ـ بعقيدته ـ ممثّل الإمام الصادق عليه السلام[٤] أو الزعيم السياسي للشيعة[٥]، وذلك للعلاقات التي كانت تربط السيّد الروحاني رحمه الله بنظام الشاه في إيران، والذي كان إذا سافر إلى الكاظميّة نزل في منزل مساعد السفير الإيراني هناك[٦]، وكانت لأخيه السيّد مهدي الروحاني علاقة مميّزة بالنظام الإيراني أيضاً[٧]، على النقيض تماماً من أخيهما السيّد محمّد صادق الذي كان يعتبر من علماء الثورة الإسلاميّة المجاهدين[٨].

وقد قام الإيرانيّون فيما بعد بنشر وصولات قيل: إنّها ترجع إلى المبالغ التي كان السيّد محمّد الروحاني رحمه الله يستلمها من السفارة الإيرانيّة[٩]، وإن قيل إنّ الوارد فيها شخصٌ آخر[١٠].

---

(١) مجلّة (الأضواء)، العدد السادس: ١٦٨ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٨٨.

(٢) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديث مع السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٣) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضلّ الله (قدس سره) ؛ وقد أعاد السيّد فضل الله عليّ ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م و٢٠٠٥/٧/١٨م ؛ وانظر إجمالاً: ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديث مع صحيفة صوت العراق: ١٦ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديث مع السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٤) حدّثني بذلك السيّد حسين خليفة بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٩م، نقلاً عن خاله الشيخ عبد الهادي الفضلي ؛ وقد رفعنا ذلك إلى الشيخ الفضلي عبر نجله الأستاذ فؤاد فأكّد صحّة المعلومة.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٣، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٨م ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٣، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٣، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي.

(٨) يُمكن الرجوع بهذا الصدد إلى كتاب (اسناد انقلاب اسلامى) الذي اشتمل على برقيّات السيّد محمّد صادق الروحاني رحمه الله حول الثورة ونصرتها.

(٩) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٩٤، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(١٠) ذكر لي أحد طلاّب السيّد الصدر رحمه الله أنّ خبراً كان مسموعاً في النجف الأشرف في ذلك الوقت مفاده أنّ الوصولات المذكورة تشتمل على اسم آقاى روحاني دون النصّ على أنّه السيّد محمّد الروحاني رحمه الله، وأنّها في الحقيقة ترجع إلى السيّد روحاني أحد المحسوبين على السيّد الخميني رحمه الله والعاملين في جهازه لا إلى السيّد محمّد الروحاني رحمه الله الوارد في المتن، وأنّ أصحاب السيّد الخميني رحمه الله استفادوا من هذه الوصولات التي وقعت في أيديهم من أجل تسقيط السيّد محمّد الروحاني رحمه الله الذي كانت علاقته بالسيّد الخميني رحمه الله سيّئة جدّاً، والله العالم بواقع الحال.

وعلى أيّة حال فقد تبيّن بعد هذه الحادثة أنّ للشاه وجوداً واضحاً في حوزة النجف الأشرف[١]، إلى درجة أنّ ثائرة العلماء المتعاطفين مع الشاه قد ثارت بدعوى أنّ الاتّجاه الذي يسير فيه السيّد الصدر رحمه الله يسيء إلى موقعه الحوزي، فضلاً عن اعتراضات بعض معاوني السيّد الحكيم رحمه الله نفسه، ممّا يشكّل تيّاراً مناهضاً لما عليه التيّار الواعي في مرجعيّته، مثل السيّدين محمّد باقر ومحمّد مهدي الحكيم رحمهما الله والسيّد مرتضى العسكري[٢].

كما طلب السيّد الروحاني رحمه الله من الشيخ محمّد رضا الجعفري ـ أحد أعضاء هيئة التحرير ـ الاستقالة. وتضخّمت ردود الفعل ضدّ السيّد الصدر رحمه الله من قبل جهاز السيّد الخوئي رحمه الله بتأثيرٍ من السيّد الروحاني رحمه الله[٣].

ولم يحلُ للمخابرات الإيرانيّة ما قامت به (الأضواء) في عددها الخامس هذا، فأشاعت عبر مصادرها الخفيّة داخل الحوزة بأنّ ما ينشر في المجلّة لا يمثّل سوى أفكار السيّد الصدر وصحبه الشباب وأنّها لا تمثّل رأي شيوخ (الجماعة) وكبار العلماء فيها[٤].

السيّد الصدر رحمه الله ومحنة (الأضواء)

في رسائله مع السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله الكائن يومذاك في لبنان، بدأ السيّد الصدر رحمه الله يحدّثه عن هجمة قاسية وشرسة قام بها حزب البعث محرّكاً بعض أهل العلم من أعضاء (جماعة العلماء) وغيرهم. وكانت الواجهة في هذه الهجمة عبارة عن بعض من ينتسب الى أهل العلم، ولكن كانت يدُ حزب البعث وراءها، حيث يصرّح السيّد الصدر رحمه الله في بعض رسائله أنّ المحامي حسين الصافي[٥] كان وراء هذه الحملة، وقد تحدّث إلى بعض الأشخاص بهدف إثارتهم.

وقد كتب السيّد الصدر رحمه الله في صفر/١٣٨٠هـ (تموز ـ آب/١٩٦٠م) يقول:

«... لقد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة وكلامٌ وضجيجٌ وحملاتٌ متعدّدةٌ جُنّدت كلّها ضدّ صاحبك وبغية تحطيمه... ابتدأت تلك الحملات في أوساط الجماعة التوجيهيّة المشرفة على الأضواء أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلكهم، فأخذوا يتكلّمون وينتقدون، ثمّ تضاعفت الحملة وإذا بجماعة تنبري من أمثال (حسين الصافي) ـ ولا أدري ما إذا كانت هناك علاقة سببيّة وارتباط بين الحملتين أو لا ـ تنبري

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٨م ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٣، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٢، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٣) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٣ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٣٤ ـ ٦٣٥.

(٤) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٥٠.

(٥) جاء في ترجمته أنّه كان مسؤول فرع حزب البعث في النجف، وقد تعاون مع القوى الإسلاميّة في صدّ الموجة الشيوعيّة في النجف، وأنّ جماعة العلماء استعملت الشيخ محمّد رضا الشيخ راضي بوصفه أداة وصل بينها وبين القوى القوميّة والبعثية التي كان يمثّلها حسين الصافي، وعليه فقد كان الصافي على علم تامٍّ بنشاطات السيّد الصدر. وعند صعود البعثيّين إلى سدّة الحكم عام ١٩٦٣م عيّنوه محافظاً للديوانيّة القريبة من النجف. وبعدها استقال من منصبه واعتزل السياسة وهاجر إلى المغرب عام ١٩٧٠م ليعمل هناك بوصفه رجل أعمال، وقد استدعاه صدام عام ١٩٨٥م إلى العراق وبعدها أعدمه.

هذه الجماعة... فتذكر عنّي وعن جماعة ممّن تعرفهم شيئاً كثيراً من التهم من الأمور العجيبة...»[(١)].

وكتب رحمه الله في الفترة نفسها يقول:

«كما أنّ هناك زحمةً من الإشكالات والاعتراضات لدى جملة من الناس أو الآخونديّة في النجف على النشرة، وخاصّة (رسالتنا) باعتبار أنّها كيف تنسب إلى جماعة العلماء مع أنّها لم توضع من قبلهم ولم يطّلعوا عليها سلفاً، وأنّ في ذلك هدراً لكرامة العلماء، هذا في الوقت الذي يقول الأخ... إنّ الكلمة في بغداد متّفقة على أنّ رسالتنا كتابة تجديد وابتكار تختصّ بمستواها الخاص عن بقيّة الأضواء»[(٢)].

اعتزال السيّد الصدر رحمه الله كتابة (رسالتنا) في (الأضواء)

قلنا سابقاً: إنّ أشخاصاً عديدين منهم حسين الصافي قاموا بحملات واسعة لثني السيّد الصدر رحمه الله عن ممارساته السياسيّة بدعوى أنّها كانت تضرّ الحوزة العلميّة. وكانت مقالة السيّد الصدر رحمه الله الافتتاحيّة في (الأضواء) من أكثر المسائل المثيرة للجدل، حيث إنّ هذه المقالات التي كانت معنونة بـ(رسالتنا) تحمل مغزىً سياسيّاً، فقد تساءل أعداء السيّد الصدر رحمه الله فيما إذا كانت هذه المقالات تمثّل وجهة نظر (جماعة العلماء) أم لا.

وقد مارس السيّد محمّد الروحاني رحمه الله ضغوطاً صعبة على السيّد الصدر رحمه الله من أجل إبعاده عن السير في هذا الاتّجاه الذي بدأ يفرض نفسه على الساحة الإسلاميّة في صيغة سياسيّة إسلاميّة منظّمة. وكان رأيه في حواره مع السيّد الصدر رحمه الله هو أنّ ذلك قد يترك أثراً سلبيّاً على مستقبله المؤمّل للمرجعيّة الدينيّة[(٣)].

وقد دفعت هذه الضغوطات بالسيّد الصدر رحمه الله إلى ترك كتابة (رسالتنا)[(٤)]، وكان هذا القرار بين ١٥/صفر و١/ربيع الأوّل/١٣٨٠هـ أي بين صدور العددين الخامس والسادس.

وبعد هذا القرار انتقل رحمه الله مؤقّتاً إلى الكاظميّة، فقصده جماعة منهم السيّد محمّد حسين فضل الله يطلبون منه الرجوع إلى الكتابة، إلاّ أنّه كان يعيش ضغوطاً غير عادية، فلم ينزل عند رأيهم[(٥)].

ولكنّه ظلّ مشرفاً على الأضواء من مقرّ إقامته في الكاظميّة، وكان هناك شخصان يقومان بنقل مواد المجلّة إليه من النجف من أجل الاطّلاع عليها، فكان يضع الخطوط العريضة لمقالة الافتتاحيّة

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٢، وما بين: (...) من السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، و(...) من السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٣) رسالتنا: ١٧ ؛ والتصريح بالاسم مستفاد من حديث مع السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٨م.

(٤) قيل إنّ سبب ذلك هو أنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يعد لديه متّسعٌ من الوقت لكتابة افتتاحيّة (الأضواء) بسبب انشغاله بكتابة (فلسفتنا) [من مقابلة مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله (قدس سره)]. ويلاحظ عليه أنّ (فلسفتنا) صدر قبل صدور (الأضواء) كما خلصنا إليه. ويؤكّده أنّ العدد الثاني من (الأضواء) اشتمل على تقريظ لـ(فلسفتنا) للكاتب أكرم زعيتر، وقد نقل المقال عن صحيفة (الحياة) البيروتيّة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الوقت الذي يستغرقه صدور الكتاب ووصوله إلى يد الأستاذ أكرم زعيتر ثمّ كتابته للمقال ثمّ نشره في صحيفة (الحياة) ثمّ نقل (الأضواء) المقال عن (الحياة).. هذا كلّه يؤكّد صدور (فلسفتنا) قبل (الأضواء).

(٥) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (قدس سره) ؛ وقد أعاد السيّد فضل الله عليّ ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م ؛ وانظر: صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديث مع السيّد محمّد حسين فضل الله ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٣، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

في فترة الاعتزال[١].

وقد أعطى السيّد الصدر‏ فكرة افتتاحيّة العدد السادس إلى السيّد محمّد حسين فضل الله وهي (**رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للوحدة**) وكلّفه بكتابة المقالة، إلاّ أنّ الفرصة لم تسنح للسيّد فضل الله للقيام بذلك، فأعطيت إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين‏[٢].

وبعد فترة قصيرة من العزلة في الكاظميّة، عاد السيّد الصدر‏ إلى داره في النجف الأشرف، وظلّ مواظباً على مساندة المجلّة ومتابعة نشاطها حيث كان يراجع ما يكتب في المجلّة من أفكار ويبدي ملاحظاته عليها[٣].

والذي يبدو أنّ الذي تولّى مسؤوليّة كتابة (رسالتنا) هو الشيخ محمّد مهدي شمس الدين‏[٤]، ولكن تحت مراقبة السيّد الصدر‏[٥]. ومن المؤكّد أنّ المقالتين السادسة والسابعة من (رسالتنا) هما من أفكار السيّد الصدر‏ وقد قام بكتابتهما الشيخ محمّد مهدي شمس الدين‏[٦] بعد أن كان السيّد محمّد باقر الحكيم‏ ينقل فكرة السيّد الصدر‏ إلى الشيخ‏[٧]، أمّا ما تلاهما إلى آخر أعداد السنة الأولى فالمؤكّد هو أنّه بقلم الشيخ شمس الدين‏[٨]، ولكن من غير المعلوم هل أنّه من أفكار السيّد الصدر‏ أم لا[٩]، وإن كان يظهر من بعض المصادر أنّ فكرة (رسالتنا) التي كان يكتبها الشيخ شمس الدين‏ هي فكرة السيّد الصدر‏ مطلقاً[١٠].

وعلى أيّة حال، فقد استمرّ في كتابة بعض المقالات القرآنيّة كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وفي ٦/ربيع الأوّل/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٨/٢٩م) كتب إلى السيّد محمّد باقر الحكيم‏:

«لا أستطيعُ أن أذكر تفصيلات الأسماء في مسألة جماعة العلماء وحملتها على الأضواء... ولكن أكتفي بالقول بأنّ بعض الجماعة كان نشيطاً في زيارة أعضاء جماعة العلماء لإثارتهم على الأضواء وعلى (رسالتنا)، حتّى لقد قيل إنّ الشيخ الهمداني الطيّب القول قد شوّهت فكرته عن الموضوع... وهذا الذي حصل بالنسبة للشيخ الهمداني حصل بالنسبة إلى جملة من الطلبة مع الاختلاف في بعض الجهات...»[١١].

وكتب أيضاً:

١ ـ «فإنّني أجيبك على سؤالك فيما يخصّ من[١٢] موقف الخال، فإنّ الشيخ الخال كان في الكاظميّة

---

(١) الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر، مراجعة لما كتب عنه باللغة الإنجليزيّة: ٣٢٥ ؛ مقابلة مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ().

(٢) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله ().

(٣) هو المفهوم من: الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٢.

(٤) مستفاد من مقابلة مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ().

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٥، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي في مجلّة الموسم.

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٥، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٨) مقابلة مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ().

(٩) حدّثني بذلك السيّد محمّد حسين فضل الله بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م.

(١٠) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٥٥ ـ ١٥٦، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(١١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٣، وما بين: (...) من السيّد محمّد باقر الحكيم‏.

(١٢) كذا. و(الخال) هو الشيخ مرتضى آل ياسين‏.

بعيداً عن الأحداث نسبيّاً ولم يطّلع إلاّ على سطحها الظاهري، وهو ماضٍ في تأييده للأضواء ومساندته لها وقد طلب... أن يكتب إلى بعض جماعة العلماء لتطييب خاطرهم وجلبِ رضاهم عن الأضواء... فكتب إلى... وأخبره بأنّ الأضواء لم تكن تصدر إلاّ بعد مراقبته وإشرافه وأنّها تناط الآن... كما أخبره بأنّ كاتب (رسالتنا) سوف ينقطع عن الكتابة..»[1].

٢ ـ «فقد حدّثني شخصٌ في الكاظميّة أنّه اجتمع به في النجف الأشرف فأخذ يذكر عنّي له سنخ التهم كالها حسين الصافي من دون مناسبة مبرّرة. وعلى كلّ حال عسى أن يكون له وجه صحّة في عمله إن شاء اللّه»[2].

٣ ـ «وأمّا واقع الأضواء هنا فهو واقع المجلّة المجاهدة في سبيل اللّه، وقد هدأت ـ والحمد للّه ـ حملة جماعة العلماء عليها بعد أن تمّ إشعارهم بأنّهم المشرفون عليها، غير أنّ حملة هائلة ـ على ما أسمع ـ يشنّها جملة من الطلبة ومن يُسمّى بأهل العلم أو يُحسب عليهم، وهي حملةٌ مخيفةٌ وقد أدّت ـ على ما قيل ـ إلى تشويه سمعة الأضواء في نظر بعض أكابر الحوزة حتّى كان جملةٌ ممّن يسمّيهم المجتمع الآخوندي مقدّسين أو وجهاء لا يتورّعون عن إلصاق التهم بالأضواء وكلّ من يكتب فيها..[3]

[وهكذا، فإنّ جملة من العوامل والأسباب اجتمعت لتوليد مثل هذه النتائج، والسلبيّة تجاه الحملات وأسبابها ودوافعها هي السبيل الوحيد لتسكينها وتهدئتها][4]».

وكان أعضاء اللجنة التوجيهيّة يتسامحون في تقديم ما يكتبونه إلى (الجماعة) للإشراف المباشر عليه خوفاً من ملاحظات تبديها (الجماعة) تمسّ الصيغ الجديدة التي كانوا يقدّمونها للأفكار الإسلاميّة والتي كانت تمدّ التيار الإسلامي الواعي بالوقود والعطاء، ولكنّ التجربة التي مارسوها بعد الضجّة دلّت على أنّ (جماعة العلماء) كانت على درجة من الوعي تجعلها لا تعارض مثل هذه الأفكار بل تمنحها التأييد والقبول، لأن السيّد الصدر رحمه الله كتب في تاريخ ١٨/ربيع الأوّل/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٩/١٠م) يقول:

«وأسرة الأضواء التي لا غبار عليها وجهٌ من الوجوه موردٌ للاطمئنان الكامل، وهم يعرضون مقالاتهم على الثلاثة[5] ولم يصادفوا لحدّ الآن مشكلة مبدئيّة في هذا المقام والحمد للّه ربّ العالمين».

«حدسي أنّ الأضواء سوف تستمر إن شاء اللّه تعالى لأنّها تتمتّع الآن برصيد قويّ من الداخل والخارج، فمن الخارج بلغت عدد الاشتراكات... ومن الداخل تتمتع برضا جماعة العلماء»[6].

وهكذا تمكّن السيّد الصدر رحمه الله بحكمته وصموده وصبره أن يواصل طريقه مع إخوانه وتلامذته في الجهاد، وأن يقفوا جميعاً في وجه هذه الهجمة، وتمكّن من أن يستمرّ في تفاعله مع الأمّة

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٣، وما بين: (...) من السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله. والظاهر أنّ إخبار الشيخ آل ياسين الشخص المذكور بذلك كان بين ١٥/صفر وبين ١/ربيع الأوّل/١٣٨٠هـ، أي بين تاريخ العددين الخامس والسادس.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٣، وما بين: (...) من السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٤.

(٤) ما بين [] من: الشهيد الصدر يرسم الخط الأصيل للإسلام ويتصدّى للمؤامرة ويواجه البعث الكافر، مجلّة الجهاد، العدد (١٤)، ١٩٨١: ١٧. ولم أتأكّد من أنّ هذا المقدار الزائد هل هو للسيّد الصدر رحمه الله أم للسيّد الحكيم، ولكنّه قد وضع بين «»، ويبدو لي أنّه للسيّد الصدر رحمه الله.

(٥) يقصد: الشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ حسين الهمداني والشيخ خضر الدجيلي.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٤٤ ؛ وانظر حول (الأضواء) أحداث سنة ١٣٨١هـ.

والتأثير فيها[١].

بحث للدكتور أحمد عبد الستّار الجواري حول (فلسفتنا)

في العدد الثالث من سنتها الأولى الصادر في ١٩٦٠/١٢/٥م (١٥/جمادى الثانية/١٣٨٠هـ)، نشرت مجلّة (التضامن العراقي) بحثاً بقلم الدكتور أحمد عبد الستّار الجواري[٢]. وقد أعادت نشره مجلّة (رسالة الإسلام) في عددها ٣ ـ ٤ من سنتها الثانية ١٣٨٧هـ. وقد جاء في البحث:

«عهدي بهذا الكتاب القيّم وبكاتبه المفضال يعود إلى أيّام نشر فيها فصولاً منه في جريدة الحريّة. وقد اطّلعتُ على أسلوب في البحث جديد، فيه من الدقّة والشمول والإحاطة والرزانة ما فيه، وفيه من صدق النظرة وعمق الفكرة ما لم يألفه الناس في مثل هذه الموضوعات التي تمسُّ صميم المشاعر وتختلط بالعواطف، فوق أنّها موضوعات فلسفيّة عميقة يشتغل بها نقضاً وإبراماً العقل الهادئ المتّزن الواعي الرزين.

ثمّ أهدى إليّ هذا البحث كتاباً اتّسع به المجال ورحب للبحث في أسس فلسفة الإسلام وفي نظرتها الشاملة إلى الكون.

ويعنى هذا الكتاب بموضوعين رئيسيّين: الأوّل أساس الثاني، وقاعدة له عليها يقام البناء وإليها يسند. تلك هي نظريّة المعرفة كيف تتأسّس ومن أيّ المصادر تستمدّ، أتستمدّ من المادّة ليس غير؟ أم تكون أداتها التجربة المحسوسة فحسب؟ أم أنّ للمعرفة أساساً آخر هو العقل وموازينه ومقاييسه؟ وقد استفاض البحث في الآراء المختلفة والمذاهب المتعدّد وعرضها عرضاً موضوعيّاً أميناً أمانة يطمئنُّ بها القارئ مهما كان مذهبه وأيّاً كانت طريقته. وعرض بخاصّة الهلاف الذي يقوم بين النظرة الماديّة والنظرة العقليّة ووازن بينهما. ونقد المذهب التجريبي الذي لا يؤمن إلاّ بالتجربة المحسوسة، وأثبت بالبراهين أنّ هذا المذهب لا يمكن أن يقوم دون استخدام مقاييس العقل واستدلالاته ووسائله في استخراج النتائج من المقدّمات.

ولقد خرج المؤلّف من ذلك بأنّ النظريّة العقليّة هي طريق المعرفة الذي لا غناء عنه ولا سبيل إلى النكوص عنه.

ولعلّ من أروع ما في هذه المسألة ما التفت إليه المؤلّف الفاضل في نقده للمذهب التجريبي الذي لا يؤمن بغير التجربة المحسوسة، فقد لاحظ بحق أنّ التجربة لا بدّ أن تستخلص منها النتائج بطريقة عقليّة، ولا بدّ قبل أن تجري التجربة من أساس عقلي يفترض افتراضاً ثمّ تقام له أو عليه حجّة التجربة.

وحقّاً، إنّه لا سبيل إلى التجربة مجرّدةً من أساس عقلي يقوم قبل إجرائها فتثبته أو تنفيه، ولا بدّ أن تستخلص النتيجة من التجربة بالطريقة العقليّة التي تستوي في قبولها والموافقة عليها أفهام الأسوياء من بني الإنسان. ولا يعقل أحدٌ أنّ التجربة الإنسانيّة ـ وهي مصدرٌ من مصادر المعرفة ـ يمكن أن تقوم مجرّدة من سند عقليٍّ به يقاس الصحيح ويعرف الصواب وتستخرج النتائج، وإلاّ كان ذلك تجربة مثل تجربة الحيوان لا تنتج معرفة ولا تنشئ فكراً، وإنّما تنشأ عنها خبرة محدودة بحدود ما يُعرف عند النفسانيّين بالاقتران أو أسلوب المحاولة والخطأ.

وعن النظرة العقليّة في المعرفة تتفرّع حقيقة مهمّة هي أنّ الحسَّ ليس إلاّ تصوّراً، وإذن فليس هو سبيل الإدراك الذي لا بدّ فيه من إعمال العقل الذي يقيس ويستنتج ثمّ يحكم. وهذا يؤدّي إلى نظريّة العليّة التي

---

(١) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ١٥٩.

(٢) دفاتر السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله (مخطوط).

يستلزم تدرّج العلل المتصاعدة فيها أن تكون علّة أولى، وهذه العلّة الأولى هي واجب الوجود.

ثمّ يفيض المؤلّف الفاضل في الموازنة بين النظريّتين الماديّة والعقليّة في شتّى المسائل التي هي مدار البحث في الفلسفة على وجه العموم.

وهو يستقصي موضوعات الفلسفة الماديّة سواء منها التجريبيّة أو الديالكتيكيّة ويستوفي أقوال الفلاسفة من مظانّها، استقصاءً واستيعاباً ينبئ بالجهد الدائب الذي بذله والعمل الضخم الذي تصدّى له.

وأسلوب الكتاب هو أسلوب الفلسفة الذي لا يندى ولا [يعرق] إلاّ قليلاً، وليس للمؤلّف الفاضل مندوحة من سلوك هذا السبيل، وإن وجد القارئ فيه شيئاً من مشقّة، ولكنّها مشقّة الجهد المثمر على كلّ حال، أشبه بالبارد العذب بعد الجهد والظمأ. وهو خليقٌ أن يروّض القرّاء ـ ومعذرة من هذه العبارة ـ أن يقرأوا القراءة العميقة التي يلزمها التأمّل والتفكّر والتدبّر وحضور الذهن.

ولعلّ من الإنصاف أن أقرّر هنا أنّ متابعة المؤلّف العلاّمة في استعراض مادّة الكتاب أمرٌ بعيدٌ عن اليسر، بل هو محتاجٌ إلى يقظة وتنبّه لا يفلت منهما جزء ولا تفوتهما شاردة.

وأشهد أنّ ما في هذا الكتاب من إصابة في نقد الفلسفات المختلفة وإحاطة بها وتوجيه لجوهر الفكرة وتعمّق لجوهر فلسفة الإسلام، أمور وفّق فيها كلّ التوفيق، وهو ثقافة فلسفيّة دقيقة وعميقة يستمدُّ منها المتخصّص إحاطةً شاملةً تجمع الأشباه والنظائر وتعكس صور التناقض والتهافت والاختلاف في شتّى الآراء والأفكار، وينتفع بها غير المتخصّص في تثقيف عقله بألوان من الفلسفة جمعت في تناسق ونظام وعرضت عرضاً موضوعيّاً أميناً. وأشهد أنّ فلسفة الإسلام وعقيدته لم تشهد في عصرها الحاضر من أحسن جلائها، وجلا نورها على هذا الوجه الأمين الرزين الدقيق، الذي لم تفعل فيه العاطفة ولم يؤثّر فيه الشعور والانفعال الذاتي. ولعلّ المؤلّف الفاضل ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة[١] في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، أوّلهما حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي وثانيهما ابن رشد والثالث هو الدكتور الفيلسوف المسلم المعاصر الدكتور محمّد إقبال، على اختلاف في الطرائق وتفاوت في المسالك، ولكلٍّ وجهة.

وإنّي لأرجو أن ينال هذا الكتاب القيّم العناية التي تليق به وبموضوعه في البيئات العلميّة ولا سيما المؤسّسات الجامعيّة في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي، وآمل أن يقبل عليه من ينشد الحقيقة الواضحة الجليّة، إنّه سيجد فيه أمانة العلم وإصابة الفكر وعدل الحكم، وكفى بذلك فضلاً كبيراً»[٢].

مقالات (مع الماركسيّة) والمباشرة بطباعة (اقتصادنا)

يوم الاثنين ١/جمادى الثانية/١٣٨٠هـ (١٩٦٠/١١/٢١م) نشر مقالٌ للسيّد الصدر‏ في العدد (١١ ـ ١٢) من مجلّة (الأضواء) تحت عنوان (الماديّة التاريخيّة)، وقد جاء في الهامش أنّه «**فصلٌ من كتاب في الاقتصاد سيطبع قريباً إن شاء الله تعالى**»[٣]. وفي العدد (١٣ ـ ١٤) الصادر في ١/رجب/١٣٨٠هـ نشر له مقالٌ آخر تحت عنوان (نظام الإنتاج)، وقد جاء في الهامش أنّه «**فصلٌ آخر من كتاب اقتصادنا الماثل للطبع**»[٤]. وفي العدد (١٥ ـ ١٦) الصادر في ١/شعبان/١٣٨٠هـ نشر له مقالٌ ثالث تحت عنوان (قوانين المجتمع الرأسمالي)، وقد جاء في الهامش أنّه «**جزءٌ من بحث مع الماركسيّة من كتاب اقتصادنا**

---

(١) هكذا في المصدر، وفيها خلل غير خاف لأنّ السيّد الصدر‏ سيكون بلحاظ ما ذكره رابع أربعة.

(٢) مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية، العدد ٣ ـ ٤: ٩٠ ـ ٩٣.

(٣) مجلّة (الأضواء)، السنة الأولى، العدد (١١ ـ ١٢).

(٤) مجلّة (الأضواء)، السنة الأولى، العدد (١٣ ـ ١٤).

الماثل للطبع»[(١)]. وفي العدد (١٧ ـ ١٨) الصادر يوم الجمعة ١/رمضان/١٣٨٠هـ (١٧/٢/١٩٦١م) نشر له مقالٌ تحت عنوان (الطبقيّة والماركسيّة)، وقد جاء في الهامش أنّه «**فصلٌ من كتاب اقتصادنا الذي بوشر بطبعه»**[(٢)]. وفي العدد (١٩) الصادر في ١/شوّال/١٣٨٠هـ نشر له مقالٌ تحت عنوان (الماديّة التاريخيّة في تفاصيلها)، وقد جاء في الهامش أنّه «**فصلٌ من كتاب اقتصادنا الذي بوشر بطبعه»**[(٣)].

ويُذكر أنّ الحاج حسين الشاكري كان قد ساهم بقيمة الورق اللازم لطباعة (اقتصادنا) في طبعته الأولى، وذلك بواسطة السيّد محمّد الحيدري (الخلاّني) متولّي جامع ومرقد محمّد بن عثمان النائب الثاني للإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف[(٤)].

المراسلة الثانية مع السيّد هادي خسروشاهي

في هذه الفترة كان حزب الدعوة الإسلاميّة قد تشكّل. وعلى إثر ذلك كتبت السيّد هادي خسروشاهي إلى السيّد الصدر رحمه الله رسالةً جاء فيها أنّ تشكيلِ هذا الحزب ضرورة تاريخيّة لضرورة إعداد العدّة مقابل العدو. وذكر له أنّهم سمعوا بأنّ له كتاباً آخر غير (فلسفتنا) سوف يظهر باسم (اقتصادنا)، وطلب منه إرسال نسخة فور صدوره، وأنّهم سوف يقومون بترجمة الكتابين معاً إلى الفارسيّة متى استطاعوا[(٥)].

وقد أجابه السيّد الصدر رحمه الله بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة المجاهد الحجّة السيّد هادي الخسروشاهي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحيّة حبٍّ وإخلاص وتقدير

وبعد، فقد تشرّفتُ بالأمس برسالتكم الكريمة التي تنطق عن عواطفكم وألطافكم العالية وتغمرني بتلك العواطف والألطاف، فقرأتها وتبيّنتُ بين سطورها الحبيبة شخصكم العظيم الذي أحببته قبل أن أراه وأخلصتُ له قبل أن أجتمع به، لأنّي اجتمعتُ معكم في الروح والأفكار، وهو أفضل ألف مرّة من الاجتماع المادي المحسوس، فلم تزدني الرسالة إلاّ حبّاً وإخلاصاً. وإنّي وطيد الأمل بأنّ الجامعة الإسلاميّة في قم بفضل وجودكم وجهودكم وأمثالكم من الصفوة المجاهدين والعلماء المحقّقين ستكون مصدر إشعاعٍ فكريٍّ على العالم الإسلامي كلّه وصاحبة رسالة كبرى في التاريخ.

تفضّلتم في رسالتكم الكريمة أنّه قد بلغكم شروعي في طبع كتاب (اقتصادنا)، والأمر كما بلغكم، وسوف أتشرّف بر برفع الكتاب إلى مقامكم الكريم في أوّل يومٍ يخرج فيه من المطبعة [ليحظى] منكم بما [حظي] قبله كتاب فلسفتنا من ألطاف.

وأمّا فكرة ترجمة الكتاب إلى اللغة الإيرانيّة فهي فكرة رائعة جدّاً وإنّي سوف أكون سعيداً دون شكٍّ بتحقّق هذه الفكرة التي تضاعف من فائدة الكتاب ونفعه الإسلامي الديني.

---

(١) مجلّة (الأضواء)، السنة الأولى، العدد (١٥ ـ ١٦).

(٢) مجلّة (الأضواء)، السنة الأولى، العدد (١٧ ـ ١٨).

(٣) مجلّة (الأضواء)، السنة الأولى، العدد (١٩).

(٤) ذكرياتي، الحاج حسين الشاكري ٦: ١٥.

(٥) صحيفة (اطلاعات)، شماره (١٩٣٠٣)، ٢٥/فروردين/١٣٧٠هـ ش.

تسلّمتُ قبل عدّة أسابيع هديّتكم الغالية ـ عقيدة الشيعة وراه انقلاب فكرى ـ وقد قضيتُ معها ساعات من العمر تمتّعتُ فيها بعذب البيان وسموّ الفكر وجودة التحقيق، فجزاكم الله وجزى السيّد الطباطبائي خير جزاء المحسنين المجاهدين.

وقد كتبتُ بعد تسلّم الهديّة بيومين أو ثلاثة كتاباً إليكم أرفع فيه آيات الشكر والإخلاص والامتنان وضمّنته حديثاً عن ترجمة كتاب جردق، حاولتُ فيه أن تراجعوا قراركم في ترجمته على ضوء محتويات الكتاب التي تمسُّ الدين أو الإسلام. ولا بدّ أن تكون الرسالة قد وصلت إليكم، غير أنّي أضيف الآن أنّكم إذا تصدّيتم للتعليق على مواطن السوء من الكتاب بقلمكم الرائع وفكركم السديد كان ذلك عملاً مهمّاً وخدمةً جلّى للإسلام والمسلمين.

وأبتهل إلى المولى سبحانه ختاماً أن يمتّعكم دائماً بالصحّة والكاملة والتوفيق الكبير في سبيلكم الجهادي المظفّر.

وتفضّلوا بقبول أزكى الاحترامات والتحيّات من

المخلص محمّد باقر الصدر
النجف الأشرف»[١].

رسالة توجيهيّة للسيّد محسن الحكيم رحمه الله

بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام، وجّه السيّد محسن الحكيم رحمه الله رسالةً إلى أهالي النجف الأشرف نشرت في مجلّة (الأضواء) ثمّ تليت في الاحتفال الذي أقاموه في ٣/شعبان/١٣٨٠هـ (١٩٦١/١/٢٠م)[٢]، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

أبنائي الأعزّاء أهالي النجف الكرام

أيّها الوافدون المؤمنون..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنّي أشكر لكم قيامكم بشؤون الاحتفال بهذه الذكرى المباركة، ذكرى ميلاد سيّد شباب أهل الجنّة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام. كما وأشكر إخواننا الذين شاركوا بالحضور في هذا الحفل الديني البهيج، وشكر الله سبحانه أعظم وثوابه أوفر.

وإنّني لا أستكثر عليكم نخوتكم الدينيّة وتعظيمكم شعائر الله لأنّكم والحمد لله قد خصصتم بجوار سيّد الأوصياء عليه السلام فغمركم بروحانيّته، واكتنفتم الحوزة الدينيّة فاستشعرتم شعارها، فعنكم يأخذ النّاس معالم دينهم وبكم يقتدون.

ونحن حين نستعيد هذه الذكرى المقدّسة إنّما نستعرض في أذهاننا عصر النبوّة الزاهر، يوم أطلّ المولود العظيم على دنيا مباركة أقامها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أساس الإسلام، [تستمدُّ] منه مفاهيمها وشرائعها، وترجع إليه في حلِّ مشاكلها وجميع شؤون حياتها، فكانت دنيا تفيض بالعدل والاستقامة وتزخر بالسعادة الماديّة والروحيّة.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٤٥).

(٢) انظر: مجلّة الأضواء، العدد ١٥ ـ ١٦ من السنة الأولى، ١/شعبان/١٣٨٠هـ: ٣٧٤. أمّا تاريخ الحفل فقد ذكرناه من خلال ما يُفترض أن يكون عليه.

فمن الجدير بالأمّة اليوم وهي تعيش واقعاً فاسداً بعيداً كلّ البعد عن تلك الحياة الإسلاميّة المشرقة، أن تجعل من ذكرى الحسين عليه السلام نبراساً لها تهتدي بهداه وتستضيئ بنور سناه. وما أحوج المسلمين عموماً إلى تذكّر الأهداف الدينيّة المقدّسة التي جاهد من أجلها الحسين عليه السلام والتي ناموا عنها طويلاً، وما أحوج حكّام المسلمين اليوم في جميع البلاد الإسلاميّة على اختلاف شعوبها إلى الاعتبار بهذه الذكرى التي طالما أسمعتهم من وعدها ووعيدها شيئاً كثيراً، وحذّرتهم من سخط الله سبحانه وانتقامه، ونصحت لهم أن يقدّروا مسؤوليّاتهم أمام الله تعالى الذي أوجب عليهم الأخذ بالإسلام وتعاليمه وتطبيق شرائعه وأحكامه ولم يرضَ عنه بديلاً ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1] ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

دعوتهم إلى هذا مراراً وتكراراً ونصحتُ لهم سرّاً وجهاراً ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾[3] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾[4].

وختاماً أبتهل إلى المولى عزّ اسمه رافعاً أكفّ الضراعة إليه سبحانه قائلاً: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً﴾[5]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[6].

وفاة السيّد حسين البروجردي رحمه الله

يوم الخميس ١٣/شوّال/١٣٨٠هـ (١٩٦١/٣/٣٠م)، توفّي السيّد حسين الطباطبائي البروجردي رحمه الله[7]. وقد أبرق شاه إيران إلى السيّد الحكيم رحمه الله معزّياً، فأجابه السيّد الحكيم رحمه الله بما ترجمته:

«من النجف الأشرف بتاريخ ١٣٤٠/١/١٥[8]

المقام الرفيع لحضرة الشاهنشاه المعظّم.

برقيّة تعزية الذات الملكيّة بالمصاب الذي حلّ على العالم الإسلامي بوفاة آية الله البروجردي قدس سره كان باعثاً على اطمئنان خواطرنا، والاهتمام والعناية الملكيّة بسماحته في أيّام مرضه تبعث على شكرنا وشكر المجتمع العلمائي عموماً.

[إنّ] اهتمام الشاهنشاه المعظّم بتجليل المقام السامي للعلماء يبعث على افتخار المجتمع الذي يفتخر بالدعاء إلى الله بطلب التوفيق والتأييد للذات الملوكيّة المباركة في تقوية الدين الإسلامي المقدّس ونشر

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) المائدة: ٥٠.

(٣) نوح: ٦ ـ ٧.

(٤) نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) نوح: ٢٨.

(٦) مجلّة الأضواء، العدد (١٥ ـ ١٦)؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٤٧ ـ ٤٩.

(٧) مجلّة (الأضواء)، العدد ٢٢: ٥٨٢؛ گلشن ابرار (فارسي) ٢: ٦٧٢؛ زندگانى زعيم بزرگ عالم تشيع آيت الله بروجردى (فارسي): ٢٦٥ ـ ٢٧١.

(٨) = ١٩٦١/٤/٤م = ١٨/شوّال/١٣٨٠هـ.

مذهب التشيّع الحقّ، سائلين المولى ذلك بدعوات ولي العصر عجّل الله تعالى فرجه وجعل أرواحنا فداه.
محسن الطباطبائي الحكيم»[١].

السيّد الخميني ﵀ يبدأ تحرّكه

وبعد وفاة السيّد البروجردي﵀ بدأ السيّد الخميني﵀ تحرّكه بالتدريج. وكانت الخطوة الأولى في تلك الفترة مواجهة ما سمّي بـ(لجان الولايات والمدن)، ومن بعده الاستفتاء الأمريكي على الثورة البيضاء. وكان السيّد الصدر﵀ يتابع بدقّة وعن كثب أحداث إيران وأخبارها. وعلى هذا قام بتأييد حركة السيّد الخميني﵀ في إيران، وكان من القلّة الذين أيّدوا هذا التحرّك السياسي، وكان يضغط عن طريق السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ على مرجعيّة السيّد محسن الحكيم﵀ للسير في الاتّجاه نفسه. وقد تكون أكثر مواقف السيّد الحكيم﵀ الإيجابيّة فيما يتعلّق بتحرّك السيّد الخميني﵀ من إيحاءات السيّد الصدر﵀ مباشرةً أو بشكل غير مباشر بواسطة إخوة آخرين.

وقد سبقت علاقة السيّد الصدر﵀ بالسيّد الخميني﵀ هذا التاريخ، ففي حياة السيّد البروجردي﵀ وعندما كان السيّد الخميني﵀ في قم، كان السيّد الصدر﵀ يذكر بعض علماء وشخصيّات قم، وكان السيّد الخميني﵀ من الشخصيّات المعجب بها[٢].

السيّد الصدر﵀ يعقد درساً لتدريس (الأسفار)

بعد وفاة السيّد البروجردي﵀ قصد الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري السيّد الصدر﵀ لعقد درس في كتاب (الأسفار) للملاّ صدرا﵀. وكان الدرس خصوصيّاً في بيت السيّد الصدر﵀ ولم يحضره أحد سوى الشيخ الأنصاري. وقد بدأ الدرس من الجزء الأوّل واستمرّ عدّة أشهر فقط، لأنّ الفرصة لم تسنح للسيّد الصدر بعد ذلك. وبحسب تعبير الشيخ الأنصاري، فقد كان السيّد الصدر «**قديراً**»[٣].

وكانت بداية معرفة الشيخ الأنصاري بالسيّد الصدر﵀ سنة ١٩٥٩م عندما سمع أنّ السيّد الصدر﵀ يدرّس بعض المطالب الفلسفيّة في الحرم العلوي، فحضر درسه وأعجب بمستواه العلمي والتزم بدرسه[٤].

وفي إحدى المرّات قال السيّد الصدر﵀ للشيخ الأنصاري: «**لديّ مسألة فلكيّة، افرضوا أنّي تلميذكم فاشرحوها لي**»، فأجابه الشيخ: «**سيّدنا عفواً أنتم أستاذنا**»[٥].

تسمية (حزب الدعوة)

في هذا العام، تمّ تسمية (حزب الدعوة) بهذا الاسم، وقد قيل: إنّ السيّد الصدر﵀ هو الذي أطلق

---

(١) محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٤٧٣، وكنّا نرغب في إيراد النص الفارسي ثمّ ترجمته، إلاّ أنّ بعض أحرف النصّ لم تكن مقروءة فاكتفينا بالترجمة السابقة.

(٢) دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلاميّة في إيران: ٢٦٤.

(٣) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (﵀).

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (﵀).

(٥) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، ١٩٨٦/٤/٧م: ٥ ؛ الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٨.

هذا الاسم عليه. يقول الحاج محمّد صالح الأديب: «**اسم الحزب لم يكتب ولم يُتبنَّ في اجتماعاتنا العديدة، وقد مرّت سنتان على ما أتذكّر ولم يكن لنا اسم حتّى سنة ١٩٦٠م، وفي إحدى الأيّام وعندما كنتُ أتمشّى في معرض بغداد الدولي رأيتُ أحد الإخوان فبادرني بالقول: أبشّرك، لقد بحث موضوع الاسم في القيادة، وكان السؤال المطروح خلال النقاش هو لماذا لا نختار اسماً، فطرح اسم (الدعوة الإسلاميّة) وتمّ تبنّيه وخرجت نشرة دعوتيّة مركزيّة على شكل مجلّة باسم الدعوة الإسلاميّة، والسيّد الصدر هو الذي اختار هذا الاسم**»[(١)].

وقد جاء في تقرير كتبه الأمن العراقي:

«قيادة التنظيم:

١ ـ محمّد باقر حيدر إسماعيل الصدر: من مواليد بغداد ١٩٣٥، وهو من أصل لبناني ودرس العلوم الدينيّة في النجف، وله عدّة مؤلّفات، وهو الذي أطلق تسمية حزب الدعوة على تنظيماتهم مستنداً على الآية التي تقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(٢)]. له صلة قربى بموسى الصدر حيث إنّه زوج شقيقة الأخير، وكذلك بالخميني نتيجة زواج أحمد الخميني من ابنة شقيقة موسى الصدر. انسحب ظاهريّاً عام ١٩٦٤ من حزب الدعوة إلاّ أنّه بقي محتفظاً بزعامة الحزب سرّاً»[(٣)].

إلاّ أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ ـ الذي يعتقد أنّ السيّد الصدر﵀ قد خرج من الحزب عام ١٩٦٠م ـ يعتقد أنّ الاسم لم يكن منه، بل إنّ التسمية حصلت بعد خروجه من الحزب[(٤)].

وهناك مقالٌ اشتهر أنّه للسيّد الصدر﵀ جاء فيه:

«**حول الاسم والشكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلاميّة**

إنّ اسم الدعوة الإسلاميّة هو الاسم الطبيعي لعملنا، والتعبير الشرعي عن واجبنا في دعوة الناس إلى الإسلام، ولا مانع أن نعبّر عن أنفسنا بالحزب والحركة والتنظيم، فنحن حزب الله وأنصار الله وأنصار الإسلام، ونحن حركةٌ في المجتمع وتنظيمٌ في العمل، وفي كلّ الحالات نحن دعاةٌ إلى الإسلام، وعملنا دعوةٌ إلى الإسلام.

والشكل الطبيعي الذي اخترناه في دعوتنا هو تطويرٌ للشكل الشائع في التنظيمات المعاصرة مع ملاحظة ما تقتضيه مصلحة الدعوة إلى الإسلام. وسبب اختيارنا له يعود إلى مشروعيّته أوّلاً، وفائدته ثانياً.

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٣٢ ؛ الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٨٨ ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٧٦.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٧٥، ٧٥٣.

(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٣٢.

وقد ذكرت بعض المصادر على ما يأتي أنّ حسين الصافي عندما شنّ حملته على السيّد الصدر﵀ في محضر السيّد محسن الحكيم﵀، تحدّث له عن وجود حزب باسم (حزب الدعوة الإسلاميّة).. ولو صحّ ذلك، فهذا يعني أنّ الحزب كان معروفاً بهذا الاسم قبل زيارة حسين الصافي للسيّد الحكيم﵀. ولمّا كان السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ يلتزم بأنّ خروج السيّد الصدر﵀ من الحزب كان بسبب أمرين: أحدهما تشكيكه بدلالة آية الشورى، والثاني طلب السيّد محسن الحكيم﵀ منه ذلك بعد زيارة حسين الصافي، فهذا يعني أنّ تسمية الحزب كانت قبل خروج السيّد الصدر﵀ منه حتّى على رأي السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ الذي يرى أنّ خروجه﵀ من الحزب كان عام ١٣٨٠هـ.

نعم هذا كلّه مبنيٌّ على صحّة ما نقل من أنّ حسين الصافي ذكر للسيّد محسن الحكيم﵀ اسم حزب الدعوة.

أمّا مشروعيّته فلأنّ أسلوب الدعوة إلى الإسلام إنّما هو الطريق الذي يمكن بواسطتها إيصال الإسلام إلى أكبر عدد من الناس وتربيتهم بثقافة الإسلام تربية مركّزة تدفعهم للقيام بما فرض الله عليهم. وحيث إنّ الشريعة الإسلاميّة لم تأمر باتّباع أسلوب محدّد في التبليغ والتغيير جاز لنا شرعاً انتهاجُ أيّة طريقة نافعة في نشر مفاهيم الإسلام وتغيير المجتمع بها ما دامت طريقة لا تتضمّن محرّماً من المحرّمات الشرعيّة. وأيّة حرمة شرعيّة في أن تتشكّل الأمّة الداعية إلى الخير الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر في هيئة وجهاز وتكون كياناً موحّداً وفعالية منتجة في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

إنّ الرسول القائد صلى الله عليه وآله لو كان في عصرنا لاستعمل بمقتضى حكمته الأساليب الإعلاميّة والتبليغيّة المعاصرة والملائمة. والحقُّ أنّ أسلوبه صلى الله عليه وآله في الدعوة ما كان عن التنظيم الحلقي ببعيد.

إنّ تجميع الجهود من أجل الإسلام وتنسيقها بحكمة واختيار الطريقة الأفضل لتنظيم ذلك ليس مجرّد أمر جائز في عصرنا وحسب، بل هو واجبٌ ما دام تغيير المجتمع وتعبيده لله ومجابهة الكفر المنظم متوقّفاً عليه.

وأمّا فائدة التنظيم الإسلامي، فقد أثبتت التجربة في مختلف التنظيمات العالميّة أنّ التنظيم هو الأسلوب الناجع في تغيير المجتمع باتّجاه الخير أو الشر. نعم إنّ هناك فرقاً بين العمل التنظيمي للإسلام وبين العمل التنظيمي لأيّ مبدأ آخر، وهذا الفرق ينبع من طبيعة الإسلام وطبيعة المبادئ الأخرى.

إنّ الروحيّة العامّة للتنظيم الإسلامي تختلف اختلافاً جوهريّاً عن الروحيّة العامّة للتنظيمات الأخرى، فالعاملون في التنظيم الإسلامي يعملون لرسالة الله وليس لرسالة الإنسان ويطيعون أحكام الله ولا يطيعون بشراً، ويأخذون جزاءهم من الله وليس من البشر، والتنظيم غير الإسلامي تتسلسل فيه الأفضليّة حسب الرتبة في التنظيم، وتصدر فيه الأوامر حسب الرتبة أيضاً. أمّا الأفضليّة في التنظيم الإسلامي فهي الأفضليّة عند الله، فلا يستطيع ذو رتبة أعلى في التنظيم أن يعتقد في نفسه أنّه أفضل عند الله ممّن هو أقلّ منه رتبةً. وإطاعة الأوامر في التنظيم الإسلامي إمّا أن تكون إطاعةً لأحكام شرعيّة وإمّا أن تكون التزاماً بمصلحة شرعيّة قدّرتها الدعوة.

إنّ الصفة الشرعيّة الإلزاميّة للانضباط في الدعوة تنبع:

أوّلاً: من العهد الشرعي أو القسم الذي يقطعه العضو على نفسه بالانضباط وفق ما تفرضه مصلحة الدعوة إلى الإسلام، ومن المقرّر فقهيّاً أنّه عهدٌ ملزمٌ بإطاعة كلّ أوامر الدعوة إلاّ إذا اعتقد الداعية اعتقاداً جازماً بحرمة تنفيذ الأمر بعد تشخيصه لموضوعه.

ثانياً: من توقّف تحقيق الأهداف الإسلاميّة المقدّسة في الحياة على العمل الجماعي المنظّم والمخطّط بحكمة، وتوقّف فعالية أيّ عمل منظّم توفّر الانضباط التنظيمي بين عناصره، خاصّة مع فهم طبيعة القوى الكافرة في عصرنا الحاضر التي تستخدم سلاح التنظيم في محاربتها لدين الله والداعين له.

ثالثاً: من إعمال الفقيه لولايته الشرعيّة في وجوب إطاعة التنظيم، وقد ورد في الحديث الشريف: ([ثلاثٌ] لا يغلّ عليهن قلبُ امرئ مسلم: [إخلاص العمل] لله، و[النصيحة لأئمّة المسلمين]، واللزوم لجماعتهم)[1]، (قيل و[ما] جماعة المسلمين؟ قال: [جماعة] أهل الحق وإن قلّوا)[2].

إنّ انعدام المأموريّة البشريّة البحتة ضمن أجواء الدعوة في الوقت الذي يرتبط فيه أعضاء التنظيم بالله سبحانه والعمل لرسالته يشعر الدعاة تجاه إخوانهم المسؤولين الذين يُعرّفهونهم ما يأمر به الإسلام وما تقتضي به مصلحة الدعوة ومسيرتها من مواقف في مختلف الشؤون بجوٍّ من الأخوّة والاحترام والإيثار

---

(١) الأصول من الكافي ١: ٤٠٣.

(٢) الأمالي للصدوق: ٣٣٣.

والانضباط التنظيمي تعجز عن توفيره المبادئ الأخرى»[(١)].

الموقف من السيّد الصدر

واجه السيّد الصدر حملة منظّمة لتوزيع الاتّهامات وإشاعة الأباطيل بحجّة حماية جامعة النجف الأشرف، وأنّها مهدّدة بأخطار عديدة لا تحمد عواقبها. وتحرّك أصحاب الحملة على المراجع وأكابر العلماء يومذاك من أمثال السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي لتشويه شخصيّة السيّد الصدر في أذهانهم، فأوعزوا إلى بعض مريديهم بهذه المهمّة.

وعلى هذا الأساس قام شخصٌ من أهل العلم من الكاظميّة بزيارة السيّد محسن الحكيم في بيته وقال له: «**إنّ السيّد محمّد باقر الصدر أسّس حزباً، وهو حزبي**».. وكان هدفه أن يتّخذ السيّدُ الحكيم موقفاً من السيّد الصدر، إلاّ أنّ السيّد الحكيم أجابه بطريقة أورثت في نفسه الخوف، فقصد هذا الرجل منزل السيّد إسماعيل الصدر واعتذر منه على ما بدر منه بحجّة أنّه لم يكن يقصد شيئاً[(٢)]. بينما ذهب آخر إلى السيّد الخوئي ورام الطعن في شخصيّة السيّد الصدر وأنّه أسّس حزباً إسلاميّاً فأجابه السيّد الخوئي: «**لو أسّس السيّد محمّد باقر الصدر حزباً فإني أوّل من يسجّل اسمه فيه**»[(٣)].

كما أنّ مجلساً انعقد في إيران حضره جمعٌ من العلماء منهم السيّد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي، وقد جرى في المجلس حديثٌ عن وضع السيّد الصدر، فما كان من أحد مناوئيه إلاّ أنّ انتقده لأنّه أسّس حزباً، وهذا ما لا يليق بشأنه، فبادره السيّد الأردبيلي قائلاً: «**إنّي كنت أعرف عن الصدر الكثير من محامده، ولكنّني لم أكن أعرف أنّه بلغ من ذكائه والتفاته للأمور وعلاجه للأوضاع إلى مستوى أن يؤسّس حزباً إسلاميّاً يعمل في سبيل الإسلام، فهذه نقطة قوّة وليست نقطة ضعف**»[(٤)].

حضور السيّد كاظم الحائري درس السيّد الصدر الأصولي

يوم الثلاثاء ٩/ذي القعدة/١٣٨٠هـ (١٩٦١/٤/٢٥م) بلغ السيّد الصدر بحث (الترتّب)[(٥)].

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلاميّة ١: ١٣ ـ ١٥ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١١٦): ١١ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٦٥ ـ ٢٦٧. وقد ورد في المصدرين الأخيرين أنّ هذا المقال للسيّد الصدر، بينما جاء في المصدر الأوّل ـ وهو مصدر ما تلاه ـ أنّ هذه النشرة صدرت بتاريخ/١٣٩٤هـ فإن كان تاريخ الصدور متّصلاً بتاريخ الكتابة فأغلب الظن أنّه ليس للسيّد الصدر.

(٢) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري ()، والحادثة منقولة عن السيّد الصدر نفسه.

(٣) هذا ما يرويه الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري عن السيّد الصدر نفسه. [مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري ()] ؛ وكذلك ينقلها في احتفال بذكرى السيّد الصدر في قمّ بتاريخ ١٩٨٧/٤/٨م. الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٩٢، ٢٣٢. وسيأتيك لاحقاً بإذن الله تعالى ضمن أحداث سنة ١٣٩٢هـ تحت عنوان (الفصل بين جهاز المرجعيّة وبين العمل الحزبي) نقلُ هذا الكلام عن السيّد محمّد الشيرازي، فيُحتمل تعدّد الحادثتين كما يُحتمل اتّحادهما.

(٤) سنوات الجمر: ٣٤ ـ ٣٥، وقد نقل الحادثة عن السيّد الأردبيلي السيّدُ كاظم الحائري، وقد نشر ذلك في صحيفة الجهاد، العدد (١٨٣)، بتاريخ ١٩٨٥/٤/٢٢م.

(٥) مستفاد من تقريرات السيّد نور الدين الإشكوري. وقد قيل إنّ السيّد الحائري حضر بحث السيّد الصدر سنة ١٣٨٥هـ [صحيفة (الجهاد)، العدد (٣١)]، والصحيح ما أثبتناه.

وفي هذه الفترة التقى السيّد نور الدين الإشكوري بالسيّد كاظم الحائري، ولصعوبة بحث (الترتّب) طلب منه حضور بحث السيّد الصدرؒ ليقرّر عليه الدرس مرّة ثانية بعد فراغ أستاذه من الإلقاء[1]. ثمّ راح يحدّثه عن العمق العلمي للسيّد الصدر[2]، وأنّه عندما يدرّس الخارج يكون درسه مختلفاً[3]، وأطرى عليه إطراءً لم يكن ممكناً للسيّد الحائري تصديقه بسهولة، إذ حدّثه كيف يناقش الآراء العلميّة لأستاذه وكيف يفنّدها، وأكّد السيّد الإشكوري على أنّ النبوغ المتوفّر لدى السيّد الصدرؒ فوق التصوّر، والمطالب العالية والراقية التي يطرحها في بحثه تدلُّ على قدرة لا تجارى.

لم يناقش السيّد الحائري السيّد الإشكوري في ما قاله، ولكنّه بينه وبين نفسه لم يصدّق ذلك بل لم يحتمل صدقه واعتبر كلامه نابعاً من تأثّر التلميذ بأستاذه، وربّما وقع تحت تأثير بيانه، [وكان السيّد الحائري قد حضر لمرّة أو مرّتين أو أكثر درس (كفاية الأصول) بوصفه مسيّراً للدرس لا بوصفه تلميذاً][4]، [بل حضر مرّة واحدة للتفكّه][5].

ولكنّ السيّد الحائري لم يشأ أن يردَّ طلب صديقه، فلبّى الدعوة على الرغم من أنّه كان يرى نفسه مستغنياً عن الحضور باعتباره من فضلاء درس السيّد محمود الشاهروديؒ، إضافةً إلى الصداع الشديد الذي كان يعاني منه، حتّى أنّه كان يضطر أحياناً إلى الخروج مع السيّد الإشكوري والمشي في الهواء بهدف التخفيف من حدّة الصداع لكي يتمكّن بعد ذلك من تقرير الدرس عليه.

وعلى أيّة حال فقد فوجئ السيّد كاظم الحائري بأنّ دعاوى السيّد الإشكوري التي أطلقها كانت واقعيّة ولم تكن فيها مبالغة[6]، فحدث معه ما حدث مع السيّد الإشكوري عندما حضر درس (الكفاية) لمجرّد إرضاء السيّد فخر الدين أبو الحسن[7]، فأكمل السيّد الحائري حضور وتقرير بحث الترتّب[8].

يقول السيّد كاظم الحائري: «**حضرتُ بحثه في أوائل أيّام تعرّفي عليه في بحث الترتّب، ولم يكن ذلك منّي بنيّة الاستمرار. وبعد إنهائه لبحث الترتّب ـ وعزمه على الشروع في بحث التزاحم في ٢/ربيع الأوّل/١٣٨١هـ ـ صمّمتُ على ترك الحضور لبعض المشاكل الحياتيّة والصحيّة التي كانت تمنعني من الاستمرار. فاطّلع (رضوان الله عليه) على تصميمي هذا، فطلب منّيؒ أن أعدل عن هذا التصميم وأستمرّ في الحضور في بحثه الشريف وقال: [بعد بحث الترتّب يأتي بحث التزاحم، وهو ألطف من البحث الأوّل، و]أنا**

---

(١) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (رحمه الله)؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).

(٣) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (رحمه الله). وربّما كان ذلك إشارة من السيّد الإشكوري إلى أنّ درس (الكفاية) الذي كان قد حضر السيّد الحائري منه جلسة أو جلستين أو اكثر لا يعبّر عن العمق العلمي الحقيقي للسيّد الصدرؒ.

(٤) ما بين [] من: مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (رحمه الله).

(٥) ما بين [] من: مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (رحمه الله).

(٦) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله)؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديثٍ مع السيّد كاظم الحائري؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (رحمه الله).

(٧) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (رحمه الله).

(٨) ذكر لي ذلك السيّد نور الدين الإشكوري، وقد أراني تقرير السيّد الحائري للبحث المذكور؛ وانظر: صحيفة (لواء الصدر)، ١٧/شعبان/١٤٠٥هـ.

أضمن لك أنّك لو بقيت مستمرّاً في هذا البحث مدّة خمس سنين ستكون مجتهداً، فشرحتُ له بعض المشاكل التي تحيط بي والتي تمنعني عن الحضور. فتركتُ الحضور برهةً من الزمن إلى أن انتهت تلك المشاكل المانعة، فاستأنفتُ مرّة أخرى الحضور في بحثه الشريف إلى أن قدّر اللّه لي الهجرة إلى إيران. وحينما مضى على حضوري في بحثه الشريف خمس سنين أو أكثر تشرّفت بالحضور لدى الأستاذ ذات يوم وقلت له: أنت وعدتني بأنّي لو حضرتُ البحث خمس سنين سأكون مجتهداً، وها هو الحضور بهذا المقدار قد حصل ولم يحصل الاجتهاد. فأجابني (رضوان الله عليه) بأنّ مفهوم الاجتهاد قد تغيّر عندك، فالاجتهاد بالمستوى المتعارف عليه في الحوزة العلميّة قد حصل، ولكنّك تريد الاجتهاد على مستوى هذا البحث»(١).

ولكنّ ظاهر كلام السيّد الحائري في موضع آخر أنّ قصّته مع السيّد الإشكوري كانت في بداية شروع السيّد الصدر‏ في بحث الخارج، وأنّه انقطع عن الدرس بعد فترة بسبب المرض. وبعد فترة من ذلك شرع‏ في بحث (الترتّب)، فطلب منه السيّد الإشكوري الرجوع إلى الحضور ليتباحث معه، ثمّ ترك الدرس بعد بحث (الترتّب) ليعود إليه بعد ذلك(٢).

السيّد الصدر‏ يرغب إلى طلاّبه بمباحثة (فلسفتنا)

كان السيّد الصدر‏ يعتقد أنّ ما تعارفت عليه الحوزة من الاقتصار على الفقه والأصول غير صحيح، ويجب على الطلاّب أن يُثقّفوا أنفسهم بمختلف الدراسات الإسلاميّة، وأمرهم بمباحثة كتاب (فلسفتنا) فيما بينهم، فعقدوا بحثاً في بيت السيّد كاظم الحائري الواقع وقتئذ في النجف الأشرف في الشارع الثاني ممّا كان يسمّى بـ(الجديدة)(٣)، وكانوا يعقدون هذه الحلقة أحياناً في

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٧ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد كاظم الحائري ؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله) ؛ وما بين ـ ـ من تقريرات السيّد نور الدين الإشكوري ؛ وما بين [] من: مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٢) مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

وقد ذكر السيّد كاظم الحائري أنّه أراد ترك بحث السيّد الصدر‏ بسبب الصداع الذي يعاني منه [مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله)]، وأضاف في مصدر آخر: «مشاكل اجتماعيّة لا أرغب في ذكرها» [مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله)]. وقد حدّثني السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٣م أنّ السيّد كاظم الحائري حضر بحث الخارج لدى زوج خالته السيّد محمود الشاهرودي‏ بعد فراغه من دراسة السطوح ولم يحضر درس السيّد الخوئي‏، وكان يعدُّ من أفاضل درسه، وكان مقرّباً من آل الشاهرودي حتّى أنّه كان يضيّف الشاي في المجلس اليومي الذي يعقده السيّد الشاهرودي‏ لمدّة ساعة، شأن الأخير في ذلك شأن سائر العلماء. وبعد أن تعرّف السيّد الحائري على درس السيّد الصدر‏ وأعجب به والتزم بالحضور لم يعجب هذا الأمر آل الشاهرودي، خاصّةً فيما بعد عندما أرشد السيّد الحائري السيّد عبد الهادي الشاهرودي ـ وربّما السيّد حسين أيضاً ـ إلى درس السيّد الصدر‏ (اهـ).

ومن هنا، فإنّ من المحتمل أن يضاف إلى الصداع سببٌ آخر في اعتذار السيّد كاظم الحائري عن حضور الدرس هو الضغوطات التي تعرّض لها من هذه الجهات، كما حدث لاحقاً مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي عندما اختار درس السيّد الصدر‏ على درس جدّه السيّد محمود الشاهرودي‏، الأمر الذي عرّضه لضغوطات عائليّة شديدة جدّاً، فاضطرّ السيّد الصدر‏ إلى تعطيل درسه لمدّة رافضاً إقصاء السيّد عبد الهادي عن درسه كما طلب منه.

وإذا صحّ ما جاء في الفقرة الأخيرة أمكن القول: إنّ تركه الحضور قبل الوصول إلى بحث الترتّب كان بسبب الصداع، أمّا تركه إيّاه بعد الفراغ من البحث المذكور فقد كان بسبب الضغوطات المشار إليها.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٦ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديثٍ مع السيّد كاظم الحائري ؛ مقابلة (١) مع

مقبرة آل ياسين أيّام الخميس والجمعة[١].

وفي أوّل يوم شرعوا في المباحثة وجدوا طارقاً يطرق الباب ففتح له السيّد كاظم الحائري، وإذا بالسيّد الصدر رحمه الله دخل وحضر المجلس وقال: «**إنّني إنّما حضرت الآن هذا المجلس لأنّي أعتقد أنّه لا يوجد الآن مجلسٌ أفضل عند اللّه من مجلسكم هذا الذي تتباحثون فيه في المعارف الإسلاميّة، فأحببت أن أحضر هذا المجلس الذي هو أفضل المجالس عند اللّه**»[٢].

(من وحي فلسفتنا)

في هذا العام[٣] صدر كتيّب (من وحي فلسفتنا) للشيخ كاظم الحلفي وقدّم له (مؤلّف كتاب فلسفتنا) كما جاء في الكتاب. وقد جاء في مقدّمة السيّد الصدر رحمه الله:

«ليست (فلسفتنا) قصّة كتاب فكريٍّ فحسب، ولا قصّة كيانٍ فلسفيٍّ انتظم في سطورٍ وفصولٍ فقط، وإنّما هي إلى ذلك قصّة محنة الإسلام الهائلة التي شاءت الظروف أن يقف فيها الإسلام وجهاً لوجه أمام عدوٍّ مارد يحاربه في كلّ الميادين والمجالات، في المجال العقائدي والفلسفي، وفي المجال الاجتماعي والخلقي.. ويحاول أن يقضي على الإسلام بوصفه القوّة الروحيّة الوحيدة لهذه الأمة.

ولم تكن المشكلة أنّ الإسلام واجه عدوّاً صلباً عنيداً، وإنّما المشكلة هي أنّ الإسلام واجه هذا العدوّ الطاغي في وقت منيت الأمّة فيه بالانخفاض الفكري والروحي إلى أبعد الحدود، ممّا يهدّد كثيراً من أبنائنا بفقدان المناعة الذهنيّة والنفسيّة ضدّ السموم المعادية.

وهكذا قدّر للكثير أن يواجهوا عقيدةً جديدةً في إطار علميٍّ جذّاب تشمل الكون والحياة، وتصبّهما في قالبها المادي الخالص، وتستعين في سبيل سيطرة تلك العقيدة وامتلاكها القيادةَ الفكريّةَ بالأدلّة الفلسفيّة والعلميّة المزعومة من ناحية، وبالتضليل والتمويه الفكري وإظهار الفكرة في أشكال مزوّرة من ناحية ثانية، وبألوان الإغراء ومختلف الوعود التي تُكال دون حساب لهذه الملايين من أمّتنا الإسلاميّة الشقيّة ـ بواقعها الفاسد الذي تعيشه ـ من ناحية ثالثة.

ولا شكّ في أنّ دعوةً فكريّةً تملك كياناً فلسفيّاً وعلميّاً وقدرةً على النفاق والتمويه في المجال الفكري، ووعوداً جذّابة تستهوي أفئدة الناس.. هي دعوةٌ خطيرةٌ يجب أن يحسب لها ألف حساب. فهي من ناحية كيانها الفلسفي والعلمي تغزو الذهنيّة الفلسفيّة والعلميّة للأمّة، وتستطيع أن تنفذ إليها.. خصوصاً إذا كانت الذهنيّة مجدبة من كيان عقائدي راسخ. ومن ناحية نفاقها في المعترك الفكري العام، تستطيع أن تلبس تلك العقيدة غير ثوبها، وتعرضها على الأوساط العامة للأمّة بوصفها نظريّة لا تتعارض مع جذورهم الروحيّة

السيّد كاظم الحائري (دام ظله).

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٦ ؛ وانظر مثله في: الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٧: ٢٣٠، نقلاً عن السيّد كاظم الحائري. والمراد أنّ هذا المجلس مصداقٌ لكليٍّ (أفضل المجالس عند الله) لا أنّه بعينه أفضل مجلس عند الله تعالى. وينقل الدكتور القزويني في الفقرة نفسها عن السيّد كاظم الحائري أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان لا يحبّذُ لطلّابه الدخول في دراسة الفلسفة، إلاّ أنّه يشجّعهم على دراسة كتاب (فلسفتنا) (اهـ)، ولستُ أدري مدى انسجام هذا مع ذاك.

(٣) لم يرد على الكتاب تاريخٌ يشير إلى زمن صدور الكتيّب المذكور، ولكن ورد عليه (صدر قريباً حياة السيّد البروجردي للمؤلّف) و(الكتاب القادم من وحي رسالتنا). وقد صدر (حياة السيّد البروجردي) في هذه الفترة حيث جاءت الإشارة إليه في عددٍ من (الأضواء) في أواخر سنة ١٣٨٠هـ.

الفكريّة. ومن ناحية وعودها، تستطيع أن تسيّل لعاب كثير ممّن يسلمه فساد الواقع إلى الاستسلام لمحاولة كلّ تغيير.

وهكذا نجد أنّ الخطر يمتدّ من القمّة إلى القاعدة.. من العقل العلمي والفلسفي إلى الناس الذين يطلبون شيئاً من السعادة والاستقرار، فلا يجدونه في واقعهم.

فكان لا بدّ من إحباط كلّ الأساليب التي يملكها العدو، ومكافحته في كلّ الدرجات والمستويات.. في مستوى الوعود التي كان يغري بها الجماهير، وفي مستوى الأوساط التي كان يخدعها بنفاقه ويوهمها بأنّ عقيدته الجديدة لا تتعارض مع دينهم وعقيدتهم، وكذلك أيضاً في المستوى الأعلى على الصعيد الفلسفي والعلمي. وكان نصيب (فلسفتنا) أنّه أخذ على نفسه ـ أو حاول على أقلّ تقدير ـ أن يصارع العدوّ في أعلى المستويات التي يحارب فيها، بتقديم نظرة فلسفيّة أخرى عن التفكير والكون والحياة أعمق وأشمل، ودحض العقيدة الفلسفيّة التي يقدّمها العدو ومناقشتها في مختلف أدلّتها الفلسفيّة والعلميّة.

ولم يكن (فلسفتنا) حاجة شخصيّة أشبعتها، وإنّما كان حاجة أمّة وحاجة مجتمع يريد أن يسمع صوت الإسلام في إطاره الفلسفيّ الكامل. ولهذا كان المجتمع الذي أعيشه يمدّني كلّه بالروح المعنويّة والهمّة والإرادة، حتّى استطعت أن أنجز تأليف (فلسفتنا) خلال شهور يعضدني في ذلك الأخ المفدّى العلاّمة الجليل السيّد محمّد باقر الحكيم، ويسبغ عليّ العلاّمة الجليل شيخنا الجعفري[١] فضلاً بوضع فهرس فنيّ للكتاب، ويتفضل عليّ كثيرٌ من الإخوان بتوفير مصادر البحث اللازمة لي.

وجاء بعد طبع الكتاب دورُ مؤلّفنا الإسلامي المجاهد صاحب هذا الوحي، الذي أبى إلاّ أن يشارك في أهداف (فلسفتنا)، فقرأ الكتاب، ولكن لا كما قرأه كثيرون، بل قرأه ليستوحي منه، ويضع في ضوئه بحوثاً استمدّها منه، أو تفتّح عنها ذهنه على ضوء مطالعته للكتاب. وجمع البحوث في هذا الكتاب القيّم الذي يدلّ على فضل واطّلاع، وحسن تدبّر وعلوّ همّة. وليس غريباً عن مؤلّفنا الجليل أن يكون كذلك، وهو الذي ساهم بحقّ في خضمّ الصراع بين الإسلام والشيوعيّة مساهمةً فكريّةً وعمليّةً لا تتاح إلاّ لنوابغ الأفراد أو لأمّة من الناس مجتمعين.

أسأل الله تعالى أن يسدّده في جهاده العلمي والفكري، ويأخذ بيده ويريه ثمرات جهوده المشكورة ونتائج مؤلّفاته القيّمة وعياً وفكراً في الأمة، وثواباً ونعيماً في الآخرة، ويديمه ذخراً للإسلام ومصدر هداية وتوجيه للمسلمين.

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف

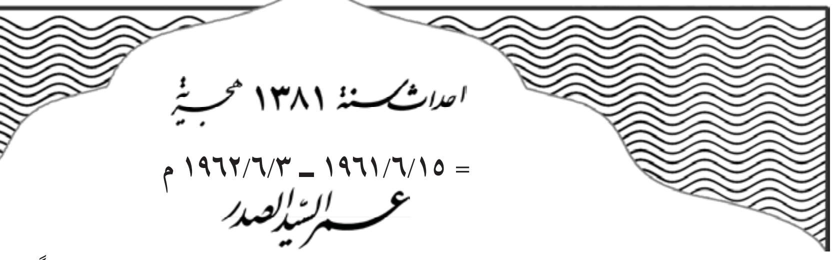
الراجي عفو ربّه محمّد باقر الصدر»[٢].

***

---

(١) يقصد الشيخ محمّد رضا الجعفري.

(٢) انظر مقدّمة (من وحي فلسفتنا)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.



٢٧ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٦ سنة و٣ أشهر و١٤ يوماً م

❋ ❋ ❋

صدور الجزء الأوّل من (اقتصادنا)

في محرّم من هذا العام على الأرجح، صدر الجزء الأوّل من كتاب (اقتصادنا)[1]، و(اقتصادنا) «**دراسةٌ موضوعيّة تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصاديّة للماركسيّة والرأسماليّة والإسلام في أسسها الفكرية وتفاصيلها**»[2].

وقد جاءت الطبعة الأولى عن مطبعة النعمان ـ النجف في ٣٥٦ صفحة، وأرفقت مع الكتاب ورقة منفصلة جاء فيها:

«اقرأ في القسم الثاني من اقتصادنا:

كيف يوزّع الإسلام الثروات الطبيعيّة بين أفراد المجتمع؟

كيف يحلّ الإسلام أشكالاً متعدّدةً من الملكيّة: الملكيّة الخاصّة، ملكيّة الدولة؟

كيف يحدّد الملكيّة الخاصّة في أسبابها وظروفها؟

كيف يعلن الإسلام مبدأ التكافل العام ومبدأ التضامن الاجتماعي؟

كيف يمحو الإسلام الفقر ويوجد التوازن الاجتماعي العام في المستوى الاقتصادي؟

كيف يضع الإسلام سياسة الملكيّة بشكل يتجاوب مع العدالة الاجتماعيّة؟

كيف ينظر الإسلام في الإنتاج وماذا يتّخذ من وسائل لتشجيعه؟

---

(١) قلنا سابقاً: إنّ السيّد الصدر ﵀ شرع في تأليف (اقتصادنا) في جمادى الأولى/١٣٧٩هـ. وقد جاء في العدد (١١ ـ ١٢) من مجلّة (الأضواء) (١/جمادى الثانية/١٣٨٠هـ) أنّ كتاباً في الاقتصاد سيطبع قريباً. وفي العدد التالي (١٣ ـ ١٤) والعدد (١٥ ـ ١٦) أنّ (اقتصادنا) ماثلٌ للطبع، وفي العدد (١٧ ـ ١٨) (١/رمضان/١٣٨٠هـ) والعدد (١٩) (١/شوّال/١٣٨٠هـ) أنّه قد بوشر بطبعه. وهذا يعني أنّه قد بوشر بطبعه في شعبان/١٣٨٠هـ.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه قد جاء على غلاف الطبعة الأولى من الكتاب: الطبعة الأولى ١٣٨١ هجـ ١٩٦١م (انظر أيضاً: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٨٩)، وهذا يعني ـ بحسب تداخل التقويمين الهجري والميلادي ـ أنّ الكتاب قد أنجز بين ١/محرّم/١٣٨١ هـ و٢٢/رجب/١٣٨١هـ (١٩٦١/١٢/٣١م). وإذا رجعنا إلى ما ذكرناه من أنه قد بوشر بطبعه في شعبان/١٣٨٠هـ وجدنا أنّ أربعة أشهر مدّة كافية جدّاً لطباعة الكتاب، فيكون الأرجح أنّه صدر في أوّل العام ١٣٨١هـ بعد أن كان متعيّناً أن يكون صدوره في العام ١٣٨١هـ لا ١٣٨٠ هـ.

(٢) اقتصادنا، العنوان. هذا وقد اتّخذت الدراسة النقديّة لـ(اقتصادنا) ـ والتي أصدرها أبو المجد حرك ويوسف كمال ـ من عنوان الكتاب إشكالها الأوّل، إذ كيف يتناول الكاتب المذهب الاقتصادي للإسلام بالنقد والبحث؟! (الاقتصاد الإسلامي بين فقه الشيعة وفقه أهل السنّة: ٩)، وربّما فات المستشكل أنّ في اللغة العربيّة أسلوب اللّف والنشر المرتّبين، فإنّ السيّد الصدر ﵀ ينقد المذهب الاقتصادي للماركسيّة والرأسماليّة، ويبحث المذهب الاقتصادي للإسلام.

كيف يحدّد الإسلام حقوق العمل ورأس المال وأدوات الإنتاج خلال طريقة توزيعه الدخل عليها؟
انتظر صدور القسم الثاني قريباً»[١].

وسنة ١٣٨٣هـ صدر الجزء الثاني من (اقتصادنا) والذي يُعنى بعرض المذهب الاقتصادي الإسلامي[٢].

وقد أهدى السيّد الصدر‏ نسخة من كتابه (اقتصادنا) إلى أخيه السيّد إسماعيل الصدر‏ وكتب عليها: «**أخي بل أبي أفديه نفسي..**»[٣]. وأهدى أخرى إلى السيّد جعفر شرف الدين نجل السيّد عبد الحسين شرف الدين‏ وكتب عليها: «**هديّتي إلى ابن العم العزيز سيادة الأستاذ الكبير السيّد جعفر شرف الدين.. مع أصدق ولائي وحبّي.. محمّد باقر الصدر**»[٤]، كما أهدى ثالثةً إلى الحاج حسين الشاكري[٥].

المراسلة الثالثة مع السيّد هادي خسروشاهي

بعد صدور (اقتصادنا) كتب السيّد الصدر‏ رسالةً ثالثة إلى السيّد هادي خسروشاهي اعتذر فيها عن عدم وصول جوابه عن رسالته الثانية، وأكّد أنّه أرسلها ولكنّ المشكلة من البريد. وأكّد على ضرورة التعليق المناسب على ترجمة كتاب جورج جرداق[٦]. وقد جاء في رسالته:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة البحّاثة الحجّة السيّد هادي الخسروشاهي دامت ألطافه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فما كان أشوقني إلى رسالة كريمة منكم أقرأ فيها روحكم العالية وألمس ألطافكم الرفيعة وأحسّ عواطفكم الأخويّة حتّى منّ الله عليّ بما أرجوه قبل بضعة أيّام، فوصلني كتابكم العزيز فسررتُ به سروراً كثيراً وشكرتُ لكم ألطافكم الكثيرة على المخلص، وساءني جدّاً عدم وصول جوابٍ لكم على رسالتكم الثانية مع العلم بأنّي بادرتُ في حينه إلى كتابة الجواب على الرسالة الثانية وأرسلته بالبريد، فكان البريد هو السبب في تأخّرها وفي خجلي معكم لا كثرة أشغالي، فإنّ أشغالي بالرغم من كثرتها لا تعيقني عن المبادرة إلى التشرّف بالجواب على رسائل أخويّة عالية[٧] عزيزة على قلبي قريبة إلى روحي كرسائلكم الكريمة.

وقد أخبرتكم في جوابي على رسالتكم الثانية أنّي أرحّب كلّ الترحاب بالترجمة[٨] إذا كانت مقرونة بالتعليق اللازم من وجهة النظر الإسلاميّة، أسأل الله أن يوفّقكم في جهادكم العلمي الشامخ وينجز على يديكم الكريمتين الترجمة بالشرط المذكور ويجعل من قلمكم أداة توجيه وهداية للمسلمين.

---

(١) انظر الطبعة الأولى من (اقتصادنا) ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف.

(٢) انظر تحقيقَ ذلك تحت عنوان (بحث إحياء الموات).

(٣) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٥٧.

(٤) نسخة من (اقتصادنا) محفوظة في ().

(٥) ذكرياتي ٦: ١٥.

(٦) صحيفة (اطلاعات)، شماره (١٩٣٠٣)، ٢٥/فروردين/١٣٧٠هـ ش.

(٧) كذا في الأصل ويُحتمل سقوط النقطة وكونها (غالية).

(٨) يقصد‏ ترجمة كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة) لجورج جرداق.

وقد سرّني بصورة خاصّة بحثكم القيّم عن تاريخ العراق الجهادي وموقف العلماء فيه[١]، فلعمري إنّ من الضروري لنا اليوم إبراز هذه الجوانب التاريخيّة من حياتنا التي تبرهن على المواقف الجبّارة التي لعبها الإسلام ضدّ الاستعمار والمستعمرين متمثّلاً في علمائه وقادته الفكريّين.

وأمّا كتاب اقتصادنا فقد صدر الجزء الأوّل منه حديثاً، وسوف أرسل إليكم ثلاث نسخ منه: إحداها لفضيلتكم، والأخرى أرجو تقديمها إلى مكتب اسلام[٢] الذي أرجو أن يكتب رأيه في الكتاب مفصّلاً تحت إشرافكم، ونسخة ثالثة لسيّدنا المعظّم آية الله الحجّة السيّد محمّد حسين الطباطبائي أرجو منكم التفضّل عليّ بتقديمها إليه بالنيابة عنّي، ويا حبّذا لو ساعده وقته على أن يتفضّل بكتابة بحث حول الكتاب وإرساله إليّ.

وختاماً تقبّلوا أرفع وأزكى الحيّات الأخويّة والعواطف الروحيّة من

مخلصكم محمّد باقر الصدر.

العنوان: النجف ـ محمّد باقر الصدر»[٣].

أصداء (اقتصادنا)

١ ـ بعد صدور (فلسفتنا) و(اقتصادنا) أخذهما أحد الإخوة إلى مصر وأهداهما إلى الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير الأزهر يومذاك. وحينما استلمهما الباقوري كان شيوخ الأزهر مجتمعين في بيته، فخاطبهم قائلاً: «**لو اجتمع علماء ومشايخ الأزهر على أن يؤلّفوا مثل هذين الكتابين لما استطاعوا**»[٤].

٢ ـ ينقل الشيخ هاشمي رفسنجاني حول أيّام السجن في عهد الشاه، أنّه عندما وصل الكتابان (فلسفتنا) و(اقتصادنا) عمّت الفرحة المؤمنين، بينما بدت على (المنافقين) حالة الحقد والنفور، فلم يجرؤ أحدٌ منهم على أن يتصفّح الكتابين بسبب التحريم الذي صدر من قياداتهم[٥].

٣ ـ ويقول الشيخ محمّد المبارك عميد كليّة الشريعة بجامعة دمشق سابقاً: «**وتعتبر محاولة العلاّمة السيّد محمّد باقر الصدر في رأيي محاولةً جريئةً من هذا النوع خطت خطوات عظيمةً، وكانت دراسةً علميّةً رائدةً نأمل أن يقدّم لنا الأخصائيّون في الاقتصاد رأيهم فيها، كما يمكن أن يسهم الفقهاء الراسخون والمفكّرون الإسلاميّون في بحثها باعتبارها مشروعاً ناضجاً يقدّمه مفكّرٌ وفقيهٌ كبيرٌ من علماء الإسلام المعاصرين**»[٦].

٤ ـ ويكفي للتدليل على أثر هذا الكتاب ما ذكره يوسف كمال في معرض نقده (اقتصادنا) حيث قال معرّضاً: «**ويعتبره البعض قاعدةً أساسيّةً للكتابة في الاقتصاد الإسلامي لم يكتب مثلها بعد، وبلغ من تأثير هذا الكتاب أنّك قلّما تجد كاتباً في الاقتصاد الإسلامي إلاّ وتأثّر به، لا في الفروع فحسب، وإنّما في الأصول أيضاً**»[٧].

---

(١) يقصد البحث الذي نشره السيّد خسروشاهي في مجلّة (مكتب اسلام) في ثماني أو تسع حلقات على ما أخبرني به بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٧م.

(٢) يقصد مجلّة (مكتب اسلام).

(٣) انظر الوثيقة رقم (٤٦).

(٤) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد عبد الكريم القزويني.

(٥) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٣٤.

(٦) نظام الإسلام، الاقتصاد، مبادئ وقواعد عامّة: ١٢.

(٧) الاقتصاد الإسلامي بين فقه الشيعة وفقه السنّة: ٩٥.

٥ ـ ويعتقد الدكتور شبلي الملاّط أنّ الصدر كان الباحث الإسلامي الوحيد القادر على إعداد نصٍّ شاملٍ بإمكانه الاعتماد على الكتابات الاقتصاديّة في الرسائل البحثيّة الفقهيّة الكلاسيكيّة، وكذلك علىً مصادر التعاليم الماركسيّة والرأسماليّة المتوفّرة بالعربيّة، والقادر على تسلّق ذاك الهرم من القيود والكوابح بشيء من النجاح[١]، وأنّ تجديد الفقه الإسلامي فقد في شخص محمّد باقر الصدر مفكّره الأكثر ألمعيّةً وتألّقاً[٢].

٦ ـ ويعتقد دكتور علم الاقتصاد الشيخ شكيب علي بن بديره التونسي أنّ السيّد الصدر﴾ هو أبرز علماء الإسلام الذين خاضوا غمار البحث الاقتصادي على الإطلاق[٣].

الحريّة في القرآن

كتب السيّد الصدر﴾ مقالاً تحت عنوان (الحريّة في القرآن)، وذلك في مجلّة (الأضواء) في العدد الأوّل من السنة الثانية بتاريخ ١٥/ربيع الأوّل/١٣٨١هـ (١٩٦١/٨/٢٨م)[٤].

رسالة السيّد محسن الحكيم﴾ إلى المؤتمر الإسلامي في القدس

في هذه الفترة عقد المؤتمر الإسلامي في القدس، وقد أرسل السيّد محسن الحكيم﴾ كلمةً إلى أعضائه جاء فيها:

«حضرات أعضاء المؤتمر الإسلامي المحترمين نفع الله بهم المسلمين.

السلام عليكم ورحمة الله والدعاء لكم بالتوفيق والتسديد.

لقد وصلتنا رسالتكم الكريمة التي ذكرتم فيها عن قرب انعقاد المؤتمر الإسلامي العام وعمّا يعتزمه من نشاط موفّق بإذن الله تعالى في سبيل جمع صفوةٍ من المفكّرين الإسلاميّين لدراسة شؤون الأمّة الإسلاميّة ومشاكلها، فتلقّينا هذا النبأ بارتياح لأنّ فكرة انعقاد مثل هذا المؤتمر تلتقي مع الروح الإسلاميّة التي تدعو إلى التقارب والتشاور والاجتماع وتشجيع هذه الأعمال والأفكار. وما أحوج الأمّة دائماً وفي هذا الظرف الدقيق بالذات إلى التفكير في مشاكلها ودراستها ووضع خطّتها خطّة العمل بأمثال هذه المؤتمرات العامّة.

غير أنّ الحقيقة التي يجب أن تقال بهذا الصدد ونعترف بها بمرارة هي أنّ المؤتمرات الإسلاميّة التي تألّفت حتّى الآن لم تؤدِّ وظيفتها بالصورة المطلوبة منها، فإنّ الصحيح منها ما كان ليعقد في الغالب إلاّ للتنفيس عن عاطفة إسلاميّة مشكورة. أمّا المساهمة الحقيقيّة في حلّ مشاكل الأمّة في مختلف مجالات حياتها فليس للمؤتمرات التي عاصرناها نصيبٌ ملحوظٌ من ذلك. وهذا هو أحد أسباب الانفصال الذي أحسسناه بين المؤتمرات والأمّة، مع أنّه المفروض في الأمّة أن تساير هذه المؤتمرات في نشاطها وتعيش مع مقرّراتها في واقعها العملي بوصفها ـ أعني الأمّة ـ المجال السمح للعمل الإسلامي الكبير الذي تقصده هذه المؤتمرات.

ولهذا أرى من الواجب على المؤتمر الإسلامي إذا أراد لنفسه أن يحقّق هدفاً أسمى أن يضع نصب عينيه:

أوّلاً: أنّ المؤتمر الذي يمكن للأمّة الإسلاميّة أن تنظر إليه بوصفه عنصراً من عناصر القيادة هو المؤتمر الذي تنبثق فكرته عن الإحساس العميق بآلام الأمّة ومصائبها الحقيقيّة التي تراكمت في تاريخها الطويل،

---

(١) تجديد الفقه الإسلامي: ٢٤٨.

(٢) تجديد الفقه الإسلامي: ٢٥٠.

(٣) زاد الروّاد من علوم الاقتصاد (٢)، المنطاد في توضيح جبروت الاقتصاد: ٤٤٧.

(٤) انظر: مجلّة الأضواء، السنة الثانية، العدد الأوّل؛ المدرسة القرآنيّة، ط المؤتمر العالمي: ٣٥٥.

حتّى عزلتها عن مركزها الرئيسي من تيّار الحضارة العالميّة وفرضت عليها أن تواكب التيّارات المعادية لها باستسلام وخضوع، بدلاً من أن تكون هي الموجّهة للتيّار العالمي كما كان لها مثل هذا التوجّه في تاريخها البعيد.

وأمّا المؤتمر الذي لم يمتلئ شعوراً بحرارة تلك الآلام وإنّما يتولّد من رغبة في التعارف على إخوان مسلمين وبلد إسلامي مقدّس فقط، فقد يتاح له أن ينسج صلات أخويّة طيّبة بين عدد من المفكّرين والنابهين المسلمين، ولكن لا يتاح له بحالٍ من الأحوال أن يشعر الأمّة بأدبيّاته الفكريّة.

وثانياً: أنّ المؤتمر حينما يتحسّس بآلامٍ الأمّة ومصائبها يجب عليه ألاّ يفكّر في الاستسلام لتلك المصائب واعتبارها أموراً لا مفرّ منها يدير جلساته ومحادثاته ضمن نطاقها العام، لأنّ مثل هذا الاستسلام يجعل الإحساس انفعالاً مجرّداً، فالقيادة لا تقوم على أساس الانفعال فحسب، لأنّها توجيه وبناء وليست تبعيّة وانعكاساً. فالأمّة تنتظر من المؤتمر الجدير بقيادتها أن تجد عنده التعبير المنظّم لتلك الآلام وأن تجد عنده قدرة الترفّع على الواقع الفاسد الذي تعيشه الأمّة ليتاح له بجدارة أن يفكّر في كيفيّة معالجة هذا الواقع.

وثالثاً: أنّ هناك حقيقةً يجب أن لا ننساها وهي أنّ المسلمين وبالأحرى الشعوب الإسلاميّة ليست بحاجة إلى تعارف بقدر ما هي بحاجة إلى أسس إسلاميّة قويّة يقوم عليها التعارف، لأنّا لا نكتفي بالتعارف بين المسلمين فحسب، وإنّما نريد أن يكونوا مسلمين بالمعنى الصحيح، فيتعارفوا على هذا الأساس، فإنّه إن لم يعرف المسلمون الإسلام في أفكارهم وفي حياتهم وعلاقاتهم فلا أمل في قيام تعارف حقيقي بينهم.

والكلمة نفسها تصدق على الحكومات القائمة في البلاد، فإنّ هذه الحكومات بحاجة إلى التعرّف على الإسلام نفسه في جهازها وقوانينها ليتاح لها بعد ذلك أن تتعارف بينها على أساس إسلامي، فلن يكون التعارف أو الاتّحاد بين حكومات المسلمين مهما كان شكله إسلاميّاً ما لم تكن الحكومات إسلاميّة بحدّ ذاتها، وإلاّ فهي جهازٌ من أجهزة أعداء الإسلام لتحبيطه والقضاء عليه، وبالأخير القضاء على الشعوب الإسلاميّة وكيانها الذاتي.

وإنّي ختاماً أبتهل إلى المولى سبحانه في أن يسبغ عليكم عنايته ولطفه ويأخذ بيدكم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، ويكتب لكم التوفيق في مؤتمركم الإسلامي الكبير، والنجاح في الوصول إلى نتائج إيجابيّة حقيقيّة ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

محسن الطباطبائي الحكيم
١٥/ج١٣٨١/٢ هـ»[2].

البحث في (إحياء الموات)

في ١/رمضان/١٣٨١هـ (١٩٦٢/٢/٧م) شرع السيّد الصدر في درسٍ (تعطيليٍّ) حول موضوع (إحياء الموات). وقد اشتمل في المرّة الأولى على ثلاثة مقامات:

١ ـ أدلّة ملكيّة الإمام عليه السلام للموات.

٢ ـ الأدلّة المعارضة.

٣ ـ أحكام الموات.

---

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٥٠ ـ ٥١ ؛ محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٥١٥ ـ ٥١٧.

وبعد ذلك تعرّض لبحث أخبار التحليل وبحث المعادن، واحتوت الخاتمة على بعض الاستدراكات. وقد بحث السيّد الصدر هذا البحث مرّة أخرى عام ١٣٩١هـ[1].

---

(١) قام الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري بتقرير دروس سنة ١٣٨١هـ (انظر: إحياء الموات، دار التعارف)، وكذلك السيّد كاظم الحائري والسيّد عبد الغني الأردبيلي (مخطوط)، والسيّد علي رضا الحائري بتقرير دروس سنة ١٣٩١هـ (انظر: مجلّة فقه أهل البيت، العدد ١١ ـ ١٢)، وكذلك السيّد كاظم الحائري (مخطوط).

ويُشار هنا إلى أمرين:

الأوّل: ذكر الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري في مقدّمة وذيل تقريره دروسَ السيّد الصدر في (إحياء الموات) أنّ السيّد الصدر شرع في إلقائها في الليلة الأولى من شهر رمضان من العام ١٣٨١هـ (١٩٦٢/٢/٧م) [إحياء الموات: ٥، ٩٥]. لكنّ الشيخ الأنصاري ذكر في مقدّمة تقريره أنّ «هذا ما استفدته من أوّل بحث في خارج الفقه، ألقاه سيّدنا وأستاذنا..». وظاهرُ هذا الكلام أنّ السيّد الصدر شرع في تدريس الخارج في ١/رمضان/١٣٨١هـ (١٩٦٢/٢/٧م) مبتدئاً رحلته التدريسيّة ببحث (إحياء الموات). ولكن هناك أمور تدعو إلى عدم البناء على ذلك:

١ ـ ما قدّمناه ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ من استدلالٍ على أنّ السيّد الصدر شرع في بحث الخارج فقهاً سنة ١٣٨٠هـ.

٢ ـ ما ذكره لي السيّد نور الدين الإشكوري من أنّ هذا البحث كان بحثاً (تعطيليّاً) وأنّ السيّد الصدر كان يدرّس الفقه قبل ذلك (اهـ). والبحثُ التعطيلي في عرف الحوزة هو عبارة عن موضوعٍ قصيرٍ أجنبيٍّ عن موضوع الدرس المعتاد، يتناوله المدرّس بالبحث خلال أيّام شهر رمضان المبارك.

٣ ـ ما جاء في وثيقة السيّد الصدر [الوثيقة رقم (٤)] من أنّه شرع في تدريس الخارج على نهج (العروة الوثقى). وبحث (إحياء الموات) المذكور ليس على نهج (العروة الوثقى).

الثاني: ذكر الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري أنّ بحث (إحياء الموات) الذي ألقاه السيّد الصدر ابتداءً من ١/رمضان/١٣٨١هـ كان ـ بحسب تعبير السيّد الصدر ـ (خميرة) كتاب (اقتصادنا) الذي كتبه بعد مضيّ ثلاث سنوات (انظر: إحياء الموات:٥).

أقول: تقدّم سابقاً أنّ الجزء الأوّل من (اقتصادنا) طبع بين ١/محرّم وبين ٢٢/رجب/١٣٨١هـ لا محالة، وأنّه لا يمكن أن يكون قبل أو بعد هذا التاريخ. ولمّا كان بحث (إحياء الموات) قد ألقاه السيّد الصدر ابتداءً من ١/رمضان/١٣٨١هـ، فهذا يعني أنّه قد ألقاه بعد صدور (اقتصادنا)، فلا يمكن بدواً أن يكون خميرةً له.

ولكنّ مراد الشيخ الأنصاري هو أنّ (إحياء الموات) كانت خميرةً لخصوص الجزء الثاني من (اقتصادنا) والذي يعنى بدراسة المذهب الاقتصادي في الإسلام، حيث لا نتصوّر أن يكون خميرةً للجزء الأوّل الذي يبحث حول أمور لا ربط لها بإحياء الموات.

والذي يؤيّد ذلك هو أنّنا إذا جمعنا بين ما جاء في مقدّمة السيّد الصدر على الحلقة الأولى من (المدرسة الإسلاميّة) ـ والتي كتبها سنة ١٣٨٢هـ إذ قال إنّها أتت بعد ثلاث سنوات تقريباً من (فلسفتنا) ونشرت سنة ١٣٨٤هـ ـ وبين ما جاء في مقدّمته على الحلقة الثانية من (المدرسة الإسلاميّة) أيضاً ـ والتي يرجع صدورها إلى سنة ١٣٨٤هـ كما يبدو من غلاف الطبعة الأولى منها ـ، وجدنا أنّ الجزء الثاني من (اقتصادنا) صدر بين تاريخ كتابة مقدّمة الحلقة الأولى من (المدرسة الإسلاميّة) وبين صدور الحلقة الثانية منها، وأنّ الحلقة الثانية عبارة عن تبسيط أفكار الكتاب الثاني من (اقتصادنا). فالظاهر إذاً أنّ الجزء الثاني من (اقتصادنا) صدر بين ١٣٨٢ وبين ١٣٨٤هـ.

ثمّ إنّا عثرنا مؤخّراً على ما يؤكّد صدور الجزء الثاني سنة ١٣٨٣هـ أو ١٣٨٤هـ حيث كتب السيّد الصدر في العددين الأوّل والثاني من السنة الرابعة من مجلّة (الأضواء) (ربيع الأول/١٣٨٣هـ) أنّ الجزء الثاني من اقتصادنا أشرف على الانتهاء.

أمّا ما جاء في الورقة المرفقة بالطبعة الأولى من الجزء الأوّل من (اقتصادنا): (انتظر صدور القسم الثاني قريباً)، فربّما كان مقرّراً صدوره قريباً ولم يصدر.

العمل الصالح في القرآن

وفي شهر رمضان من العام ١٣٨١هـ (شباط/١٩٦٢م) كتب السيّد الصدر رحمه الله في مجلّة (الأضواء) مقالاً تحت عنوان (العمل الصالح في القرآن)، وذلك في العدد السابع من السنة الثانية في شهر رمضان ١٣٨١هـ (شباط/١٩٦٢م)[١].

السيّد موسى الصدر يقنع أخته بالزواج من السيّد الصدر رحمه الله

كانت السيّدة فاطمة الصدر قد رأت رؤيا تتعلّق بزوجها المستقبلي[٢]، وبعده بأيّام جاءتها والدتها تقول: «**رأيت البارحة في منامي أنّ أحد السادة المعممين دخل البيت وبجانبه سيِّدٌ آخر يرتدي البنطال، وقد لفّ ـ الأخير ـ وشاحاً أخضر حول عنقه، كعلامة على كونه سيّداً هاشميّاً. فصرت أردّد بالعربيّة: إجتِ سيّد محمد باقر**»، أي جاء السيِّد محمّد باقر لأنّها لم تكن تحسن الكلام باللغة العربيّة، ولا تميّز بين ضمائر المذكّر والمؤنث.

ولم تكن السيّدة صفيّة ـ والدة السيّدة فاطمة ـ قد التقت بالسيّد الصدر رحمه الله إلى يومها ذاك، ولا رأته، ولا وقع نظرها حتّى على صورة لـه، وإن كانت قد سمعت باسمه وعرفت عن شخصيّته إجمالاً[٣].

وبالفعل كان قد تقدّم السيّد الصدر رحمه الله لخطبة السيّدة فاطمة من أخيها السيّد موسى[٤]، وقد وقع اختياره عليها لأمرين: **أوّلهما:** كونها ابنة عمّه، **وثانيهما:** كونها أخت السيّد موسى الصدر، وذلك لقربه منه وتعلّقه به[٥].

وبعد فترة وجيزة، وفد السيّد موسى من لبنان يزور أهله، وكان قد استقرّ في تلك الفترة في لبنان استقراراً كاملاً.. وبعد وصوله بأيّام استدعى أخته السيّدة فاطمة وانعزل بها، وفاتحها بتقدّم السيّد الصدر رحمه الله لخطبتها، فانكمشت وخجلت، وأبدت التردّد، بل الرفض، فلم يقبل منها هذا الموقف، وطلب منها تبرير رفضها. فقالت: «**لقد تربّيتُ في بيئة مختلفة عن البيئة التي تربّى فيها السيّد محمّد باقر، وأخاف ألاّ أنسجم مع مجتمع النجف، لاختلاف بعض العادات التي تعوّدت عليها هنا. ثم إنّ هنا أهلي، ولا أستطيع فراقهم، والدتي عزيزة عليّ لا أقوى على فراقها، ولن يستطيع ابن عمّي تلبية رغبتي في زيارة قم متى أردت ذلك، لعسر وضعه المادي، فأنا أعرف أنّ بيت ابن عمّي في العراق يعانون من ضيق ذات اليد، والنجف غربة بالنسبة إليّ. ثمّ إنّي أسمع أنّ رجال العرب يتزوّجون مثنى وثلاث ورباع، فأخاف أن يأتي لي بضرّة تكدِّر عيشي. ثمّ عليك أن تراعيني وتأخذ بالاعتبار رأيي...**».

هنا أغرب السيّد موسى في الضحك، حتّى تثنّى وتمايل، واسترسل في ضحكاته وتعليقاته. ولمّا

---

(١) انظر: المدرسة القرآنيّة: ٣٣٥.

(٢) انظر تفاصيله في: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٨٧ ـ ٨٩.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٨٩. والسيّد الآخر هو السيّد حسين شرف الدين الذي تقدّم لخطبة السيّدة رباب، والتي سافرت مع أخيها السيّد موسى إلى لبنان لهذا الغرض كما يأتيك بإذن الله.

(٤) هذا منّا، وقد أضفناه استفادةً ممّا يأتي.

(٥) من: مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

سكن عنه الضحك، قال لها وعلامات الجد ترتسم في محيّاه: «اسمعي يا فاتي خانم[١]: «**إنّ الخُطّاب يتوالون لخطبتك، وأنت رفضتِ كلّ من تقدّم إلى الآن، وكنّا نقول: إنّ من حقّك الاختيار. ولقد كنت تعلّلين الرفض بأنّك لا تريدين الارتباط بطالب علم مبتدئ، يتأبّط كتاب (اللمعة) غادياً رائحاً إلى درسه، أو إلى دروس السطوح الأخرى، وتتشبّثين برأيك بأنّك لن تتزوّجي إلاّ ممّن أتمّ مشواره في التحصيل العلمي وأصبح يعد من العلماء المجتهدين، وكنّا نحترم هذا الطموح الكبير منك، ونثق في رأيك واختيارك. واليوم ها قد وصل رجل السنايا والطموح، ها هو قد أتى طارقاً بابك، طالباً قربك، ولئن كانت البيئة قد اختلفت، فلن تختلف القلوب. وأمّا العادات، فإن تغايرت فلسوف تنسلُّ من بين المحبّين، لتنصهر أرواحهم في بوتقة العشق المتسامي...**». قال ذلك وقد عادت البسمة إلى وجهه الصبوح.

ثمّ أردف: «**أمّا زيارة الأهل: فأنا أضمنها لك، متى أحببت المجيء إلى قم فأنا بخدمتك، ابن عمّك لا شأن لـه بذلك، وأعدكِ أيضاً بأنّه لن يتزوّج بأخرى.. هذا وعدٌ منّي لك وميثاق، تيقّني من ذلك، إنّي لا أريد لك إلاّ الخير**».

وهنا تهدّج صوته وحنى على أخته بكلمات لازالت تتغلغل في صدرها، حيث قال: «**اعلمي يا فاتي خانم أنّ هذا الرجل من أعزّ الناس عليّ، وقد جاء خاطباً أعزّ أخواتي لديّ، لقد تسنّى لك ما لم يتسنّ لغيرك، تأكّدي يا أخيّة أنّ السيّد محمّد باقر مثله لن يتكرّر، فهو وحيد دهره، إنّي لأشهد أنّه صدّيق من الصدّيقين. عزيزتي! إنّ فاطمة سيّدة النساء لم يكن لها كفؤٌ إلاّ علي، وإنّي أقول الآن: إنّ فاطمة خانم ليس لها كفؤٌ إلاّ محمّد باقر الصدر، ذريّة بعضها من بعض، [خذيه، فإنّه رجلٌ غير عادي وليس له مثيل، وسوف يكون له مستقبلٌ عظيم]**[٢]».

ثمّ قال: «**فاتي خانم ، إنّ لك من الذكاء والفطنة وقوّة الشخصيّة ما سيجعلك قادرة على تطويع دنياك، ستنجحين، وستكونين لنا قرّة عين إن شاء الله**»[٣].

سفر السيّد موسى الصدر وأمّه وأخواته إلى لبنان تمهيداً للزواج

كان السيّدان موسى ومحمّد باقر الصدر قد اتّفقا على إجراء مراسم الزواج في لبنان، لأنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يكن يرغب آنذاك في المجيء إلى إيران، إذ كانت ترزح تحت وطأة الشاه، والأوضاع السياسيّة فيها مضطربة آنذاك. وللسيّد الصدر رحمه الله موقفٌ حاسمٌ منها، فكان لبنان بلداً ومكاناً مناسباً وملائماً للطرفين، [وقيل: ليتسنّى لهم قضاء أوقاتهم في جوٍّ وطقس لبنان بدل طقس إيران، ومن ناحية أخرى تتاح الفرصة للسيّد محمّد باقر بتجديد العهد بوطن أجداده][٤].

وبعد أن تمّت الموافقة على الخطبة عقد السيّد موسى الصدر عزمه على الرجوع إلى لبنان مع عائلته، مصطحباً معه أمّه السيّدة صفيّة وأختيه فاطمة ورباب ذات الخمسة عشر ربيعاً، وذلك بهدف التعرّف على أجواء البيئة العربيّة والاندماج فيها، ولتعلّم اللغة العربية؛ إذ لم تسنح لهم قبل هذا الأوان

---

(١) يطلق الإيرانيّون اسم (فاتي) على (فاطمة) للتودّد، كما يطلق العراقيّون (علاّوي) على (علي).

(٢) ما بين [] من: مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٨٩ ـ ٩٤.

(٤) ما بين []: حدّثني به السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م.

فرصة لذلك، ولا قدِّر لهم السفر خارج إيران طوال هذه السنين[١].

وفي تشرين الثاني/١٩٦١م (جمادى الأولى ـ الثانية/١٣٨١هـ) سافر السيّد موسى مع والدته وأختيه فاطمة ورباب إلى لبنان، ثمّ لحقت بهما بعد ذلك أختهما بتول مع زوجها الشيخ هادي عبادي[٢].

السيّدة فاطمة في لبنان

وصلت العائلة إلى لبنان ليستقرَّ بها المقام في بيت السيّد موسى في مدينة صور. ولأنّ وصولهم كان في ابتداء العام الدراسي في تلك السنة، صار لزاماً عليهم أن ينتظروا شهوراً ريثما تحلّ أيّام العطلة الصيفيّة، حيث تكون الأجواء والظروف أكثر ملائمةً لإتمام حفل الزواج.

ومرّت بالفعل سبعة أشهر أو أكثر، تعلّمت خلالها السيّدة فاطمة ما أمكنها تعلّمه من اللغة العربيّة، وصارت تتحدّث باللهجة اللبنانيّة خلال أربعين يوماً. وقد استعانت في ذلك بكتاب في تعليم اللغة، إضافةً إلى احتكاكها الدائم ببنات وحفيدات بيت السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله وذريّته وبني عمومتها الذين تربطها بهم علاقة الرحم والقرابة.

لقد استقبلهم آل شرف الدين بحفاوة وترحاب وتجليل وتكريم وعناية، فكانوا يجتمعون بهم في أكثر الأيّام مساءً أو ليلاً، فقد كان تزاورهم مستمرّاً، واستفاد الوافدون كثيراً من هذه المجالس الدائمة في التعرّف على مجمل أوضاع الحياة هناك وفي المنطقة المحيطة، وما يرتبط بذلك من عادات وتقاليد في المأكل والملبس والسفر والزواج وحفلات السهر والأفراح والأتراح... ولطالما اصطحبت بعضهنّ السيّدة فاطمة للتبضّع والتسوّق.

كانت السيّد ةفاطمة تحرص على ارتياد المكتبات التي تعرض للبيع كتباً في مختلف صنوف المعرفة، وقد اشترت مجموعةً من القصص والروايات من روائع الأدب العالمي، من قبيل (أحدب نوتردام)، (الرجل الضاحك)، (البؤساء) وغيرها، رغم أنّها قرأت هذه الروايات عندما كانت في قم بترجمتها الفارسيّة، لذلك لم تجد صعوبة في فهم ترجمتها العربيّة، لأنّ الأحداث المرويّة فيها كانت حاضرة في ذهنها. وتتذكّر السيّدة فاطمة أنّها أثناء قراءتها رواية (أحدب نوتردام)، عندما وصلت إلى مقطع كان الحديث فيه عن المئذنة والجرس، جرت في ذهنها مقارنة بين الترجمتين: العربية والفارسيّة، وكلّما تعثّرت في استيعاب بعض النصوص العربيّة، كانت ذاكرتها تسعفها، فما كانت قد قرأته سابقاً بالفارسيّة يساعدها على فهم ما سجّل بالعربية. أو لعلّها كانت تسأل الذين كانوا من حولها.

في تلك الأشهر السبعة ـ قبل الزواج ـ تسنّى للقادمين التجوال في ربوع لبنان، بجباله وسهوله ومنتجعاته، وذلك في رعاية السيِّد موسى الصدر[٣].

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٦ ـ ٩٧.

التحضير للزفاف

بدأت الاستعدادات تجري للتحضير للزواج، وكان السيّد موسى حريصاً على جعل حفل الزفاف بهيجاً كبيراً يليق بشأن رجل مثل السيّد محمّد باقر، الذي صار من قبل ذلك الحين رجلاً معروفاً في الآفاق بكونه فقيهاً فيلسوفاً مفكّراً، على صغر سنّه نسبيّاً، ولذلك نوى السيّد موسى أن يدعو لـه ثلّة كبيرة من رجال الفكر والمجتمع، وشخصيّات من مختلف الطوائف. وقد حضّر الأجواء والتجهيزات لجعل الزفاف كالمهرجان الثقافي والاجتماعي، على أن يقام في نادي (الإمام الصادق عليه السلام)[(١)].

وفاة السيّد محمود شرف الدين رحمه الله وإلغاء مراسم الحفل

في ٢/شوّال/١٣٨١هـ (١٩٦٢/٣/٩م) توفّي في صور السيّد محمود شرف الدين رحمه الله (أبو رضا)، نجل السيّد حسن ابن السيّد محمود ابن السيّد جواد، والسيّد جواد هذا هو جدّ السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله. ونقل جثمان السيّد محمود إلى النجف[(٢)].

عندها عمّ الأسى والحزن كثيراً من الساحات، وجلّل كثيراً من البيوتات ذات الشأن، فما كان منهم إلاّ أن ألغوا جميع الترتيبات التي كانوا بصدد إنجازها، وتقرّر أن يتمّ الزواج ويحتفل لـه بشكل مختصر، فيقتصر الأمر على احتفال نسائي تحضره المقرّبات من العائلة، وذلك في نفس منزل السيّد موسى بمدينة صور[(٣)].

وصول السيّد الصدر رحمه الله وذويه إلى لبنان

وفي شهر أيّار/١٩٦٢[(٤)] انطلق السيّد الصدر رحمه الله إلى لبنان مع والدته الحاجّة بتول وأخته السيّدة بنت الهدى، ووصلوا يوم الأربعاء ٥/ذي الحجّة/١٣٨١هـ (٩/أيّار/١٩٦٢م) رحمهما الله[(٥)].

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٧.

(٢) بغية الراغبين ١: ٤٥٠. والمفهوم ممّا دوّن من مذكّرات السيّدة أم جعفر الصدر أنّ وفاة السيّد محمود رحمه الله كانت بعد وصول السيّد الصدر رحمه الله إلى لبنان (انظر: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٧)، والصحيح ما أثبتناه، فقد وصل السيّد الصدر رحمه الله إلى لبنان في ٥/ذي الحجّة/١٣٨١هـ على ما يأتيك بإذن الله.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٧.

(٤) **(أ)** ذكرت لي السيّدة فاطمة الصدر (أم جعفر) في جواب عن سؤال أنّ السفر الأوّل للسيّد الصدر رحمه الله إلى لبنان كان عام ١٩٦١م، حيث قضى حدود ثلاثة أشهر رجع بعدها إلى العراق في شهر آب/١٩٦١م. وهذا يعني أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان قد سافر إلى لبنان حدود أيّار/١٩٦١م، وهو يصادف شهر ذي القعدة ـ ذي الحجّة/١٣٨٠هـ.

هذا ولكنّ (اقتصادنا) لم يكن قد صدر آنذاك، ومن المقطوع به أنّ زواج السيّد الصدر رحمه الله كان بعد صدور (اقتصادنا)، بل قيل: إنّ السيّد الصدر رحمه الله تزوّج من المال العائد عليه من (اقتصادنا). وربّما كان اعتماد السيّدة أم جعفر على التاريخ الهجري وكانت تقصد (١٣٨١هـ) وقالت تسامحاً (١٩٦١م)، وغالباً ما يقع منّا هذا التسامح.

(ب) ذكر السيّد محمّد الغروي أنّ ذلك كان عام ١٩٦٢م.

(ج) ذكر لي السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م أنّ عقد قران السيّد الصدر رحمه الله على السيّدة فاطمة كان قبل خطوبته والسيّدة رباب بأيّام، وأنّ السيّد الصدر رحمه الله سافر إلى لبنان ليقضي ما يقرب من شهر قبل حلول محرّم/١٣٨٢هـ وليعود إلى العراق في مطلع ربيع الأوّل كي لا يؤثّر ذلك على تدريسه.

فالصحيح إذاً أنّ ذلك كان في شهر أيّار/١٩٦٢م (ذي الحجّة ١٣٨١هـ ومحرّم ١٣٨٢هـ)، ولم يكن سنة ١٣٨٣هـ كما في بعض المصادر (وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٧).

(٥) مستفاد من رسالة السيّدة بنت الهدى رحمها الله الآتية. وقد قيل: إنّ السيّد إسماعيل الصدر هو الذي اصطحب السيّد الصدر رحمه الله

وقبل أن يسافر، سلّم السيّد الصدر رحمه الله بيته إلى السيّد ذيشان حيدر جوادي الذي سكن في البيت، ورتّب له المكتبة ترتيباً فنيّاً استأنس به رحمه الله[١].

استقبال السيّد موسى الصدر ابن عمّه

وفي صور استقبل السيّد موسى الصدر ابن عمّه السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله، وقد أحبّ السيّد موسى أن يعرف المثقّفون اللبنانيّون شيئاً عن نبوغ السيّد الصدر رحمه الله، ففتح له الباب على أكثر من مثقّف وعالم، وكان السيّد الصدر رحمه الله قادراً على تحريك الجلسات العلميّة بشكل عجيب، الأمر الذي بهر العلماء والأدباء[٢].

وفي لبنان التقت السيّدة فاطمة الصدر لأوّل مرّة زوجة عمّها والدة السيّد الصدر رحمه الله، وكانت في السابعة والستّين من عمرها. وقد لاحظت عليها أنّها دائمة الاتّشاح بالسواد، وبقيت مجلّلة به إلى أن توفّاها الله، لم ترفعه عنها يوماً منذ عرفتها[٣].

تقول السيّدة أم جعفر: «**في لبنان التقيت لأوّل مرّة أم الشهيد، قبيل زواجي منه بقليل، فرأيتها امرأة جليلة، عظيمة القدر، ذات مهابة وجهامة، كبيرة في السن؛ إذ كانت في السابعة والستّين من عمرها. وقد لاحظت عليها أنّها دائمة الاتشاح بالسواد، وبقيت مجلّلة به إلى أن توفّاها الله، لم ترفعه عنها يوماً منذ عرفتها.**

... من جهتي، منذ دخلت بيت الشهيد، فقد أحببتها وأحبتني، فغدت لي أما، وصرت لها كبنت الهدى وحاولت أن أوحي لها، بأن تعتبرني كإحدى بناتها اللاتي افتقدتهن، وأنا عوض من الله لها.

كانت تناديني إلى أن توفّيت رحمها الله بـ (أم مرام)، وهو اسم ابنتي الكبرى التي درجت بين يدي جدّتها أم الشهيد، وخصّتها بالعناية والمراعاة. بالطبع كانت الحاجة آنذاك قد كبرت وثقلت، ولكن على قدر استطاعتها اختصّت مراماً بمزيد من الرعاية والحب، حتّى أنّي كنت أشتغل تماماً بشؤون البيت دون أن أقلق ذرّة على الرضيعة مرام ما دامت تحت نظر وعناية جدّتها، إلى أن كبرت البنت.

كنت أجلس بجانب الحاجّة أم الشهيد فترات طويلة، نتسامر ونتجاذب أطراف الحديث، وفرطُ سعادتها وانجذابها عندما كان يتّجه الحديث إلى ماضي الذكريات. كانت تحدّثني عن ماضي الأجداد والآباء وأحداث العراق، والأهل والناس»[٤].

وحول وصولهم إلى لبنان تكتب السيّدة بنت الهدى رحمها الله إلى الستّ عزّة رحمها الله زوجة الشيخ عبد الأمير قبلان في أوّل رسالة ترسلها إليها من لبنان:

مع والدته وإنّه هو الذي خطب لأخيه [ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي، (﷿)]، ولكنّ السيّد حسين شرف الدين والسيّدة أم جعفر الصدر نفيا ذلك.

(١) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (﷿) ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد حيدر ذي شان جوادي (﷿)، وفيه: «..وجهاده».

(٢) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٩.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢٧.

(٤) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢٧ ـ ١٢٩.

«بسمه تعالى

صديقتي العزيزة الغالية الست عزّة.

يا الله ما أخلى مكانك في لبنان وما أخلاه في ربوعها وجبالها، وإن كنت دائماً وأبداً في قلبي وروحي، وخصوصاً هنا في بلدك الرائع، فكلّ شيءٍ هنا يذكّرني بك ويرشدني إليك ويدلّني عليك.

وقد وصلنا لبنان في يوم الأربعاء الخامس من شهر ذي الحجّة الحرام، فاستقبلتنا لبنان وأهلها أحسن استقبال وأروعه، وقد فاجَأنا بيت السيّد ابن العمّ[١]، فلم نخبرهم بيوم ورودنا، وإن أخبرناهم بأسبوع السفر، وعندما طرقنا الباب أنا وأمّي فتحت لنا الباب فتاة شابّة [...][٢] قريبة إلى النفس محبّبة [إلى] الروح، فسألناها هل أنت الست فاطمة فقالت: نعم أنا فاطمة، فالحمد لله الذي حقّق فيها أمانينا، فهي كما نرغب ونريد والشكر لله.

لا أدري هل تذكرين أيّامي كثيراً وهل تستشعرين وحشةً ووحدةً في غيابي عنك كما كنتُ أشعر عندما كنتِ في لبنان؟! أرجو أن تكوني مرتاحة من جميع الجهات وأن تكوني معي في اتّصال دائم مستمر، اكتبي لي عن كلّ جديد في النجف الأشرف، حدّثيني عن كلّ شيء، فأنا كثيرة الحنين لبلادي وأخبارها وشؤونها، ابعثي الرسائل إلى صور باسم السيّد ابن العمّ ثمّ اسم أخي العزيز.

عزيزتي، لم [أرَ] إلى الآن شيئاً من لبنان سوى ما رأيناه في طريقنا من الشام إلى صور، وكان [شيئاً] رائعاً جدّاً وإن كان صعود الجبال لا يخلو من مخاطرة وخوف، ولكنّه خوفٌ لذيذٌ على كلّ حال، وسوف أكتب إليك فيما بعد كلّ ما يجدّ في الأمر.

قلت للستّ فاطمة عروسنا إنّ هناك في العراق عندي صديقة لبنانيّة سوف تفهمين كلامها أكثر من جميع العراقيّين.

وأخيراً تقبّلي سلامي وشوقي وحبّي.

سيّدتي الوالدة تهديك سلامها العاطر وشوقها الكثير، ودمتي للمخلصة لك إلى الأبد.

آمنة الصدر»[٣].

وتكتب لها في رسالة ثانية قبيل زواج السيّد الصدر؇ على ما يبدو بعد أن قصدوا بيروت لعرض والدة السيّد الصدر؇ على الطبيب:

«بسمه تعالى

عزيزتي الغالية الست عزّة لا عدمتك.

اليوم أشرقت عليّ شمس رسالتك الحبيبة، وكنتُ من قبل ذلك في صدد الكتابة لك وإخبارك عن صحّة وسلامة أهلك في لبنان بعد أن مررتُ وأنا في طريقي إلى الدكتور مع السيّدة الوالدة في بيروت على دار أهلك العامرة، واهتدينا إليها بسهولة والحمد لله، وأوقفنا السيّارة في الباب ونزلت أنا منها وبقيت السيّدة الوالدة وأخي الغالي ينتظرونني في السيّارة لأنّنا كنّا على موعد من الدكتور، وكان أوان الموعد [قريباً] جدّاً ولكنّي لم أستطع أن أفلت من يدي هذه الفرصة لزيارة والدتك لأكتب لك عنها.

[...][٤].

---

(١) تقصد السيّد موسى الصدر.

(٢) ما بين [] أربع كلمات أسقطناها بعد مراجعة أسرة السيّد الصدر؇ لأنّ بها توصيفاً.

(٣) انظر الوثيقة رقم (٤٧).

(٤) ما بين [] مقاطع أسقطناها لأنّ السيّدة بنت الهدى؇ طلبت في الرسالة نفسها عدم إطلاع أحد عليها.

الهواء لبناني، لبنان عذب جداً ولا أدري مقدار الحرّ عندكم. أرجو أن لا يكون قاسياً في هذه السنة، ولا أدري هل ما زلتم تفكّرون بالسفر إلى إيران أم لا؟

وعلى كلّ حال فمكانكم في لبنان بلدكم العزيز [خالٍ] جداً وخصوصاً بالنسبة إليّ أنا شخصيّاً، فبودّي لو كنّا قد زرنا لبنان في السنة الماضية لكي تكوني أنت موجودة، أو أنّك كنت تأخّرت إلى هذه السنة.

وعلى كلّ حال فإنّ المسلّي الوحيد لي هو قرب اللقاء والرجوع إلى تلك الرحاب الطيّبة الطاهرة، فنحن يا عزيزتي [مخلوقون] لجوّ العراق ولمحيط النجف، مهما بعدت عنها ومهما رأيت أروع منها، وإن كانت النجف بلد التقشّف وعاصمة الزهد، فما أحلى الزهد فيها وما أوسع الضيق في نواحيها.

عزيزتي! لا أستطيع أن أصف لك رصيد الأخلاق السامي الذي نتلقّاه دائماً وأبداً كلّنا في لبنان من جميع طبقاتها كلٌّ بحسبنا لا بحسبه هو، وإنّي الآن أعرف الداعي لحنين المصطافين إلى لبنان، فإنّ لبنان بحق بلد الهواء الطيّب والخلق الطيّب، هداكم الله إلى جادّة الصواب ودمتِ للمنتظرة للجواب.

آمنة»[1].

زواج السيّد الصدر

وفي الطابق الثاني من منزل السيّد عبد الله صفي الدين (أبي هاني) ـ والذي كان قد أعطاه لأخيه السيّد محمّد صفي الدين ـ في مدينة صور اللبنانيّة، عقد السيّد موسى الصدر قران ابن عمّه السيّد محمّد باقر الصدر على أخته السيّدة فاطمة[2]، وكان ذلك يوم الخميس ١٩٦٢/٥/١٧م (١٣/ذي الحجّة/١٣٨١هـ)[3].

وكان ممّن حضر الحفل صديقة مقرّبة إلى نفس السيّدة فاطمة وتربطها بها علاقة الرحم أيضاً، وقد بذلت لها كثيراً من وقتها وجهودها للتجهيز وتحضير لوازم العرس، سواء بمرافقتي للتبضّع والتسوّق، أم بالاستعداد لليلة الزفاف. وقد حاولت هذه الصديقة القريبة أن تلتقط لها صوراً تخلّد ذكرى هذه الليلة، وذلك بآلة تصوير كانت تملكها. ولكنّ السيّدة فاطمة فهمت أنّها تريد الاحتفاظ بالصور عندها، فلم يطاوعها قلبها أن تترك صوراً عنها في لبنان وهي بكامل زينتها ثمّ ترحل عنها، فلم تتردّد في الرفض، ولم يكن ذلك منها لقلّة ثقة فيها، فإنّها كانت ـ وشهادة السيّدة فاطمة لله ـ امرأةً طاهرة متديّنة محبّة لها، غير أنّ ما أقلقها هو أن تتناقل الصور بين الأيدي بغير علمها، فإنّ الأبناء والبنات يكبرون، وقد تقع بين أيديهم وأيديهنّ، وهذا ما تخشاه.

وفي عقد الزواج، أمهرها السيّد الصدر نسخة من كتاب الله المجيد، و خمسمائة درهم فضة على طبق السنّة المحمديّة الشريفة... وكذلك أهداها سواراً من الذهب مرصّعاً باللؤلؤ، كلّ ذلك ـ

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٤٨).

(٢) ذكر لي ذلك كلاً: السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م وبعضاً: السيّدة فاطمة الصدر (أم جعفر) ضمن أجوبتها عن أسئلتي ؛ والسيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ؛ والحاج محمّد يوسف سويدان بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م. أمّا ما تقدّم من أنّ ذلك كان في بيت السيّد موسى الصدر: فلعلّ الحفلة النسائيّة كانت هناك، وكان الرجال في بيت السيّد صفي الدين.

(٣) ذكر لي السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٥م أنّ ذلك كان حوالي ١٥/ذي الحجّة/١٣٨١هـ ولمّا كانت العادة أن يكون ذلك يوم الخميس (ليلة الجمعة)، وكان يوم الخميس القريب من ١٥/ذي الحجّة يقع في ١٩٦٢/٥/١٧م [= ١٣/ذي الحجّة/١٣٨١هـ بحسب ما جاء في العدد ٤٩٣٢ من صحيفة (الحياة)]، فقد بنيتُ على ما في المتن.

أي مجموع المهر وقطعة الحلي(١) ـ هيّأه السيّد الصدر من حُرِّ ماله ومن يراع قلمه، إذ أنّه كان عصاميّاً ملتزماً بنهج خاص في التعامل مع أموال الحقوق الشرعيّة. ومن هنا كان حريصاً على أن تكون جميع تكاليف ومصاريف المهر وزفاف العرس وبيت الزوجيّة، ممّا يحصِّله هو بنفسه وبتعبه. ولذلك فقد صبر وتأخّر في الزواج إلى أن يتمّ إنجاز كتابة وطبع سفريه: (فلسفتنا) و(اقتصادنا)، فاستفاد من عوائد نشر هذين الأثرين في ترتيب زواجه(٢)، ولم يكن ذلك من موقوفة خصّصت لتزويج السادات على ما جاء في بعض المصادر(٣).

وهكذا اقترن السيّد الصدر بعروسه وقد أتمّت التاسعة عشرة من عمرها(٤)، بينما كان هو قد أتمّ الثامنة والعشرين الهجريّة من عمره(٥).

وبعد زواج السيّد الصدر كتبت السيّدة بنت الهدى إلى الستّ عزّة رسالةً ثالثة جاء فيها:

«عزيزتي الغالية وصديقتي الوفيّة الستّ عزّة.

سلامٌ وحبٌّ وحنين وشوق، وبعد.

فقد تلقّيت بكمال اللهفة وبعد طول [انتظار] وفارغ الصبر رسالتك الحبيبة وكانت ـ كعهدي برسائلك دائماً ـ تطفح بالحبّ وتعجّ بالمعاني الخيّرة، وكانت هي أوّل رسالة تردني من العراق مهنّئة ومباركة، وكانت أيضاً أعزّ رسالة عندي وأحبّها إليّ، ولا غرو فلا زلت أنت يا صديقتي السبّاقة لكلّ لطف نحوي خصوصاً، فلك الفضل والمنّة، وإن كنتُ أرى أنّي جديرة بحبّك ولائقة لكلّ عواطفك الصادقة، لا لميزة فيّ أو فضلٍ لديّ ولكن لما يحمله قلبي لك من حبٍّ وإخلاص وإعجاب وإكبار، فأنا كنتُ ولا أزال أيضاً أُكبر فيكِ كبر نفسك وسموّ روحيّاتك وترفّعك عن مستوى غيرك من ضعاف الشخصيّة ومتقلّبي الفكرة، ثمّ إنّي أراك قريبة إليّ قرباً غير قرب الحبّ والصداقة، فأنت مثلي بصمودك أمام التيّارات وبتعاليك عن السفّ إلى الحضيض.

عزيزتي!

ما أخلى مكانك في لبنان وما [أملأه] في قلبي، وما أخلى مكاني في العراق، ولا أدري هل أسمح لنفسي أن أقول: ما [أملأه] في قلبك أم لا؟

وعلى كلّ حال فقلبي لا يزال في العراق وعند أحبّتي هناك، وإن كنتُ هنا مرتاحة مسرورة والحمد لله، فالبيت الذي انتقلنا له بعد العرس هو أفخم بيت في صور ويقع على البحر مباشرةً، وهو في الطابق الثاني(٦)، ولهذا فإنّ موقعه ممتازٌ جدّاً.

هذا عدا الأخلاق العامّة التي نراها من جميع أهل لبنان قاطبةً، صغارهم وكبارهم، شيبهم وشبّانهم،

---

(١) وقد سلبت هذه القطعة عند الهجوم على دار السيّد الصدر بعد إعدامه.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٨ ـ ٩٩.

(٣) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧١ ؛ وهذا ما نفته أسرة السيّد الصدر (من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، مخطوط).

(٤) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٩.

(٥) باعتبار أنّه ولد في ٢٥/ذي القعدة/١٣٥٣هـ ، فليس دقيقاً ما جاء في المصدر السابق من أنّه كان في الثالثة والثلاثين (وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٩، ١٤١). وقد صحّحت ذلك أسرة السيّد الصدر ضمن تعليقتها على كتاب (وجع الصدر..).

(٦) تقصد على ما يبدو بيت السيّد عبد الله صفي الدين.

ولكنّي ومع كلّ هذا أشعر بوحشة ووحدة. نعم؛ وحشة روحيّة ووحدة فكريّة، فأنت تعرفين لبنان وأوضاعها وتعرفين آمنة وأفكارها ومُثُلها التي لا تنحرف عنها قيد خطوة إنشاء الله.

السيّدة الوالدة وبنت العمّ الغالية يسلّمان [ومشتاقتان]، وأنا بدوري أكرّر سلامي وشوقي إليك وإلى جميع الصديقات والأليفات ودمت للمخلصة.

آمنة الصدر
بنت الهدى»[1].

وصيّة صبيحة ليلة العرس

يبدو أنّ العروسين انتقلا إلى كيفون[2]، وصبيحة ليلة العرس جلس العروسان على مائدة الإفطار في شرفة مطلّة على سهل (كيفون)، وكان ممّا دار بينهما في هذه الجلسة أن ابتدر السيّد الصدر رحمه الله عروسه بالحديث بعد سويعة صمت وتأمّل: «**ابنة العم! لا تحسبي أنّني [أتعرّف عليك] لأوّل مرّة، فقد سكنتِ قلبي وعَرفتْكِ روحي مذ حدّثني عنك سيّد موسى. لقد عرّفني على شمائلك، ووصف لي رجاحة عقلك، وعلو همّتك، وكبر ذاتك، وشفافية روحك. لقد عرفت منه تفانيك للخير، وحبّك للغير.. واعتماداً منّي على شمائل الطهر هذه، وحرصكِ على رضا الله، وإيثارك للمصلحة، وتفانيك لمن تحبّين، فإنّ لي إليك طلبتين:**

الأولى منهما: أنا أعلم أَنّك تحبّين الجميع كما أنا، ولكنّي أطلب أن تمحّضي حبَّك بشكل خاص خمسةً من الناس، لي بهم علاقة خاصة: أمّي، فإنّها أمّي، أسعى لإرضائها، وآمل أن تكوني لها بنتاً كابنتها العلويّة بنت الهدى. وأخي الأكبر السيّد إسماعيل الصدر، فإنّه أخي وعضدي وسندي في الآمال والآلام. فأنا بين يديه كالابن أمام أبيه، وكالتلميذ قبال أستاذه.. إنّه لي راعٍ وصديق وحبيب. ثمّ أختي وتوأم نفسي آمنة، فإنّها رغم أنّها تصغرني بثلاث سنوات، إلاّ أنّها صهرت ذاتها في وجودي، وفاءً وفداءً لمقدّس مشترك نسعى للوصول إليه.. إنّها رفيقة نضالي وكفاحي، وشريكتي في مسيري ومصيري، ولسوف تبوح بذلك الأيّام. وكذلك السيّد موسى شقيقك، الذي علّقت عليه كثيراً من آمالي، وتعلّقت به روحي. وأخيراً: الشيخ عبد الحسن البلداوي، فإنّه في مقام والدي، وقد تعهّدني وأختي العلوية بالرعاية منذ طفولتنا عندما توفّي والدي وأنا في الثالثة من عمري. حتّى أنّني لا أتذكّر إلاّ صورة سديميّة عن المرحوم والدي. فكان الشيخ عبد الحسن مسؤولاً عن قضاء حوائج البيت، من توفير لوازم المعاش والعلاج وكلّ الضرورات عندما كنّا في مدينة الكاظميّة.

فهؤلاء الخمسة، انسجمي معهم، وأحبّيهم حبّاً خاصّاً كما أحبّهم.

أما الطَّلبة الثانية ـ وقد قالها مازحاً في ابتسامة محببة،أشرق لها وجهه ـ : **أريد منك أن تنجبي لي فتيات ثلاثاً، هنّ في حسنهنّ كالذي تصفه الأمّهات في أقاصيصهنّ لأطفالهنّ، ومن بعدهنّ أتحفيني بصبيٍّ يكون قرّة عين لي ولك**». ولمّا استفهمته لِمَ يحبُّ أن يرزق بفتيات قبل الصبي؟ أجاب: «**إنّ الولد يحتاج منّي لتفرّغ وعناية خاصّة، فهو يشكّل مسؤوليّة أثقل من مسؤوليّة تربية البنت، ولست في حال يسمح لي بهذا التفرّغ،**

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٤٩).

(٢) يظهر هذا ممّا يأتي، وكان الحاج محمّد يوسف سويدان قد أخبرني بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م أنّ ذلك كان في بيت السيّد عبد الله صفي الدين الذي قدّم لهما فطور العروسين اللبناني، وهو عبارة عن (السودا)، أي الكبد.

وأخاف أن أقصّر في حقّه. وأمّا البنات، فإنّي أعلّق أملاً على قدرتك الخلاّقة على رعايتهنّ وتنشئتهنّ دون جهد كبير منّي. وإنّي سأكلّفك مسؤوليّةً أعلم أنّها شاقّة، لكنّك نعم العون على أمر الدين والدنيا.. إنّ البيت بكلّ شؤونه أمانة في عنقك»[١].

السفر إلى الشام للزيارة

بقي العروسان في (كيفون) عدّة أيّام بعد الزواج، ومن بعدها قرّر السيّد الصدرؒ السفر لمدّة أسبوع للترويح والزيارة إلى بلاد الشام في سوريا. وهناك تشرّفا بزيارة عقيلة البيت الهاشمي السيّدة زينب عليها السلام، وطفلة الحسين المظلومة رقيّة، وسائر مقامات أهل البيت عليهم السلام[٢].

الانتقال إلى جباع للاستجمام

بعد مضي أسبوعٍ في ربوعِ بلاد الشام، عاد العروسان إلى لبنان، حيث بقيا ثلاثة أشهر ينتظران زواج السيّدة رباب الصدر من السيّد حسين شرف الدين حفيد السيّد عبد الحسينؒ[٣].

وكان السيّد الصدرؒ قد عزم على السكن في بلدة جباع لمدّة، ولمّا علم بذلك الحاج محمّد علي فيّاض (أبو علي) سعى مع ابن عمّه محمّد عبّاس فيّاض إلى تأمين المكان، فاستقرّ الرأي على غرفة تابعة للأخير، فقاما بتجهيزها وترتيبها وتأمين احتياجاتها على وجه السرعة، وقد سكن فيها السيّدّ الصدّرؒ حوالي أربعين يوماً[٤] تخلّلها بعض الزيارات التي كان يقوم بها إلى صور[٥].

الاشتغال بمادّة (الأسس المنطقيّة للاستقراء)

وفي جباع كان السيّد الصدرؒ منشغلاً بكتابه (الأسس المنطقيّة للاستقراء) الذي لم يرَ النور إلاّ لاحقاً[٦]، ولم يكن بعدُ قد اتّخذ صورة كتاب[٧].

وكانؒ لا يفارقه قلمه وأوراقه التي كان يصطحبها معه حيثما حلّ وارتحل، وفي كلّ وقت. وكان كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) رفيق السيّدة فاطمة وشريكها في أيّامها الأولى التي اقتحمت فيها حياة السيّد الصدرؒ، فإنّه ورغم حرصه على إعطاء تلك الأيّام الأولى نكهتها الخاصّة،

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٩٩ ـ ١٠١.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠١.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠٢.

(٤) حدّثني بذلك الحاج محمّد علي فيّاض (أبو علي) في داره في بلدة (جباع) بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٤م. وانظر صورة المنزل في الملحقات.

(٥) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م. وقد حدّثني عن سكناهم في جباع السيّد جعفر الصدر نجل السيّد الصدرؒ في داره بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٠م.

(٦) ذكرت لي ذلك السيّدة أم جعفر الصدر. وحيث يظهر لنا ضمن أحداث سنة ١٣٨٣ هـ أنّ فكرة (الأسس المنطقيّة للاستقراء) انقدحت في ذهن السيّد الصدرؒ سنة ١٣٨٣هـ أثناء وصوله إلى مباحث القطع من دورته الأصوليّة، فقد راجعتُ في ذلك السيّدة أم جعفر مجدّداً محتملاً أن يكون ذلك سنة ١٣٨٩هـ أثناء زيارته الثانية إلى لبنان، إلاّ أنّها أكّدت لي أنّ ذلك كان في زيارته الأولى، ولعلّ ذلك كان عبارة عن الأفكار الأولى للكتاب.

(٧) سيتّضح للقارئ ضمن أحداث السنوات الآتية أنّ هناك مجموعة من المراحل الفكريّة سبقت ظهور (الأسس المنطقيّة) على شكل كتاب.

كونها أيّام ترويح و(عسل) وسفر، إلاّ أنّه لم يكن يفرغ ساعة من الوقت حتّى يباشر للفور في إكمال مهمّته بلا أيّ توان. وكانت عروسه تسأله أحياناً: «**ابن عمّي! ألا ينبغي أن تعطي لنفسك إجازة ـ ولو محدودة ـ عن اشتغالاتك واهتماماتك الدؤوبة؟**»، فكان يردّ: «**[إنّني لا أستطيع ترك الكتابة في كلّ الأوقات السعيدة منها والحزينة**[1]**] إنّ هذا الدور الذي أقوم به، وهذا العمل الذي أشتغل به، هو لي وجودٌ وحياة، إنّه دنياي وآخرتي، إنّه الهواء الذي أتنفّسه، والمستقبل الذي أرنو إليه. وهذا الكتاب على الخصوص، الذي أنا مشتغلٌ بتأليفه، أرجو أن يوفّقني الله لأن أجعله إضافةً علميّةً متميّزة في حقله**»[2].

رسالة حول (الأضواء)

ومن لبنان كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله حول مجلّة (الأضواء):

«إنّ هذه الأداة التي تغزو في هذا النطاق ـ الواسع ـ ناهيك عن أثرها في داخل العراق، لجديرة بالاهتمام مهما كانت ضعيفة الآن. فليقال لمقام سيّدنا[3] دام ظلّه، افترضوا أنّ كتاباً إسلاميّاً يطبع على نفقتكم في كلّ سنة، وإنّ فائدة الأضواء أكثر من الكتب بكثير، وليقال له: إنّ نور (الأضواء) نفذ حتّى إلى القرى التي استطاعت أن تصل إليها في لبنان»[4].

بعض ما جرى مع السيّد الصدر رحمه الله

قيل: إنّ السيّد الصدر رحمه الله أثناء زيارته هذه إلى لبنان قام بزيارة قصر الأمير بشير الشهابي في منطقة بيت الدين.

وكان المرشد السياحي يطوف بالسائحين يعرّفهم على آثار الأمير بشير، حتّى إذا وصلوا إلى قبره أخذ يتكلّم عن مآثره وعن عزله في آخر عمره عن حكم لبنان وفرض الإقامة عليه في (اسطنبول) حتّى توفّي هناك، وعن إعادة رفاته أخيراً إلى لبنان ثمّ قال: «**أمّا عن دين الأمير بشير، فهناك من يقول: إنّه كان مسيحيّاً ومنهم من يقول إنّه كان درزيّاً. وعلى كلّ حال، فليس ذلك المهمّ بل المهمّ أنّه إنسانٌ وطنيٌّ ارتبط بتربة هذا الوطن وخدمها**»، فوافقه السيّاح وقالوا: «**نعم**».

عندها سأله السيّد الصدر رحمه الله: «**أيّها الأخ هل تعتقد أنّ الإنسان يقيّم بالتراب؟! تراب الأرض الذي ينتمي إليه؟!**»، فتحيّر الرجل، فقال السيّد للسيّاح: «**لو كانت قيمة الإنسان تنبع من تراب الأرض لما كان للفكر والعقيدة أهميّة كما تفضّل الأخ، ولكنّ الإنسان يقيّم بفكره وعقيدته ومنه تنبع قيمته، ولذلك فإنّ قيمة**

---

(١) ما بين [] من: مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠١ ؛ وانظر: زيارة شهيد العصر الإمام السيّد محمّد باقر الصدر:١٣. وربّما يفهم من المصدر الأوّل أنّ هذه الأحداث وقعت في سفره إلى الشام، ولكنّ السيّدة أم جعفر ذكرت لي أنّها كانت في جباع، والجمع ممكن، فلعلّه كان مشتغلاً بذلك في المكانين.

(٣) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

(٤) الجهاد السياسي للإمام الشهيد السيّد الصدر: ١٨. وقد بنينا على رجوع تاريخ الرسالة إلى هذا التاريخ:

أوّلاً: لأنّه يكتب إلى السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ويقول له: «فليقال لمقام سيّدنا..»، وكأنّ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله كان إلى جانب والده السيّد محسن رحمه الله، وبما أنّه يكتب إليه رسالةً فهذا يعني أنّهما بعيدين عن بعضهما البعض، ومجموع الأمرين يعني أنّ السيّد الصدر رحمه الله هو الذي كان خارج النجف.

ثانياً: لأنّ الشهادة التي يدلي بها السيّد الصدر رحمه الله حول وصول (الأضواء) إلى القرى في لبنان يبدو أنّها شهادة حسيّة منه، وهذا يعني أنّه كان في لبنان.

الأمير بشير وغيره هي قيمة فكره وعقيدته التي يتبنّاها وينتمي إليها ويخدمها».

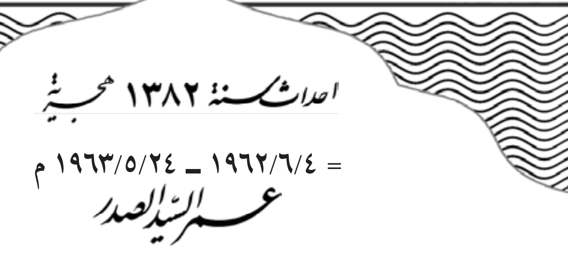
فوافق الحاضرون ومعهم الدليل وقالوا: «**نعم، نعم**»، ثمّ أفاض السيّد بالحديث عن الموازين الغربيّة الجديدة التي يريد المستعمرون إشاعتها وتغذيتها بين المسلمين مثل ميزان القوميّة والوطنيّة والعشائريّة والأسريّة والفئويّة وإحلالها محلَّ ميزان الإسلام العقائدي العملي[1].

***

(١) صحيفة (الشهادة)، ٢٨/رجب/١٤٠٦هـ نقلاً عن الشيخ علي كوراني ؛ وانظر: صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (٨٥)، ١٩٩٦/٤/٤م، مقابلة مع الشيخ علي كوراني.

وظاهر كلام الشيخ كوراني في المصدر الثاني أنّ القصّة ترجع إلى سنة زواج السيّد الصدر، وأنّه سمعها منه بعد رجوعه من لبنان. ولكنّ السيّدة أم جعفر الصدر ذكرت لي أنّ السيّد الصدر لم يزر أيّة منطقة سياحيّة في لبنان، وهو ما ذكره لي السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م. ثمّ إنّه لا يعقل أن يكون السيّد الصدر قد زارها وحيداً وهو حديث العهد بالزواج، ولا تطّلع زوجته على ذلك.

ومن الممكن أن ترجع الحادثة إلى سنة ١٣٨٩هـ ـ وإن كان خلاف ظاهر كلام الشيخ كوراني ـ باعتبار أنّ السيّد الصدر كان وحيداً في جباع، والتحقت به زوجته بعد فترة. إضافةً إلى أنّه قد زار كيفون، على ما يأتيك مفصّلاً ضمن أحداث سنة ١٣٨٩هـ. ويؤيّده ما سمعته من الشيخ عبد الأمير شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٤م في بلدة جباع من أنّه التقى بالسيّد الصدر صيف ١٩٦٩م في بلدة (كيفون)، فربّما كان السيّد الصدر قد قصد هذه المناطق عام ١٩٦٩م ولم تطّلع زوجته على ذلك. كما أنّ الشيخ كوراني قد التقى بالسيّد الصدر سنة ١٣٨٩هـ بعد أن غادر إلى الكويت سنة ١٣٨٧هـ.



٢٨ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٧ سنة و٣ أشهر و٣ أيّام م

❊❊❊

السيّد الصدر رحمه الله والشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله

في لبنان تعرّف السيّد الصدر رحمه الله على الشيخ محمّد جواد مغنيّة وعلى السيّد هاشم معروف الحسني رحمهما الله، وكانت بين الثلاثة ذكريات عطرة كانوا يذكرونها في مجالسهم[(١)]، فقد كانوا يتسامرون أحياناً في منزل السيّد هاشم معروف وأخرى ينزلون ليلاً إلى البحر للسباحة[(٢)].

وذات مرّة كان السيّد الصدر والشيخ مغنيّة رحمهما الله في سيّارة (من النوع القديم)، فانشطرت بهما أثناء سيرها وذهب كلٌّ منهما إلى جهة ونجا[(٣)].

ومن الأيّام التي قضاها الاثنان سويّاً، يوم ١٢/محرّم/١٣٨٢هـ (١٩٦٢/٦/١٥م)، وكان ذلك في بيروت على ما يبدو. وقد ذهب بهما الحديث إلى النجف الأشرف، وقد أثنى السيّد الصدر رحمه الله فيمن أثنى عليهم على الشيخ عبد الهادي الفضلي.

وفي اليوم نفسه كتب الشيخ مغنيّة رحمه الله إلى الشيخ الفضلي يقول:

«بسم الله

حضرة العلاّمة الفاضل الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمضيتُ هذا اليوم ١٢ المحرّم/٨٢ مع سماحة الحجّة الأخ السيّد محمّد باقر الصدر، وذهب بنا الحديث إلى النجف عليها السلام، فأثنى السيّد فيمن أثنى عليكم وأنّكم موضع الأمل، فشعرتُ بالغبطة لهذه البشرى، وتذكّرت هديّتكم القيّمة «مشكلة الفقر»، وأحسب أنّي لم أشكركم يومذاك، فهل تتفضّلون بقبول المعذرة مع الشكر والاحترام !.

محمّد جواد مغنيّة

بيروت . الشياح»[(٤)].

---

(١) مقابلة مع الشيخ يوسف عمرو (حفظه الله).

(٢) ذكر لي ذلك هاتفيّاً الدكتور كاظم هاشم معروف الحسني بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٤م.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م في منزله في بدنايل، ولم يحدّد لي ما إذا كان ذلك عام ١٩٦٢م أم ١٩٦٩م. وقد حدّثني الشيخ عبد الرسول حجازي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠م أنّ الشيخ مغنيّة رحمه الله كان يتحدّث ذات مرّة بحضور السيّد الصدر رحمه الله والسيّد محسن فضل الله والشيخ حجازي، فأتى على ذكر (الكرّوسة) ـ وكانت عادته الكلام بطريقة عاميّة (قرويّة) ـ ، فالتفت أحد الحاضرين إلى السيّد الصدر رحمه الله وقال له: «هل تعرف معنى الكرّوسة»، فقال له: «لا، الشيخ يتكلّم وأنا أسمع»، فقال له: «معناها الطريق» اهـ . ويبدو أنّها طريق (الرجل) باصطلاح أهل القرى.

(٤) انظر الوثيقة رقم (٥٠).

السيّد محسن الحكيم رحمه الله يدعو إلى دعم مجلّة (الأضواء)

في ٢/ربيع الأوّل/١٣٨٢هـ (١٩٦٢/٨/٣م) كتب السيّد محسن الحكيم رحمه الله داعماً مجلّة (الأضواء):

«بسم الله الرحمن الرحيم، وله الحمد

إلى إخواننا المؤمنين وفّقهم الله تعالى مراضيه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد بلغنا أنّ نشرة الأضواء الإسلاميّة مدينة بمبلغ يقارب الخمسمائة دينار عراقيّة، ولمّا كانت الفوائد الدينيّة المترتّبة على وجود هذه النشرة وبقائها كثيرة، فالمأمول من إخواننا الاهتمام بوفاء ديونها ولو كان ذلك من سهم الإمام (ع)، والله سبحانه وتعالى وليُّ التوفيق والقبول.

محسن الطباطبائي الحكيم

٢ ع ١ ١٣٨٢»[(١)].

السيّد الصدر رحمه الله في القماطيّة

يوم الأحد ١٩٦٢/٨/٥م (٤/ربيع الأوّل/١٣٨٢هـ) كان السيّد الصدر رحمه الله مع السيّد موسى الصدر في بلدة القماطيّة حيث كان الأخير يصطاف، وقد التقى في منزل الأخير بالشيخ حسن ملك الذي كان عازماً في اليوم التالي على المغادرة إلى النجف الأشرف من أجل التحصيل العلمي. وقد استغلّ الشيخ ملك الفرصة وتوجّه بالسؤال إلى السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**أعطني صورةً عن النجف**»، فأجابه السيّد الصدر رحمه الله: «**النجف خطّان: خطٌّ واعٍ وخطٌّ تقليدي**»، فقال له: «**أعطني نموذجاً عن كلا الخطّين**» فأجابه: «**عندما تذهب تميّز بنفسك**»[(٢)].

عودة السيّد الصدر رحمه الله إلى العراق

عند الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم الاثنين ١٩٦٢/٨/٦م (٥/ربيع الأوّل/١٣٨٢هـ) استقلّ السيّد الصدر رحمه الله وزوجته السيّدة فاطمة السيّارة التي حملتهما من قرب منزل السيّد موسى الصدر في صور باتّجاه النجف الأشرف[(٣)]. وقد مرّا أوّل الأمر على الشام حيث تشرّفا بزيارة السيّدة زينب عليها السلام، ومن هناك أكملا طريقهما إلى العراق[(٤)].

وفي الطريق إلى الشام جلس السيّد الصدر رحمه الله في المقعد الأمامي إلى جانب السائق، بينما جلست عروسه في الخلف. ولأنّ الطريق يستغرق عادةً أكثر من نهار كامل، فقد أراد السيّد الصدر رحمه الله يستفيدا من هذا الوقت الطويل في شيء نافع، فكان أفضل شيء يمكن أن يفعلاه في ذلك الظرف،

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٥١).

(٢) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٣) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م. وقد ذكر السيّد شرف الدين أنّ زوجة السيّد موسى الصدر أنجبت في الليلة نفسها التي غادر فيها السيّد الصدر رحمه الله وليدتها (حوراء)، وقد ولدت في صور بتاريخ ١٩٦٩/٨/٦م (الإمام السيّد موسى الصدر، السيّد حسين شرف الدين: ١٥٤). وقد ذكر السيّد ذيشان حيدر جوادي في مقابلة معه (رحمه الله) أنّ السيّد الصدر رحمه الله غاب عن بيته مدّة خمسة أشهر، والصحيح ما أثبتناه وذكرته لي السيّدة أم جعفر الصدر من أنّه بقي في لبنان حدود ثلاثة أشهر.

(٤) ذكرت لي ذلك السيّدة أم جعفر الصدر ضمن أجوبتها عن أسئلتي.

هو متابعة تعلّم السيّدة فاطمة للغة العربيّة.

فبينما كان هو يشتغل بما في يده من كتابة أو قراءة، كان إلى ذلك يكتب الكلمة بالعربيّة على راحة يده ويعرضها لزوجته إلى الوراء، فتكرّرها بدورها وتحفظها وتسجّلها في دفتر عندها. وكانت هذه حركة ظريفة ورائعة ومفيدة، صارا يستلطفان تذكّرها في جلسات سمرهما بين الحين والآخر[١].

الوصول إلى الكاظميّة

كانت الكاظميّة أوّل محطّة نزل فيها العروسان بعد ذلك السفر الطويل، حيث نزلا في بيت السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله أخي السيّد الصدر رحمه الله.

في يومها الأوّل وجدت السيّدة فاطمة الحرّ في الكاظمية خانقاً، فقد كانت مدن العراق أكثر حرّاً بكثير من مدينة قم. والذي راعها أكثر هو الفارق الكبير بين أجواء لبنان في جنوبه وربوعه، حيث فارقته للتو، لتصطدم بهذا الجوّ المختلف، حتّى أنّها كانت تعجب كيف يهنأ للأهل والناس هنا أن يتناولوا طعامهم ساخناً، وكيف لهم أن يشربواويناموا بلا تضجّر ولا تأفّف؟! والأعجب أنّهم كانوا يقدّمون الشاي الساخن بعد الطعام في ذلك الجوّ، ولا من وسيلة للتكييف كالذي يستفاد منه اليوم.

ولم تبدِ السيّد فاطمة أيّ نوع من التبرّم أو الضيق رغم استهوالها وتبرّمها في داخلها. وهنالك فكّرت بينها وبين نفسها: «**ماذا إذا جنّ الليل؟ كيف لي أن أنام؟ إنّ حرارة صيفنا في قم قد تقترب من هذا المستوى، ولكنّها لا تشتدّ هكذا لأكثر من أسبوعين في كلّ موسم [الصيف]. ثمّ يعود الجوّ ليعتدل بالتدريج. وأما هنا في العراق، فلقد سمعتهم يتحدّثون: أنّ الحرّ يبقى بهذا المستوى ضيفاً ثقيلاً يجثم على صدر الأيّام طوال شهور الصيف القائظة**».

والأدهى بالنسبة إلى السيّدة فاطمة أنّهما حلاّ في العراق في شهر آب اللهّاب، حسبما يصفونه في بلاد الشامات. وقد اعتاد الأهالي في العراق على أن يقضوا ليلهم على أسطح منازلهم، تحت السماء، علّهم يصطادون نسمة تائهة تسفسف من شرق إلى غرب أو من شمال إلى جنوب. فباتت السيّدة فاطمة ليلتها الأولى تتقلّى وتتقلّب على مضجع يقضّه قيظ الكاظميّة. وقد اضطرّرت في تلك الليلة أن تنزل إلى الدور الأسفل لترش الماء على نفسها عدّة مرّات، طلباً للتبرّد، أو لتخفيف الحرارة الملتهبة في داخلها ومن حولها.

وفي يوم من تلك الأيّام دعوا من قبل عائلة السيّد محمّد الصدر رحمه الله ـ رئيس الوزراء ومجلس الأعيان السابق ـ والتي كانت تسكن مدينة بغداد القريبة، وذلك بغية التعرّف على قريبتهم العروس الجديدة هذه، والاحتفال بها. وكانت الدعوة ليلاً لتناول طعام العشاء.

عندما دخلت السيّدة فاطمة دارهم وجدتها واسعة متراحبة، تنطق النعمة في نواحيها، ذات حديقة غنّاء. وفي داخل الدار استروحت جوّاً بارداً جعلها تتساءل في نفسها: «**ما لدارهم تختلف؟**

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠٣. قد يبدو لي أنّ بنت الهدى وأمّها لم تكونا معهما، خاصّةً أنّ السيّارة ـ بحسب المصدر ـ كانت صغيرة، فلعلّهما سافرا بسيّارة أخرى، وإلاّ لتولّت بنت الهدى تعليمها وانشغل السيّد الصدر رحمه الله بما في يده،

إنّها غير الدور التي أعرفها إلى الآن في العراق، كلّ شيء فيها متميّز، حتّى هواؤها...». حتّى شراب الضيافة الذي بادؤوهم بتقديمه كان «شربت»، أي من شراب البرتقال البارد، ولم يكن من الشاي الساخن!

تلفّتت السيّدة فاطمة من حولها باحثةً عن مصدر الهواء البارد، فوجدته ينبعث من فتحة صندوق أزرق كبير! ولما سألت السيّدة آمنة عن هذه الآلة التي تنفخ هواءً بارداً أجابت: «**إنّهم يسمّونها (المبرِّدة)**». أعجبت السيّدة فاطمة بذلك، فإنّه شيءٌ تتعرّف عليه للمرّة الأولى في حياتها، ثمّ سألتها: «**هل عندكم من هذه الآلة في النجف؟**»، فأجابتها بالنفي، فقالت في نفسها: «واويلاه، **إنّي أسمع أنّ النجف أكثر حرّاً وقيظاً وجفافاً من الكاظميّة، فكيف سأتمكّن من العيش فيها والحال هذه؟**».

وقفزت إلى ذهن السيّدة فاطمة فكرة، سرعان ما عملت على تنفيذها بعد وصولها إلى النجف. إذ قالت لزوجها هناك فيما بعد: «**ابن عمّي! هذا مقدارٌ من المال من الهدايا التي اجتمعت عندي ممّا قدّم إليّ هديّةً في أيّام زواجنا الأولى، خذها واشترِ لنا بها مبرِّدة كالتي في بيت ابن عمّنا في بغداد. وكذلك أحتاج خزانةً أجمع فيها أواني المطبخ، وبعض اللوازم الأخرى، التي رأيت البيت يفتقر إليها لضرورتها. وهذا مال يكفي لشرائها، فاجلبها جميعاً لنا**»[1].

استقرار السيّد الصدر رحمه الله وزوجته في النجف الأشرف

بعد إقامة دامت عدّة أيّام في مدينة الكاظمية المقدّسة، تحرّكوا متّجهين إلى النجف الأشرف.

وعلى مشارف النجف أشار السيّد الصدر رحمه الله بيده إلى زوجته، فطمحت بناظريها إلى حيث أشار، وإذا بمنائر حرم أمير المؤمنين عليه السلام تلوح من بعيد. وكانت لأوّل مرّة في حياتها تطأ أرض جدّها الإمام علي عليه السلام، فخفق قلبها، وجاشت مشاعر الحبِّ والولاء في صدرها، وندَّ من عينها رقراق دمع ساخن، اشتياقاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

حلّ الوافدون في البيت المستأجر ـ وهو بيت أبو گلل ـ الذي كان يقع في حيٍّ سكنيٍّ بعيد نسبيّاً عن الحرم الشريف، وهو محلّة العمارة. وكان البيت متواضعاً ولم يكن حديث البناء، لكنّه لم يكن متهالكاً. وقد خصِّصت للسيّدة فاطمة منه الغرفة العلّية في طابقه العلوي. أمّا فناء البيت، فقد كان ذا مساحة صغيرة وأجرد، مفروشاً بالإسمنت.

كان السيّد الصدر رحمه الله قد استأجر البيت بسبعين ديناراً عراقياً سنوياً[2]، وكان يوفيها على أقساط ثلاثة، حتّى لا يثقله دفعها في مرّة أو مرّتين من السنة. وقد حاول رحمه الله أن يستأجر داراً أخرى أفضل حالاً منها مجاملةً وإكراماً لهذه العروس القادمة من قم، ولكنّ محاولاته في البحث عن بديل مناسب تعسّرت، لارتفاع مبلغ الإجارة الذي عرض عليه حيثما ذهب. فقرّروا البقاء في هذه الدار مع القيام بطلاء جدرانها.

وعندما اتّفق السيّد الصدر رحمه الله مع عامل دهان ليقوم بذلك العمل، وشرع الدهّان في اليوم الأول، اكتشفوا أنّ ذلك سيضيف على كاهل السيّد الصدر رحمه الله عبئاً ماديّاً ثقيلاً، فاعتذر منه عن إتمام العمل،

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠٤ ـ ١٠٦.

(٢) كان الدينار يساوي يومها ٤ دولارات تقريباً، فكان الإيجار يقرب من ٢٨٠$ سنويّاً.

وتولّت السيّدة فاطمة المهمّة مع السيّدة آمنة بنت الهدى، فدهنت الأولى غرفة الضيوف، وتكفلت الثانية بصبغ فناء الدار، فقنعوا بذلك.

قالت السيّدة فاطمة لزوجها يوماً: «**ابن عمّي! أنت تعلم أنّني تربّيتُ في بلد يحبُّ أهله ألاّ تخلو دورهم من الخضرة، وللتشجير عندهم قيمة وأهميّة، وكنت بنفسي أتعهّد بالرعاية والسقيا الزروعَ والأشجار التي كانت في بيت والدي في قم.. لكم أفتقد تلك الورود والأزهار والرياحين التي كنت أنمّيها وأحرسها وأحرص على سلامتها. حبّذا لو وفّرت لي بعض البذور أو الشتلات، وآنية أستطيع أن أغرسها فيها**»، فوعدها بذلك.

وفي أقرب فرصة سنحت لـه، جلب السيّد الصدرﵺ من بيت السيّد محمّد الصدرﵺ في بغداد بعض الشتلات الصغيرة والبذور. وجاء لزوجته بعدد من الصناديق الخشبية ممّا يستفيد منه المزارعون لتعبئة وتسويق بعض الفواكه والخضار. وتولّت هي تهيئة التربة وإعدادها وغرس تلك البذور فيها.

وتتذكّر السيّدة فاطمة أنّها وزّعت تلك الصناديق المزروعة في جوانب وزوايا الفناء، وبذلك صار يعدّ بتلك الإمكانيات المتواضعة جُنينة صغيرة، على قياسهم وقدر حالهم.

لقد أعجب السيّد الصدرﵺ بما قامت به زوجته، واعتاد الجلوس هناك وقت العصر في غالب الأيّام، وكان يستروِحُ الجلوس أمام تلك المزروعات والورود، يتنسّم أريجها ويديم النظر إليها، ويبدي إعجابه، وراحته، والثناء على هذا الصنيع ومبدعته. وكم كان يعجبه أن يأتي بكتبه وأدواته وأوراقه، في تلك الباحة الصغيرة المورقة، ليغرق في تأمّلاته، ويمارس أعماله الفكريةّ الدائمة، من تفكير وقراءة وكتابة وتحضير.

وتتذكّر السيّدة فاطمة أنّ السيّد الصدرﵺ في واحدة من تلك الأماسي جلس كعادته في تلك الزاوية، وكانت قد أعدّت لـه إبريق الشاي بعناية فائقة، فأحضرته أمامه، وراحا يشربان الشاي أمام تلك المزروعات..

هنا رفع السيّد الصدرﵺ استكان (فنجان) الشاي إلى فمه وتذوّقه، ثمّ تنشّق بعمق في تلذّذ وهيام، ثمّ قال وهو يحدّ إلى زوجته النظر: «**يالَـ الله، إنّ هذا الشاي شربه حرام.. إنّه هنا كالمسكر، وليس بشاي**».

وبعدما اشترى السيّد الصدرﵺ المبرّدة (المكيِّف) التي ذكرتها له زوجته فيما مضى، وضعوها في نفس باحة الدار. ولأنّ الباحة كانت مفتوحة على السماء، فمن الطبيعي أنّ هواء المبردّة بالتالي سوف يتسرّب أكثر إلى فوق، بحيث لن يستفيدوا منه داخل الغرف الموزّعة على جوانب الباحة هذه. لهذا طلبت السيّدة فاطمة من السيّد الصدرﵺ أن يغطّيها بشراع كبير من القماش السميك، بطريقة يسهل معها طيّه وبسطه، ليحفظ البرودة من التسرّب. ولكنّ السيّد الصدرﵺ اعتذر عن ذلك بسبب غلاء قيمتها.

حينها طلبت منه زوجته أن يتكفّل لها بالقماش، بأن يشتريه خاماً بالأمتار، وهي تتتكفّل بالباقي، حتّى تكون العمليّة أقلّ كلفة. وكانت في هذه الأيّام بالذات ولحسن الحظ قد تلقّت هديّة كأنّما

نزلت إليها من السماء، وهي آلة خياطة خاصّتها التي أرسلتها إليها والدتها من قم. ولمّا وصلت إليها تلقّفتها بسرور، إذ استفادت منها كثيراً هناك. وبالفعل أتى السيّد الصدر رحمه الله بالقماش، فخطّت منه شراعاً كبيراً، يكفي لتغطية باحة الدار بالطريقة التي أشير إليها[(١)].

وليمة السيّد الصدر رحمه الله لزواجه

وبعد رجوعه إلى العراق دعا السيّد الصدر رحمه الله طلاّبه إلى وليمة بمناسبة زواجه ودعا معهم مجموعة من الفقراء والمعوزين، الأمر الذي استوقف بعض تلامذته الذين سألوه عن سبب دعوته هؤلاء، فاستمهلهم في الجواب إلى وقت الدرس حيث شرح لهم فلسفة الوليمة في الإسلام الذي يقول إنّه: «**لا وليمة إلاّ في خمس: في عرس أو خرس أو عذار أو وكار أو ركاز، فأمّا العرس فالتزويج والخرس النفاس بالولد والعذار الختان والوكار الرجل يشتري الدار والركاز الذي يقدم من مكّة**»[(٢)]، وراح يشرح لهم كيف أنّ دعوة الفقراء تحول دون شعورهم بالغربة في المجتمع[(٣)].

وضع زوجته الجديد ورفضه إسقاط جنسيّتها الإيرانيّة

تقول السيّدة أم جعفر الصدر: «**في أوّل اقتراني به وللوضع الصعب الذي كنت فيه من تغيّر الجو والبيئة ذهبت لزيارة أمير المؤمنين، وبعد التوسّل بالإمام ألقى الإمام في روعي أنّ هذا ليس زوجاً عاديّاً فتحمّلي الصعوبات، وإنّما هو إنسانٌ مقدّس ووليٌّ من أولياء الله وأستاذ كبير.. فانظري إليه بهذا المنظار. فاتّخذته أستاذاً ولم أر منه خلال السنوات التي عشت فيها معه إلاّ ذلك**»[(٤)].

وفيما بعد ـ بعد مجيء البعثيّين إلى الحكم ـ طلبت منه زوجته تبديل جنسيّتها الإيرانيّة إلى الجنسيّة العراقيّة، ولكنّه رحمه الله رفض ذلك وقال لها: «**الأفضل أن تبقى جنسيّتك إيرانيّة لأنّ البعثيّين حتماً سيقتلونني، فإذا بقيت جنسيّتك إيرانيّة فإنّها سوف تفيدك**»[(٥)].

السيّد الصدر رحمه الله والشيخ الفيّاض في (محاضرات في أصول الفقه)

عندما أراد الشيخ محمّد إسحاق الفيّاض طباعة تقريراته الأصوليّة لدرس السيّد الخوئي رحمه الله، عرضها على الأخير ليكتب له تقريظاً، فاعتذر رحمه الله لضيق وقته، ولكنّه طلب منه عرضها على السيّد الصدر رحمه الله، فإذا أمضاها يكتب له تقريظاً.

وبالفعل، عقد السيّد الصدر رحمه الله مع الشيخ الفيّاض مجموعة من الجلسات لليالي العطل في منزل السيّد الصدر رحمه الله الذي كان يراجع التقريرات، وقد يقوم بحذف مطلبٍ وإضافة آخر، حتّى أنّ بعض المطالب كان (يشطبها) ويكتبها من جديد.

وبعد أن أعطى السيّد الصدر رحمه الله موافقته على التقريرات، قام السيّد الخوئي رحمه الله بتقريظها[(٦)]. بل إنّ

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠٦ ت ١٠٩.

(٢) الخصال ١: ٣١٣. وقد نقل الحاج سويدان الحديث بالمعنى وأثبتناه من الأصل.

(٣) حدّثني بذلك الحاج محمّد يوسف سويدان بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م في منزله في ياطر، ولم أقف على مصدر المعلومة.

(٤) من رسالة السيّدة أم جعفر الصدر إلى موقع (شبكة والفجر الثقافيّة).

(٥) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٦) حدّثني بذلك أحد قدامى تلامذة السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م الذي رأى مباحثتهما مرأى العين، وقد طلب

الجزء الثالث ـ الذي هو عبارة عن بحث الضدّ ـ من تقرير السيّد الصدر رحمه الله لبحث السيّد الخوئي رحمه الله[١].

وفي ٦/جمادى الثانية/١٣٨٢هـ (١٩٦٢/١١/٤م) كتب السيّد الخوئي رحمه الله تقريظاً للشيخ إسحاق الفيّاض جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وعترته الطيّبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد، فإنّي أحمد الله تعالى على ما أولاني به من تربية نفرٍ من ذوي الكفاءة واللياقة حتّى بلغ الواحد منهم تلو الآخر درجةً راقيةً من العلم والفضل. وممّن وفّقت لرعايته وحضر أبحاثي العالية في الفقه والأصول هو قرّة عيني العلاّمة المدقّق الفاضل الشيخ محمّد إسحاق الفيّاض دامت تأييداته. وقد عرض عليّ الجزء الأوّل من كتابه (المحاضرات في أصول الفقه) الذي كتبه تقريراً لأبحاثي بأسلوبٍ بليغٍ وإلمامٍ جديرٍ بالإشادة والإعجاب. وإنّي أبارك له هذا الجهد الميمون وأسأله تعالى أن يوفّقه لإتمام مرامه، إنّه وليٌّ التوفيق.

في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٨٢

أبو القاسم الموسوي الخوئي»[٢].

زيارة حسين الصافي وانسحاب السيّد الصدر رحمه الله من [قيادة] حزب الدعوة

لقد كان ثمّة انسجام عفوي ـ لم يخطّط له الإسلاميّون ـ بينهم والقوى الدينيّة المسمّاة بالتقليديّة من جانب وبين التيّار القومي ـ ومنه حزب البعث ـ من جانب آخر، فقد التقيا في خندق مواجهة المدّ الشيوعي، فكان ذلك يفرض على التيّار القومي ـ وتحديداً حزب البعث ـ الالتجاء إلى الدين والاحتماء بعباءته[٣]، ولذلك يلاحظ الحضور الكثيف للتيّار القومي في احتفالات الإسلاميّين وتصدّي أنصاره لتوزيع منشورات (جماعة العلماء)[٤]، أو توزيع فتوى السيّد الحكيم رحمه الله حول موقفه من الشيوعيّين وتعميمها على أوسع نطاق[٥]، حتّى أنّ مقتطفات من كتابات السيّد الصدر رحمه الله راحت تنشر في عمود خاص في جريدة (الحريّة) التي يشرف عليها قوميّون وبعثيّون وذلك إلى جانب عمود خاص بمقتطفات من كتابات ميشيل عفلق[٦]، إلاّ أنّ الاتّجاه الواعي في (جماعة العلماء) والذي يمثّله السيّد الصدر رحمه الله وتلامذته ومريدوه كانوا يدركون تماماً مخطّطات هذه القوى من

عدم ذكر اسمه. وقد نقل قريباً منه السيّد نور الدين الإشكوري نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله الذي لم يطلعه على اسم الشخص على ما يبدو [مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (دام عزه)].

(١) حدّثني بذلك السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٣١م.

(٢) محاضرات في أصول الفقه ١: ٣. ولكن يبدو من التقريظ أنّ السيّد الخوئي رحمه الله قد قرأ التقرير ولو في الجملة، وهذا لا ينافي إرجاعه إلى السيّد الصدر رحمه الله ولكن ينافي ما ذكرٍ من عدم مطالعته التقرير.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٨، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٨، نقلاً عن السيّد مصطفى جمال الدين.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٨، نقلاً عن حسن العلوي في: الشيعة والدولة القوميّة: ٢١٥.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٨، نقلاً عن السيّد مصطفى جمال الدين، الشيعة والدولة القوميّة: ٢١٣.

بعثيّين وغيرهم[(١)].

لقد كان الحزب الشيوعي يؤكّد في بعض نشراته الصادرة خلال السنتين الأخيرتين من حكم عبد الكريم قاسم على وجود حزب دينيٍّ رجعيٍّ يشرف عليه علماء النجف الأشرف، وعلى خطورة استمرار هذا التنظيم المجهول في تحرّكه. كما جهدت الدوائر المختصّة ـ الحزبيّة والحكوميّة ـ لاكتشاف هذه الحقيقة في محاولة لمواجهتها وإحباط هذا التحرّك على الفور. ثمّ حصلت هذه الدوائر على معلومات هامّة بواسطة بعض عملائها تتلخّص في أنّ حزباً إسلاميّاً يقوده السيّد محمّد باقر الصدر هو وراء ذلك كلّه.

ومن هنا فقد فكّرت تلك الدوائر ـ في خطوة أولى ـ بضرورة فصل الحزب عن المرجعيّة الدينيّة، فراحت تحاول تحريك الأخيرة ضدّه[(٢)]، بعدَ أن ظهر لهم أنّ بروز تيّار إسلامي واعٍ يقف وراءه نخبة من العلماء الواعين والمثقّفين يفوّت عليهم فرصة استغلال الدين والتيّار الديني[(٣)].

وفي هذا الإطار، قام البعثي حسين الصافي النجفي بزيارة السيّد محسن الحكيم رحمه الله في داره. وأخذ الصافي يحدّث السيّد الحكيم رحمه الله عن وجود حزب باسم (حزب الدعوة الإسلاميّة) في النجف وعلى رأس هذا الحزب السيّد الصدر رحمه الله وولداه السيّدان مهدي ومحمّد باقر الحكيم رحمهما الله، وأنّ هذا الحزب هو امتدادٌ لحزب (الإخوان المسلمون) [/الوهابيّة] وأنّ أفكارهم سُنّيّة معادية لخط الشيعة وأهل البيت عليهم السلام، ويريد هذا الحزب أن يجعل أبناءنا سنّة، ووجود هذا الحزب خطرٌ على الشيعة وعلى النجف والحوزة العلميّة[(٤)].

وراح الصافي يبدي اهتمامه بالحوزة وخوفه عليها من وجود حزب سياسي، وراح يؤكّد من خلال كلامه على أنّ التشيّع والنجف الأشرف والجامعة الدينيّة الكبرى في خطر ما دام الحزب يمارس نشاطه السياسي لأنّه يدعو إلى التسنّن والوهّابيّة[(٥)].

أمّا السيّد محسن الحكيم رحمه الله فكان يصغي إليه، وحين أتمّ كلامه سأله بنبرة تشعر بالانفعال وعدم الرضا: «**خلّصت بالخير؟**».

ولم يكن حسين الصافي يتوقّع مثل هذا الردّ، فأجاب: «**العفو سيّدنا... ليس لديّ شيءٌ آخر، وإنّ حرصي هو الذي دفعني إلى أن أقول لكم مثل هذه الكلمة**». فأجابه السيّد الحكيم رحمه الله: «**وهل أنت أحرص من السيّد محمّد باقر الصدر على [النجف والشيعة و][(٦)] الحوزة العلميّة؟. السيّد باقر أنا أعرفه**»، وراح السيّد الحكيم رحمه الله يمدح السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله.

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٥٢، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضلا لله.

(٢) سنوات الجمر: ٦٠.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٨.

(٤) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣٤ ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٨٨ ؛ وما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ٩٨، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.

(٥) انظر: سنوات الجمر: ٦٢.

(٦) الإضافة من: صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديثٍ مع الحاج صالح الأديب ؛ وانظر: (سنوات الجمر: ٦٢).

وبعدها انشغل بأوراق كانت أمامه فأخذ يقرؤها، ففهم الصافي الإشارة، وخرج من دار السيّد الحكيمﷺ خائباً[1].

---

(١) انظر: حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٣ ـ ١١٤، من مقابلة مع الحاج الأديب والسيّد حسن شبّر بتاريخ ١٩٩٤/٩/٧م ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديث مع الحاج صالح الأديب ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر (ﷺ) ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة.. مظهر آخر من عبقريّة الإمَام الشهيد الصدر:٢١. وهنا أمور:

حول حقيقة انسحاب السيّد الصدرﷺ

هناك اتّجاهان في تفسير ردّة فعل السيّد الصدرﷺ:

الاتّجاه الأوّل: هو الاتّجاه الذي يقول: إنّ السيّد الصدرﷺ انسحب من قيادة الحزب فحسب. وهو الذي أخبرني به السيّد حسن شبّر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر (ﷺ).

الاتّجاه الثاني: وهو الاتّجاه الذي يقول: إنّ السيّد الصدرﷺ انسحب من الحزب كليّاً. وأبرز المعبّرين عنه السيّد محمّد باقر الحكيمﷺ.

حول خلفيّة انسحاب السيّد الصدرﷺ

هناك اتّجاهات في تصوير خلفيّة الانسحاب:

الاتّجاه الأوّل: ما يذكره السيّد محمّد باقر الحكيمﷺ من أنّ خروجه من الحزب كان نابعاً في الأساس من تشكيكه الفقهي في العمل الإسلامي في ظلّ التنظيم.

الاتّجاه الثاني: وهو الذي يعتبر أنّ خروجه من الحزب كان ناتجاً عن طلب السيّد محسن الحكيمﷺ فحسب، وأنّ استمرار علاقته بالحزب وتأييده له ينفي وجود أيّ تشكيك فقهي.

الاتّجاه الثالث: وهو الذي يرى أنّ تشكيكه لم يكن تشكيكاً في العمل الحزبي وإنّما استشكالاً فقهيّاً في جمع ميزانيّة الدولة من مصادر متعدّدة واختلاطها مع بعضها البعض (مقابلة مع الشيخ علي كوراني ناقلاً ذلك لا على نحو التبنّي، ﷺ).

الاتّجاه الرابع: ويبدو لافتاً ـ وخلاف المعروف والمتداول ـ ما يذكره السيّد عبد العزيز الحكيم من أنّ السيّد الصدرﷺ إنّما أسّس حزب الدعوة بناءً على ولاية الفقيه التي كان يراها، وكان خروجه من الحزب إثر شكٍّ عرض له حول ولاية الفقيه (مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم، ﷺ). ويذكر السيّد حسن شبّر أنّ السيّد الصدرﷺ كان يؤمن بولاية الفقيه ثمّ عدل عنها إلى الشورى (حزب الدعوة الإسلاميّة.. مظهر آخر من عبقريّة الإمام الشهيد الصدر:٢١). ولستُ أدري إن كان في البين التباس في الكلام فحسب.

أقول: لقد أسند السيّد محمّد باقر الحكيمﷺ خروج السيّد الصدرﷺ من حزب الدعوة إلى التشكيك الذي عرضه في المقطعين الواردين في الرسالة المتقدّمة ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ وذكر أنّه السبب الحقيقي لخروجهﷺ من الحزب وإن كان قد اقترن بطلب السيّد محسن الحكيمﷺ إثر زيارة حسين الصافي، وبالضجّة التي أثيرت حول كتابته افتتاحيّة الأضواء (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٤٨، ٢٧٩، الهامش رقم ١٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٦). ونصٌ ما ذكره السيّد الحكيمﷺ: «وفي تطوّر آخر أصاب الشهيد الصدر (رض) الشك في دلالة آية الشورى على الحكم الإسلامي من خلال شبهة كنت قد أثرتها حول آية الشورى في بداية تكوّن النظريّة، ولكنّه أجاب عنها في حينه، ثمّ بدت له صحّتها بعد ذلك. وقد دوّن هذه الملاحظات ضمن مجموعة من المراسلات. وهذا الشكُّ في دلالة آية الشورى انتهى به إلى الشك في صحّة العمل الحزبي بمعناه الواسع الذي لا معنى له في نظر الشهيد الصدر آنذاك إلاّ إذا كان يتضمّن تصوّراً كاملاً عن نظريّة الحكم الإسلامي وطريقة ممارسته، فإذا لم تكن النظريّة حول الحكم الإسلامي وإطاره ومؤسّساته واضحة، فكيف يمكن إيجاد تنظيم يسعى إلى هذا الهدف، من دون أن يكون الهدف نفسه واضح المعالم؟ وعلى هذا الأساس انسحب الشهيد الصدر من تنظيم حزب الدعوة بعد أن كان يمارس فيه دور القيادة الفكريّة والإشراف العام. ولكنّه كان ـ في الوقت نفسه ـ يشعر بضرورة العمل السياسي الإسلامي المنظّم وأهميّته. ولذا بقي يؤيّد التحرّك السياسي (الخاص) بمستوى من المستويات، وسمح للحزب من أجل أن يحلَّ الإشكال الشرعي له أن يستند في شرعيّته إلى فتوى بعض الفقهاء أمثال خاله الشيخ مرتضى آل ياسين أو غيره»

(نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

أوّلاً: إنّ المقطعين المقتطعين من الرسالة المتقدّمة ضبابيّان بدرجة من الدرجات، وليت السيّد الحكيم قد نشر أكثر منهما، خاصّةً وأنّه قد ذكر أنّ السيّد الصدر «دوّن هذه الملاحظات ضمن مجموعة من المراسلات»، وربّما كانت عبارة عن رسالتين كما جاء في مصدر آخر (حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٦، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم).

ثانياً: إنّ ما ذكره السيّد الحكيم يكاد ينسجم مع ما نُقل عن السيّد مرتضى العسكري الذي سأل السيّد الصدر عن سبب خروجه فقال له: «لم أستطع أن أجد أدلّة على النظام الذي نتبنّاه، وإنّي أريد في يومٍ واحد أن يدخل في الدعوة مليونا شخص» (حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٨، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري ؛ مؤتمرُ تكريم العلاّمة السيّد مرتضى العسكري: ٤٩ نقلاً عن جواب خطّي من السيّد العسكري)، وإن كان السيّد العسكري يؤكّد في المصدر نفسه على أنّ السيّد الصدر «لم يخرج في الحقيقة من الدعوة وإنّما انتقل إلى وضع أصبح فيه بلا مسؤوليّة حزبيّة» (حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٨).

ثالثاً: مع قطع النظر عن تفسير الكلمات القليلة الواردة في رسالة السيّد الصدر، إلاّ أنّ الباحث يشعر بوجود نوع من عدم الانسجام بين ما ذكره السيّد الحكيم وبين الواقع الخارجي، فكيف يستشكل في العمل الحزبي ويبقى على تأييده ولو بمستوى من المستويات ـ كما جاء في كلام السيّد الحكيم ـ نتيجة شعوره بضرورته وسماحه بالرجوع إلى الشيخ مرتضى آل ياسين؟! أنا لا أجد معنىً لهذا الكلام في ظلّ استشكاله في العمل الحزبي، خاصّةً مع رغبته في دخول مليوني شخص بالحزب بفعل فتوى منه يفتيها، بل إنّ تأييد السيّد الصدر للعمل الحزبي يظهر واضحاً عبر مراجعة مختلف فصول هذا الكتاب، مع قطع النظر عن المراحل الفكريّة التي مرّ بها السيّد الصدر، في ظلّ إيمانه بالشورى أم ولاية الفقيه المطلقة أم ولاية الفقيه المخفّفة ـ إن صحّ التعبير ـ ...

طبعاً نحن لا نسلّم بأنّ خروج السيّد الصدر كان سنة ١٣٨٠هـ وإنّما كان سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) لأنّ السيّد الصدر كان لا يزال مرتبطاً بالتنظيم بعيد زواجه وإنّما انفصل بعد زواجه ـ سنة ١٣٨٢هـ ـ على ما أكّدته لنا زوجته السيّدة أم جعفر الصدر. وهذا يؤكّد لنا أنّ ما ورد في رسالة السيّد الصدر إلى السيّد الحكيم لم يترتّب عليه أثرٌ في الواقع الخارجي، وإنّما كان خروجه من التنظيم سنة ١٣٨٢هـ إثر طلب السيّد الحكيم بفعل الضغوطات التي مورست عليه.

وعلى هذا الأساس نجد أنّ ما نتبنّاه من وجود فاصل زمني بين رسالة السيّد الصدر إلى السيّد محمّد باقر الحكيم وبين خروجه من الحزب إثر طلب السيّد محسن الحكيم ينسجم مع ما أكّده السيّد طالب الرفاعي من أنّ توقّف السيّد الصدر في دلالة آية الشورى كان أسبق تاريخيّاً من طلب السيّد محسن الحكيم (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٠٥، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي).

ومن أراد الاطّلاع على مزيد نقاشٍ مع السيّد محمّد باقر الحكيم فيمكنه الرجوع إلى ما كتب في هذا المجال (انظر مثلاً: الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣٦ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٠١ ـ ١١٤).

ولكنّنا نختم بالقول: إنّه لا ربط بين موقف السيّد الصدر من العمل الحزبي وبين موقفه من نظريّة الحكم في الإسلام، لأنّ المسألتين طوليّتان، فنحن بعد أن نؤسّس الحزب ونمارس العمل الحزبي ونصل إلى إقامة الحكم، عندها ينفتح الكلام حول النظريّة التي نحكم على وفقها، وطالما لم نصل بعد إلى مرحلة الحكومة فلا علاقة لموقفنا من شكل الحكم بأصل العمل الحزبي.

حول تاريخ خروج السيّد الصدر من [قيادة] الحزب

وهناك خلافٌ آخر حول تاريخ انسحابه من الحزب أو قيادته:

القول الأوّل (١٣٨٠هـ): يذهب السيّد محمّد باقر الحكيم إلى أنّ خروجه من الحزب كان في صيف ١٩٦٠م (أول/١٣٨٠هـ) إثر تشكيكه بدلالة آية الشورى على نظام الحكم الإسلامي، الأمر الذي أدّى به إلى التشكيك بصحّة العمل الحزبي (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٢٧).

القول الثاني (١٣٨١هـ): ذكر الحاج محمّد صالح الأديب أنّ انسحاب السيّد الصدر كان بعد أربع سنوات ونصف

السيّد الحكيم يطلب من السيّد الصدر ومن نجليه الانفصال عن التنظيم

بعد اللقاء المذكور، نادى السيّد الحكيم على نجله السيّد مهدي الذي كان حاضراً في الغرفة المجاورة [مع أخيه السيّد محمّد باقر](1)، فاستدعاه وبيّن له ما كان، وطلب منه أن ينقل الموضوع إلى السيّد الصدر ويبيّن رأيه في الموضوع(2)، وقال له: «**تذهب إلى السيّد باقر وتقول له بأنّنا نؤيّد العمل الإسلامي، وكلّ من يعمل للإسلام نساعده ونوجّهه، ويجب أن نشتغل مع هؤلاء دون أن نحسب عليهم، فليشتغلوا هم ونحن نوجّههم**»(3).

أو خمس سنوات من تاريخ تأسيسه في ١٧/ربيع الأوّل/١٣٧٧هـ (١٩٥٧/١٠/١١)، فيكون خروجه منه بناءً على ذلك إمّا في شهر رمضان من العام ١٣٨١هـ (الموافق لشهر شباط ١٩٦٢) وإما في شهر ربيع الأوّل من العام ١٣٨٢هـ (الموافق لشهر آب ١٩٦٢)، وفي كلتا الحالتين يكون سنة ١٩٦٢م.

وفي موضع آخر نصّ الحاج الأديب على أنّ خروجه كان عام ١٩٦١م [صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديث مع الحاج صالح الأديب]. ولعلّ الحاج الأديب عندما نصّ على خروجه عام ١٩٦١، كان يعتمد على التاريخ الهجريّ أساساً، وثمّ حوّل متسامحاً ١٣٨١هـ إلى ١٩٦١م، مع أنّه يصادف ١٩٦٢م.

القول الثالث (١٣٨٢هـ): هو الذي ذكره السيّد حسن شبر حيث أكّد على أنّ خروجه من القيادة كان عام ١٩٦٢م إثر حملة (حسين الصافي) بهدف التخلّص من (حزب الدعوة) تمهيداً للطريق أمام حزب البعث الذي جاء إلى الحكم عام ١٩٦٣م (مقابلة بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر،).

تحليل هذه الأقوال

أمّا بلحاظ الظروف الموضوعيّة، فلو اعتبرنا أنّ حملة حسين الصافي على السيّد الصدر من أجل انقطاعه عن الكتابة في (الأضواء) قد تزامنت مع حملته عليه من أجل الخروج من (حزب الدعوة) ومع رسالته الذي عرض فيها الإشكال حول الاستدلال بآية الشورى، فهذا ينسجم مع ما ذكره السيّد محمّد باقر الحكيم من كون خروجه في العام ١٩٦٠م. ويؤيّد ذلك ما ذكرته بعض المصادر من أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم حين زيارة (حسين الصافي) لوالده السيّد محسن الحكيم كان في لبنان، لأنّ السيّد محمّد باقر الحكيم سافر إلى لبنان في محرّم/١٣٨٠هـ.

أمّا لو صحّ ما قيل من أنّ الحملة عليه من أجل خروجه من (حزب الدعوة) كانت تمهيداً للانقلاب الأوّل للبعثيّين عام ١٩٦٣م بقليل، فهذا ينسجم مع القول الثاني أو الثالث الذي ذهب إلى أنّ خروجه كان عام ١٩٦٢م. خاصّةً وأنّ السيّد شبّر قال لي إنّ السيّد محمّد باقر الحكيم كان في العراق ولم يكن مسافراً.

والصحيح على ما يبدو لي هو قول السيّد حسن شبّر، لأنّ السيّدة أم جعفر الصدر أكّدت أنّ ذلك قد وقع بعد زواجهما ورجوعه إلى العراق.

(١) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٠٠، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣٥.

وقد ذكرت بعض المصادر أنّ السيّد محسن الحكيم طلب من السيّد مهدي إبلاغ الموضوع إلى كلٍّ من السيّد الصدر والسيّد محمّد باقر الحكيم، لكنّ مصادر أخرى ذكرت أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم كان حينها في لبنان، وأنّه قرّر الانسحاب من الحزب بعد عودته. ولو صحّ ذلك، فهذا يعني أنّ هذه الحادثة كانت في أوائل العام ١٣٨٠هـ لأنّ سفر السيّد محمّد باقر الحكيم إلى لبنان كان في محرّم ١٣٨٠هـ. وهذا يتّفق مع كون انسحاب السيّد الصدر من الحزب عام ١٣٨٠هـ على ما ذكره السيّد محمّد باقر الحكيم. ولكنّنا بنينا على كون الانسحاب سنة ١٣٨٢هـ للأسباب المتقدّمة.

(٣) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٤، من مقابلة مع الحاج الأديب والسيّد حسن شبّر بتاريخ ١٩٩٤/٩/٧م ؛ وانظر حول كون طلب السيّد الحكيم هو السبب في خروج السيّد الصدر من الحزب: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧١.

وقد أبلغه أن يقول للسيّد الصدر عن لسانه: «**إنّ دعم كلّ الوجودات الإسلاميّة والأعمال الإسلاميّة هو من شأنك وممّا ينبغي لك أن تقوم به، أمّا أن تحسبَ على جهة إسلاميّة معيّنة وحزبٍ خاص فهذا ممّا لا ينبغي لمن هو مثلك في المقام العلمي والاجتماعي الشامخ، والذي يجب أن يكون دعامةً لكلّ الأعمال الإسلاميّة من دون التأطّر بإطار خاص**»[(١)].

وقد طلب السيّد الحكيم من نجليه الخروج من الحزب كي يحافظ هو ـ بوصفه مرجعاً ـ على الصفة العامّة ولا يفقد الناس ثقتهم به، ولم يذكر أنّ الحزب غير جيّد، بل بقي تعاونهما مع الحزب[(٢)]، كما أنّ السيّد محمّد بحر العلوم لم يسمع من السيّد الحكيم كلمة تشير إلى رفضه فكرةَ الحزب الإسلامي، بل كان في موقف الدعم والتشجيع[(٣)].

كما أنّ السيّد مرتضى العسكري ـ المقرّب من السيّد الحكيم ـ بقي في الحزب إلى سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م، حين كلّفه السيّد الحكيم بتأسيس حزب علني مع الشيخ محمّد رضا الشبيبي، وكان إلى ذلك الوقت ـ وهو مسؤولٌ في الحزب ـ يقوم بترشيح وكلاء السيّد الحكيم الذين لم يرفض منهم الأخير واحداً، وكان عمل حزب الدعوة وعمل السيّد الحكيم في صيغة عمل مشترك[(٤)].

السيّد الصدر يبلّغ الدعوة قراره بالانفصال

كانت قيادة حزب الدعوة طالما طلبت من السيّد الصدر عندما كان عضواً فيها أن يتفرّغ للمرجعيّة لأنّه الأجدر بها في المستقبل بعد السيّد الحكيم ومن السيّد الخوئي، إلاّ أنّ السيّد الصدر كان يرى أنّ الأمر سابقٌ لأوانه وكان يجيبهم باللهجة العاميّة بكلمة (بعدين). وتكرّر طلب القيادة منه في عدّة اجتماعات أن يتفرّغ للدرس والتدريس وأن لا ينشغل بأمور العمل الحزبي[(٥)].

وإلى جانب ذلك، فقد مورست الضغوط الشديدة على السيّد الصدر من أجل التخلّي عن العمل الحزبي باعتباره لا يليق بالعبقري واللوذعي الذي يؤمل فيه أن يكون مرجعاً من مراجع الدين في المستقبل[(٦)]، ولذلك فقد كثر الناصحون بترك العمل الحزبي والتخلّي عنه[(١)]. وقد شمل هذا

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٨٨ ؛ وانظر: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٣٣ ؛ وانظر بشكل عام: مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (حفظه الله). ولكنّ السيّد العسكري ينفي علمه بطلب السيّد الحكيم هذا ويرجع خروج السيّد الصدر إلى ضغوط شديدة مورست عليه مع اعترافه بأنّ خروج السيّد مهدي الحكيم كان إثر طلب والده، ولكنّ السيّد حسن شبّر ينقل عنه أنّ السيّد الصدر خرج من الدعوة بطلب من السيّد الحكيم (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٩، ٩٩، نقلاً عن: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٤٠ وما بعد وعن الشيخ علي الكوراني.

(٣) ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٨٩، ٩٩، نقلاً عن: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٤٠ وما بعد وعن الشيخ علي الكوراني.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧٠، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧٠، نقلاً عن: الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٠١.

(٦) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١١، نقلاً عن الشيخ محمّد باقر الناصري.

الأمر طلاّبه الذين اعتقد بعضهم أنّ على أستاذهم التفرّغ للتدريس كما حصل مع السيّد نور الدين الإشكوري الذي عرض وجهة النظر هذه على الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري، والتي نقلها السيّد كاظم الحائري إلى السيّد الصدر﵀ دون أن يعلم السيّد الصدر أنّها وجهة نظر السيّد الإشكوري وأنّه أطلع عليها الشيخ الأنصاري. ولكنّ السيّد الإشكوري قد حدّث السيّد الصدر﵀ عن الطبيعة السلبيّة لعلاقته بالدعوة[٢].

وبعد أن تمّ تبليغ السيّد الصدر﵀ بموقف السيّد الحكيم﵀ أصبح في وضع حرج، وكان يبدو عليه التألّم الشديد والانفعال من الموقف المعادي الذي وقفه حسين الصافي، ووجد نفسه أمام محاولة استهداف من دوائر الاستعمار.

قال السيّد الصدر﵀ : «**سأفكر وأتأمّل في الأمر**»[٣]، وسرعان ما قرّر الانسحاب من الحزب.

وبعد اتّخاذه قراره بالانسحاب، عكف السيّد الصدر﵀ على إعداد مذكّرة لرفعها إلى القيادة، وقام بكتابتها على ورق الرسائل ذي اللون الأزرق المتداول في تلك الأيّام [والذي يحمل على جانبه فراشة] ـ أي القطع الكبير ـ وبصفحتين وبخطّه الناعم، [وقد كتب السيّد الصدر﵀ على صفحة وثلثي الصفحة].

وفي اليوم الثاني سلّم الرسالة إلى السيّد مهدي الحكيم﵀ الذي أوصلها بدوره إلى الحاج صالح الأديب أحد عناصر القيادة[٤].

وطبقاً لما أورده السيّد طالب الرفاعي، فقد اتّخذ السيّد الصدر﵀ قراره بالاستقالة من الحزب في سامرّاء بعد أخذه الاستخارة[٥].

أمّا حول مضمون الرسالة، فقد وصف حاله فيها قائلاً: «**بتُّ الليلة وأنا أرقٌ أفكّر في هذا الموقف، وإنّه ليعزّ عليّ مثل هذا الموقف**»[٦]. وجاء فيها: «**إنّ آية الله الحكيم طلب منّي أن لا أكون في التنظيم، وأنا أفهم أنّ هذا رأيٌ إلزاميٌّ له، وعليه فأتوقّف الآن عن الانتماء للتنظيم، طالباً منكم الاستمرار بجدّ في هذا العمل، وأنا أدعمكم في عملكم الإسلامي المبارك**»[٧]، وقيل: إنّه طلب منهم في هذه الرسالة إعفاءه من الاستمرار في قيادة الحزب[٨]. وقد تحدّث في الرسالة عمّا نقله له السيّد مهدي الحكيم﵀ ممّا جرى

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١١، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١١، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري ؛ وانظر: مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (﵀).

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٨٨.

(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢٠ ؛ وانظر: الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٨٩ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣٥ ؛ وما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٩، نقلاً عن الحاج صالح الأديب. وقد ذكرت بعض المصادر أنّ السيّد الصدر﵀ التقى بالحاج الأديب في اليوم التالي وسلّمه الرسالة مباشرةً.

(٥) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١٢، الهامش (٢٢).

(٦) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢٠.

(٧) مقدّمة مباحث الأصول: ٨٩، نقلاً عن الحاج صالح الأديب ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢٠.

(٨) مقابلة مع السيّد حسن شبّر (﵀).

بين الصافي وبين السيّد الحكيم، وكان السيّد مهدي قد ذكر للسيّد الصدر أنّه وأخاه السيّد محمّد باقر كانا يستمعان إلى حديثهما من وراء حاجب[١].

وبعد أن تسلّم الحاج الأديب رسالة السيّد الصدر قرأها أربع مرّات، ثمّ توجّه إلى بغداد حيث التقى بالسيّد مرتضى العسكري وسلّمه الرسالة.

بعد ذلك صار السيّد العسكري وحيداً في القيادة بعد أن انسحب كلٌّ من السيّد الصدر والسيّد مهدي والسيّد محمّد باقر الحكيم .

وفي هذه الأحداث كان السيّد مرتضى العسكري في إيران، وبعد عودته وجد أنّ السيّد الصدر قد ترك له رسالة مطوّلة خلاصة ما جاء فيها أنّه ـ أي الصدر ـ يريد أن يقوم بعمل، بفتوى واحدة منه يدخل في الدعوة مليونا شخص[٢].

وقيل: إنّه في أوّل لقاء بينهما بعد خروج السيّد الصدر من التنظيم سأله السيّد العسكري عن سبب اتّخاذه هذا القرار فأجابه: «**لم أستطع أن أجد أدلّة على النظام الذي نتبنّاه، وإنّي أريد في يومٍ واحد أن يدخل في الدعوة مليونا شخص**»[٣]، مع أنّ السيّد العسكري نفسه يؤكّد أنّ السيّد الصدر لم يخرج في الحقيقة من الدعوة وإنّما انتقل إلى وضع أصبح فيه بلا مسؤوليّة حزبيّة[٤]، خاصّةً أنّهم ظلّوا يجتمعون في بيته، غاية الأمر أنّه لم يعد يتحمّل مسؤوليّة حزبيّة[٥]، ويؤكّد ذلك أنّ السيّد الصدر حضر النقاشات التي قام به قياديّو الحزب حول شكل الحكم الإسلامي إثر صدور الترجمة العربيّة لكتاب السيّد محمّد حسين الطباطبائي (نظريّة السياسة والحكم في الإسلام)، وكان ذلك سنة ١٣٨٤هـ[٦].

وعلى إثر انسحاب السيّد الصدر تمّ تكليف الشهيد عبد الصاحب دخيل أبي عصام بالقيام بمهمّة عضويّة الارتباط والتنسيق بين السيّد الصدر وبين (الدعوة). وقد ظلّ السيّد الصدر بعد انسحابه يشعر بضرورة العمل السياسي الإسلامي المنظّم وأهميّته، ولذا بقي يؤيّد التحرّك السياسي (الخاص) بمستوى من المستويات، وسمح للحزب من أجل أن يحلّ الإشكالَ الشرعيَّ له أن يستند في شرعيّته إلى فتوى بعض الفقهاء، أمثال خاله الشيخ مرتضى آل ياسين أو غيره[٧].

ولم يعمد السيّد الصدر إلى نشر الإعلان عن خروجه من قيادة الحزب[٨]، حتّى أنّ أحد أكبر

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٠٠، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.
(٢) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري ().
(٣) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٨، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري ؛ مؤتمر تكريم العلاّمة السيّد مرتضى العسكري: ٤٩ نقلاً عن جواب خطّي من السيّد العسكري. ولم يُشر السيّد العسكري إلى هذه النقطة بالذات في سائر المقابلات.
(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١١٨، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري.
(٥) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري ().
(٦) تقدّم الكلام حول ذلك ضمن أحداث سنة ١٣٧٨هـ لدى الحديث حول (الأسس الإسلاميّة).
(٧) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٣٥ ؛ الإمام الحكيم ـ الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلاميّة: ٧٩ ؛ وانظر حول تنسيق عبد الصاحب دخيل: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١١٥.
(٨) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٠١، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

قياديّي الحزب يومذاك ـ وهو الشيخ علي كوراني ـ لم يعلم بأمر انسحابه حتّى العام ١٩٦٨م، وقد كان هذا هو أحد الأسباب التي أدّت إلى تعكير صفو العلاقات بينهما على ما نقل عن الشيخ كوراني نفسه[١].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الذي يبدو ـ مع النظر إلى ما يأتي من أحداث خلال سنوات متمادية ـ هو أنّ السيّد الصدر﵀ لم ينقطع عن التنظيم، بل كان ملتزماً بالحركة الإسلاميّة في كلّ مراحله لأنّها إحدى نتائج عمره، بالإضافة إلى أنّها الوسيلة العمليّة الحركيّة للوصول إلى الأهداف، ولذا فإنّه انفصل حركيّاً من خلال طبيعة الظروف المحيطة والضغوط ولم ينفصل نفسيّاً أو فكريّاً[٢]، إلى درجة أنّ بعض قياديّي الحزب يؤكّدون على أنّه لم ينفصل[٣]، وإنّما توقّف[٤]، ولذلك فقد واصل لقاءاته مع قادة الدعوة، وكان إذا زار بغداد يلتقي مع العديد من القياديّين في اجتماعات مطوّلة، ومن بين من كان يحضرها: محمّد هادي السبيتي، عبد الصاحب دخيّل، داوود العطّار، السيّد فخر الدين العسكري، السيّد حسن شبّر. وكان الجلسات التي يعقدونها تتناول قضايا حزب الدعوة وشؤونه الكثيرة، وكانت تطول أحياناً حتّى الفجر[٥].

نعم؛ لقد مرّت العلاقة بين السيّد الصدر﵀ وبين الحزب بشيءٍ من البرود في العلاقة كان من أسبابه أنّ السيّد الصدر﵀ طلب من قيادة الحزب إخراج شخصٍ معيّن من قيادته بسبب عدم صلاحه، فرفضت القيادة ذلك وأصرّت على بقائه، فحدث ما يشبه القَطيعة بينهما[٦].

انشقاق في صفوف الدعوة.. ومصالحة

بعد خروج السيّد الصدر﵀ وتسلّم السيّد العسكري المذكّرة التي رفعها الأوّل، قامٍ ـ وبالتشاور مع الكادر المتقدّم في التنظيم ـ بإعلان لجنة بغداد والكاظميّة التي يشرف عليها قيادةً عامّةً لحزب الدعوة الإسلاميّة، وقد ضمّت القيادة الجديدة كلاً من: السيّد مرتضى العسكري (مشرفاً على القيادة)، المهندس محمّد هادي السبيتي (عضواً) والحاج عبد الصاحب دخيّل (عضواً).

وفي أوّل اجتماعٍ للقيادة الجديدة تساءل المسؤول الأوّل للدعوة ـ [السيّد العسكري] ـ : «**ما العمل؟!**»، فأجاب الحاج عبد الصحاب دخيّل﵀: «**فلنتوكّل على الله ونستمر، إنّ هذا العمل ينبغي أن لا يعتمد على الأشخاص**».

بعد ذلك طلبت القيادة الجديدة من الحاج محمّد صالح الأديب نقل رسالة السيّد الصدر﵀ إلى العاملين في (الدعوة) من علماء النجف من أجل الاطّلاع عليها، فقام بتسليمها إلى الخطّ الثاني في

---

(١) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٨٩ ـ ٩٠، نقلاً عن الشيخ كوراني نفسه في مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١م ؛ وقد ذكر لي ذلك السيّد حسن شبّر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٠، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٠، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٠، نقلاً عن السيّد طالب الرفاعي.

(٥) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٦) الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار: ١٥٠. ويبدو لي ـ من خلال أحداث سنة ١٣٩٦ هـ ـ أنّ المراد هو الشيخ علي كوراني، وهو ما سطّره السيّد محمّد الحسيني (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٦).

الحزب والذي يأتي بعد خطّ القيادة، فتسلّمها الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي كان السيّد مهدي الحكيم﵀ مسؤولَه، والذي تقرّر نقله إلى القيادة ليصبح العضو الرابع فيها.

إلاّ أنّ الشيخ الفضلي اشترط أن يضاف معه اثنان آخران من فضلاء الحوزة ليحلّ علماء الدين الثلاثة محلَّ القياديّين الثلاثة المنسحبين ـ [الصدر والحكيمَين] ـ مصرّاً على ضرورة ارتفاع نسبة علماء الدين في عضويّة القيادة لتصبح هي الغالبة كما كان الحال عند بدايات التأسيس، وكان يطالب أيضاً بأن يكون هناك مجتهدٌ داخل التنظيم لضمان سلامة خط سير الدعوة من الناحيتين الأيديولوجيّة والسياسيّة، باعتبار أنّ وجود الفقيه في القيادة يحفظ الدعوة من الزيغ والانحراف.

إلاّ أنّ القيادة لم توافق على شروط الشيخ الفضلي وكرّرت طلبها منه أن يلتحق بمفرده في عضويّتها لأنّها كانت ترى أنّ اختيار الأعضاء لأعلى هيئة قياديّة في الحزب ليست من صلاحيّاته وإنّما من صلاحيّاتها هي وحدها.

ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، فقد ألقى الخلاف بين الشيخ الفضلي وبين القيادة بظلاله على تنظيم الحوزة ممّا أدّى وقوع حالة من البلبلة والارتباك في صفوفه أسفرت بالنتيجة عن قيام الشيخ عارف البصري ـ وكان يواصل دراسته في النجف الأشرف ـ بإصدار قرار باسم القيادة يقضي بفصل كلٍّ من الشيخ عبد الهادي الفضلي والسيّد عدنان البكّاء والسيّد طالب الرفاعي من الحزب، وتمّ إبلاغ القرار إلى ثلاثة من كوادر الدعوة في البصرة كانوا في زيارة إلى النجف، هم: كاظم يوسف التميمي، الشيخ سهيل نجم والسيّد طالب الخرسان، وطلب منهم إيصال القرار إلى لجنة البصرة.

وقد أدّى صدور هذا القرار من الشيخ عارف البصري ـ والذي لم يكن متّخذاً من قبل القيادة ـ إلى حدوث انشقاق في صفوف الدعوة بقي نطاقه بين مدينتي النجف والبصرة. وفي المقابل أصدرت المجموعة المنشقّة بقيادة الشيخ عبد الهادي الفضلي قراراً بفصل المهندس محمّد هادي السبيتي والحاج محمّد صالح الأديب واستمرّت في عملها لمدّة أكثر من سنة أصدرت خلالها نشرة مركزيّة خاصّة بها باسم (المجاهد). وبعد جهود وساطة قام بها السيّد الصدر﵀ وشارك فيها السيّد مرتضى العسكري تمكّن الحزب من تجاوز الأزمة لتعود صفوفه إلى الانتظام مجدّداً[(١)].

وبعد فترة ـ وإثر تحرّك السيّد العسكري علناً تحت لواء مرجعيّة السيّد الحكيم﵀ ـ اضطرّ إلى ترك التنظيم، فوقع اختياره على المهندس محمّد هادي السبيتي مع أنّ الشيخ عبد الهادي الفضلي كان أقرب إليه فكريّاً، وكان ذلك «**أكبر غلطة ارتكبها في حياته**» على حدّ تعبيره[(٢)].

دروس من القرآن الكريم

في شهر رمضان من العام ١٣٨٢هـ (شباط ١٩٦٣م)، كتب السيّد الصدر﵀ في مجلّة (الأضواء) مقالاً يحمل عنوان (دروس من القرآن الكريم)، وذلك في العدد (٧ ـ ٨) من السنة الثالثة، في

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٢١ ـ ١٢٢، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري وعن: ثقافة الدعوة الإسلاميّة، ط١، ج٣: ٢٣٠، ٣٤٣.

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٣٥.

رمضان وشوّال ١٣٨٢هـ (شباط/١٩٦٣)، وقد بقي المقال ناقصاً ولم يكتمل[١].

انقلاب البعثيّين الأوّل

في ١٩٦٣/٢/٨م (١٤/رمضان/١٣٨٢هـ)، تمّ انقلاب البعثيّين الأوّل بمباركة من ميشيل عفلق، وجاءت المخابرات الأمريكيّة بحزب البعث إلى السلطة. وقد نقل عن الملك الأردني حسين قوله: «**إنّ ما جرى في العراق في ٨ شباط ١٩٦٣ قد حظي بدعم الاستخبارات الأمريكيّة. ولا يعرف بعضُ الذين يحكمون بغداد اليوم هذا الأمر، ولكنّي أعرف الحقيقة. لقد عقدت اجتماعات عديدة بين حزب البعث والمخابرات الأمريكيّة، وعقد أهمّها في الكويت. أتعرف أنّ محطة إذاعة سريّة تبثّ إلى العراق كانت تزوّد يوم ٨ شباط رجال الانقلاب بأسماء وعناوين الشيوعيّين هناك للتمكّن من اعتقالهم وإعدامهم؟!**»[٢].

تأسيس (جماعة علماء بغداد والكاظميّة)

بعد انقلاب البعثيّين، أرسل السيّد محسن الحكيم رحمه الله كتاباً إلى رئيس الوزراء أحمد حسن البكر مع كلٍّ من السيّد إسماعيل الصدر، الشيخ علي الصغير، السيّد هادي الحكيم والسيّد مرتضى العسكري، وقد جاء في الكتاب: «**يحمل إليكم جماعة علماء [بغداد والكاظميّة]**[٣] **حاجات الأمّة وما يطلبونه من الحكومة**».

وفي بداية لقاء الوفد مع البكر، شنّ الأخير هجمة على علماء الدين بأسلوب فضّ وأخذ يصرخ ويقول: إنّ العلماء يمزّقون صفوف الأمّة وما إلى ذلك. ولكنّ الوفد قابل أسلوبه بهدوء حتّى لا ينتهي اللقاء من دون نتيجة، فتكلّم السيّد طاهر الحيدري بنكتة ساخرة منه، فهدأ البكر وأخذ يتحدّث عن أنّه أيضاً رجلٌ متديّنٌ ولكن تنقصه العمامة. وهنا نهض السيّد طاهر الحيدري وتناول عمامته من رأسه ووضعها على رأس أحمد حسن البكر، وقال: «**وهذه هي العمامة**»[٤].

وتجدر الإشارة إلى أنّ (جماعة علماء بغداد والكاظميّة) كانت تضمّ (٣٧) عالماً، وكانت مجموعةٌ منهم تمثّل اللجنة التنفيذيّة أو المركزيّة، وفي مقدّمتهم السيّد مرتضى العسكري، السيّد مهدي الحكيم، الشيخ علي الصغير، السيّد محمّد الحيدري الخلاني، السيّد هادي الحكيم والشيخ محمّد حسن آل ياسين.

أمّا أعضاء الجماعة عموماً، فهم عبارة عن:

---

(١) مجلّة (الأضواء)، السنة الثالثة، العددان (٧ ـ ٨): ٢٧٩ ـ ٢٨٣ ؛ المدرسة القرآنيّة، ط المؤتمر: ٣٤٧.

(٢) الصدر وصدّام، الإنسانيّة في مواجهة الهمجيّة: ٦٦٨، الهامش (٦٠) نقلاً عن مقابلة بين محمّد حسنين هيكل والملك حسين نشرتها صحيفة الأهرام في ٢٧/أيلول/١٩٦٣م ؛ وانظر: الفكر السياسي المعاصر في العراق: ٣٥١ ـ ٣٥٦ ؛ ويؤكّد روجير موريس أنّ وكالة الاستخبارات الأمريكيّة ساعدت في انقلاب ١٩٦٣م وأنّ صدّام حسين كان يتقاضى راتباً من الوكالة في تلك الفترة التي كان فيها يدرس القانون في القاهرة (يوميّات الحرب على العراق: ٤٠ ـ ٤١) ؛ وانظر حول ثورة ١٤/رمضان: عبد الكريم قاسم.. البداية والنهاية: ٢٦١ وما بعد.

(٣) في المصدر: «الكاظميّة وبغداد».

(٤) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ١٨١، وفي المصدر: «الكاظميّة وبغداد».

(١) السيّد إسماعيل الصدر. (٢) السيّد مرتضى العسكري. (٣) السيّد محمّد مهدي الحكيم. (٤) السيّد أحمد الموسوي الهندي. (٥) الشيخ جعفر الساعدي. (٦) السيّد جعفر شبّر. (٧) السيّد حسن الحيدري. (٨) السيّد حسين العلاّق. (٩) السيّد صادق السيّد جواد الموسوي. (١٠) السيّد صادق الموسوي الهندي. (١١) السيّد عبّاس الحيدري. (١٢) السيّد عبد المطّلب الحيدري. (١٣) الشيخ عبد الحسين الخالصي. (١٤) السيّد علي الحيدري. (١٥) الشيخ علي الصغير. (١٦) السيّد محسن الموسوي. (١٧) السيّد محمّد الحيدري (الخلاّني). (١٨) الشيخ محمّد حسن آل ياسين. (١٩) الشيخ محمّد حيدر. (٢٠) الشيخ محمّد الشيخ صادق الخالصي. (٢١) السيّد محمّد طاهر الموسوي. (٢٢) السيّد محمّد علي الأعرجي. (٢٣) الشيخ موسى السوداني. (٢٤) السيّد مهدي الصدر. (٢٥) الشيخ مهدي النمدي. (٢٦) الشيخ نجم الدين العسكري. (٢٧) السيّد هاشم الحيدري. (٢٨) السيّد هادي الحكيم. (٢٩) السيّد صادق الخلخالي. (٣٠) السيّد محمّد طاهر الحيدري. (٣١) السيّد علي نقي الحيدري. (٣٢) السيّد محمّد هادي الصدر. (٣٣) الشيخ هادي الشيخ جعفر الساعدي. (٣٤) الشيخ كاظم التميمي. (٣٥) الشيخ جواد الظالمي. (٣٦) السيّد عبد الرزّاق الموسوي. (٣٧) السيّد علي العلوي. وهناك من كان يشترك في نشاطات الجماعة من قبيل الشيخ عارف البصري والسيّد عبد الرحيم الشوكي[١]، وكان السيد هادي الحكيم هو أكثر المتكلّمين باسم الجماعة[٢].

حادثة مدرسة (الفيضيّة)

بعد ظهر يوم ١٩٦٣/٣/٢٢م (٢٥/شوّال/١٣٨٢هـ) وفي ذكرى استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، أقام السيّد محمّد الموسوي الگلپايگاني رحمه الله مجلساً بهذه المناسبة في مدرسة (الفيضيّة) في مدينة قم المشرّفة، وكان الآليّات العسكريّة لنظام الشاه قد تمركزت في ميدان (آستانه) مقابل المدرسة.

وأثناء المجلس أدّت بعض الحركات المريبة التي قام بها بعض الحاضرين المكلّفين من قبل جهاز السافاك إلى حصول حالة من التوتّر في المجلس دفعت بالخطيب إلى التوقّف عن إكمال خطابه.

وفي الحال قامت مجموعة بقيادة العقيد مولوي بالهجوم على الحاضرين بغتة، فجرحت عدداً منهم، وعلى إثر ذلك قامت القوّات المستقرّة في الخارج وبمعيّة بعض عناصر الشرطة بالهجوم على المدرسة هجوماً شرساً، الأمر الذي أدّى إلى استشهاد وجرح العشرات.

وفي اليوم نفسه ـ وبعد هذه الأحداث ـ ألقى السيّد الخميني رحمه الله خطاباً في الحشد الكبير الذي أمّ منزله وبشّره فيه بانتصار الثورة وفشل النظام الملكي، ثم أعرب عن تقديره للأهالي والعلماء الذين تجمّعوا في منزله، وأشاد بثباتهم وصمودهم في الشدائد[٣].

---

(١) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) انظر: الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٥١٢، الهامش (٣٣)، نقلاً عن مقابلة مع السيّد العسكري في صحيفة (لواء الصدر) العدد المؤرّخ بـ٧/جمادى الثانية/١٤٠٩ هـ: ٦.

(٣) الكوثر ١: ١٢٩ ـ ١٣٣.

السيّد الحكيم رحمه الله يدعو علماء إيران إلى الهجرة إلى النجف

وعلى إثر هذه الحوادث، أرسل السيّد محسن الحكيم رحمه الله برقيّةً إلى السيّد الخميني رحمه الله بتاريخ ٨/ذي القعدة/١٣٨٢هـ (١٩٦٣/٤/٣م) دعا فيها علماء إيران إلى الخروج من إيران نحو العراق، وفي بعض المصادر أنّهم ٢٥ عالماً[١]، وفي مصدر آخر أنّها موجّهة إلى علماء إيران بأسرهم من أجل الاجتماع في النجف واتّخاذ قرار حيال الشاه[٢]، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحوادث المؤلمة المتتالية والفجائع المحزنة التي ألمّت بسماحة العلماء الأعلام والجامعة الروحيّة في قم قد أدمت قلوب المؤمنين والمتديّنين، وأوجبت تأثّرنا الشديد ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣]، أملي أنّ حضرات العلماء بأجمعهم ينزحون إلى العتبات المقدّسة حتّى أقولها كلمةً صريحةً في الدولة.

[٨/ذي القعدة/]١٣٨٢هـ

محسن الطباطبائي الحكيم»[٤].

وأرسل السيّد الخوئي رحمه الله إلى السيّد الخميني رحمه الله البرقيّة التالية:

«قم ـ حضرت آيت الله الخميني دامت بركاته

جناية الجائرين على الحوزة العلميّة أوجعت قلوبنا وعامّة المسلمين، ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[٥]»[٦].

كما أرسل برقيّة إلى علماء إيران في طهران وقم ومشهد وتبريز وإصفهان.. جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أبرقنا في بداية هذا الشهر إلى الشاه نطالبه بالكفّ عن حمايته للقوانين الجائرة المناهضة للإسلام، وإلاّ فسوف لا يدّخر العلماء الأعلام والعالم الإسلامي وسعاً في الدفاع عن المقدّسات الإسلاميّة. هذه مرّة أخرى نعلن بالمناسبة أنّنا سنعمل بآخر ما يجب علينا إذا لم تنبذ هذه القوانين المسؤومة، وسيكون الشاه وحكومته هم المسؤولين عن نتائج كلّ ما يحدث.

٨/ذ.ق/١٣٨٥

أبو القاسم الموسوي الخوئي»[٧].

وأصدر رحمه الله بياناً إلى الشعب الإيراني أعلن فيه أنّ الشاه المتحالف مع الصهيونيّة والاستكبار العالمي الذي يحوك الدسائس ضدّ الإسلام والمسلمين «**لا يعتبر مسلماً حقيقيّاً**»، وأرسل البيان إلى المطبعة لكي يطبع ويعلن للعالم الإسلامي، غير أنّ بعض المنتسبين إلى بعض المراجع هدّدوا

---

(١) الإمام الحكيم.. لمحة موجزة عن مرجعيّته وجهاده: ٣٤.

(٢) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٧٨.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

(٤) لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٨٨ ؛ وانظرها بالفارسيّة في: نهضت امام خمينى (فارسي) ١: ٤١٨. وأحسبُ أنّ البرقيّة بالفارسيّة وأنّ ما جاء في المصدر الأوّل معرّبٌ وليس نصّ البرقيّة كما هو ظاهر المصدر.

(٥) إبراهيم: ٤٧.

(٦) نهضت امام خمينى (فارسي) ١: ٤٠١.

(٧) لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٨٩.

صاحب المطبعة بعدم طبع البيان، ثمّ أخذوا بالضغط على السيّد الخوئي ليبدّل كلمة (**الشاه**) إلى (**الحكومة**). وهكذا أبطل مفعول البيان[١].

كما أبرق كلٌّ من السيّد محمود الشاهرودي والسيّد عبد الله الشيرازي والسيّد البغدادي[٢].

تحفّظ السيّد الخميني على اقتراح السيّد الحكيم

بعد استلام برقيّة السيّد الحكيم عقد السيّد الخميني اجتماعاً ضمّ مجموعة من العلماء وتداول معهم الموضوع، وخلصوا بالإجماع إلى عدم صحّة هذه الخطوة التي ليس من شأنها سوى إخلاء الساحة للنظام الشاهنشاهي.

ومن جهته فقد قام رجال الأمن (السافاك) بإطلاع السيّد كاظم شريعتمداري على البرقيّة وذكروا له أنّه إذا عزم على تلبية دعوة السيّد الحكيم والهجرة إلى النجف فإنّهم سيوفّرون له سبل ذلك، وإلاّ فإن أراد أن يثير الضجّة على هذه البرقيّة فإنّهم سيقومون بالهجوم على داره وهتك عرضه وقتله، وطلبوا منه إبلاغ السيّد الخميني ذلك بعد أن أكّدوا له جديّتهم التامّة في تنفيذ ما توعّدوا به.

وفي ١٧/ذي القعدة/١٣٨٢هـ (١٢/٤/١٩٦٣م) أرسل السيّد الخميني برقيّةً إلى السيّد الحكيم شكره فيها على مشاركته إيّاهم المصابَ واعتذر له عن تلبية العلماء دعوَتَه إيّاهم للهجرة إلى العراق، لأنّ البلاد ستخلو حينها للكفر والزندقة[٣].

وأجاب عن برقيّة السيّد الخوئي بما ترجمته:

«سماحة آية الله الخوئي دامت بركاته

نشكركم على البرقيّة التي أرسلتموها بمناسبة الفاجعة العظيمة، ونلفت نظركم إلى الحوادث الجارية التي تبشّر بهدم الأصول»[٤].

الشروع في (المدرسة الإسلاميّة)

في هذا العام كتب السيّد الصدر الحلقة الأولى من (المدرسة الإسلاميّة)، وهي محاولة لإعطاء الفكر الإسلامي في مستوى مدرسي ضمن حلقات متسلسلة، وكان عنوانها (الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعيّة) وكانت جلّ مضامينها مستلهمةً من تمهيد كتاب (فلسفتنا). وقد صدرت سنة ١٣٨٤ هـ[٥].

ثمّ بعد ذلك صدرت ـ سنة ١٣٨٤ هـ ـ الحلقة الثانية تحت عنوان (ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي) الذي ضمّنه المفاهيم الأساسيّة عن الاقتصاد الإسلامي، والذي عالجه القسم الثاني من

---

(١) لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٩٥.

(٢) انظرها في: لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٨٩ ـ ٩١.

(٣) نهضت امام خمينى (فارسي) ١: ٤١٨ ـ ٤٢٠.

(٤) نهضت امام خمينى (فارسي) ١: ٤٠١.

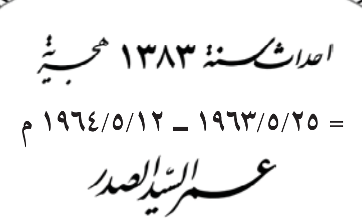
(٥) يبدو من مقدّمة السيّد الصدر على الحلقة الأولى من (المدرسة الإسلاميّة) أنّها جاءت بعد ثلاث سنوات تقريباً من (فلسفتنا)، أي سنة ١٣٨٢هـ، وإن كانت قد نشرت سنة ١٣٨٤هـ بحسب ما جاء على غلاف الطبعة الأولى.

(اقتصادنا).

هذا ولم يستمرّ ﵀ في إصدار باقي حلقات هذه السلسلة[1].

***

(١) انظر: المدرسة الإسلاميّة: ٩ ـ ١٢. وانظر: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٣١١.



٢٩ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٨ سنة وشهران و٢٤ يوماً م

❊ ❊ ❊

انطلاق الثورة الإسلاميّة بقيادة السيّد الخمينيّ (انتفاضة ١٥ خرداد)

عصر يوم ١٠/محرّم/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٦/٣م) ألقى السيّد الخمينيّ خطابه التاريخي في المدرسة الفيضيّة وفضح فيه العلاقة بين الشاه وبين إسرائيل[١].

وفي ١٢/محرّم/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٦/٥م) تمّ اعتقال السيّد الخمينيّ ونقله إلى (نادي الضبّاط) فسجنِ الملك في طهران. وعندها انطلقت ثورة الشعب الإيراني ضدّ الشاه في إيران بقيادة السيّد الخمينيّ، وهي المعروفة بانتفاضة ١٥ خرداد[٢].

وإثر هذا الحدث أعلن السيّد مرتضى العسكري ـ الذي كان يقيم في الكرادة الشرقيّة ـ الحداد وإقامة مجالس تأبينيّة عن أرواح الشهداء، وطلب من السيّد إسماعيل الصدر أن يقيم هو الآخر مجالس مماثلة في الكاظميّة[٣]، فأقام الأخير مجلس فاتحة في مسجد الترك المجاور للصحن الكاظمي، ألقيت فيه كلمات وقصائد[٤].

وعقد السيّد مرتضى العسكري اجتماعاً في بغداد حضره علماء الكاظميّة وبغداد وكتب بخطّ يده برقيّةً وقّعها مجموعة من العلماء وأرسلوها إلى السيّد الخمينيّ في السجن، وهذا نصّها:

«طهران ـ السجن

سماحة آية الله المجاهد الخميني مدّ ظلّه.

تعتبر الأمّة الإسلاميّة اعتقال سماحتكم وسائر العلماء والوعّاظ هتكاً لدين الإسلام، وتستنكر ذلك بشدّة.

نرجو لكم الراحة وتحقيق مطالبكم.

إسماعيل الصدر، محمّد طاهر الحيدري، الراجي عفو ربّه علي نقي الحيدري، مرتضى العسكري، علي الصغير، محمّد حسن آل ياسين»[٥].

وفي موسم الحجّ (ذي الحجّة/١٣٨٤هـ) بذل السيّد العسكري جهداً في سبيل التعريف بحركة السيّد الخمينيّ وانتفاضة خرداد، وقد أدّى توسّطه لدى ولي العهد السعودي فيصل بن عبد العزيز

---

(١) نهضت امام خمينى (فارسي) ١: ٤٩٥ ـ ٤٩٨.

(٢) حديث الانطلاق: ٨٠ ـ ٨٣؛ نهضت امام خمينى (فارسي) ١: ٥٠٨ ـ ٥١٠.

(٣) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٥٩.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ٨/ذي الحجّة/١٤١٠هـ.

(٥) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

ضمن وفد ضمّه وجماعة ـ منهم السيّد مهدي الحكيم رحمه الله ـ إلى إطلاق سراح الدكتور الشيخ محمّد الصادقي الّذي كان قد اعتقل إثر توزيعه على الحجّاج بياناتٍ أرسلها معه السيّد الخميني رحمه الله حول الانتفاضة والمجزرة[١].

كما أنّ السيّد الخوئي رحمه الله أصدر بياناً بتاريخ ١٤/محرم/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٦/٧م) جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[٢].

من أعظم الحرمات في الشريعة الإسلاميّة معونة الظالمين ومساعدتهم، وقد أجمع العلماء الأعلام على حرمة هذا الأمر.

وقد صمّمت اليوم الحكومة الإيرانية الحاضرة على تحقيق ما لها من مقاصد فاسدة مخالفة لمقرّرات الدين الإسلامي تنفيذاً لمخطّطات المستعمرين والصهاينة في بلادنا الإسلاميّة. وفي سبيل ذلك لم تتورّع من القيام بأنواع الظلم والعدوان، من الحبس والضرب والقتل لكلّ من يعلن استنكاره لأعمالها الكافرة من طلاّب العلوم الدينيّة وسائر طبقات المؤمنين، بل حتّى العلماء الأعلام.

وعليه، فإنّ الواجب على كلّ مسلم أن يمتنع عن معاونة هذه الحكومة الظالمة ومساعدتها مهما كان مقامه وبأيّة بزّة كان، ويصغي إلى نداء واستغاثة الحسين بن علي عليه السلام يوم أعلنها حرباً شعواء على الظالمين دفاعاً عن مبادئ الإسلام العالية.

النجف الأشرف ١٤ محرّم الحرام ١٣٨٣

أبو القاسم الموسوي الخوئي»[٣].

تعطيل الدروس في النجف الأشرف

إبّان الأزمة التي كانت تعيشها إيران، قام علماء النجف الأشرف بتعطيل أبحاثهم. وقام السيّد الصدر رحمه الله بنقل درسه إلى (السرداب)[٤]. وفي هذه الفترة كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة حجة الإسلام آقاي آقا[٥] شيخ محمّد إبراهيم أنصاري دام لطفه وتوفيقه وجعله في أتمّ راحة وأهدأ بال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) هود: ١١٣.

(٣) اسناد انقلاب اسلامى (فارسي) ١: ١٢٤ ؛ مجلّة (الموسم)، العدد السادس، ١٩٩٠م: ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

(٤) في: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٩٣ (ويبدو أنّ النقل عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري) أنّ السيّد محسن الحكيم رحمه الله ومراجع النجف لم يعطّلوا دروسهم إثر أحداث خرداد، بينما يبدو من رسالة السيّد الصدر رحمه الله التي يستند إليها السيّد محمّد الحسيني أنّهم عطّلوها، فقد جاء: «...أبحاث النجف معطّلة بعد القضيّة الأخيرة (وإن كانت مباحثتنا مستمرّة، ولكنّا نقلناها إلى السرداب)..»، والتركيز على عبارة «أبحاث النجف».

(٥) كذا في الوثيقة.

وبعد فقد كنتُ شديد الترقّب إلى ورود رسالة منكم وكثيرَ التلهّف على الاطّلاع على صحّتكم وأحوالكم واستراحتكم في سفركم هذا، وكان يقلقني تأخّر الرسالة حتّى أنّي قبل يومين عصراً تكلّمت مع الرفقاء في هذا الموضوع وأظهرت لهم تشويشي، ولكنّ الله تعالى تفضّل فأوصل رسالتكم العزيزة في تلك الليلة ففرحت بها كثيراً لما بشّرت به عن سلامتكم الغالية وراحتكم العزيزة واشتغالكم بشؤون التبليغ، فهنيئاً لأهل أراك بكم وبوجودكم في ظهرانيهم وحقّق على يدكم الله تعالى أعظم الإصلاحات في تلك المنطقة، ولكن شوّشني وأقلقني ما أشرتم إليه من حديث إلغاء جواز السفر التحصيلي ووقوعكم في مشكلة من هذه الناحية خصوصاً بعد هذه القضايا الأخيرة التي اتّفقت في إيران، وعلى كلّ حال فإذا كان هناك عملٌ يمكن لنا هنا أن نقوم به أنا أو السيّد محمّد باقر من طرف آقاي حكيم من كتابة أو شهادة أو توسّط فاكتبوا لنا لنحصّل ذلك، عسى أن يساعدكم على تهيئة المقدّمات الرسميّة للرجوع، ولا أدري هل تمكّنتم بعد عاشوراء من الاجتماع بآقاي عبادي، وإن كنت أظنُّ العدم لأجل هذه المصادفات والابتلاءات الأخيرة التي سوف تمنع على ما أظنُّ من الإقدام في مسألة الموقوفة.

الرفقاء جميعاً يسلمّون عليكم كثيراً خصوصا آقاي سيّد محمد باقر.

أمّا الأوضاع في النجف فلا تسألوا عنها بل قيسوا الحاضر بالماضي، فإنّ أبحاث النجف معطّلة بعد القضيّة الأخيرة (وإن كانت مباحثتنا مستمرّة، ولكنّا نقلناها إلى السرداب) وسوق السبِّ والشتم عامرة وإلى آخر الأمور المؤذية والمشوّشة من جميع الجهات.

وعلى كلِّ حال فأسأل الله تعالى أن يسهّل لكم مقدّمات الرجوع على أفضل ما نحبُّ ويقرَّ عيننا بالاجتماع بعد هذا الفراق الذي نشعر فيه بالوحشة الشديدة لفراقكم وبعدكم.

والسلام عليكم أولاً وآخراً

محمّد باقر الصدر»[١].

السيّد موسى الصدر يقوم بجولة أوروبيّة

في ٦/٧/ ١٩٣م (١٤/صفر/١٣٨٣هـ) سافر السيّد موسى الصدر إلى روما حيث قضى خمسة أيّام في ضيافة الفاتيكان، وقد جهد في نقل قضيّة اعتقال السيّد الخمينيّ﴿رحمه الله﴾ إلى البابا الذي كان متجاوباً معه.

ثمّ غادر السيّد موسى روما إلى سويسرا وفرنسا وبلجيكا وإسبانيا ومنها إلى الجزائر والمغرب العربي إلى أن عاد إلى بيروت عن طريق القاهرة في ١٧/٨/١٩٦٣م (٢٦/ربيع الأوّل/١٣٨٣هـ).

وكان السيّد موسى الصدر في سفره هذا على اتّصال بكبار الشخصيّات وأمّهات الصحف العالميّة والفاعليات في جنيف وهامبورغ وباريس وبون وغيرها لشرح قضيّة اعتقال السيّد الخمينيّ﴿رحمه الله﴾، حتّى قال السيّد الخوئي﴿رحمه الله﴾: «**يعود الفضل الأكبر في إطلاق سراح السيّد الخميني إلى رحلة السيّد موسى الصدر**»[٢].

علماء إيران والعراق يحمون السيّد الخمينيّ﴿رحمه الله﴾

في ٣/ربيع الأوّل/١٣٨٣هـ (٢٤/٧/١٩٦٣م) أصدر ستّةٌ وثلاثون عالماً إيرانيّاً بياناً اعترفوا فيه بأنّ

(١) انظر الوثيقة رقم (٥٢).

(٢) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ٧٧ ـ ٧٨. وفي المصدر (الإمام) بدل (السيّد)، وأظنّ أنّها من الناقل.

السيّد الخميني مرجع. وكانت حكومة مصدّق قد أصدرت قانوناً يُمنع على أساسه التعرّض لمراجع التقليد(١).

وعندما انتشر خبر محاكمة السيّد الخميني وعلم السيّد الخوئي بذلك، قام مع الشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ مجتبى اللنگراني والشيخ صدرا البادكوبي والسيّد الصدر بزيارة السيّد محمود الشاهرودي لاصطحابه معهم إلى السيّد محسن الحكيم حيث عقدوا اجتماعاً خلصوا منه إلى إصدار بيانات إدانة(٢). ويبدو أنّ السيّد الحكيم قام باتّصالات حول هذا الموضوع، ولذلك طمأنهم بأنّ السيّد الخميني لن يُعدم.

ولم يكتفِ السيّد الخوئي بهذه المبادرة النجفيّة، بل أرسل في ذلك الوقت رسولاً إلى علماء لبنان الكبار، مثل الشيخ حبيب آل إبراهيم والشيخ موسى عزّ الدين والشيخ محمّد تقي صادق والسيّد محمّد حسن فضل الله والسيّد عبد الرؤوف فضل الله يدعوهم إلى الاجتماع، للإنكار على الشاه سياسته وإصدار البيانات في هذا المجال، بوصف ذلك خطوةً تصعيديّة للضغط على حكومة الشاه لمصلحة السيّد الخميني.

وعندما جاء الشيخ محمّد رضا الجعفري ـ رسول السيّد الخوئي ـ كان السيّد محمّد حسين فضل الله في لبنان، وقد عقد اجتماعٌ لكبار العلماء في المدرسة الدينيّة في صور. وأوكل أمر إصدار البيان إلى السيّد موسى الصدر وإلى الشيخ الجعفري، وقد باتوا ليلةً في بيت السيّد موسى الصدر في صور، وتمّت كتابة البيان ووضعت تواقيع العلماء، وأرسل إلى الصحف، ولم تنشره آنذاك إلاّ جريدة (صوت العروبة) باعتبار أنّ الصحف الأخرى في لبنان كانت تؤيّد الشاه، فيما كانت (صوت العروبة) تؤيّد عبد الناصر الذي كان يقف في خط المواجهة مع الشاه(٣).

وفي ٤/ربيع الأوّل/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٧/٢٥م) أجاب السيّد الحكيم عن برقيّة وزير الخارجيّة الإيراني عبّاس آرام دعاه فيها إلى اتّباع العلماء ووضع حدّ للأزمة في إيران(٤).

وفي ٥/ربيع الأوّل تمّ نقل السيّد الخميني من السجن إلى الإقامة الجبريّة(٥).

وعلى إثر ذلك وفي ٢/ربيع الثاني/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٨/٢٢م) أبرق السيّد الخوئي إلى الشاه معرباً عن ارتياحه لإطلاق سراح العلماء، مطالباً في الوقت نفسه بإطلاق سراح من بقي(٦).

زيارة السيّد الصدر الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري

بعد رجوع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري من إيران، قام السيّد الصدر بزيارته برفقة السيّد محمّد باقر الحكيم، وقد تحدّث الشيخ الأنصاري عن المواجهة مع الشاه وكيف دعم المراجع

---

(١) هفت هزار روز (فارسي) ١: ١٦٥.

(٢) جلوهاى حسينى در سيماى خمينى (فارسي): ٢٥٧.

(٣) مواقف السيّد الخوئي من القضايا العامّة، الحياة، ٢٠٠٢/٤/٢٢م (موقع بيّنات).

(٤) اسناد انقلاب اسلامى (فارسي) ١: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٥) هفت هزار روز (فارسي) ١: ١٦٥.

(٦) اسناد انقلاب اسلامى (فارسي) ١: ١٧٧ ـ ١٧٨.

موقف السيّد الخميني﵀ وأصدروا البيانات في عدم جواز التعرّض له. وقد من السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ عدم ارتياحه من حركة السيّد الخميني﵀(١).

وكان موقف السيّد الصدر﵀ أن قال: «**في ما مضى كان التحسّس [إزاء] ما يخالف الإسلام محصوراً بالأمور الضيّقة والجزئيّة، فكان الاستنكار يحدث لرفع صوت الراديو بالغناء مثلاً في الشوارع والأسواق المحيطة بصحن المشهد الشريف لأمير المؤمنين﵇، أمّا الآن فقد أصبح تحسّس المرجعيّة والأمّة على مخالفة [سلوك الحكّام للإسلام]**(٢) **في سياسة الأمّة وارتباطهم بالمستعمر كما حصل في إيران**»(٣).

وذكر للسيّد الصدر﵀ أنّ بعض مساجد إيران تقام فيها الصلاة وتكون مكتظّة بالمصلّين، وعندما يخرج المصلّون إلى الشارع تكون محلاّت الخمور على مقربة منهم، فعلّق﵀: «**إنّ التناقض بين الاتّجاه الأصيل في الأمّة وبين العنصر الطارئ الدخيل الغريب عليها**»(٤).

(الأضواء) في عامها الرابع ومشارفة الجزء الثاني من (اقتصادنا) على الانتهاء

في العددين الأوّل والثاني من السنة الرابعة لمجلّة (الأضواء) ربيع الأوّل والثاني/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٨/١٥م) كتب السيّد الصدر﵀ تحت عنوان (عمر الأضواء):

«عمر الأضواء

محمّد باقر الصدر

تدخل (الأضواء) عامها الرابع في هذا العدد بعد أن قاست خلال هذه السنين المتعدّدة المحن التي امتحنت بها الأمّة الإسلاميّة وعاشت تلك المحن عيش جهاد مخلصٍ وكفاحٍ مرير، واكتوت بنارها وأشعّت عليها بنورها، وترفّعت عليها بصلابة إيمانها وقوّة عقيدتها، برسالتها الكبرى ووظيفتها في إسماع الأمّة كلمة الله في كلّ مجال وكلّ حين.

وبدخولها هذا العام الجديد تكون قد طوت ثلاث سنين من عمرها الخيّر الطافح بالخير والعطاء. وثلاث سنين في حساب الزمن وفي أعمار الناس وإن كانت شوطاً قصيراً، ولكنّها في المقاييس الزمنيّة لجهاز فكري كالأضواء عمرٌ طويلٌ وشوطٌ عظيمٌ قد لا تعادله عشرات السنين من عمر الإنسان.

نعم؛ إنّها عمرٌ طويلٌ لأنّها كلّها زاخرة بالجدّ، عامرة بالحركة المثمرة، واثبة على العطاء السخي، فإذا قايستها بعمرٍ كاملٍ للإنسان، وأفرزت منه لحظات اللعب والهزل والساعات العقيمة والفرص التي تنبع من العمر، وأبقيتَ من عمر الإنسان لحظات التاريخ والعطاء، لحظات الإنتاج والنشاط الخيّر، فسوف لن يبقَ من العمر الكامل للإنسان ما يساوي ثلاث سنين من عمر الأضواء إلاّ في أعمار الصفوة من الناس.

إنّها ألف يوم أو تزيد واجهت فيها (الأضواء) ألف مشكلة أو تزيد، وفتحت ألف قلب، وأشعّت عشرات المرّات على تلك القلوب المؤمنة بكلمة السماء، وربطت أفكارهم وآمالهم بتلك الكلمة الكبرى. وبهذا أصبحت الأضواء لا تعيش كعمليّة خيّرة دائبة فحسب، بل تعيش فكرة في الأرواح، وتمتزج بقلوب قرّائها وتتفاعل معهم، وهذا معنى آخر يبرز مضمون العمر الطويل في السنوات الثلاث، لأنّ الأضواء إذا

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٩١، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.
(٢) في الأصل: (مخالفات الإسلام لسلوك الحكّام).
(٣) قبسات من حياة آية الله السيّد محمّد باقر الصدر، حزب الله: ١٠ ؛ الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ١٤ ؛ ويبدو أنّ الشيخ علي كوراني هو مصدر المعلومة، فقد ورد هذا الكلام في: مقابلة (١) مع الشيخ علي كوراني (﵀).
(٤) مقابلة مع محمّد باقر آل ياسين (﵀).

كانت تحيي بحياة كلّ واحد من قرّائها الذين اندمجوا بفكرتها، فهي تعيش ألف مرّة كلّ يوم وتمتدُّ بوجودها عرفيّاً بقدر ما يجعل في ثلاث سنين قوّة الامتداد عشرات السنين.

وهي إلى [هذا] وذاك ولدت منذ ولدت رشيدةً مدركة لواجبها، وافيةً لموقفها، محدّدةً لأهدافها، وهذا فرقٌ آخر بين عمر المجلّة وعمر الإنسان الذي لا يصل إلى هذه المرحلة إلاّ في منتصف الشوط.

إنّ ثلاث سنين عمرٌ طويلٌ للأضواء بقدر ما احتوى من تجارب وعاش من ظروف وأنجز من نشاطات وامتدّ في الإشعاع.

وإنّي أتمنّى لها بمناسبة دخولها العام الجديد عمراً مديداً عامراً بالورع والتقوى وطاعة الله، ورائعاً في الإشعاع والهداية والتبليغ.

ولا أدري هل سوف تؤاخذني الأضواء إذا ما ختمت كلمتي هذه دون أن أشير إلى المثبطين في القرآن الذين تحدّثنا عنهم وعن أعذارهم التي يكشفها القرآن الكريم في عدد أسبق من الأضواء[1]، ووعدنا بالرجوع إلى هذا الموضوع وإكماله في الأعداد المقبلة، ولا أدري هل سوف تعتبر الأضواء التأخّر عن الوفاء بهذا الوعد انسياقاً مع مثبطات كتلك التي كنّا نريد الحديث عنها. وأمّا أنا فأعلم حقّ العلم أنّي كنتُ ولا أزال حريصاً على إكمال ذلك الموضوع، ولكن عاقني عنه توفّري على إعداد الجزء الثاني من كتاب (اقتصادنا) الذي أشرف الآن على الانتهاء، فعذراً إلى قرّاء الأضواء الأعزّاء، والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[2].

انتشار الجزء الثاني من (اقتصادنا)

في هذه الفترة صدر الجزء الثاني من (اقتصادنا)، وهو يُعنى بدراسة المذهب الاقتصادي في الإسلام[3]. وقد جاء في مقدّمته:

«**مقدّمة الجزء الثاني**

هذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من السلسلة التي بدأناها بـ (فلسفتنا)، والكتاب الثاني من (اقتصادنا)، ويحتوي على محاولة لاكتشاف مذهب اقتصادي إسلامي في ضوء تشريعات الإسلام ومفاهيمه التي ترتبط بالحقول الاقتصاديّة.

ولأجل ذلك كانت المحاولة تعبيراً عن عمليتين: إحداهما تقوم على أساس الأخرى.

الأولى: عمليّة تجميع عدد من التشريعات والمفاهيم التي يمكنها أن تلقي ضوءاً على عمليّة اكتشاف المذهب.

والأخرى: عمليّة تفسير تلك المجموعة من التشريعات والمفاهيم تفسيراً نظريّاً موحّداً يبرز المحتوى

---

(١) إشارة إلى ما نشره في مجلّة (الأضواء)، العدد (٧ ـ ٨)، السنة الثالثة، رمضان وشوّال/١٣٨٢هـ تحت عنوان (دروس من القرآن الكريم).

(٢) مجلّة الأضواء، العدد (١ ـ ٢)، السنة الرابعة، ربيع الأوّل والثاني/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٨/١٥م): ٦٥ ـ ٦٧.

(٣) انظر أحداث سنة ١٣٨٠هـ تحت عنوان (صدور اقتصادنا) وهامش عنوان (البحث في إحياء الموات) ضمن أحداث سنة ١٣٨١هـ، إضافةً إلى ما جاء في العنوان السابق تحت عنوان (الأضواء في عامها الرابع..). ويبدو من كلام السيّد الصدر في ربيع الأوّل ـ الثاني ١٣٨٣هـ أنّ الجزء الثاني من (اقتصادنا) شارف على الانتهاء من ناحية التأليف لا الطباعة.

المذهبي للاقتصاد الإسلامي.

وقد تحمّل الكتاب أعباء العمليّة الثانية، بينما آثر بالنسبة إلى العمليّة الأولى أن يقوم بدور تجميع الأحكام وانتقاء التشريعات التي تساعد على إنجاح العمليّة الثانية دون أن يشترط في الأحكام التي ينتقيها أن تكون متبنّاة شخصيّاً من الناحية الفقهيّة.

ولهذا، فإنّ الأحكام التي يعرضها هذا الكتاب ليست كلّها ممّا أتبنّاه فقهيّاً، بل إنّ فيها أحكاماً لا أتبنّاها، بالرغم من إسهامها بأدوار مهمّة في بحوث هذا الكتاب وحصولها على عناية خاصّة في ملاحقه.

ولأجل ذلك كان لزاماً عليَّ أن أوضح هذه النقطة ـ لئلاّ يعتبر ذكر حكم من الأحكام في هذه الكتاب والتأكيد عليه دليلاً على أنّي أقول به فقهيّاً وأتبنّاه ـ وأن أذكر المصادر التي استقى منها الكتاب أحكام الأراضي والمعادن والمياه والمعاملات وما إليها. وأترك تفصيل الحديث عن هذه النقطة وعن الأسباب التي دعت الكتاب إلى الوقوف من العمليّة لأولى هذا الموقف إلى الفصل الأوّل من هذا الكتاب.

وبهذا الصدد يمكن ذكر المصادر الثلاثة التالية بوصفها الأساس لمجموعة الأحكام والتشريعات التي استعرضها الكتاب:

١ ـ الآراء الفقهيّة لعلمائنا الأبرار. وقد استقى الكتاب من هذا المصدر الغالبيّة العظمى من الأحكام التي استضاء بها في عمليّة الاكتشاف، فإنّ كلّ واحد من تلك الأحكام تقريباً لا يعدم فقهيّاً أو أكثر ممّن يتبنّاه ويفتي به.

٢ ـ الآراء الفقهيّة التي يتبنّاها الكاتب ويؤمن بصحّتها.

٣ ـ وجهات نظر فقهيّة يمكن الأخذ بها من الناحية الفنيّة على صعيد البحث العلمي وإن كنّا لا نتبنّى نتائجها فقهيّاً للأسباب النفسيّة التي قد تمنع الباحث أحياناً عن تبنّي نتائج بحثه أو لاحتمال وجود أدلّة لبيّة.

وللكتاب مصطلحات حدّدت في ص (٦٥)، فيجب أن تلاحظ وتفهم على ضوئها البحوث الآتية عن الملكيّة الخاصّة وملكيّة الدولة والملكيّة العامة والإباحة العامّة وما إليها.

وقد اقتصر الكتاب وفقاً لمنهجه في البحث ـ كما سترون ـ على شرح الأحكام التي تتّصل بعمليّة اكتشاف المذهب الاقتصادي وتدخل في بنائه العلوي.

ولهذا فإنّ عدداً من أحكام الملكيّة ونقلها وتنميتها لم يشرح في الكتاب لعدم الحاجة إليه في عمليّة الاكتشاف. وتحتّم علينا لأجل ذلك أن نتناوله بالدرس والتوضيح في فرصة مقبلة بإذن الله تعالى.

كما أنّ عدداً من الآراء ووجهات النظر الفقهيّة التي نستعرضها في بحوث الكتاب لم تشرح في نفس الكتاب على أساليب البحث العلمي ـ بالرغم من حاجتها إلى ذلك ـ حرصاً على تيسير بحوث الكتاب ووحدتها في الأسلوب والصياغة. ولهذا آثرنا دراسة تلك الآراء فقهيّاً بصورة علميّة في الملاحق التي أردفناها بالكتاب، واستخدمنا فيها الأساليب وطريقة التعبير الخاصّة بالبحث الفقهي التي لا يتاح لغير المتخصّصين في البحوث الفقهية استيعابها بصورة كاملة.

وأخيراً فإنّي أرجو أن تكون هذه المحاولة المتواضعة التي مارسها هذا الكتاب منطلَقاً لبحوث كثيرة أوسع وأكثر نجاحاً في الكشف عن المذهب الاقتصادي للإسلام واستلهام الشريعة الإسلاميّة أسرارها الكبرى في كلّ ميادين الحياة.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[1].

---

(١) هذه المقدّمة لم تنشر إلاّ في طبعة دار الفكر لاحقاً (٣٣٥ ـ٣٣٧) ؛ وقد نشرت مؤخّراً في طبعة المؤتمر العالمي للإمام

السيّد الصدر رحمه الله يبلغ مبحث (القطع) في دورته الأصوليّة

في ١٥/ربيع الثاني/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/٩/٤م)، بلغ السيّد الصدر رحمه الله في الدورة الأصوليّة الأولى إلى مبحث (القطع)[١]. وقد تعرّض رحمه الله ضمن أبحاثه الأصوليّة لدى مناقشته الأخباريّين في مدى حجيّة البراهين العقليّة إلى نمط التفكير المنطقي الأرسطي ونقده. وبعد ذلك طوّر من تلك الأبحاث وأكملها وأضاف إليها ما لم يكن يناسب ذكره ضمن الأبحاث الأصوليّة فأخرجها بأروع صياغة باسم كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء)[٢].

وكان السيّد الصدر رحمه الله قد تعرّض في ما يقرب من عشرة دروس ضمن أبحاث الأصول إلى استدلالات القوم ونقدها، ولمّا زاد النقاش عن الحدّ الذي يتحمّله الدرس الأصولي قطع البحث واستمرّ مع السيّد كاظم الحائري في مناقشة الآراء، فكانا يجلسان بعد الدرس لطرح القضايا المختلفة ثمّ يقطعان البحث للتفكير فيها، وفي اليوم التالي كانا يأتيان بما توصّلا إليه ويعمّقان البحث[٣]، كما كان السيّد الحائري يقصد السيّد الصدر رحمه الله في بيته في منطقة (العمارة) عند عقد السلام[٤].

ولا بأس هنا بإيراد شيء من تقريرات درسه الأصولي في الدورة الثانية حول الموضوع. يقول رحمه الله:

«طريقة تولّد المعارف البشريّة ـ حسبما يصوّرها المنطق الصوري ـ حيث إنّ الفكر يسير دائماً من معارف أوليّة ضروريّة هي أساس المعرفة البشريّة إلى استنباط معارف نظريّة جديدة بطريقة البرهان والقياس التي يحدّد صورتها علم المنطق.

فأيّ خطأ يُفترض: إن كان في الصورة، فعلم المنطق هو العاصم منه. وإن كان في مادة القياس، فإن كانت تلك المادة أوليّة فلا مجال لوقوع الخطأ فيها، وإن كانت ثانويّة مستنتجة، فلا محالة تكون مستنتجةً من برهان وقياس. فينقل الكلام إليه حتّى ينتهي إلى خطأ يكون في الصورة، لأنّ المعارف الأوليّة لا خطأ فيها بحسب الفرض لكونها ضروريّة.

وقد اصطلح على المعارف الأوليّة في الفكر البشري بمدركات العقل الأوّل، وعلى المعارف المستنتجة منها بمدركات العقل الثاني. ونحن تارةً نسلّم بهذا التصنيف للمعارف البشريّة وطريقة سير الفكر البشري فيها وأخرى لا نسلّم به.

أمّا لو سلّمنا بذلك، فيمكن مع ذلك الانتصار للمحدثين في المقام بأنّ قواعد علم المنطق إمّا أن تكون جميعها ضروريّة كبرىً وتطبيقاً، أو بعضها ليس ضروريّاً.

أمّا الأوّل فواضح البطلان، إذ لو كانت كذلك لما وقع خطأٌ خارجاً، إذ لا يوجد من يخالف البديهة والضرورة، ولا خطأ فيها بحسب فرض هذا المنهج.

وعلى الثاني فإن قيل بعدم البداهة في الكبريات، فسوف يقع الخطأ في نفس العاصم لا محالة. وإن قيل بعدم البداهة في التطبيق، احتجنا إلى عاصم في مرحلة التطبيق ولم تكف مراعاة الكبريات المنطقيّة في

الشهيد الصدر قدس سره (٤١١ ـ ٤١٦).

(١) جواهر الأصول: ٣١١ ؛ تقريرات السيّد نور الدين الإشكوري.

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٦٣.

(٣) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري.

(٤) مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (دام ظله).

عصمة الذهن عن الخطأ، وعلم المنطق لا يعطي إلاّ الكبريات. وهذا الكلام أفضل ممّا ذكره المحدّث الإسترآبادي بناء على التصوّر المدرسي للمعرفة البشريّة وطريقة التوالد فيها.

إلاّ أنّ هذا التصوّر أساساً غير صحيح على ما شرحناه مفصّلاً في كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء)، فإنّ هذا البحث كان منشأً لانتقالنا إلى نظريّة جديدة للمعرفة البشريّة استطاعت أن تملأ فراغاً كبيراً في نظريّة المعرفة البشريّة لم [يستطع] الفكر الفلسفي أن يملأه خلال [ألفي] سنة(١).

و فيما يلي نذكر مجمل تلك النتائج التي انتهينا إليها في نقطتين:

الأولى: فيما يتعلّق بالعقل الأوّل ومدركاته: وهي المدركات التي حدّدها المنطق الصوري في قضايا ستّ اعتبرها مواد البرهان في كلّ معرفة بشريّة، وهي الأوليّات والفطريّات والتجربيّات والمتواترات والحدسيّات والحسيّات(٢).

و قد ادّعى المنطق الصوري أنّ هذه القضايا كلّها بديهيّة، ونحن نسلّم معهم في اثنين منها هما: الأوليّات ـ كاستحالة اجتماع النقيضين ـ والفطريّات وهي التي قياساتها معها، ولم نقل برجوعها إلى الأوليّات على ما هو التحقيق(٣).

فهاتان قضيّتان قبليّتان، وأمّا غيرهما ـ أي القضايا الأربع الباقية ـ فليست المعرفة البشريّة فيها قبليّة، بل بعديّة، أي تثبت بحساب الاحتمالات وبالطريقة الاستقرائيّة التي يسير فيها الفكر من الخاصّ إلى العام حسب قوانين وأسس شرحناها مفصّلاً في ذلك الكتاب بعد إبطال ما حاوله المنطق الصوري من تطبيق قياس خفيٍّ فيها بمناقشات عديدة مشروحة في محلّها(٤).

و قد أثبتنا هنالك أنّه حتّى المحسوسات التي هي أبده القضايا الأربع الباقية، تخضع للأسس المنطقيّة للدليل الاستقرائي(٥)، وتوضيح ذلك:

إنّ القضايا الحسيّة على قسمين(٦):

١ ـ أن يكون واقع المحسوس فيها أمراً وجدانيّاً: كالإحساس بالجوع والألم. وهذا لا إشكال في أوليّته، ولا يقوم على أساس حساب الاحتمالات والطريقة الاستقرائية، لأنّ الإدراك في هذا النوع يتّصل بالمُدرَك بصورة مباشرة، حيث يكون المُدرَك بنفسه ثابتاً في النّفس، لا أنّه أمرٌ موضوعي خارجي له انعكاسٌ على

---

(١) جاء في تقرير الشيخ حسن عبد الساتر للمطلب نفسه: «وقد كانت هذه المسألة هي التي فتحت علينا أبواب التفكير وكانت المفتاح لتأليف كتاب الأسس المنطقية للاستقراء» (بحوث في علم الأصول ٨: ٣٣٦).

(٢) مراده‏ﷺ (المحسوسات)، وهي تعبيرٌ آخر في المنطق الأرسطي عن (المشاهدات)، وإلا فإنّ (الحسيّات) أخصّ من (المحسوسات)، لأنّ (المحسوسات) أو (المشاهدات) تارةً تعتمد على الحسّ الظاهر فتسمّى (حسيّات)، وأخرى على الحسّ الباطن فتسمّى (وجدانيّات). وفي تقريرات الشيخ عبد الساتر ورد التعبير الصحيح بـ(المحسوسات)، وهو ما جرى عليه‏ﷺ في (الأسس المنطقيّة للاستقراء: ٤١٤)، فلعلّ الاشتباه من المقرّر.

وبشكل عام، فقد صنّف المنطق الأرسطي مبادئ الأقيسة إلى أصناف ثمانية: اليقينيّات، المظنونات، المشهورات، الوهميّات، المسلّمات، المقبولات، المشبّهات والمخيّلات. وقد رأى المنطق الأرسطي أنّ اليقينيّات تارةً تكون بدهيّة، وأخرى نظريّة كسبيّة تنتهي لا محالة إلى البدهيّات، ومن هنا اعتبر أنّ البدهيّات هي أصول اليقينيّات، وهي على ستّة أنواع بحكم الاستقراء: أوّليّات، مشاهدات، تجربيّات، متواترات، حدسيّات وفطريّات. انظر: المنطق، للشيخ المظفر‏ﷺ: ٢٨٢ ؛ الأسس المنطقيّة للاستقراء، ط.ق: ٤١٤.

(٣) انظر: الأسس المنطقيّة للاستقراء، ط.ق: ٤١٤، ٤٧١ ـ ٤٧٦.

(٤) انظر: الأسس المنطقيّة للاستقراء، ط.ق: ٤٢٠ ـ ٤٣٨.

(٥) انظر: الأسس المنطقيّة للاستقراء، ط.ق: ٤٥٢.

(٦) انظر: الأسس المنطقيّة للاستقراء، ط.ق: ٤١٤.

النّفس ليراد الكشف عن مدى مطابقة ذلك الانعكاس مع واقعه.

٢ ـ الإحساس بالواقع الموضوعي خارج عالم النّفس: كإحساسك بالسرير الذي تنام عليه، وصديقك الذي تجلس عنده، وحرمك [التي] تسكن إليها. وهذا هو الذي لا يتعلّق إحساسنا به مباشرةً، فكيف يمكن إثبات واقعيّته من مجرّد انطباعٍ حاصلٍ في النفس أو الذهن، وكيف نثبت مطابقة ذلك الانطباق للخارج؟

وهذه المسألة من ألغاز الفلسفة. والاتجاه المتعارف عند فلاسفتنا في حلّها أنّ المحسوسات قضايا أوّليّة، وإن كانت المسألة غير معنونة بهذا الشكل، وإنّما عنونت كذلك عند فلاسفة الغرب.

وقد ظهر لدى بعض المحدثين[١] عندنا أنّ معرفتنا بالحسيّات لا يمكن أن تكون أوليّة لوقوع الخطأ فيها، مع أنّه لا خطأ في الأوّليّات. ولكنّه عاد وزعم أنّ معرفتنا الحسيّة بالواقع الخارجي إجمالاً أوّليّة، وإن كانت معرفتنا بالتفاصيل ليست كذلك. فكان هذا [الاتّجاه] يفصّل في المعرفة الحسيّة بين الإيمان بأصل الواقع الموضوعي في الجملة، وبين الإيمان بتفاصيل المعرفة الحسيّة.

ونحن في كتاب (فلسفتنا) حاولنا إرجاع المعرفة الحسيّة إلى معارف مستنبطة بقانون العليّة[٢]، لأنّ الصورة الحسيّة حادثةٌ لا بدّ لها من علّة، وقانون العليّة قضيّة أوليّة أو مستنبطة من قضيّة أوليّة.

وفي قبال هذه الاتّجاهات الثلاثة [يقف] المثاليّون الذين أنكروا الواقع [الموضوعي] رأساً.

وكلّ هذه الاتجاهات الأربعة التي تذبذب الفكر الفلسفي بينها غير صحيحة، وإنّما الصحيح ـ بناءً على ما اكتشفناه من الأسس المنطقيّة للاستقراء ـ أنّ معرفتنا بالواقع الموضوعي جملةً وتفصيلاً في المدركات الحسيّة قائمة على أساس حساب الاحتمال الذي يشتغل بالفطرة لدى الإنسان وبعقل رزقه اللّٰه له سمّيناه بالعقل الثالث قبال العقلين الأوّل والثاني[٣].

وقد أوضحنا ذلك مشروحاً في كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) وبيّنا هنالك في ضمن ما بيّناه أنّنا حينما نقارن بين إحساساتنا في عالم الرؤية مع إحساساتنا في عالم اليقظة لا نشك بأنّ الأولى لا واقع موضوعي لها، بخلاف الثانية ـ إذا استثنينا شيخ الإشراق الذي كان قائلاً بعالم الأمثال في الأحلام ـ مع أنّه لا فرق بين القسمين من ناحية وجدانيّة الإحساس عند النّفس، وهذا دليل عدم بداهة المعرفة في الحسيّات وأنّ الإيمان بموضوعيّة الثانية قائمٌ على أساس حسابات الاحتمال المبتنية على قرائن وخصوصيّات مكتنفة بالثانية، مفقودة في الأولى التي تكون إحساسات زائلةً متقلّبةً بمجرّد كفّ الذهن عنها وغير متشابهة، إلى غير ذلك من خصائص ونكات تقوم على أساسها حساب الاحتمالات شرحناها في ذلك الكتاب.

إذن فليست المحسوسات قضايا أوليّة، كما أنّها لا يمكن أن تكون مستنتجة بقانون العليّة، لأنّ هذا القانون غاية ما يقتضيه وجود علّة لحصول الصورة في النّفس، وأمّا هل هي خارجيّة أو حركة جوهريّة

---

(١) السيّد الطباطبائي‏ في (اصول فلسفه وروش رئاليسم). وفي تقريرات الشيخ حسن عبد الساتر (٨: ٣٤٢) ورد التعبير عنه بـ (بعض الفلاسفة المسلمين المتأخّرين).

(٢) انظر فلسفتنا،ط.التعارف.ق: ٣٠٤. ومذهب السيّد الصدر هنا قريبٌ ممّا ذكره عن السيّد الطباطبائي حيث قال: «إنّ التصديق بوجود واقع موضوعي للعالم تصديقٌ ضروريٌّ أولي، فهو لأجل ذلك لا يحتاج إلى دليل، ولكنّ هذا التصديق الضروري إنّما يعني وجود واقع خارجيٍّ للعالم على سبيل الإجمال. وأمّا الواقع الموضوعي لكلّ إحساس، فهو ليس معلوماً علماً ضروريّاً، وإذن فنحتاج إلى دليل لإثبات موضوعيّة كلّ إحساس بصورة خاصّة، وهذا الدليل هو مبدأ العلّيّة وقوانينها» (فلسفتنا: ٣٠٤ ؛ انظر: اصول الفلسفة والمذهب الواقعي/ المقالة السابعة / الوجود وواقع الأشياء).

(٣) انظر: الأسس المنطقيّة للاستقراء، ط.ق: ٤٦٣، تحت عنوان (معرفتنا بالواقع الموضوعي للعالم استقرائيّة). والظاهر أنّ تسمية (العقل الثالث) لم ترد في كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء).

في النّفس؟ فلا يعيّن أحدهما.

هذا مجمل الحديث عمّا سمّوه بالعقل الأول ومنهجنا في طريقة تفسير المعرفة البشريّة فيه.

الثانية: فيما يتعلق بالعقل الثاني: والمنطق الصوري بعد افتراضه للعقل الأوّل بالنحو المتقدّم، ذكر أنّ كلّ ما يستنبط من العقل الأوّل من المعارف بطريقة الاستدلال المنطقي الصحيح ـ الراجع بالأخير جميعاً إلى الشكل الأوّل الضروري والبديهي الإنتاج ـ فهو مضمون الحقّانيّة، ويسمّى بالعقل الثاني.

والقياس يحتوي على حدٍّ أصغر وأوسط وأكبر. وفي القياس الأوّل لا تكون بين المحمول وموضوعه واسطةٌ، لأنّها قضيّة أوليّة، وإنّما المستنبط ثبوت الثالث للأوّل، وعلى هذا الأساس يكون مشتملاً على قائمتين: قائمة للمحمولات الثابتة بالضرورة لموضوعاتها، وقائمة أخرى للمحمولات الثابتة بالضرورة على تلك المحمولات. وفي كلٍّ منهما القضيّة أوليّة ضروريّة وليست مستنبطة لعدم حدٍّ أوسط.

نعم ثبوت المحمول الثاني للموضوع الأوّل يكون نظريّاً لأنّه مستنبطٌ بالحدّ الأوسط الذي هو موضوعٌ في القائمة الثانية ومحمولٌ في الأولى.

ومن هنا لا يخلو الكلام المعروف من صحّة ببعض المعاني من أنّ المعرفة إذا كانت حسب هذه الطريقة، فليس هناك نموٌّ وزيادةٌ حقيقيّةٌ في المعرفة، وإنّما هو تحليلٌ لما هو مجملٌ وتطبيقٌ لما هو عام وكلّي.

وأيّاً ما كان، فالمنطق الصوري بعد أن افترض حقّانيّة القضايا الستّ التي تشكّل مواد الأقيسة والمعارف النظريّة، وكان استنتاج المعارف النظريّة في العقل الثاني من تلك المواد حسب المقياس البديهي الإنتاج، من هنا حكم بحقّانيّة مدركات العقل الثاني أيضاً كحقّانيّة مدركات العقل الأوّل.

وهذا الكلام ينحلّ إلى جزءين:

١ ـ إنّ كلّ معرفة أوليّة تكون مضمونة الحقّانيّة.

٢ ـ إنّ المعارف النظريّة في العقل الثاني إنّما تستنتج من المعارف الأوليّة في العقل الأوّل بطريقة التوالد الموضوعي القائم على أساس التضمّن أو التلازم المنطقي المضمون الحقّانيّة أيضاً.

وكلا هذين الجزءين محلّ نظر:

أمّا الأوّل، فلأنّ بعض المعارف الأوّليّة قد لا تكون مضمونة الحقّانيّة بالرغم من كونها أوليّة، بل قد تكون مظنونة أو مشكوكة أو خاطئة. ومن ذلك ينشأ ينبوعٌ للأخطاء في العلوم النظريّة، فإنّ الخطأ فيها لا ينشأ من خطأ الاستدلال عادةً، بل من الخطأ في أوليّات الاستدلال حيث تطرح فكرة بتوهّم صحّتها وهي خاطئة فيبنى عليها.

والحاصل: كون الفكرة أوليّة لا تحتاج إلى الاستدلال واستنباط شيءٌ، وكونها مضمونة الحقّانيّة شيءٌ آخر، ولا تلازم بين الأمرين. ويشهد على ذلك وقوع الخطأ أو الشكّ في المعارف الوجدانيّة المحسوسة ـ المحسوس بالذات ـ التي قلنا إنّها أوليّة، لعدم توسيط شيء بينها وبين إدراكها، بل ينصبّ الإدراك عليها مباشرةً وأوّلاً وبالذات، ومع ذلك قد يشكّك فيها أو يخطأ، كمن يشكّ في أنّه هل يسمع الصوت أم لا إذا ما ابتعد عن مصدره تدريجاً. وهذا دليلٌ على إمكانيّة وقوع الخطأ والاشتباه أو الشكّ في الوجدانيّات الأوليّات، فكيف بقضايا أوليّة غير وجدانيّة!

وقد كان قديماً يبرهن على استحالة التسلسل ببرهان التطبيق أي تطبيق العلل على المعلولات، فكان يقال إنّه إن تساويا لزم تساوي الجزء مع الكلّ لأنّ سلسلة المعلولات هي سلسلة العلل بإضافة واحد، والكلّ لا بدّ وأن يكون أكبر من الجزء. وإن لم يتساويا كان معناه تناهي أحدهما على الأقلّ.

وقد كان هذا برهانهم على استحالة التسلسل فترةً طويلة من الزمن اعتماداً على بديهيّة أنّ الكلّ لا يكون أكبر من الجزء، حتّى جاءت الرياضيّات الحديثة فأنكرت بداهة هذه القضيّة في الكميّات

اللامتناهيّة وجعلتها مختصّة بالكميّات المتناهية، إذ ينعدم في غيرها معنى الكلّ والجزء وهذا خلاف قضيّة أوليّة.

وقد قال بعض الحكماء في التسلسل: إنّ كلّ مقدار من السلسلة عندما نفترضه بنحو العام الاستغراقي، نجده محصوراً بين حاصرين. فالعقل يحدس أنّ مجموع السلسلة أيضاً محصورٌ بين حاصرين مفترضاً أنّها قضيّة أوليّة حدسيّة في نظره.

ومن هنا امتاز المنطق والرياضيّات البحتة على سائر العلوم النظريّة في قلّة الخطأ فيها نتيجة أنّ مصادرات العلوم الأوليّة [فيهما] محدودة وواضحة لدى الجميع، ومن هنا قلّ الخطأ فيهما، إذ لا منفذ له حينئذ إلاّ الغفلة عن قواعد الرياضة والمنطق التي تتفادى بالدقّة والممارسة والتطبيق.

وأمّا الثاني: فالمعارف الأوليّة يتولّد منها معارف على قسمين: معارف يقينيّة بملاك التلازم الموضوعي بين متعلّق المعرفتين، ومعارف ظنيّة بدرجة من درجات الاحتمال حسب قواعد حساب الاحتمالات. وهذا هو الذي يدخل فيه أكثر معارفنا، حيث يندرج فيه جميع المعارف المستمدّة من التجربة والاستقراء، فإنّ حساب الاحتمالات لا يوجب اليقين مهما امتدّ، وإنّما ينشأ اليقين نتيجة ضعف الاحتمال إلى حدٍّ كبير حتّى تتحوّل الظنون في نهاية المطاف إلى يقينٍ وجزم بقانون ذاتي لا موضوعي ضمن مصادرات معيّنة مشروحة في أسس الدليل الاستقرائي»[1].

ولادة (مرام)

في ٣/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ (٢١/١٠/١٩٦٣م) رزق السيّد الصدر رحمه الله مولوده الأوّل (مرام). وهي حرم ابن عمّها السيّد حسين إسماعيل الصدر رحمه الله[2].

زيارة السيّد الحكيم رحمه الله إلى كربلاء وبغداد

عرض السيّد مرتضى العسكري والشيخ علي الصغير على السيّد محسن الحكيم رحمه الله فكرة السفر إلى كربلاء، فأجابه السيّد الحكيم رحمه الله قائلاً: «**الگومة والگعدة زحمة عليّ، في نفع للإسلام؟!**» (القيام والقعود يشقّان عليّ، هل في ذلك نفعٌ للإسلام؟)، فأجابه السيّد العسكري: «**نعم، إنّ الحكومة يجب أن تعرف مرجعيّة الشيعة**» «**إنّ الجماعة ليسوا بنوري السعيد ليفهموا مرجعيّة الشيعة**»، وهيّأ السيّد هادي الحكيم داراً بين الكرخ والكاظميّة، وهي دار الحاج عبّاس الكردي.

وفي ١٧/١٠/١٩٦٣م (٢٩/جمادى الأولى/١٣٨٣هـ) بدأ السيّد الحكيم رحمه الله رحلته إلى كربلاء وبغداد، وقد استقبل استقبالاً حاشداً. وفي اليوم التالي توجّه السيّد الحكيم رحمه الله من كربلاء إلى الكاظميّة مروراً بالمسيّب والمحموديّة، وقد وصل الموكب إلى بغداد عند الساعة الواحدة ظهراً مخترقاً شارع الرشيد فالأعظميّة فالكاظميّة حيث أقام الصلاة غروباً في الصحن الكاظمي.

وفي أحد أيّام الزيارة، اضطرّ رئيس الوزراء آنذاك أحمد حسن البكر إلى الوقوف فترةً من الزمن، حيث حاصرت سيّارتَه جموعُ مستقبلي السيّد الحكيم رحمه الله بسيّاراتهم، ولم تستطع الشرطة فكّ الحصار إلاّ بعد تحرّك موكب السيّد الحكيم رحمه الله. وقد كان للسيّد الصدر رحمه الله دوره الخاص في تنسيق زيارات السيّد الحكيم رحمه الله هذه.

---

(١) بحوث في علم الأصول ٤: ١٣٠ ـ ١٣٥.

(٢) يأتي تعداد أولاد السيّد الصدر رحمه الله ضمن الفصل الرابع.

وفي أحد أيّام زيارته إلى بغداد، استدعى السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ السيّد مرتضى العسكري، وبعد نصف ساعة حضر الشيخ محمّد رضا الشبيبي وخلفه السيّد مهدي الحكيم﴿رحمه الله﴾، فوجّه السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ كلامه إلى الشيخ الشبيبي قائلاً: «**انهض وأنا أدعمك**». وألقى السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ مسؤوليّة النهوض بالتحرّك السياسي على عاتق السيّد مرتضى العسكري وبمشاركة السيّد مهدي الحكيم﴿رحمه الله﴾. وفي ذلك الوقت اتّخذ السيّد العسكري قراره بترك العمل التنظيمي.

وعلى إثر مبادرة السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ كتب الشبيبي مذكّرة للحكومة وسلّمها إلى السيّد العسكري معلناً بدء الحركة ضدّ السلطة. إلاّ أنّ وفاة الشبيبي المفاجئة كانت السبب في تأجيل العمل بالحركة بغية إيجاد الوجه السياسي المناسب.

وبعد ذلك توجّه موكب السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ إلى سامراء حيث أقام عشرة أيّام. ثمّ غادرها بتاريخ ١٨/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/١١/٥م) وغادر بغداد بتاريخ ٢٠/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ ووصل إلى النجف الأشرف في اليوم التالي[١].

وتفصيل الزيارة ـ كما روتها مجلّة (الإيمان) ـ أنّ النجف ما إن سمعت بعزم السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ على السفر إلى العتبات المقدّسة ـ رغم تكتّمه على ساعة السفر ـ حتّى خفّت إليه جموع المؤمنين تودّعه، وذلك بعد ظهر الخميس ٢٩/جمادى الأولى/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/١٠/١٧م)، فقضى ليلته في كربلاء. ورغم محاولاته الكثيرة بأن يغادر هذه المدينة دون أن يشعر الناس به فقد ودّعه الكثير من أهالي النجف وكربلاء عندما غادر ركبه كربلاء عند شروق الشمس من صباح الجمعة المصادف ٣٠/جمادى الأولى/١٣٨٣هـ متّجهاً إلى الكاظميّين.

وما إن سمع المسلمون بسفره حتّى توجّهوا من كلّ حدب وصوب نحو كربلاء، فالتحقوا بالموكب بمدينة المسيّب التي تقدّم أهاليها وفي مقدّمتهم الشيخ علي قسّام، وأظهروا ولاءهم للسيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾.

وبعد استراحة قصيرة غادر الركب متّجهاً نحو المحموديّة، وكان الاستقبال فيها منقطع النظير، حتّى أنّ السيّارة التي تقلّ السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ كانت تشقّ عباب الناس بكلّ جهد ومشقّة. وبعد استراحة قليلة في مسجد المحموديّة توجّه الركب إلى بغداد.

وفي حوالي الساعة الواحدة وصل ركب السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ إلى الكاظميّة عن طريق شارع الرشيد فالأعظميّة. وبعد أن تشرّف بزيارة الإمامين الجوادين﴿عليهما السلام﴾ حلّ ضيفاً على الحاج سلمان الحاج عبّاس في الكاظميّة. وما إن مرّت الليلة الأولى عليه إلاّ وخفّت إليه في الليلة الثانية وفود بغداد تقدّم ولاءها لإمامها.

وكان في مقدّمة هذه الوفود وفد جامع براثا، حيث التقى بالسيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ في صحن الإمامين﴿عليهما السلام﴾ حيث أدّوا صلاة المغرب والعشاء، ثمّ تقدّم الشيخ محد حسين الصغير فارتجل كلمة

---

(١) تلفيقاً بين: حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٣٤ ـ ١٣٥ ؛ كلمة للسيّد مرتضى العسكري بمناسبة ذكرى السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ ؛ سنوات الجمر: ٦٩ ـ ٧٠ ؛ أساطين المرجعيّة العليا: ١٤٥ ـ ١٤٨ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٤ ـ ٣٥ ؛ العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ١٣٦ ـ ١٣٧، ١٦١.

عرض فيها المشاكل القائمة ورحّب بالسيّد الحكيم ﵀ وأكّد في ختامها البيعة له.

ثمّ تقدّم الشيخ محمّد علي اليعقوبي فاختتم الحفل بكلمة مسهبة تحدّث فيها عن حياة السيّد الحكيم ﵀ وموقفه الجهادي في الثورة العراقيّة الكبرى والثورات الأخيرة.

وفي الليلة الثالثة اكتظّ رحاب الصحن الكاظمي المطهّر بآلاف المصلّين خلف السيّد الحكيم ﵀، ثم بعد أن أنهى الصلاة تقدّم الخطيب السيّد هادي الطباطبائي فقدّم الوفود الزاحفة للسلام على إمامهم، فتقدّم السيّد فخر الدين الموسوي العسكري باسم جماهير الكاظميّة المسلمة وألقى بين يدي السيّد الحكيم ﵀ كلمة، ثمّ تقدّم الأستاذ فؤاد الشيخ علي الحياوي فألقى قصيدة السيّد طاهر الموسوي والتي تعبّر عن شعور وفد الكرخ، ثمّ تقدّم الخطيب السيّد علي الهاشمي بكلمة ارتجاليّة بارك للمسلمين تشرّفهم بزيارة السيّد الحكيم ﵀ وحثّ الجماهير على التمسّك بالدين والعلماء. وبعده اختتم الحفل الخطيب السيّد هادي الحكيم.

وفي الليلة الرابعة ألقى السيّد محمّد السيّد طاهر الحيدري كلمة عبّر بها عن عواطف ومشاعر أهالي منطقة جامع المصلوب على اختلاف طبقاتهم، وفي طليعتهم والده السيّد طاهر الحيدري، ثمّ تقدّم الخطيب الشيخ علي التميمي يمثّل وفدي مدينة الثورة ومنطقة باب الشيخ.

وما إن أتمّ السيّد الحكيم ﵀ الصلاة في الليلة الخامسة حتّى تقدّم الأستاذ عبد المجيد محمود الدجيلي عن وفد الدجيل فألقى كلمة تتدفّق شعوراً إسلامياً قوبلت بالإحسان والإكبار، ثمّ أعقبه السيّد فخر الدين الحيدري بكلمة عن وفد الكسرة ومكتبة أهل البيت ﵈ العامّة، وأسهب فيها عن حياة العلماء العاملين واستعرض موقفهم الجهادي في ثورة العشرين وما بعد ثورة العشرين.

وفي الليلة السادسة، وبعد أن أنهى السيّد الحكيم ﵀ صلاة المغرب والعشاء تقدّم الأستاذ عبد الصاحب دخيل فألقى نيابة عن وفد مدينة الحرية كلمة عبّر بها عن شعورهم تجاه الإسلام وزعيمهم، ثمّ أعقبه السيّد محسن الصايغ ممثّلاً وفد حسينيّة الشوكيّة في كرّادة مريم وألقى كلمة عبّر فيها عن الفرحة الكبرى التي عمّت المسلمين بقدوم السيّد الحكيم ﵀ وسفره. وكانت هذه الليلة الليلة الأخيرة من بقائه في مدينة الكاظميّة.

وما إن علمت الجماهير المؤمنة بأنّ السيّد الحكيم ﵀ سيغادر الكاظميّة متّجهاً إلى سامراء صبيحة غد حتّى تقاطرت الوفود عليه من كلّ جانب ومكان، فانتقل مجلسه من الصحن إلى داره العامرة حيث غصّت بالوفود وتزاحمت بالمناكب.

وهنا تقدّم وفد مدارس الجعفريّة في بغداد مرحّباً به وممثّلاً له الشيخ عبد الزهراء الصغير وألقى كلمة، ثمّ أعقبه السيّد زهير الحسني ممثلاً عن وفد الكرّادة الشرقية (حسينية آل مباركة)، ثمّ أعقبه الأستاذ علاء عبد الحسين الكاتب عن وفد مكتبة الزهراء ﵍ العامّة في الكاظميّة. ثمّ تقدّم الشيخ موسى الشيخ ناصر السوداني ممثّلاً عن وفد مدينة القاهرة وألقى قصيدة رقيقة استحسنت من قبل الجماهير. ثمّ وقف السيّد حميد السيّد جواد الخطيب من كليّة الحقوق ممثّلاً إخوانه طلاّب جامعة بغداد، فألقى كلمة عبّر فيها عن أماني وفد جامعة بغداد وشعورهم الديني تجاه زعيمهم السيّد الحكيم، وقد جاء فيها:

«العلماء حماة الأمّة الإسلاميّة

سيّدي الحكيم.. علماءنا الأفاضل.. إخواني المؤمنين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في غمرة هذا الجو الروحي، وتحت سماء الإسلام وفدت إليكم زهور الحياة لتكون بين يدي سماحتكم، لتفيضوا عليها بتوجيهاتكم السديدة لتعطي طيّب الثمار.

إنّ هذا الشباب المؤمن في جامعة بغداد ليرحّب بكم يا زعيم الأمّة الإسلاميّة وبمقدمكم بشوق العقيدة، وبأحلام المستقبل الزاهر القريب إن شاء الله، لأنّه يرى فيكم الأب الحقيقي لكلّ الأمّة الإسلاميّة وملاذها الذي تركن إليه في نوائبها... وقد بلغت أبوّتكم درجة من الحنان والعطف أنّكم تفتّشون عن كلّ صغيرة وكبيرة في هذه الأمّة، فتدرسونها وتجيبون عنها برحابة صدر وبأفق تفكير واسع بما أمدّكم الله تعالى من منهل أهل البيت عليهم السلام. لكلّ هذا صاروا من الموالين لكم، وإنّ هذا الولاء الصادق قد ثبت للعدو والصديق، وما هذا المجئ إلاّ مظهر لمدلول الموالاة.

وها هم يا سيّدي قد تشرّفوا بين يدي سماحتكم ليبثّوا إليكم فرحتهم وهمومهم معاً: فرحتهم بمجيئكم الميمون، وهمومهم للآلام التي تنتابهم من الجو الخليع والثقافة الملوّثة في الجامعة. ولكنّهم صامدون كلّ الصمود لأنّهم مؤمنون بأنّ هذه الرسالة لا بدّ أن تحتلّ مكانها الذي أراده الله لتسير الحياة، كلّ الحياة وفي جميع مجالاتها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة.

وهذه مسؤوليّة عظيمة لا ينهض بأعبائها إلاّ دعاة مؤمنون يتعقّبون خطى علمائهم الأعلام، فيصبحوا جيشاً متلاحماً واحداً تزحف به قيادته ليهدم ما بناه المستعمرون ومن ضلع في فلك أفكارهم، ومن ثمّ ليقام الصرح الإسلامي الكبير...

وإنّها لمسؤوليّة كبيرة حقّاً لا بدّ من تحمّلها وإلاّ فقدنا مقوّمات إنسانيّتنا وكرامتنا وعزّتنا، وكيف يمكن أن نتصوّر بأنّ لنا كرامة وعزّة اذا انتزعت منّا عقيدتنا وديست مفاهيمها. إنّ النتيجة لمؤلمة إذا تمادينا بهذه المسؤوليّة، مسؤوليّة الدين، مصير الإسلام، مصيرنا نحن المسلمين...

إنّ هذه الأمنية التي تراود الأفكار لبناء مجتمع إسلامي تنبض شرايينه وأوردته بالروح الإسلاميّة لم تكن جديدة ولا من نسج الخيال، وإنّما هي حقيقة أقرّها التأريخ حينما طبّق النظام الإسلامي وعمّ أرجاء المعمورة بشكل رائع رافعة النجاح، ويدعو للدهشة ممّا احتوى عليه من حيويّة وحلول لمشاكل الحياة.. فنعمت فيه الإنسانيّة وعمّ فيها الرخاء لأوّل مرّة في التاريخ بعد جاهلية دامت عدّة قرون، فانتشرت العلوم والمعارف... كلّ العلوم الفلكيّة والطبيّة والفنيّة والفكريّة أيّام الإسلام الذهبيّة، حينما سار المسلمون بهدى إسلامهم واتّبعوا توجيهات قادتهم الأمناء، فاستطاعوا أن يكونوا أمّة متفرّدة في حضارتها لم يسبق لها مثيل، وكانت أروبا آنذاك تتخبّط خبط عشواء في ظلماتها..

أفيصبح الآن إسلامنا جامداً لا يتحرّك الحياة وتقوم أوروبا لتحلّ لنا مشاكلنا بقوانينها الوضعيّة..

كلا! لن يكون ذلك، إنّ الإسلام حيٌّ وسيبقى حيّاً ولن تستطيع أن تنال منه يد الكافر، فإنّ له رجالاً مبدئيّين ـ علماؤنا المراجع ـ تسير وراءهم الجموع المسلمة بأمانة وإخلاص وطاعة للتضحية دونه حتّى تراق آخر قطرة من دماء المسلمين، فليست هذه المبادئ الهدّامة بأولى من مبدئنا الشامل لجميع مشاكل الحياة.

إنّ الكيد الذي دبّره المستعمرون وسار عليه أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن القاعدة الرئيسيّة استهدف تغيير محتوى الأمّة الفكري والروحي.

وبهذه الوسيلة وحدها يجهزون على الإسلام ويشيدون أسسهم الماديّة، وما كان لهم أن يخرجوا

بشعاراتهم ومفاهيمهم الملحدة إلاّ بعد أن قاموا بهذه العمليّة مسبقا، وهذا ما حدث فعلاً...

ولكنّ المسلمين اليوم أكثر وعياً وأشدّ إدراكاً وأصوب تقديراً وأشدّ تحمّساً واندفاعاً لتغيير هذا المحتوى بصورة جذريّة لاجتثاث الأسس التي بني عليها أسس الكفر والإلحاد، وبناء الأساس الإسلامي من جديد بثورة فكريّة طلائعها القادة العلماء والمسلمون جميعاً من ورائهم، وبذلك يكون النصر، وبذلك تعود الحياة الإسلاميّة من جديد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[1].

إنّ هذه الأرض الطيّبة ـ أرض أمّتنا الإسلاميّة ـ التي سقاها صاحب الرسالة بجهوده والأئمّة الأطهار والمؤمنون بدمائهم لتبقى البذرة التي بذرها رسول الرحمة ورجل الإنسانية محمّدﷺ بدماء الشهداء من أعزّ الخلق، لأرض حريّة بأن تسعد الأمّة في رحابها، بمبدئها الكامل: العقيدة والنظام..

ألا فليعلم الكافرون والمنافقون بأنّ هذه الأرض الطيّبة لها حماة وقادة يحمونها، وليست حقولاً تجريبيّة مهملة ليتفنّنوا في التنافس عليها لغرس ما طاب لهم من مفاهيمهم الماديّة الملحدة..

إنّ الإسلام لا بدّ أن يقول كلمته، فليعتبر المنافقون والمضلّلون بتجارب الماضي القريب، فإنّ للمسلمين صرخةً تتحدّى كلّ من يقف أمام طريق الإسلام، وما تجربة الشيوعيّة عنّا ببعيدة حينما أعلن سيّدنا العظيم الإمام الحكيم والعلماء جميعاً صرخة مدوية دكّت تلك الأسس التي شيّدوها..

إنّ هذه الشبيبة المؤمنة يا سيّدي التي تتراقص أوعيتها النابضة كلّما مرّ على مسامعها التضحية دون العقيدة والمبدأ.. إنّه لشرف عظيم حينما تسير خلفهم بإصرار وثبات.. ثبات المسلم المعتقد المجاهد...

إنّ هؤلاء يا سيّدي وأقرانهم جيش مجنّد بالفكر الإسلامي الناصع، يسيرون بتوجيهاتكم لمحاربة كلّ المبادئ الهدّامة، وسوف لن تجدي المستعمرين والمنافقين ثقافتهم وأفكارهم المسمومة في أمّتنا الإسلاميّة، وسيكون المسلمون أشدّ صلابة ووعياً لحمل هذا المبدأ العظيم ونشر أفكاره ومفاهيمه.

والله أكبر ولله العزّة ولرسوله والمؤمنين».

ثمّ تقدّم وفد مدرسة الأستاذ أحمد أمين؏ وارتجل الشاب هادي حمّودي كلمة بليغة فأعجب الحاضرون بإمكانيّاته وطاقاته وموهبته في الاسترسال. ثمّ أعقبه وفد معهد الشريف الرضي، فألقى عنه كلمة موجزة الأستاذ علي العسكري، ثمّ تلاه الشاب السيّد مرتضى السيّد عبد المجيد الحيدري وألقى أبياتاً بالنيابة عن إخوانه طلبة إعداديّة الكاظميّة. ثمّ تقدّم وفد خدمة روضة الجوادين؈ وعلى رأسهم الشيخ علي الكليدار سادن الروضة المطهّرة وألقى ممثّلهم كلمة رائعة، ثمّ أعقبه الأستاذ السيّد مهدي السيّد حبيب بحر العلوم ممثّلاً عن أهالي مدينة السلام فألقى كلمة موجزة عبّر فيها عن مدى إخلاص أهالي هذه المدينة للسيّد الحكيم؏. ثمّ تقدّم وفد مدينة الكوت وألقى ممثّلهم الشيخ محمّد جواد الغرّاوي كلمة عبّر فيها عن مدى إخلاص مدينة الكوت لعلمائها الأعلام وفي مقدّمتهم السيّد الحكيم؏.

وقبل أن تتفرّق الحشود الزاحفة إلى دار السيّد الحكيم؏ أعلن السيّد هادي الحكيم بأنّ ركب السيّد الحكيم؏ سيزحف نحو مدينة سامراء صباح يوم الجمعة الموافق ٦/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ بعد أن يفتتح جامع براثا، وسوف يكون جامع براثا نقطة الانطلاق لسفره.

---

(١) غافر: ٥١.

وما إن حلّت الساعة السابعة من ذلك الصباح حتّى زحفت الجموع نحو جامع براثا لتأخذ مكانها في ذلك الاحتفال التاريخي.

وفي حوالي الساعة الثامنة توافدت الأخبار بأنّ السيّد الحكيم‏ على وشك الوصول، فخفّت الجموع إلى خارج المسجد وفي مقدّمتهم الشيخ علي الصغير‏ يستقبلونه. وعند وصوله تقدّمت الجموع للتبرّك والسلام عليه، ثمّ توجّه‏ إلى رواق المسجد حيث صلّى ركعتين تحيّة المسجد.

ومن ثمّ توجّه السيّد الحكيم‏ إلى قاعة المسجد حيث جلس هناك والمسلمون من حوله، وقد أعدّ المنهاج الأدبي بمناسبة افتتاحه للجامع وسفره من بغداد إلى سامراء. وبعد أن استقرّ المجلس ووزّعت الحلويات أعلن عرّيف الحفل الخطيب السيّد هادي الطباطبائي الحكيم عن المنهاج الأدبي فكان كالآتي:

١ ـ كلمة الافتتاح لشيخ الخطباء الشيخ محمّد علي اليعقوبي.

٢ ـ قصيدة للشاعر الأستاذ صادق اليعقوبي.

٣ ـ كلمة شباب جامع براثا ألقاها الأستاذ عبد المجيد الدجيلي.

٤ ـ قصيدة الشيخ محمد حسين الصغير.

٥ ـ كلمة شكر والختام للسيّد هادي الطباطبائي الحكيم.

وبعدها أعلن عرّيف الحفل عن توجّه الركب إلى سامراء.

وفي ما يلي قصيدة الشيخ محمّد حسين الصغير تحت عنوان (في توديع الإمام الحكيم):

سر في الجهاد .. فما برحت موفّقا ... سيفان في يدك العقيدة والتقى
سر في جهادك فالحياة ذميمةٌ ... إن لم تقم حقّاً، وتقحم مأزقا
سر في جهادك فالعقيدة لم تزل ... فكراً مقدّسةً، ومجداً معرقا
سر في جهادك فالجموع بحاجة ... للدين والإسلام أن يتطبّقا
أو لا تزال كأمس تستبق المدى ... وتذيب مؤتفكاً وتسحقّ أحمقا
صلد الجنان حكيت فذاً فاتحاً ... شام الخلود، وألمعيّاً حلقا
لم تستلن عوداً وربّ موجّه ... لعبت به شتّى الخطوب فأخفقا
تتحدّث الأجيال عنك بأنّها ... ألفت زعيماً عالميّاً مطلقا
والمرجع الأعلى لأمّة أحمد ... والعسكري المستميت المطرقا
بالأمس قد أدّبت (قاسم) أمّتي ... واليوم أدعى أن تؤدّب (عفلقا)
إيه أبا المهدي، أيّ فضيلة ... ما كانت فيها العبقريّ الأسبقا
ما إن غرست من العقيدة بذرها ... إلاّ حصدت نتاجها المتأنّقا
آمنت إيماناً أكاد بمثله ... أن لا أزل عن الصواب محقّقا
إنّ الهداة المخلصين، جهادهم ... في الخافقين حديث حمد منتقى
حيّتك منّي العاطفات ولم تكن ... لسواك تستوحي البيان الشيّقا
لكن وجدت إمامة وزعامة ... وكرامة وشهامة وتفوّقا

وليت ثمّ رآسة وسياسة ... وبطولة ورجولة لن تلحقا
وأباً يغار على الضمائر أن ترى ... سلعاً لمحترف تباع وتنتقى
أرأيت أفظع من طيوف مرّة ... فيها الشقاء على الشريعة أطبقا
أبصرت أوهاماً ضياعاً جمّة ... فيها الحقائق تستزل لتمحقا
أخبرت أجبن من نفوس فجّة ... تغفو على مضض الوعود تحرّقا
لكنّ لي رأياً سيفصح في غد ... عنه الزمان وإن تمادى بالشقا
لا بدّ أن يلد الصباح شعاعه ... والليلة الظلماء.. فجراً مشرقا
آمنت بالإسلام لا رجعيّة ... فيه ولا فوضى تعاب وتتّقى
دستوره القرآن حيث نظامه ... بالخير ينضج مائجاً مترقرقا
فوق الميول يشعّ في حلك الدجى ... كالبدر يرسل نوره المتألّقا
متجدّد الآراء يعلي أمّة ... ويواكب العقل السليم الملفّقا
ألقى على الأجيال درساً خالداً ... وابتزّها نطقاً، وجدّد منطقا
مغوار كلّ كريهة وكريمة ... إذ كان في قصب السباق مفوّقا
فتعهّدوا الدين الحنيف وشرعه ... الزاكي الشريف طبيعة وتخلّقا
فلقد وجدت محمّداً في دينه ... أنقى من الماء الطهور وأغدقا
لا الطارئات العاديات وإن طغت ... بالعاصفات تردّ سيلاً مغرقا
والمسلمون إذا ترامت محنة ... كفّ توحّد جمعهم عند اللقا
ومبادئ تترى تسير ركبها ... شبه تجسّده وباء محدقا
ذا موكب قد غربت أفواجه ... نحو الضلال وموكب قد شرّقا
أبصرته متزلّفاً وخبرته ... متردّداً ووجدته متزحلقا
متأرجحاً بميوله حتّى إذا ... ألقى المسيرة في الشوارع صفقا
طوراً إلى أقصى اليمين وتارةً ... للكرملين .. يغذ سير معنقا
قد كان بعثيّ الهوى وإذا به ... أضحى شيوعي المبادئ مرهقا
حتّى كأنّ حياته وحقوقه ... من غير حزب لن تصاب وتطلقا
سبحانك اللهمّ أيّ مكيدة ... هذي التي فيها الشباب تعلّقا
يا أيّها المتجمهرون مع الهدى ... سيروا وصوغوا الطيّبات لكم وقا
لا ترهبوا مستعمراً لا ترحموا ... مستأجراً ولا تتركوا متزئبقا
إن لم تكونوا ثورة جبّارة ... تذرى الطغاة بها هشيماً محرقا
فثقوا بأنّ جهادكم لا يبتني ... قمماً، ولا يردى العدو المحنقا
ولأنتم أدرى بمن قد كلّلوا ... أمجادنا خزياً بنا قد ألصقا
أولاء هم يتمثّلون أفاعيا ... في الدين تنفث سمّها المتدفّقا
أولاء لا قدم ولا قدم لهم ... كالشوك زاحم ثمّ روضاً مورقا

كالأمس مذ حشدوا الفتوح مكاسبا ... والحزب بالنصر المبين توثّقا
برز (الحكيم) لهم، وهزّ لواءه ... واستنبط الفتوى، وقاد الفيلقا
ونضى يراعته وقال لها: اصمدي ... إنّي سأنسف فيك حزباً ضيّقا
سأعيد دين محمّد ونظامه ... غضّ الشبيبة قبل أن يخلولقا
فمن (النبي) أقام عهداً نيّراً ... ومن (الحسين) أعاد فتحاً مشرقا
لا تعجبوا قلم (الحكيم) بكفّه ... سيف على هام الطغام تسلّقا
يا قائد الدين الحكيم وحارس ... الشرع العظيم ومن له نرجو البقا
شرّفتنا وبودّنا لو تنقضي ... معك السنون صبابة وتعشّقا
أزف الوداع ونحن نرغب بالبقا ... سرعان ما طوبت عهود الملتقى
سرعان ما طويت كأن لم يتّحد ... هدف يوحّد أمرنا المتفرّقا
سرعان ما طويت كأن لم يأتلق ... نجم يبدّد ثمّ ليلاً مغسقا
سرعان ما طويت أأنت مولع ... قلباً بسامراء منك تعلّقا
فاسلم أبا المهدي بعض قصائد ... عصماء، فيهن الولاء تدفّقا

وكانت الساعة قد أطلّت على الحادية عشرة والنصف، وركب السيّد الحكيم رحمه الله سيّارته وتوجّه الركب من خلفه مخترقاً شوارع الكاظميّة إلى طريق سامراء.

والجدير ذكره أنّ ما يزيد على ألف وستمائة سيّارة كانت في توديعه حاملة العلماء والوجوه والتجّار والأعيان والطلاّب المسلمين والمعلّمين والأساتذة، فاتّجه الركب نحو سامراء.

وما إن وصل الركب إلى ناحية الدجيل (الإبراهيميّة) حتّى أوقف الركب من قبل أهالي الدجيل حيث كانوا باستقباله، وقد نصبوا الأقواس الجميلة وعليها اللافتات مرحّبة بقدوم السيّد الحكيم رحمه الله. وبعد استراحته رحمه الله تقدّم الشيخ علي مهدي الدجيلي فألقى قصيدة رحّب بالسيّد الحكيم رحمه الله، ثمّ تقدّم بعد ذلك السيّد عبّاس الدجيلي وألقى كلمة ترحيبيّة أخرى، ثمّ السيّد هادي الحكيم فشكر الحاضرين على اسقبالهم الرائع وحفاوتهم حول زعيمهم وقائدهم المنقذ..

هذا، وقد شقّ السيّد الحكيم رحمه الله طريقه إلى السيارة بصعوبة بالغة بين عاصفة من التصفيق وهدير الهتاف، ثمّ استقلّ سيّارته متوجّهاً في طريقه إلى سامراء، وقد زحفت وفود أهالي محطة بلد وعلى رأسهم رجال الدين والإدارة والرؤساء والأشراف والوجوه، فسلّموا على السيّد الحكيم رحمه الله ورحّبوا به.

ومن ثمّ توجّه الركب إلى سامراء، فكان الوصول إليها في الساعة الثالثة بعد، الظهر وكانت حركته من بغداد في الساعة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر.

وفي سامراء كان الأهالي على مختلف طبقاتهم في استقبال الركب وقد نصب قوسٌ كبير في مدخل المدينة عليه عبارات الترحيب، وقوس آخر مماثل له في باب صحن الروضة العسكريّة.

وبصعوبة وصلت السيارة التي تقلّ السيّد الحكيم رحمه الله إلى باب الصحن الشريف، وكان في استقباله عند باب الصحن القائم مقام وسادن الروضة المطهّرة والوجوه والأشراف والزعماء وأهالي المدينة،

فسلّموا عليه ورحّبوا به أجمل ترحيب. وبعد أداء الزيارة والصلاة توجّه إلى دار الوجيه السيّد عبد الوهّاب المشاط الذي قدّمها له مدّة مكثه في سامراء، والتي دامت عشرة أيّام.

وفي اليوم الثاني من وروده تقدّمت إليه الهيئة العلميّة في سامراء ترحّب بهذه اللفتة الكريمة نحو الحوزة العلميّة في سامراء، وتقدّم الشيخ عبّود الشيخ حسن ممثّلاً عن إخوانه رجال الدين فألقى كلمة موجزة، ثمّ تقدّم الأديب السيّد نور السيّد عبد الأمير خادم الإمامين العسكريّين باسم سادن وخدمة الروضة العسكريّة فألقى كلمة، ثمّ تقدّم الخطيب السيّد عبد الرسول الكفائي وألقى قصيدته وعنوانها (تحيّة الإمام الحكيم) بالنيابة عن وفد أهالي الكاظميّة.

وهكذا أخذت الوفود تتقاطر على مدينة سامراء لترفع إلى زعيمها الديني احترامها وولاءها، وكان في طليعة هذه الوفود وفد النجف الأشرف الذي زحف بكلّ طبقاته إلى سامراء ليحمل إلى السيّد الحكيم رحمه الله شعور أبناء النجف، وقد ألقى الخطيب السيّد جواد شبّر كلمة ممثّلاً عن الوفد أعرب فيها عن مدى ما يكنّه بلد الغري من إخلاص وولاء إلى السيّد الحكيم رحمه الله، ثمّ أعقبه السيّد طالب الخرسان بكلمة.

كما كان في مقدّمة الوفود التي قصدت سامراء وفد كليّة الفقه في النجف الاشرف وألقى ممثّل الوفد الخطيب السيّد عدنان البكاء كلمة.

وكانت وفود كربلاء من بين الوفود التي زحفت بكلّ طبقاتها ترحّب وتحمل ولاءها إلى السيّد الحكيم رحمه الله، وألقى الخطيب الشيخ هادي الكربلائي قصيدة، ثمّ ألقى الشيخ إبراهيم النبي كلمة عن الهيئة العلميّة في كربلاء المقدّسة، ثمّ تكلم ممثّل وفد ندوة الإرشاد والتبليغ في كربلاء.

وهكذا أخذت وفود الموصل وتلّعفر وطوز وخرماتو وكركوك والتسعين تزحف إلى سامراء للقاء السيّد الحكيم رحمه الله، كما وأنّ وفوداً كبيرة من الحلّة والشاميّة والحيرة وأبو صخير والمشخاب والقادسيّة والعباسيّات والرميثة والخالص والكوفة والعمارة والناصريّة والكوت والمسيّب وغماس، بالإضافة إلى وفود بغداد الكثيرة من جميع أطرافها قد خفّت طيلة مكوث السيّد الحكيم رحمه الله في مدينة سامراء.

وكان يوم الثلاثاء ١٨/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/١١/٥م) موعد مغادرة السيّد الحكيم رحمه الله مدينة سامراء، فتقدّم السامرائيّون إليه طالبين استجابته بالحضور في الاحتفال التوديعي الذي سيقام في الصحن العسكري الشريف. وما إن اكتمل عقد الاحتفال حتّى حضر رحمه الله فهرعت الجموع تستقبله وترحّب به وسط عاصفة من التكبير والتهليل. ثمّ تقدّم عريّف الحفل وذكر بأنّ منهجاً ضخماً كان معدّاً لهذه المناسبة، ولكن نظراً لضيق الوقت وعزم السيّد الحكيم رحمه الله على السفر إلى الكاظميّة، فقد اقتصرت لجنة الاحتفال على كلمة الشيخ سعيد البدري رئيس عشيرة البو بدري.

وبعد انتهاء الشيخ البدري كلمته ألقى الاستاذ ماهر مصطفى السامرائي مقطوعة بعنوان (تحيّة أهالي سامراء)، ثمّ تقدّم بعد ذلك الخطيب السيّد هادي الحكيم فشكر الخطباء وأهالي سامراء جميعاً بكافّة طبقاتهم، داعياً لهم بالتوفيق والتسديد والسير على هدى العلماء الأعلام.

وبعد أن انفضّ الحفل ركب السيّد الحكيم رحمه الله السيّارة وغادر مدينة سامراء تتبعه مئات السيّارت

من أهالي سامراء وبغداد والكاظميّة والبلد والدجيل والنجف متّجهين نحو مدينة بلد.

وما إن وصل الموكب إلى مشارف بلد حتّى هرع السكّان لاستقباله باذلين كلّ ما يملكون من وسائل التعبير عن شعورهم، وكانت اللافتات والأقواس منتشرة في الشوارع الممتدّة من المحطّة حتّى الحسينيّة الكبيرة التي احتفل بها أهالي بلد بمقدم السيّد الحكيم‌رحمه‌الله. وبعد استراحة قصيرة في المكان المخصّص له تقدّم السيّد عبد الرسول السيّد علي خان بكلمة وجيزة رحّب فيها به‌رحمه‌الله باسم والده السيّد عبد الحسين السيّد علي خان وأهالي بلد.

ثمّ تقدّم عريّف الحفل فقدّم منهاج الاحتفال، فكان كما يلي:

١ ـ القرآن الكريم رتّله المقرئ ملاّ محمّد ناجي.

٢ ـ كلمة الخطيب السيّد عبد الأمير الأعرجي.

٣ ـ كلمة الخطيب السيّد ظاهر جريو.

٤ ـ كلمة الشاب حبيب عبد الباقي.

٥ ـ كلمة الوجيه ملاّ فاضل أمين.

٦ ـ كلمة المقرئ ملاّ محمّد ناجي.

٧ ـ قصيدة السيّد عبد الرسول السيّد علي خان.

ثمّ تقدّم السيّد هادي الحكيم ممثّلاً عن السيّد الحكيم‌رحمه‌الله فشكر الحاضرين، وأعلن بأنّ الأخير قد تبرّع إلى مكتبة الإمام المنتظر العامّة بمائة دينار بالإضافة إلى تبرّعاته الأولى المشكورة.

ثمّ اختتم الحفل وغادر الموكب متّجهاً إلى زيارة مرقد سيّدنا أبي جعفر محمّد بن الإمام علي الهادي‌عليه‌السلام، حيث صلّى فيه الظهر والعصر وتناول‌رحمه‌الله مع الجماهير المحتشدة طعام الغذاء في الصحن الشريف.

وبعد تناول الطعام والاستراحة أطلّ السيّد الحكيم‌رحمه‌الله على الجماهير من المنزل المخصّص لاستراحته وجلس في الجانب الشرقي من الصحن الشريف، وخرج وجلس في حجرة السادان، ومن ثمّ تهافتت الوفود عليه معلنة ولاءها وإخلاصها له يتقدّمهم أهالي بلد الكرام وعلى رأسهم السيّد عبد الحسين السيّد علي خان وولده السيّد عبد الرسول، وسائر الوفود الأخرى من سامراء والكاظميّة وبغداد الذين رافقوا الموكب في رجوعه إلى الكاظميّة.

وما إن استقرّ المقام بالسيّد الحكيم‌رحمه‌الله والحاضرين حتّى تقدّم السيّد محمّد طاهر الموسوي وألقى كلمة رحّب فيها به وحيّاه وذكر بعض مواقفه المشرّفة في خدمة الإسلام والدين، ثمّ تقدّم بعد ذلك السيّد هادي الحكيم فشكر الحاضرين جميعاً على ما قاموا به من حفاوة وتكريم، ثمّ خصّص شكره لخدمة السيّد محمّد الكرام وعلى الأخصّ الحاج ملاّ عمر سادن الروضة المطهّرة.

ثمّ أعلن السيّد هادي الحكيم سفر سماحته إلى الدجيل (الإبراهيميّة)، فهرع الناس إلى سيّاراتهم، وانتظم الموكب كعادته من سامراء في الساعة الثالثة والنصف متوجّهاً إلى الدجيل.

ولمّا شارف الموكب على بلدة الدجيل هرع الأهالي على اختلاف طبقاتهم حتّى النساء والأطفال مستقبلين الموكب، ودخل السيّد الحكيم‌رحمه‌الله وسط هتافات الجماهير له بطول العمر ودوام التأييد.

وبعد استراحة قصيرة قضاها السيّد الحكيم﵀ في دار الشيخ محمود المجيد تناول فيها القهوة العربية هو وحاشيته، ثمّ أسبغ الوضوء وخرج متوجّهاً إلى الحسينيّة، فأقيمت صلاة المغرب والعشاء فيها، وبعد الانتهاء من الصلاة جلس في المكان المعدّ له.

وما إن استقرّ به الجلوس حتّى تقدّم الشيخ محمود المجيد فألقى كلمة ارتجاليّة رائعة، ثمّ أعقبه الشيخ علي مهدي الدجيلي فألقى قصيدة، ثمّ تقدّم الأستاذ عبّاس علي الدجيلي المعلّم في مدرسة الدجيل فألقى كلمة، ثمّ قام الشاب عبد العزيز محمود المجيد وألقى كلمة، ثمّ قام السيّد هادي الحكيم وألقى كلمة شكر فيها أهالي الدجيل.

ثمّ أعلن المرافقون أنّ السيّد الحكيم﵀ قد طرق سمعه بأنّ هيئة من المؤمنين تقوم الآن بتعمير مرقد جميل بن درّاج﵁ وهو أحد الرواة عن الإمامين الصادق والكاظم﵉، وأنّه قد تبرّع بمائة دينار لهذا المشروع، كما وأعلن أيضاً عن تبرّعه إلى المكتبة بمائة دينار أخرى، ثمّ أعلن المرافقون ـ بعد توزيع الحلويّات والفواكه والمرطّبات ـ توجّه السيّد الحكيم﵀ بموكبه إلى الشارع العام في طريقه إلى الكاظميّة.

ثمّ واصل الركب سيره متوجّهاً إلى مدينة الكاظميّة المقدّسة حيث نزل في مقرّه السابق في دار الحاج عبّاس سلمان.

وما إن علم بقدومه الناس حتّى توجّهوا إليه والتفّوا حوله وكان ذلك في مساء يوم الثلاثاء ١٨/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ.

وفي صباح يوم الأربعاء الموافق ١٩/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ توجّه السيّد الحكيم﵀ في الساعة العاشرة ومعه العلماء والوجوه والأعيان والجماهير المؤمنة لافتتاح حسينيّة التميمي في الكرّادة الشرقيّة ببغداد، فوصل الموكب قبيل الظهر وافتتح السيّد الحكيم﵀ الحسينيّة بصلاة الظهر والعصر، ثمّ ألقى السيّد مرتضى العسكري كلمة ارتجاليّة رحّب فيها به﵀، ثمّ تقدّم السيّد هادي الحكيم فارتجل كلمة شكر فيها أهالي الكرّادة باسم السيّد الحكيم﵀ على حفاوتهم وشعورهم الديني.

ومن ثمّ رجع السيّد الحكيم﵀ إلى داره حيث اجتمع المؤمنون وهم بانتظاره وحيث هيّأت الوفود نفسها للسلام عليه والمثول بين يديه والآلاف ترد والجموع تفد.

وقد زاره فيمن زاره وفد أعضاء الإدارة للمدارس الجعفريّة وأساتذتها واجتمعوا به، فلفت أنظارهم وأعاد إلى أذهانهم بأنّ المدرسة الجعفريّة أسّسها رجال مخلصون للأمّة الإسلاميّة والطائفة الجعفريّة، وعلى رأسهم السيّد محمّد سعيد الحبّوبي والشيخ شكر البغدادي وجماعة من وجوه بغداد، لتكون مدرسة إسلاميّة جعفريّة يتخرّج من بين جدرانها شباب مسلم يؤمن بعقيدته حقيقة الإيمان ويعمل من أجل عقيدته وإيمانه ويكون قدوة للشباب المؤمن، وقد ألقى الأستاذ محمّد جواد الغبّان قصيدة بهذه المناسبة.

وما إن أزفت الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الأربعاء حتّى أعلن توجّه السيّد الحكيم﵀ لافتتاح جامع مدينة الثورة الذي ساهم بالقسط الأوفر في تأسيسه وتعميره.

ثمّ انتظم الموكب بمئات السيّارات مارّاً بشارع الإمام موسى الكاظم﵇ والجعيفر فساحة الشهداء

فساحة المتحف فجسر الأحرار ماراً بشارع الرشيد فالباب الشرقي فشارع الشيخ عمر إلى جسر الثورة حيث وقفت الجماهير على جانبي الطريق، ممّا اضطرّ مديريّة شرطة المرور أن تصدر أوامرها بوقف سير جميع وسائط النقل في جميع الشوارع التي يمرّ بها موكب السيّد الحكيمؒ لتفسح المجال أمام مئات السيّارات التابعة للموكب الكريم.

كان الازدحام عظيماً لم يسبق له مثيل، حيث تهافت الناس على السيّارة الخاصّة التي تقلّ السيّد الحكيمؒ فحملوها بأيديهم وشقّ الموكب طريقه بصعوبة بالغة إلى باب الجامع، وقد حاول أفراد الأمن والشرطة والجيش وسائر القوى الأخرى أن يحولوا بين الجماهير وبينهؒ ولو للحظات يسيرة يستطيع فيه الدخول إلى المسجد وليستريح في المكان المخصّص له، ولكن باءت تلك الجهود الكثيرة بالفشل.

وحيث كان الازدحام عظيماً فلم يستطع السيّد الحكيمؒ أداء فريضة الصلاة إماماً، وأمرؒ أن يؤمّ المسلمين ابن عمّه السيّد محمد سعيد الحكيمؒ. وفي تلك الفترة التي انشغل المسلمون فيها بتأدية صلاة المغرب استطاع السيّد هادي الحكيم والحاج خزعل التميمي والحاج رضا علوان أن يخرجوا السيّد الحكيمؒ من الحجرة التي استراح فيها فترة قصيرة ويركبوه سيّارته الخاصّة إلى منزله حيث أدّى صلاة المغرب والعشاء جماعة في داره.

وفي صبيحة يوم الخميس ٢٠/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ أعلن المرافقون للسيّد الحكيمؒ عن عزمه الله على التوجّه إلى كربلاء ليكون ليلة الجمعة في جوار جدّه الإمام الحسينعليه السلام وليختم زيارته للعتبات المقدّسة بالتشرّف بزيارة مرقد الإمام الحسينعليه السلام وللمبيت عنده كما بدأ رحلته أيضاً من كربلاء.

وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر تحرّك الموكب من الكاظميّة إلى مجينة كربلاء المقدّسة ماراً ببغداد عن طريق الجعيفر وساحة الشهداء فعلاّوي الحلّة والبانزين خانه.

وما إن وصل موكبه إلى المحموديّة حتّى كانت الجماهير خارج البلد يتقدّمهم السيد داوود الشرع عالم البلد ووكيل السيّد الحكيمؒ فيها، إلاّ أنّ السيّد الحكيمؒ لم يستطع أن يتأخّر فردّ التحايا من سيّارته وغادر موكبه المحموديّة بالهتافات من الجماهير التي وقفت على جانب الطريق داعيةً له بطول العمر ودوام التأييد.

ولمّا وصل موكبه القرية العصريّة كانت الجماهير المسلمة أيضاً من أهالي الحلّة وكربلاء والمحاويل بانتظار الموكب ورافقته حتّى المسيّب.

وقبل أن يطلّ الموكب على بلد المسيّب كان الأهالي قد خرجوا على بكرة أبيهم لاستقبال السيّد الحكيمؒ من خارج البلد يتقدّمهم الشيخ علي قسّام، وكان من المقرّر أن ينزلؒ في الحسينيّة التي أعدّها أهالي المسيّب لاستراحته، إلاّ أنّ الازدحام الشديد حال دون ذلك، فلم يستطعؒ النزول من سيّارته لتراكم الكتل البشريّة عليها، ولمّا يئس المرافقون من تمكّنه من الاستراحة قليلاً في حسينيّة المسيّب بسبب الزحام قرّروا مواصلة سيرهم إلى كربلاء.

وما إن شاهد أهالي كربلاء أنّ سيّارة السيّد الحكيمؒ تقترب منهم حتّى ألقوا بأنفسهم عليها، ممّا

اضطرّ سائقها إلى إطفاء المحرّك، ومهما حاولت مكبّرات الصوت التي هيّأها أهالي كربلاء وبغداد لبثّ توجيهاتهم إلى الجماهير لتنظيم سير الموكب والابتعاد عن سيّارته فقد باءت الجهود بالفشل، حيث أخذت الجماهير تحيط بسيّارته من جميع الجوانب، وفي وسط هذه الكتل البشريّة المتراصّة توجّه رأساً إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام ثمّ جاء إلى داره للاستراحة، وكانت الوفود على اختلاف طبقاتها تترى على داره العامرة زرافات ووحداناً مهنّئين إيّاه بسلامة الوصول.

وما إن أشرقت شمس يوم الجمعة المصادف ٢١/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ حتّى كانت كربلاء تموج بالوافدين عليها من النجف الأشرف والحلّة والكوفة والديوانيّة والهنديّة، بالإضافة إلى الوفود التي صحبت الموكب من بغداد والكاظميّة والدجيل وبلد والمحموديّة والمسيّب إلى كربلاء.

وكان من المقرّر أن يتحرّك الموكب في الساعة الثامنة صباحاً، غير أنّ الازدحام الشديد اضطرّه رحمه الله إلى أن يتقدّم ساعة واحدة لتكون مغادرته في فترة أقلّ ازدحاماً، فتحرّك موكبه في الساعة السابعة واستمرّ متوجّهاً إلى الهنديّة حيث كانت الأعمال فيها معطّلة تماماً، وخرج الناس بكافّة طبقاتهم يستقبلونه من خارج البلدة يتقدّمهم الوجهاء والأساتذة وعلى رأسهم السيّد مرتضى العظيمي، واخترق الموكب الشارع الرئيسي عابراً جسر المدينة متوجّهاً إلى الحلّة، حيث كان القسم الكبير من أهالي الحلّة الفيحاء قد وصلوا إلى الهنديّة لاستقباله ورافقوا الموكب إلى الحلّة.

وما إن أطلّ السيّد الحكيم رحمه الله على الحلّة بطلعته البهيّة حتّى دوّت الهتافات من جميع المؤمنين الذين وقفوا على جانبي الطريق داعين الله تعالى له بدوام الصحّة والعافية وطول وكمال التأييد، وقد كثر الازدحام على سيّارته خصوصاً عند اقترابه من الحسينيّة الكبيرة التي أعدّت لاستراحته وإقامة الحفلة الترحيبيّة وافتتاح عمارتها الجديدة التي أمر رحمه الله ببنائها فبنيت بتوصياته ورعايته.

وبعد استراحة قصيرة في الحسينيّة تقدّم الحاج فرهود مكّي فألقى كلمة ترحيبيّة رقيقة، ثمّ تقدّم السيّد هادي الحكيم وألقى كلمة شكر فيها نيابة عن السيّد الحكيم رحمه الله أهالي الحلّة وسائر الوفود التي تجمّعت في الحلّة من الديوانيّة والشاميّة والمشخاب والقادسيّة وعفك والسماوة والرميثة والحمزة الشرقي وعبرة آل بدير والدغارة والقاسم والحمزة الغربي وخصوصاً أهالي النجف الأشرف الذين زحفوا بقضّهم وقضيضهم يتقدّمهم العلماء الأعلام. والتقت هذه الوفود بالوفود القادمة من بغداد والكاظميّة والوفود الأخرى.

وبعد برهة من الزمن قضاها السيّد الحكيم رحمه الله بمعيّة هذه الحشود الوافدة عليه من كلّ جانب ومكان توجّه موكبه إلى النجف الأشرف تصحبه هذه الأعداد الكبيرة من الوفود، وقد رافق موكبه جمع غفير من أهالي الحلّة.

وما إن بلغ الموكب مدينة الكفل في منتصف الطريق حتّى كانت الجماهير قد احتشدت تنثر على سيّارات الموكب الورود وهو متّجه نحو مدينة الكوفة.

وما إن شارف الموكب مدينة الكوفة حتّى استقبلته الجموع بالتهليل والتكبير، وواكبت الجموع سيّارته حتّى بلغت به إلى مسجد الكوفة، وكان من المقرّر أن يؤدّي فيه صلاة الظهر، ولكنّ الازدحام الشديد والوفود الغفيرة التي كانت ترافقه دعته إلى أن يعدل عن هذا المنهج إلى مواصلة

السير.

وكانت جماهير النجف الأشرف قد زحفت إلى خارج المدينة لترى طلعة السيّد الحكيم‏رحمه الله، ووسط هذا الزحام الشديد شقّ موكبه طريقه إلى الحرم العلوي المطهّر حيث تشرّف بزيارة جدّه الإمام علي‏عليه السلام، ومن ثمّ سار متّجهاً الله إلى داره العامرة.

وهناك وقف السيّد محمّد سعيد الحكيم‏رحمه الله وطلب من الوفود أن تتفضّل إلى داره لتناول طعام الغداء حيث أعدّ لهم مأدبة ضخمة فيها أنواع المأكولات والفواكه. وبعد الغذاء انهالت الوفود إلى دار السيّد الحكيم‏رحمه الله مودّعة ومستأذنة في السفر، فدعا لهم بالتوفيق والخير والبركة وكشف الغمّة عن سماء العراق الحبيب.

وهكذا أنهى السيّد الحكيم‏رحمه الله زيارته التي دامت قرابة الشهر[(١)].

انقلاب عبد السلام عارف

بعد تسعة أشهر من حكم البعثيّين، قام العقيد عبد السلام عارف بانقلاب عسكري مع مجموعة من الضبّاط التكريتيّين ضدّ رفاقه بالأمس، وذلك في ١٨/تشرين الثاني/١٩٦٣م (٢/رجب/١٣٨٣هـ) حيث بدأت ملاحقة أفراد حزب البعث والزجّ بهم في السجون[(٢)].

برقيّة السيّد الحكيم‏رحمه الله إلى محمّد أيّوب خان رئيس الجمهوريّة الباكستانيّة

في ٢/شعبان/١٣٨٣هـ (١٩٦٣/١٢/١٩م) حرّر السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله برقيّته إلى الرئيس الباكستاني محمّد أيّوب خان، وذلك تأكيداً لشجبه تهاون الحكومة الباكستانيّة في قضيّة الفتنة الطائفيّة بباكستان، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ ما بلغنا من الحوادث المؤلمة التي وقعت يوم عاشوراء وما لاقته الشيعة فيه من فتك وإبادة وما جرى عليهم بعد ذلك كلّه من سجن وإذلال جعلنا نأسف أشدّ الأسف، فقد كنّا ننتظر من حكومتكم أن تتدارك هذه الخسارات الواقعة عليهم، ولكنّ موقف المحاكم تجاه أولياء الشهداء وزجّهم في السجون والمحاكمات أثار استغرابنا.

إنّنا ما زلنا نأمل منكم النظر في حقوق أولياء هذه الكارثة الوحشيّة وتدارك الخسارات الواردة عليهم ماديّة ومعنويّة وتطبيق أحكام العدل والإنصاف على الرعيّة.

سدّد الله خطاكم وأخذ بيدكم إلى الطريق المستقيم.

محسن الطباطبائي الحكيم

٢ شعبان ١٣٨٣ هـ»[(٣)].

---

(١) انظر: الإمام الحكيم السيّد محسن الطباطبائي: ٩٤ ـ ١٢٠، نقلاً عن مجلّة (الإيمان)، علماً أنّ المجلّة قد ذكرت تفاصيل أكثر، وعلماً بأنّا قد حذفنا الكثير من عبارات المدح والثناء والتعابير الأدبيّة الواردة ؛ وانظر: أساطين المرجعيّة العليا: ١٤٥ ـ ١٥٢.

(٢) الصدر وصدّام، الإنسانيّة في مواجهة الهمجيّة: ٦٢٤ ؛ وللمزيد من التفصيل انظر: موسوعة السياسة ٤: ٦٠ ؛ من الثورة إلى الديكتاتوريّة: ١٢٥ ـ ١٤٨.

(٣) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣١٩.

درس رمضاني حول (الخُمس)

يوم السبت ٣/رمضان/١٣٨٣هـ (١٩٦٤/١/١٨م) شرع السيّد الصدر﵀ في درسٍ رمضانيٍّ حول بحث (الخمس) في مقبرة آل ياسين. ويبدو أنّه لم يقطعه بعد انتهاء شهر رمضان المبارك، بل أكمله حتّى فرغ منه يوم الثلاثاء ٢٩/صفر/١٣٨٥هـ (١٩٦٥/٦/٢٩م)، باستثناء بحث (الأنفال) الذي لم يبحثه لأنّه كان قد بحثه سابقاً[1].

وفاة الشيخ محمّد رضا المظفّر﵀

في ١٦/رمضان/١٣٨٣هـ (١٩٦٤/٢/١م) توفّي الشيخ محمّد رضا المظفّر﵀، وقد شيّع بتشييع حافلٍ بالعلماء والوجوه من النجف الأشرف وخارجه، ودفن مع أخيه الشيخ محمّد حسن﵀ في المقبرة الخاصّة[2].

وقد أقيمت عن روحه مجالس الفاتحة في معظم محافظات العراق آنذاك من قبل الجاليات العلميّة وعامّة الشعب، وقد أحصي ستّة عشر مجلساً في آنٍ واحدٍ في مختلف مناطق العراق، بحيث توزّع طلاّبه وخواصه على تلك المجالس[3].

رسالة (جماعة علماء بغداد والكاظميّة) إلى عبد السلام عارف

في ١٨/رمضان/١٣٨٣ هـ (٢/شباط/١٩٦٤م)، تقدّمت (جماعة علماء بغداد والكاظميّة) إلى الرئيس عبد السلام عارف بالرسالة التالية التي حملت توقيع ثمانية وعشرين عالماً من أبرز علماء بغداد والكاظميّة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المشير الركن الحاج عبد السلام محمّد عارف رئيس الجمهوريّة المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنّكم تعلمون جيّداً أنّ المستعمر الكافر منذ أن غزا بلادنا الإسلاميّة لقي المقاومة العنيفة من أمّتنا المسلمة بقيادة علمائها الأعلام. واستمرّت هذه المقاومة حتّى بعد أن أخضع البلاد عسكريّاً لسلطانه الجائر، ممّا اضطرّه أخيراً للتظاهر بالنزول عند مطاليب الأمّة في قيام حكومة للبلاد تتبنّى الإسلام وتعمل بأحكامه، فاعتبرتها الأمّة نتيجةً رائعةً لجهادها الطويل الصابر. وانجلت الحقيقة المرّة وأسفر الصبح لذي عينين، وتكشّفت الحكومة يومذاك عن واقعها المساير للاستعمار البغيض ومحقّقة لأهدافه في تفريق كلمة المسلمين وإثارة الخلافات والحزازات في صفوف الأمّة وضرب بعضها ببعض، وإبعادها [عن] مبادئها وعقيدتها، وعزل الإسلام عن كلّ مجالات الحياة، وفرض القوانين المستوردة والتشريعات الوضعيّة الجائرة على شعب يدين بالإسلام عقيدةً ونظاماً ولا يبغي به بديلاً، وبذلك ضمن (المستعمر) الكافر البقاء لنفسه وراء الحاكمين من عملائه.

---

(١) دفاتر السيّد عبد الغني الأردبيلي﵀ (﷾)، وهو موجودٌ بتمامه بتقرير السيّد الأردبيلي﵀، كما قام الشيخ عبّاس الأخلاقي بتقرير هذا البحث بشكل كامل على ما أخبرني به بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م. وهو موجودٌ أيضاً بقلم السيّد نور الدين الإشكوري، ولكنّه ناقص.

(٢) معارف الرجال ٢: ٢٤٨ ؛ معجم رجال الفكر والأدب في النجف ٣: ١٢١٧.

(٣) حاشية المظفّر على المكاسب: ١٩، نقلاً عن الشيخ محمود كوثراني.

وعادت الأمّة إلى جهادها مرّة أخرى، وقاومت تلك الحكومات وتشريعاتها المخالفة للشريعة المقدّسة، وحدثت الهوّة السحيقة التي فصلت الحكومة عن الرعيّة وتركتها بمعزل عنها، ممّا أوجب لها الاضطراب الدائم والقلق المستمر.

وكانت الحكومة يومذاك متناسيةً مركز العراق القيادي للأمّة الإسلاميّة والمرجعيّة العليا في الجامعة الكبرى في النجف الأشرف، والتي يستمدّ منها العالم الإسلامي أحكامه ومعارفه وإرشاده وتوجيهه بواسطة علمائه الأعلام المتخرّجين من هذه الجامعة الكبرى.

وتعاقبت الحكومات متتاليةً وكلّها تتّسم بطابعٍ تقليديٍّ واحد، وهو الاستبداد الطاغي والإرهاب المريع والحكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

ولم يترك العلماء الأعلام ومن ورائهم الأمّة مقاومتهم الصامدة للحكومات في مختلف العهود وفي شتّى المناسبات ممّا سجّله تأريخ الجهاد الإسلامي بأحرف من نور.

ثمّ جاء يوم الرابع عشر من تمّوز، وظنّت الأمّة فيه تحقيقاً لآمالها العذاب على أولئك ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد﴾[2].

ولكن سرعان ما بدت الحقيقة مريرةً مؤلمةً كالحة، يوم استبدّ بالحكم طاغيةٌ تلاعب بشريعة الله سبحانه، وأجهز على آخر ما تبقّى للإسلام من أحكام في حياة المسلمين بتشريع قانون الأحوال الشخصيّة الذي يخالف القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة، وفسح المجال لشذّاذ الأرض وزمر الضلال[3]، فمزّقت كلمة الأمّة وشتّت جمعها وبعثرت طاقاتها.

ومرّت الأيّام عصيبةً مروعة، تحمل في طيّاتها المجازر الوحشيّة القاسية والإرهاب المدمّر الدامي، حتّى إذا برح الخفاء وانقطع الرجاء، دوّت في مسمع الدهر فتوى الإمام الحكيم (الشيوعيّة كفرٌ وإلحاد) فانهزم الجمع وولّوا الدبر، وتفرّى الليل عن صبحه وأسفر الحقُّ عن وجهه ونطق زعيم الدين وخرست شقائق الشياطين وطاح وسيط النفاق وانحلّت عقدة الكفر والشقاق.

فاستفاقت الأمّة من سباتها لتستطلع إلى تباشير الخلاص، تبدو في الأفق القريب مشيرةً إلى نهاية الظلم ومصرع الطغيان.

ودقّت ساعة الصفر، وكان اليوم الرابع عشر من شهر رمضان، فاستقبلته الأمّة متسائلةً عن المستقبل الغامض، حتّى مرّت أيّام معدودة، وإذا بالشيطان يطلع رأسه من مغرسه هاتفاً بأتباعه وأنصاره، فألفاهم لدعوته مستجيبين وللغرّة ملاحظين، وليشهد العراق هدر الكرامات واستباحة المحرّمات والتنكّر لمبادئ الأمّة الإسلاميّة ومقدّساتها. كلّ ذلك على أيدي الفئة الضالّة المنحرفة[4]..

وتلجأ الأمّة إلى علمائها الذين أعلنوا بدورهم سخطهم وتنكّرهم للوضع القائم، وطالبوا بصراحة وشجاعة بالضرب على أيدي الطغاة الصغار.

والآن وبعد اليوم الثامن عشر من تشرين، وقد شرعت الحكومة في وضع دستور البلاد، فالأمّة جاءت تطالبكم أن تحقّقوا آمالها التي بذلت في سبيلها الكثير من جهودها وجهادها، وأن تعيدوا لها مجدها وعزّتها باستئناف الحياة الإسلاميّة الكريمة في ظلّ راية القرآن الكريم وأحكام الشريعة المقدّسة وإشاعة العدل في ربوعها وإعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، وذلك بتحقيق المطالب التالية:

---

(١) المائدة: ٤٧.

(٢) الفجر: ١١ ـ ١٤، وربّما كان في العبارة سقطٌ.

(٣) المراد هو الحزب الشيوعي.

(٤) المراد هو حزب البعث.

١ ـ إلغاء قانون الأحوال الشخصيّة وإعادة المحاكم الشرعيّة ليتاح للمسلمين مزاولة أحكامهم الشرعيّة وفق مذاهبهم. هذا مع العلم أنّنا ما سمعنا بمثل هذا الإجراء مع الطوائف الأخرى غير الإسلاميّة في مجالسها الروحانيّة.

٢ ـ مراعاة شعور الأمّة في وضع الدستور والعمل على إخراجه صورةً لا [تتنافى] مع أحكام القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة التي لا يدين المسلمون بغيرها ولا يرتضون عنها بديلاً، وتشريع مادّة في الدستور تنصّ على عدم جواز وضع أيّ قانون يخالف الأحكام الإسلاميّة، وبذلك تزيلون الفجوة السحيقة التي سبّبت فصل الأمّة عن حكّامها السابقين الذي فرضوا على الأمّة قوانين لا تؤمن بها ولا تلتزم بشرعيّتها: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾[١].

٣ ـ إشاعة العدل والمساواة بين أبناء الأمّة وعدم التمييز بينهم في مختلف المجالات لتمحوا آثار الكافر الغازي، ولتضمنوا بذلك وحدة الكلمة وإشاعة الأمن والاستقرار في بلادنا الحبيبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٢].

٤ ـ مكافحة التفسّخ الخلقي الذي عمل المستعمر الكافر على إيجاده وتوسيعه في مناهج الإذاعة والتلفزيون والخمور وأشباهها، لتقضوا بذلك على وسائل هدم كيان الأمّة الاجتماعي: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣].

٥ ـ تعديل مناهج التعليم ووسائل التربية والتوجيه بشتّى أنواعها ومختلف مجالاتها، وتوجيهها توجيهاً سليماً لتكون أدوات فعّالة لنشر المعارف الحقّة في المجتمع، والحثّ على التحلّي بالخلق الإسلامي الكريم، والعمل لإنشاء جيل مسلم صالح في البلاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٤].

هذه هي مطاليب أمّتنا الإسلاميّة التي اقتضت الحاجة عرضها عليكم، وهي من صميم عقيدتها وإيمانها، والتي فرض الله تعالى عليكم السعي في تحقيقها والعمل على إنجازها: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٥]، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[٦].

وختاماً نرفع أكفّ الضراعة إلى الله سبحانه مبتهلين إليه بقولنا: (اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)[٧].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٨].

إطلاق سراح السيّد الخمينيّ رحمه الله

في ٢٣/ذي القعدة/١٣٨٣هـ (١٩٦٤/٤/٧م) تمّ إطلاق سراح السيّد الخمينيّ رحمه الله الذي انتقل إلى قم.

---

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) المائدة: ٨.

(٣) الأنفال: ٥٣.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) التوبة: ١٠٥.

(٦) يوسف: ١٠٨.

(٧) تهذيب الأحكام ٣: ١١١.

(٨) سنوات الجمر: ٥٤٨ ـ ٥٥٢.

وقد أعرب السيّد محسن الحكيم رحمه الله عن سروره لذلك في برقيّة أرسلها إلى الشيخ حسين سعيد بتاريخ ١٩٦٤/٤/١١م(١).

رئيس الوزراء يزور السيّد الحكيم رحمه الله

كان مفروضاً على حزب البعث أن ينتدب ممثّلاً عنه للترحاب بالسيّد الحكيم رحمه الله لدى زيارته الكاظميّة، إلاّ أنّ عبد السلام عارف كان معارضاً هذه الخطوةَ، معتبراً زيارة السيّد الحكيم رحمه الله مظاهرة ضدّ الحكم، على الرغم من أنّ زيارة المرجعيّات للكاظميّة وسامرّاء والإقامة فيهما كانت تقليداً مألوفاً وقديماً.

وأمام الضغوط المتعدّدة عاد عارف ليوافق على ذلك مشترطاً ذهاب طاهر يحيى للقاء السيّد الحكيم رحمه الله.

وفي الوقت نفسه أرسل السيّد الحكيم رحمه الله الشيخ علي الصغير وولده السيّد مهدي إلى توفيق الفكيكي طالباً اللقاء بحميد خلخال ومحسن الشيخ راضي وحازم جواد وهاني الفكيكي نجل توفيق. وقد اجتمع هاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي مع الشيخ علي الصغير والسيّد مهدي الحكيم في دار توفيق الفكيكي في الأعظميّة، وأبلغ الأخيران الأوّلين رغبة السيّد الحكيم رحمه الله بلقائهما، غير أنّهما وعداهما برفع رغبته رحمه الله إلى قيادة الحزب صاحبة القرار في ذلك(٢).

ويوم الخميس ١٩٦٤/٣/١٩م (٥/ذي القعدة/١٣٨٣هـ)(٣) زار رئيس الوزراء طاهر يحيى السيّدَ محسن الحكيم رحمه الله في داره الكوفة، وكان بصحبته وزير الصحّة ووزير العمل والشؤون الاجتماعيّة ووزير الإصلاح الزراعي ووزير الصناعة ووزير المواصلات ووزير الإسكان وغيرهم، ومتصرّف كربلاء وقائمقام النجف ومدير الشرطة وعدد من مسؤولي الإدارة واللواء(٤).

وبعد أن جلسوا قال لهم السيّد الحكيم رحمه الله: «**قلنا لبعض الحاكمين الذين انتقم الله منهم: إنّ الشعب العراقي شعبٌ مسلمٌ متديّنٌ لا يرضى بغير الإسلام شريعةً ونظاماً، وكلُّ تشريعٍ يخالف الإسلام لا يمثّل رأي الأمّة ويوجب نفورها وابتعادها عن الحكومة.. فاللازم على الحكومة ـ وهي تريد على ما يبدو من بعض تصرّفاتها أن تحقّق الاستقرار والهدوء ـ ملاحظة عقيدة الأمّة في سنِّ الأنظمة.**

إنّنا لا نرتضي غير الإسلام ديناً، ونبذل أموالنا ونفوسنا وما تحت قدرتنا في سبيل الدفاع عن ديننا وعقيدتنا.

إنّ من الواجب على الحكومة الحاضرة إلغاء قانون الأحوال الشخصيّة الذي يخالف فِي قسمٍ كبيرٍ من مواده أحكام الإسلام، لأنّ هذا القانون قد شرّع في ظروف خاصّة يعرفها الجميع استجداء لرضا المستعمر

---

(١) هفت هزار روز (فارسي) ١: ١٨٣.

(٢) أوكار الهزيمة: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) في المصدر ١٥/ذي القعدة، وأحسب أنّ الصحيح ٥ بعد مراعاة كونه يوم الخميس ١٩٦٤/٣/١٩م ؛ ثمّ وجدتُ ما ارتأيته مصرّحاً به في: الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٨٤.

(٤) مجلّة الأضواء، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة، ذي القعدة ١٣٨٣هـ: ٢٨٩ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٩٦، ٢٣٥.

الكافر، هل الحكومة الحاضرة بحاجة إلى رضا المستعمر الكافر حتّى تبقيه؟

إنّ من واجب الحكومة أن تنظر إلى مختلف أبناء الشعب بنظرة واحدة دونما تمييز أو تفريق بين قوميّاتهم أو مذاهبهم، حتّى يشعر الجميع بأنّهم يعيشون في ظلّ حكومة تسهر على مصالحهم وتحفظ لهم كرامتهم.

[ويؤسفني أن أرى الآن فجوة بين الشعوب والحكومة، عمل على إيجادها شرذمة تحاول إثارة الأغراض والنعرات الهدّامة بين الشعب، فلربّما يقول قائل بأنّ المفهوم السائد في الدولة في هذه الأيّام بأنّ معاملات عبد القادر تنفّذ، ومعاملات عبد الحسين تؤخّر وتترك. كما أنّ هناك نعرات بلديّة ضيّقة، مثل هذا عاني وهذا تكريتي وهذا نجفي وهذا كوفي، وهذه بسيطة للغاية في ظاهرها، ولكن ربّما استغلّها البعض طريقاً لأمور أكبر وأوسع. ولئن صحّ ما بلغني، فذلك ما يثير الحزازات في النفوس، ويبعد الأمّة عن الحكومة. وما هذه الاضطرابات والانقلابات التي عشنا بها مدّة من الزمن إلاّ نتيجة لعدم مراعاة حقّ الشعب والمحافظة عليها، فأنا أرغب في إسعادهم والمحافظة عليهم بكلّ ما أوتيت من إمكانيّة].

إنّني أشعر بمدى أهميّة هذا الطلب وصعوبة تحقيقه، وأوضحُ ذلك أنّ الحكومة تشتمل على آلاف من الموظّفين يوجد بينهم من لا يشعر إلاّ بمنافعه الخاصّة وميوله الشخصيّة، فيعمل على ما يوجب نشر الحزازات والطائفيّات بين أبناء البلد. ومن واجب الحكومة الضرب على أيدي هؤلاء لتسدّ بذلك أوسع الثغرات التي ينفذ منها المخرّبون. وإنّ الشعب منذ ذاق الأمرّين في السنوات التي مضت لم يعد يطيق حياة البلبلة والاضطراب، وإنّ الحكومة إن عملت بهذا، سوف تحقّق للأمّة هدفها في الحياة المستقرّة. ويسعدني أن أرى الناس على اختلاف مذاهبهم وقوميّاتهم مطمئنّين آمنين ينظرون إلى حكومتهم كما ينظر الأولاد إلى أبيهم.

إنّ العراق بلدٌ يَتموَّنُ منه العالم الإسلامي كلّه الثقافة الدينيّة، لذلك لا بدّ أن يراعى فيه هذا الجانب، ويكون قدوةً حسنةً للبلاد الأخرى. [إنّ الواجب على الحكومة الحاضرة إلغاء قانون الأحوال الشخصيّة الذي يخالف في قسمٍ كبيرٍ من مواده أحكامَ الإسلام، لأنّ القانون شرعٌ في ظروف خاصّة يعرفها الجميع استجداء لرضا المستعمر الكافر. هل إنّ الحكومة الحاضرة بحاجة إلى رضا المستعمر الكافر حتّة تبقيه؟!]».

ثمّ طالبهم بتحريم الخمور صناعةً وبيعاً، فأجابه طاهر يحيى: «**إنّنا حرّمنا الخمر في النوادي والحفلات الرسميّة**» فأجاب‌رحمه‌الله: «**إنّ هذا لا يكفي، بل لا بدّ من تحريمه في جميع المجالات. وإن كان السبب في عدم منعه ما تحصل عليه الحكومة من أرباح، فإنّ الحكومة غنيّة ولها من أرباح النفط وغيره ما يزيد على حاجتها إن أحسنت الصرف**».

كما طالب السيّد الحكيم‌رحمه‌الله بإيصاء الحكّام جميعاً بوجوب معاملة الناس بالمساواة والعدل والإحسان. وبعد ذلك دعا لهم وللمسلمين بالتوفيق لما فيه رضا الله سبحانه وتعالى[١]، وذكر أنّه يفضّل الحاكم العادل ويؤيّده حتّى لو كان سنيّاً، ويرفض الحاكم الجائر حتّى لو كان شيعيّاً[٢].

مدرسة العلوم الإسلاميّة (الدورة)

في هذه السنة، كان السيّد الصدر‌رحمه‌الله منهمكاً في دعم مرجعيّة السيّد محسن الحكيم‌رحمه‌الله سياسيّاً

---

(١) مجلّة الأضواء، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة، ذي القعدة ١٣٨٣هـ: ٢٨٩ ـ ٢٩١ ؛ وما بين [] من: الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٨٥.

(٢) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٤٧.

واجتماعياً وفكريّاً. وعلى مستوى الحوزة كانت (مدرسة العلوم الإسلاميّة) المعروفة بـ(الدورة) من بنات أفكاره، وهي عبارة عن صيغة جديدة للدراسة ومحاولة لإصلاح الإطار التعليمي في الحوزة[1]، حيث كان السيّد الصدرﷺ يعتقد أنّ خير الحوزة يكمن في تنظيمها خلافاً للمقولة السائدة يومذاك من أنّ خيرها يكمن في عدم تنظيمها. ومن هذا المنطلق تحرّك على أحد أبناء السيّد الحكيمﷺ من أجل إقناعه بفكرة إنشاء معهد علمي يتولّى تربية كادر علمي رسالي يستطيع النهوض بسدّ الحاجات التبليغيّة في مختلف أنحاء العراق[2].

وكان الهدف من تأسيس هذه المدرسة تجديد مناهج الحوزة وتطويرها بما ينسجم مع الأوضاع الفكريّة الجديدة، إضافةً إلى خلق جيل من الشباب الواعين.

ومن هنا فقد تمّ إدخال بعض المواد الجديدة مثل الاقتصاد والفلسفة وعلوم القرآن، إضافةً إلى المواد المتداولة من قبيل الفقه والمنطق والنحو وأصول الفقه.

وكانت فكرة المدرسة للسيّد الصدرﷺ الذي عرضها على السيّد مهدي والسيّد محمّد باقر الحكيم اللذين عرضاها بدورهما على السيّد محسن الحكيمﷺ وأقنعاه بها، وكانت الدراسة في هذه المدرسة لمدّة [أربع] سنوات، وهذا برنامجها الدراسي:

السنة الأولى: أضيفت إلى المواد التقليديّة: المدرسة الإسلاميّة (الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعيّة) [صدرت سنة ١٣٨٤هـ]، بعض خطب نهج البلاغة.

السنة الثانية: أضيفت مادّة الأخلاق، المدرسة الإسلاميّة (ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي) [صدرت سنة ١٣٨٤هـ].

السنة الثالثة: أضيفت مادّة (اقتصادنا) وعلوم القرآن (البيان للسيّد الخوئيﷺ).

السنة الرابعة: أضيفت مادّة (فلسفتنا).

وقد ارتأى القيّمون على المدرسة أن يعقدوا ندوات أسبوعيّة صباح كلّ اثنين تلقى فيها القصائد والكلمات لإعداد مبلّغين مقتدرين.

وقد سعت المدرسة إلى أن تبقى بعيدة عن الدولة ولم تتّجه صوب منح الطالب شهادة تعليميّة يمكنه على أساسها التوظّف، بل كانت ترسل طلاّبها أثناء العطل إلى الأرياف والمناطق من أجل التبليغ.

وكان المدير الإداري للمدرسة هو السيّد محمّد علي الباقري الذي كان من أوائل خرّيجي كليّة

---

(١) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٦ ؛ مقابلة مع السيّد صدر الدين القبانجي (ﷺ) ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٧٠ ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (ﷺ) ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢١٢ ؛ الإمام محمّد باقر الصدر، معايشة من قريب: ٤٧ ؛ لمحات موجزة عن حياة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٨ ـ ٩ ؛ كلمة للسيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٦/محرّم/١٤٢٢هـ ؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (ﷺ) ؛ مقابلة (٢) مع السيّد كاظم الحائري (ﷺ) ؛ مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (ﷺ) ؛ حوزه نجف، تلاش ها ومظلوميت ها (فارسي)، سيد على اكبر حائرى: ٦٧.

(٢) السيّد حسين هادي الصدر في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد كاظم الحائري (ﷺ) ؛ وانظر: مقابلة مع الشيخ علي كوراني (ﷺ).

الفقه من طلاّب الحوزة، وكان الشيخ حسن ملك أيضاً في إدراتها، وربّما لاحقاً.

وقد واجهت المدرسة صعوبات من كلٍّ من الخط التقليدي الذي لم يكن ليجرأ على المساس بالمدرسة في حياة السيّد محسن الحكيم رحمه الله، فقام بعد وفاته بمحاربتها خاصّةً بعد بروز أيادي السيّد الصدر رحمه الله فيها. أمّا الصعوبات الأخرى فكانت تواجهها المدرسة من قبل النظام الذي أقدم على إغلاقها حدود سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

وهذه قائمة بأسماء أساتذتها:

١	السيّد محمّد كاظم الحكيم	فقه (سنة أولى: س١)
٢	السيّد محمّد الصدر	فقه (س٢)، اقتصاد (س٣)
٣	السيّد عبد المجيد الحكيم	فقه (س٣)
٤	الشيخ أحمد البهادلي	أصول (س٣)
٥	السيّد محمّد كاظم الحائري	أصول (س٤)
٦	السيّد محمود الهاشمي	منطق (س٣)
٧	الشيخ حسن طراد	بلاغة (س٢)
٨	الشيخ علي كوراني	نحو
٩	الشيخ خليل شقير	نحو
١٠	السيّد نور الدين الإشكوري	نحو
١١	السيّد علي مكّي	أخلاق (س٢)
١٢	الشيخ نجيب سويدان	المدرسة الإسلاميّة (س٢)
١٣	السيّد محمّد باقر الحكيم	فلسفتنا (س٤)، علوم القرآن (س٣)[1]

وفي إحدى لقاءاته مع الشيخ نجيب سويدان قال له السيّد الصدر رحمه الله: «**من خلال معرفتنا بطلاّب الحوزة، نحاول أن نعرف من يملك الطاقات ممّن لا يملكها، حيث يُنصح القسم الأخير ويُوجّه بشكل أخلاقي لطيف لينال قسطاً من المعارف الإسلاميّة**»، وقال: «**قل للّذين لا يملكون مواهب فكريّة وعقليّة إنّني أنصحهم أن يتركوا قربةً إلى الله**».

وكان رحمه الله يرى أنّ طالب العلم غير الموهوب وغير المجدّ إمّا أن يكون عبئاً على الدين أو تاجراً بالدين[2].

التحاق السيّد عبد الهادي الشاهرودي بدرس السيّد الصدر رحمه الله

في هذا العام[3] التحق السيّد عبد الهادي السيّد محمّد السيّد محمود الشاهرودي بدرس السيّد

---

(١) الحوزة العلميّة في النجف، معالمها وحركتها الإصلاحيّة، علي أحمد البهادلي، اعتماداً على السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله والشيخ حسن ملك الذي كان إداريّاً في المدرسة ؛ السيّد حسين هادي الصدر في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد كاظم الحائري (حفظهما الله).

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله)، والمراد كلاهما.

(٣) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).

الصدر رحمه الله بعد أن عرّفه عليه كلٌّ من السيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي الذي وإن لم يكن قد التحق بدرس يومذاك، إلاّ أنّ علاقته بالسيّد الصدر رحمه الله كانت قويّة[١].

وقد كان السيّد الشاهرودي مخيّراً بين حضور درس السيّد الصدر رحمه الله وبين حضور درس جدّه السيّد محمود الشاهرودي رحمه الله، وعلى الرغم من الوضع النفسي المحرج فقد اختار درس السيّد الصدر رحمه الله على درس جدّه[٢].

وقد تعرّض السيّد عبد الهادي الشاهرودي ـ ربّما لاحقاً ـ إلى ضغط شديد من قبل ذويه من أجل ترك درس السيّد الصدر رحمه الله، فلجأ إلى دار السيّد محمود الهاشمي، ولَمّا لم ينجح ذووه في ثنيه تمّ الاتّفاق على التخفيف من تردّده على السيّد الصدر رحمه الله[٣].

وقد حاول بعض الأشخاص الضغط على السيّد الصدر رحمه الله باتّهامه بالسعي لكسب السيّد الشاهرودي لكونه من ذوي المقامات الاجتماعيّة، فقام السيّد الصدر رحمه الله على إثر ذلك بتعطيل درسه[٤].

إجازة السيّد محسن الحكيم رحمه الله نجله السيّد محمّد باقر رحمه الله

في ١١/ذي القعدة/١٣٨٣هـ (٢٦/٣/١٩٦٤م) كتب السيّد محسن الحكيم رحمه الله لنجله السيّد محمّد باقر رحمه الله إجازتين جاء في أولاهما:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف النبيّين وسيّد المرسلين محمّد وأهل بيته الغرّ الميامين الطيّبين الطاهرين.

وبعد، فإنّي قد جعلت ولدي وقرّة عيني ومعتمدي السيّد محمّد باقر الحكيم سلّمه الله تعالى وأسعده في الدنيا والآخرة وكيلاً عنّي في جميع الأمور الحسبيّة التي هي من وظائف الحاكم الشرعي وكالةً مطلقةً في جميع الأمور الخاصّة والعامّة، كتولّي من لا وليّ له من أموال القاصرين، كالصغار والمجانين والغائبين والأوقاف التي لا وليَّ لها، وكنصب للولي عيه على الشرائط المعلومة من الأمانة والرشد، وكأخذ الوجوه الشرعيّة ومنها سهم الإمام عليه السلام وصرف ما يصل إليه منها في مصارفه الصحيحة الشرعيّة أو حفظه عنده إلى أن يوصله إلينا، وغير ذلك من الأمور التي يتولاّها الحاكم الشرعي.

وقد أوصيته ونفسي وجميع المؤمنين بتقوى الله تعالى في الرضا والغضب والسر والعلانية، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت واليه أنيب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر: تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (دام عزه).

(٣) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ١٩/١٢/٢٠٠٤م ؛ وانظر: الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٨٢، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري في مقابلة خاصّة بتاريخ ٢/صفر/١٤٠٨هـ. وذكر لي ذلك السيّدان محمود الخطيب وعبد الكريم القزويني بتاريخ ١١/٥/٢٠٠٤م، إلاّ أنّ السيّد عبد الهادي الشاهرودي ذكر لي بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٤م أنّ تواجده في دار السيّد الهاشمي لم يكن اختفاءً بذلك المعنى باعتبار أنّ السيّد الهاشمي من العائلة (حيث يكون عديله على بنت عمّه السيّد علي الشاهرودي)، ولكنّه اختفى في بيت الشيخ علي أكبر برهان نتيجة بعض الضغوط التي تعرّض لها، وقد اعتذر عن التفصيل، كما أنّنا لم نذكر بعض ما تعرّض له من ذويه ممّا نُقل لنا.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

١١ ذ ق ١٣٨٣

محسن الطباطبائي الحكيم

[الختم]»[١].

وفي الثانية:

«بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

إلى من يهمّه الأمر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد أرسلت ولدي العلاّمة السيّد محمّد باقر الحكيم ومعه جماعة من إخوانه العلماء ليكونوا بعثة دينيّة للحج من أجل تعليم الحجّاج أحكام الحج والعمرة ومساعدتهم على القيام بواجباتهم الدينيّة. نسأله تعالى أن يأخذ بيدهم لما فيه خير الإسلام والمسلمين وينفع بهم إخوانهم المؤمنين، إنّه حسبنا ونعم الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ ذ ق ١٣٨٣

محسن الطباطبائي الحكيم

[الختم]»[٢].

ونشير استطراداً إلى إجازة حصل عليها السيّد محمّد باقر الحكيمؒ لاحقاً من السيّد الخمينيؒ وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

وبعد جناب حجة الإسلام آقاي حاج سيد محمّد باقر حكيم دامت إفاضاته از طرف اينجانب مجازند در تصدى امور حسبيه واخذ وجوه شرعيه وصرف سهمين مباركين را در مخارج خودشان بنحو اقتصاد ونسبت به ما زاد از مخارج خود مجازند ثلث آنرا در مصارف مقرره شرعيه مصرف نمايند، ودو ثلث ديگر را جهت صرف در اعلاء كلمه طيبه اسلام نزد اينجانب ارسال دارند، واوصيه ايّده الله تعالى بما أوصى به السلف الصالح من [...] والتجنب عن [...][٣] والتمسّك بعروة[٤] والاحتياط في [أمور][٥] الدين والدنيا، والسلام عليه وعلى إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

روح الله الخميني

[الختم]»[٦].

* * *

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٥٣).

(٢) انظر الوثيقة رقم (٥٤).

(٣) الأصل غير مقروء لي.

(٤) كذا.

(٥) هكذا يبدو لي الأصل.

(٦) انظر الوثيقة رقم (٥٥).


المحتويات

الفصل الأوّل

النسب والأسرة

ترجمة أجداد وآباء السيّد الصدر

احداث سنة ١٣٦١ هجرية

احداث سنة ١٣٦٢ هجرية

احداث سنة ١٣٦٤ هجرية

احداث سنة ١٣٦٥ هجرية

دراسة السيّد الصدر

احداث سنة ١٣٦٦ هجرية

احداث سنة ١٣٦٧ هجرية

احداث سنة ١٣٦٨ هجرية

احداث سنة ١٣٦٩ هجرية

احداث سنة ١٣٧٠ هجرية

احداث سنة ١٣٧١ هجرية

احداث سنة ١٣٧٢ هجرية

احداث سنة ١٣٧٣ هجرية

احداث سنة ١٣٧٤ هجرية

احداث سنة ١٣٧٥ هجرية

الفصل الثالث

في ظلّ مرجعيّة السيّد الحكيم رحمه الله

(١٣٧٦ - ١٣٨٩) هجريّة

احداث سنة ١٣٧٦ هجرية

احداث سنة ١٣٧٧ هجرية

احداث سنة ١٣٧٨ هجرية

احداث سنة ١٣٧٩ هجرية

احداث سنة ١٣٨٠ هجرية

احداث سنة ١٣٨١ هجرية

احداث سنة ١٣٨٢ هجرية

احداث سنة ١٣٨٣ هجرية

❊ ❊ ❊